

زهد الأديب

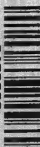
ومسر الألباب

مفصل ومبسوط ومشروع بقلم المصنف
المرکز زكي مبارك

المجلد الثاني

دار الكتب
بيروت

0159333



Bibliotheca Alexandrina

زَهْرُ الْأَطْبَاءِ

وثر الألباب

لأبي إسحاق إبراهيم بن علي ، الحصري ، القدير
المتوفى في عام ٤٥٣ من الهجرة

مفصل ومضبوط ومشروح بقلم المرحوم
الركنور زكي مبارك

الجزء الثالث

دار الجيل

طبعة دار الجيل في بيروت

تأليف - لحنان

٨٧٢٧

الطبعة الرابعة

نِذْ مِنْ أَلْفَاظِ بَلَاءِ أَهْلِ الْعَصْرِ

تَجْرَى فِي الْمَدْحِ بِجَرَى الْأَمْثَالِ ؛ لِحُسْنِ اسْتِمَارَتِهَا ، وَبِرَاعَةِ تَشْبِيهَاتِهَا
فَلَنْ مَسْتَرَضِعٌ نَذَى الْجِدِّ ، مُعَقَّرٌ حَبِيزَ الْفَضْلِ ، لَهُ صَدْرٌ تَضْيِيقُ بِهِ
الدَّهْنَاءُ ، وَتَفَرِّعُ إِلَيْهِ الدَّهْمَاءُ ، لَهُ فِي كُلِّ مَكْرَمَةٍ غُرَّةُ الْإِصْبَاحِ^(١) ، وَفِي كُلِّ فَضِيلَةٍ
قَادِمَةُ الْجَنَانِ^(٢) ، لَهُ صُورَةٌ تَسْتَنْقِ الْأَفْوَاعَ بِالتَّسْبِيحِ ، وَيَتَفَرَّقُ فِيهَا مَاهُ الْكَرَمِ ،
وَيَتَرَأَّى فِيهَا صَحِيفَةُ حُسْنِ الْبَشَرِ ، نَحْيَا الْقُلُوبَ بِلِقَائِهِ ، قَبْلَ أَنْ يُبَيِّتَ الْفَقْرَ بِسَطَائِهِ ،
لَهُ خَلْقٌ لَوْ مَزِجَ بِهِ الْبَحْرُ لِنَفْيِ مُلُوحَتِهِ ، وَكَفَى كَدُورَتِهِ . هُوَ غِذَاهُ الْحَيَاةُ ،
وَنَسِيمُ الْمَشَقِّ ، وَمَادَّةُ الْفَضْلِ ، آرَائُهُ سَكَنٌ كَيْنٌ فِي مَفَاصِلِ الْخَطُوبِ ، لَهُ هِمَّةٌ
تَعْرَلُ السَّمَاءَ الْأَعْزَلُ ، وَتَجْرَى ذَيْلُهَا عَلَى الْحَجَرَةِ ، هُوَ رَاحِجٌ فِي مَوَازِينِ التَّقْوَلِ ،
سَابِقٌ فِي مَيَادِينِ الْفَضْلِ ، يَفْتَرِعُ أَبْكَارَ الْمُسْكَارِمِ ، وَيَتَوَقَّعُ مَتَارَ الْخَاسِمِ . يَنْبَاحُ الْجُودِ
تَتَفَجَّرُ مِنْ أَنْوَالِهِ ، وَرَبِيعُ السَّمَاءِ يَضْحَكُ مِنْ فَوَاضِلِهِ . هُوَ بَيْتُ الْقَصِيدَةِ ، وَأَوَّلُ
الْجُرَيْدَةِ ، وَعَيْنُ الْكَتِيبَةِ ، وَوَسْطَةُ الْقِلَادَةِ ، وَإِنْسَانُ الْحَذَقَةِ ، وَدُرَّةُ النَّجْمِ ،
وَنَقْشُ الْفَصْلِ ! وَهُوَ يَلِجُ الْأَرْضَ ، وَدِرْعُ اللَّيْلِ ، وَلِسَانُ الشَّرِيعَةِ ، وَحِصْنُ الْأُمَّةِ .
هُوَ غُرَّةُ الدَّهْرِ وَالزَّمَانِ ، وَنَظَرُ الْإِيمَانِ . لَهُ أَخْلَاقٌ خُلِقْنَ مِنَ الْفَضْلِ ، وَشَيْمٌ
نَسَامَ مِنْهَا بَرَارُ الْمَجْدِ^(٣) ، أَرْجُ الزَّمَانِ بِفَضْلِهِ ، وَعَقِيمَ النَّسَاءِ عَنِ الْإِتْيَانِ بِمَثَلِهِ .
الْجَلِيلُ لَهُ مِنْهُ مُنْتَادٌ ، وَالْفَضْلُ مِنْهُ مَبْدُوءٌ وَمُعَادٌ ، مَالُهُ لِلْعَفَاءِ^(٤) مُبَاحٌ ، وَفَعَالُهُ فِي ظِلْمَةِ
الدَّهْرِ مُضْبِحٌ ، كَأَنَّ قَلْبَهُ عَيْنٌ ، وَكَأَنَّ جِسْمَهُ سَمْعٌ ، يَرَى بِأَوَّلِ رَأْيِهِ آخِرَ الْأَمْرِ ،
جَوْهَرٌ مِنْ جَوَاهِرِ الشَّرَفِ لَا مِنْ جَوَاهِرِ الصَّدْفِ ، وَيَاقُوتَةٌ مِنْ يَوَاقِيتِ الْأَحْرَارِ

(١) فِي نَسْخَةِ « غُرَّةُ الْأَوْصَالِ » (م)

(٢) الْقَادِمَةُ : وَاحِدَةُ الْقَوَادِمِ ، وَهِيَ رِيشَاتُ مَقْدَمِ جَنَاحِ الطَّائِرِ وَيَقَابِلُهَا الْحَوَاقِفُ (م)

(٣) الشَّيْمُ : جَمْعُ شَيْعَةٍ ، وَهِيَ الْخَصْلَةُ . وَتَشَامُ : تَنْظُرُ ، وَالْبَوَارِقُ : جَمْعُ بَارِقٍ .

وَالرَّادُ بِهِ الْبَرَقُ (م) (٤) الْعَفَاءُ : جَمْعُ عَافٍ ، وَهُوَ طَالِبُ الْحَاجَةِ (م)

لا يواقيت الأحجار ، طلعت للبشاشة عليها ديباجة خُسْرَوَانِيَّة ، وفيها للعلاقة روضة رَيْعِيَّة . وَجْهٌ كَانَ بَشَرْتُهُ نَشْرَ الْبَشَرِ ، ومواجهته أمانٌ من الدهر . يصل بيشره ، قبل أَنْ يَصِلَ بِهِ ، قد لحظت من وجهه الأنوار ، ومن بَعَاثِهِ أَنْوَارُ . أنا من كرم عشرته ، وطلاقة أيسرته ، في روضة وغدير ، وجَنَّةٍ وحرير ، وهو بَحْرٌ من العلم مملود بسبعة أبحر ، ويومه من يوم الأدب كمر سبعة أنسر . العلم حَشْوُ نِيَابِهِ ، والأدب مِلْءُ إِهَابِهِ . هو شَخْصُ الأدب ماثلاً ، ولسانُ العلم قائلًا . شَجَرَةٌ فَضْلُ عَوْدِهَا أدب ، وأغصانها عِلْمٌ ، وثمرتها عَقْلٌ ، وعروقها سِرٌّ ، تسقيها سماه الحرية ، وتغذيها أرضُ الروء . هم ملح الأرض إذا فسدت ، وعارة الأرض إذا خربت ، ومعرض الأيام إذا احتشدت ؛ وهم جمال الأيام ، وخواص الأنام ، وفرسان الكلام ، وفلاسفة الإسلام . فلان غُصْنُ طَبِيعِهِ تَصْيِيرٌ ، ليس له في سَجْدِهِ نظير ، قد جمع الحفظَ الغزير ، والفهمَ الصحيح ، والأدبَ القوي القويم ، وما يُؤَيِّسُهُ من الوَخْشَةِ إلا الدفاتر ، ولا يَصْغِبُهُ في الوَخْذَةِ إلا المخابر . فلان يحلُّ دَقَائِقَ الْأَشْكَالِ ، وَيُزِيلُ مَعْتَرِضَ الْإِشْكَالِ . له خلق كنسم الأسحار ، على صفحات الأنوار . كلامه صَفَاءٌ ، والمذكاة . أخلاق قد جمعت الروء أطرافها ، وحرست الحرية أكنافها . أخلاق تجمع الأهواء المتفرقة على محبته ، وتؤلف الآراء المتشتتة على مودته . أخلاق أعذب من ماء القمام ، وأحلى من ديق النحل ، وأطيب من زمان الورد . أخلاق أحسن من الدر والعقيقان ، في محور الحُكَّانِ ، وأذكى من حركات الروح والريمان . فلان يستحط التمر ^(١) بقرْوفه ، ويستنزل التجم بطقه ^(٢) . هو خُلُوُ الْمَذَاقِ ، سهل المساغ . أجل الناس في جد ، وأحلام في هزل . ينصرف مع القلوب ، كنصرف السحاب مع الجنوب . ذو جِدٍّ كَمُلُوُ الْجِدِّ ^(٣) ، وهَزَلٌ كحديقة الورد . له عشرة ماؤها يقطر ، وصحونها من

(١) في نسخة « يستحط العصم » وهي أفضل مما في الأصل (م)

(٢) في نسخة « بلفظه » (م)

(٣) الجد ، بالكسر : الاجتهاد ، والجد ، بالفتح : الحظ والبخت (م)

النَّصَارَةُ يَطْرُقُ^(١). هُوَ رِيحَانَةٌ عَلَى الْقَدَحِ ، وَذَرِيعةٌ إِلَى الْقَرَحِ . عَشْرَتُهُ أَلْطَفُ مِنْ نَسِيمِ الشَّمَالِ ، عَلَى أَدِيمِ الزَّلَالِ ، وَالصَّقُ بِالْقَلْبِ ، مِنْ عِلَاقِ الْحَبِّ . إِذَا أُرِدْتَ فَهُوَ سُبْحَتُهُ نَاسِكٌ ، أَوْ أَحْبَبْتَ فَهُوَ تَفَاحَةُ فَاتِكِ ، أَوْ اقْتَرَحْتَ فَهُوَ مَدْرَعَةُ رَاهِبٍ ، أَوْ آثَرْتَ فَهُوَ نَجْمَةُ شَارِبٍ . أَخْبَارُهُ زَكِيَّةٌ ، وَأَنَارُهُ ذَكِيَّةٌ . أَخْبَارُهُ تَأْتِينَا كَمَا وَشَى بِالْمَسْكِ رِيَّاهُ ، وَتَمَّ عَلَى الصَّبَاحِ مُحْيَاهُ . قَدْ انْقَشَرَ مِنْ طَيْبِ أَخْبَارِهِ مَا زَادَ عَلَى الْمَسْكِ الْفَتِيحِ ، وَأَوْقَى عَلَى الزَّهْرِ الْأَرْنِيقِ . مَنَاقِبُ تَشْدُخُ فِي جَبِينِهَا غُرَّةُ الصَّبَاحِ ، وَتَهَادِي أُنْبَاءَهَا وَفُودُ الرِّيَاحِ . فَلَانِ أَخْبَارُهُ آثَارُهُ ، وَعَيْنُهُ فَرَارُهُ^(٢) ، قَدْ حَصَلَ لَهُ مِنْ حَمِيدِ الذِّكْرِ ، وَجَمِيلِ النُّشْرِ ، مَا لَا تَزَالُ الرِّوَاةُ تُدْرِسُهُ ، وَالتَّوَارِيخُ تُحْرَسُهُ . سَأَلْتُ عَنْ أَخْبَارِهِ فَكَأَنِّي حَرَكْتُ لِلْمَسْكِ فَتِيحًا ، أَوْ صَبَحْتُ الرُّوضِ أُنَيْقًا . أَخْبَارُهُ مَتَّصِعَةٌ كَتَضَوُّعِ الْمِسْكِ الْأَذْفَرِ ، وَمُشْرِقَةُ إِسْرَاقِ الْفَجْرِ الْأَنُورِ . أَحَبَّبَتْهُ بِالْخَيْرِ ، قَبْلَ الْإِثْرِ ، وَبِالْوَصْفِ قَبْلَ الْكُشْفِ . هُوَ مِمَّنْ يَثْقُلُ مِيزَانُ وَدِهِ ، وَيُخَفِّصُ مِثْقَالَ عَهْدِهِ . هُوَ كَرِيمُ الْعَهْدِ ، صَحِيحُ الْعَقْدِ ، سَلِيمُ الصَّدْرِ فِي الْوَدِّ ، حَمِيدُ الْوَرْدِ فِيهِ وَالصَّدْرِ . هُوَ لِإِخْوَانِهِ عُدَّةٌ تَشْدُمُ وَتَقْوِيهِمْ ، وَنُورٌ يَسْمُو بَيْنَ أَيْلِيهِمْ . هُوَ رُكْنُ الْإِخَاءِ ، صَافِي شَرِبِ الْوَفَاءِ ، حَافِظُ عَلَى الْغَيْبِ مَا يَحْفَظُهُ عَلَى الْقَاءِ . هُوَ مِمَّنْ لَا تَدُومُ الْمُدَاهَنَةُ فِي عَرَصَاتِ قَلْبِهِ ، وَلَا تَحُومُ الْمَوَارِبَةُ عَلَى جَنَابَاتِ صَدْرِهِ . هُوَ يَسْرَى إِلَى كَرَمِ الْعَهْدِ ، فِي ضِيَاءِ مِنَ الرَّشْدِ . عَهْدُهُ نَقْشٌ فِي صَخْرٍ ، وَوَدُّهُ نَسَبٌ مِلَّانٍ مِنْ فَخْرِ . يَقْبَلُ مِنْ إِخْوَانِهِ الْعَفْوُ ، كَمَا يُولِيهِمْ مِنْ إِحْسَانِهِ الصَّفْوُ . فِي وَدِّهِ غِنَى لِلطَّالِبِ ، وَكَفَايَةُ لِلرَّائِبِ ، وَمَرَادٌ لِلْمَصْغَبِ ، وَزَادٌ لِلرَّكِبِ . هُوَ فِي حَبْلِ الْوَفَاءِ حَاطِبٌ ، وَعَلَى فِرَاسِ الْإِخَاءِ مَوَاطِبُ . التَّجَنُّعُ مَقْوُودٌ فِي نَوَاصِي أَرَائِهِ ، وَالْيَمْنُ مُعْتَادٌ فِي ذَاهِبِ أُنْعَائِهِ . لَهُ الرَّأْيُ . الثَّاقِبُ الَّذِي تَخْفَى مَكَايِدُهُ ، وَتُظَهَّرُ عَسَائِدُهُ ، وَالتَّدْبِيرُ النَّافِذُ الَّذِي تَنْجِعُ مَبَايِدُهُ ، وَتَبْهَجُ تَوَالِيهِ . رَأْيُ

(١) النصارى : النعمة (م) (٢) هذا من اللث «إن الجواد عينه فراره» (م)

كالتَّجَنُّمِ أصاب غِرَّةَ المَدَفِّ ، ودعاء كالبحر في بُعْدِ النُّورِ وقرب للفترف ،
لا يضعُ رأيه إلا مواضع الأصالة ، ولا يصرف تدييره إلا على مواقع السداد
والإصابة . يعرفُ من مبادئ الأقوال خواتم الأفعال ، ومن صدور الأمور أعجاز
ما في الصدور . رؤيته رأى صِلَيت ، وبديته قدرُ مصيب . يسافرُ رأيه وهو دَانٍ
لم يبرح ، ويسير تدييره وهو تَائِرٌ لم ينزح . له رأى لا يخطئ شاكَّة الصَّوابِ ،
[ولا يخشى بادرة العثار . فلان يحترُ الرأي ويحمله ، ويحيد الفكر ويحيله ، حتى
يحصل على لب الصواب] ^(١) ، ومحض الرأي . إذا أذكى سراج الفكر ، أضاء
ظلام الأمر ، هو قطب صواب تدوُّر به الأمور ، ومستنبط صلاح يرُدُّ إليه
التدبير . يرى العواقب في مِرآة عقله ، وبصيرة ذكائه وقضله . وله رأى يرُدُّ
الخطب مُصَلِّمًا ، والرمح مُقَلِّمًا . [آراؤه سكاكين في مفاصل الخطوب] ، كأنه
ينظرُ إلى الغيب من وراء سِتْرِ رقيق ، ويطالعه بعين السداد والتوفيق . يستنبطُ
حقائق القلوب ، ويستخرج ودائع النيوب . قد سَرَيْنَا من مشورته في ضياء ساطع ،
ومن رأيه الصائب في حُكْم قاطع .

نبذ من مفردات الآيات في فرائد المدح

أبو نواس :

وَكَلَّتْ بِالْدهْرِ عَيْنًا غَيْرَ نَائِمَةٍ مِنْ جُودِ كَفِيكَ تَأْسُو كُلَّمَا جَرَحَا
الطائي :

فَلَوْ صَوَّرْتَ نَفْسَكَ لَمْ تَزِدْهَا عَلَى مَا فِيكَ مِنْ كَرَمِ الطَّبَاعِ
البحري :

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي كَفِّهِ غَيْرُ نَفْسِهِ لَجَادَ بِهِمَا فَلْيَتَّقِ اللَّهَ سَائِلُهُ
وله :

وَلَمْ أَرْ أَمْثَالَ الرِّجَالِ تَفَاوَتُوا لَدَى الْمَجْدِ حَتَّى عُدَّ أَلْفٌ بِوَاحِدٍ

كشليم :

عرف القاضون فضلك بالعلم م وقال الجبال بالتقليد
المتنبي :

شخص الأنام إلى كمالك فاستعدَّ من شرِّ أعينهم بعين واحد
وله :

ولمَّا رأيت الناس دون محلو تيقنت أن الدهر للناس ناقد
وله أيضاً :

إن ضوطبوا ولقوا أو كوتبوا وجِدُوا في اللفظ والخط والمهيجاء فرُمانا
وله أيضاً :

ذُكِرَ الأنامُ لنا فكان قصيدة كنت البديع القرَدَ في أبياتها
أبو العباس الناشي :

خلفت كما أرادتكَ المَالِي فانتَ لِنَ رجالِكَ كما يُريد
المأموني :

وخلائق كالخر دُونَ فعَالِه حَبَبٌ لهنَّ وما لهنَّ خُمارُ

[في مجالس الخلفاء والملوك والحكماء والأمراء]

وقال إبراهيم اللوصلي لموسى الهادي ، وهو نديمه ، وقد غناه صوتاً فأعجبه : إنَّ
مَنْ كان محله من أمير المؤمنين تحلى في الانبساط وتقدّم الندام جرأه البسطُ
على الطلب ، وبعثته المنادمة على الرجاء ، وقد نصب لي أمير المؤمنين بقربي
منه مشارع الرغبة إليه ، وحقق محلى عنده على الكروع في التهلل بين يديه .
قال : سل شفاها ؛ فإني جاعلٌ ففلي عن إجابتك إليه حاضراً ؛ فإله ما قيمته
خسون ألف درهم ؛ فأمره بمائة ألف درهم .

بين الإسكندر ولما غلب الإسكندر بدارا بن دارا قال له : بم أجراً عليك صاحبُ شرطك ؟
قال : بقركي تروحيه وقت إعادته وتفريغه ، وإعطائه وقت الإحسان اليسير من
فضله نهاية رغبته . قال الإسكندر : نعم المون على استصلاح القلوب الموعزة
الترغيب بالأموال ، وأصلح منه عاجلاً الترهيب وقت الحاجة إليه .

حكيم يصف أحزم الملوك وقال الحسن بن سهل : خرج بعض ملوك الفرس متنزهاً ، فلقى بعض
الحكام ، فسأله عن أحزم الملوك ، فقال : من ملك جده هزله ، وقهر لئيه
هواه ، وأعرب لسانه عن ضميره ، ولم يتخذعه رضاه عن سخطه ، ولا غضبه عن
صدقه . قال الملك : لا ، بل أحزم الملوك من إذا جاع أكل ، وإذا عطش
شرب ، وإذا تعب استراح . قال الحكيم : أيها الملك ، قد أجذت الفطنة .
هذا العلم مستفاد أم غريزي ؟ قال : كان عندنا معلم من حكام الهند ، وكان هذا
تشرخاتمة . قال : فهل علمك غير هذا ؟ قال : ومن أين يوحّد مثل هذا عند
رجل واحد ؟ ثم قال له الملك : علمي من حكمتك أيها الحكيم . قال : نعم ،
احفظ عني ثلاث كلمات . قال : ما هن ؟ قال : صفك السيف ليس له جوهراً
من سنخه^(١) خطأ ، وصبك الحب في الأرض السيخة ترجو نباته جهل ، وخلقك
المسن على الرياضة عنه .
قال أبو تمام الطائي :

والسيف ما لم يلف فيه صيقل من سنخه لم ينتفع بصقال
وقيل لبعض الحكماء : ما الدليل الناصح ؟ قال : غريزة الطبع . قيل : ما القائد
المشيق ؟ قال : حسن النطق . قيل : فما البناء الملقى ؟ قال : تطييبك مالا طبع له .
وكان أنوشروان يقول : الناس ثلاث طبقات تسوسهم ثلاث سياسات :
[طبقة من خاصة الأحرار تسوسهم بالتعطف واللين والإحسان ، و] طبقة من
خاصة الأشرار تسوسهم بالفلظة والعنف والشدّة ، وطبقة من العامة تسوسهم
باللين والشدّة ، لئلا تحرجهم الشدّة ، ولا يُعظمهم^(٢) اللين .

أنوشروان
يبين سياسة
لدولة

وقال واصل بن عطاء : ألا قاتل الله هذه السفلة ! تَوَادَّ مِنْ حَادِّ اللَّهِ واصل بن عطاء
ونبيّه ، وتحادَّ مِنْ وَاَدِّ اللَّهِ ونبيّه ، وتذمَّ مَنْ مدحه الله ، وتمدح من ذمه الله ؛ ^{يصف أخلاق}
على أنه بهم عِلْمُ الفضلُ لأهل الطبقة العالية ، وبهم أُعْطِيَت الأوساط خطأ ^{السفلة}
من . التَّيْل .

وقيل لبعض الملوك ، [وقد بلغ في القدر ما لم يبلغه أحد من ملوك ^{ما يبلغ أقصى}
درجات الفضل ^{زمانه}] : ما الذي بلغ بك هذه المنزلة ؟ قال : عَفَوِي عند قدرتي ، وِلْيِي
عند شدّتي ، وَبَذَلِي الإنصاف ولو من نفسي ، وإِيقَانِي في الحب والبغض مكاناً
لموضع الاستبدال .

وقال الإسكندر لأحد الحكماء ، وأراد سفيراً : أُرْسِدْنِي لأحزم أُمري . أحزم الرأي
قال : لَا تَمْلَأَنَّ قلبك من محبة الشيء ، وَلَا يَسْتَوِلِينَ عَلَيْكَ بغضه ، واجعلهما
قَصْدًا^(١) ؛ فَإِنَّ الْقَلْبَ كَأَشْمِ يَنْزِع وَيَرْجِع ، واجل وزيرك التثيت ، وسيميرك
التيقظ ، وَلَا تَقْدِمْ إِلَّا بَدَ المشورة ؛ فَإِنَّهَا نَصَم الدليل ، فإذا فعلت ذلك ملكت
قلوب رعيتك .

وقيل لبعض الحكماء : ما الحزم ؟ قال : سوء الظن . قيل : فالصواب ؟ قال : حكيم يصف
المشورة . قيل : فالرأي الذي يجمع القلوب على المودة ؟ قال : كفٌّ بِذُول ، ^{خلال الفضل}
وبشر جميل . قيل : فما الاحتياط ؟ قال : الاقتصاد في الحب والبغض .

وسئل بزرجمهر : ما المروءة ؟ قال : تَرَكُ مَا لَا يَنْبَغِي . قيل : فما الحزم ؟ قال : ^{بزرجمهر}
اتِّهَازُ الْفُرْصَةِ . قيل : فما الحلم ؟ قال : الْعَفْوُ عند المقدرة . قيل : فما الشدة ؟ قال : ^{يصف}
ملك الغضب . قيل : فما الخرق ؟ قال : حُب مُفَرَّقٍ ؛ وبغض مُفْرَط .

قال معاوية رضى الله عنه لزيد حين ولّاه العراق : يَا زَيْدُ ؛ لَيْسَ بِكَ حُبُّكَ
وبغضك^(١) قَصْدًا ؛ فَإِنَّ الْمَثَرَةَ فِيهِمَا كَامِنَةٌ ، واجل للنزوع والرجوع بقية من
قلبك ، واحذر صَوْلَةَ الانهماك ، فَإِنَّهَا تَوْدِي إِلَى الْهَلَاكِ .

ومن كلام بلنّاء أهل مصر في ذكر السلطان

للصاحب أبو القاسم صاحب : مَرْضَاةُ السلطان ، لا تغلّو بشيء من الأثمان ، ولا يَنْزِلُ الروح والجنان . تهيب السلطان فَرَضَ وَرَكِيد ، وَحَسَمَ عَلَى مَنْ أَلْقَى السَّعَ وهو شهيد .

للصاحب أبو إسحاق الصابي : أَلَمَّا لِكُ أَحَقُّ بِاصْطِفَاءِ رِجَالِهِ مِنْهُ بِاصْطِفَاءِ أَشْوَالِهِ ؛ لِأَنَّهُ مَعَ اتِّسَاعِ الْأَمْرِ وَجَلَالَةِ الْقَدَرِ لَا يَكْتَفِي بِالْوَحْدَةِ ، وَلَا يَسْتَفِي عَنْ الْكَثَرَةِ ؛ وَمَثَلُهُ فِي ذَلِكَ مَثَلُ السَّافِرِ فِي الطَّرِيقِ الْبَعِيدِ الَّذِي يَجِبُ أَنْ تَكُونَ عَيْنُهُ بِفَرْسِهِ الْمَجْتَوِبِ ، كَهَيْئَتِهِ بِفَرْسِهِ لِلرَّكُوبِ .

فصل للصاحب : أَلَمَّا لِكُ مِنْ غُلَطٍ مِنْ أَتْبَاعِهِ فَاتَّمَطَ لِمُشَدِّ انْتِفَاعِهِ مِنْهُ بِمَنْ لَمْ يَغْلُطْ وَلَمْ يَنْظُ ؛ فَالْأَوَّلُ كَالْقَارِحِ ^(١) الَّذِي أَدْبَتُهُ الْفَرَسَةُ ، وَأَصْلَحَتُهُ الْفَدَاةُ ، وَالثَّانِي كَالْجَذَعِ الْمُتَهَوِّكِ ^(٢) الَّذِي هَوَّارَكَ لِلْفَرَسَةِ وَرَأَى إِلَى السَّلَامَةِ .

وقيل : إِنْ الْعَظَمُ إِذَا جَبَرَ مِنْ كَثَرِهِ عَادَ صَاحِبُهُ أَشَدَّ بَطْشًا وَأَقْوَى أَيْدًى .
للخوارزمي أبو بكر الخوارزمي : لَا صَغِيرَ مَعَ الْوَلَايَةِ وَالْعِيَالَةِ ، كَمَا لَا كَبِيرَ مَعَ الْمُطْلَةِ وَالْبَطَالَةِ ؛ وَإِنَّمَا الْوَلَايَةُ أَتَى تَصْنَعُ وَتَكْبَرُ بِوَالِيهَا ، وَمُعَالِيَةٌ تَحْسَنُ وَتَقْبَحُ بِمُسْتَطِيلِهَا ، وَالصَّدْرُ لِمَنْ يَلِيهِ ، وَالذَّائِلُ لِمَنْ جَلَسَ فِيهِ ، وَالْأَعْمَالُ بِالْعَمَالِ ، كَمَا أَنَّ النِّسَاءَ بِالرِّجَالِ .

فصل له : إِنْ وَلايَةِ الْمَرْءِ ثَوْبُهُ ؛ فَإِنْ قَصُرَ عَرَى مِنْهُ ، وَإِنْ طَلَّ عَتَرُ فِيهِ . قَلِيلُ السُّلْطَانِ كَثِيرٌ ، وَمُذَارَاتُهُ حَزْمٌ وَتَدْيِيرٌ ، وَمُكَاشَفَتُهُ غُرُورٌ وَتَنْفِيرٌ .

لللبقى أبو الفتح البقي : أَجْهَلُ النَّاسِ مَنْ كَانَ عَلَى السُّلْطَانِ مُدْلًا ، وَلِلْأَخْوَانِ مُدْلًا .
لابن العميد أبو الفضل ابن العميد : الإِقْبَاءُ عَلَى حَسَمِ السُّلْطَانِ وَمَعَالِهِ عَدْلُ الإِقْبَاءِ ^(٣) عَلَى مَالِهِ ، وَالْإِشْفَاقُ [عَلَى حَاشِيَتِهِ وَحَشَمِهِ مِثْلُ الإِشْفَاقِ عَلَى دِينَارِهِ وَدَرَاهِمِهِ] .

(١) القارح : ائقى تمت قوته واستحكمت شدته ، وأصله في الإبل (م)

(٢) الجذع - بالتحريك - الحدث ، وأصله أيضاً في الحيوان (م)

(٣) هذا عدل هذا : أى مساويه ومكافئه (م)

وله من رسالة طويلة ، جواب لأبى شجاع عضد الدولة عن كتاب اقتضاه فيه صدر كتاب ألفه أبو الحسن الصوفى فى نوع من علوم الهيئة .

أنا أقدم الإجابة بحمد الله تعالى جده ، على ما وهب لنا معاشر عبيده ومخدميه خاصة ، بل لرعاياه عامة ، بل لأهل الأرض كافة ، من عظيم النعمة بمكانه ، وجسيم اللوهمية بأنفاق أعمارنا فى زمانه ، حتى شاركناه فى أسباب السعادة التى لم تزل مذكورة عليه ، حتى صارت إليه ، وسامعنا فى مواد الفضيلة التى لم تزل محفوظات له حتى انصرفت به ؛ فإن المرء أشبه شئ زمانه ، وصفات كل زمان منسوخة من سجلها سلطانها ؛ فإن فصل شاع الفضل فى الزمان وأهله ، وتحلى الدهر بأفضل جليلة ، وتحلى للحيون والقلوب بأحسن زينة ، وكسا يديه والناشئين فيه بشرف جوهره ، وأورثهم نبيل فضله ، وعز العلم وأهله ، وعرف لمقتبسه قدره ، وتوجهت الأذهان نحوه ، وتعلقت الخواطر به ، وصرفت الفكر فيه ، ونشدت صورته ، ونظم أشقائه ، وجمت أفراداه ، ووقفت قوس الساعين فى استفادته بحسن عائدته ، فحرصت عليه ، وصرفت نظرها إليه ، وأيقنت فى بضاعتها بالتفانى ، وفى تجارتها بالإزفانى ؛ فصار ذلك إلى تمامه المعلوم وزيادتها داعية ، ولتكثر قليلها وإيضاح مجملها سببا وعلة ، وإلى انخراط جواهرها للفرقة فى سلوك التصنيف سبيلا ، وإلى تقييد شواردها بعقل^(١) التأليف طريقا . وإن رذل السلطان أثيمت الرذيلة اتباعا ، وذهبت الفضائل ضياعا ، وبطلت الأقدار والقيم ، وسلبت الأخطار والمهم ، وزال العلم والتعلم ، ودرس التفهم والتفهم ، وضرب الجبل بجبرانه ، ووطى بمنسمه ، واستغنى الخمول على التبلعة ، واستولى الباطل على الحق ، وصار الأدب وبالاً على صاحبه ، والعلم نكالا على حامله . وبحسب عظيم المحنة بمن هذه صفتها ، والبلوى مع من هذه صورته ، تنظم النعمة بمملك سلطان عالم ، كالأمير الجليل عضد الدولة ، أطال الله تعالى بقاءه ، وأدام قدرته ، الذى أحله الله عز وجل من الفضائل بملتقى طرقها ومجتمعت فرقها ، فهى نواذ من لاقت

(١) العقل : جمع عقل - بركة كتاب وكتب - وهو فى الأصل ما تربط به العادة (م)

حتى تصير إليه ، وشواردة نوازغ حيث حلت حتى تقع عليه ، تلتفت تلتفت
الرائق ، وتتشفو إليه تشوف الصب العاشق ، قد ملكها أنى توجهت وحشة
المضاع وحيرة المرتاع .

فإن تشق قوماً غيره أو تزرم فكالوحش يذنبها من الأنس للخل^(١)
حتى إذا قابلته أسرت إليه إسرائ السيل نصب في الحدور ، والطير ينقع
إلى الوكور .

وقال أبو الطيب اللثبي :

لأبي الطيب
اللثبي

أَحَقُّ عَافٍ بِدَمْتِكَ الْهِمَمُ أَخَذْتُ شَيْءَ عَهْدٍ بِهَا الْقِدَمُ^(٢)
وَإِنَّمَا النَّاسُ بِالْمُلُوكِ ، وَمَا تُفْلِحُ عُزْبٌ مُلُوكَهَا عَجَمُ
لَا أَدَبٌ عِنْدَهُمْ وَلَا حَسَبٌ وَلَا عُهْدٌ لَهُمْ وَلَا ذِمَّةٌ
بِكُلِّ أَرْضٍ وَطَنَتِهَا أُمَمٌ تُزْعَى بِمَيْدٍ كَانَتْهَا غَسَمُ
يَسْتَحْشِنُ انْظُرْ حِينَ يَلْسَهُ وَكَانَ يُبْزَى بِظَفَرِهِ الْقَلَمُ

وقال الزبير بن بكار : قدِم ابن ميادة ، واسمه الزمَّاح بن أبرد ، زائراً
عبد الواحد بن سليمان ، وهو أمير المدينة ، فكان عنده ليلة في ستماره ؛ فقال عبد الواحد
لأصحابه : إني لأتم أن أتزوج فابنوني أيما ، قال ابن ميادة : أنا - أصلحك الله -
أهلك ، قال : على من يا أبا بشر تميل ؟ قال : قدمت عليك أيها الأمير ، فلما
قدمت أقيمت المسجد وإذا أشبه شيء به وبين فيه الجنة ومن فيها ، فبينما أنا أمشي
إذ قادتني راحة رجل عطر حتى وقفت عليه ، فلما وقع بصري عليه استلقى حسنة
ناظري ، فما أملت ناظري حتى تكلم فما زال يتكلم كأنما ينثر دراً ، ويتلو
زبوراً ، ويدرس إنجيلاً ، ويقرأ فرقاناً ، حتى سكت ، فلولا معرفتي بالأمر
ما شككت أنه هو ، ثم خرج من مُصَلَّاه إلى داره ، فالت عنه ، فأخبرت أنه

ابن ميادة
وعبد الواحد
ابن سليمان

(١) هذا البيت من قصيدة جيدة لمسلم بن الوليد (٢) العافي : النزل الدارس

من الحسن بمكانة ، وأنه للخليفين ، وأنه قد نالت ولادة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ساطع من غرته ؛ فإن اجتمعت أنت وهو على ولدٍ ساد العباد ، وجلب ذِكْرُه البلاد .

فلما قضى ابنُ ميادةَ كلامه قال عبد الواحد ومن حضر : ذلك محمد بن عبد الله ابن عمرو بن عثمان رضى الله تعالى عنه لقاطمة بنت الحسين بن علي رضى الله عنهم ، وقال ابن ميادة :

لهم سيرةٌ لم يُعطِها اللهُ غيرهم وكلُّ قضاء الله فهو مُقَسَّمٌ
هذا في تقابل نسبه ، وكال منصبه ، كقول عُوَيْفِ القَوافي في طلحة بن
لموفا القوافي
يمنح طلحة
الزهرى
عبد الله الزهرى :

يُصَمُّ رِجَالٌ حين يُدْعَوْنَ للندى وَيَدْعُوْنَ ابنَ عَوْفٍ للندى فيجيب
وذاك امرؤ من أئِ عِطْفِيهِ يَلْتَفِتُ إلى المجد يَحْمِي المجد وهو قَرِيبُ .

وعبد الواحد بن سليمان هذا هو الذى يقول فيه القطامي :
أقولُ للحرَفِ لما أنْ شَكَتُ أصلاً طولَ السَّفارِ وأَفَى نَيْها الرِّحْلِ (١)
إنْ ترجى من أبى عثمانَ منجِحةً قَد يَهْوُونَ على المستنجدِ العملُ
أهلُ المدينة لا يَحْزَنُكَ شأنُهُمْ إذا تَخَطَّ عَبْدَ الواحدِ الأَجَلُ
ومن قول القطامي : « إنْ ترجى من أبى عثمانَ منجِحةً » أخذ الآخر قوله :
إذا ما تَعَفَّى المرءُ فى إثرِ حاجةٍ فَأُتِجِحُ لم يثقلَ عليه عِناؤُهُ

وهو عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بن مروان ، قال الكلبي : هو عبد الواحد
ابن الحارث بن الحكم بن أبى الماص بن أمية ، والأول قول ابن السكيت .
نسب
عبد الواحد

والقصيدة التي منها هذه الأبيات من أجود قوله ، وفيها يقول مما يتمثل به :
 والعيشُ لا عيشَ إلا ما ترقى به عَيْنٌ ولا حالٌ إلا سوف يَتَقَيَّلُ
 والناسُ مَنْ يَلْقَى خيراً قائلون له ما يَسْتَهِي ولَأَمْ المخطئُ المَبْلُ^(١)
 قد يَذْرِكُ المتأني بعضَ حاجته وقد يكونُ مع المستعجلِ الزَّلُّ
 قوله : « والناسُ مَنْ يَلْقَى خيراً قائلون له » مأخوذٌ من قول المرقش :
 وَمَنْ يَلْقَى خيراً محمدَ النَّاسُ أمرُهُ وَمَنْ يَغْوِ لَا يَعْدَمُ عَلَى النَّفَى لَا عَمَّا

منزلة
شعر
القطامي
وقال عمرو بن سعيد للأخطل : أيسرك أن لك بشرك شراً ؟ قال : لا ،
 ما يسرني أن لي بقولي مقولاً من مقأويل العرب ، غير أن رجلاً من قومي قال
 أبياتاً حسدته عليها ، وإيم الله ، إنه لمُقَدِّفُ القناع ، ضَيِّقُ التُّرَاع ، قليلُ السماع ،
 قال : ومن هو ؟ قال : القطامي ، قال : وما هذه الأبيات ؟ فأنشد له يَصِفُ إبلا
 من هذه القصيدة :

يمشِين رَهْواً فلا الأعْجَازُ خَاذِلَةٌ ولا الصدورُ عَلَى الأعْجَازِ تَتَكَلَّمُ^(٢)
 فهن معترِضاتٌ وألْخَصَّ رَمَضٌ وَالرَّيْحُ سَاكِنةٌ وَالظِّلُّ مَمْتَدِلُ^(٣)
 يتبعن سَامِيَةَ التَّيْنَيْنِ تحسبها مجنونة أو ترى ما لا ترى الإبلُ

[نغم الألفاظ ونغم الألحان]

بين عمارق
وأبي التماهية
قال أبو التماهية لعمارق : أنت بنغم ألفاظك دون نغم ألحانك ، تُطْرِبُ
 إذا تكلمت ، فكيف إذا ترنمت !
 وقال له يوماً : يا حكيم هذه الأقاليم ؛ أصبُبُ في هذه الآذان من جيد
 تلك الألحان ، فأقسِمُ لو كان الكلام طاماً ، لكان غناؤك له إداماً .

(١) المخطئ : الذي أخطأه العنى ونحوه ، والمبلى - بالتحريك : الشغل (م)

(٢) الرهو : السير السهل (٣) رمض : حر - من الرمضاء (م)

قال إسحاق بن إبراهيم الموصلی : دخلتُ على المعتصم يوماً وقد خلا ، وعنده إسحاق الوصلی جارية تُصَنِّيه ، وكان معجباً بها ، فلما جلست قال لي : يا أبا إسحاق ، كيف تراها ؟ قلت : يا أمير المؤمنين ، أراها تهره بحذق ، وتخله برقى ، ولا تخرج من حسن إلا إلى أحسن منه ، وفي حلقها شذور تنم أحسن من دوام النعم ، قال : يا إسحاق ؛ هن غاياتُ الأمل ، ومُنْشِياتُ الأجل ، والسقم الداخل ، والشغل الشاغل ، وإن صِفْتَكَ هذه لو سمعها مَنْ لم يَرَهَا لَفَقَدَ لُبَّهُ ، وَقَفَى نَعْبَهُ .

وصف الهيد من اللعين وسئل إسحاق عن الهيد من اللعين ، قال : مَنْ لُطِفَ فِي اخْتِلَاسِهِ ، وَتَمَكَّنَ مِنْ أَنْفَاسِهِ ، وَتَفَرَّعَ فِي أَجْنَاسِهِ ، يَكَادُ يَعْرِفُ خُصَائِرَ مُجَالِيئِهِ ، وَشَهَوَاتِ مُعَاثِرِيهِ ، يَقْرَعُ سَمْعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِالنَّحْوِ الَّذِي يُؤَافِقُ هَوَاهُ ، وَيُطَاقِبُ مَبْنَاهُ .

من ترجمة إسحاق الوصلی وكان إسحاق بن إبراهيم قد جمع إلى حِذْوِهِ بِصَنَاعَتِهِ حُسْنَ التَّصَرُّفِ فِي الْعُلُومِ ، وَجَوْدَةَ الصَّنْعةِ لِلشَّرِّ ، وَحَدَّثَ عَنْ نَفْسِهِ قَالاً : كُنْتُ أَيَّامَ الرَّشِيدِ أَبْكَرُ إِلَى هُشَيْمٍ وَوَكَيْعٍ فَأَسْمَعُ مِنْهُمَا ، ثُمَّ أَنْصَرِفُ إِلَى عَاتِكَةَ بِنْتِ شُهَيْدٍ ؛ فَخَطَارَتْنِي صَوْتَيْنِ ، ثُمَّ أُصِيرُ إِلَى زُلْزُلِ الضَّارِبِ فَأَخْذُ مِنْهُ طَرِيقَيْنِ ، ثُمَّ أُسِيرُ إِلَى مَنْزِلِي فَأَبِثُ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ وَالْأَصْمَى ، فَلَا يَرَا الْآنَ عِنْدِي إِلَى الظُّهْرِ ، ثُمَّ أَذْهَبُ إِلَى الْخَلِيفَةِ .

ونزل أبوه الموصل وليس من أهلها فنسب إليها ، وهو منولى خزيمه بن خازم^(١)

التميمي ، وفي ذلك يقول إسحاق :

إذا مضى الجراء كانت أرومتي وقام ينصري خازم وابن خازم
عظمتُ بأنني شاعراً وتناولتُ بنائي الثريا قاعداً غبير قائم
وفيه يقول محمد بن عامر الجرجاني يرثيه :

على الجدث الشرق عوجاً فلما يبخذاد لما صد عنه عوائده
لإسحاق لا تبعد ، وإن كان قد رمتي بك الموتُ رمتي ليس يصدر وارده
مضى تأتبه يوماً تحاولُ منفساً من الدين والدنيا فإنك واجده

(١) في نسخة « خزيمه بن أبي خازم التميمي »

إذا هزل انخضرت فروعُ حديثه ورقت حواشيه وطابت مشاهدُه
وإن جدَّ كان القولُ جدًّا وأقيمت ومن جتيد شمر إسحاق قصيدته
ولقاعه بالخرمية :

تَقَضَّتْ لِبَانَتْ وَجَدَّ رَحِيلُ وَلَمْ يُشَفَّ مِنْ أَهْلِ الصَّفَاءِ غَلِيلُ
وَمُدَّتْ أَكْفٌ لِلْوَدَاعِ فَصَافَعَتْ وَفَاضَتْ عَيُونٌ لِلْفِرَاقِ نَسِيلُ
وَلَا بَدْءَ لِلْأَلْفِ مِنْ قَيْضِ عَبْرَةٍ إِذَا مَا حَلِيلُ بَانَ عَنْهُ حَلِيلُ^(١)
فَكَمْ مِنْ دَمٍ قَدْ طُلَّ يَوْمَ تَحَمَّلْتُ أَوَانِسُ لَا يُودَى لِمَنْ قَتِيلُ^(٢)
غَدَاةً جَعَلْتُ الصَّبْرَ شَيْئًا نَسِيتُهُ وَأَعُولُ لَوْ أَجْدَى عَلَى عَوِيلُ^(٣)
وَلَمْ أُنْسَ مِنْهَا نَظْرَةً هَاجَ لِي بِهَا هَوًى مِنْهُ بَادٍ ظَاهِرٌ وَدَخِيلُ
كَأَنَّظَرْتُ حَوْرَاهُ فِي ظِلِّ سِدْرَةٍ دَعَاهَا إِلَى ظِلِّ الْكِنَاسِ مَقِيلُ
فَلَا وَصَلَ إِلَّا أَنْ تَلَاوَاهُ أَيْنُقُ عِتَاقُ نَمَاهَا شَدَقَمٌ وَجَدِيلُ^(٤)
إِذَا قَلْبُ أَجْفَانِهَا بِتَنْوُفَةٍ طَوَى الْبَدَنَ مِنْهَا هَرَّةٌ وَدَمِيلُ^(٥)
تَقَرَّدَ إِسْحَاقُ بِنُصْحِ أَمِيرِهِ فَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ الْإِمَامِ عَدِيلُ
يَفْرَجُ عَنْهُ الشُّكُّ صِدْقَ عَزِيمَةٍ وَلُبٌّ بِهِ يَنْتَلُو الرِّجَالُ أَصِيلُ
أَغْرَ بِحَبِيبُ الْوَالِدِينَ كَأَنَّهُ حَامٍ جَلَّتْ عَنْهُ الْعَيُونُ صَقِيلُ
بَنَى مُصَنَّبٍ لِلتَّجْدِ فِيكُمْ إِذَا بَدَتْ وَجُوهُكُمْ لِلنَّاطِرِينَ دَلِيلُ
كَرُمْتُمْ فَا فِيكُمْ جَبَانٌ لَدَى الْوَعَى وَلَا مِنْكُمْ عِنْدَ الْمَطَاءِ تَخِيلُ
غَلَبْتُمْ عَلَى حُسْنِ التَّنَاهِ فَرَأَقَكُمْ نَسَاءُ بِأَفْوَاهِ الرِّجَالِ رَجِيلُ

- (١) الألف : جمع آلف ، وبان عنه : فارقه ، والحليل : الصديق (م)
(٢) طل - بالبناء للمجهول - أصدر ، والأوانس : جمع آنسة ، وهى التى يؤنس إليها ، ولا يودى قتلين : لا تعطى دينته (م) (٣) أعول : بكيت (م)
(٤) شدم وجديل : فغان من خولة الإبل المعروفة ، كانا للثمان بن النذر (م)
(٥) التنوفة : الصحراء المترامية الأطراف ، والدميل : ضرب من السور الجريح (م)

إذا استكثر الأعداء ماقلتُ فيكمُ
فإن الذي يستصكثون قليلُ
وهذا غط الخذاق الفحول ، وقال :
ومدرجة للريح شبراء لم يكن
يضل بها السارى وإن كان هادياً
تصفت أبرى جوارها بشيلة
كان شرار المرؤ من تبذرها به
إذا حتمها والشفر ليل فنيته
تنادوا نصاروا تحت أكتاف رخلها
وقال :

ولما رأيت التبن قد جد جدّه
ولم يبق إلا أن تبين الركائبُ
دنوا فلما سلاماً نخالسا
فردت علينا أعينٌ وحواجبُ
تصدّ بلا يقضي ونخلس لحةً
إذا غفلت عنا العيونُ الرواقبُ
نذاد إذا حننا لشقّ غلةً
كما زيدعن ورد الحياض الغرائبُ
وما أحسن ما قال أبو العباس الناشيء في هذا المعنى :

ولما رأيت البين زمت ركابه
وأيقن منّا باعطاع الطالب
طلبن على الركب المجدين علةً
فصجن علينا من صدور الركائب
فما تلاقينا كتنن بأعين
لنا كتباً أعجمتها بالحواسب
فما قرأناهن سراً طويتهن
حذار الأعادى بازورائنا كبر
وقال إسحاق :

ألا من قلب لا يزال رميةً
للحجة طرف أول كسرة حاجب

(١) مدرجة للريح : مكان هبوبها ، وأراد الصحراء ، والزيمة : الجبان (م)

(٢) تصفت : قطعت ، وجوزها : وسطها ، والشيلة : الناقة السريعة (م).

(٣) للمرؤ : حجارة يمشى براقعة توري النار إذا قدحت (م)

وَالْعُمَرُ اللَّاتِي تَسْلُطُ لَوْهَا فُورًا لَهَا مِنْ وَارِدَاتِ النُّوَابِ

[استطراد في ذكر جمال النوايب]

وعلى ذكر النوايب قال ابن المعتز :

لَا بِنَ الْعَمَزِ سَقَتْنِي فِي لَيْلٍ شَبِيهِ بِشِعْرَهَا شَبِيهَةٌ خَدَّيْهَا بِسَمِيرٍ رَقِيبٍ
فَأَمْسَيْتُ فِي لَيْلَيْنِ الشَّهْرِ وَالْأَجْنَى وَخَرَيْنِ مِنْ رَاحٍ وَخَدَّ حَبِيبٍ
وَقَالَ بَكْرُ بْنُ النَّطَاحِ :

يِيضَاهُ تَسْحَبُ مِنْ قِيَامٍ شِعْرَهَا وَتَتِيبُ فِيهِ وَهُوَ جَنَّتُ أَشْحَمُ^(١)
فَكَانَهَا فِيهِ نَهَارٌ مَبْصَرٌ وَكَانَهُ لَيْلٌ عَلَيْهَا مَظْلَمٌ
وَقَالَ اللَّتْنِي :

نَشَرْتُ ثَلَاثَ ذَوَائِبٍ مِنْ شِعْرَهَا فِي لَيْلَةٍ فَأَرَتْ لَيْالِي أَرْبَا
وَاسْتَقْبَلَتْ قَرَّ السَّمَاءِ بِوَجْهِهَا فَأَرَنْتَنِي الْقَمَرَيْنِ فِي وَقْتٍ مَعَا
وَقَالَ ابْنُ الرَّوْيِ :

وَقَامَ وَارِدٌ يُقْبَلُ تَمَشُّ شَاهُ إِذَا اخْتَلَّ مُسْبِلًا غُدْرَةً^(٢)
أَقْبَلَ كَاللَّيْلِ فِي مَفَارِقِهِ مِنْحَدِرًا لَا بُرَامَ مُنْحَدِرَةً
حَتَّى تَنَاهَى إِلَى مَوَاطِنِهِ يَلْتَمُ مِنْ كُلِّ مَوْطِيءٍ عَفْرَةً
كَأَنَّهُ عَاشِقٌ دَنَا شَفَا حَتَّى قَضَى مِنْ حَبِيهِ وَطَرَةً
يُفْشِي غَوَائِثِي قُرُونَهُ قَدَمًا يِيضَاهُ لِلنَّبَاطِينِ مُقْتَدِرَةً
مِثْلَ التُّرْبَةِ إِذَا بَدَتْ سَحْرًا بَعْدَ غَنَامٍ وَحَاسِرٍ حَسْرَةً

أَخَذَهُ مَضَى أَهْلُ الْمَصْرِ - وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ مَطْرَانَ - قَالَ :

لِحَمْدِ
ابْنِ مَطْرَانَ

(١) الشَّعْرُ الْجَلْدُ - بِالْفَتْحِ - الْكَثِيرُ الْإِنِّ ، وَيُرْوَى «وَهُوَ وَخْفٌ» وَهُوَ الْأَسْوَدُ
الْكَيْفُ (م) .

(٢) غُدْرُهُ - بَضْمُ التَّيْنِ وَالْهَالِ جَمِيعًا : جَمْعُ غُدْرَةٍ ، وَالنَّدِيرَةُ : النُّوَابَةُ .
وَيَجْمَعُ عَلَى غُدَاثٍ (م)

ظِلَّاهُ أَعَارَتْهَا الظَّبَا حُسْنَ تَشْبِيهَا كما قد أعلَّرتَهَا السَيُونُ الجَاذِرُ
فِيْنِ حُسْنِي ذَاكَ الْمَشَى قَالَتْ تَهَبِّلَتْ مواعِلُءُ مِنْ أَقْدَامِيْنِ التَّنَائِرُ
وَقَالَ مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ :

أَجْدَلِكِ هَلْ تَدْرِيْنَ أَنْ رَبَّ لَيْلَةٍ كَانَ دُجَاهَا مِنْ قُرُونِكِ يُنْشَرُ
نَصَبَتْ لَهَا حَقِي تَجَلَّتْ بِفِرَّةٍ كَفَرَةٍ يَحْيَى حِينَ يُذْكَرُ جَفَرُ

[وَخُلَّةُ الْقَصِيدَةِ وَاتَّسَافُهَا]

قال الخاتمي : مثلُ القصيدةِ مثلُ الإنسانِ في اتِّصَالِ بعضِ أعضائه ببعضٍ ؛
ففي انفصالِ واحدٍ عن الآخرِ وَابْتِنَاءِ فِي صِحَّةِ التَّرَكِيبِ ، غادرَ الجسمَ ذَا عَاهَةٍ تَنْخَوْنُ (١)
محاسنه ، وَتُنْفَى مَعَالِيَه ؛ وقد وجدتُ حُدُوقَ التَّقْدِيمِ وَأَرْبَابَ الصَّنَاعَةِ مِنَ المُحَدِّثِينَ
يَحْتَرِسُونَ فِي مثلِ هَذَا الحَالِ احْتِرَاسًا يَحْتَنِبُهُمْ شَوَائِبُ النِّقْصَانِ ، وَيَقِفُ بِهِمْ عَلَى
مَحَبَّةِ الإِحْسَانِ ، حَتَّى يَقَعَ الْإِتِّصَالُ ، وَيُؤْمَنُ الْإِنْفِصَالُ ، وَتَأْتِي الْقَصِيدَةُ فِي تَنَاسُبِ
صُدُورِهَا وَأَعْيَازِهَا وَانْتِظَامِ نَسِيبِهَا بِمَدِّجِهَا كَالرَّسَالَةِ الْبَلِيَّةِ ، وَالْخَطْبَةِ الْمَوْجِزَةِ ،
لَا يَنْفَصِلُ جُزْءٌ مِنْهَا عَنْ جُزْءٍ ، وَهَذَا مَذْهَبُ اخْتِصَارِ بِهِ المُحَدِّثُونَ ؛ لِتَوْقُدِ خَوَاطِرِهِمْ ،
وَلُطْفِ أَفْكَارِهِمْ ، وَاعْتِبَادِهِمُ الْبَدِيعِ وَأَفَائِيَتِهِ فِي أَشْعَارِهِمْ ، وَكَأَنَّهُ مَذْهَبُ سَهْلِيٍّ
جَزْءُهُ (٢) ، وَنَهَجُوا رِسْمَهُ ؛ فَأَمَّا الْقَوْلُ الْأَوَّالُ ، وَمَنْ تَلَامُ مِنْ الْخَضِرِ مِنْ
وَالْإِسْلَامِيِّينَ فَذَهَبُهمُ لِلتَّعَالُمِ « عَدَّ عَنْ كَذَا إِلَى كَذَا » (٣) وَقُصَّارَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ
وَصَنَفُ نَاقَتِهِ بِالْمُنْتَقِ ، وَالتَّجَابَةِ وَالنِّجَابِ ، وَأَنَّهُ امْتَنَعَهَا ؛ فَادَّرَعَ عَلَيْهَا حِلْيَاتِ
الْقِيلِ ؛ وَرَبَّمَا اتَّفَقَ لِأَحَدِهِمْ مَعْنَى لَطِيفٍ يَتَخَلَّصُ بِهِ إِلَى غَرَضٍ لَمْ يَتَّسِدْهُ إِلَّا أَنْ
طَبَعَهُ السَّيْلُ ، وَصِرَاطُهُ فِي الشَّرِّ الْمُسْتَقِيمِ ، نَصَبًا مَتَّارَهُ (٤) . وَأَوْقَدَا بِالْفِلْعِ نَارَهُ ؛
فِيْنِ أَحْسَنِ تَخْلُصِ شَاعِرٍ إِلَى مَسْتَدِهِ قَوْلُ النَّابِغَةِ الْدُرِّيَّانِ .

(١) تَخَوَّلَ مُحَاسِنَهُ : تَمْتَصَّهَا (م) (٢) الْحَزَنُ : ضِدُّ السَّهْلِ (م)

(٣) مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ زُهَيْرِ بْنِ أَبِي سُلَيْمٍ عِنْدَ التَّخْلِصِ بَعْدَ النِّسْبِ :

فَعِذَا ، وَعَدَّ الْقَوْلُ فِي هَرَمٍ خَيْرَ الْبِدَاةِ وَسَيِّدَ الْخَضِرِ (م)

(٤) فِي نَسْخَةٍ « نَفَى تِيَارَهُ ، وَأَوْقَدَ بِالْفِلْعِ نَارَهُ » (م)

فكفكتُ متى غيرةً فرددتها على النحر منها مستهلٌ ودائعُ
على حين عاتبتُ الشيبَ على الصبا وقلتُ : أَلَا أضحُ والشيبُ وازرعُ
وقد حال مٌ دونَ ذلكَ شاغلٌ مكان الشفافِ تبتقيهِ الأصابعُ
وعيدُ أبي قابوسٍ في غير كُنْهِه أُناني ودوني رأكس فالضواجُ
وهذا كلام متناسخ^(١) تقتضى أوائله أوآخره ، ولا يتميز منه شيء عن شيء :

أُناني ، آيتُ اللعن ، أنك لُتقي وتلك التي تَشْكُ منها السايحُ
مقالة أن قد قلتَ سوف أَناله وذلك من تلقاء مثلك رائحُ
ولو توصَّل إلى ذلك بعضُ الشعراء المحدثين الذين واصلوا تفتيش المعاني ، وفتحوا
أبوابَ البديع ، واجتروا ثمرَ الآداب ، وفتحوا زهرَ الكلام لكان معجزاً عجيباً ،
فكيف يجامل بدوي إنما يفتقرُ من قلب قلبه ، ويستمدُّ غنوه هاهنا .
وقال علي بن هارون النجم عن أبيه : لم يتوصل أحدٌ إلى مدح بمنثل قول
[ابن وهيب :

ما زال يُلثِمُنِي مِراشِفُهُ وَيُمِثُّنِي الْإِبْرِيْقُ وَالْقَدَحُ
حقى استردَّ اللَّيْلُ خُلْمَتَهُ وَبَدَا خِلَالُ سَوَادِهِ وَضَحُ^(٢)
وبدَا الصَّبَاحُ كَأَن غُرْمَتَهُ وَجْهُ الْخُلَيْفَةِ حِينَ يُمْتَدِّحُ

وقال علي بن الجهم :

وَلَيْسَ كَلْتُ بِالنَّفْسِ مُقْتَنَاهَا أَقْتِ قِنَاعَ الدُّجَى فِي كُلِّ أَخْذُودٍ^(٣)
قد كاد يُفَرِّقُنِي أَمْوَاجُ ظُلْمَتِهَا لَوْلَا أَتْقَلِسِي سَنَاءَ وَجْهِ ابْنِ دَاوُدَ
قوله : « كَلْتُ بِالنَّفْسِ مُقْتَنَاهَا » مأخوذ من قول أعرابي : « وَالْقَلِيلُ قَدْ
صَبَّحَ الْحَمَى يَمْدَادٍ » .

(١) لهُ « متاسخ » (م) (٢) الوضع : البياض (م)

(٣) النفس ، بالكسر : اللعاد

وقد أخذ هذا أبو نواس قال :
 أين لي كيف صيرت إلى حريمي وجفن الليل مُكْتَحِلٌ بَقَارِ
 وقد أخذ هذا أبو تمام قال :
 إليك مَهْكُنًا جُنَحَ ليلٍ كأنه قد اكتحلته منه البلادُ بِإِعْدِ
 وقد أخذ لفظ الأعرابي المتقدم أبو نواس قال :
 قد أغدَى والليلُ كَالْمِلْدَادِ والصبحُ يَنْفِيهِ عن البلادِ
 طرد المشيب حالك السَّوَادِ

وإنما نظر في هذا إلى قول الأعرابي^(١) :

أقول والليلُ قد مالتْ أواخرُهُ إلى الغروب : تأمل نظرة حارِ
 ألحمة من سنا برقي رأى بصرى أم وجهه نغم يدا لي أم سنا نأير
 بل وجهه نغم يدا والليل مُمْتَكِرٌ فلاح ما بين حجابٍ وأستار
 ومن بديع الخروج قول علي بن الجهم وذكر سحابة :
 وسارية تَزْدَارُ أرضاً بِجَوْدِهَا شَقَلَتْ بِهَا عينا طويلا هجودها^(٢)
 أتناها ربحُ الصَّبَا فكانها فتاة ترجيها عجزتْ تهودها
 فابرحت بندا حقا تفجرت بأودية ما نستخيق مدودها [
 اقضت حق العراق وأهلها أتاها من الريح الشمال برديها
 فرب فتوت الطير سبعا كأنها جنود عبيد الله ولت بؤودها

يريد انصراف أصحاب عبيد الله بن خلفان عن الجفري إلى سمرن رأى
 عند قتل للثوكل . وقد أخذ هذا التشبيه مكموساً من قول أبي الطاغية :

ورايات يحمل النصر فيها تمر كأنها قطع السحاب

(١) الأبيات الثلاثة ، وقد رواها له صاحب الجهرة ، وهي في ديوانه (م) .

(٢) السارية : السحابة ، وتزدار : تطلب الزيارة ، والهجود : اللط (م) .

وقال ديك الجن :

وغرير يقضى بمحكين : في الرا ح مجور ، وفي الهوى بحال
لنفسار ذفه ، وللخوط ما حُمل ليئا ، وجمده قنزال^(١)
فعلت مقلته بالصب ما تفعل جدوى يدك بالأموال

ومن بارع الخروج قول للتني :

مررت بنا بين ترتهما قلت لها : من أين جائس هذا الشاين الربا
فاستضحكت ثم قالت كالنيث يرى ليث الشرى وهو من عجل إذا اقتبا
واشتهار شعره ، يمتنى من ذكره .

[السر في الابتداء بالنسب]

قال ابن قتيبة^(١) : سمعت بعض أهل الأدب يذكر أن مقصد القصيدة إنما
ابتدأ بوصف الديار والأمكن والأثار ؛ فبكي وشكا ، وخاطب الربيع ، واستوقف
الرفيق ؛ ليحمل ذلك سببا قد ذكر أهله الظاعنين ؛ إذ كانت نازلة المدف الحلو
والظنن على خلاف ما عليه نازلة للدر ؛ لا تتعلم من ماء إلى ماء ، وتتجمعهم
الكلأ ، وتنبهم ساقط النيث حيث كان ؛ ثم وصل ذلك بالنسب ، فبكي
شدة الوجد ، وألم الصباة والشوق ؛ لئيل نموه القلوب ، ويصرف إليه الوجوه ،
ويستدعي إصناء الأسماع ؛ لأن النسب قريب من النفوس ، لا تط بالقلوب^(٢) ،
لما جعل الله تعالى في تركيب العباد من محبة الفزل ، وإلف النساء ، فليس أحد
يظنون أن يكون متعلقا منه يسب ، وضاربا فيه بسهم ، حلال أو حرام . فإذا
استوقف من الإصناء إليه ، والاستماع له ؛ عتب بإيجاب الحقوق ؛ فرحل في شعره ،
وشكا النصب والسهر ، وسرى الليل [وحر الهجير ، وإنضاء الراحلة والبهر ،

(١) النفا : كتيب الرمل ، والحوط - بالضم - التصن الناعم الرقيق (م)

(٢) اختصر المؤلف هذا الفصل من مقدمة كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة (م)

(٣) لا تط بالقلوب : لاضق بها (م)

فلذا علم أنه قد أوجب على صاحبه حق الرجاء وزمام التأمل] ، وقرّر عنده ما ناله من الكارِه في السير ، بدأ في المدح فيش على المكافاة ، وفَضَّه على الأشباه ، وصَفَّر في قدره الجزيل ، وهزّه لقفل الجليل ؛ فالشاعر المجيد من سلك هذه الأساليب ، وعدل بين هذه الأقسام ، فلم يحمل واحداً أغلب على الشعر ، وليرطل فيميل السامعين ، ولم يقطع وفي النفوس غلماً إلى الزيد .

[موازنة بين أبي تمام والبحتري]

ويتعلق بهذه القطعة ما حدث به الخاتمي عن نفسه ، وإن كانت الحكاية طويلة فهي غير مملولة ؛ لما لبسته من حُلل الآداب ، وزينت به من حُلل الألباب ، قال : جمعي ورجلا من مشايخ البصرة ممن يؤمّ إلي في علم الشعر مجلسٌ بعض الرؤساء ، وكان خبره قد سبق إليّ في عصبته بالبحرَى ، وتفضيله إياه على أبي تمام ، ووجدت صاحب المجلس مؤثراً لاستماع كلّاينا في هذا المعنى ، فأنشأتُ قولاً أنحيت فيه على البحتري إنحاء أسرفت فيه ، واقتدحتُ زناد الرجل ، فتكلم وتكلمتُ ، وخُضنا في أفتانين من التفضيل والمائلة ، غلبتُ في جميعا غلوا شهده جميع من حضر المجلس ، وكانوا جبة الوقت ، وأعيان الفضل ، فاضطر إلى أن قال : ما يحسن أبو تمام ببندى ، ولا يخرج ، ولا يحتم ، ولو لم يكن للبحتري عليه من الفضل إلا حسن ابتداءاته ، ولطفُ خروجه ، وسرعة انتهائه ، لوجب أن يقع التسليمُ له ، فكيف بأوابده التي تزدادُ على التكرار غَضارة وجِلّة ثم أقبل على ، فقال : أين يُذهب بك عن ابتداءه :

عارضتنا أصلاً قتلنا الربُّ حق أضاء الأضواء الأشنب^(١)
واخضر موسى البرود وقد بدأ سنن ديباج الخلود للذهب

(١) الأصل : جمع أصيل ، وهو الوقت ما بين العصر إلى الغروب ، والربوب : جماعة البقر الوحشية ، والأضواء : نبت له زهر أحمر تشبه به الناث ، والأشنب : وصف من الشنب — فُتح السين والتون حسوه رقة وعذوبة ورد في الأسنان (م)

وَأَتَى لِأَبِي تَمَامٍ مِثْلُ خُرُوجِهِ حَيْثُ يَقُولُ :

أَدَارَهُمُ الْأَوَّلَى بِدَارَةِ جُلُجُلٍ سَقَاكَ الْحَيَا رَوْحَانَهُ وَبَوَاكَرَهُ (١)

وَجَاءَكَ بِحُكَى يَوْسُفَ بْنِ مُحَمَّدٍ فَرَوَتْكَ دَيَّانُهُ وَجَادَكَ مَاطِرُهُ

وَقَدْ كَرَّرَ هَذَا وَرَادَ فِيهِ قَالُ :

تَنْصَبُ الْبَرْقُ مَخْشَا قَلْتِ لَهُ : لَوْجُدْتَ جُودَ بَنِي بَرْدَانَ لَمْ تَزِدْ

وَمَنْ ذَا الَّذِي لَطَفَ لِأَنْ يَخْرُجَ مِنْ وَصْفِ رَوْضٍ إِلَى مَدْحٍ ، قَالُ أَحْسَنُ

مِنْ قَوْلِهِ :

كَأَنَّ سَنَاهَا بِالْمُنَى لَصَحْبَهَا تَبْلُجُ عَيْسَى حِينَ يَلْفِظُ بِالْوَعْدِ (٢)

وَأَتَى لِأَبِي تَمَامٍ مِثْلُ حَسَنِ اتِّهَانِهِ حَيْثُ يَقُولُ :

إِلَيْكَ الْقَوَائِي نَازَعَتِ شَوَارِدَا يُسَيِّرُ ضَاحِي وَشِيهَا وَيُتَمِّمُ

وَمُشْرِقَةً فِي النِّظَمِ غَرًّا يَزِيدُهَا بَهَاءً وَحَسَنًا أَنَّهُ لَكَ تَنْظُمُ

وَقَوْلُهُ فِي هَذَا الْمُنَى :

أَلَسْتُ الْمُوَالِي فِيكَ نَظْمَ قَصَائِدٍ هِيَ الْأَنْجَمُ اقْتَادَتْ مَعَ اللَّيْلِ أَنْجَمًا

تَنَاهَ تَخَالُ الرُّوضِ فِيهِ مَنُورَا ضَحَى ، وَتَخَالُ الْوَشْيَ فِيهِ مُنَمَّا

وَلَقَدْ تَقَدَّمَ الْبَحْثُ فِي النَّاسِ كَلِمَةً فِي قَوْلِهِ :

لَوْ أَنَّ مَشْتَقًا تَكَلَّفَ فَوْقَ مَا فِي وَشْيِهِ لَسَى إِلَيْكَ الْمَنْبَرُ

قَالَ أَبُو عَلِيٍّ : وَكَنتُ مَا كُنْتُ إِلَى أَنْ اسْتَمْتُ كَلَامَهُ ، فَكَأَنَّ الْجَمَاعَةَ أَجْمَعِينَ

هَذِهِ بِمَعْصِيَةٍ عَلَى لَا تَعْلَى أَبِي تَمَامٍ ؛ لِأَنِّي كُنْتُ كَالثَّجِيِّ مَقْرُضًا فِي لُحُوتِهِمْ ،

وَأَسْرَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلَى صَاحِبِهِ سِرًّا يَوْمِي بِهِ إِلَى اسْتِيلَاءِ الزُّجَلِ عَلَى ؛ فَلَا

اسْتَمْتُ كَلَامَهُ وَبَرَقَتْ لَهُ بَارِقَةٌ طَمَحَ فِي تَسْلِيمِ لَهُ ابْتَدَأَتْ قَلْتُ : لَسْتُ مِنْ

(١) الْحَيَا : لِاطْر (م).

(٢) سَنَاهَا - ضَوْهَاهَا ، وَتَبْلُجُ : إِشْرَاقُ وَجْهِهِ (م).

يَقْتَضِ لَهُ بِالْشَّانِ ، وَلَا يُفَرِّعْ لَهُ بِالْعَصَا ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ! اسْتَنْتَ الْفَصَالُ حَتَّى
الْقَرَعَى ! هَلْ هَذِهِ الْعَانَى إِلَّا عَوْنٌ مُقَرَّرَةٌ ^(١) ، قَدْ تَقَدَّمَ أَبُو تَمَامٍ إِلَى سَبْكٍ نَضَارَهَا ،
وَالْفَضاضُ أَبْكَارَهَا ، وَجَرَى الْبَحْرَى عَلَى وَتِيرَتِهِ فِي انْتِزَاعِ أَمْثَلَهَا وَاتِّبَاعَهَا ، فَأَمَّا
قَوْلُهُ : « عَارِضْنَا أَصْلًا قَلْنَا الرَّبَّ » ، فَمِنْ قَوْلِ أَبِي جُوَيْرِيَةَ الْبَدَى :

سَلَمْنَا نَحْمَوِي لِلْوَدَاعِ بِمَقْلَةٍ فَكَأَنَّمَا نَظَرْتُ إِلَيْنَا الرَّبَّ
وَقَرَأْنَا بِالْحَدَقِ لِلرَّاحِ نَحْمِي كَادَتْ تَكَلَّمُنَا وَإِنْ لَمْ تُعَرِّبْ
وَأَمَّا قَوْلُهُ فِي صِفَةِ النِّيثِ مَخَاطِبًا لِلدَّارِ : « وَجَاءَكَ بِحِكْمٍ يُوسُفُ بْنُ مُحَمَّدٍ »

وَقَوْلُهُ فِي هَذَا الْمَثَلِيِّ : « لَوَجَدْتُ جُودَ بَنِي يَزْدَانَ لَمْ تَزِدْ » فَمِنْ قَوْلِ أَبِي تَمَامٍ :
وَلَوْ بَيَّهَا فِي الْقَلْبِ تَوَيُّ شَفْعُهُ وَلَهُ بَطْلَانُهَا وَبِالْمُتَخَلِّفِ
وَكَأَنَّمَا اسْتَقَى لَهْنُ مُحَمَّدٍ مِنْ سَوْمَةٍ مِنَ الْحَيَاةِ فِي زُخْرَفٍ
وَمِنْ قَوْلِهِ الَّذِي تَقَدَّمَ فِيهِ كُلُّ أَحَدٍ لَفَقْدًا وَشِقَا وَمَعْنَى رَقِيقًا ^(٢) .

دِيمَةً سَمْعَةً الْقِيَادِ سَكُوبُ مُسْتَفِثٌ بِهَا الْكُرَى الْمَكْرُوبُ
لَوْسَتْ بَقْعَةً لِإِعْظَامِ نَمِي لَسَى نَحْوَهَا الْمَكَانُ الْجَلِيدُ
وَمِنْ هُنَا أَخَذَ الْبَحْرَى : « لَسَى إِلَيْكَ الْمُنِيرُ » :

إِذَا بَيَّ لَمِثَ حَتَّى أَهْلًا بِمَقْدَاكَ وَعِنْدَ السَّرَى وَحِينَ تَنْوُبُ
لَأَنِّي جُفْرُ خَلَاتِي تَحْكِيْمُهُنَّ قَدْ يَتَبَّهِ النَّجِيبُ النَّجِيبُ
أَنْتَ فِينَا فِي ذَا الْأَوَانِ غَرِيبُ وَهُوَ فِينَا فِي كُلِّ وَقْتٍ غَرِيبُ ^(٣)
وَأَمَّا قَوْلُهُ :

كَأَنَّ سَنَاهَا بِالْمَشَى لِصَحْبَا تَبْلُجُ عَيْسَى حِينَ يَلْفِظُ بِالْوَعْدِ
فَإِذَا نَظَرَ فِيهِ إِلَى قَوْلِ دُعْبِلِ بْنِ عَلِي :

وَمِثْلَاءُ خَضِرَاءَ زَرْيَّةٍ بِهَا التَّوَرُّ يَلْمَعُ فِي كُلِّ فَنٍ ^(٤)

(١) العون من النساء : غير البكر (م) (٢) هذه الأبيات من قصيدة أبي تمام
وليسَت بَثَابَةً فِي أَكْثَرِ نَسَخِ زَهْرِ الْأَدَابِ (م)

(٣) الليثاء من الأرض : السهبة اللينة ، وزرية : قد اخضر نباتها واصفر واحمر (م)

ضحوكا إذا لاعتته الرياح تأوّد كالشارب للرجع
نشته صبحي سنا تَوَرَّها بدبياح كسرى وعصب اليمين
قلت : بُدِّئتم ، ولكنني أشبهه بجنب الحسن
ففي لا يرى للمال إلا العطاء ولا الكنز إلا اعتقاد الحسن

وأما قوله في صفة النواني « يبتدر ضاحي وشيها وينسم » وقوله في وصفها :
« ونحال الوضي فيه بمننا » فمن قول أبي تمام :

حلّوا بها عقد النسيب ، وتحنّوا من وشيها نثرأ لها وقصيدا
ومن قوله الذي أبدع فيه :

ووافقه لا أظنك أهدى شوارداً إليك تحمّلن التناء للنخل^(١)
نحال به بُرداً عليك عجزاً ومحبه عقداً عليك مفعلاً
أنت من السّوى وأطيب فحةً من المسك مفتوقاً وأيسر مَحْضلاً
أخف على قلبي وأجل قيمةً وأقصر في قلب المجلس وأطولاً
وقول البحتري • هي الأنجم اقتادت مع الليل أنجما • مأخوذ من قول أبي
تمام مقصراً عنه كلّ تعبير عن استيفاء إحسانه حيث يقول :

اصبغ نستعحرّ القوافي ؛ فإنها كواكبُ إلاّ أنهنّ سُودُ
ولا تمسكن الإخلاص منها فإنما يلدُ لباسُ البُردِ وهو جديدُ

فهذه خصال صاحبك فيا عدته من محاسنه التي هتكت بها شئور عوّاره ،
ونشرت مطوى أسرارهِ ، حتى تتوضعت الجملة أنّ إحسانه فيها عارية مرجمية ،
وودية منزّعة ، فاسمع ما قال أبو تمام في نحو آياتك التي أوجبت الفضل لصاحبك
حين قال مبتدئاً :

(١) الشوارد : جمع شاردة ، وأراد تصادد اللوح ، والتناء النخل : أراد به الذي

نقل عنه كل قريب عنه (م)

لَا أَنْتِ أَنْتِ ، وَلَا الْبَيَارُ دِيَارُ خَفَ الْهُوَى ، وَتَقَعَّتْ الْأَوطَارُ^(١)
كَانَتْ مَجَاوِرَةً الْبَطْلُولِ وَأَهْلَهَا زَمَنًا عَذَابَ الْوَرْدِ فِيهَا بِحَارُ
وَقَوْلُهُ :

رَقَّتْ حَوَائِشِي الدَّهْرُ فِي تَمَرَمَرُ وَغَدَا الثَّرَى فِي حَلِيهِ يَتَكَسَّرُ
وَقَوْلُهُ :

أَرَأَيْتَ أَىَّ سَوَافِرٍ وَخُدُودٍ عَنَّتْ لَنَا بَيْنَ الْاَلْوَى وَزُرُودٍ
وَهَلْ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَبْتَدِئَهُ بِمَثَلِ ابْتِدَائِهِ :

طَلَّلَ الْجَمِيعُ لَقَدْ عَفَوْتَ حَمِيدَا وَكَفَى عَلَى رُزْئِي بِذَلِكَ شَهِيدَا
دِمْنٌ كَانَ الْبَيْنُ أَسْبَحَ غَالِبَا دَمْنَا لَدَى آرَامِهَا وَحَقُودَا^(٢)
أَوْ مِثْلُ قَوْلِهِ . مَبْتَدَأًا :

يَادَارُ دَرَّ عَلَيْكَ إِدْرَاهُمُ الْتَدَى وَاهْتَزَّ رَوْضُكَ لِلثَّرَى فَتَرَادَا^(٣)
وَكَسِبْتَ مِنْ خِلْعِ الْحَيَا مَسْتَأْسَدَا أَهْنَا يَسَادِرُ وَحْشُهُ مَسْتَأْسَدَا
أَوْ مِثْلُ قَوْلِهِ مَبْتَدَأًا :

خَدَّتْ تَسْتَجِيرُ الدَّمْعَ خَوْفَ نَوَى غَدٍ وَعَادَ قَتَادَا عِنْدَهَا كُلَّ مَرَقَدٍ
فَاذْرَى لَهَا الْإِشْفَاقُ دَمْعًا مَوْزَدَا مِنْ الدَّمِ يَجْرِي فَوْقَ خَدٍّ مَوْزَدٍ
وَلَقَدْ أَحْسَنَ حِينَ ابْتَدَأَ فَقَالَ :

نَوَارُ فِي صَوَابِهَا نَوَارُ كَمَا فَاجَاكَ يَرْبُ أَوْ صَوَارُ
تَسْكَدُ بَحَاسِدُ فَنَأَتْ قُلُوبُ أَطَاعَتْ وَأَشْيَا وَنَأَتْ دِيَارُ
وَحَيْثُ يَقُولُ :

مَا فِي وَقُوفِكَ سَاعَةً مِنْ بَاسٍ تَقْضِي ذِمَامَ الْأَرْبَعِ الْأَدْرَاسِ

(١) الْأَوطَارُ : جَمْعُ وَطَرٍ - بَفَتْحِ الْوَاوِ وَالطَّاءِ جَمِيعًا - وَالْوَطَرُ : الْحَاجَةُ (م)

(٢) دِمْنُ الْأَوَّلِ : جَمْعُ دِمْنَةٍ ، وَهِيَ أَثَرُ الْبَيَارِ دَ ، وَمِنْ الثَّانِي : الدَّحُولُ (م)

(٣) إِدْرَاهُمُ التَّدَى : أَرَادَ تَزُولُ الْمَطَرُ ، وَتَرَادُ : اهْتَزَّ مِنَ النِّعْمَةِ (م)

فلعلّ عينك أن تجودَ بدنمها والدمعُ منه خافِلٌ ومواسي^(١)

وحيث يقول :

ما عهدنا كذا تحجبَ للشوق كيف والدمعُ آيةُ للشوقِ

وحيث يقول :

دَمَنَ أَلَمٌ بها فقال : سلامٌ ، كم حلَّ عسلةَ صغره الإلام ؟

بحرّت ركاب الركب حتى يعبروا رجلا ، وقد عفوا على ولاؤوا

وحيث يقول :

أما الرسوم قد أذْ كَرُنْ ماسلفا فلا تكفن عن شانيك أو يكفيا

لا عذر للصبيان يَفْقَى السَّوْ ولا للدمع بعد مضي الحى أن يبقيا

ومن اقتضاته العيدة قوله :

هَلْنا علينا أن نقول وتقملا ونذكر بعض الفضل منك فتفضلا

وقوله أيضا مقتضيا :

الحقُّ أبلجُ والسيوفُ عواري لغازٍ من أسد الغرين حذاري

ومما تقدم فيه كل واحد في حين التخلص إلى اللدح قوله :

إسادة الملائكة استنبطى فقفا قد أظلك إحسانُ ابنِ حَتَّانِ

وقوله :

إذا العيس لاقت بي أبادَ قلبٍ قد تقطع ما بيني وبين النواذب

وقوله :

لم يجتمع قط في مصر ولا طرف محمد بن أبي مروان والثوب^(٢)

وقوله التقطع دونه كل قول في هذا المعنى :

(١) البقي في ديوان أبي تمام « فلعل عينك أن تمين بجانها » (م)

(٢) في نسخة « لم يجتمع قط في مصر ولا بلد » (م)

إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الْخَلَائِقَ قَاتَمَهَا
فَالْأَرْضُ مُعْرُوفُ السَّمَاءِ قَرَىٰ لَهَا
الْقَوْمَ ظَلَّ اللَّهُ أَسْكَنَ دِينَهُ
وقوله :

عَامِي وَعَامُ الْعِيسِ بَيْنَ وَدَيْقَةٍ
حَقِّ أَغَادِرَ كُلِّ يَوْمٍ بِالْقِلَا
هِيَاهُ مِنْهَا رَوْضَةٌ مَحْمُودَةٌ
بِعُرْسِ الْعَرَبِ الَّتِي وَجَدَتْ بِهِ
ومن أبدع ابتدائه قوله :

سَقَى دِيَارَهُمْ أَجَشُّ هَزِيمٍ
جَادَتْ مَعَاهِدَهُمْ عِيَادُ سَحَابَةٍ
مِمَّ تَخْلُصُ إِلَى الدَّحِّ قَتَالَ وَأَحْسَنُ كُلِّ الْإِحْسَانِ :

لَا وَالَّذِي هُوَ عَالِمُ أَنَّ النَّوَى
مَازَلْتُ عَنْ سَنَنِ الْوَدَادِ لَا غَدَتْ
نَفْسِي عَلَى الْفَرِّ سِوَاكَ تَعْمُدُ
ثم عاد إلى الدح ، فقال :

لِمُحَمَّدِ بْنِ الْحَكِيمِ بَنِ شَبَابَةٍ
مَلِكٌ إِذَا نُسِبَ النَّدَى مِنْ مَلْتَقَى
مَجْدٌ إِلَى حَيْثُ السَّمَاءِ مَقِيمٌ
طَرِيقُهُ فَوَ أُنْخَلُوه وَحَمِيمٌ
وأبو تمام الذي وصف القوافي بما لم يستطع وصفها به أحد فقال :

فَإِنَّ أَنَا لَمْ يَحْمَدِكْ عَنِّي صَاغِرًا
بِسَيِّحَةٍ تَسَاقُ مِنْ غَيْرِ سَاتِقٍ
عَدُوُّكَ قَاعِلٌ أَنْتُمْ غَيْرُ حَامِدٍ
وَتَقَادُ فِي الْأَفَاقِ مِنْ غَيْرِ قَائِدٍ

(١) في نسخة «أسكن ظله فيهم» (م) (٢) العيس : الإبل ، والوديقة : شدة الحر . والنتوفة : الصحراء للترامية الأطراف . والمسجورة : للوقمة ، و ميهود : القلة التي لا ينال ماؤها (م) (٣) يرويه علماء البلاغة « أن النوى صبر » (م)

حُبِّة مَا إِنَّ تَزَالَ تَرَى لَهَا
مُخَلِّقَةً لَّمَّا تَرَدُّ أَذَنٌ سَامِعٌ
وَالَّذِي قَالَ أَيْضًا فِي صَفَتِهَا

جَاءَتْكَ مِنْ تَغْلُمِ اللِّبَانِ قِلَادَةٌ
إِنْسِيَّةٌ وَحْشِيَّةٌ كَثُرَتْ بِهَا
حَذِيتَ هَذَا الْحَضْرَمِيَّةَ أَرْهَفَتْ
يَنْبُوعَهَا حَضِلٌ، وَخَلَى قَرِيضَهَا
أَخَذًا كَمَا صَنَعَ الضَّمِيرُ يَمْدُهُ
أَمَّا اللَّعْنَى فَهِيَ أَبْكَارٌ إِذَا
وَقَدْ أَبْدَعَ فِي وَصْفِهَا قَتْلَ :

لَمْ أَبْقِ حَلِيَّةَ مَنْطِقِي إِلَّا وَقَدْ
أَبْقَيْتُ فِي أَعْنَاقِي جُودَكَ جَوْهَرًا
هَلْ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَنْسِبَ هَذَا أَوْ شَيْئًا مِنْهُ إِلَى السَّرَقِ وَالْإِحْتِزَاءِ ؟ وَهَلْ
يَسْتَطِيعُ مَا ثَلَّثَهُ شَيْءٌ مِنْ شَمْرِ الْبَحْتَرَى ، أَوْ أَشْعَارِ الْمُحْدَثِينَ فِي عَصَرِهِ وَمِنْ قَبْلِهِ ؟
فَقَعَى عَنِ الْجَوَابِ قُصُورًا ، وَأَحْجَمَ عَنِ السَّاجِةِ تَقْصِيرًا ، وَحَكَمَتِ الْجَمَاعَةُ لِي
بِالْقَهْرِ ، وَعَلَيْهِ الْبَصَرُ ، وَلَمْ يَنْصَرَفْ عَنِ الْمَجْلِسِ حَتَّى اعْتَرَفَ بِتَقْدِيمِ أَبِي تَمَامٍ فِي
صَنْعَةِ الْبَدِيعِ وَاخْتِرَاعِ اللَّعْنَى عَلَى جَمِيعِ الْمُحْدَثِينَ . وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا .

[أَنْتَرُ الْفَنَاءَ وَالْجَمَالَ]

وَقَالَ مُكَاثِمَةُ بْنُ أَشْرَسَ : كُنْتُ عَيْدًا لِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمًا ، فَاسْتَأْذَنَ الْعَلَامَ لِمُتَمِّزٍ لِلْأَمْوَالِ
فَكَرِهَتْ ذَلِكَ ، وَرَأَى لِلْأَمْوَالِ الْكَرَاهِيَةَ فِي وَجْهِ ، قَالَ : يَا مُكَاثِمَةُ ، مَا بَكَ ؟

(١) مَوْضُونٌ : قَدْ نَحْنِي بِضَهِّهِ فَوْقَ بَيْتِي (٢)

(٢) صَنَعَ الضَّمِيرُ : أَرَادَ أَنَّهُ مَلَّهَ ، وَفِي الدِّيَوَانِ « يَمْدُهُ جَهْرًا » وَالْجَهْرُ : الْبَثْرُ (٣)

قلت : يا أمير المؤمنين ، إذا غشنا غير ذكرت مواطن الإبل ، وكتبان الرمل ، وإذا غشنا فلانة انبسط أمل ، وقوى جذلي ، وانشرح صدري ، وذكرت الجنان والولدان ، كم بين أن تغنيك جارية عادة كأنها غصن بآن ، ترن بمقلة وسنان ؛ كأنما خلقت من ياقوتة ، أو خرطت من فضة ، بشر عكاشة الصمى حيث يقول :
 من كف جارية كأن بناتها من فضة قد طرقت عناء
 وكان يمناها إذا ضربت بها تلقى على الكف الشمال حسنا
 وبين أن يغنيك رجل كثر اللحية ، غليظ الأصابع ، غشن الكف ، بشر ورقاء بن زهير حيث يقول :

رأيت زهيراً تحت كل كل خالد فأقبلت أسمى كالمجول أباده^(١)
 وكم بين أن يحضرك من تشهى النظر إليه ، وبين من لا يقف طرفك عليه ؟ فسيم للأمون ، وقال : الفرق بينهما واضح ، والنهج فسيح ؛ يا غلام ، لا تأذن له ، وأحضر أطيب قيناته ، فظللنا في أمتع يوم .

وعكاشة هذا هو عكاشة بن عبد الصمد البصري ، تقي الديباجة ، ظريف عكاشة الشعر ، وكان شاعراً مجيداً . وقد أخذ معنى قوله أبو العباس الناشئ ، وزاد ابن عبد الصمد البصري فيه ، فقال :

وإذا بصرت بكفها اليسرى حك يد حاسب تلقى عليك صنوفا
 فكأنما المصراَّب في أوتارهِ قلم يجمع في الكتاب حروفا
 ويحس لبهاها فكأنما في الفقر تنفي بهرجاء وزوفا
 أخذ هذا البيت من قول أبي شجرة السلمي وذكر ناقته :
 تطير عنها حصي الظران من بلد كما تنقود عند الجهيز الورق^(٢)

(١) المجول : التكلى والواله من الإبل والنساء

(٢) الظران ، بضم الظاء وكسرهما ، جمع ظرر ، بزة صرد ، وهو الحبر ،

وقيل : للدور المحدث منه ، والجهيز : الحير ، والورق : القضة (م)

وأصله قول امرئ القيس :

كَأَنَّ صَلِيلَ الرُّوحَيْنِ تَشْدُوهُ صَلِيلُ زَيْوْفٍ يُنْقَذَنَ بَعْقَرًا^(١)
وقال أبو الفتح كشاجم :

لَوْ لَمْ تَحْرَكْهُ أَنَامِلُهَا كَانَ الْهَوَاءُ يُعِيدُهُ نَقْطًا
جَسْتُهُ عَلَّةٌ بِحَالَتِهِ جَسَنَ الطَّيِّبُ لِمَدْفِ عِرْقًا
غَنَتْ خِلْتُ أَغْلُتْنِي طَرَبًا أَسْمُو إِلَى الْأَفْلَاكِ أَوْ أَرْقَى
وَحَسِبْتُ يُمْنَلَهَا تَحْرَكْهُ رَعْدًا وَخِلْتُ بِسَارَهَا هَرَقًا

وأشد الحاتمي لأبي بكر الصولي :

وَعَنَاءُ أَرْقٍ مِنْ دَمْعَةِ الصَّبِّ وَشَكْوَى التَّيْمِ لِلْهَجُورِ
يَشْتَلُ لِلرَّءِ مِنْظَرٌ ثُمَّ نَقْطٌ فَهُوَ يُعْنِي بظَاهِرٍ وَضَمِيرٍ
صَافِحَ السَّمْعِ بِالَّذِي يَشْتَبِيهِ وَأَذَاقَ النَّفُوسِ طَمَمَ السَّرُورِ
لَيْسَ بِالْقَاتِلِ الضَّعِيفِ إِذَا مَا رَاضٍ تَمَّا وَلَا الشَّيْخِ الْجَهْمِ

وقال أبو نؤاس :

وَأَهْيَافٌ مِثْلُ طَائِفَةِ الْإِسْمِينِ لَهُ حَطَّانٌ مِنْ دُنْيَا وَدِينِ
يَحْرَكُ حِينَ يَشْدُو مَا كُنْتَ فَتَضْبِثُ الطَّبَائِعَ لِلْكَوْنِ
وهذا مليح ، يريد حركة الجوانح للفناء ، وسكون الجوارح للاستماع
وقال الحمدوني يصف عوداً :

وَنَاطِقِي بِلِسَانٍ لَا ضَمِيرَ لَهُ كَأَنَّهُ خَذَّ نَيْطَتْ إِلَى قَدَمِ
يَبْدِي ضَمِيرَ سِوَاهُ لِقُلُوبِ كَمَا يَبْدِي ضَمِيرَ سِوَاهُ مِنْطَقِ الْقَلَمِ

(١) الصليل . الصوت ، والروح : حجارة يضي براقة ، وعقبر : بلد بنسب العرب
إليها كل ما يتماثلون صمته ، وزعموا أنها مقر الجن (م)

[من وصف القيان]

لابن الرومي

ومن أحسن ما قيل في صفة القيان قول ابن الرومي :

وقيان كأنها أمهاتٌ عاطفات على يديها حوائِي
مُطْفِلات وما حلنَ جنباً مرضعات ولسنَ ذاتَ لَبَانِ
مُتَقِمَات أطفالهنَّ مُدِيّاً ناهدات كأحسن الرُمانِ
منعمات كأنها حافلات وفي صَفَرٍ من دِرَّةِ الألبانِ
كل طفل يُدعى بأسماء شتى بين عُودٍ ومزهرٍ وكرانِ^(١)
أمه دمهراً تترجمُ عنه وهو بادي الفَيِّ عن الترجانِ

لكشاحم

وقال أبو الفتح كشاحم :

جاءت بعود كأنَّ نَعْمَتَهُ صوتُ فتاةٍ تشكو فراقَ فتي
عفت حفت الميوزُ به كأنما الزهر حوله بنتا
دارت ملاويه فيه فاختلفت مثل اختلافِ الميوزِ مذنبتا
لو حركته وراء منهسزم على بريدٍ لصاحٍ والتفتا

وقال :

يقولون تَبِّ والكأس في كفِّ أغيد وصوتُ المشافي والمثالكِ عَالِي
قللت لهم لو كنت أزمعت توبةً وشاهدت هذا في المنامِ بَدَا لِي^(٢)

وقال :

أفدى التي كَلِفَ القَوَادِينَ أَجْلُهَا بالعودِ حتى شَفَى إطرابا
تأهتْ بجمعِ صناعَتَيْنِ ، وأظْهَرَتْ كبرا بذاك ، وأُعْجِبَتْ إعجابا
قالت : فضلتك بالنساء وأنت لا تشدو ، وكنا مثلكم كتابا

(١) السكران - بوزن كتاب - آلة من آلات اللهو تشبه العود أو الصنج (م) .

(٢) أزمعت : اعتزمت ، وفي ديوانه « أشعرت » (م) .

(٣ - زهر الآداب ٣)

فُصِّيتْ بِالْأَوْتَارِ حَتَّى لَمْ أَدْعُ
وَأَلْقَيْتُهَا فَأَغَارَ ذَلِكَ عَلَى يَدِي
فَجَلَّتْ لِلْقُرْطَاسِ جَانِبَ صَدْرِهِ
وَقَالَ :

جَاءَتْ بِمُودٍ كَأَنَّ الْحَبَّ أَغْشَلَهُ
فَحَرَكْتُهُ وَغَنَّتْ بِالثَّقِيلِ لَنَا
بِيضَاءَ يَحْضُرُ طَيْبُ اللَّهِ وَمَحْضَرَتْ
كُلَّ الْبَاسِ عَلَيْهَا مَعْرُضٌ حَسَنٌ
هَذَا مِنْ قَوْلِ ابْنِ الْمُعْتَزِ :

وَنَّتْ فَأَغْنَتْ عَنِ الْمَسْمِيَةِ
مَحَاسِنُهَا رُزْهَةً لِلْمَيُونِ
وَقَالَ أَيْضًا: (١)

أَشْتَقِي فِي الْغَنَاءِ بُحَّةَ حَلَقِي
كَأَنَّيْنِ الْحَبَّ أَضْعَفَ الشَّوْ
لَا أَحِبُّ الْأَوْتَارَ تَلَوُّكَهَا لَا
وَأَحِبُّ الْجَنْبَاتِ كَعَمِي
كَهَوْبِ الصَّبَا تَوْسَطَ حَالًا
وَقَالَ :

آه مِنْ بُحَّةٍ بَنِيَرٍ أَقْطَاعِ
أَتَمَّتْ صَوْتَهَا وَقَدْ يُجْتَنَى مِنْ
اِفْتِقَارِ مَوْصُولَةِ الْإِيْقَاعِ
تَعَبِ الصَّوْتِ رَاحَةَ الْأَسْمَاعِ

(١) «ما» في قوله «ماحضرت» هي الصدرية الظرفية : أي مدة حضورها .
وفي السيوان « يحضر طيب السبيح إن حضرت (م) »
(٢) هذا القائل هو أبو الفتح كشاجم (م) .

فَقَدَّتْ تَكَثَّرَ الشَّجَاجَ وَحَلَّتْ طَبَقَاتِ الْأَوْتَارِ بَعْدَ ارْتِفَاعِ^(١)
كَأَنِّينِ الْحَبِّ خَفَضَ مِنْهُ صَوْتُ شَكْوَاهِ شِدَّةِ الْأَوْجَاعِ

لأبي الحسن
ابن يونس

وقال بعض أهل مصر ، وهو أبو الحسن بن يونس :

غَفَّتْ فَأَخَفَتْ صَوْتَهَا فِي عُودِهَا فَكَأَنَّمَا الصَّوْتَانِ صَوْتُ الْعُودِ
غَيْدَاءَ تَأْمُرُ عُودَهَا فِيطِيعُهَا أَبْدَأَ ، وَيَتَّبِعُهَا اتِّبَاعُ وَدُودِ
أُنْدَى مِنَ الثُّوَارِ صُبْحًا صَوْنَهَا وَأَرْقَ مِنْ نَشْرِ الثَّنَا الْمُهَوِّدِ
فَكَأَنَّمَا الصَّوْتَانِ حِينَ تَمَازَجَا مَاهُ النَّهَامَةِ وَابْنَةُ الْعُقُودِ

من ترجمة
أبي الحسن
ابن يوسف

وأبو الحسن هذا هو : علي بن عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى
صاحب عبد الله بن وهب الفقيه ، وكان لأبي الحسن في الشعر مذهب حسن ،
وطبع صحيح ، وسوء مليح ، وكان عالماً بالنجوم وما يتعلق بها من علوم الأوائل
وهو القائل :

سَقَى اللَّهُ أَكْنَافَ اللَّوَى كَمَا سَقَى بِضَرْبٍ مِنَ الزَّنِّ الْكَنْهَوْرَ هَامِلِ^(٢)
إِذَا نَشَرْتَ رِيحَ بُجَانٍ سَحَابَةٍ غَدَا وَهُوَ حَلِيٌّ لِلرَّيَاضِ السَّوَابِلِ
بِهِ وَجَدُ رَعْدٍ لَيْسَ بَيْنَ جَوَانِحِ وَوَسْوَاسُ وَدَقٍ لَيْسَ بَيْنَ مَفَاصِلِ
إِذَا كَانَ خَدَّ الْبَرْقِ يَلْسُ نَبْتُهُ تَلَقَّاهُ دُرُّ النَّوْرِ فَوْقَ الْخَمَائِلِ
وقال ، وذكر غلاماً :

يَجْرِي النِّسِيمُ عَلَى غَلَائِلِ خَدِهِ وَأَرْقَ مِنْهُ مَا يَمُرُّ عَلَيْهِ
نَاولَتْهُ الْمَرَاةُ يَنْظُرُ وَجْهَهُ فَكَسَتْهُ فَتْنَةُ نَاضِرِهِ إِلَيْهِ

لأبي الحسن
في المرأة

وقال ابن الممتز - وذكر للمرأة :

تَبَيَّنَتْنِي لِي كَمَا رُمَتْ نَظْرَةً وَنَاصِحَتِي مِنْ دُونِ كُلِّ صَدِيقِ

(١) في الديوان « تكثر الشجاج » (م).

(٢) الكنهور - بزة السفرجل - القوام من السحاب (م).

يقابلني منك الذي لا عدته بِلُحْجَةِ ماء وهو غير غريق
وقال أبو الفتح كشاجم يصفُ مرآةً أهدها :

لكشاجم
يصف مرآة

أخت شمس الصفاء في الحسن والإشراق غير الإغشاء للأجنان
ذات طوق مشرف من لجين أجريت فيه صُفْرَةُ اليقَين
فهو كالمهالة المحيطة بالبد ر لست مضين بسد ثمان
وعلى ظهرها فوارس تلهو بَبْرَاقٍ تَفْدُو على غِزْلَانِ
[لك فيها إذا تأملت قال حسنٌ تُخْبِرُ بنيل الأمان]
لم يكن قبلها من الماء جرم حاصرٍ نفسه بنير أوان
عدلت عكسها الشعاع فبدا إليها ورَجْمُه سَيَّانِ
وهي شمس وإن مثالك يوماً لاح فيها فإبها كَمَتَانِ
أينا قابلت مثالك من أر ضي قتها تقابل النيران
فالقها منك بالذي ما رآه خائف فأنقى بنير أمان

ومن ألفاظ أهل العصر في مدح الغناء

غناؤه كالنقى بحد الفقر ، وهو جَيْرٌ للسكر^(١) . [غناؤه] يبسط أَسِرَّةَ
الوَجْهِ ، ويرفع حجاب الإذن ، ويأخذُ بمجاميع القلب ، ويحرك النفوس ،
ويرقص الروس . فلان طيب القلوب والأسماع ، ومحى مَوَاتِ الخواطر والطباع ،
يُطْعِمُ الأَذَانُ سروراً ، ويقدح في القلوب نوراً . القلوبُ من غناؤه على خطر ؛
فكيف الجيوب ؟! السكر على صوته شهادة . كل ما يغنيه مقترح . لغناؤه في
القلب ، موقع القطر في الجذب . نعمة نعمته تطرب ، وضروب ضربته لا تضرب .
وقيل : السماع مُنَمَّةُ الأسماع ، وإدامُ اللدام .

(١) في نسخة « وهو عند السكر » (م) .

[الأبسلام]

أهدى بعضُ الكتاب إلى أخ له أفعلاماً وكتب إليه : إنه — أطال الله من أخ إلى
أخيه وقد
أهداه أفعلاماً
بقاؤك ! — لما كانت الكتابة قوامَ الخلافة ، وقرينة الرئاسة ، وعودَ المملكة ،
وأعظم الأمور الجليلة قدراً ، وأعلها خطراً ، أحبت أن أتحفك من آلائها بما
يخف عليك تحمله ، وتتقل قيمته ، ويكثر نفعه ؛ فبحثُ إليك أفعلاماً من القصب
النابت في الأعذاء ^(١) ، المنفوخ بماء السماء ، كاللآلى المكنونة في الصدف ،
والأنوار المحجوبة بالصدف ، تنبئ عن تأنيز الأسنان ، ولا يشفيها غمر البنان ،
قد كسها طباعها جوهر كالأوشى المحير ، وفرد الديباج المنير ، فهي كما
قال الكيت :

ويبيض رفاق صبحاح التسو نِ تسمع لبيض فيها صريرا
مُهَسَّدَة من عتاد الملوك يكاد سناهن يعشى البصيرا

وكسح النبل في ثقل أوزانها ، وقُصِبَ اغيزران في اعتدالها ، ووشيج الخط
في أطرادها ، تمر في القراطيس كالبرق اللامع ، وتجرى في الصنف كالماء
الساح ، أحسن من العيان ، في محور القيان .

من عيد الله
ابن طاهر إلى
إسحاق بن
إبراهيم
وكتب عبيد الله بن طاهر إلى إسحاق بن إبراهيم من خراسان إلى بغداد
يسأله أن يوجه إليه بأقلام قصبة : أما بعد ، فإننا على طول المارسة لهذه الصناعة
التي غلبت على الاسم ، ولزمت لزوم الزمن ، خلّت محل الأنساب ، وتجزت
تجزي الأقلام — وجدنا الأقلام القصبة أسرع في الكبراغد ، وأمر في الجلود ،
كما أن البحرية منها أسس في القراطيس ، وألين في الماطف ، وأكل عن
مزيقها ، والتعلق بما ينبو من شغاياها . ونحن في بلاد قليلة القصب ، ردى ما يوجد

(١) الأعذاء : جمع عذى ، وهو الزرع الذي لا يسقى بشير ماء الطر (م) .

بها منه ؛ فأجبت أن تقدّم في اختيار أقلام قصية ، وتأتق في انتقائها قبلك ،
 وطلبها في منابتها ، من شُطوط الأنهار ، وأرجاء الكروم ، وأن تتيّم باختيارك
 منها الشديدة الحسّ ، الصّلبة للمضّ ، الفليضة الشحوم ، للكثرة الجوانب ،
 الضيّقة الأجواف ، الرزينة الوزّن ، فإنها أتق على الكتاب ، وأبعد من الخفاء ،
 وأن تصدّ بانتقائك منها للرقاق القضبان ، اللطاف المنظر ، المقومات الأود ، اللّس
 القُد ، ولا يكون فيها التواء عوج ولا أنت ؛ ونصم الصافية القشور ، الخفية
 الأبن^(١) ، الحسنة الاستدارة ، الطويلة الأنايب ، البعيدة ما بين الكعوب ، الكريمة
 الجواهر ، المعتدلة القوام ، تكادُ أسفلها تهتزّ من أعلاها ، لاستواء أصولها
 بروسها ، المستكلة ييساً ، القائمة على سوقها ، قد تشرّبت الماء في إحائها ، وانتهت
 في التضيّع منهاها ، لم تسجل عن تمام مصلحتها . وإبان يُنهيها ، ولم تؤخر في
 الأيام الخوفه عاهتها ؛ من خصر الشتاء ، وعفن الأنداء ، فإذا استجمعت عندك
 أمرت قطعها ذراعاً ذراعاً ، قطعاً رفيقاً تتحرّز معه أن تشقّب رءوسها ،
 أو تنشق أطرافها ، ثم عبأت منها حزمًا فيا يصونها من الأوعية ، وعليها
 الخيوط الوثيقة ، ووجهتها مع من محتاط في حراستها وحفظها وإيصالها ؛ إذ
 كان مثلها يتوّاني فيه ، لقلة خطرها عند من لا يعرف فضل جواهرها ؛
 واكتب معه بدّيها وأصنافها وأجناسها وصفاتها ، على الاستقصاء ، من غير
 تأخير ولا إبطاء .

جواب إسحاق ابن إبراهيم فأجابه ووجه إليه مع الأنايب : أتاني كتاب الأمير - أعزّه الله ! - بما أمر
 به ونظمه ، من البحث بما شا كل نعمته ، وضاعى صِفته ، من أجناس الأقلام ،
 قيمت يُنفيته فأصدا لها ، وانتهجت معالم سبيله آخذاً بها ، فأفقدتُ إليه حزمًا
 أنشت بلطف السّقا ، وحسن السهد والبقيّ ، لم تسجل بإخراجها ، ولا بؤدورت

(١) الأبن : جمع أبة ، وهي العدة في المود (م) .

قبل إدراكها؛ فهي مستوية الأنابيب مستدلتها ، متقفة الكموب مقومتها ؛ لا يرى فيها أنت زور ، ولا وصم صفر ولا عوج ، وقد رجوت أن يجدها الأمير عند إرادته وحسب بغيتته .

لمنصور بن عمار
يصف القلم

ومن كلام منصور بن عمار في صفة القلم ، ويقال إنه لسلیمان بن الوليد الكاتب : أوليس من مجائب الله في خلقه ، وإنشائه على عباده ، تعليمه إيهم الكتاب المفيد للباقيين حكم للماضين ، والمحاطب للعيون بسرائر القلوب ، على لغات مختلفة ، بمعان مفترقة مفهودة ، وأحرف مقلوقة ، من ألف وتاء ، وجيم وباء ، متباينات الصور ، مختلفات الجهات ، لقاحها التكثير ، وتناجها التأليف ، تخرس مفردة ، وتنطق مزدرجة ، بلا أصوات مسموعة ، ولا ألسن محدودة ، ولا حركات ظاهرة ، بل قلم حروف ياربه قطته ، ليملق اللدأ به ، وأرشف جانبيه ليرد ما نشر عنه إليه ، وشق في رأسه ليحبس الاستمداد عليه ، ورفع من شعبتيه لتجتمع حواشي تصويره ؛ فهناك روى القلم في شقه ، وقذف للمادة إلى صدره ، فإذا علقته الميون حكنتها الألسن ، فالقلوب حينئذ راعية ، والآذان وإعية ، لكلام سداء القفل ، وألحه اللسان ، وأدته اللهورات ، ولفظته الشفاه ، ووعته الأسماع ، على اختلاف أنحاء ، من صفات وأما ؛ فتبارك الله أحسن الخالقين .

للتجبري
في وصف القلم

حمل من رسالة كتبها بعض أهل مصر ، وهو أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله التجبري ، في القلم إلى أبي عمران بن رباح :

إنه لما كان القلم مطية الفكر والبيان ، ومخرج الضمير إلى العيان ، ومستنبط ما تواربه ظلم الجنان إلى نور البيان ، ومريح القعان الموازب ، وجالب الفكر الفرائب [ولسان الغائب ، وبز الكاتب ، ومكتب الكتاب] ، ومفرق الجلائب ، وعماد السلم ، وزناد الحرب ، ويد الحدائين ، وخليفة اللسان ، ورأس الأموات التي

خمس^١ الله بها. الإنسان ، وشرّفه بها على سائر أصناف الحيوان ، ومركباً لآلة قد تقدّمت كل آلة ، وحكمة سبقَتْ في الإنسان كل حكمة ، وقواماً لمهندسة عقلية ، ومصدراً لتقليل العاقل ، وجعل الجاهل . الناقل إلينا حكم الأولين ، وحاملها عنا إلى الآخرين ، الحافظ علينا أمر الدنيا والدين ، أول شيء خلقه الله بأمره وسبّحه ، وتبجّده وحده وسجّده له ، فكان له فرسان خلق لهم ، وكُنْتُ عبيدهم ، وأقران قصير عليهم ، وأنت صنديدهم ، وميدان كنت زينته ، ومضمار كنت عينه ، وخليفة كنت سابقها ومعجزها ، وغاية كنت مالكها ومخزّها ، ومرت بي الأيام إلى معدته الذي كلّفت به وعين بطله ، فانفردت منه بقدح قد أُوحد ، فزود في منته ، قد ساعدت عليه السمود في فلك البروج حولاً كاملاً ، تختلف بواقعه أركانها وطبائعه ، ومتباين أنوثها وأنحائها ، وتؤيده بقواها وجواهرها ، حتى غدّته عزّاً في الثرى مرقاً ، وأرضته نابعاً ، وسقته مكعباً ، وأروته مقصباً ، وأظلمته مكهلاً ، ولوحته مستحصداً ، وجلّته بهاءها ، وألقت عليه عنوانها ، وأودعته أعراقها وأوراقها وأخلاقها ، حتى إذا شق بإزله ، ورقّت شمائله ، وابتسم من غشائه ، ونادى من لحائه ، وتعرى^(١) عن خز المصيف ، باهضاء الخريف ، وانكشف عن لون البيض المكنون ، والصدف المخزون ، ودر البحار ، وهاك الجمار ، دعا منه فقّ العاج بنقبة الديباج ، وقيص الدرر بطراز النجاج ، فاجتمعت له زينة الأيدي البشرية ، إلى الأيدي العلوية ، والأنساب الأرضية ، إلى الأنساب السماوية ، فلما قادت السعادة إلى^٢ ، ورأيت نسيج وخده في الأفلام ، رأيت أولى الناس به نسيج وخده في الأنام ، فأتركت به مؤثراً للصنمة ؛ علماً أن زين الجياذ فرسانها ، وزين السيوف أقرانها ، وزين بزة لابسها ، وزين أداة ممارسها ،

(١) في نسخة « وتعرى عنه » .

فَالآنَ أُعْطِيتِ الْقَوْسَ بَارِيهَا ، وَزِنَادَ الْكَافِرِمْ مُوْبِرِيهَا ، وَالصَّنَمَامَةَ مُصْلِتِيهَا ،
وَالْقِتَانَةَ مُعْلِمَهَا ، وَحَلَّةَ الْفَجْدِ لَا بِسَمَا .

من أخبار
النجيرمي

وكان النجيري جَيِّدَ الرُويَةِ والبديهة في نظمهِ ونثرهِ ، حلّو التصريف ، مليح
التأليف ، وكان يوماً عند أبي المسك كافور الإخشيدي ، فدخل عليه أبو الفضل
ابن عياش فقال : أدام الله أيامَ سيدنا الأستاذ — بالغفص — فتبسّم كافور إلى
أبي إسحاق ، فقال ارتجلاً :

لَا غَرَّوْا إِن لَحْنُ الدَّاعِي لَسَيِّدَنَا وَغُصَّ مِنْ هَيْبَةِ الْبَارِقِ وَالْبَهْرِ
فَنُتِلَ سَيِّدَنَا حَالَتْ مَهَابَتُهُ بَيْنَ الْبَلِغِ وَبَيْنَ الْقَوْلِ بِالْخَصْرِ
فَإِنْ يَكُنْ خَفَضَ الْأَيَّامُ مِنْ دَهْشٍ مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ لَامِنْ قَلَّةِ الْبَصْرِ
قَدَّ تَفَاءَلَتْ فِي هَذَا لَسِيدَنَا وَالْقَالَ مَأْتَرَةً عَنْ سَيِّدِ الْبَشْرِ
بَانَ أَيَّامُهُ خَفَضَ بِلا نَصَبٍ وَأَنْ دَوْلَتُهُ صَفَوُْ بِلا كَدَرٍ
فَأَمَرُ لَهُ بِثَلَاثَةِ دِينَارٍ ، وَلابْنِ عِيَّاشٍ بِمِائَتَيْنِ .

لحدان المشق
يصف قلماً

وقال حدان المشق يصف قلماً :

لِلْأَيْمِمْ بَعْتَهُ وَشَقَّ لِسَانِهِ وَلَهُ إِذَا لَمْ يَنْجِرْهُ إِطْرَاقُهُ
كَالْحَيَّةِ التَّنَاضُحِ إِلَّا أَنَّهُ مِنْ حَيْثُ يَنْجَرِي سَمُهُ تَرِيَّاقُهُ

وصف القلم
الصالح للكتابة

قال العتابي : سألتني الأصمعي فقال لي : أَيُّ الْأَنْبَاءِ أَصْلَحُ لِلْكِتَابَةِ وَعَلَيْهَا
أَصْبِرُ ؟ فقلت : مَا نَشِفَ بِالْهَجِيرِ مَاؤُهُ ، وَسَتَرَهُ عَنْ تَلَوِيحِهِ غَشَاؤُهُ ، مِنْ التَّيْبَرَةِ الْقَشُورُ
الْهَرِيَّةِ الظُّهُورُ ، الْقَضِيَّةُ الْكُسُورُ ، قَالَ : فَأَيُّ نَوْعٍ مِنَ التَّيْبَرِ أَكْتَبُ وَأُصُوبُ ؟
قلت : الْبَرِيَّةُ الْمُسْتَوِيَّةُ الْقَطُّ ، عَنْ يَمِينِ سَنِّهَا ، بَرِيَّةٌ تَأْمَنُ مَعَهَا الْحَبَّةُ عِنْدَ اللَّطِّ (١) ،

المهواء في مَشْتَهَا فتيق ، والريح في جوفها خريق ، والدَّاد في خرطومها زقيق ،
قال : فبقى الأسمى شاخصاً إلى ضاحكا لا يُحِيرُ مسألة ولا جواباً .

[من ترجمة التائي وأدبه وأخباره]

والتائي : هو كلثوم بن عمرو بن الحارث التظلي ، يُكَنَّى أباعمر ، قال
أبو عتيان الجاحظ : كان للتائي من اجتمع له الخطابة ، والبيان ، والشعر
الجليل ، والرسائل الفاخرة ، وعلى ألفاظه وحذوه يقول في البديع جميع من
يتكلف ذلك من شعراء اللولدين كنحو منصور النمرى ، ومسلم بن الوليد
الأنصارى ، وأشباههما ، وكان التائي يَحْتَذِي حَذُو بشار في البديع ، ولم يكن
في اللولدين أجودُ بديعاً من بشار وابن هريرة

والتائي من ولد عمرو بن كلثوم ابن مالك بن عتّاب بن مسعد ،
ولذلك قال :

إني امرؤُ هدم الإختار ما ترقى واجتاعها أبدت الأيام من خطرى
أنا ابنُ عمرو بن كلثوم بسودّه حياً ريمّة والأحياء من مضرٍ
أرومةٌ عطلتني من محسارمها كالقوس عطلها الرامي من الوترِ

وكان صاحبَ بديهة في المنظوم والنثور ، حسن العقل والتمييز ، والعربُ
تقول : من عَمَى رجلاً حسنَ العقل ، حسنَ البيان ، حسنَ العلم ، عَمَى شيئاً عَصيراً .
وقد اجتمع ذلك كله للتائي .

وعاتبه يحيى بن خالد حلّ لباسه ، وكان لا يُبَالِي أى ثوبيه ابتذل !
قال : أبعد الله رجلاً موهبته أن يكون جماله في لباسه وعطره . إنما ذلك حظُّ
النساء ، وأهل الأهواء ، حتى يرضه أكبراء : همته ، ولّبه ، ويعلو به معطاءه :
بسانته ، وقَلْبُه .

ودخل على الرشيد فقال : تكلم يا عتّابي ! فقال : الإبناس قبل الإبناس ،
لا يمدحُ المرء بأولِ مساوئه ، ولا يُذمُّ بأولِ خطئه ؛ لأنه بين كلامِ زَوْرِهِ ،
أو عِيٍّ حَصَرِهِ .

وذكر أبو هفان أن الرشيد لقيه بعد قتل جعفر بن يحيى وزوال نعمته ،
قال : ما أخذت بعدُ يا عتّابي ؟ فأشده ارتجالاً :

تَولَمُ على تَرَكَ النِّفَى بأهليَّةٍ طَوَى الدهرُ عنها كلَّ طَرْفٍ وتَأَلَّدِ
رَأَتْ حَوْلَهَا النِّسْوانَ يرفلن في الكُسا منظمَةً أُجِيبَ أَدُّها بالقلائِدِ
أَسْرَكَ أُنَى نِلَتْ ما نال جعفرُ من للكَ أو ما نال يحيى بن خالدِ
وأن أميرَ المؤمنين أَعْصَى منصَّهما بالمرهفاتِ البوارِدِ
فإنَّ رُفيعاتِ المِمالِ مَثُوبَةٌ بمستودعاتِ في بطونِ الأساوِدِ

وكان متحرِّفاً عن البرامكة ، وفهم يقول :

إنَّ التَّزَامِيكَ لا تنفكُ أُجْبِيَّةٌ بصفحةِ الدِّينِ من نجواهُم نَدَبٌ^(١)
تَجَرَّمَتْ حَجَجٌ منهم ومُنْصَلَمٌ مضرَّجٌ بدمِ الإسلامِ مَحْضَبٌ^(٢)

واجتاز عبد الله بن طاهر بالرفقة بمنزل العتّابي ، قال : أليس هذا منزلُ كلثوم
ابن عمرو ؟ قيل : نعم ، فتتقى رجله ، ودخل إليه ، فألقاه جالسا في بيتِ كُتْبِهِ ،
فحدّثه وذاكره ، ثم انصرف ، فتحدّث الناسُ في ذلك ، وقالوا : إن الأمير
لم يقصده ، وإنما اجتاز به فأخطر ذلك الزيارة ، فكتب إليه :

يا مَنْ أَفادَتْني زيارَتُهُ بعدَ الجَولِ نِهاةَ الدُّكْرِ
قالوا الزيارةَ خَطَرَةً خَطَرَتْ وبجازِ خَطَرِكَ لَيسَ بالخطَرِ
فادْفَعْ مَقالِمَهُم بِثائِثَةٍ تَسْتَفِدُّ المِجْهُودَ مِن شُكْرِ

(١) آجعية : متاجين متسارين . والتنب : الجروح (م)

(٢) تجرمت : مضت وانقضت ، وفي نسخة «نصرت» والنصل : السيف (م) .

لا تجعلَ الوترَ واحدةً . إن الثلاث تنمةُ الوترِ
فبسته الأيَّاتُ إلى أنْ زَارَهُ فَلَاحًا .

وكان يميل إلى اللأمون ، فلما خرج للأمون إلى خُراسان شيعه حتى وصل معه
إلى سندان^(١) كسرى ، فقال له اللأمون : سأنتك بالله يا عتّابي إلا عملتَ على زيارتنا
إن صار لنا من هذا الأمر شيء ، فلما ولي اللأمون الخلافة ، ودخل بغداد سنة أربع
ومائتين توصل إليه العتّابي ، فلم يمكنه الوصول ، فقال للناشي يحيى بن أكرم :
إن رأيتَ أن تعلّم أمير المؤمنين بمكانى ! فقال : لستُ بحاجة ! قال : قد علمتُ ،
ولكنك ذو فضل ، وذو الفضل معوان ! فقال : سلكتَ بى غير طريقى ! قال :
إن الله تعالى أطعك بحاجه ونعمة ، وهما بقيان عليك بالزيادة إن شكرت ، والتخير
إن كفرت ، وأنا اليوم لك خيرٌ منك لنفسك ؛ أدموك لما فيه زيادة نعمتك ،
وأنت تأبى ذلك ؛ ولكل شيء زكاة ، وزكاة الجاه بذله للمستعين ، فدخل
يحيى على اللأمون فقال : أجزنى من لسان العتّابي ، فلما عنه ، ولم يأذن له ، فلما طال
عليه كتب إليه :

ما على ذلك افترقنا بسندا ن ولا هكذا عهدنا الإخاء
لم أكن أحسب الخلافة يزدا د بها ذو الصفاء إلا صفاء
تضرب الناس بالثقة الشـ ر على غدريهم ونسى الوفاء

يعرض بقتله لأخيه على غدّره ، ونسكته لِمَا عقد الرشيد ؛ فلما قرأ اللأمون
والأيّات أمر أن يدخَلَ عليه . فلما سلم قال : يا عتّابي ، بلغتني وفادتُكَ فسرّني ،
وقد كانتْ بلغتني وفاتُكَ فساتني ، وإني لحريّ بالعم لبُعدِكَ ، والسُرور بقربِكَ !
فقال : يا أمير المؤمنين ؛ لو قسم هذا الكلام على أهل الأرض لوسمهم عدلاً

(١) هكذا ، وربما كانت « سندان كسرى » (م) .

وأهجمز شكراً ، وإن رضاك لغاية النقي ؛ لأنه لا دينَ إلا بك
إلا معك ، قال : سألني ، قال : يذكُ بالعطية أطلق من لسانى بالمسألة ،
بمحسين ألفا .

وقال المتأبى وودّع جارية له :

ما عَنَاهُ الحِذَارِ والإشفاقِ	وشأيب دَمَعِكَ المَهْزَاقِ
ليس يَقْوَى القَوَادُ منك على الله	دُ ولا مَقْلَتَا طَلِيحِ المَاقِ
غَدواتِ الأَيَّامِ مَنَزَعَاتٌ	ما غَنِينَا من طولِ هذا الصنَاقِ
إِنْ فَصَى اللهُ أَنْ يَكُونَ تَلَاقِ	بعدَ ماقدَ ترينَ كانَ تَلَاقِ
هَوَّيَ ما عليكِ وَأَقْفَى حَيَّاهِ	لستِ تَبْقِينَ لي ولستِ بِيَنَاقِ
أَيُّنَا قَدَمْتُ صُرُوفُ النِّسَالِ	فَاللَّيْ أُخِرْتُ سَرِيعُ اللِّحَاقِ
ويَدُ الحَادِثَاتِ رَهْنٌ بِمَرٍّ	تِ مِنْ العِشْرِ مُصْيرَاتِ اللِّذَاقِ
غَرَّ مَنْ ظَنَ أَنْ يَغُوثَ النِّسَالِ	وَعَرَاهَا قَلَانْدُ الأَعْنَاقِ
كَمْ صَفِيَّينِ مُتَّحًا بِاتِّفَاقِ	ثُمَّ صَارَا لِنُزْبَةِ وَاقْتِرَاقِ
قَلْتُ لِلْفَرَقْدِينِ وَاللَّيْلِ مُلْكِي	سُودَ أَكْنَاهِ عَلَى الأَفَاقِ
ابْتِغَاءَ مَا بَقِيْنَا سَوْفَ يُرَى	بَيْنَ شَخْصِيَّكَابَسْهُمْ القِرَاقِ
بَيْنَا المَرَّةَ فِي غَضَارَةِ عَيْشِ	وَصَلَاحِ مِنْ أَمْرِهِ وَاتِّفَاقِ
عَلَفْتُ شِدَّةَ الزَّمانِ فَأَذْنَتْهُ	إِلَى قَافِهِ وَضِيقِ خِنَاقِ
لَا يَدُومُ البَقَاءُ لِلخَلْقِ لَكِنْ	دَوَامَ البَقَاءِ لِلخَلْقِ

وقال في الرشيد :

إِمامٌ لَهُ كَفٌّ تَعْمُرُ بَنَاتُهَا عَصَا الدِّينِ مَمْنُوعًا مِنَ الْبَرِّ عَوْدُهَا

وعينٌ محيطٌ بالبرية طَرَفُها سواءٌ عليها قَرَبُها وَبَعِيدُها
وقال فيه :

رعى أمة الإسلام فهو إمامُها وأدّى إليها الحقَّ فهو أَمِيَّتُها
مقيمٌ بمسكنِ الفلاحينَ تَلْتَقَى طَوَارِقُ أَبْكَارِ الْخَطُوبِ وَغُوْنُها

وكان منصور النمرى سعى به إلى الرشيد فخافه ، فهرب إلى بلد الروم . وله قصائد يمتدِّرُ فيها جيدةً مختارةً ، وهو مشبهٌ في حسن الاعتذار بالناطقة الديباني ، ومن جيد اعتذاره قوله للرشيد ، ويقال : بل قالها على لسان عيسى بن موسى الهاشمي يحاطب الرشيد :

جعلتُ رجاءَ الغفورِ عذراً وشُبَّتْ بهيمةٌ إمّا غافِرٍ أو مُعَاتِبِ
وَكُنْتُ إِذَا مَا خَفْتُ حَادِثَ نَبْوَةٍ جَلَّتْكَ حِفْظاً مِنْ حِذَائِ النَوَائِبِ
فَأَنْزَلَ بِي هَجْرَانُكَ الْيَأْسَ بِدَمَا حَلَّتْ بِوَادِيكَ رَحْبَ الْمَشَارِبِ
أُظِلُّ وَمِنْ عَائِي الْجَدِيبُ مَكَانَهُ وَأَوْرَى إِلَى حَافَاتِ أَكْدَرٍ نَاصِبِ
وَلَمْ يَنْ عَنِ نَفْسِي الرَّدَى غَيْرَ أَنَا . تَنَوَّهَ يَبْقَى مِنْ رَجَائِكَ ثَائِبٌ (١)
هِيَ النَّفْسُ مُحْبَسٌ عَلَيْكَ رَجَاؤُهَا مَقِيلَةُ الْأَمَالِ دُونَ الطَّلَابِ
وَتَحْتَ ثِيَابِ الصَّبْرِ مَنَى ابْنُ لَوْعَةٍ بِظُلْمٍ وَيُمْنِي مَسْتَلِينَ الْجَوَانِبِ
فَتَى ظَفَرْتُ مِنْهُ اللَّيَالِي بَرْزَلَةٍ فَأَقْلَمْتُ عَنْهُ دَائِمَاتِ الْخُطَابِ
حَتَّى نَيْكَ لِي لَمْ أَكُنْ بَعْتُ عِزَّةً بَنِيٍّ وَأَحْرَزْتُ لِي بِاللَّوَاهِبِ
فَقَدْ مُتَمَتَّتِي الْمَجْرَانِ حَتَّى أَذْقَتْنِي عَقُوبَةَ زِلَافِي وَسُوءِ مَنَاقِبِ
فَمَا أَنَا مَقْصِي فِي رِصَاكَ ، وَقَابِضٌ عَلَى حَدِّ مَقْصُولِ الدَّامِينَ قَاضِيٍّ
وَمَنْزَعٌ عَمَّا كَرِهْتَ وَجَاعِلٌ هَوَاكَ مَثَلًا بَيْنَ عَيْنِي وَحَاجِبِي

(١) تنوّه به : يشغل عليها ، وفي نسخة « شوب » وثائب : راجع (م)

وفي هذه القصيدة مما يختار أهل الصناعة :

وَأَشْمَتَ مُشْتَاقَ رَمَى فِي جَفُونِهِ غَرِبَ الْكَرَى بَيْنَ الْفَجَاجِ السَّابِيسِ
 مَحَبَّتْ لَهُ ذَيْلَ الشَّرَى وَهُوَ لَا يَسْ دُجِيَ اللَّيْلُ حَتَّى مَجَّ ضَوْءُ الْكَوَاكِبِ
 وَمِنْ فَوْقِ أَكْوَاجِ الْمَهَارَى لِبَانَةٌ أَحْلَ لَهَا أَكْلَ الْقَدَرَى وَالْفَوَارِبِ
 وَكُلُّ فَسْتَى عَادَاتِهِ قَصْرَ شَوْقِهِ وَطَى الْحَشَى دُونَ الْمَهْمُومِ الْعَوَارِبِ
 يُبِيرَ الْمَوَى لِمُيْتِدِهِ نَتَ فَرْقَةٍ صُرَاخًا، وَلَمْ تَسْمَعْ بِهِ أُذُنُ صَاحِبِ
 إِذَا أَدْرَعَ اللَّيْلُ الْإِجْلَى وَكَأَنَّهُ بَقِيَّةُ هَسْدَى الْحَسَامِ الْمَضَارِبِ
 بِرَكْبٍ تَرَى كَثْرَ الْكَرَى فِي جَفُونِهِمْ وَعَهْدَ اللَّيَالَى فِي وَجْهِهِ مَشَاكِيبِ
 وَقَالَ أَيْضًا :

لَوْ رَأَيْتَنِي بَدَى انْحَارَةً فَرْدًا وَذِرَاعَ ابْنَةِ الْفَلَاةِ وَسَادِي^(١)
 أَطْفَىءَ الْحَزْنَ بِالدَّمْعِ إِذَا مَا حُمَةُ الشَّوْقِ أَثْرَتْ فِي فَوَادِي
 خَاشِعَ الطَّرَفِ قَدْ تَوَشَّحَنِي الضَّرَرُ فَلَانَتْ لَهُ قَنَاقَةُ رِيَادِي
 تَرَبُّبٌ يُؤْمِسُ أَخَاهُ مَوْمُ كَانَ أَلْ حَزْنُ وَالْبُؤْسَ وَافِيًا مِيلَادِي
 وَكَأَنِّي اسْتَعْرَتُ مَا انْقَطَعَ النَّاسُ سِ مِنْ النَّائِرَاتِ وَالْأَحْقَادِ
 أَنْصَدَى الرَّدَى وَأَدْرِعَ اللَّهَ لِي بِهِوَ جَاءَ فَوْقَهَا أَفْقَادِي
 حَظَّ غَيْبٍ مِنَ الْكَرَى خَفَقَاتُ بَيْنَ سَرَجِي وَمُنْحَنَى أَغْوَادِي
 أَوْحَشَ نَفْسِي جَانِبِي فَمَا آ نَسُ إِلَّا بِوَحْدَتِي وَاغْرَادِي
 قَدْ رَدَدْتَ الَّذِي بِهِ أَنْتَ النَّاسُ سِ وَأَبْرَزْتُ لِلزَّمَانِ سَوَادِي
 فَاسْتَهْلَتْ عَلَى تَطَرُّفِي الشُّو قِ شَايِبَ مُزْنَةٍ مِرْعَادِي
 وَقَالَ :

أَمَّا رَاعٍ قَلْبَ الْعَامِرَةِ أَنْتَى غَدَوْتُ وَمَرْجُوعُ الْقَامِ قَرِينِي

(١) في نسخة « بنى المجازة » وفي أخرى « بنى المجادة » وأبنة الفلاة : الناقة (م)

وقال :

أَكَاثِمُ لَوَاعَاتِ الْهَوَىٰ وَيُبَيِّنُهَا تَخَلَّلَ مَاءَ الشَّوْقِ بَيْنَ جُفُونِي
ومطرورة الإنسان في كل لوعة لها نظرة موصولة بخنين
[من آداب آل وهب]

وقال الحسن بن وهب بن سعيد :

أَبْكُ فَيَنْ أَحْسَنَ مَا فِي الْبَكْيِ أَنْ الْبَكْيُ لِلرَّجْدِ تَحْلِيلُ
وهو إذا أنت تأملتَهُ حزن على الخدين محلل
وقد أعرق بنو وهب في الكتابة وأنجبوا ، ولهم في هذا الكتاب ما يشهد
لهم بما نُسب إليهم ، وفيهم يقول الطائي :

كل شيب كنتم به آل وهب فهو شحبي وشيب كل أدب^(١)
إن قلبي لكم كالكبِدِ الْحَرَّى وقابلي لتبركم كالتلُوبِ
وفي هذه القصيدة يقول في مدح سليمان بن وهب :

مَا عَلِ الْوُسْجُ الرُّوَاتِكُ مِنْ عَيْبٍ إِذَا مَا أَنْتَ أَبَا أَيُّوبِ
حَوْلٌ لَا فِئَالَهُ مَرْتَعُ الْقَدَمِ وَلَا عِرْضُهُ مَنَاخُ الْمُيُوبِ
واجد بالصديق من بُرَحَاءِ الشَّيْءِ وَقِيَّ وَجْدَانِ غَيْرِهِ بِالْحَيْبِ
أَخَذَ سُلَيْمَانُ مِنْهُ مَعْنَى هَذَا الْبَيْتِ الْآخِرِ ، قَالَ فِي رِسَالَةٍ لِمَعْصُومِ إِخْوَانِهِ :
ظَرَفُ الصَّدَاقَةِ ، أَرْقُ مِنْ ظَرْفِ الْعِلَاقَةِ ، وَالنَّفْسُ بِالصَّدِيقِ ، آتَسُ مِنْهَا
بِالشَّقِيِّ . قَالَ لَهُ أَبُو تَمَامٍ : كَلَامُكَ هَذَا أَرْقُ مِنْ شَغْرِى .

والحسن بن وهب حسنُ الشعر والبلاغة ، جَيِّدُ اللِّسَانِ ، حَلُوُ الْبَيَانِ ، وَكَانَ
يُحِبُّ بَيَانَ جَارِيَةِ مُحَمَّدِ بْنِ حَمَّادٍ ، وَلَهُ فِيهَا شِعْرٌ جَيِّدٌ ، وَلَهَا يَقُولُ :

(١) أَصْلُ هَذَا هُوَ قَوْلُ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لَوْ سَلَكَ النَّاسُ
شَبَابًا وَسَلَكَ الْأَنْصَارُ شَبَابًا لَسَكَّتْ شُعْبُ الْأَنْصَارِ » (م)
(٢) الْوُسْجُ : جَمْعُ وَاسِجَةٍ ، وَهِيَ النَّاقَةُ السَّرِيعَةُ السَّيْرِ ، وَالرُّوَاتِكُ : جَمْعُ
رَاتِكَةٍ وَهِيَ مُتَقَارِبَةُ الْخَطُولِ (م)

أقول وقد حاولتُ قبيلَ كفتها وفي رعدةٍ أهرتُ منها وأسكن
 لبهتك أُنَى أشجعُ الناسِ كلامهم لدى الحربِ إلا أُنَى عنك أجنُ
 وحضرتُ مجلسه وبين يديه نارُ فأمّرتُ بإزالتها ، قال :
 بأبي كرهتُ النارَ حتى أُهدتُ فسلمتُ ما بمنّاك في إبعادها
 هي حرّةٌ لك في التّماعِ ضيائها وهبوبٍ نفّحتها لدى إبقادها
 وأرى ضيمك في القلوبِ ضيئها بسيلها وأراكِها وعراؤها^(١)
 شرّكتك في كلِّ الأمورِ يفتلها وضيئها وصلّاها وفادها
 وإلى هذا ينظر قول الأمير تميم بن الحرّ :

ما هجرتُ الدّامَ والوردَ والبِد رَ طَوّجَ ، لكن برغمٍ وكُرو
 منعتني من الثّلامةِ مَنْ لَو قتلني لم أحكِ واللهِ مَنْ هِي
 قالت الوردُ واندأمةُ والبِد رُ ضيائي ولونُ خدي ودّجعي
 قلت بخلاً بكلِّ شيءٍ فقالت لا ولكن بخلتُ بي وببجعي
 قلت يا ليتني شبيهك قالت إنما يقتلُ الحبُّ التّشعّي
 ولما مات الحسين بن وهب - وكان موته بالشّام - عَزَى عنه أخوه سليمان
 فجاء أبو العيّن ، قال : أنشدني أبو سعيد الأصمّي :

لمرى لِنَمِّ امرءٍ من آلِ جعفر بحورانِ أمسى أعلقتَه الحبالُ
 لقد قدوا عَزْماً وحزْماً وسؤدداً وعِلماً أصيلاً خالفتَه الجبالُ
 فإن عشتَ لم أملِ حياتي وإن مت فما في حياتي بعد موتك طائلُ
 قال سليمان : أحسن الله جزاءك ، ووصل إياهك ، إن هذا لمن أحسن
 الشعر ، وقد تمثّل به قتيبة حين بلغه موتُ الحجاج ، ولكني أقول كما قال كعب
 ابن سعد الفزاري يري أخاه أبا انخوار :

(١) السيل - بزة الدحّاب - شجر سبط الأغصان ، والأراك : الشجر الذي
 تتخذ من أغصانه للساويك ، والعراد : شجر صلب ، واحدته عرادة .
 (٤ - زهر الآداب ٣)

أخى ما أخى لا فاحشٌ عندَ بَيْتِهِ ولا وَرَعٌ عندَ التَّاءِ هَيُوبُ
 حلِمٌ إذا ما سَوْرَةُ الجَهْلِ أَطْلَقَتْ حُجِّي الشَّيْبِ ، للنَّفسِ اللَّجُوجِ غُلُوبُ
 حبيبٌ إلى الزَّوَارِ غُشْيَانُ بَيْتِهِ جميلٌ الحَيَا شَبٌّ وَهُوَ أَرِيبُ
 إذا ما تَرَا آهَ الرِّجَالُ تَحَفَّظُوا فلم تُنْطَقِ العَوْرَاةُ وَهُوَ قَرِيبُ

فانصرف الناس يمججون من علم سليمان ، وحسن جوابه ، وصحة تمثله .

والآيات التي أشدها الأصمى للحطينة ، واسمه جَرَّوْلُ بنُ أَوْسٍ بنِ جُرَيْمٍ
 ابن مخزوم بن مائك بن غالب بن قطيفة بن عَبْسٍ بن بَنِيض ، يقولوا في علقمة
 ابن عَلَاقَةَ وفيها يقول :

فما كان يَبْنِي لَوَقَيْتِكَ سَالَا وبين النَّفَى إِيلاً لِيَالٍ قَلَالِ

قال سليمان بن وهب : لما جار علينا بالنسكة السلطان ، وجفأنا من أجلها
 الإخوان ، أنصفنا ابن أبي ذؤاد بطوئه ، وكفانا الحاجة إليهم بتفعله ، فكنا
 وإياه كما قال الحطينة :

جاوَرْتُ آلَ مَقْلَدٍ فَحَمِدْتُهُمْ إذ لا يكادُ أخو جوارٍ يُجَمِّدُ
 أَيَّامٌ مَن يَرِدُ الصَّنِيعَةَ يَصْطَلِعُ فينا ، وَمَنْ يَرِدُ الزَّهَادَةَ يَزْهَدُ
 وله فصل إلى بعض إخوانه :

لك أن تتعب ، وشبهك أن يعذر ؛ فهَبْ أَقْلَ الْأَمْرَيْنِ لَأَكْثَرِهَا ، وقَدِّمْ
 فضلك على حَقِّكَ ، وبقينك على شَكِّكَ .

ووصف رجلاً بليفاً فقال : كان واللهِ واسعَ المنطق ، جَزَلَ الْأَقْفَاظُ ، ليس
 بالهَذِرِ في لَفْظِهِ ، [ولا المَلْطَفِ مقصده ؛ معناه إلى القلم أسرع من لَفْظِهِ إلى الشَّعْرِ] .
 وهذا ضدُّ قولِ محمد بن عبد الملك الزيات في عبيد الله بن يحيى بن خاقان :
 هو مهزولُ الْأَقْفَاظِ ، غليظُ اللِّسَانِ ، سخيْفُ الْعَقْلِ ، ضَمِيفُ الْعَقْدَةِ ، وإيهِ
 التَّزْمُ ، ما فَوْنُ الرَّأْيِ

ألفاظ لأهل العصر في ذم الكتاب والكتّاب والنز والشعر

الْحَرَسُ أَحْسَنُ مِنْ كَلَامِهِ ، وَالْمِىَّ أَبْلَغُ مِنْ بَيَانِهِ ، حَاطَرُهُ يَنْبُو ، وَقَلَمُهُ يَكْبُو ، وَيَسْهُو وَيَنْطَلُ ، وَيَخْطِى وَيُسْقِطُ . هُوَ قَصِيرُ بَارِعِ الْكِتَابَةِ ، قَاصِرُ مَتْنِ الْخُطَابَةِ ، وَكُنْبُهُ مُضْطَرِبَةُ الْأَلْفَاظِ ، مُتَفَاوِتَةُ الْأَجَاضِ ، مُنْتَشِرَةُ الْأَوْضَاعِ ، مُتَبَايِنَةُ الْأَغْرَاضِ . الْجُلْمُ أَوْلَى بِكَلَمِهِ مِنَ الْقَلَمِ ، وَالطَّاسُ أَلْيَقُ بِهَا مِنَ الْقِرَاطِ . كَلَامُ تَبُو عَنْ قَبُولِهِ الطَّبَاعِ ، وَتَجَاقَى عَنْ اسْتِماعِهِ الْأَسْمَاعِ . الْفَاطُ تَلْبُو عَنْهَا الْأَذَانُ فَتَجِبُهَا ، وَتَنْكَرُهَا الطَّبَاعُ فَتَرْجُهَا . كَلَامُ لَا يَرْفَعُ الطَّبِيعُ لَهُ حِجَابُهَا ، وَلَا يَفْتَحُ السَّمْعُ لَهُ بَابُهَا . كَلَامُ يَصْدِي^(١) الرِّيَّانَ ، وَيَصْدِي الْأَفْهَامَ وَالْأَذْهَانَ . كَلَامُ قَدْ تَعَمَلُ فِيهِ حَقٌّ تَبْذُلُ ، وَتَكَلَّفُ حَقٌّ تَمْتَفُّ . طَبِيعُ جَاسٍ ، وَلَقَطُ قَاسٍ ، لَا مَسَاغَ لَهُ فِي تَمَعٍ ، وَلَا وَضُولَ لَهُ مَعَ خُلُودِ زَعٍ . كَلَامُ لَا الرُّوْيَةَ ضَرَبَتْ فِيهِ بَسْمُهُ ، وَلَا الْفِكْرَةَ جَالَتْ فِيهِ بَقْدَحُ . كَلَامُ تَتَمَتَّرُ فِي حَزُونَتِهِ ، وَتَتَحَوَّرُ الْأَفْهَامُ مِنْ وَغُورَتِهِ . كَلَامُ ضَعِيفَةُ الْإِثْقَانِ ، قَلِيلَةُ الْأَعْيَانِ ، مُضْمَحَلَةٌ عَلَى الْإِمْتِحَانِ . أَلْفَاظُ تَتَمَتَّرُ مِنَ الدِّيَاجِي ، وَمَعَانٍ تَتَدَّرُ مِنَ الْأَتَانِي . كَلَامُ بِمِثْلِهِ يَنْسَلُ الْخُرْسُ عَنْ كَلَمِهِ ، وَيَفْرَحُ الْأَصَمُ بِصَمِّهِ ، أَثْقَلُ مِنَ الْجَنْدَلِ ، وَأَسْرَءُ مِنَ الْخَنْظَلِ . هُوَ هَذِيانُ الْحُمُومِ ، وَسُودَاءُ الْحُمُومِ . كَلَامُ رَثٌّ ، وَمَعْنَى غَثٌّ ، لَا طَائِلَ فِيهَا ، وَلَا مَلَاوَةَ عِلْمًا . أَيْيَاتُ لَيْسَتْ مِنْ مَحْكَمِ الشَّعْرِ وَحِكْمِهِ ، وَلَا مِنْ أَجْجَالِ الْكَلَامِ وَغُرَرِهِ . شَعْرٌ ضَعِيفٌ الصَّنْعَةِ رَدَى الصَّيْفَةِ بِنَيْضِ الصَّفَةِ [وَقَدْ جَمَعَ بَيْنَ إِقْوَاءِ^(٢) وَإِطَاءِ ، وَإِطَاءِ وَإِخْطَاءِ . مَا قَطَعَ فِي شَعْرِهِ شَفْرَةٌ] وَلَا سَقَى قَطْرَةً . لَوْ شَعَرَ بِالْقَصْرِ ، مَا شَعَرَ .

(١) الصدى : العطش ، وأصداء : أعطشه ، ولربان : للمتنى . ربا (م) .

(٢) الإقواء والإيطاء : ضربان من عيوب القافية ، فالإقواء : هو تغيير حركات

الروى ، والإيطاء : إعادة كلمة الروى لفظاً ومعنى (م) .

لا يميز بين خيش القول وطيبه ، ولا يفرق بين بكره وثيبه . هو بارد المبالاة ،
 ثقيل الاستمارة . هو من بين الشعراء منبوذ بالمرءاء . لم يلبس شعره حلة الطلاوة .
 له شعر لا يطيب دَرَسه ، ولا يخف سَرَدَه ، وخطُّ مضطرب الحروف ، متضاعف
 التضييف والتحريف . خطُّ يُقْدِى المين ويُسْحِي الصدر . خط منقطع ، كأنه أرجل
 البط ، أو نامل السرطان ، على الحيطان . قلبه لا يستجيب بَرِه ، ومداذه لا يساعده
 جَرِيه . قلبه كالولد المات ، والأخ الشاق ، إذا أقرته استتال ، وإذا قومتها
 مال ، وإذا بسنته وقف ، وإذا وقفته انصرف . قلم مائل الشق ، مضطرب
 للشق ، متفاوت [التزيى ، معدوم التجزئى ، محرف القط . قلم لم يُقَلِّمْ غلظه
 فهو] يخذش القِرطاس ، وينتش الأقباس^(١) ، ويأخذ بالأنفاس . قلم لا يُنمِث
 إذا بسنته ، ولا يقف إذا وقفته . قد وقف اضطراب [بَرِيه ، دون استمرار]
 جَرِيه ، واقتطع تفاوت قَلَمه ، عن تجويد خطه .

[وصف الكلام]

وصف كلام
العرب لستة
 ذكر محبة بن أبي سفيان كلام العرب فقال : إن للعرب كلاماً هو أرق من
 ابن أبي سفيان الهواء ، وأعذب من الماء ، سرق من أفواههم مروق السهام من رقيتها ، بكلمات
 مؤلفات ، إن قُشرت بفسيرها عطلت ، وإن بدلت بسواها من الكلام
 استصعبت ؛ فسهولة ألفاظهم توهّمك أنها ممكنة إذا سمعت ، وصعوبتها تملكك
 أنها مفقودة إذا طُلبت . هم اللطيف فهمهم ، النافع علمهم ، يلتفتهم نزل القرآن ،
 وبها يدرك البيان ، وكل نوع من معناه مُبين لما سواه ، والناس إلى قولهم
 يصيرون ، وبهدام يأتون ، أكثر الناس أحلاماً ، وأكرمهم أخلاقاً .
 وكان يقال : خير الكلام لأطيع للمتع .

(١) الأقباس : جمع قس - بكسر التثنية وسكون الهاء - وهو اللباد
 (الحرير) (م) .

وَأَشْدُّ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ الشُّوْلِيُّ خَلَّاهُ النَّبَاسُ بْنُ الْأَحْنَفِ :

إِلَيْكَ أَشْكُورِبَ مَا عَمَلِي فِي مِنْ صَدِّ هَذَا الْعَاتِبِ الَّذِي
إِنْ قَالَ لَمْ يَفْعَلْ ، وَإِنْ سِيلَ لَمْ يَبْذُلْ ، وَإِنْ عُوتِبَ لَمْ يُعْتَبِ
صَبٌّ بِمِصْيَانِي ، وَلَوْ قَالَ لِي لَا تُشْرَبِ الْبَارِدَ لَا أَشْرَبِ

ثم قال : هذا واقع الشعر الحسن المعنى ، السهل اللفظ ، المذهب المستمع ،
الصعب الممتنع ، المزيج النظير ، التليل الشبيه ، البعيد مع قرينه ، الحزين مع
سهولته ، فجعل الناس يقولون : هذا الكلام أحسن من الشعر .

وقال أبو العباس الناشي يصف شعره :

الناشي
يصف شعره

يَحْبِرُ الشَّعْرَاءُ إِنْ سَمِعُوا بِهِ فِي حُسْنِ صَنْعَتِهِ وَفِي تَأْلِيفِهِ
فَكَأَنَّهُ فِي قُرْبِهِ مِنْ قَهْمِهِمْ وَكَوَلَمْ فِي الصَّخْرِ عَنْ تَرْصِيفِهِ
شَجَرٌ بَدَأَ لِلْمَنْحَنِ حُسْنَ نَبَاتِهِ وَتَأَى عَنِ الْأَيْدِي جَنَى مَقْطُوفِهِ
فَإِذَا قَرَنْتُ أَبْيَهُ بِمِطْلَعِهِ وَفَرَّقْتُهُ بِمَرْيَبِهِ وَطَرِيفِهِ
أَلْقَيْتُ مِنْهُ يَطْلُقُ لَفْظُهُ وَالنَّظْمُ مِنْهُ جَلِيَّةٌ بِطَلِيفِهِ
فَأَتَاهُ مَقَرٌّ عَلَى إِحْسَانِهِ قَدْ نَيْطُ مِنْهُ رَزِينُهُ بِخَفِيفِهِ
هَذَبْتُهُ فَبَجَلْتُهُ لَكَ بَاقِيَا وَمَنْتُ صَرْفَ الدَّهْرِ عَنْ تَضَرُّفِهِ

وقال الناشي في فُصْلٍ مِنْ كِتَابِهِ فِي الشُّعْرِ : الشُّعْرُ قَيْدُ الْكَلَامِ ،
وعقلُ الْآدَابِ ، وَسُورُ الْبَلَاغَةِ ، وَمَعْدَنُ الْبَرَاةِ ، وَجَالُ الْجَنَانِ ، وَمَسْرَحُ الْبَيَانِ ،
وَذَرِيعةُ التَّوَسُّلِ ، وَوَسِيلَةُ التَّوَصُّلِ ، وَذِمَامُ التَّرِيبِ ، وَحُرْمَةُ الْأَدِيبِ ، وَعِصْمَةُ
الْمُحَارِبِ ، وَعُدَّةُ الرَّاهِبِ ، وَرَحَاةُ الدَّائِي ، وَدَوَّحَةُ التَّشْتِلِ ، وَرُوحَةُ التَّحْتِلِ ،
وَحَاكِمُ الْإِعْرَابِ ، وَشَاهِدُ الصَّوَابِ .

وقال في هذا الكتاب : الشُّعْرُ مَا كَانَ سَهْلَ الْمَطَالَعِ ، فَصْلُ الْقَاطِعِ ، فَخْلُ

للدمج ، جَزَلُ الافتخار ، شَجَى النسيب ، فَكِهَ النزل ، سَأَرَ اللَّئْل ، سليم الزلل ،
 عديم الخلل ، رائع الهجاء ، موجب المذرة ، مُحَبَّ المعبة ، مُطْلِعُ المالك ،
 فَاثِتُ الدارك ، قريب البيان ، بعيدَ المعاني ، نَأَى الأغوار ، ضاحى الترار ، نَقَى
 اللششف ، قد هَرِيقَ فيه ماء النصاحة ، وأضاء له نور الزجاجة ، فأنهل في صادي
 القهم ، وأضاهى بهيمِ الرأي . لتأمله ترقق ، ولستشفه تألق ، يروق المتوسم ،
 ويسر للترسم ؛ قد أبدت صدوره مُتُونه ، وزَهَتْ في وجوهه عيونه ، واتقادت
 كواهله لمواديه ، وطابقت [ألقاظه معانيه ، وخالقت أجناسه مبانيه ، فاطرد
 لمتصفحه ، وأنار] لمستوضحه ، وأشبَهَ الروضَ في وَشَى ألوانه ، وتعمَّم أفعانه ،
 وإسراق نواره ، وابتهاج أنجاده بأغواره ؛ وأشبَهَ الوشَى في اتفاق رُقُومِهِ ، واتساقِ
 رُسُومِهِ ، وتسطير كُفُوفِهِ ، وتعمير فُوفِهِ ؛ وحكى المَقْدَ في الثمام فُصُولِهِ ، وانتظام
 وُصُولِهِ ، وازديان ياقوته بدُّرِهِ ، وفريذه بشَدْرِهِ ، فلو اكتنف الإيجاز موارده ،
 وصقلت مَدَاوِسُ الدرية مناصله ، وشحذت مدارس الأدب فياصِلَهُ ، جاء سليما
 من اللمايب ، مهذبا من الأدناس ، تتعاشاه الآن ، وتتحاتاه الهُجَن ، مُهْدِيا إلى
 الأنعام بهجته ، وإلى العقول حِكْمَتِهِ .

موقوف في
الشعر

وقد قلت في الشعر قولاً جملته مثلاً لقائيه ، وأسلوبا لساكنيه ، وهو :
 الشعرُ ما قومت زَيْغَ صدوره وشددتَ بالتهذيب أَمْرَ مُتُونِهِ
 ورأيتَ بالإطباب شَمَبَ صدوعه وفتحتَ بالإيجاز غورَ عُيُونِهِ
 وجمعتَ بين قريه وبيدِهِ ووصلتَ بين محته ومعِينِهِ
 وعقدتَ منه لكل أمر يقتضيه شَبْهاً به قمرته بقرِينِهِ
 فإذا بكيت به الديارَ وأهلها أُجْزِيتَ للمحزون ماء شُئُونِهِ
 ووكلته بهيمه وغُصومِهِ دهرًا فلم يَسِرَ الكرى بمغُونِهِ

وَإِذَا مَدَحْتَ بِهِ جَوَادًا مَاجِدًا وَقَضَيْتَ بِالشَّكْرِ حَقَّ دُيُونِهِ
أَصْفَيْتَهُ بِغَيْبِهِ وَرَصِينَهُ وَمَنْعْتَهُ بِخَطْبِهِ وَثَمِينَهُ
فَيَكُونُ جَزَلًا فِي اتِّفَاقِ صُنُوفِهِ وَيَكُونُ سَهْلًا فِي اتِّسَاقِ فُتُونِهِ
وَإِذَا أَرَدْتَ كُنَايَةً عَنْ رَيْبَةٍ بَايَنْتَ بَيْنَ ظَهْرِهِ وَبُطُونِهِ
لَجَلْتَ سَامِعَهُ بِشُوبِ شَكْوَكِهِ بَيَّانِهِ وَظُنُونِهِ بِبِقِينِهِ
وَإِذَا عَتَبْتَ عَلَى أَخٍ فِي زَلَّةٍ أَدْمَجْتَ شِدَّتَهُ لَهُ فِي لِينِهِ
فَرَكَّعْتَهُ مُتَأَنِّسًا لِمَعَايَةِ مُسْتَيْسًا لَوْعُونِهِ وَحَزُونِهِ
وَإِذَا نَبَذْتَ إِلَى الْقِي عَاقِبَتَهَا إِنْ صَارَتْ مَتَكَ بُقَاتِنَاتِ شَتُونِهِ
تَيَمَّنَّا بِلَطِيفِهِ وَرَقِيقِهِ وَشَفَقْنَا بِخَفِيقِهِ وَكِينِهِ
وَإِذَا اعْتَذَرْتَ إِلَى أَخٍ فِي زَلَّةٍ وَاشْكَيْتَ بَيْنَ مُحِيلِهِ وَمُؤِينِهِ
فَيَحْشُرُكَ ذَنْبُكَ عِنْدَ مَنْ يَمْتَدُّهُ عَقْبًا عَلَيْكَ مُطَالِبًا يَمِينِهِ
وَالْقَوْلُ يَحْسُنُ مِنْهُ فِي مَشْهُورِهِ مَا لَيْسَ يَحْسُنُ مِنْهُ فِي مَوْزُونِهِ

وقال الخليل بن أحمد : الشعراء أمراء الكلام ، بصرفونه أنى شأوا ؛ للخليل بن أحمد
وجازت لهم مالا يجوز لتيرهم : من إطلاق المعنى وتقييده ، ومن تصريف اللفظ
وتقييده ، ومدّ مقصوره ، وقصر مدوده ، والجمع بين لغاتيه ، والتفريق
بين صفاته

وقال : الشعرُ حليةُ اللسان ، ومدَرَجَةُ البيان ، ونظامُ الكلام ، مقسوم
غَيْرُ مَحْظُور ، ومَشْرُكٌ غَيْرُ مَحْصُور ، إلّا أنه في المرب جَوْهَرِيٌّ ، وفي
المعجم صِنَاعِيٌّ .

قال أعرابي لشاعر من أبناء القرس : الشعرُ للعرب ، فكلُّ مَنْ يَقُولُ
الشعرَ مِنْكُمْ فَإِنَّمَا نَزَّأَ عَلَى أُمِّهِ رَجُلٌ مِنَّا ! قال الفارسي : وكذلك من لا يَقُولُ
الشعرَ مِنْكُمْ ، فَإِنَّمَا نَزَّأَ عَلَى أُمِّهِ رَجُلٌ مِنَّا !

بين أعرابي
وفارسي

لهامة بن عقيل وقال عمار بن عقيل : أجود الشعر ما كان أمّلس المتون ، كثير الميون ،
ولا يمجّه السمع ، ولا يستأذن على القلب . وأنشد الجاحظ شعر أبي الناهية فلم
يرضه ، وقال : هو أمّلس المتون ، ليس له عيون . كأنه وحمارة تمجّذا
كلاماً واحداً .

وقال ابن عقيل : الشعر بضاعة من بضائع العرب ، ودليل من أدلة
الأدب ، وأثارة من أثار الحسب . ولن يهز الشعر إلا الكريم المتخذ ،
الكثير السؤدد ، الكلف بذكر اليوم والقد .

ومدح بشار المهدي فلم يعطه شيئاً ، فقيل له : لم تجد في مدحه . فقال :
لا والله ، لقد مدحته بشعر لو قلت مثله في الدهر لما خيف صرفه على حر .
ولكني أكذب في السمل ، فأكذب في الأمل .

نظمه الناجم قال :

ولى في أحمد أمل بعيد ومدح حين أنشده طريف
مدائح لو مدحت بها الليالي لما دارت على لها صروف

قال هشام بن عبد الملك لخالد بن صفوان : صيف لي جريراً والفرزدق والأخطل ،
قال : يا أمير المؤمنين ، أما أعظمهم فخراً ، وأبعدهم ذكراً ، وأحسنهم عذراً ،
وأعزهم متلاً ، وأقلهم غزلاً ، وأحلام عيلاً ، البحر الطامي إذا زخر ، والحاوي
إذا زعر ، والسامى إذا خطر ، [الذى إذا هدر جال ، وإذا خطر صال ، التصحيح
اللسان ، الطويل المتان ، والفرزدق . وأما أحسنهم نعتاً ، وأمدحهم بيتاً ، وأقلهم
قوتاً ، الذى إن هجا وضع ، وإن مدح رقع ، فالأخطل . وأما أغزرهم بحراً ،
وأرقهم شعراً ، وأكثرهم ذكراً ، الأغز الأبلق ، الذى إن طلب لم يُسبَق ، وإن
طلب لم يُلتحق ، فجرير . وكلهم ذكى القواد ، رفيع العاد ، وأرى الزناد .

قال مسلمة بن عبد الملك ، وكان حاضراً : ما سمعتك يا ابن صفوان في الأولين
ولا في الآخرين ، أشهد أنك أحسنهم وصفاً ، وأليئهم عطفاً ، وأخفهم مقالا ،

وأكرمهم فضلاً . فقال خالد : أتم الله عليك نعمته ، وأجزلك قيسه . أنت والله أيها الأمير - ما علمت - كريم الفرائس ، عالم بالناس ، جواد في الخل ، بسام عند البذل ، حلیم عند الطيش ، في الذروة من قریش ، من أشرف هبد شمس ، وبومك خير من الأس .

فضحك هشام وقال : ما رأيت مثلك يا بن صفوان لتخلصك في مدح هؤلاء ، ووصفهم ، حتى أرضيتهم جميعاً وسميت منهم .

ودخل المجاج على عبد الملك بن مروان فقال له : بلغني أنك لا تحسن المعباء ، فقال : يا أمير المؤمنين ، من قدر على تشييد الأبنية ، أمكنه خراب الأخبية ، قال : ما يمنعك من ذلك ؟ قال : إن لنا عزاً يمنعنا من أن نظلم ، وحلماً يمنعنا من أن نظلم ، قال : لكلماتك أحسن من شعرك ، فما العز الذي يمنعك أن تظلم ؟ قال : الأدب [البارع ، والفهم الناصع . قال : فما الحلم الذي يمنعك من أن تظلم ؟ قال : الأدب] المستطرف ، والطبع النال ، قال : لقد أصبحت حكيماً . قال : وما يمنعني من ذلك وأنا نجي أمير المؤمنين ؟

قال أبو إسحاق : وليس كما قال المجاج ، بل لكثير من الشعراء طبايع تغبوا عن المعباء كالطائي وأضرابه ، وأصحاب المطبوع أقدر عليه من أهل المصنوع ، إذ كان المهجو كالنادرة التي إذا جرت على سجيئة قائلها ، وقربت من يد متناولها ، وكان واسع العطن ، كثير القطن ، قريب القلب من اللسان ، التهبت بنار الإحسان .

وما ينحو هذا النحو من مقامات أبي الفتح الإسكندري إنشاء بديع الزمان قال : حدثنا عيسى بن هشام قال : طرحتني النوى مطارحها ، حتى إذا وطئت جرجان الأقصى ، فاستظهرت على الأيام بضياء أجلت فيها يد العيارة ، وأموال وقتها على التجارة ، وحانوت جعلته متابة ^(١) ، ورقة اتخذتهم صحابة ، وجعلت لدار حاشيق النهار ، والحانوت ما بينهما ؛ فجلسنا يوماً تتذاكر الشر والشراء ،

(١) الحانوت : دكان الحمار ، ومتابة : مكان يرجع إليه كلما أراد .

بين المجاج
وعبد الملك
بن مروان

للقامة القريضة
من مقامات
البديع يصف
الشراء

وتلقاها شاب قد جلس غير بعيد ، يُنصت وكأنه يفهم ، ويسكت وكأنه لا يعلم ، حتى إذا مال الكلامُ بنا عليه ، وجرا الجدَلُ فينا ذيله : قال : أصبحتُم عذيقه^(١) ، ووافيتُم جذيله ، ولو شئتُ لقلقتُ [فأفضتُ] ، وو أردتُ لسردت ، وبلجت الحق في مريض يسمعُ الصم ، ويُنزِلُ المصم . قلت : يا فاضل ، أذنُ قد منيت ، وهات قد أثيت ، فدنا وقال : سلوني أجيبكم ، واستمعوا أعجبكم .

قلنا : فما تقول في امرئ القيس ؟ قال : هو أول من وقف بالديار وعَرَصاتها ، وأغندى والطيرُ في وُكُناتها ، ووصف الخيلَ بصفاتها ، ولم يقل الشعرَ كاسيا ، ولم يُجدِ القولَ راغبا ، ففضل من تنقَّى لأجيلة لسانه ، وانتجع للريفة بناءه . قلنا : وما تقول في النابغة ؟ قال : ينسب إذا عَشِقَ ، ويثَلُب إذا حَنَقَ ، ويمدح إذا رَغِبَ ، ويعتذر إذا رَهَبَ ، فلا يرى إلا صائبا .

قلنا : فما تقول في طرفة ؟ قال : هو ماء الأعمار وطينتها ، وكَنزِ القوافي ومدينتها ، مات ولم تظهر أسرارُ دقائمه ، ولم تطلق عَتاق خزانته . قلنا : فما تقول [في زهير] ؟ قال : يُذيب الشرَّ والشرُّ يذيبه ، ويدعو القولَ والسَّحرُ يُجيبه .

قلنا : فما تقول [في جرير والفرزدق] ؟ وأيهما أَسْتَبِقُ ؟ قال : جرير أرق شعرًا ، وأغزر غزرا ، والفرزدق أمتنُ صغرا ، وأكثرُ غصرا ، وجرير أوجعُ هَجْوا ، وأشرفُ يومًا ، والفرزدق أكثرُ رُوما ، وأكثرُ قوما ، وجرير إذا نسب أشجى ، وإذا ثَلَب أَرْدَى ، وإذا مدح أَسْفَى ، والفرزدق إذا افتخر أجزى ، وإذا وصف أَوْفَى ، وإذا احتقر أَرزَى .

قلنا : فما تقول في المحدثين من الشعراء والمتقدمين منهم ؟ قال : المتقدمون أشرفُ لفظًا ، وأكثرُ في المعاني خطأ ، والمتأخرون أَلطفُ صُنْما ، وأرقُّ نَسْجا .

(١) عذيقه : مصفر علق - بالكسر - وأصله النخلة يحملها

قلنا : فلأريت من أشعارك ، ورويت من أخبارك ، قال : خذها في معرض واحد ، وأنشد :

أما تروني أنقش طمرا - ملتصفا في القبر أنمرا إثرأ
منطويا على الليالي غمرا - ملاقيا منها صروفا حُمرا
أقصى أمانى طلوع الشمرى - فقد عينا بالأماني دُمرا
وكان هذا المرء أعلى قدرا - وماء هذا الوجه أغلى سُمرا
ضربت للسرور قيبابا خُفرا - في دار دَلْرا ولبوان كُفرا
فاقلب الدهر ليلتي ظهرا - وعاد عرفت التيش عندى نُكرا
لم يبق من وفري إلا ذُكرا - نعم إلى اليوم هلم جَرا
ولا عبوز لي بسر من را - وأفرخ دون جبال بُعْرا
قد جلب الدهر إليهم شرا - قتلْتُ يا سادة نفسي صَبْرا !

قال عيسى بن هشام : فُلْتُه ما تاح^(١) ، وأعرض عنا فراح ، وجعلت أنفيه وأنتبه ، وأنكره وكأني أعرُفه ، ثم دلتني عليه ثناياه ، قلت : الإسكندري والله ؛ فلقد كان فارقتنا خشنا ، وواقانا جلفا^(٢) ، ونهضت على إثره ، ثم قبضت على خصره ، وقلت : ألسنت أبا الفتح ؟ ألم تكن فينا وليدا ، ولبت فينا من حُمرِكَ سنين ؟ فأني مجوز لك بسر من رأى ؟ فضحك وقال :

وبحك هذا الزمان زور - فلا يفرتك القُرور
غرق وبرق وكل وطرق - وأسرق وطلق لمن تَورور
لا تلزم حلة ولكن - دُر ليالي كما تدور

(١) ثلته : أعطته ، وماتح : ماتميا وكان حاضرا عندي (م) .

(٢) الحشف - بالكسر - وله الظلية ، والجلف : الفليظ الجاني (م) .

ومن إنشائه مقامة ولدها على لسان عصمة وذى الرمة قال : حدثنا عيسى بن هشام قال : بينا نحن في مجتمع لنا ومعنا يومئذ رجلٌ الرب حفظاً وروايةً عصمة ابن بذر الفرزاري ، فأفضى الكلامُ إلى ذكرٍ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ خَصْمِهِ حِلْماً ، أو أَعْرَضَ عَنْهُ خَصْمُهُ احتقاراً ، حتى ذكر الصلتان العبدى واللعين النفرى ، وما كان من احتقار جرير والفرزدق لهما . فقال عصمة : سأحدثكم بما شاهدته عيني ، ولا أحدثكم عن غيري : بينا أنا أسيرُ في بلاد تميم مرتحلاً نجبية ، وقائداً جنبية ، عن لي راكبٍ على أوزقٍ جعد اللُغَامِ^(١) ، فاجتاز بي رافعا صوتهُ بالسلام . قلت : مَنْ الراكبُ الجهورُ الكلام ، الحبي بتحية الإسلام ؟ فقال : أنا غيلان ابن عُقْبَةَ . قلت : مرحباً بالكرمِ بحَبِّهِ ، الشهير نبيه ، السائر منطقهُ . قال : رَحْبٌ وَإِيْدِيكَ ، وعزٌّ نَادِيكَ ، فمن أنت ؟ قلت : عصمة بن بدر الفرزاري . قال : حيّاكَ الله ، نعم الصديقُ ، والصاحبُ والرفيقُ . وسِرْنا فلما هَجَرْنَا قال : أَلَا نَعُورُ^(٢) يا عصمة فقد صهرتْنَا الشمسُ ؟ قلت : أَنْتَ وذَاكَ ، فملنا إلى شجرات الأله^(٣) كأنهن عذارى متبرجات ، قد نَشَرْنَ العِدَائِرَ ، وسرحن الضفائر ؛ لأنَّ لآلئاً متناوحات ؛ فحططْنَا رِحَالَنَا ، ونَلْنَا من الطعام ، وكان ذو الرمة زهيداً الأكل . وزال كلُّ مَنْأٍ إلى ظلِ أئلة يريد القائلة ، واضطجع ذو الرمة . وأردتُ أَنْ أَصْنَعَ صَنِيعَهُ ، فَوَلَّيْتُ ظَهْرِي الْأَرْضَ ، وعيناي لا يملسكها غمض ، فنظرتُ غير بعيدٍ إلى ناقةٍ كَوْمَاءَ ، ضَجَّيْتُ وَغَيَّطُهَا مُلْقًى^(٤) ، وإذا رجل قائمٌ يكلؤها كأنه عَظِيفٌ أَوْ أَسِيفٌ^(٥) ، فَلَمَّيْتُ عَنْهَا ، وما أنا والسؤال عما

-
- (١) أراد أنه يمتطي جملاً ، والأوزق : الذى لونه الورقة وهى يياض وسواد ، وجعد اللُغَام : كثير الزبد (م) .
(٢) نعور : قيل (م) . (٣) الألاه - كسحاب - شجر عظيم الظل (م) .
(٤) الكوماء : العظيم سنامها ، وضجيت : أصابتها الشمس بحرهما (م) .
(٥) العيف . الأجير ، والأسيف : العبد المملوك (م)

لا تَغْنِيْنِي ! ونام ذو الرمة غِرَارًا ، ثم اتبته ، وكان ذلك في أيام مُهَاجَتِهِ لذلِكَ
للرَّمَى . فرفع عقيرته ينشد فيه :

أَمْرٌ مَيَّةٌ الْعَلَلُ الدَّارِسُ	أَلْظَ بِهِ الْمَاصِفُ الرَّامِسُ
فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا شَجِيحُ الْقَذَالِ	وَمُسْتَوْقَدٌ مَالُهُ قَابِسُ
وَحَوْضٌ تَتَلَمَّ مِنْ جَانِبَيْهِ	وَعَتَقْلٌ دَائِرُ طَامِسُ
وَعَهْدِي بِهِ وَبِهِ سَكْنُهُ	وَمَيَّةٌ وَالْإِنْسُ وَالْأَنَسُ
سَتَأْنِي أَمْرًا الْقَيْسُ مَأْنُورَةٌ	يَنْفَى بِهَا الْمَاسِيرَ الْجَالِسُ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ أَمْرًا الْقَيْسُ قَدْ	أَلْظَ بِهِ دَاوُدُ النَّجَاسُ
مُ الْقَوْمُ لَا يَأْلَمُونَ الْمِجَاءَ	وَهَلْ يَأْلَمُ الْحَجَرُ الْيَاسِسُ ؟
فَالْهَمُّ فِي الْفَلَا رَاكِبٌ	وَالْهَمُّ فِي الْوُغَى قَارِسُ
إِذَا طَمَحَ النَّاسُ لِلْكِرَامَاتِ	فَطَرَفُهُمُ لِلطَّرِيقِ النَّاسِيسُ
تَعَاثُفُ الْأَكَارِمُ إِصْهَارُهُمُ	فَكُلُ نَسَائِهِمْ عَائِسُ

فلما بلغ هذا البيت جمل ذلك النام مسح عينيه ويقول : أذو انْزَمِيْمَةٌ
يُمنَعِي النوم بشر غير مثقف ولا سائر . قلت : يا غيلان ، من هذا ؟ فقال :
الفرزدق ، يعنى الفرزدق ، وحجى ذوالرمة :

وَأَنَا مُجَاشِعٌ الْأَرْدَلُونَ	فَلَمْ يَنْسُقْ مَيْتَهُمْ دَاجِسُ
سَيَقْلُهُمْ عَنِ مَسَاجِي الْكِرَامِ	عِقْلٌ ، وَيَحْيِيهِمْ حَائِسُ

قلت : الآن [يَشْرُقُ فَيُثْوِرُ ، و] يعم الفرزدق هذا وقيله بالهجاء .
فوافق ما زاد على أن قال : قبحاً لك يا ذا الرَّمِيَّة ! أتعرض لثلى بمنال منتحل !
ثم عاد في توبيه كأن لم يسمع شيئاً ، وسار ذو الرمة وسيرت ، وإني لأرى فيه
انكساراً حتى افترقنا .

قوله فيا ولد على الفرزدق « بمقال مُنتحل » ، يريد أن البيت الأخير منقول من قول جرير :

ألم تر أن الله أخزى مجاشعاً إذا ما أفاضت في الحديث المجاشعُ
وما زال معقولا عقلاً عن الندى وما زال محبوباً عن المجد حابسُ

عقال : ابن محمد بن [سعيد بن] مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك ابن زيد مناة بن تميم ، وهو جد الفرزدق . وحابس : ابن عقال بن محمد بن سفيان ابن مجاشع بن دارم ، وهو أبو الأقرع بن حابس أحد المؤلفين قلوبهم .

قِر في الشعر

قيل لابن الزبيري : لم تقتر أشعارك ؟ فقال : لأنها أغلق بالسامع ، وأجول في الحافل .

وقيل ذلك لثقل بن علفة في أحاجيه ، فقال : يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق .

غيره : لسان الشاعر أرض لا تخرج الزهر حتى تستلف للطر ، وما ظنك بهوم الاقتصار محمود : لا فيهم ، والكذب مذموم إلا منهم . إياكم والشاعر فإنه يطلب على الكذب مؤوبة ، ويقرع جليسه بأدنى زلة .

أبو القاسم صاحب بن عباد : النثر يتطير كتنطير الشرر ، والنظم يبقى بقاء النفس في الحجر .

أبو عبيدة : الزحاف في الشعر كالرخصة في الدين ، لا يقدم عليها إلا فقيه . وقال أبو فراس الحمداني :

تناقص الناس المعاني لَمَّا رَأَوْا مَحْضَها نُهْوِي
تكلفوا للصكرات كذا تكلف الشعر بالترويض

وقد مدح الجاحظ العروض وذمها ، فقال في مدحها : العروض ميزان ،
ومراض بها يرفُ الصحيح من السقيم ، والليل من السليم ، وعيبها مَذَارُ الشعر ،
وبها يلم من الأود والكُسر . وقال في ذمها : هو علم مؤلّد ، وأدب مستبَدّ ،
ومذهب مرفوض ، وكلام مجهول ، يستنكر^(١) العقل بمستغفلن وفيول ، من غير
فائدة ولا محصول .

ومن مفردات الأبيات في هذا المعنى قول دعلج :

يموتُ ردىُّ الشعر من قبل أهلِهِ وَجَيْدُهُ يَبْزُقُ وَإِنْ مَاتَ قَائِلُهُ
البحرِيُّ :
أَغْنِيَا عَلَى ؛ فَلَا هَيَاةَ فَرَّقُ يَنْحَشِي الْمِجَاءُ ، وَلَا هَشٌّ فَيَمْتَدِّحُ
آخر :

[و] هَا يَقْتُلُ الشَّرَاءُ عَمَّا عِدَاوَةٌ مِنْ يُقَالُ عَنْ الْمِجَاءِ
أحمد بن أبي قنن :
وإنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِاللَّؤْمِ شَاعِرٌ يَلُومُ عَلَى الْبَحْلِ الْقَتَامَ ، وَيَبْغِلُ
وهذا كقول علي بن العباس الرومي في أبي الفياض سَوَّار بن أبي شراعة ،
وكان سَوَّار شاعراً مجيداً :

يَا مَنْ صَنَاعَتُهُ الدَّعَاءُ إِلَى السَّلَا نَاقَضَتْ فِي فِعْلِكَ أَيْ نَقَاضَ
عَجَبًا لِحَضَّاضِ الْكَرَامِ عَلَى الَّذِي هُوَ فِيهِ مُحْتَاجٌ إِلَى حَضَّاضِ
وَصَفَّ الْكَارِمَ وَهُوَ فِيهَا زَاهِدٌ وَرَأَى الْجَمِيلَ فِيهِ عَنْهُ تَقَاضِ
لَمْ أَلْقُ كَالشَّرَاءِ أَكْثَرَ حَارِضًا وَاشَدَّ مَمْتَنَةً عَلَى الْحَرَّاضِ^(٢)

(١) في نسخة « يستكد العقل بمستغفلن » وهي خير مما أثبتناه .

(٢) الحارضي : الكثير المموم .

كم فيهم من أمر برش يده لم يأتها ، ومرغب رفاض
يا حشرى لمودة أديسة لم تفرق عنها افتراق تراف
ليس المتألم بنافع في قاطع أغيا الشيب تسابع للقراف

ثم قال بعد هذا التبكيت والمتألم ما منه أن يتوهم أنه هجاء :

ولما هجوتك ، بل وعظمتك إننى لا أجمل الأعراض كالأغراض^(١)
فاكف سهاك عن أخيك فإنما آسفته ، فرمك بالمعراض
ففى حلت ووجدت أخف دهره ومتى جهلت منيت بالبراف
فاعذر أخاك على الوعد ؛ فإنما أذرت قبل الرمي بالإباض
[واعلم وقت الجهل أن خسة بطر النفى ومذلة الإباض]
ثم هجاء بقوله :

وما تكلمت إلا قلت فاحشة وكان فكئك للأعراض مقراف
مهما تفل فيسهاك منك مرسله وفوك قوسك والأعراض أغراض^(٢)
وابن الرومى هذا كما قال مسلم بن الوليد الأنصارى فى الحكم بن قنبر المازنى :
عابى من معائب هن فيه حكم فاشتق بها من هجائى
وكما قال الآخر :

ويأخذ صيب الناس من عيب نفسه مراد لعمري ما أراد قريب

[الأحنف بن قيس]

وروى عيسى بن دأب قال : أول ما عرف الأحنف بن قيس وقدم أنه وفد على
هرم بن الخطاب رضى الله عنه وكان أحدث القوم سنا ، وأقبحهم منظرا ، فتكلم كل

(١) الأغراض : جمع غرض ، وهو — بالتحريك — ما يجعله الراى هدفا
يقصد برميه إليه .

رجل من الوفد بحاجته في خاصته ، والأحف ساركت ، قال له امر : قل يا فتى !
 قدام فقال : يا أمير المؤمنين ، إن العرب نزلت بما كن طيبة ، ذات غار وأنهار
 عذاب ، وأكنة غليظة^(١) ، ومواضع فيجة ، وإنا نزلنا بسبيخة نشابة ، ماؤها
 ملح ، وأفتيتها ضيقة ، وإنا يأتينا للماء في مثل حلق النعامة فلا تتركنا يا أمير
 المؤمنين بخفر نهر ينزر ماؤه ، حتى تأتي الأمة فضرف بجرتها وإناتها أو شك أن
 نهلك ، قال : ثم ماذا ؟ قال : تزيد في صاعنا ومذنا ، وتثبت من تلاحق في المطاء من
 ذريتنا . قال : ثم ماذا ؟ قال : تخفف عن ضيفنا ، وتنصف قويتنا ، وتعاهد قنونا ،
 وتجهز بمثنا . قال : ثم ماذا ؟ قال : إلى ها هنا انتهت للطالب ، ووقف الكلام .
 قال : أنت رئيس وفدك ، وخطيب مصرك ، قم عن موضعك الذي أنت فيه .
 فأدناه حتى أقصده إلى جانبه ، ثم سأله عن نسبه ، فانتسب له ، قال : أنت سيد
 تميم ، فبقيت له السيادة إلى أن مات .

وهو الأحف ، واسمه الضحك بن قيس بن معاوية بن حصين بن حصن نسب الأحف
 ابن عبادة بن النزال بن مرة بن عبيد بن مقاس بن عمرو بن كعب بن [سجد بن]
 زيد مناة بن تميم

وقال بعض بني تميم : حضرت مجلس الأحف وعنده قوم مجتمعون له في
 أمر لهم ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن الكرم منع الحرم ، ما أقرب النمة
 من أهل التبغى ، لا خير في لذة تعقب ندماً ، لم يهلك من قصد ، ولم يفتر
 من زهد ، رب هزل قد عاد جدياً ، من أمين الزمان خائنه ، ومن تعظم عليه
 أهانه ، دعوا للزاح فإنه يؤرث^(٢) الضخان ، وخير القول ماصدقه القيل ، احتلوا
 ليس أدل عليكم ، واهبلوا عذرت من اعتذر إليكم ، أطع أخاك وإن عصاك .
 وصيله وإن جفاك ، أنصف من ضحك قبل أن يلتصف منك ، إناكم ومشاوردة

(١) الأكنة : جمع كن ، وهو السرا والواق من الحر والبرد ، والظلية : ذات الظل (م).

(٢) يؤرث الضخان : يوقدها ، ويحطبها ، ويؤجج نارها ، وللراد أنه ينشأ

وزيدها (م).

النساء ، واعلم أن كفر النعم لؤم ، وصغبة الجاهل شؤم ، ومن الكرم الوفاء
بالدسم ، ما أفتيح القطيعة بد الصلة ، والجفاء بد اللطف ، والعداوة بد الود ،
لا تكوننَّ على الإسادة أقوى منك على الإحسان ، ولا إلى البخل أسرع منك إلى
التبذل ، واعلم أن لك من دُنْيَاك ما أصلحت به مَنَوَاك ، فأفحق في حق ،
ولا تسكن خازِنًا لتبرك ، وإذا كان الضرُّ موجوداً في الناس فالثقة بكل أحدٍ
عَجَبٌ ؛ اعرف الحق لمن عَرَفَهُ لك ، واعلم أن قطيعة الجاهل تعدل صلة العاقل .
قال : فاسمعتُ كلاماً أبلغ منه . فسمت وقد حفظته .

كلام للأحنف في مجلس معاوية
ودخل الأحنف على معاوية ، ويزيد بين يديه ، وهو ينظر إليه إيجاباً ، قال :
يا أبا بجر ، ما تقول في الولد ؟ فلم ما أراد ، قال : يا أمير المؤمنين ، هم عمادُ
ظهورنا ، وثمر قلوبنا ، وقرّة أعيننا ، بهم نصول على أعدائنا ، وهم الخلف مَنّا
بِئَدْنَا ، فكأن لهم أرضاً ذليلة ، وسما ظليّة ، إن سألوك فأعطهم ، وإن استنبوك
وأعتبهم ^(١) . ولا تمنعهم رفدك فيملوا قرُبك ، ويستقلوا حياتك ، ويتمنوا وفاتك .
يقال : لله ذلك يا أبا بجر ، هم كآفات !

وزعت الرواة أنها لم تسمح للأحنف إلا هذين البيتين :

فلو مدَّ سُرُوي ببالٍ كثيرٍ لجسدتُ وكنتُ له بأدلا

فإنَّ الرودة لا تستطيع إذا لم يسكنْ مألهاً فاضلاً

صفة الأحنف
وكان يَبْخُل . وقال لبي تميم : أزعمون أي بخيل ! والله إني لأشير بالرائي
قيمه عشرة آلاف درهم ! قالوا : تعويمك لرأيك بخُل . وكان الأحنف من
القضلاء الخطباء النَّسَّاء ، وبه يُقَرَّب للتل في الحُفم

ذكر لابي
فاستغفر له
وقد ذكر للنبي صلى الله عليه وسلم فاستغفر له ؛ فقد بعث النبي صلى الله عليه
وسلم رجلاً إلى قومه بني سُدٍّ يعرض عليهم الإسلام ، قال الأحنف : إنه يدعوكم

(١) استنبوك : طلبوا رضاك ، وأعتبهم : أعطهم الرضا (م)

إلى خَيْر ، ولا أسمعُ إلا حسناً . فذكر النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : اللهم اغفر للأحنف . وكان الأحنفُ يقول : ماشى أَرْجَى عندي مِنْ ذلك .

من أوصف
الأحنف

قال عبدُ الملك بن عُتَيْر : قدم إلينا الأحنفُ ، فما رأينا خصلةً تَدُمُّ في رجلٍ إلا رأيناها فيه ، كان أصلع الرأس ، متراكب الأسنان ، أشدق ، مائل الذقن ، نافي الوجنتين ، باعق العينين^(١) ، خفيف المارضين ، أخنف الرجلين ، وكانت العينُ تفتحهُ دَمَامةً وقلة رِواء ، ولكنه إذا تكلم جَلَى عن غيبه . وهو القى خطباً بالبصرة حين اختلفت الأحياء ، وتنازعت القبائل ؛ قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : يا مشرَّ الأزد [وريمة] ، أتم إخواننا في الدين ، وشركاؤنا في الصَّهر ، وأكفأؤنا في النسب ، وجيراننا في الدار ، ويدُّنا على التدوُّ ، والله لأزُدَّ البصرة أحبُّ إلينا من نعيم الكوفة ، [ولأزد الكوفة أحبُّ إلينا من نعيم الشام] ، وفي أموالنا وأحلامنا سعة لنا ولكم .

جارية لآل
لللهب تنظر إليه
الأحنف

وقد قام خطبته بالبصرة في هذا اليوم وتكلموا وأسهبوا ، فلما قام الأحنف أضمت القبائلُ إليه ، واتالت عليه ، وقال الناس : هذا أبو بَئِر ، هذا تطيب بني تميم ، وحضر ذلك الجمعُ جاريةٌ لآلِ اللهب ، فذهبت ترومُ النظر إليه ، فاعتصم ذلك عليها ، فأشرقت عليه من دارها ، فلما رآته والأبصارُ خاشعةٌ لكلامه ، ورأت دمامةً خلفه ، وكثرةَ آفاتِ جوارحه ، قالت : قُتِدَتْ هذه الخلقَةُ ولو افترقت عن فضلِ الخطاب

الأحنف يحد
على مطوية

وذكر المدائني أنَّ الأحنفَ بن قيسٍ وَقَدَّ على معاوية رضي الله عنه مع أهل العراق ، فخرج الأذنُ ، قال : إنَّ أميرَ المؤمنين يعزم عليكم ألاَّ يتكلم أحدٌ إلاَّ لنفسه . فلما وصلوا إليه قال الأحنف : لولا عَزَمَةُ أمير المؤمنين لأخبرته أن دافئةً دَفَّتْ ، وبازلةً نَزَلَتْ ، وناجةً نَبَتَتْ ، كلهم بهم حاجةٌ إلى معروفٍ أمير المؤمنين وبرّه . قال : حسبك يا أبا بحر ، فقد كُنيت الشاهدَ والثائب .

(١) البعق في العين : ألا يلتقي جفناها (م)

كلامه لمعاوية
وقتلوا دحية
ليزيد

ولما عزم معاوية على البيعة ليزيد كتب إلى زياد أن يوجه إليه بوفاة أهل العراق ،
فبعث إليه بوفاة البصرة والكوفة ، فكتبت الخطباء في يزيد ، والأحنف ساكت ،
فما فرغوا قال : قل يا أبا بجر ، فإن السيوف إليك أشرع منها إلى غيري . فقام
الأحنف حمد الله وأثنى عليه ، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : يا أمير
المؤمنين ؛ إنك أعلننا يزيد في ليله ونهاره ، وإعلانه وإسراؤه ، فإن كنت
تقبله فله رضا فلا تشاور فيه أحدا ، ولا تقيم له الخطباء والشعراء ، وإن كنت
تسلم بغيره من الله فلا تزوده من الدنيا وترحل أنت إلى الآخرة ؛ فإنك تصير
إلى يوم يفر [فيه] الله من أخيه ، وأنت وأبيه ، وصاحبه وبنيه . قال : فكأنه أفرغ
على معاوية ذنوب ما بارد . فقال له : اهدأ يا أبا بجر ؛ فإن خيرة الله تجري ،
وقضاء الله يفيض ، وأحكام الله تنفذ ، لا تمتص لحكمه ، ولا راد لقضائه ؛ وإن
يزيد فتى قد بلغناه ^(١) ، ولم يحذر في قرين فتى هو أجدر بأن يجتمع عليه منه .
فقال : يا أمير المؤمنين ، أنت تحمي عن شاهد ، ونحن نكلم على غائب ، وإذا
أراد الله شيئا كان .

ابن الروي
يذكر حق
الشاعر على
الكرام

قال ابن الروي :

إن اسرا رخص الكاسب واغتدى يتعلم الآداب حتى أحكا
فكسا وحلى كل أروع ماجد من حر ما حاك القريض ونظما
تقة برعى الأكرمين حقوقه لأحق ملتس بالآ يجرما
قال أبو العباس أحمد بن عبيد الله بن همار : ومن نادر شعر أبي الحسن في هذا
اللعن قوله ، ووصف إصاب الشعراء أنفسهم بدعويهم في صناعتهم ، وما ينصرون
من أمارهم ، وأن إلحاحهم في طلب ما في أيدي من أسلفوه مدينتهم لو كان
رغبة منهم إلى ربهم كان أجدي عليهم ، وأقرب من ذلك بغيتهم ، ونجح طلبهم ،
ثم انحرف إلى توبيخ من مدحه فخرمه بأحسن عبارة ، وأرضى استعاره ، فقال :

(١) بلوتاه : اختبرناه (م)

لناس فيما يكلفون تتألم
ومضام الشعراء في أشعارهم
وجفاء لذاتٍ ورفض مكاسب
وتشاغل عن ذكر رب لم يزك
من لو بخدمته تشاغل معشر
أفما لك حرمة موعظة
لم أحسب فيك الثواب يمدحني
لو كان شرى حيلة لم أكنه
لا تقبلن المذح ثم تعافه
واحدز معرتهم إذا دنستهم
واعلم بأنهم إذا لم ينفصوا
وجناية العادي عليهم تنقصي
أبو الطيب اللثبي :

وفاة الأحنف
ورثاء امرأة هـ

ومكابدة السفهاء واقعة بهم
وعداوة الشعراء بنس المقتني

مات الأحنف بن قيس بالكوفة ، فشى مصعب بن الزبير في جنازته بغير
رداء ، وقال : اليوم مات سرُّ العرب ؛ فلما دُفن قامت امرأة على قبره فقالت :
لله درك من مجنٍّ في جنٍّ^(١) ، ومُدْرَج في كفنٍّ ، نأل الذي لجننا بموتك ، وأبطلنا
بفقدك ، أن يملَّ سبيل الخير سبيلك ، ودليل الرشد دليلك ، وأن يوسع لك في
قبرك ، ويفر لك يوم حشرِك ؛ فإِنَّه لقد كنت في الحافل شريفاً ، وعلى الأراذل

(١) سابع الإنعام : من إضافة الصفة للموصوف ، والإنعام السابغ : الكثير
الوافي (م) - (٢) مجن : مستور ، والجنن - بالتحريك - القبر ، وجمه أجنان (م)

عَطُوفًا ، ولقد كنت في الحَيِّ مُسَوِّدًا ، وإلى الخليفة مُوقِّدًا ، ولقد كانوا لَمَوَلَّك
مُسْتَعِين ، ولرايِكَ مُتَبِين ؛ ثم أَقْبَلَتْ عَلَى النَّاسِ قَالَتْ : أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ فِي
بِلَادِهِ ، شُهُودٌ عَلَى عِبَادِهِ ، وَإِنِّي قَاتِلَةٌ حَقًّا ، وَمُثْنِيَّةٌ حَقْدًا ، وَهُوَ أَهْلُ الْحُسْنِ
الْإِنْتَاءِ ، وَطَيْبُ النَّفَا^(١) ، أَمَا وَالَّذِي كُنْتُ مِنْ أَجَلِهِ فِي عُدَّةٍ ، وَمِنْ الْحَيَاةِ إِلَى مَدَّةٍ ،
وَمِنْ الْقَدَارِ إِلَى غَايَةٍ ، وَمِنْ الْإِيَابِ إِلَى نَهَايَةٍ ، الَّذِي رَفَعَ عَمَلِكَ ، مَا قَفَى أَجَلَكَ ،
لَقَدْ عَشْتُ حَيْدًا مَوْدُودًا ، وَمُتَّ سَمِيدًا مَقْقُودًا ، ثُمَّ انصرفت وهي تقول :

لَلَّهِ دَرَكٌ يَا أَبَا بَجْرٍ مَاذَا تَغَيَّبَ مِنْكَ فِي الْقَبْرِ ؟
لَلَّهِ دَرَكٌ أَيْ حَشْوٍ تَرَى أَصْبَحْتَ مِنْ عُزْفٍ وَمِنْ نُكُورٍ
إِنْ كَانَ دَهْرٌ فِيكَ جَرًّا لَنَا حَدَثًا بِهِ وَهَنْتُ قُوَى الْعَبْرِ^(٢)
فَلَكُمْ يَدٌ أَسَدَيْتَهَا وَيَدٌ كَانَتْ تَرْدُ جِرَارَ الدَّهْرِ^(٣)

ثُمَّ انصرفت فَسُئِلَ عَنْهَا ، فَإِذَا هِيَ امْرَأَتُهُ وَابْنَتُهُ عَمَهُ . فَقَالَ النَّاسُ : مَا سَمِعْنَا
كَلَامَ امْرَأَةٍ قَطُّ أَبْلَغَ وَلَا أَصْدَقَ مِنْهُ .

قَالَ : وَكَانَ الْأَخْنَفُ قَدِمَ الْكُوفَةِ فِي أَيَّامِ مَصْعَبِ بْنِ الزَّيْرِ ، فَرَأَاهُ رَجُلٌ
أَعْوَرَ دُمِيًّا قَصِيرًا أَخْنَفَ الرَّجُلَيْنِ ، فَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا بَجْرٍ ؛ بَأَى شَيْءٌ نَافَتْ فِي النَّاسِ
مَا أَرَى ؛ فَوَاللَّهِ مَا أَنْتَ بِأَشْرَفِ قَوْمِكَ ، وَلَا أَجْوَدِهِمْ ؛ ! قَالَ : يَا ابْنَ أَخِي ، بِخِلَافِ
مَا أَنْتَ فِيهِ ؛ قَالَ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ : تَرَكِي مِنْ أَمْرِكَ مَا لَا يَعْنِينِي ، كَمَا عَنَّاكَ مِنْ
أَمْرِ مَا لَا تَتْرَكَهُ .

[منصور النمرى]

اجتمع الشراء بباب للمعتم فبش إليهم : مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَحْنِنُ أَنْ يَقُولَ
المنعم
ومحمد بن وهيب
الشاعر
مثل قول منصور النمرى في أمير المؤمنين الرشيد :

(١) في رواية « وطيب الدماء » (م) (٢) وهنت . ضفت (ن)
(٣) أسديتها : أعطيتها ومنحتها ، والجرائر : جمع جريمة ، وهي الجريمة .
والخطبة ، والذنب (م)

إِنَّ للكَارَمِ والمعروفِ أودية
إذا رَفَعَتْ أَمْراً فَاللهُ رَافِعُهُ
من لم يكن بَأَمِينِ اللهِ مُعْتَمِلاً
إِنْ أَخْلَفَ النِّيثُ لَمْ تُخْلَفِ أُنَامِلُهُ
أَحَلَّتْ اللهَ مِنْهَا حَيْثُ تَجْتَمِعُ
وَمِنْ وَضَعَتْ مِنَ الْأَقْوَامِ مَنَاصِعُ
فَلَيْسَ بِالصَّلَوَاتِ الْخَسِيسِ
أَوْ ضَاقَ أَمْرٌ ذَكَرْنَاهُ فَيَتَسِعُ

فليدخل ، فقال محمد بن وهيب : فينا من يقول خيراً منه ، وأنشد :

ثَلَاثَةٌ تَشْرِقُ الدُّنْيَا بِيَهْجَتِهِمْ شَمْسُ الضُّحَى وَأَبُو إِسْحَاقَ وَالْقَمَرُ
يُحْكِي أَفَاعِيلَهُ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ النِّيثُ وَالنِّيثُ وَالصَّنْصَمَةُ الذِّكْرُ
فَأَمْرٌ يَدْخُلُهُ وَأَحْسَنُ صَلَاتِهِ .

أخذ معنى البيت الأول من يتي محمد بن وهيب أبو القاسم محمد بن هاني .
الأندلسي :

لِلدُّنْيَا مِنَ الْبَرِّيَّةِ كُلِّهَا قَلْبِي وَطَرَفٌ بِأَيْلٍ أَحْوَرٌ^(١)
وَالْمُشْرَقَاتِ الْبِيرَاتُ ثَلَاثَةٌ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنَّيِّرُ وَجَمْعُ
وَبَيْتُ أَيْ الْقَاسِمِ [الْأَوَّلُ] مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِ ابْنِ الرَّوْمِيِّ :

يَا عَلِيًّا جَمَلُ الْعِلَّةِ مِفْتَاحًا لِسُقَى
لَيْسَ فِي الْأَرْضِ عِلِيلٌ غَيْرُ جَفْنَيْكَ وَجِنِي

ومر النمرى بالعنابي مغموماً فقال : مالك ، أعزك الله ؟ فقال : امرأتى بطلي^(٢) منصور النمرى
والعنابي
منذ ثلاث وعمن على تأس منها . فقال له العنابي : وإن دواءه منك أقرب من
وجها ، قل : هارون الرشيد ، فإن الولد يخرج ! فقال : شكوت إليك ما بي ،
فأجبتني بهذا ؟ فقال : ما أخذت هذا إلا من قولك :

إِنْ أَخْلَفَ النِّيثُ لَمْ تُخْلَفِ أُنَامِلُهُ أَوْ ضَاقَ أَمْرٌ ذَكَرْنَاهُ فَيَتَسِعُ

(١) المدحان : مثني مدنف ، وهو اسم مفعول من «أدنفه الرض» أي أضغه
والطرف - بالفتح - أراد به العين ، والبابل : للنسب إلى بابل ، وهي بلد
السحر ، وهم يسمون عيون التواني بالقنور . كما يفونها بأنها تفضل بالألأباب مالا يفل
السحر (م) (٢) كذا ، وأحسب أن أصلها « امرأتى تطلق » أي يأتيها الخاض
وهو وجع الولادة ، ولما في الأصول وجه (م)

وَأَيُّهُ مَنْصُورُ بْنُ سَلَمَةَ بْنِ الزُّبُرْقَانِ الْهَمْرِيُّ الَّتِي ذَكَرَهَا الْمُتَعَمِّمُ مِنْ قَصِيدَةٍ
لَهُ وَهِيَ أَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي الشَّبَابِ أُولَاهُ :

مَا تَنْقُضِي حَسْرَةً مَنِي وَلَا جَزَعٌ إِذَا ذَكَرْتُ شَبَابًا لَيْسَ يُرْتَجِعُ
بِأَنَّ الشَّبَابَ وَفَاتَنَنِي بِفَرْغِهِ خُطُوبُ دَهْرٍ وَأَيَّامٌ لَهَا خُدَعُ^(١)
مَا كُنْتُ أَوْ فِي شَبَابِي كُنْتُ غَرِيزَةً حَقِّي أَخْضَى فَلِذَا الدُّنْيَا لَهُ تَبِعُ
تَعَجَّبْتُ أَنْ رَأَيْتُ أَسْرَابَ دَمْعِهِ فِي حُلْبَةِ الْحَدِّ أَخْرَجَهَا حَشَى وَجِعُ
أَصْبَحْتُ لِمَنْ تَطْعَمِي تُكَلِّلُ الشَّبَابُ لَمْ تَشْجِي بِفُصَّةٍ فَالْمَذْرُ لَا يَبْقُ
لَا الْحَيْنَ فَتَنَانِي غَيْرَ كَاذِبَةٍ عَيْنَ الْكَذُوبِ فَا فِي وَدٍّ كَمْ طَمَعُ
مَا وَاجَهَ الشَّبَابَ مِنْ غَيْبٍ وَإِنْ وَصَفَتْ إِلَّا لَهَا نَبُوءَةٌ عَنْهُ وَمُرْتَدَعُ^(٢)
إِنِّي لَمُحْتَرَفٌ مَا قِيَّ مِنْ أَرْبٍ عِنْدَ الْحَسَنِ فَمَا لِلنَّفْسِ تَنْخَدَعُ
قَدْ كَلَّمْتُ تَقْضَى عَلَى قُوَّةِ الشَّبَابِ أَسَى لَوْلَا تَمْزِيكَ أَنَّ الْأَمْرَ مَنَاطِعُ
وَدُّ كَرَأْنَ الرَّشِيدَ لِمَا سَمِعَ هَذَا بَيْكِي ، وَقَالَ : مَا خَيْرُ دُنْيَا لَا تَخْطُرُ فِيهَا بَيْرُ
الشَّبَابِ ! وَأَنْشَدَ مِثْلًا :

أَتَأْتُلُ رَجَّةَ الدُّنْيَا سَفَاهًا وَقَدْ صَارَ الشَّبَابُ إِلَى ذَهَابِ
فَلَيْتَ الْبَاكِاتِ بِكُلِّ أَرْضٍ مُجِئِينَ لَنَا فَنُحْنُ عَلَى الشَّبَابِ
وَكَانَ الرَّشِيدُ يَقْدُمُ مَنْصُورًا الْهَمْرِي بِمَوَدَّةِ شَعْرِهِ ، وَلَمَّا يَمُتْ إِلَيْهِ مِنَ النَّسَبِ مِنْ
الْعِيَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَكَانَتْ ثَمِيلَةً أُمُّ الْعِيَّاسِ مِنَ الْهَمْرِ بْنِ قَاسِطٍ ؛ وَلَمَّا
كَانَ يُظَاهِرُ مِنَ اللَّيْلِ إِلَى إِمَامَةِ الْعِيَّاسِ وَأَهْلِهِ ، وَلِلنَّافِرَةِ لَأَلَّ عَلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ :
بِئْسَ حَسَنٌ وَقُلْ لِبَنِي حُسَيْنٍ عَلَيْكُمْ بِالدَّادِ مِنَ الْأُمُورِ
أَمِيطُوا عَنْكُمْ كَذِبَ الْأُمَانِي وَأَحْلَامَا يَمِيدَنَّ عِدَاةَ زُورٍ^(٣)

تقديم الرشيد
للهمري
وأسبابه

- (١) غرة الشباب : غفلته وسهوه ، والحدع : جمع خدعة : وهي ما تنخدع به (م)
(٢) ومقت : ودت وأجبت ، والمرتدع : الارتداع والانزعاج (م)
(٣) أميطوها عنكم : أبعادوها عنكم (م)

تَسْتَوْنَ النَّبِيَّ أَبَا وَيَّانِي مِنَ الْأَحْزَابِ سَطْرًا فِي سَطُورٍ
 يَرِيدُ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ). وهذا إنما نزل في
 شأن زيد بن حارثة ، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم تبنّاه ، فقال له الرشيد :
 ما عدوت ما في نفسي ، وأمره أن يدخل بيت المال فيأخذ ما أحب .
 وكان يضر غير ما يظهر ، ويستد الرّفص ، وله في ذلك شعر كثير لم يظَهَرِ الغمري رافضو
 إلا بعد موته ، وبلغ الرشيد قوله :

آلُ النَّبِيِّ وَمَنْ يُحِبُّهُمْ يَتَطَامَنُونَ خِيفَةَ الْقَتْلِ
 آمِنَ النَّصَارَى وَالْيَهُودِ وَمَنْ مِنْ أُمَّةٍ التَّوْحِيدِ فِي أَرْزُلٍ^(١)
 إِلَّا مَصَّالَتْ يَنْصَرُ وَنَهُمُ بَقْلِيَا السَّوَارِمِ وَالْقَنَا اللَّهُ بَلِي^(٢)

فأمر الرشيد بقتله [وكان حينئذ برأس العين] ، فمضى الرسولُ فوجده قد مات
 فقال الرشيد : لقد همت أن أنبش عظامه فأحرقها . وكان يُلقب في مدحه هارون ،
 وإنما يريد قول النبي صلى الله عليه وسلم لعليّ رضوان الله عليه : أنت مني بمنزلة
 هارون من موسى . وقال الجاحظ : وكان يذهب أولا مذهب الشراة^(٣) ، فدخل
 الكوفة وجلس إلى هشام بن الحكم الرافضى وسمع كلامه ، فانتقل إلى الرّفص ،
 وأخبرني مَنْ رآه على قبر الحسين بن علي رضي الله عنهما ينشد قصيدته التي يقول فيها :

فَمَا وَجَدْتُ عَلَى الْأَكْتافِ مِنْهُمْ وَلَا الْأَقْصَاءِ آثَارُ النَّصُولِ^(٤)
 وَلَكِنَّ الْوَجُوهَ بِهَا كُلُّوْمُ وَفَوْقَ حُجُورِمْ تَجْزَى السَّيُولِ
 أَرِيقُ دَمِ الْحُسَيْنِ وَلَمْ يَرَأَوْا وَفِي الْأَحْيَاءِ أَمْوَاتُ الْقُيُولِ
 فَدَتْ نَفْسِي جَبِينَكَ مِنْ جَبِينِ جَرَى دَمُهُ عَلَى خَدِّ أَسْلِيلِ
 أَيْخَلُو قَلْبُ ذِي وَرَعٍ وَدِينِ مِنْ الْأَحْزَانِ وَالْأَلَمِ الطَّوِيلِ

(١) الأزل : الشدة والضيقة (م) (٢) الصالت : جمع صلت ، وهو القدام
 الشجاع ، والغلبا : جمع غلبة ، وهي حد السيف ، والسوارم : السيوف واحدها
 صارم (م) (٣) الشراة : الخوارج ، هموا أنفسهم بذلك لأنهم زعموا أنهم شروا
 أنفسهم بأن لهم الجنة ، والرافض : فرقة من الشيعة (م)
 (٤) يريد أنهم لا يعرفون قيع الطعن في ظهورهم (م)

وقد شرقت رماحُ بنى زيادٍ يرى من دماء بنى الرسول^(١)
 بقرية كركم بلاء لم ديارُ نيامُ الأهل دارسةً الطلولِ
 فأوصل الحسين ببطن قاع ملاعبُ للدبور وللقبولِ
 تحياتٌ ومنفرةٌ وروحٌ على تلك المحلة والحلولِ^(٢)
 برثنا يا رسول الله ممن أصابك بالأذية والدخولِ^(٣)

[ابنا المذل]

وقال أحمد بن المذل :

أحمد
بن المذل

أخودٌ نَفِ رَمْتُهُ فَأَقْصَدْتُهُ سِهَامٌ مِنْ جَفُونِكَ لَا تَطِيشُ
 كَثِيبٌ إِنْ تَرَحَّلَ عَنْهُ جَيْشٌ مِنْ التَّلَوَى أَلَمْ بِهِ جُيُوشُ
 وكان أحمد بن المذل بن غيلان العبدى فى اللغة والبيان والأدب والحلاوة غايةً .
 قال : دخلتُ المدينة فتعلمت على عبد الملك بن الماجشون رجل ليخفى
 ويُقْنى بى ، فلما فاتحنى قال : ما محتاجُ أنت إلى شفيع ، معك من الخداء والسقاء
 ما تأكلُ به لبُ الشجر ، وتشرب صفو الماء .

وكان أخوه عبد الصمد يؤذيه ويهجوّه ، فكتب إليه أحمد : أما بعدُ
 فإنَّ أعظمَ للكره ما جاء من حيث يُرْتَجى المحبوب ، وقد كنتَ مؤثلاً
 مَرَجوا ، حتى شمل شرك ، وعم أذاك ، فصرت فيك كأبى العاق : إن عاش
 نفسه ، وإن مات نقصه ، واعلم لقد خشنت صدرَ أخٍ جيبه لك ناصح ، والسلام .
 وكان يقول له : أنت كالأصبع الزائدة : إن تُرِكَتْ شانت ، وإن
 قطعت آلت !

بين أحمد
وأخيه

ومثلُ هذا قولُ النعمان بن شمر الضامى :

- (١) شرقت الرماح بدمائهم : كناية عن كثرة ما أسالته منها (م)
 (٢) المحلة : للوضع الذى يحلون به ، والحلول : جمع حال (م)
 (٣) الدخول : جمع دخل ، وهو الوتر (م)

وصالٌ أبى برِّ عَنَّا ، وتركهُ
إذا زُرْتَهُ يومين ملّ زيارتي
وقول الضحك بن همام الرقاشي :
وأنتَ امرؤٌ منا خلقتَ لغيرنا
وأنتَ على ما كان منك ابنُ حرّةٍ
وفيك خصالٌ صالحاتٌ يثبُنُها
وقال بعضُ المحدثين :

إذا ساءَ في القولِ والفعلِ جاهِدْ
فيا ليتَ شِعْرى ما يعاملني بهِ
وفي كلِّ حالٍ من أحبِّ وأحسُّ^(١)
على كلِّ ذنبٍ من أعادى وأبغضُ

أخذ أحمد :
المذلل للصّد
وقال أبو العباس المبرّد : وكان أحمد بن المذلل من الأتية ، واتمك بالمهاج ،
والتجنب للمبت ، والتمرض للاشفاق لما في^(٢) أيدي الناس ، وإظهار الرُّهْديّة ،
والتباعد عنه ، على غاية ، حتى حِيلَ في قهّاء وأدباء من أهل البصرة ؛ فأخذَ
الصلةَ غيرَ مُتَمَتِّعٍ ولا مُنْكَرٍ . ووصله إسحاق بن إبراهيم قبل ، واستدعى اجتباؤه
إياه ، وتمحّل له جهده ، فقال عبد الصمد :

عذيري من أخٍ قد كان يُبْذَى
وكان يذمهم في كلِّ يومٍ
فلمّا أن أتته دُرِيهملتُ
وقال فيه :

لي أخٌ لا تَرى لهُ
أُجِيعُ النَّاسُ كُلَّهُمْ
سبائلا غيرَ عاتِبٍ
لثيمٍ للذَّاهِبِ

(١) من أحب : هو فاعل « ساءَ في » (م) (٢) للاشفاق : هو مفعول لأجله
وأصل الكلام : والتمرض لما في أيدي الناس لأجل الإشفاق (م)

دون معروف كفه لئسُ بعض الكواكب
ليت لي منك يا أخی جارةً من محارب
نارها كل شخوةً مثل نار الحبّاحب

• • •

القطامي يهجو امرأة من محارب
ذهب إلى قول القطامي ، وقول القطامي من خبيث المعباء ، وكان نزل
بأمرأته من محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر ، فدمّ مثنواه
عندما ، فقال :

وإني وإن كان المسافر نازلاً
فلا بد أن الضيف يُخبرُ مارأى
لمخبرك الأنباء عن أم منزل
تلقت في طلق وريح تلقى
إلى حيزبون تُوقد النار بعدما
نصلى بها برد العشاء ولم تكن
[فإ راعها لإبقام مطيق
فجئت فتونا من دلائل مناعة
سرى في حليلك الليل حتى كأنها
تقول وقد قرّبت كوري وناقى
فلمت والتسلم ليس يسهها
فردت سلاماً كارهاً ثم أعرضت
فلما تنازعنا الحديث سألها

وإن كان ذا حق على الناس واجب
مُخبرُ أهل أو مُخبرُ صاحب
تضيقها بين المذنب فرايب
إلى طرمساء غير ذات كواكب^(١)
تلقت الظلماء من كل جانب^(٢)
تخال وميض النار يندو وراكب
تريح بمحسود من الصوت لاغب^(٣)
ومن رجل عارى الأشاحح شاحب^(٤)
تمزّم بالأطراف شوك العقارب
إليك ، فلا تذخر على ركايب
ولكنه حق على كل جانب
كما انحاشت الأفى غافة ضارب
من الحى؟ قالت : معشر من محارب

(١) الطرمساء : الظلمة الشديدة (م) (٢) الحيزبون : السجوز .

(٣) بنام مطيق : صوتها (م) (٤) الدلائل : السريع من التوق والجمال وغيرها (م)

من اللّشّون القِدِّ عما ترّاهم جَيّاعاً وريّفُ الناسِ ليس بِناضِبٍ
 فلما بدا حرمانُها الضيفَ لم يكن على مبيتِ السوءِ ضربةً لأزب
 وُقمت إلى مَهْرِيَّةٍ قد تَمَوَّدَتْ بِها هاورٍ جَلّاه حيثُ الرّاكِبِ
 إلا إنّما نيرانِ قيسٍ إذا شَتّوا لطارقٍ ليلٌ مِثْلُ نارِ العُبابِ
 ومحارب : قبيلة منسوبة إلى الضعف ، وقد ضربت العربُ بها اللث . قال
 الفرزدق الجري :

وما استعد الأقدام من زوج حُرِّ من الناس إلا منك أو من محاربٍ
 أى يأخذون التَهْدِ عليه أنه ليس من كليبٍ ولا من محاربٍ .
 وقال أبو نواس في قصيدته التي فخر فيها باليمانية وهجا قبائل ممدّ :
 وقيس عيلان لا أريدُ لها من الحجازي سِوى مُحاربِها

وكانت أم عبد الصمد بن المذل طباحةً ، فكان أحمد يقول إذا بلغه هجاؤه : أم عبد الصمد
 ما صَبَتْ أن أقول فيمن أَلَحَّ بين قدر وتَنُور ، ونشأ بين زق وطنبور^(١) ، وعبد الصمد ابن المذل
 شاعر أهل البصرة في وقته ، وهو القائل :

تكلّفني إذ لالَ نفسى لِمِزْها وهان عليها أن أهانَ لِنُكْرما
 تقول : سل المروفي يحيى بن أكرمٍ قُلت : سَلِيه رَبِّ يحيى بن أكرما

قال أبو شراة القيسى : كنتُ في مجلسِ المُثَنّى مع عبد الصمد بن المذل ، لأبى حَكِيمة
 مُتذاكِرنا أشعارَ اللولدين في الرقيق ، فقال عبد الصمد : أنا أشعر الناس فيه وفي في الرقيق
 غيره ، قلت : أحذق منك والله بالرقيق الذي يقول ، وهو راشد بن إسحاق
 أبو حَكِيمة الكوفي :

(١) الزق : أراد به الحجر ، والطنبور : من آلات اللهو ، يعنى أنه ردى .
 القصة سيء التفتة ، فلم يخرج إلا نكدًا (م)

ومستوحش لم يمس في دار غربة
 طواما لهوى واستشر الوصل غيره
 سلام على الدار التي لا أزورها
 وإن حجت عن ناظري ستورها
 هوى تصحك الأذات عند حضوره
 تنق به الأعطاف حتى كأنه
 ألم رصفتي حين يجرى حديثه
 رضيت بستی الدهر بيني وبينه
 أحاذر إن واصلته أن ينالني
 أرى دون من أهوى هونا تريفي
 أداري جليسي بالتجمل في الهوى
 وأخبر عنه بالذي لا أحبه
 مخافة أن تفرى بنا السن العدا
 كأن مجال الطرف في كل ناظر
 أرى خطرات الشوق يبيكين ذا الهوى
 وكم قد أذل الحب من متمتع
 وإن خضوع النفس في طلب الهوى
 فلم ينطق بحرف .

لأبي شراعة ولأبي شراعة يمدح بنى رباح :

بنى رباح أعاد الله نعمتكم خير للماد وأسى ربكم ديماً^(١)

(١) شطت : بدت . ونهات : نبته ، أو بعده ، وهم يسندون القمل إلى مصدره
 فيقول : جد جد ، وشعر شعره (م) (٢) اللهم : جمع دعة ، وهو المطر العظيم (م)

فكم به من قتي حُلوشمائه يكاد ينهل من أعطائه كرمًا
لم يلبسوا نعمة الله منذ خلقوا إلا تلبسها إخوامهم — م رنما

لابن المذل
في إبراهيم
بن رباح

وفي إبراهيم بن رباح يقول عبد الصمد بن المذل :

قد تركت الرياح يا بن رباح وهي حَسْرَى إن هبَّ منها نسيم
نهكت ممالك الحقوق فأضحى لك مالٌ ينضو وفصلٌ جسيم^(١)

وكان عبد الصمد [بن المذل] متصلاً بإبراهيم وبنيه ، وأفاد منهم أموالاً
جليلة ، واعتقد عقدا نفيسة ، فما شكر ذلك ولا أصحبه بما يجب عليه من التناه
عند نكته ، وكان الواصل عزَّله عن ديوان الضياع ، ودفعه إلى عمر بن فرج
الرخجي ، فحبسه فهباه عبد الصمد .

صفات
عبد الصمد
بن المذل

قال أبو العباس محمد بن يزيد^(٢) : وكان عبد الصمد شديد الإقدام على
ردى السريرة فيما بينه وبين الناس ، حيث التئ ، يرصد صدقةً بالمكروه ،
تقديرًا أن يعاديه فيسوءه بأمر يعرفه ؛ ولا يكاد يتسلَّم لأحد ، وكان مشهوراً في
ذلك الأمر ، يُلبَّسُ عليه^(٣) ، ويحمل على معرفة ، عجباً بظرف لسانه ، وطيب
بجسه ، وأيضاً لمُنْجَحِ سبته ، وشأن ممرته .

قال أبو العيناء : ولما حبس الواصل إبراهيم بن رباح ، وكان لي صديقاً ، صنعتُ
له هذا الخبر رجاء أن ينتهي إلى أمير المؤمنين فينتقم به ، فأخبرني زيد بن علي
ابن الحسين أنه كان عند الواصل حين قُرِئ عليه فضحك واستظرفه . وقال : ما صنع
هذا كُله أبو العيناء إلا في سبب إبراهيم بن رباح ، وأمر بتخلية ، والخبر : قال
لقيتُ أعرابياً من بني كلاب قتلته : ما عندك من خبر هذا العسكر ؟ قال :
قتل أرضاً عالمياً ، قال : قتلته : فما عندك من خبر الخليفة ؟ قال : تخبِّج بعره ، وضرب

(١) نهكت : امت عليه واجتاحته ، والنضو - بالكسر - الضميف التميمي (م)

(٢) هو المراد (م) (٣) يلبس عليه . أي يخاطبه الناس مع علمهم به (م)

يحرته ، وأخذ الدرهم من مصره ، وأرشف قلم كل كاتب بمياهه . قلت : فما عندك في أحد بن أبي دؤاد ؟ قال : عُصْلَةُ^(١) لا تطلق ، وجندلة لأثرام ، يتضح بالمدي لتحره فيجور ، وتنصب له الحبال حتى تقول : الآن ، ثم يضرب^(٢) ضربة الذئب ، ويخرج خروج الضب ، والخليفة يحنو عليه ، والقرآن أخذ بضبعه . قلت : فما عندك في عمر بن فرج ؟ قال : ضَخْمٌ حَصْبَجَر^(٣) ، غضوب هَزَز . قد أهدفه القوم لتبنيهم ، وانتضلوا له عن قبيسهم ، وآخر له بمثل مصرع من مصرع . قلت : فما عندك في خير ابن الزيات ؟ قال : ذلك رجلٌ وسع الورى شره ، وبعن بالأموار خيره . فله في كل يوم صريع ، لا يظهر فيه أثر ناب ولا مخطب ، إلا بتسديد الرأي . قلت : فما عندك في خير إبراهيم بن رباح ؟ قال : ذاك رجل أوفى كرمه ، وإن يفر للكرام قرح ، فأحر بمنجاته ، ومعه دعا لا يخذله ، ورب لا يسلمه ، وفوقه خليفة لا يظلمه . قلت : فما عندك في خير نبحاح بن سلمة ؟ قال : لله دره من ناقض أوتار ، يتوقد كأنه شعله نار ، له في القينة بدالقينة ، عند الخليفة خلسة كخلسة السارق ، أو كحسوة الطائر ، يقوم عنها وقد أفاد نما ، وأوقع ثما . قلت : فما عندك في خير ابن الوزير ؟ قال : إخاله كبش الزنادقة ، ألا ترى أن الخليفة إذا أمهله خضم ورتع ، وإذا أمر بتقصيه أمطر فأمرع . قلت : فما عندك من خير الخصيب أحد ؟ قال : ذاك أحق ، أكل أكلة نسيم ، فاختلج اختلاف بشم . قلت : فما عندك في خير الملعلي بن أيوب ؟ قال : ذاك رجل قد من صخرة ، فصبره صبرها ، ومثله مثما ، وكل ما فيه بد فمنها ولما . قلت : فما عندك من خير أحمد بن إسرائيل ؟ قال : كتوم غرور^(٤) ، وجندل صبور ، رجل جلد مجلد نمر ، كلما خر قوا له إهابا ، أنشأ الله له إهابا . قلت : فما عندك من خير الحسن بن وهب ؟ قال : ذاك رجل اتخذ السلطان أخا ،

(١) العصلة - بالضم - الهامزة (م)

(٢) يضرب ضربة : يثبت وثبة . وفي نسخة « يطفر طفرة » (م)

(٣) الحصبجر : عظيم البطن ، والوزير : الأسد ، ووزهما واحد (م)

(٤) في نسخة « غدور » (م)

فاتخذهُ السلطانُ عبداً ، قال : قلت : فاعندك من خير أخيه سليمان بن وهب ؟
قال : شدة ما استوفيتَ مسألتك أيها الرجل ! ذاك حرمة حبست مع صواحبها
في جريرة محرمة ، ليس من القوم في ورْدٍ ولا صدر ، هيهات :

كَيْسَبَ الْقَتْلُ وَالْقَتَالُ عَلَيْنَا وَعَلَى الْغَائِيَاتِ حِرُّ الْقَبُولِ

قال : قلت : فاعندك من خير عبد الله بن يعقوب ؟ قال : أمواتٌ غير
أحياء ، وما يشعرون إلا أن يبعثون .

قلت : فأين نزلت فأؤثرك ؟ قال : مالى نزل تأثي . أنا استتر في الليل إذا
عَمَسَ^(١) ، وأُثِّيرُ في الصبح إذا تنفَّس .

ومن مليح شعر راشد بن إسحاق بن راشد ، وهو أبو حُكَيْمَة ، وكان قَوِيَّ
ابن إسحاق
ابن راشد
أشهر الشعر :

نَحِيتُ في أُمْرِي وَإِنِّي لَوَاقِفُ أَجِيلُ وَجْهَ الرَّأْيِ فِيكَ وَمَا أُدْرِى^(٢)
الْأَعْزَمُ عَزَمَ الْيَأْسُ هَالُمُوتُ رَاحَةُ أَمْ أَقْنَعُ بِالْإِعْرَاضِ وَالنَّظَرِ الشَّرُّ
وَإِنِّي وَإِنْ أَعْرَضْتَ عَنْكَ لَمُنْظَرُ عَلَى حُرَّتِي بَيْنَ الْجَوَانِحِ وَالصَّدْرِ
إِذَا هَلَجَ شَوْقِي مِثْلَكَ لِي الْمَوْتُ فَأَلْقَاكَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ فِي سِغَرٍ
فَدَيْتَكَ لَمْ أَصْبِرْ لِي فِيكَ حِيلَةٌ وَلَكِنْ دَعَانِي الْيَأْسُ فِيكَ إِلَى الصَّبْرِ
تَصَبَّرْتُ مَسْلُوبًا وَإِنِّي لَمَوْجِعُ كَمَا صَبَرَ الظَّمْآنُ فِي الْبَلَدِ الْقَفْرِ
وقال :

عَبْتُ عَلَيْكَ فِي قَطْعِ السَّابِ فَأَمَّا عَطَفَتَكَ أَلَسَةُ السَّابِ

(١) أخذته من قوله تعالى : (والليل إذا عَمَسَ والصبح إذا تنفَّس) في سورة
التكوير وعَمَسَ الليل : أقبِلَ ظلامه ، أو أدبر ، ضد (م)
(٢) أجيل وجه الرأي : أدبرها ليظهر لي الصواب (م)

وفيها صرت تظهر لي دليل
وما عظرت دواعي الشوق إلا
على عتب الضمير السقاب
هزرت إليك أجنحة التصابي
وقال أيضاً :

ضحكت ولو تدبرين ما بي من الموى
لمن لم ترح عيناه من فيض عبرة
بكيت لحزون الفؤاد كتيب
ولا قلبه من زفرة ونحيب
لستأنس بهم في دار وخشة
ألا بأبي العيش الذي بان فاقضى
ليالى يدعونا الصبا فنجيه
نردد مستور الأحداث بيننا
لأن جرى صرف الحوادث في الموى
وله مذهب استفرغ فيه أكثر شعره، صنت الكتاب عن ذكره .

[عبد الملك بن صالح]

دعا الرشيد بعبد الملك بن صالح - وكان معتقلاً في حبسه - فلما مثل بين يديه
التفت إليه ، وكان يتحدث يحيى بن خالد بن برمك وزيره ، فقال متشكلاً :
أريد حياته ويريد قتيلى - عذيرك من خليلك من مراد^(١)
ثم قال : يا عبد الملك ، كأنى أنظر إلى شؤبوبها^(٢) قد قنع ، وإلى عارضها قد
آسع ، وكأنى بالوحيد قد أوزى^(٣) ، بل أذى ، فأبرز عن براجم بلا معاصم^(٤) ، ووروس
بلا غلاصم ، فملاً بنى هاشم ، فهي والله سهل لكم الوعر ، وصفا لكم الكدير ،
وألقت إليكم الأمور أثناء أزميتها ، فنذار لكم نذرا قبل حلول داهية خبوط باليد
والرجل ، فقال عبد الملك : أفذاً أتكلم أم توأماً ؟ قال : بل فذاً ، قال : أتق

(١) عذيرك : أى اطلب من يندرلك (م)

(٢) الشؤبوب : البضة من اللطخ (م)

(٣) من قولهم «أورى الزند» إذا قدحته فأخرج ناراً (م)

(٤) البراجم : الأصابع (م)

الله يا أمير المؤمنين فيما ولّاك ، واحفظه في رحايلك التي استرعاك ، ولا تجمل
الكفر بموضع الشكر ، والعقاب بموضع الثواب ، فقد والله سهكت لك العور ،
وجملت على خوفك ورجائك الصدور ، وشددت أواخى ملكك بأوتق من
رُكّتي يَلْتَمَم ، وكنتُ لك كما قال أخو بني جعفر بن كلاب - يعني ليذا :

ومقام ضيق فرجه بلسان ويكان وجدك

لو يقوم القيل أو فيأله زل عن مثل مقامي وزحل

فأعاده إلى مجلته^(١) ، وقال : لقد نظرتُ إلى موضع السيف من عاتقه مرأى ،
فيمتنع عن قتله إيقان على مثله .

[مدح الحقد وذمه]

عبد الملك

يمتدح الحقد

وأراد يحيى بن خالد أن يضع من عبد الملك ليرضى الرشيد ، فقال له : يا عبد
الملك ، بلغني أنك حقد ! فقال عبد الملك : أيها الوزير ، إن كان الحقد هو
بقاء الشر والخير ، إتهما لباقيان في قلبي ! فقال الرشيد : نالقه ما رأيتُ أحداً احتج
للحقد بأحسن مما احتج به عبد الملك .

وقد مدح ابن الرومي الحقد ، وأخذ هذا المعنى من قول عبد الملك ، وزاد فيه ؛ لابن الرومي
قال لعائش عا به بدلت :

لئن كنتُ في حفظي لما أنا مُودَعٌ من الخير والشر انتحيت على عرضي
لما عيّنني إلا بفضل إهانة وربّ امرئ يزري على خلقي محض^(٢)
ولا عيب أن تجزى القروض بمثلها بل السيب أن تدان ديناً ولا تقضى
وخير حيات الرجال سجية توفيك ما تسدى من القرض بالقرض
إذا الأرض أدت ريع ما أنت زارع من البذر فيها فعي ناهيك من أرض

(١) قد يكون الصواب «فأعاده إلى محبته» (م)

(٢) في ديوانه «لما عيّنني بما ليس عاني» «وكم جاهل يزري ...» وأزرى عليه :
عابه (ن)

ولولا الخنودُ للسكنات لم يكن
وما الخنودُ إلا تروامُ الشكر في التقى
فليت ترى خنوداً على ذى إساة
ليتنقض وتراً آخرَ الدهر ذو هض
وقال يرد على غسه، ويذم ما مدح، توشحاً واعتذاراً :

يا مادحَ الخنودِ محتالاً له شهباً
لقد سلكت إليه ملكاً وعناً
إني القبيح وإن صنت ظاهره
يسود ما لم منه مرةً شيئاً^(١)
كم زخرت القول ذو زور ولبسه
على القلوب ولكن قل ما لبنا
قد أبرم الله أسباب الأمور مما
فلن ترى سبباً منهن متبناً^(٢)
بادفن الخنود في ضفى جوانبه
ساء البغين الذي أضحت له جدنا
الخنود داءً دوي لا دواء له
يرى الصدور إذا ما ججزه حرناً
فاستشف منه بصفح أو معاتبه
واجبل طلائك بالأتار ما عظمت
ولا تكن بصغير القول مكثراً
فانصق أقرب للتقوى وإن جرم
من مجرم جرّح الأكباد أو فرنا
يكفيك في الغو أن الله قرظه
وشهدت أنك لو أذنبت ساءك أن
وخيلاً إلى خير من صلى ومن عينا
إذا وسرك أن تلقى الذنوب مما
تلقى أخاك حقوداً صيده شرناً
إني إذا خلط الأقوام صالحهم
وأن تصادف منه جانباً ديمقاً
بسيء القمل جداً كان أو عبقاً
جملت قلبي كظرف البك حينئذ
يحفظ ما طاب من ماء وما خبتنا
ولست أجهل كالخوض أمدحه

والبيت الذي تمثّل به الرشيد هو لصرو بن محمد يكرّب بقوله لقيس بن

(١) صنت ظاهره : زينته وحسنه ، من قولهم « صنع الجارية » إذا أحسن إليها حتى صنت (٢) متبناً : منقوضاً (٣)

للكشوح الرادى ، وقد تمتثل به على بن أبى طالب رضى الله عنه لما رأى عبدالرحمن ابن ملجم الرادى فقال له : أنت تحضب هذه من هذه ، وأشار إلى لحيته وقرنته (١) .
 قيل له : يا أمير المؤمنين ، ألا تقتله ؟ فقال : كيف يقتل المرء قاتله ؟

وكان بين مسلمة بن عبد الملك وبين العباس بن الوليد تباعد ، فبلغ العباس أن مسلمة ينتقصه ، فكتب إليه يقول :

بين مسلمة
ابن عبدالملك
والعباس
ابن الوليد

ألا تَقْنَى الحياءَ أباً سعيد
فلولا أنْ فرَّعتْ حين تَنْتَمَى
وأنى إن رَمَيْتُكَ حِصْنُ عَظْمَى
لقد أنكرتْني إنكارَ خَوْفٍ
والتقى إذا نالتك نَبْلَى
بِقُفْ حَشَاكَ عن شَتَى وأكْلَى
فكم من سَوْرَةٍ أَبْطَأَتْ عنها
مُؤْنِمَةً عَيْتَ بها فابْدَى
وأصلك متعَى فرعى وأصلى
بى لك مجدتها طَلْبَى وَخَلْبَى
هوىلى عن مخارجها ونَفْصَلَى
لَقَيْسٍ حين خالف كلَّ عَدَلَى
أريدُ حَيَاتِهِ ويريدُ قَتْلَى
عذيرى من خللى من سرادى

لم يفتق له فى القافية كما قال عمرو ، فغيره .

[رَجَعَ إلى عبد الملك بن صالح]

من أخبار
عبد الملك
ابن صالح

وعبد الملك هذا هو ابن صالح بن علي ، وكان بليغاً جهوريماً فاضلاً عاقلاً .
 وقال الجاحظ : قال لى عبدالرحمن مؤدب عبدالملك بن صالح : قال لى عبدالملك ،
 بعد أن خضتني وصيرني وزيراً بدلاً من قُمامة : يا عبد الرحمن ، انظر فى وجهى ؟
 فأنا أعرفُ منك بنفسك ولا تُنيدنى على ما يقيح ؛ دع [عنه كيف الأمير ؟] ،
 وكيف أصبح الأمير ؟ وكيف أُنسى ؟ واجعل مكانَ التريظ حُسْنَ الاستماع

(١) فى نسخة «وتنترته» وهى ققرة النحر بين الترقوتين ، والقرنة بالضم أيضاً -
 منقطع القمحة فى القفا (م)

مضى ، وأعلم أن صواب الاستماع أحسن من صواب القول ، وإذا حدثتكَ حديثاً فلا يغوتك شيء منه ؛ وأرى في فمك في طرفك ؛ إني أعتمدك وزيراً بعد أن كنت مُكَلِّباً ، وجعلتُك جليساً مقرباً بعد أن كنت مع الصبيان مُبْتَدَأً ، ومضى لم يعرف شخصاً ما خرجت منه لم تعرف رُجُصَان ما صرّت إليه .

يقول الرشيد
وعبد الملك

وساير الرشيدُ عبدَ الملك ، فقال له لائل : طأطأ من إشرافه ، واشدّد من وفائتسايران شكائهم ، وإلا فسَدَ عليك ، فقال له الرشيد : ما يقول هذا ؟ قال : حاسدُ نعمة ، ولافس رُتبة ، أفضبه رضاك عنى ، وباهده قُربك منى ، وأساده إحسانك إلى .
فقال له الرشيدُ : انخفض القومُ وعلوتهم ؛ فتوقدت في قلوبهم بجرة التأسف .
فقال عبد الملك : أضرتما الله بالتزيد عندك ! فقال الرشيدُ : هذا لك وذلك لم .

اعتذار
عبد الملك
وعذاريج عليه

وصد المنبر ، فأرجح عليه فقال : أيها الناس ، إن اللسان بضمة من الإنسان ثكلٌ بگللاه إذا كل ، وتنسح [بانضاحه] إذا ارتجل ، إن الكلام بعد الإلغام كالإشراق بعد الإظلام ، وإنا لانسكتُ حَصراً ، ولا ننطقُ هَذَراً ؛ بل نسكتُ ملهدين ، وننطقُ مُرشدين ، وبعد مقامنا مقام ، ووراء ألوينا أيام ، بها فضل الخطاب ، ومواقع الصواب ، وسأعودُ فأقول ، إن شاء الله تعالى

يقول
الرشيد
بعد جبه

وقال الأصمى : كنتُ عند الرشيد فدعا ببعد الملك بن صالح من حبيبه ، فقال : يا عبد الملك ، أكرهُ بالنِّمعة ^(١) ، وعذراً بالسلطان ، ووثوباً على الإمام ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، بُوتُ بأعباء الندم ، واستحلال النِّقم ، وما ذاك إلا من قول حاسدٍ ، ناشدتك الله والولاية ، ومودة القرابة . فقال الرشيد : يا عبد الملك ، تنصّ لي لسانك ، وتضع لي جَنانك ، بحيث يحفظُ الله لي عليك ، ويأخذ لي منك ، هذا كتابك قلمة بني عن غلّك ^(٢) ، فالتفت عبد الملك إلى قمامة وكان قائماً ، فقال :

(١) أكرهُ بالنِّمعة : جحوداً لها وإنكاراً (م)

(٢) غلّك : حقدك وفساد قلبك (م)

أحفايا قامة ؟ قال : حقا ، لقد رُئيتَ خفرا^(١) أمير المؤمنين ! فقال عبد الملك : وكيف لا يكذب على يا أمير المؤمنين في غيبي من يَهْتَمُّ في حضري ؟ فقال الرشيد : دَعُ قامة ، هذا ابنك عبد الرحمن ينهى عنك بمثل خبر قامة ، فقال عبد الملك : إن عبد الرحمن مأمور أو عاقب ؛ فلن كان مأمورا فهو معذور ، وإن كان عاقبا فما أتوقع من عقوبه أكثر .

[في مقام الخوف]

وقال الرشيد للحسن بن عمران وقد أدخل عليه يَرْسُفُ في قُبُورِهِ : ولَيْتَكَ دَمَشِقُ وَهِيَ جَنَّةٌ مَوْفَقَةٌ ، تَحِيطُ بِهَا غُدْرُكَ وَالْحَبِينُ^(٢) ، فَتَكْفِ عَلَى رِيَاضٍ كَالزَّرَافِي ، وَكَانَتْ بَيُوتُ أَمْوَالٍ مِمَّا بَرَحَ بِهَا التَّعْدَى ، حَتَّى تَرَكْتَهَا أَجْرَدَةً مِنَ الصَّخْرِ ، وَأَوْحَشَ مِنَ الْقَفْرِ ! فقال : يا أمير المؤمنين ، ما قصدت لئير التوفيق من جهته ، وَلَسَكُنِي وَأَيْتَ أَنْوَامًا تَقُلُّ عَلَى أَعْنَاقِهِمُ الْحَقُّ ، فَفَرَّغُوا فِي مِيزَانِ التَّصَدَى ، وَرَأَوْا أَنَّ الْمِرَاغَةَ بَرَكْتَ الْعِيَاةُ أَوْقَعُ بِإِضْرَارِ السُّلْطَانِ ، وَأَنَوَّهَ بِالشُّعْمَةِ ؛ فَلَا جَرَمَ أَنَّ مَوْجِدَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ أَخَذَتْ لَهَا بِالْحِظِّ الْأَوْفَرِ مِنْ مَسَامِي ! فقال عبد الله ابن مالك : هذا أَجْزَلُ كَلَامٍ سَمِعَ لُخَائِفَ ، وَهَذَا مَا كُنَّا نَسْمَعُهُ عَنِ الْحَكَمَاءِ « أَفْضَلُ الْأَشْيَاءِ بَدِيئَةُ أَمْنٍ وَرَدَّتْ فِي مَقَامِ خَوْفٍ » .

ولما رَضِيَ الرَّشِيدُ عَنْ يَزِيدَ بْنِ مَزِيدٍ دَخَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي سَهَّلَ لِي سُبُلَ الْكَرَامَةِ بِلِقَائِكَ ، وَرَدَّ عَلَيَّ النِّعْمَةَ بِوَجْهِ الرِّضَا مِنْكَ ، وَجَزَاكَ اللَّهُ فِي حَالِ سَخَطِكَ حَقَّ الْمُتَشَبِّهِينَ الْمَرَاقِبِينَ ، وَفِي حَالِ رِضَاكَ حَقَّ الْمُنْعِمِينَ الْمُتَقَطِّلِينَ ؛ فَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ - وَلَهُ الْحَمْدُ - تَتَشَبَّهَ [تَحْرُجًا] عِنْدَ الْغَضَبِ ، وَتَتَقَطَّلُ [مَحْتَمًا] بِالنِّعَمِ ، وَتَسْتَبْقِي الْمَرْوُوفَ عِنْدَ الصَّنَاعِ تَفَضُّلاً بِالْمَقْوُوفِ .

(١) رمت : أردت ، والحتر : الصدر والحيانة (م)

(٢) لَعْدَر - بدميتين - جمع غدبر ، وهو ما احتجته السيل من الماء ، والحبين :

العفة (م)

بين الرشيد
وبزید بن مزید

[من الرثاء]

مسلم بن الوليد وفي يزيد بن يزيد يقول مسلم بن الوليد مرثيته، وقد رويت له في يزيد بن
في يزيد بن يزيد أحد السليبي :

قَدِيرٌ بِرَدَّةِ اسْتَرْ ضَرِيحُهُ خَطَرًا تَقَاصَرُ دُونَهُ الْأَخْطَارُ^(١)
ضُفَّتْ بِكَ الْأَحْلَاسُ تَنْفُضَ إِكَامَةٍ وَاسْتَفْجَتْ نَزَاهَا الْأَمْصَلُ
فَاذْهَبْ كَمَا ذَهَبَتْ غَوَادِي مُزْنَةٍ أَنْتِ عَلَيْهِ السَّهْلُ وَالْأَوْعَارُ
سَلَكْتَ بِكَ الرَّبَّ السَّيْلَ إِلَى الْمَلَأَ حَتَّى إِذَا سَبَقَ الرَّدَى بِكَ حَارُوا

وقال أبو عبد الرحمن عماد بن أبي عطية يرنى أخاه :

حَنَنْتُهُ وَأَنْصَرُ بِالْكَافُورِ وَزَفَفْتُهُ لِلنَّزْلِ لِلْهَجُورِ
هَلَا يَبْضُ خِصَالِهِ حَنْطُهُ فِيضُوعَ أَتَقِ مَنَازِلَ وَقُورِ
وَاللَّهُ لَوْ نَسِمْ أَخْلَاقَ لَهُ تُنْزَى إِلَى التَّقْدِيسِ وَالتَّطْهِيرِ
حَنَنْتُ مَنْ وَطَى الْحَصَى وَعَلَا الرُّبَى لَنَزُودَ بِلِ عُدَّةٍ لِلشُّورِ
فَاذْهَبْ كَمَا ذَهَبَ الشَّبَابُ فَإِنَّهُ [قَدْ كَانَ خَيْرَ مُجَاوِرٍ وَمُجِيرِ]

[وَاذْهَبْ كَمَا ذَهَبَ الْوَفَاءُ فَإِنَّهُ] عَصَفَتْ بِهِ رِيحًا صَبَاً وَدُيُورِ
وَاللَّهُ مَا أَبْنَيْتُهُ لِأَزِيدُهُ شَرَقًا وَلَكِنْ نَفْتَهُ الْمُدُورِ

ومات رجل من العرب كان يقولُ اثني عشر ألفاً ، فلما حُلَّ عَلَى سَرِيرِهِ
صَرَ ، قَالَ بَعْضُ مَنْ حَضَرَ :

وَلَيْسَ ضَرِيرُ النَّفْسِ مَا تَحْمُونُهُ وَلَكِنَّهُ أَصْلَابُ قَوْمٍ تَحْتَفُ^(٢)
وَلَيْسَ فَتَقِ الْمَسْكُ مَا تَجِدُونَهُ وَلَكِنَّهُ ذَاكَ التَّنَاهِ الْمُخْتَلَفُ

وقال عبد الله بن المعتز في عبيد الله بن سليمان بن وهب يرنىه :

يَا بْنَ وَهْبٍ بِالْكَزْهَةِ مَتَى بَقِيتُ عَجِبِي يَوْمَ مَتَى كَيْفَ حَيَّيْتُ

(١) في الأمازي (٢٧٦/١) وقبر بلوان استر ه واستر : أخفى وستر (م)

(٢) السرير : الصوت ، وصر : صوت ، وتخصف : أصله تتخصف ، ومعناه

تَكَسَّرَ وَتَحَمَّطَ (م)

لحمد بن
أبي عطية
يرنى أخاه

لأهباي
يرنى أهبايا

لابن المعتز

إنما طيب الثناء الذي خلفت لأميك نشتك المنثور
وأخضرت الطريق بمدك المورث فلاحته ولست أفوت
كيف يبتقى على الحوادث حتى يبدد الدهر عوده منثور
وقال أيضاً :

ذكرت ابن وهب فله ما ذكرت وما غيبوا في الكفن
تظن أعلامه من دم ويعلم بالظان ما لم يكن
وظاهر أطرافه ساكن وما تحته حرّ كان القطن
وقال :

ذكرت عبيد الله والتراب دونه فلم تحبس العنان مقي بكاهما^(١)
وحاشاه من قول «سقى النيث قبره» يذكاه تروى قبره ين نداهما
وهذا مأخوذ من قول الطائي :
سقى النيث غياوارت الأرض شغصه
وكيف اختم إلى للسحاب صنعة
وقال ابن المعتز :

لم تمت أنت ، إنما مات من لم يبق في المجد والمكارم ذكراً
لست مستقياً لبرك غيتاً كيف يظن وقد نغضن بخرها
والبيت الثاني من هذين من بيت الطائي .

وقال :

محمد بن حنيد أخلفت ريمته أريق ماء المسالى إذ أريق دمه
وأبيه بنبجاد السيف محتتياً كالبلدر حين أنجلت عن وجه ظله
في روضة حقها من حولها زهر أيقنت عند انقباض أنها نعمة

(١) في المديوان «لم تملك العنان إلا بكاهما» (م)

(٢) النيث الأول : اللطيف ، والنيث الثاني : الجواد الكريم ، أراد به الرمي (م)

قالتُ والسمعُ من وَجْدٍ ومن حُرْقٍ يجزى وقد خدَّوْا الخلدَيْنِ منسجحةً ؛
ألم تمتِ بإسليْلِ المجد من زمي ؟ قال لي : لم يمتْ من لم يمتْ كرمه
وقال بعض أهل الصر :

عُرِّ القى ذِكْرُهُ ، لا طولُ مدَّتِهِ وموتُهُ موتُهُ لا مَوْتُهُ الدَّائِي
فأخِي ذِكْرُكَ بالإحسانِ تزرعُهُ تُجْتَمَعُ بِهِ لك في الدنيا حَيَاتَانِ
وقال عبد السلام بن رَغِيان الحنصلي^(١) :

سقى النيثُ أرضاً ضَمْتَكِ وساحَةً لَقَرَّكَ فِيهِ الفَيْثُ والليثُ والبَذْرُ
وما هي أهلٌ إِذْ أَصَابَكَ باليِّ لسقيا ، ولكن من حَوَى ذلك القَبْرُ
أخذ هذا البيت [الأول] الراضى قال يرى أباهُ للمقتدر :

بنفسى تَرَى ضَمْتَكِ في سَاحَةِ اليِّ قد ضَمَّ مِنْكَ الفَيْثُ والليثُ والبَذْرُ
فلو أَنَّ عَمْرَى كَانَ طَوْعَ مَشِيئَتِي وَأَسْعَدَنِي المَقْدُورُ فَاسْمَعْتُ العَمْرَا
ولو أَنَّ حَيًّا كَانَ قَبْرًا لِمِيتٍ لَصَيَّرْتُ أَحْشَانِي لِأَعْظَمِهِ قَبْرَا
هذا البيت ينظر إلى قول المتنبي :

حق أنوًا جَدًّا كَانَ ضَرِيحُهُ في قلبِ كلِّ مَوْحِدٍ مَحْفُورُ

لما أُحِلَّت قَطْرُ الندى بنت خُمارِوَيْه بن [أحمد بن] طولون إلى المتضد كتب
معا أبوها إليه يذكره بمجرمة سلفها [بسلفه] ، ويذكر ما تردُّ عليه من آبهة
بخلافة ، وجمالة الخليفة ، ويسأل إنسانها وبسَطَها ، فبَلَّتْ من قلبِ المتضد
لما زُفَّتْ إليه مبلغا عظيما ، وسرَّ بها غاية السرور ، وأمر الوزير أبا القاسم عبيد الله
ابن سليمان بن وهب بالجواب عن الكتاب ، فأراد أن يكتبه بخطه ، فسأله أبو
الحسين بن ثَوَابَةِ أن يؤثِّره بذلك فضل ؛ وغاب أياما وأتى بنسخة يقول في فصل

قطر الندى
والخليفة المتضد

منها : وأما الوَدِيعَةُ فهي بمنزلة شيء انتقل من يمينك إلى شمالك ، عنايةً بها ، وحِياطةً عليها ، ورعايةً لمودتك فيها . ثم أقبل عبيد الله يُعجب من حُسن ما وقع له من هذا ، وقال : تسميتي لها بالودِيعَة نصفُ البلاغة ، فقال عبيد الله : ما أتبعَ هذا ! فتأملتَ لامرأة زُفْتُ إلى صاحبها بالودِيعَة ، والودِيعَةُ مستردة . وقولك « من يمينك إلى شمالك أبيع » لأنك جعلت أباها اليمين وأمير المؤمنين الشمال ، ولو قلت : « وأما الهدية فقد حسن موقعها مِنَّا ، وجلَّ خطرُها عندنا ! وهي وإن بدتُ عنك ، بمنزلة من قربتُ منك ! لتفقدنا لها ، وأنسنا بها ، ولسرورها بما وردتُ عليه ، واغتيابها بما صارت إليه » لكان أحسن ، فنفذ الكتاب .

وكانتْ قَطَرُ الندى مع جمالها موصوفةً بفضل العقل ، خلاها المتضد بوما للأنس بها في مجلس أفردَه لم يحضره غيرها ، فأخذت منه الكأس ، فنام على فخذهَا ، فلما استنقل^(١) وضعتْ رأسه على وسادة ، وخرجت فجلست في ساحة القصر على باب المجلس ، فاستيقظ فلم يجدْها ، فاستشاط غضباً^(٢) ، ونادى بها فأجابته على قرب ، فقال : ما هذا ؟ أخليتكَ إكراماً لك ، ودفعتُ إليك مبعقٍ دون سائر حظائِي ، فتصمَّين رأسي على وسادة ! فقالت : يا أمير المؤمنين ، ما جعلتُ قَدَرُ ما أنستَ به عليّ ، وأحسنتَ فيه إليّ ، ولكن فيما أدبني به أبي أن قال لي : لا تنامي مع الجلوس ، ولا تجلسي بين النيام .

[رجع إلى الرثاء .]

لابن المعتز يروي
ابن نوبة

وفي أبي الحسين بن نوبة يقول ابن المعتز يرويته :

ليس شيء لصحة ودوام علب الدهر جميلة الأقوام
وتوتلي أبو الحسين حميداً فقل رُوحه سلام السلام

(١) استنقل : كناية عن تمكّن النوم منه (م) .

(٢) استشاط غضباً : غضب غضباً شديداً ، وأصل معنى «استشاط» احترق (م)

حين عاقده على الحفظ للتمهيد وصافته بصكف الذمام^(١)
 واصطفته على الأخلاء نفسي كاصطفاه الأرواح للأجسام
 كأن ربحانة الندامى وميزان القوافي شعراً وبحر كلام
 ومكان السهم الذى لا يرى الشك ولا يستفيث بالأوهام
 ساحر الوحى فى القراطيس لا يحبس عنه أعنة الأقلام
 فإذا ما رأيت به خلت فى خديته صبحاً منقياً بظلام
 نفس صبراً لا تجزعى إن هذا خلق من خللاق الأيام

[أيام الشباب]

وأنشد أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب لرجل من بني كلاب :
 سقى الله دهرًا قد تولت غياطيله^(٢) وفارقنا إلا الحشاشة باطيله^(٣)
 ليالى خدنى كل أبيض ماجد يطعم هوى الصابى وتنعى عواذله
 وفى دهرنا واليشى فى ذاك غيرة ألايت ذاك الدهر تنفى أوائله
 بما قد غنينا والعبا جل همنا بمايلنا ربحانه ونمايله
 وجسر لنا أذلاله الدهر حقيقه يطاولنا فى غيه ونطاوله
 فتقيا له من صاحب خذلت بنا مطيقنا فيه وولت رواحله
 أصد عن البيت الذى فيه قاتل وأهجره حتى كانى قاتله
 هذا البيت يناسب قول ذى الرمة ، وإن لم يكن فى هذا المعنى ، يصف ظلية
 وولدها :

إذا استودعته صفصفاً أو صريعة^(٤) تنحت ونمت جيداً بالمناظر^(٥)
 حذر أرا على وستان بصره الكرى بكل مقيل عن ضعاف فوار

(١) الذمام - بكسر الدال - العهد (م)

(٢) غياطله : ظلماته ، وأحدها غيطل (م)

(٣) الصنف : المستوى من الأرض ، والصريعة : الرمة المنقطعة من الرمال

لرجل من
بني كلاب

وتنجره إلا اختلاصاً نهارها وكم موزعاً ربة العين هاجر

وقال أبو حية النيرى :

لأبي حية
النيرى

أما وأبي الشباب لقد أراه جيلًا ما يرادُ به بديلُ
إذ الأيامُ مقبلةٌ علينا وظلُّ أراكِ الدنيا ظليلُ

لابن بسام

وقال على بن بسام :

بساطى نهر قبرك فالصلّى فسا والآلها فالقريتين
معايدُ لمونا والمعيشُ غصُ وصرف الدهر مقموضُ اليدين

وكان ابنُ بسام هذا - وهو على بن محمد بن منصور بن بسام - مليحاً من ترجمة ابن بسام وأخباره
القطعات ، كثير المجهاء خبثه ، و [ليس] له حظ الطويل ، وهو القائل :

كم قد قطعت إليك من ديمومة نُطفُ المياه بها سوادُ الباطل^(١)
في ليلةٍ فيها السماء مُرَدَّةٌ سوداء مظلمة كقلب الكافر^(٢)
والبرقُ يخفقُ من خلال سخابه خفقَ السواد لموعده من زار
والقطرُ منهيلٌ يسح كأنه دمع اللودع إثر ألفِ سائر

وقال في العباس [بن الحسين] لما قوَّزَ للكتفى :

وزارة العباس من تحيها ستعلق الفتوة من أمتها
شبهته لما بدأ مقبلاً في خيل يجعل من لبسها
جارية رَعْناء قد قدَّرت ثياب مولاها على نفسها

وقال في على بن يحيى للنجم يَرْتِيهِ :

(١) الططف : جمع نقطة ، وهي الماء الصافي (ر)

(٢) مرْدَّة : اسم الفاعل من قولهم «أرد المطر» إذا هطل ، وفي نسخة « فيها

السماء مزادة » (ر)

قد زرتُ قبرك يا عليّ مسلماً ولكَ الزبارة من أقلِّ الواجبِ
ولو استطعت حملتُ عنك تُرابهُ فطالما عني حملتَ نوائبي
وكان مولماً بهجهاءِ أبيه ، وفيه يقول وقد ابتقى داراً :

شِدَّتْ داراً خِلْتها تَكْرُمَةً سَلَطَ اللهُ عليها التَّرفَةَ
وأرانيك صريعاً وسطها وأرانيها صعيداً زَلَقاً
وقال أبو العباس بن المصنِّع يهجوهُ :

من شاءَ يَهْجُو عليّاً ففسره قد كفاه^(١)
لو أنه لأبيهِ ما كان يَهْجُو أباهُ

[مع الخلفاء]

يقول المأمون لأحمد بن أبي خالد ، وهو يخلف الحسن بن سهل ، وقد أشلَّ
واحد -
إليه برأى استرجعته : قد اعتلَّ الحسنُ وُزِمَ بيته ، ووكلَ الأمرَ إليك ، فأنا إلى
راحته وبقائه ، أحوجُّ [مضى] إلى إتباعه وفناءه ، وقد رأيتُ أن أستوزرك ؛ فإن الأمرُ
مادُمْتَ أنت تقوم به ، وقد طالمتُ رأيهُ في هذا الأمر ، فاعذاك . فقال :
يا أمير المؤمنين ، أعفني من التسمي بالوزارة ، وطالبي الواجب فيها ، واجعل
بينى وبين الناية ما يرجوئ له ولبي ، ويخافني له عدوئى ، فابعد النفايات إلا
الآفات . فاستحسن كلامه ، وقال : لا بد من ذلك ، واستوزره .

ورأى المأمون خطَّ محمد بن داود فقال : يا محمد ، إن شاركتنا في الخط ،
ابن داود في
حسن الخط قد فارقتك في الخط ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن من أعظم آياتِ النهي صلى الله
عليه وسلم أنه أَدَى عَنِ اللهِ سبحانه وتعالى رسالاته ، وحفظ عنه وَحْيَهُ ، وهو

(١) في الديوان «فسره قد هجاه »

أنتى لا يعرف من فنون الخط فنّا ، ولا يقرأ من سائر حَرَفاً ، فبقى عمود ذلك فى
أهله ، فهم يَشْرَفُونَ بالشَّبه الكَرِيم فى قَصْرِ الخط ، كما يشرفُ غيرُهم بزيادته ؛
وإن أمير المؤمنين أخصَّ الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم ، والوارث لموضعه ،
وللتقليد لأمره ونهيه ؛ فسلقت به المشابهة الجليلة ، وتناهتْ إليه الفضيلة . فقال
للمأمون : يا محمد ، لقد تركتني على آتسى على الكتابة ، ولو كنتُ أُمياً .

وهذا شيءٌ بقول سعيد بن السيب ، وقد قيل له : ما بال قريش أضعفُ
العرب شعراً ، وهى أشرفُ العرب بيتاً ؟ قال : لأنَّ كَوْن رسول الله صلى الله
عليه وسلم منها قطعَ مَتْن الشعر عنها .

من رَأْفَةِ
المأمون بعماله

وقال إبراهيم بن الحسن بن سهل : كنّا فى مجلس المأمون وعمرُو بن سَعْدَةَ
يقرأ عليه الرِّقَاع ، فجاءته حَظِيَّةٌ ، فلوّى عنقه فردّها ، فرآه المأمون فقال : يا عمرو ،
لا تقفل فإن رَدَّ الحَظِيَّة وتحويل الوجه بها يؤرثان انقطاعاً فى العنق . فقال بعض
ولد المهدي : ما أحسنها من مولى لبيده ، وإمام لرعيته ! فقال المأمون : وما فى
ذلك ؟ هذا هشامٌ أضطربت عمامته فأهوى الأبرش الكلبى إلى إصلاحها ، فقال
هشام : إنا لا نَتَّخِذُ الإِخْوانَ خَوَلاً^(١) ! فالذى قال هشام أحسنُ مما قلته . فقال
عمرو : يا أمير المؤمنين : إنَّ هشاماً يتكلّفُ ما طُبِعَتْ عليه ، [ويظلم] فيما تعدل
فيه ، ليس له قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا قيامك بحق الله ،
وإنك ولللوكة لكما قال النابغة الذمىاني :

ألم ترَ أنَّ الله أعطاك سَوَرةً ترى كلَّ مَلِكٍ دونها يتذبذبُ
لأنك شمسٌ وللوك كواكبٌ إذا طلعتْ لم يبدُ منهم كوكبُ
أخذ النابغة هذا من قول شاعرٍ قديم من كندة :

تَكَادُ تَمِيدُ الْأَرْضُ بِالنَّاسِ إِنْ رَأَوْا لَمَعُوا بَيْنَ هِنْدٍ غَضَبَةٌ وَهُوَ عَائِبٌ
هُوَ الشَّيْءُ وَاقَتْ يَوْمَ دَجْنٍ فَأَفْضَلْتُ عَلَى كُلِّ ضَوْءٍ وَلِلْوَكِّ كَوَاكِبٌ^(١)

بين يزيد بن معاوية وجميل بن أوس قال يزيد بن معاوية لجميل بن أوس ، وكان أكرمه واجتبه : لم كرهت الإفراط في تصديي ، وتطلعت عن الدرجة التي سما بك إليها مكانك متى ؟ فقال : [أيد الله سلطانك ، وأعلى مكانك] ، إن الذين كانوا قبلنا من أهل العلوم والآداب ، والقول والألب ، كانوا أطول أعماراً منا ، وأكثراً لزمان صحبة ، وأكثر للآيام تجربة ، وقد قال الحكميم : بقدر الثواب عند الرضا يكون القلب عند السخط ، وبقدر السوء في الرضة تكون وجبة الرضة ، ولا خير فيمن لا يسمع للوعظة ، ولا يقبل النصيحة ، وأنا يا أمير المؤمنين وإن كنت آمناً من التعرض لسخطك والدنو مما يقرب منه ، فلت بآين من طعن السأوى في الدرجة عندك ، وحقر للشارك في اللزقة منك ، وليس من تقديمك قليل ، ولا من تخفيفك يسير ، فإن أقل ذلك فيه النباهة ، والقفر ، [والثناء] والذكر ، وحسبى بما بذله من أموالك استحقاق عندك لإكرامك ، وحسبى من تقديمك خالص رضاك ، وصفاء ضميرك

مختار من أقوال الحكماء عند وفاة الإسكندر

لما جُبل الإسكندر في تابوت من ذهب تقدم إليه أحدُهم فقال : كان الملكُ يحبُّ الذهب ، وقد صار الآن الذهبُ يجهِّؤهُ ، وتقدم إليه آخر ، والناسُ يكونون ويمزعون ، فقال : حررنا بسكونه ، أخذه أبو التاهية فقال : يا علي بن ثابت إن متى صاحب جَلَّ قَدُّهُ يومَ بنتنا

(١) الدجن : الظلة ، ووقع في نسخة «واقَتْ يوم سعد» وأفضلت : زادت (م)

قد لَمَزَ حِكْمَتَ لِيْ غُصَصِ اللّو تِ وَحَرَّ كَتَفِيْ لَهَا وَسَكَنَتَا
وتقدم إليه آخر فقال : كَانَ لِلْمَلِكِ يَتِمُّنَا فِي حَيَاتِهِ ، وَهُوَ الْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْهُ
أَمْسِر . أَخَذَهُ أَبُو الْعَتَايَةِ فَقَالَ :

وَكُنْتَ فِي حَيَاتِكَ لِيْ عِظَاتٌ وَأَنْتَ الْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْكَ حَيًّا
وتقدم إليه آخر فقال : قَدْ طَافَ الْأَرْضَيْنِ وَتَمَلَّكَهَا ، ثُمَّ جَسَلَ مِنْهَا فِي
أَرْبَعَةِ أَذْرَعٍ . وَوَقَفَ عَلَيْهِ آخِرُ فَقَالَ : مَا لَكَ لَا تُقَلِّ حُضُورًا مِنْ أَعْضَائِكَ ، وَقَدْ
كُنْتَ تَسْتَقِلُّ مَلَكَ الْمَبَادِ . وَوَقَفَ عَلَيْهِ آخِرُ فَقَالَ : انْظُرْ إِلَى حِلْمِ النَّاسِ كَيْفَ
أَهْضَى ، وَإِلَى ظُلْمِ الْعَامِ كَيْفَ انْجَلَى . وَقَالَ آخِرُ : مَا لَكَ لَا تَرْغَبُ بِنَفْسِكَ عَنْ
ضَيْقِ الْمَكَانِ ، وَقَدْ كُنْتَ تَرْغَبُ بِهَا عَنْ رَحْبِ (١) الْبِلَادِ . وَقَالَ آخِرُ : [كَانَ
لِلْمَلِكِ غَالِبًا فَصَارَ مَغْلُوبًا ، وَأَكْلًا فَصَارَ مَأْكُولًا . وَقَالَ آخِرُ] : أَمَاتَ هَذَا اللَّيْتُ
كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لِسُلَالَةِ يَمُوتَ ، وَقَدْ مَاتَ الْآنَ . وَقَالَ آخِرُ : مَا كَانَ أَقْبَحَ
إِفْرَاطِكَ فِي التَّبَجُّرِ أَمْسَ ، مَعَ شِدَّةِ خُضُوعِكَ الْيَوْمَ . وَقَالَتْ بِنْتُ دَارَا : مَا عَلِمْتُ
أَنْ غَالِبَ أَبِي يُغْلَبَ . وَقَالَ رَئِيسُ الْعُطَايَةِ : قَدْ نَضَدْتَ النَّضَائِدَ ، وَأُلْقَيْتَ
الْوَسَائِدَ ، وَنُصِبْتَ لِلْوَانِدِ ، وَلَسْتُ أَرَى عَمِيدَ الْجُلُوسِ !

جَمَلَةٌ مِنْ كَلَامِ ابْنِ اللَّمَزِ فِي الْفُصُولِ الْقَصَارِ فِي ذِكْرِ السُّلْطَانِ
أَشَقَّى النَّاسِ بِالْبُلْطَانِ صَاحِبُهُ ، كَمَا أَنَّ أَقْرَبَ الْأَشْيَاءِ إِلَى النَّارِ أَسْرَعُهَا
احْتِرَاقًا . لَا يُدْرِكُ النَّفْيُ بِالْبُلْطَانِ إِلَّا نَفْسَ خَائِفَةٍ ، وَجِسْمَ تَيْبٍ ، وَدِينٌ مُنْتَظَمٌ .
إِنْ كَانَ الْبَحْرُ كَثِيرَ الْمَاءِ فَاتَهُ بَعِيدُ الْهَوَى ، وَمَنْ شَارَكَ السُّلْطَانَ فِي عِزِّ الدُّنْيَا
شَارَكَهُ فِي ذُلِّ الْآخِرَةِ . فَسَادَ الرِّعْيَةِ بِلَا مَلِكٍ كَفَسَادِ الْجِسْمِ بِلَا رُوحٍ . إِذَا
زَادَكَ السُّلْطَانُ تَأْنِيْسًا فَزِدَهُ إِجْلَالًا . مَنْ حَبَّبَ السُّلْطَانَ صَبْرًا عَلَى قُسُوتِهِ كَهَبْرٍ

(١) الرَّحْبُ : الْوَاسِعُ (م)

النواص على ملوحة بحرِه . الملك بالدين يتي ، والدين بالملك يقوى . من نصع
خلدنة نصحتَه المجازاة . لا تلبس بالسلطان في وقت اضطراب الأمور عليه ؛ فإن
البحر لا يكادُ يسلم صاحبه في حالِ سكونه ، فكيف عند اختلاب رياحه ،
واضطراب أمواجه ؟

ومن كلام أهل مصر وغيرهم في هذا النحو

الأوطانُ حيثُ يسدلُ السلطان . إذا نطق لسان العدل في دار الإمارة ، فلها
البشرى بالعرز والإمارة . آخرُ بالملك العادل أن يستقلَّ سريره في سُرّة الأرض .
ريحُ السلطان على قومٍ سموم^(١) ، وعلى قومٍ نسيم . أخلق بدم المستخف الجبابرة أن
يكون جباراً^(٢) . من غس يده في مال السلطان فقد مشى بقدمه على دمه . الملك
خليفةُ الله في عبادِه وبلادِه ، ولن يستقيم أمرُ خلافته مع مخالفته . الملك من
ينشرُ أثواب الفضل ، ويبسطُ أنواع العدل . السلطان كالنار : إن باعدتها بطل
نفعُها ، وإن قاربها عظم ضررها . إقبالُ السلطان تنبؤ فتنة ، وإعراضه حسرة
ومذلة . صاحبُ السلطان كراكب الأسد يهابُه الناسُ وهو لمركبه أهيأ .
السلطانُ إذا قال لصّاله : هاتوا ، فقد قال لهم : خذوا . ثلاثة لا أمان لهم : السلطان ،
والبحر ، والزمان . ليكن السلطان عندك كالنار : لا تدنو منها إلا عند الحاجة
إليها ، وإن اقتبست منها فعلى حذر . مثل أصحاب السلطان كقوم رَقُوا جلائم
وقصوا منه ، فكان أقربهم إلى التلف أجدم في الرقي . مثل السلطان كالجلبل
الصعب الذي فيه كل ثمرة طيبة ، وكل سبع حُلوم ، فالارتقاء إليه شديد ،
والقائم فيه أشد . إن عزَّ للوك في الدنيا بالجور ليدُلن في الآخرة [بالعدل] .
لابن عبّاد صاحب :

إذا ولّاكَ سلطانٌ فزده من التعظيم واخذَرهُ ورأيت

(١) سموم — بفتح السين — حارة محرقة (م)

(٢) جبار — بضم الجيم وفتح الباء مخففة — هدر ، ليس له من يأخذ به (م)

فما السلطانُ إلا البحرُ عظماً وقربُ البحرِ تحذُّورُ التواقيبِ

[وصف كاتبة]

ووصف أحمد بن صالح بن شيران^(١) جارية كاتبة فقال: كَانَ خَطُّهَا أَشْكَالَ صُورَتِهَا ، وَكَانَ مِذَاذُهَا سَوَادُ شَعْرَهَا ، وَكَانَ قِرْطَاسُهَا أَدِيمٌ وَجْهَهَا ، [وَكَانَ قَلَمُهَا بَعْضُ أَنَامِلِهَا ، وَكَانَ بَنَاتُهَا سِخْرُ مَقَلَّتِهَا ، وَكَانَ سِكِّينُهَا غُنْجٌ لِحْظُهَا ؟ وَكَانَ مِقْطَعُهَا قَلْبٌ عَاشِقُهَا .

[وصف غلام كاتب]

وقال بعضُ الكتَّابِ يصفُ غلاماً كاتباً :

انظر إلى أثر اللاداد بخذِّه كبنفسج الرُّوضِ للشُّوبِ يورِّده
ما أخطأتْ نُونَاتُهُ مِنْ صُدْغِهِ شَيْئاً ، وَلَا أَلْفَاتُهُ مِنْ قَدِّهِ
أَلَقْتُ أَنَامِلُهُ عَلَى أَقْلَامِهِ شَبْهًا أَرَاكَ فِرْنْدَهَا كَفَرِنْدِهِ^(٢)
وَكأنَمَا أَقْلَامُهُ مِنْ شَعْرِهِ وَكَأنَمَا قِرْطَاسُهُ مِنْ خَدِّهِ^(٣)
وقال أحمد بن أبي سمره اللباني فيما ينظر إلى هذا من طَرَفِ خَنِي :

[سَرَّابُ الْغِيَاثِ صَادِقٌ عِنْدُوعِدِّهَا وَسَمُّ الْأَطَاعِي مُبَرِّئٌ عِنْدَ صَدِّهَا]
رَمَتْنِي وَلَمْ أَسْمُدْ بِأَيَّامٍ وَضَلَّهَا بَيْنِي مَهَامٌ أَنْحَسْتَنِي بِبُعْدِهَا
فَمَلَقْتُهَا قَلْبِي كَمَا قَدْ تَمَلَقْتُ صَوَالِجَ صَدِغِهَا بِتَفَاحِ خَدِّهَا
فَقَلْبِي لَكُنَّا أَضْعَفْتُهُ كَحَصْرِهَا وَدَمْعِي لَمَّا تَظَلَّمْتُهُ كَمَقْدَحِهَا
وَنِيلُ الثَّرِيَّا عَمَكُنْ عِنْدَ وَضِلِّهَا وَأَسْرَخَ مِنْ بَرَقِ تَنَاقُضِ وَعْدِهَا

[من بديع الزمان إلى ابن العميد]

رقعة كتبها بديع الزمان إلى ابن العميد يستعجزه: أَيْنَ تَكْرَمُ الشَّيْخُ الْعَمِيدُ
أَيْدِي اللَّهِ عَلَى بَوْلَاهُ؟ وَكَيْفَ مَعْلُهُ إِلَى رِيَّاهُ؟ أَيْقُصِرُ فِي النِّعْمَةِ ، لِأَنِّي قَصُرْتُ

(١) في نسخة «بن بشير» (م) (٢) فرند السيف — بكسر الفاء والراء —
حمده (م) (٣) الأقاس: جمع قيس — بكسر فسكون — وهو الحبر (م)

في الخلمة؟ إذَنْ قد أساء العاملة، ولم يحسن القابلة، وعثر في أذيال السهو، ولم
يتمش بيد الصو، أم يقول: إن الدهر بيننا خَدَع، وفيما بعد مُنَع، فقد أَرَف
رَحِيل^(١)، ولا ماء بعد الشط، ولا سطح وراء الخط؛ أم ينتظر سؤالي؟ وإنما
سألته، يوم أملتُه، واستمَنَحْتُ^(٢)، يوم مدحته، واقتضيته، يوم أتيتُه، وانتجت
سحابه، لما قرعت بابه، وليس كل السؤال أعطى، ولا كل الرد أعفى؛ أم
يظن- أيده الله تعالى- أني أردت صِلته، ولا ألبس خلته؟ وهذه فراسة للمؤمن إلا
أنها باطلة، ونخبة المعارف إلا أنها فاسدة؛ أم ليس يجدني مكاناً للنعمة بضعها،
وأرضاً للمنة يزرعها؟ فلا أقل من تجربة دفعة، والمخاطرة بإفقاد خلمة، ليخرج
من ظلمة التخمين، إلى نور اليقين، وينظر أشكر أم أكفر؛ أم يتوقع- أيده الله-
صاعقة تملكني، أو باقة تهلكني^(٣)، فلماذا أمل موفر، لأن شيخ السوء باق
مُفَرٍّ؛ أم يقدر- أيده الله- أني أشكره إذا اصطنع، وأعذره إذا منع، وتافه
لو كنت ينبوع الماذير ما حظي منها بمجرة، فليرحى بسرعة.

[بين البديع وأبي القاسم المهداني]

وكتب أبو القاسم المهداني إلى البديع: قد كتبت لسيدي حاجة إن قضاها
وأمضاها، ذاق حلاوة العطاء، وإن أباهها وفلَّ شَبَاهَا^(٤)، بقي مرارة الاستبطاء،
فأى المجدون أخف عليه؟ أجود بالملق^(٥)، أم جود بالمرض؟ ونزول عن
الطريف، أم عن الخلق الشريف؟

فأجابه: جلست فذاك هذا طيبخ، كله توبيخ، وتريد، كله وعيد، ولقم،
إلا أنها قَم، ولم أرقِ دراً أكثر منها عظماً، ولا أكلاً أكثر مني كظماً، ولم أرَ
شَرِيَةً أَمَر منها طمها، ولا شارباً أَمَر مني حلماً، ما هذه الحاجة؟ ولكن حاجتك
من بعد أين جوانب، وألطف مطالب، توافق قضاها وتوافق ارتضاءها، إن
شاه الله تعالى.

(١) أَرَف رَحِيل: قرب (م) (٢) استمَنَحْتُ: طلبت منحة، أي عطاء؛ وفي
نسخة «استمنحه» بدون تون (م) (٣) الباقية: للهلكة (م) (٤) فل: كسر وحطم،
وشبهاه - بفتح الشين - حدها (م) (٥) الملوق: بالكسر - النفس الذي يخالي فيه (م)

وفي مقامات أبي الفتح^(١) الإسكندري من إنشائه ، قال :

حدثنا عيسى بن هشام قال : أحلني جامع بخاري يوم ، وقد انتظمت مع رفقة من مقامات
في يسطر التريا ، وحين احتفل الجامع بأهله طلع علينا ذو طيرين^(٢) ، قد أرسل
صوانكا ، واستل [طِفْلا] عُرْيانا ، يضيئ بالضرّ وشمه ، ويأخذهُ القُرْ ويدعهُ ،
لا يملك غَيْرَ القِشرة^(٣) بُرْدَة ، ولا يلتقي لَحْيَاه رِغْدَة ، ووقف الرجل وقال : لا ينظر
لهذا الطفل إلّا مَنْ رَحِمَ طفله ، ولا يرقُّ لهذا الضرّ إلّا مَنْ لَا يَأْمَنُ مثله ، يا أصحاب
الجُدود المفروزة ، والأُرْدِيَةِ للطروزة ، والذُورِ المتجدّة ، والقصور المشيدة ، إنكم
لن تأمنوا حادثنا ، ولن تصدموا وارثنا ، فيادرُوا الخيرة ما أمكن ، وأحسنوا مع
الدهر ما أحسن ، فقد والله طَلَمْنَا السَّكْبَاجَ^(٤) ، وركبنا الهِمْلَاجَ^(٥) ، ولبنا الديباج ،
وافترشنا الحشايا بالمشايا ، فإرنا إلّا هبوبَ الدهر بتدريه ، واقلابَ الحينَ لظهره ،
فصاد الهِمْلَاجَ قَطُوفًا^(٦) ، واقلبَ الديباجَ صُوفًا ، وهلمَّ جرا ، إلى ما شاهدون من
حالي وزَيِّ ، فما نحن نرضع من الدهر تَدَيَّ عقيم ، وزُجْج من القفر ظهرَ بهيم ،
ولا زَنُو إلّا بعين اليتيم ، ولا نمد إلّا يد العديم ، فهل من كريم يجلو عفا غياهب
هذه البؤوس ، ويفلُّ شبا هذه النحُوس ؟ ثم قد مرتفقا ، وقال للطفل : أنت
وشأنك . فقال : وما عسى أن أقول ، وهذا الكلامُ لو لقي الشعر لحلقه ،
أو الصخر لفلقه ، وإن قلبًا لم يُنضِجْهُ ما قلت لبيّ ! قد سمعتم يا قوم ، ما لم
تسموا قيل اليوم ، فليشغل كلَّ منكم بالجلود يذّه ، وليذكر غَدّه ، وإِقْيَا بِي ولَدّه ،
واذكروني أذكركم ، وأعطوني أشكركم !

قال عيسى بن هشام : فما آنسني في وَخْدتي إلّا خاتم ختمت به خنصره ،
فلما تناوله أنشأ يقول :

وَمُنْعَطِي مِنْ غَمٍّ بِقِلَادَةِ الْجُوزَاهِ حُنا

-
- (١) الرائد لل مقامات التي وضعها البديع على لسان أبي الفتح الإسكندري (م)
(٢) طيرين : مثنى طير — بالكسر — وهو الثوب الخلق البالي الرث (م)
(٣) القشرة : الجلبة (م) (٤) السكباج : ضرب من الطعام ، لم يخل (م)
(٥) الهملاج : القرس السريع (م) (٦) القطر : البطيء السير (م)

كُنْ يَمَّ لَقِيَّ الْحَيْبُ فَضَّهُ شَفَقًا وَحُزْنًا
مَتَأَلَّفَ مِنْ غَيْرِ أَشْرَكِهِ عَلَى الْأَيَّامِ خِدْنًا
عَلَّقَ سَنِيَّ قَدْرُهُ لَكِنْ مَنْ أَعْدَاهُ أَسْنَى
أَمْسَتْ لَوْ كَانَ الْوَرَى فِي اللَّجْدِ لَقَطَا كُنْتَ مَعْنَى

قال عيسى بن هشام : خبته حتى سَفَرَتِ الْخُلُوةُ عَنْ وَجْهِهِ ، فَإِذَا وَاللَّهِ شَيْخُنَا
الإسكندري ، وَإِذَا الصَّبِيُّ غَلَامٌ لَهُ ، قُلْتُ :

أَبَا الْفَتْحِ شَبَّتَ وَشَبَّ النَّلَامُ فَأَيْنَ الْكَلَامُ ، وَأَيْنَ السَّلَامُ ؟^(١)
قَالَ :

غَرِيبًا إِذَا جَمَعْنَا الطَّرِيقَ أَلِفًا إِذَا نَظَّمْنَا الْخِلَامَ
فَلَمْتُ أَنَّهُ كَرِهَ لِقَائِي ، فَتَرَكْتُهُ وَانصَرَفْتُ .

[وصف فص وخاتم]

وقال أبو الفتح كشاجم يصف فصاً :

لَأَبَى الْفَتْحِ
كشاجم

سَاجِلٌ بِفَضْلِكَ مَنْ أَرَدَتْ وَبَاهِهِ فَكُنْ بِكَ كَدًّا لِقَلْبِ الْحَاسِدِ
مَتَأَلَّفٌ فِيهِ الْقِرْنَدُ كَأَنَّهُ وَجَعِي شِدَاةً نَدْبِي وَصَيْفٍ قَاصِدِ
لَوْ أَنَّ غُلْمًا مَنَّهُ عَلَتْ لَأَرْتَوَتْ مِنْ مَاءِ جَوْهَرِهِ اللَّيْنِ الْبَارِدِ^(٢)
بِهَرِّ السَّمُونِ إِسْهَاءَةً فِي رِقَّةٍ فَكَأَنِّي مَتَخَنَّمٌ بِمُطْلَرِدِ

لبعض المحدثين

وقال بعضُ المحدثين يصف خاتماً :

وَوَحِيدُ الْكَيْانِ صَيِّغٌ بَدِيمًا فَلِذَا تَمَّ صَيِّغٌ مِنْ جَوْهَرَيْنِ
خَلَقْتَ خَبْجَةَ الْخُلُودِ عَلَيْهِ خِلْمًا قَدْ لَبَسَ فَوْقَ اللَّجَيْنِ

(١) في نسخة «شبت وشاب النلام» (م)

(٢) علت : أصله شربت بعد شرب ، والمراد هنا شربت مطلقاً (م)

فإذا ما رأيتَه في بَنانٍ قد كساها من حُسنه حُلَيْنِ
قلت نجمٌ هَوَى من الجَوِّ حتى صار بحري بُروجه في اليَدَيْنِ
وقال البحرى يستهْدِي المتزفعا :

البحرى

فهل أنت يابن الراشدين غتَمى بياقوتة تبغى على وتُشرقُ
يفار احمرار الورْدِ من حُسنِ صبغها ويحكيه جادى الرحيقِ المعتقُ
إذا برزتْ والشمس قلت تجاريا إلى أمدٍ أو كادت الشمس تسبقُ
إذا التهبَتْ في اللَّحْظِ ضاهى ضياؤها جبينك عند الجودِ إذ يتألقُ^(١)
أُسرِبَلُ منها نوبَ فخرٍ معجلٍ فيبقى بها ذكرٌ على الدهرِ محلقُ

لأبى الفتح
كشاجم

وعلى ذكر الغلام قال أبو الفتح كشاجم :

عرَضَ فمرَضَنَ القلوبَ مِنَ الموى لأشْرَعَ من كفى القلوبِ على الجمرِ
كَأَنَّ الشفاةَ اللّمسَ منها خوائِمُ من الثَّبرِ مَخْتومٍ بهنَّ على الدُّرِّ^(٢)
وقال الناطم :

يروحُ مُناجِيه بهاروتِ لَحْظِهِ ويؤنِسُه منهُ بصورةِ آدَمِ
ترى فيه لأمًا فردةً فوق وَرْدَةٍ وفعاً من الباقوتِ من فوق خاتَمِ

[مفاضلة بين الكلام والصمت]

وقال أبو تمام الطائي : تذكّرنا في مجلس سميد بن عبد العزيز الكلامَ
وفضله ، والصمتَ ونبله ، فقال : ليس التَّجَمُّ كالقَمَرِ ؛ إنك إجماعُ الكَوْتِ
بالكلام ، ولا تمدحُ الكلامَ بالكَوْتِ ، وما أنبأ عن شيءٍ فهو أكبرُ منه .
قال الجاحظ : كيف يكونُ الصمتُ أَفْعَمَ من الكلامِ ، ونفعه لا يكادُ يجاوزُ

(١) ضاهى : أشبه ، وتألق : يضىء . (م) .

(٢) اللّمس : جمع لساء ، وهى التى فيها خيط أسمر ، وهو مما يمدح به (م) .

صاحبه ، ونفعُ الكلامِ يَمُ ويغصنُ ، والرواةُ لم تَرَوْ سكوتَ الصامتين ، كما روت كلامَ الناطقين ؛ فبالكلامِ أرسلَ اللهُ تعالى أنبياءه لا بالصمتِ ، ومواضعُ الصمتِ المحمودَةُ قليلة ، ومواضعُ الكلامِ المحمودِ كثيرةٌ ، وبطول الصمتِ يَفُتدُ البيان . وكان يقال : عاذتُهُ الرجالُ تلقيحُ لألبابها .

وذُكِرَ الصمتُ في مجلسِ سليمان بن عبدلك قال : إنَّ مَنْ تكلمَ فأحسنَ قَدَّرَ أنْ يسكتَ فيُعْفين ، وليسَ مَنْ سكتَ فأحسنَ يتكلمَ فيُعْزين .
قال بعضُ السَّكَّ : أسكتني كلمةُ ابنِ مسعودَ عشرين سنةً ؛ وهي : من كان كلامه لا يوافقُ فعله فإنما يوجبُ نَفْسَه .

[الحنين إلى الأوطان]

قال أبو عمرو بن العلاء : مما يدلُّ على حرية الرجل وكرم غريزته حنينه إلى أوطانه ، وتشوقه إلى متقدم إخوانه ، وبكاؤه على ماضى من زَمَانِهِ . .
وقالوا : الكريمُ يحنُّ إلى جنابه ، كما يحنُّ الأسدُ إلى غايه .
وقالوا : يشتاقُ اليببُ إلى وطنه ، كما يشتاقُ النجيبُ إلى عَطْنِهِ (١) .

ألقاظ لأهل مصر في ذكر الوطن

بلد لا تُؤثِّرُ عليه بلدًا ، ولا تُعَبِّرُ عنه أمدًا . هو عُنُّ القدى فيه دَرَجٌ ، ومنه خرجَ . جمع أسرته ، ومقطع سُرَّتِهِ . بلد أنشأته تربته ، وغذاءه هواؤه ، ورواه نيسمه ، وحلَّتْ عنه التَّأْنُمُ فيه .

قالوا : وكان الناسُ يتشوقون إلى أوطانهم ، ولا يفهمون السَّعةَ في ذلك ، حتى أوضعا على بن العباس الرُّومى في قصيدته لسليان بن عبد الله بن طلهر يستمدِّيه على رجل من الثُّجَّار ، يعرف بأبن أبى كامل ، أجبره على يَتِيمِ داره واغتصبه بعضُ جُدْرها ، بقوله :

(١) النجيب : هذا الجبل الأميل ، والوطن - بفتح الميم والطاء جميعا - مبرك الإبل . أى مكان بروكها (م)

لابن الرومي
في تحليل الحنين
إلى الوطن

ولي وطنٌ آليتُ ألا أبعدهُ
عديتُ به شَرَّخَ الشبابِ ونسَهُ
وحبَّ أوطانَ الرجالِ إليهمُ
إذا ذكروا أوطانهم ذكَّرتهمُ
قد ألفتَه النفسُ حتى كأنهُ
يقولُ له فيها :

وقد عزَّيَ فيها لثيمٌ وسامِي
وما هوَ إلا نسجُك الشَّرعِي
بصيرٍ يَنسَآلُ الملوكَ ، ولم يكنْ
وإني وإنْ أضحيَ مَدْلًا بِمَالِهِ
فإن لم تُصْبِنِي من عيْنِكَ نِعمَةً
فكم لي المافون بَدَهَا وعودَةً
فقال علي بن عبد الكريم النصبي : أتاني أبو الحسن بن الرومي بقصيدته

هذه ، وقال : أنصفني ، وقل الحق : أيهما أحسن قولاً في الوطن أوقول الأعرابي :
أحبُّ بلادَ الله ما بين متَّعِجٍ إلى وسلوى أن يَصُوبَ سحابُها
بلادٌ بها نِطَلَتْ عَلَيَّ تَمَانِي وأوَّلَ أرضٍ مَسَّ جِلْدِي تُرَابُهَا^(١)
قلت : بل قولك ؛ لأنه ذكر الوطن ومحبته ، وأنت ذكرت العلة التي
وجبت ذلك .

وله يشتاق
إلى بغداد

وقال ابن الرومي أيضاً يتشوق إلى بغداد ، وقد طال مقامه بسرٍّ من رأى :
بلدٌ صحَّبتُ به الشَّيبَةَ والعُصَا وليستُ تُوبَ العيشِ وهو جَدِيدُ
فإذا تَمَثَّلَ في الضميرِ رَأْيَتَهُ وعليه أغصانُ الشَّبابِ تَمِيدُ^(٢)

(١) عزى : غلبى (م) نيطت : علفت ، والتمام : جمع تيمة ، وهي العادة
تعلق على الصبي تمنع عنه العين في زعمهم (م) (٢) تميد : تحرك وتنايل .

وقال أبو العباس : ولما احتفل القائل في هذا المعنى السابق إليه قال :

• بلادُها حلَّ الشبابُ ثَماني •

وقد تقدّم . وإذا كانت ثَمانيه قطعت بأبرق العزّاف ، وكان الترابُ الذي منّ جلده ترابَ جزيرة سیراف ، وجب أن يمنّ إليهم منّ للتأسفين على غُوطَةِ دمشق ، وقصور مدينة السلام ، ونجف الجزيرة ، ومستشرق الخوزنق ، وجوّسق سرّ من رأى ، لَمّا بعد عنها ، وطال مقامه بشيرها ، كلّاً ، ولكن هذا الرجل علم أن الحنين إلى الأوطان لما تدكّر من معاهد اللّهُ فيها ، بمحبة الشباب الذي ذكر أن غول سكرته ، ينطلي على مقدار فضيلته ، في قوله :

لا تُلحَ مَنْ يَبْكِي شَيْئَهُ إلّا إذا لم يَبْكِيها بَدَمٌ
عَيْبُ الشَّيْبَةِ غَوْلُ سَكْرَتِها ومقدّار ما فيها من النّعم
لَسْنَا نراها حقّ رؤيتها إلّا أوان الشَّيْبِ والمهرَمِ
كالشمس لا تبدو فصيلتها حتى تُنقِشَ الأرضُ بالثَّلَمِ
ولرُبّ شيء لا يبيّنه وجداته إلّا مع السّدمِ .

أخذها هذا من قول الطائي :

راحت وفودُ الأرضِ عن قبره فارغةً الأيدي مِلاءَ القلوبِ
قد علّت مارِثَتُ ، إنما يعرفُ قدّ الشمس بعد القروبِ
وأخذ ابن الرومي قوله في صفة الوطن من قول بشّار :

مَنْ تَعْرِف الدارَ التي بَأَن أهلها بسمدي فإنّ المهدَ منك قريبُ
تذكركُ الأهواءُ إذ أنت يافعٌ لئسها فَمَنّاها لَدَيْكَ حَبِيبُ^(١)
أو من قول بعض الأعراب :
ذَكَرْتُ بِلادِي فَاسْتَهَلَّتْ مَدَامِي بِشَوْقِي إِلَى عَهْدِ الصِّبَا الْمُتَقَدِّمِ^(٢)

لبشار بن برد
في حب الوطن

لبعض
الأعراب

(١) يافع : أراد صغير السن . ومناها : موطن الإقامة منها (م)

(٢) استهلت مدامى : انهمرت ، وهطلت ، وسالت (م)

حَقَّقْتُ إِلَى الْأَرْضِ بِهَا الْغَضْرُ شَارِبِي وَقَطَعَ عَنِ قَبْلِ عَقْدِ التَّمَامِ

وَأَشَدُّ حَلَبَ لِرَجَاءِ بْنِ هُرُونِ التَّسْكِي :

لِرَجَاءِ
ابْنِ هَارُونَ
التَّسْكِي

أَحْبَنُ إِلَى وَادِي الْأَرَاكِ صَبَابَةً لَهْفُ الصَّبَا فِيهِ وَنَذَارُ أَوَّلِ

كَأَنَّ نَسِيمَ الرِّيحِ فِي جَنَابَاتِهِ نَسِيمُ سَيْبٍ أَوْ قَسَاءٍ مَوْثِلِ

قَالَ أَبُو بَكْرِ الصَّوْلِيُّ : وَلَسْتُ أَشْكُ أَنَّهُ مِنْ قَوْلِ رَجَاءٍ أَخَذَ ، وَبِهِ الْإِمْ ،
وَعَلَيْهِ عَوَّلٌ ؛ لِأَنَّهُ فِي تَنَاوُلِهِ الْمَعْنَى غَرِيبٌ الْأَخْذُ ، هَائِزُ السَّهْمِ ^(١) ، لَا يَطْرُضُ
مَعْنَى مَمْرُوفًا إِذَا أَشَدَّ عِلْمُ النَّاسِ أَنَّهُ مَعْدِنُهُ الَّذِي اسْتَحْتَمَهُ .

وَقَدْ اخْتَلَسَ مَعْنَى قَوْلِ ابْنِ الرُّومِيِّ :

قَدْ أَقْبَ النَّفْسُ حَتَّى كَانَتْ لَمَّا جَدُّ إِنْ بَانَ غُودَرُهَا لِيَكَا

أَخَذَهُ عَلَى بَنِ عَمْدِ الْإِلَادِي وَقَالَ فَأَحْسَنُ الْأَخْذِ وَلَطْفٌ فِي السَّرَقَةِ :

لِلْإِلَادِي

بِالْجُرْعِ فَالْخَبَّتَيْنِ أَشْلَاءَ دَارِ ذَاتِ لِيَالٍ قَدْ تَوَلَّتْ قِصَارُ

بَانُوا فَاثَتِ أَصْفَا بَدَمِ وَإِنَّمَا النَّاسُ ضَوْسُ الدَّارِ

وَقَالَ أَعْرَابِي :

لِأَعْرَابِي

أَيَا حَلَا مَحْدٍ وَطِيبُ تَرْابِهِ تَصَافِيحُهُ أَيْدِي الرِّبَالِ الْفَرَاثِبِ

وَعَهْدٌ صَبَا فِيهِ يَنْزَعُكَ الْهَوَى مَذَكُ أَرْابٍ . عَذَابُ الْمَشَارِبِ

تَنَالُ لِلْقَى مَنَنْ فِي كُلِّ مَطْلَبٍ عَذَابُ التَّنَايَا وَارِدَاتِ الْقَوَائِبِ ^(٢)

وَقَالَ ابْنُ مِيَادَةَ يَخْطُبُ الْوَلِيدَ بْنَ يَزِيدَ .

لِابْنِ مِيَادَةَ

أَلَا لَيْتَ شَمْرِي هَلْ أَيْتَنَ لَيْتَ بَحْرَةٌ لِيْلِي خَيْتِ رَبَّنَقِي أَهْلِي

بِلَادٍ بِهَا نَيْطَتْ عَلِيٌّ تَعَامَى وَقُطُنَ عَنِ حَيْنِ أَذْرَ كَفِي عَقْلِي

فَلَنْ كُنْتُ عَنْ تِلْكَ الْمَوَاطِنِ مَانِي فَأَنْشُرَ عَلَى الرِّزْقِ وَاجْتَمَعَ إِذَا شِئِلِي

وَقَالَ سُوَيْرُ بْنُ الصَّرِيرِ ^(٣) ، وَرَوَيْتَ لِمَالِكِ بْنِ الرِّيبِ :

(١) السَّهْمُ الْعَائِرُ : الَّذِي لَا يَعْرِفُ رَأْيِيهِ (م) .

(٢) الْقَوَائِبُ : جَمْعُ دَوَابَّةٍ ، وَأَرَادَ الشَّرَّ ، وَوَرُودَهُ : اسْتِرْسَالَهُ (م) .

(٣) فِي نَسْخَةِ «سُوَيْرِ بْنِ الصَّرِيرِ» (م) .

سقى الله العليمة من بلاد
وجوا زاهراً للريح فيه
به سقت الشباب إلى زمان
وقال أعرابي :

لأعرابي

أقول لصاحبي واليس تخدي
تتمتع من سيمهم عرار تجدي
ألا يا حبيذا ففعلت تجدي
[وأهلك إذ يحمل القوم نجدا
شهور ينقضين وما شعرنا
وهذا البيت كقول الآخر :

سقى الله أيلماً لنا قد تناهت
ليالي أعطيت البطالة مقودى
وسقياً لعصر العارمة من عصر
تمر الليالي والشهور لولا أذرى

وتخلف سليمان عن نصرة ابن الروي ؛ فذاك الذى حاجه على هجائه ، فمن
ذلك قوله ، وقد خرج في بيض الوجه فرجع مهزوماً :

ابن الروي
يهجو سليمان
ابن عبد الله
ابن طاهر

جاء سليمان بنى طاهر
كان بندا وقد أبصر
فاجتاح معتز بنى المعتصم
طلته نائمة تلتمد^(١)
مستقبل منه ومستدر
وجه بخيل وقفا منهزم^(٢)

وقال :

قرن سليمان قد أضر به
شوق إلى وجهه سيتلفه

- (١) في نسخة « نواقيها كأرواح النواقي » والأرواح : جمع ربح (م)
(٢) الميس : الإبل ، وتخدي : تسرع في سيرها ، والنيفة : ماء لقيم (م)
(٣) غب القطار : جد الطر (م)
(٤) تلتمد : تلطم وجهها (م)

كَمْ يَمُدُّ الْقِرْنَ بِالْقَاءِ وَكَمْ يَكْذِبُ فِي وَعْدِهِ وَيُخْلِفُهُ

لَا يَرِفُ الْقِرْنَ وَجْهَهُ وَيَرَى قَهَّاءَ مِنْ قَرَسَتْ، فَيَعْرِفُهُ

وقد أخذ هذا المعنى من قول بعض الخوارج ، وقد قال له أبو جعفر المنصور :

أخبرني أى أصحابي كان أشد إقداماً في مُبارزتك ، قال : ما أعرفُ

وجوهم ، ولكنني أعرفُ أقفاهم ، قل لهم يدبروا أعرفك .

وفي هذه اللنازة يقول ابن الرومي لمواليه بنى هاشم وكان ولاؤه لمبيد الله بن

عيسى بن جعفر بن المنصور :

تَحْذِرُكُمْ دِرْعًا عَلَى لَسَدٍ قُمُوا نِبَالَ الْمِدَى عَنِ فَكْتَمِ نَصَالِهَا

وقد بنت أرجومنكم خَيْرَ نَاصِرٍ عَلَى حِينِ خِذْلَانِ الْيَمِينِ شِمَالِهَا

فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَحْفَظُوا الْمَسُودَتِي ذِمَامًا فَكُونُوا لَا عَلَيْهَا وَلَا لَهَا

قَبُولًا مَوْفَقَ الْمُنْظُورِ عَنِ بَعْمَلٍ وَخَطُولًا نِبَالًا وَالْهَدَا وَنِبَالِهَا

ألفاظ لأهل المصر ، في وصف الأمكنة والأزمنة

بلدة كأنها صورة جنة الخلد ، منقوشة في عَرْضِ الأرض . بلدة كأنها

محاسن الدنيا مجموعة فيها ، ومحصورة في نواحيها . بلدة كأن ترابها عنبرٌ ،

وحَصْبُها عقيق^(١) ، وهواها نسيم ، وماءها رَحِيق . بلدة مشوقة السكْنَى ،

رَحْبَةُ الْمَثْوَى^(٢) ، كوكبها يقظان ، وجَوَّها عُرْيَان ، وصَحَاها جَوْهر ، ونسيمها

مُطَطَّر ، وترابها مِنْكَ أَذْفَر ، ويومها غداةٌ ، وليلها سحر ، وطعامها هنيءٌ ،

وشرابها مَرِيء . بلدة واسعة الرقعة ، طيبة البقعة ، كأن محاسن الدنيا عليها

مفروشة ، وصورة الجنة فيها منقوشة ، واسطة البلاد وسررتها ، ووجهها وغرتها .

(١) الحصباء : منار الحصى (م)

(٢) المثوى : مكان الإقامة ، ورجته : أى واسعة (م)

ولهم في ضد ذلك

بلد مُتَصَائِقُ الحدود والأفنية ، متراكب المنازل والأبنية . بلد حرها مؤذٍ ،
وملؤها غير مفذ . بلدة وَسْخَةُ السماء ، رَيْدَةُ الهواء ، جَوْهَا غبار ، [وأَرْضُهَا
خَبَارٌ ^(١)] ، وماوُها طِين ، وِزَابُها سِرَجِين ^(٢) وحِيطَاتُها تَرْوُز ، ونَشْرِينُها تَمْوُز ^(٣) ،
فَكَم في شمسها من محترق ، وفي ظلها من غرق . بلدة ضَيْقَةُ الديار ، سَيْتَةُ الجوار ،
حِيطَاتُهَا أَخْصَاص ، وبيوتها أَقْصَاص ، وحُشُوشُها مَسَابِل ، وطَرَقُها مَزَابِل .

ولهم في صفات الحصون والقلاع

حصن كأنه على مَرْقَبِ النجم ، يحسردونه الناظر ، ويقصر عنه المُقَابِهُ
السكايرُ ، بكادُ مَنْ عِلَاهُ يَفِرُّ في حوض النمام . حصن انتطقي بالجوزاء ، وناجَتْ
أبراجُه بُرُوجَ السماء . قلعة حَلَّقَتْ الجوزاء تناجي السماء بأسرارها . قلعة بَعْدَ في السماء
مُرْتَقَاها ، حتى تساوى رَأَاهَا مع رَبَّيَاهَا . قلعة تنوشع بالنيوم ، وتَتَعَلَّى بالنجوم .
قلعة عالية على المرتقى ، صماء عن الرقى ، قد جاوزت الجوزاء سَمْتًا ، وعزلت السالك الأغرل
تَمَكًا ، هي متناهية في الحصانة ، موثوقة بالوثاقة ، ممتنة على الطلب والطلب ،
منصوبة على أضيئ السالك وأعر المناصب ، لم تَزِدْها الأيامُ إِلَّا نَبُوَ أعطاف ،
واستصماب جوانب وأطراف ، قد ملَّ الوِلَاةُ حِصَارَهَا ، ففارقوها عن طنوج
منها وشِمَاسٍ ، وشمت الجيوشُ ظُلْمًا ، فنادَرَتْها بعد قنوطٍ وبأسٍ ، فهي
حَتَّى لَا يَرَاغ ^(٤) ، وَمَقِيلٌ لَا يَسْتَطَاع ، كَأَنَّ الأيامَ صَالِحَتُها على الإغناء من الحوادث
والليالي عاهدَتْها على التسليم من القوارع . قلعة تَحْتَوِي من الرُقْمَةِ قَدْرًا لَا تَسْتَهَانُ
مواقمَ ، وتلوي في اللمة جيدًا لَا تَسْلُكُ أَخَادِعَهُ ، ليس للوهم قبل القدوم إليها
مَسَرَّتِي ، وَلَا فَكْرٌ قَبْلَ الخَطْوِ محوها بجزى .

(١) الحجاز - بفتح الحاء المعجمة ، بزة السحاب - الذين للسترخى من الأرمن (م)

(٢) أراد أن ترابها نجس ؛ لأن السرجين عنزة البهائم (م)

(٣) قمرين وتموز : من أسماء الشهور الرومية ، وتشرين في الشتاء ، وتموز في

الصيف ، يريدانها عديدة الحر (م) (٤) لا براغ : لا يطلب لأنه لا سبيل إليه (م)

ولهم في صفات القصور والدور

قصر كان شُرُفاته بين النسر والذئبق^(١)، كأنه يُسأى القرقه، وقد كنت له الشمرى المبور ثوب النور . قصر طال مَبْنَاهُ، وطلب مَنَاهُ، كأنه في الحفانة جبل مَنِيح ، وفي الحسن ربيع مَرِيح . شُرُفات كالمذارى شَذَن مناطقها ، وتوجن بالأكاليل مَفَارِقها . قَصْرُ أَقْرَبَ له القصور بالقصور^(٢)، كأنه مستجاب في بحر السماء . دار قَوْزَاء تُوسِعُ العين قُرَّة ، والنفس مسرة . كأن بانيها استسلف الجنة فمَجَلَّتْ له . دار تخجل منها الدور ، وتتأصّر عنها القصور ؛ إن مات صاحبها مَفْجُوراً له فقد انتقل من جنة إلى جنة . دار قد اقترن اليُمن يمينها ، واليُسْر يُسْرها ، الجُوم منها في خَصْر ، واليومن على سَفَر . دار هي [دائرة الميامن ، و] دَارَةُ المَاسن . دارٌ دارٌ بالسعد نجْمها ، وفاز بالحسن سَهْمها . دار يحدّهما الدهر ، ويأويها الجدرُ، ويكفها النُصر ، هي مَرْتَع النواظر ، ومتنفّس الخطاوط . دارٌ قد أخذت أدوات الجنان ، وضحكت عن العبقرى الحِسان .

[من رسائل الميكالى وشعره]

فصل لأبي الفضل الميكالى إلى بعض إخوانه :

ما ابتدأت بمخاطبة سيدي حتى سرتِ السرّة في نقي ، وقويت أركانُ بهجتى وأنسى ، وحتى أقبَلتُ وجوه الميامن تهلّل إلى ، وبذرُ الساعِد تنثالُ على^(٣) ، وكيف [لا يملكنى الجذل والقرح ، وكيف] لا يهزني النشاط والمرح ، وقد زفقتُ وُدّي إلى كُفٍّ كريم ، وعرضته لحظّة من الجمال جسيم ، وأرجو أن يرّد منه على حسن قبول وإقبال ، ويخطّي من ارتياحه له يَبْرُد .

(١) النسر واليومن والشمرى : أسماء نجوم في السماء (م)

(٢) القصور الأول : جمع قصر ، والثاني بمعنى التقصير (م)

(٣) تنثال على : تنوالى وتكثر (م)

أَشْتَاتِلَ ، وَيُصَادَفُ مِنْ اهْتِزَازِهِ وَإِشَاتِهِ ، وَعَارَتِهِ وَإِعَانِهِ ، وَنَحْمِصِينَ أَطْرَافِهِ مِنْ شَوَابِ الْخَلَلِ ، وَشَوَائِنِ الْوَهْنِ وَاللَّيْلِ ، وَمَاتِ تَحَكُّمِهِ بِمَرَّاتِ الْوِصَالِ ، وَتَوْنِ عَلَى قُوَاهَا عَوَادِيِ الْإِنْتِظَاضِ وَالْإِنْخِلَالِ .

وله : إِذَا لَمْ يُوَاتِ الرَّءُفُ فِي شُكْرِ النِّعَمِ إِلَّا مِنْ عِظَمِ قَدْرِ الْإِنْعَامِ وَالْإِسْطِنَاعِ ، وَاسْتِغْرَاقِهِ مِنْ قُوَى الْإِسْتِقْلَالِ وَالْإِضْطِلَاعِ ، فَلَيْسَ عَلَيْهِ فِي الْقَصُورِ عَنْ كُنْهِ وَاجِبِهِ حَسَبٌ ، وَلَا يَلْحَقُهُ فِيهِ قِصَّةٌ وَلَا عَيْبٌ . وَلَنْ يَظْهَرَ عَجْزِي عَنْ حَقِّ هَذِهِ النِّعْمَةِ فَإِنِّي أَجِيلُ بِحَسَنِ التَّنَاءُ عَلَى مَنْ لَا يُعْجِزُهُ حِمْلُهُ ، وَلَا يُوَدُّدُهُ قَهْلُهُ ، وَلَا يَزُكُّ الشُّكْرُ إِلَّا لَدَيْهِ ، وَلَا تُصَرَّفُ الرِّغْبَةُ إِلَّا إِلَيْهِ ، وَاللَّهُ يُبْقِيهِ لِمَجْدٍ يُقِيمُ أَعْلَاقَهُ ، وَقَضَى بِنُفْعِي ذِمَّتَهُ ، وَعُرِفَ بَيْتُ أَقْسَامِهِ ، وَوَلَّى بِوَالِي إِكْرَامِهِ ، وَعَدُوٌّ يُدِيمُ قِسْمَهُ وَلِإِعَانِهِ

وله : وَلَوْ رَفِيتْ هَذِهِ النِّعْمَةُ الْجَسِيمةَ حَقًّا مَشِيتْ إِلَى حَضْرَتِهِ - آتِسْهَا اللَّهُ تَعَالَى - حَتَّى يَأْتِيَ [لَا] ^(١) عَلَى الْقَدَمِ ، وَلَاحِزَتْ فِيهِ خِدْمَةُ اللِّسَانِ عَلَى خِدْمَةِ الْقَلَمِ ، وَلَمَّا رَضِيتْ لَهُ بِيَاغَى الْقَصِيرِ ، وَعِبَارَتِي لِلْوَسُومَةِ بِالْعِجْزِ وَالْقَصُورِ ، حَتَّى أُسْتَبِيرَ فِيهِ أَلْبِنَةُ تَعْمَلُ شُكْرًا وَنِثَاءً ، وَتُوسِّعُ نَشْرًا ^(٢) وَدَعَاءً ، ثُمَّ لَا أَكُونُ بَلْفَتٌ مُبْلَغًا كَافِيًا ، وَلَا أَبْلِيَتْ عُدْرًا شَافِيًا ؛ إِلَّا أَنَّ عَدَمَ الْإِذْنِ تَبَطَّلَ ^(٣) عَنْ مَقْصُودِ الْفَرَضِ ، وَعَاقَفَى عَنْ الْوَاجِبِ الْفَرَضِ ؛ فَأَقَفْتُ عَاكِفًا عَلَى دَعَاءِ أَرْفَعُهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مُبْتَهِلًا ، وَأَوَاصِلُهُ مَجْتَمِعًا فِي لَيْلٍ وَنَهَارٍ مَحْتَفِلًا .

وله : أَحَقُّ النِّعْمَةِ بِالزِّيَادَةِ نِعْمَةُ لَمْ تَزَلِ الْعَيُونُ إِلَيْهَا مُسْتَشْرِفَةً ^(١) ، وَالْقُلُوبُ إِلَيْهَا مُتَشَوِّفَةً ، وَالْأَلْيَامُ بِهَا وَاعِدَةً ، وَالْأَقْدَارُ فِيهَا مَسَاعِلَةً ، حَتَّى اسْتَقَرَّتْ فِي نِصَابِهَا ، وَأَقَفْتُ عِصَى اغْتِرَابِهَا ، فَهِيَ لِلنَّاءِ وَالزِّيَادَةِ مَرْتَشَعَةٌ ، وَبِالْمَرْزِ وَالْمَعَادَةِ مَتَوَشِّعَةٌ ، وَبِالْأَدْعِيَةِ الصَّالِحَةِ مُسْتَدَامِرٌ تَهْنَةٌ ، وَبِاتِّفَاقِ الْكَلِمَةِ وَالْأَهْوَاءِ عَلَيْهَا مَرْتَبِطَةٌ بِحِمْنَةٍ .

(١) « لَا » هَذِهِ لَيْسَتْ فِي الْأَصُولِ ، وَلَكِنْ الْعَنَى يَتَطَلَّبُهَا أَلْبِنَةُ (م) .

(٢) الشَّرْ ، هُنَا : الْإِدَاعَةُ بَيْنَ النَّاسِ (م) .

(٣) تَبَطَّلَ : أَقْدَمَنِي (م) . (٤) مُسْتَشْرِفَةٌ ، وَكَذَلِكَ مُتَشَوِّفَةٌ : مُتَطَلِّعَةٌ (م) .

وله فصل من كتب تزييه بالأمر ناصر الدين :

أقدارُ الله تعالى في خلقه لم تزل تختلف بين مكروه ومحبوب ، وتصرف بين مؤهوب ومسلوب ، غادية أحكامها مرة بالمصائب والنواب ، راتحة أقسامها تارة بالمطامير والغائب ، ولكن أحسنها في السيون أثرًا ، وأطيها في الأسماع خيرًا ، وأخرها بأن تكسب القلوب هزاه وتصفها ، ما إذا انطوى نُثير ، وإذا انكسر جبر ، وإذا أخذ بيد رد بأخرى ، وإذا وهب يميني سلب يسرى ، كالمصيبة بفلان التي قرحت الأكباد ، وأوهنت الأعضاد^(١) ، وسودت وجوه للكارم والمعالى ، وصورت الألام في صور الليالى ، وغادرت المحبة وهو يلبس جداده ، والدل وهو يبكي عماده ، والدين وهو يندب جهاده ، حق إذا كاد اليأس يغلب الرجاء ، ويرد الظنون مظلة النواحي والأرجاء ، قبض الله تعالى من الأمير الجليل مني اجتمعت عليه الأهواء ، ورشيت به الدهماء ، فأسى به حادثة الكلم ، وسد بمكانه عظيم النظم ، ورد الآمال والنفوس قد استبدلت بالحيرة قوة وانتصارا ، وصارت للدولة المباركة أعوانا وأنصارا

ومن شعره في تجنيس القوافي ، في معان مختلفة :

إذا لم تمكن لقال النصيح سيمًا ولا عاملا أنت به
يُبْهِك الدهر من رقة السلاهي وإن قلت لا أنقية

وقال :

تفرق الناس في أرزاقهم فرقا فلا يس من فراء لللال أو عارى
كذا المايش في الدنيا وساكنها مقسومة بين أوعاك وأوعار

وقال :

حوى القيد عمرًا قلت اعتد رضا بالقضاء ولا تحخذ

(١) أوهنت : أضعفت ، والأعضاد : جمع عضد ، وهو من اليد ما بين الكف والذراع ، ويرمز به إلى القوة ، ومنه قولهم وقت في عضده ، ويطلق الضد على الناصر والمعين ، مجازا مأخوذا من ذلك (م) .

فَلَمَّا احْتَدَتْ قَضَاءَ الْإِلَهِ فَتَجِبْ بِمَحْتَدِ نَحْتِ نَدِ
وَقَالَ :

نَمَتْ عَاشَهُ فَمَا يُزِيرِي بِهَا مَعَ فَضْلِهِ وَنَمَاهُ وَكَأَلِهِ
إِلَّا قُصُورُ وَجُودِهِ عَنْ جُودِهِ لَا عَوْنَ لِرَجُلٍ الْكَرِيمِ كَكَأَلِهِ
انْصُرْ أَخَاكَ إِذَا اجْتَدَاكَ قَوَايِيهِ وَإِنْ اسْتَنَّاكَ وَاهَا بِكَ نَاهِيهِ^(١)
وَقَالَ أَيْضًا :

إِذَا تَفَدَّيْتُ صَدْرَ يَوْمِي ثُمَّ تَأَذَّيْتُ بِالْقَدَارِ
قُلْتُ إِذْ مَسَّنِي أَذَاهُ أَرَى غَدَائِي أَرَاغِ دَائِي
وَلَهُ فِي هَذَا [الصَّوْغ] :

لَنَا صَدِيقٌ يُجِيدُ قَهْمًا رَاحَتُنَا فِي أَذَى قَهْمِهِ
مَا ذَاقَ مِنْ كَبِيهِ ، وَلَكِنْ أَذَى قَهْمِهِ أَذَقَنَا قَهْمَهُ
وَقَالَ يَهْجُو رَجُلًا :

بَرِيدُ يَوْسُفَ فِي بَيْتِهِ وَيَأْتِي لَهُ الضَّيْقُ فِي صَدْرِهِ
فَتَحِيطُ النَّصَبُ فِي قَدْرِهِ كَارِضِي الْتَفَضُّضِ فِي قَدْرِهِ
يَخْذَرُ أَوْصَالَ أَضْيَافِهِ وَلَا يُبْزَرُ الْغُلْبُ زَمَنَ خَذَرِهِ
وَقَالَ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَذْهَبِ يَصِفُ كِتَابًا قُرِئَ عَلَيْهِ :

قَدْ أَنَا نَا مِنْ صَدِيقِي كَلَامٌ كَلَالِي زَانِهِي عِظَامٌ
فَسْرِي فِي الْقَلْبِ مَنَى سُرُورٌ مَطْرَبٌ يَعْجَزُ عَنْهُ الدُّدَامُ
مِثْلُ مَا يَرْتَاحُ رَبُّ بَنَاتِ حَوْلَهُ مِنْ جَمْعِيهِ زَرْحَامِ

لَهُ فِي وَصْفِ
كِتَابٍ وَرَدَهُ

(١) اجتدالك : طلب جدواك ، والجدوى : المطاء ، و «ماه» أصله «واكه»

فخفف الهمزة بقلبها ياء ثم حذفها كما تحذف لام المتعقوس (م) .

فرعى الله طويلاً برحى خلفاً من نسله لا يخلأ
وأناه بعد يأسٍ بشير قال يا بشرى هذا غلامٌ

وقال يصف الشمع :
وليلٍ كلونِ الحجرِ أو ظلمةِ الحجرِ نصبتنا لراحيةِ عموداً من القبرِ
يشقّ جلايبَ الدهمى فكأنما ترى بين أيدينا عموداً من القمرِ
يُحارِكُ رِواءَ العاشقينَ بلَوْنَهُ وذوب حشاهِ والشموعِ التى تجرى
خلاً أن جارى الشمعِ ينحله قوى وعهدى بدمعِ العينِ ينحلّ إذ يجرى
نبدى لنا كأنهنّ قدأ وفوقه شاع كأنامته فى ليلةِ البدرِ^(١)
تحمّل نوراً حتفهُ فيه كأمينٌ وفيه حياةُ الأنيسِ واللّهوِ لو يندرى
إذا ما علتهُ علةٌ جرُّ رأسه فيختالُ فى ثوبٍ جديدٍ من السر

وقال :

ياربِّ غُصْنِ نوره يزرى بنورِ الشفقِ
يظلُّ طولَ عمره يَبْكِي بِمِغْنِ أرقِ
نارُ الحبِّ فى الحشا ونارُهُ فى المفرقِ
لاح لنا فى مغربِ فردنا فى مشرقِ

وقال :

وقضيبٍ من بناتِ النحلِ فى قدِّ السكابِ^(٢)
يُشبهُ العاشقَ فى لو نِ ودمعِ فى أنسكابِ
كسى الباطنِ منه وهو عريانُ الإهابِ^(٣)

(١) فى نسخة « كأنامته فى ليةِ القدر » و ليةِ البدر : هى اليةِ الرابعة عشر من لىالى الشهر العربى ، وفيها يكتمل البدر نوره (م) .

(٢) من بناتِ النحل : يريد أنه من الشمعِ الذى يؤخذ من النحل (م) .

(٣) وقع البيت فى بعض الأصول « قد كسى - إلخ » وكلمة « قد » فى أوله زائدة من الوزن ، ونحو كلمة « كسى » بالبناء للجهولِ قِيمَ البيتِ وزناً ومعنى (م) .

فَلَمَّا مَا نَسِمَ الْأَبْدَانُ مَلْبُوسَ الثِّيَابِ
خَوَّ الشَّقْوَةَ مِنْهَا فِي بِلَاءٍ وَعَذَابِ

• • •

لكشاحم في وقال كشاحم يصف شهما أهداها [إلى بعض اللوك] :

وصف الشح [و] « صَفَرٌ مِنْ بَنَاتِ النَّحْلِ تُكْتَمِي بِوَاطِنِهَا وَأُظْهَرُهَا عَسَوَارِي
عَذَارَى يُتَضَمَّنُ مِنْ الْأَصَالِ إِذَا انْضَضَ مِنَ الشُّغْلِ الْعَذَارَى
وَأَسْتَ تَنْجِ الْأَصْوَادَ حَقِّي تَقْصِحُ فِي ذَوَائِبِهَا بِكَارِ
كَوَاكِبَ لَنْ عَنكَ بَآيَاتِ إِذَا مَا أَشْرَقَ شَمْسُ الشُّغْلِ
بَشَتْ بِهَا إِلَى مَلِكِ كَرِيمٍ شَرِيفِ الْأَصْلِ عَمُودِ الثَّجَارِ
فَأَهْدَيْتِ الضِّيَاءَ بِهَا إِلَى مَنْ عَاشَهُ تَغْيِيهِ لِكُلِّ سَارِي
وقال :

بَشَتْ التَّقَى بِخِلَافِ كُلِّ مَسَانِدٍ يُؤَوِّدِيهِ حَقِّي بِالْقَسْدَى فِي مَائِهِ
يَقْدَى إِذَا أَسْنَى الْإِنَاءَ لَشَرْبِهِ وَيُرْوِغُ عَنْهُ حِينَ تَكْبَرُ إِثْنَانِ (١)

وقال :

أَطَالِبُ الْأَمَى بِإِحْزَارِ مَوْعِدِي وَهِيَ تَلَوَى بِالْوَفَاءِ وَتَجْمَعُ
أَقُولُ مَسَاهَا أَنْ تَلِينَ لِمَطْلَبِي قَلِيلًا فَبِمَضِ الشُّوْكِ بِالْمَنْ يَسْبَحُ
وقال :

أَرَى وَصَالَكَ لَا يَسْتَقُو لَأَمِيهِ وَالْمَجْرُ يُتِمُّهُ رَكْعًا عَلَى الْأَرِ
كَاقُوسٍ أَقْرَبُ سَهْمِيهَا إِذَا عَطَقَتْ عَلَيْهِ أَبْدُهَا مِنْ مَنَازِعِ الرِّمِ
أَخَذَ هَذَا مِنْ قَوْلِ ابْنِ الرُّومِيِّ وَذَكَرَ رَجُلًا مَاتُوا :
رَأَيْتُكَ بَيْنَا أَنْتَ خَيْلٌ وَصَاحِبٌ إِذَا بِكَ قَدْ وَلَيْتَنَا ثَانِيًا عِطْفًا

لأن الرومي
يذكر ممتوتا

(١) لا بد من هذه الواو ليم وزن البيت ، وهي ساقطة من بعض النسخ (م) .

(٢) أَسْنَى الْإِنَاءَ : أَمَاه ، وفي نسخة « يهودى إذا - إلخ » (م) .

وَأَنْتَ إِذْ أَخَى حَنُوكَ مُوجِبٌ بَعْدًا لِمَنْ يَهْلِكُهُ الْوَدَّ وَالطَّلَا
لِكَالْقَوْمِ أَخَى مَا تَكُونُ إِذَا انْحَدَّتْ عَلَى السَّهْمِ أَنْتَ مَا تَكُونُ لَهُ قَدْ فَا
وَلَهُ فِي غَمِّ ذَلِكَ :

تَوَدَّ ذَتْ حَقٍّ لَمْ أَجِدْ مَتَوَدِّدًا وَأَنْتَ أَقْلَامِي عَنْهَا مُرَدِّدَا
كَأَنِّي أَسْتَدْعِي لَكَ ابْنَ حَنِيَّةٍ إِذَا التَّرْعُ أَذْنَاهُ مِنَ الصَّدْرِ أَجَدَا

[في وصف أبي الفضل الليكالي]

وذكر عمر بن علي بن محمد اللطوي أبا الفضل الليكالي في كتاب ألقه في
منظومه ومنثوره فقال : قد أصبحت حضرته - لازالت أريجة الأرحاء بطيخة
شمارته ، راضية الرضا عن محبوب أنامله - مؤسس الآمال ، ومحط الرجال ؛ وعنده
أحرار الكلام ، كما خدمته أحرار الأيام ، وأطاعته للماني وللمالي ، كما أطاعه
صرف الأيام واليالي ، فهو - أدام الله تمكينه - شهاب المجيد الذي لا يخبو
واقده ، وروغن الكرم الذي لا يجذب رائده ؛ إن أردت البلغة فهو ملك
عنانها ، ومارس ميدانها ، وناظم دُرِّها ومرجاتها ، وصانع لُجَيْنِها وعَفْيَانِها ؛ وإن
أردت السباحة فهو محلها ومكانها ، وتاريخها وعنوانها ، ويدها ولسانها ، وحديثها
وإنسانها ، وحديثها وبستانها ؛ وإن أردت شرف الأصل والنسب ، والجمع بين
اللوروث [من اللجد] والمكتسب ، فإليك بأوائله شرقاً سابقاً ، وفضلاً
باسقاً ، ومجداً في فلك الفخر سامقاً^(١) ؛ فهم اتلجأ بجنة القُرْ ، والكواكب
الزُّهر ، ومن بهم يفتخر القُفر ، ويتشرف الدهر ، زحوا مفاكب الكواكب
من بُعد أقدارهم ، وصكوا فرق الترقد وصدر التبدر بشرف أخطارهم ، فما فيهم
إلا قر فضل دار في فلك علم ، وهلا مجد لاح في سماء فهم ، توارثوا اللجد كابراً
عن كابر ، وبقايا عن غابر ، وسافرت أخبارهم في البُعد والقرب ، وطلوت في أطلس

(١) سامقاً : عالياً شديداً الطو (م) .

الشرق والغرب ، وسلزت مَيِّرَ الشمس في كلِّ بلد ، وهبتْ هبوبَ الرِّيح
في البر والبحر ، فهم كما قال أبو عبادَةَ البَحْرِيُّ في الشَّاهِ بْنِ مِيكَالٍ وأَهْلِهِ فَأَحْسَنَ
وأَجَادَ وَبَلَغَ عَالِرَادَ :

بِى أَحْوَذَى يَنْمِرُ الطَّرْفُ مُوفِيَاً يَسْتَطِيعُ وَالسَّهْفُ وَافِي الْخَائِلِ^(١)
تَضِيْقُ الدَّرُوعُ التَّيْبِيَّاتِ مِنْهُمْ عَلَى كُلِّ دَحْخِ الْبَاعِ سَبْطُ الْأَنَامِلِ
عُرَاعِرُ قَوْمٍ يَسْكُنُ الْفَرَّانَ مَشَوَاً عَلَى أَرْضِهِ وَالْفَرُّ جَمَّ الزَّلَازِلِ^(٢)
فَكَمْ فِيهِمْ مِنْ مُنْعِمٍ مَطْلُوبٍ بِلَا لَأَنَّهُ أَوْ مُشْرِفٍ مَطْلُوبٍ
إِذَا سَلُّوا جَادَتْ سَيْوِفٌ أَكْفَهُمْ [نَفَاثِرُ جَمَاتِ التَّلَاعِ السَّوَالِ
خَلِيقُونَ سَرَّوْا أَنْ تُلَيْنَ أَكْفَهُمْ] عِرَاثُكَ أَحْدَاثُ الزَّمَانِ الْجَلَالِ
وَمَا زَالَ لِحْظُ الرَّاعِيْنَ مَعْلَقَاً إِلَى قَمَرٍ فِيهِمْ دَفِيعٌ لِلنَّازِلِ
وَفِيهِ ، أَوْ فِي أَبِيهِ ، يَقُولُ أَبُو سَمِيدٍ أَحْمَدُ بْنُ شَيْبٍ :

وَالِى الْأَمِيرِ ابْنُ الْأَمِيرِ تَوَاقَفَتْ رَزَحَى الرِّكَابِ بَرَّازِي الرِّكَابِ^(٣)
شَيْمٌ أَرْقُ مِنْ الْهَوَاءِ بِلِ الْهَوَى وَالْقُدُّ مِنْ ظَفَرٍ بِقَفِّ ضِرَابٍ
وَعِرَاثُهُمْ لَوْ كُنَّ يَوْمًا أَهْمًا لَنَفَذَنْ فِي الْأَيَّامِ غَيْرَ نَوَابِ^(٤)
مَالِيَةِ الْبَحْرَيْنِ إِلَّا أَنَّهَا نَارِيَّةُ الْإِقْدَامِ وَالْإِلْهَابِ
يَخْطُرُونَ بَيْنَ سِيَاسَةٍ وَرِيَاسَةٍ وَيَتَنَهَنَ بَيْنَ مَقْوِيَةٍ وَعَقَابِ

[ابن أبي دُوَادٍ بَيْنَ يَدَيِ الْوَاقِقِ]

قال أبو عبد الله بن حمدون النديم : لقد رأيت للوك في مقاصيرها ، وجميع

(١) الأحوذى : الحاذق الخفيف المشمر للأُمُور الجاد بها (م) .

(٢) الراعر - بضم أوله - الشريف ، وجمعه عراعر بفتح أوله (م) .

(٣) تواقفت : تبارت ومددت أعناقها في سيرها ، والرزحى : الساقطة تما

وهزأ (م)

(٤) نواب : جمع ناب ، وهواسم القاعل من « نأب السيف والرمح » إذا حاد

عن ضربه (م) .

حظيها ، فإرأيت أغزر أدبا من الرائق ؛ خرج علينا ذات يوم وهو يقول : قد
عرض عريضة من عرصة قول الخراساني ، يريد دغيبلا :

خليل ماذا أرنجي من غدامي طوى الكشح عن اليوم وهو مكين
وإن امرأ قد صَنَّ عن بطنك بسد ، من خلق نسين
فانهرى احمد بن أبي دؤاد بسأله كأنما نسط من عقال في رجل من أهل
الجماعة فأطلب وأسهب ، وذهب في القول كل مذهب ؛ قال الرائق : يا أبا عبد الله
لقد أكرت في غير كبير ، ولا طيب ، قال : يا أمير المؤمنين ، إنه صديقي :
وأهون ما يفعلي الصديق صديقه من الهين للوجود أن يتكلما
قال : وما قدر الهين أن يكون صديقك ، وإنما أحسبه أن يكون من
عرض معارفك ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، إنه شهرني بالاستشفاع إليك ، وجلسني
بمرأى ومسمع من الرد والإسماع ، فإذا لم أقم له هذا المقام أكون كما قال أمير
المؤمنين آفا :

خليل ماذا أرنجي من غي أرنى طوى الكشح عن اليوم وهو مكين
قال الرائق : بالله يا محمد بن عبد الله لا عجلت لأبي عبد الله حاجة ،
ليسلم من هجنة المثل ، كما سلم من هجنة الرد .

[من صفة ابن أبي دؤاد ، وأخباره]

وكان ابن أبي دؤاد من أحسن الناس تأتيا ، وكان يقول : ربما أردت أن
أسأل أمير المؤمنين الحاجة بمضرة من الزيات فأؤخر ذلك إلى وقت موافقه ؛ فلما
يتعلم حسن التلطف حتى ؟ وكان بينه وبين محمد بن عبد الملك عداوة عظيمة
وأمر الرائق أصحابه أن ينهضوا قايما لأبي جعفر إذا دخل ، ولم يرخصه في ذلك
لأحد ، فاشتد الأمر على ابن أبي دؤاد ، ولم يجد خلافا للرائق سبيلا .
فوكّل بعض غلامه بمراقبة موافاته ، فإذا أقبل أخبره فنهض يركع ، فقال
ابن الزيات :

صَلَّى الضُّحَى لَمَّا اسْتَفَادَ عَدَلَتِي وَأَرَاهُ يَنْسُكُ بِهَا وَيَصُومُ
لَا تَطْمَئِنَّ عِدَاوَةٌ مُوسِمَةٌ تَرَكْتُكَ تَقَعُدُ بِهَا وَتَقُومُ
وَقَالَ الْوَاتِقُ يَوْمَا لَابْنِ أَبِي دُوَادٍ تَضَجُّرًا بكَثْرَةِ حَوَائِجِهِ : قَدْ أَخْلَيْتَ بِيوتَ
الْأَمْوَالِ بَطْلِبَاتِكَ لِلْآثِمِينَ بِكَ ، وَلِلتَّوَسِّلِينَ إِلَيْكَ . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، تَتَأَمَّجُ
شُكْرَهَا مُتَّصِلَةً بِكَ ، وَذَخَائِرُهَا مُوصُولَةٌ لَكَ ، وَمَالٌ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا عَشَقَ اتِّصَالَ
الْأَنْسِ بِخَلْقِهِ الدَّاحِ ، قَالَ : وَاللَّهِ لَا مَبْتَغَاكَ مَا يَزِيدُ فِي عَشَقِكَ ، وَيَقْوَى فِي
هَمِّكَ فِينَا وَلَنَا ؛ وَأَمْرٌ فَأُخْرِجَ لَهُ خَمْسَةُ وَثَلَاثُونَ أَلْفَ دَرَمٍ .

[بَيْنَ أَبِي الْعِيَاءِ وَابْنِ أَبِي دُوَادٍ]

قَالَ أَبُو الْعِيَاءِ : [قُلْتُ] لَابْنَ أَبِي دُوَادٍ : إِنَّ قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ قَدِمُوا
إِلَى سُرٍّ مِنْ رَأْيٍ يَدَّأ عَلَى ، قَالَ : يَدُّ اللَّهُ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ . قُلْتُ : إِنَّ لَهُمْ مَكْرَأً ،
قَالَ : وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ، قُلْتُ : إِنَّهُمْ كَثِيرٌ . قَالَ : كَمْ مِنْ
فَقَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فَتَةً كَثِيرَةً يَا ذَنِي اللَّهِ وَاللَّهِ مَعَ الصَّابِرِينَ ، قُلْتُ : فَهْ دِرْهَمُ الْقَاضِي
فَهُوَ كَأَنَّكَ قَالْتَ الصَّنُوتُ الْكَلَابِيَّةُ :

فَهْ دِرْهَمُ أَيِّ جَنَّةٍ خَافٍ وَمَتَاعُ دُنْيَا أَنْتَ لِاحْدَثَانِ
مَتَحَنَّنٌ يَطْلُ الْرِجَالَ شَهَامَةً وَطَاءُ الْفَنِيْقِ مَدَارِجُ الْقِرْدَانِ^(١)
وَيَكْتَبُهُمْ حَتَّى تَظَلَّ رُؤُوسُهُمْ مَأْمُومَةٌ تَنْحَطُّ لِقِرْبَانِ
وَيُفْرِجُ الْبَابَ الشَّدِيدَ زِيَتَاغُهُ حَتَّى يَصِيرَ كَأَنَّهُ بَابَانِ

وَكَانَتْ هَذِهِ الْمَجَازِيَةُ بَيْنَ أَبِي الْعِيَاءِ وَبَيْنَ أَبِي الْعَلَاءِ النَّقَرِيِّ ، وَكَانَ قَدْ
اسْتَعْبَأَ عَلَيْهِ قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ .

(١) لِلتَّخْمُطِ : لِلتَّكْبَرِ ، وَالْفَنِيْقِ : الْقَعْلُ مِنَ الْإِبِلِ لِلتَّكْرَمِ عِنْدَ أَهْلِهِ ،
وَالْقِرْدَانِ : جَمْعُ قِرْدٍ ، مِثْلُ غِرَابٍ وَغُرْبَانٍ ، يُرِيدُ أَنَّهُ يَغْلُ الْرِجَالَ وَيَهْرَمُ وَلَا
يَأْبَهُ لَهُمْ (م) .

قطعة من شعر الأعراب في النزل

ابن ميادة :

ألا ليت شِعري هل يَحُلُّنْ أَهْلُنَا وَأَهْلُكَ رَوْضَاتِ بَيْطُنِ أَقْلَوَى خَضْرَا
وهـل تَأْتِيَنَّ الرِّيحُ تَدْرِجُ مَوْهِنَا بِرِيَاكِ تَصْرُورِي بِنَا بِلْهًا قَفْرَا
بَرِيحُ خَزَائِي الرَّمْلِ بَاتَ مَقَامَا فَرُوعُ الْأَفَاحِي تَنْضَبُ الْعُلَى وَالْقَطْرَا
أَلَا لَيْتَنِي أَقْلَاكِ يَا أُمَّ جَحْدَرٍ قَرِيبَا ، فَأَنَا الصَّبْرُ عَنْكَ فَلَا صَبْرَا

وقال :

وَمَا رَوْضَةُ بَاتِ الرِّيحُ يَجُودُهَا عَلَى مَا بَهَا مِنْ حَتَوَةٍ وَهَرَارٍ^(١)
بِأَطْيَبَ مِنْ رِيحِ الْقَرْفِ لَمْ يَمُوتْهَا بِمَا أَلْتَفَ مِنْ دِرْجِ لَهَا وَخَمَارٍ

وقال آخر :

تَجَالِسْنَا بِنْتُ الدَّلَالِ تَعَلَّقَتْ عَرَاهُ بِحَيَاتِ الْقُلُوبِ الْهَوَاثِمِ
وَبَيْنَ مَا تَخْفَى مِنَ الْوَجْدِ رَدَّهَا غَرِيقُ الْأَنَاسِي فِي الدَّمِوعِ السَّوَاثِمِ
جَرَى الدَّمْعُ مَجْرَى مَائِهِ فَكَفَنَتْهُ بِمُنَابِ اطْرَافِ الْأَكْفِ النُّوَامِ
وَرَدَّ التَّحِيَاتِ الْهَوَى مِنْ عَيْنِهَا يَبْتَظُنَّ طَرَفَ فِي مَخِيلَةٍ نَامِ
وقال العلاء بن موسى الجهمي :

وَمَا رَأَيْتُ خَطَرًا شَوْكَةَ الْيَدَى رَدَى النَّفْسِ مُجْتَابَا إِلَى غَيْرِ مَوْعِدِ
جَلَّتْ دَاجِي الظُّلُمَاءِ مِنْهَا بُسْفَةٌ وَخَرَّ مَسْرُوبٍ لَوْنُهُ بِالْزَّبْرِجِدِ^(٢)

(١) مجودها : يطررها ، والحنوة : الرحمة ، والعرار — بفتح العين — وزد أصفر ذو رائحة طيبة .

(٢) داجي الظلماء : أراد سواد الليل ، والسنة — بضم السين — الجبين ، جلها بضاء الجبين مشرقته حتى أنارت له في الظلام (م) .

وَالشَّعْرُ مَشْبُوكًا كَأَنَّ النَّهَابَ
وَجَاءَتْ كَتَلُ السِّيفِ لَوْرَ مَشْبُهَا
فَبَقْنَا وَلَمْ نَكْذِبْكَ لَوْ أَنَّ لَنَا
قُدُورَ الْفُورِ السَّادِيَاتِ عَنِ الْمَوَى
فَلَمَّا بَدَأَ صَوَاهِرُ الصَّبَاحِ وَزَاعِنَا
نَهَضْنَا بِشَخْصٍ وَاحِدٍ فِي عَيُونِهِمْ
إِلَى جَنَّةٍ مِنْهُمْ وَسَلَّمَتْ غَادِيَا
وَوَلَّتْ وَأَغْبَاشُ الدُّجَى مَرْجَعِنَا
وَقَالَ أَهْرَاسُ بْنُ طَلْحَةَ :

وَأَحْمَدُ بْنُ يَسَافٍ الْقَلُوبِ وَمَا لَهُ
وَمَا كُنْتُ أَخْشَى الْفَتَاكَ مِمَّنْ سِلَاحُهُ
وَأَشْنَبُ بَرَأَقِ التَّنَائِيَا غُرُوبُهُ
خَلِيلُ اللَّهِ أَهْمُ سَدَا خُبْرِنَا
يَعْكُشُ أَهْرَاسُ الْحَالِبِ كَأَنَّهُ
فَتَى عَلَى الْأَجْيَالِ لَيْلًا أَشْمُهُ
هَذَا فِي الْبَرْقِ كَقَوْلِ الطَّرِمَاحِ فِي النَّوَرِ :

يَبْدُو وَتَضَمَّرَ الْبِلَادُ كَأَنَّهُ
سَتَفٌ عَلَى شَرَفٍ يُسَلُّ وَيُفَدُّ
[زِيَارَةُ طَيْفِ الْخِلَالِ]

وَقَالَ بَشَّازُ :

أَعْدَدْتُ لِي عَتَبًا بِحَبِّكُمْ
يَا عَيْدُ طَالِ بِحَبِّكُمْ حَتَّى

- (١) الشَّعْرُ : جِذَارٌ مِنْ الذَّهَبِ أَوْ الْفُلُوزِ ، وَأَرَادَ عَقْدَهَا (م)
(٢) الْمَاهِظُ الْقَتْلُ : لِلْوُفْدِ ، لِأَنَّهُ يَأْتِي فِي أَذَانِهِ بِالشَّهَادَةِ (م) .
(٣) نَطًا : أَمَّهُ نَطًا — مَهْمُوزُ الْآخِرِ ، فَهَلِ الْمَهْمُوزَةُ بِقَلْبِهَا أَفَّا (م) .

ولقد تعرض لي خيالكُم في القُرْطِ والخلخال والقلْبِ
فشربت غير مباشر حرجاً برضاب أشنبَ بلودِ عَذْبِ
وقال للتني :

يَنَّا يُنَاوِلُنَا لِلدَّامِ بَكْفِهِ مَنْ لَيْسَ يَخْطُرُ أَنْ نَرَاهُ بِبَالِهِ
نَجَى السَّكَاكِبِ مِنْ قَلَادِ جِيدِهِ وَنَالَ عَيْنَ الشَّمْسِ مِنْ خُلْخَالِهِ
وأول شعر أبي الطيب :

لَا الْحُلْمُ جَادَ بِهِ وَلَا بَمَثَالِهِ لَوْلَا إِذْ كَارُ وَدَاعِهِ وَزِيَالِهِ
إِنِ لِلْمَيْدِ لَنَا النَّامُ خَيَالُهُ كَانَتْ إِعَادَتُهُ خِيَالَ خَيَالِهِ
إِنِّي لِأَبْغِضُ طَيْفَ مَنْ أَحْبَبْتُهُ إِذْ كَانَ يَهْجُرُنَا زَمَانَ وَصَالِهِ

يقول : التمثيل والتخييل له في القنطرة أعاد خياله في المنام ، فكان الخيال
الذي في النوم تصوّر في القنطرة . وأظهر من هذا قول الطائي :

زَارَ الْخِيَالَ مَا لَا بِلَازَارَكُهُ فَكُرْ إِذَا نَامَ فَكُرْ انْطَلَقَ لِمَيَّمِ
عَلِيٍّ تَقَنَّنَتْهُ لِمَا تَصَبَّتْ لَهُ فِي آخِرِ اللَّيْلِ أَشْرَاكَهُ مِنَ الْحُلْمِ
أما بيته الأول فمن قول جميل :

حَيْثُ طَيْفِكَ مِنْ طَلِيفِ الْمِمْ حَدَّثَتْ فُسْكَ عَنْهُ وَهُوَ مَشْغُولُ

وقال ذو الرمة :

فَأَتِ دَارِيَّ أَنْ تَزَارَ ، وَزَوْرُهَا إِذَا مَا دَجَا الْإِظْلَامُ مِنَّا وَسَاوِسُ^(١)
إِذَا نَحْنُ نَعْرِضُهَا بِأَرْضٍ سَرَى لَنَا هَوَى لِبَسْتُهُ بِالْقُلُوبِ الْوَابِسُ^(٢)
وبينه الثاني الم في قول قيس بن اللؤلؤ ،

(١) في ديوانه (ص ٤٦) جاء عجز البيت « إلى صحتي بالليل هادمواعس » (م)

(٢) همينا : نزلنا ليلا ، وسرى : سار ، ولبسته : خلطته (م) .

وإني لأستغشي وما بي نية
والخروج من بين الجبوس لمنى
تقطع أظفاسي لكرك أظفاسا
وقد قال فيه قيس بن ذريح :

وإني لأهوى النوم في غير نية
تخبرني الأحلام أني أراكم
لعل لقاء في المنام يصحون
فياليت أحلام المنام يقين

وكان البحري أكثر الناس ابتداء في الخيال ، حتى صار لاشتهاره مثلا
يقال له « خيال البحري » ، وفي بعض ذلك يقول :

ألت بنا بعد الهدوء ، فصاحت
فأبرحت حتى مضى الليل وأخفى
فولت كأن بين يخليج شخصها
وقال :

مضى النيث أجزاها صحت بجمها
إذا ما الكرى أهدى إلى خيالها
فلم نر مثلينا ولا مثل شأننا
وقال :

بلى وخيال من أثيلة كلما
يرى مقلتي مالا ترى من لقاءه
[ويحكك من حق تخيل باطل
تأوهت من وجدي تعرض يقطع
وتسمع أذني رنج ما ليس تسمع
ترد به غس الليف فترجع]

قوله في البيت الأخير من قول الحسين بن الضحاک :

(١) يخليج شخصها : يجذبه وينزعه (م)

(٢) غس الصدى : أروى العطش (م)

وماذا بغيدك طيفُ الخيالِ لولمجرُ حُظِّكَ من تُعِيبِ
غناه قليلٌ ، ولكني نَمَلَيْتُهُ بِمَنُوعِ الحَبِيبِ

ولحمين في هذا المعنى وإن لم يكن في ذِكْرِ الخيال :

وصفَ البَدْرُ حُسْنَ وجهك حتى خِلْتُ أُنَى ، وما أراك ، أراكم
وإذا ما تنفسَ النرجسُ النفسَ توهَّمْتَهُ نَسِيمَ جناكا
خُدْعَ لَمَعَى تُتَلَفَّى فيك ياشراقِ ذَا وتكبه ذاكاً^(١)
وأول من طرد الخيالَ طرفة بن العبد ، قال :

قل ليخالِ الخنْطَلِيةَ ينقلبُ إليها فاني واصلُ حَبَلٍ مَنْ وَصَلُ
فبعمه جرير في قوله قال

طَرَقْتُكَ صائِدَةُ القلوبِ وليس ذا حينَ الزَّيْطَةِ فارْجِي بسلام
قال البحرى ، ونفى هذا المعنى بقوله :

قد كان منى الوَجْدُ غِبَ تَذَكَّرُ إذ كان منك العَدُوُّ غِبَ تَنَاسَى
تجمرى دموعي حينَ دَمَمِكَ جامدُ ويأينُ قلبي حينَ قلبك قاسى
ما قلت للطفِ للسلامِ لا تَمُدُّ تنشى ، ولا نهنتُ حَافِلَ كاسى
وقال ابن هاني الأندلسي :

ألا طرقتنا والتجسُّومُ ركودُ وفي الحى أيقاظُ ونحن هُجُودُ^(٢)
وقد أصبل العَجْرُ للقمعِ خطوها وفي آخراتِ الهِمْلِ منه عَمُودُ
سَرَتْ عَاطِلًا غَضَبِي على الهَرِّ وحدهُ ثم يدري نَحْرُ ما دَعاؤه وهجْدُ^(٣)
فأبرحت إلا ومن سِلْكِي أَدْمِي قَلَانِدُ في لَبائِها وعُجُودُ
ألم يأتها أَنَا كبرنا عن العُصَا وأنا بليتنا والزمانُ جَدِيدُ

(١) النكبة : أصلمها ربح القم (م) . (٢) هجود : نيام (م) .

(٣) عطلت للرأفة فهي عاطل : أى أنها ليست بذات حلى (م) .

وقال علي بن محمد الإداي :

أما إنه لولا انخيل المراجع
لأشفق واستخيا من النوم والهل
وعاص يرمى في النوم وهو مطروح
يرى بدمر وعات الهوى وهو هاجع
وقال أيضاً :

طيف يزورك من حبيب هاجر
شدة اللهجي وسرى فأمعن في السرى
أخلاً به وبطيفه من زائر
حتى ألم فبات بين محاجري
تحموى وسائلة النزال النافر
أسرى فأنصف من حبيب هاجر
وقضيت ذممة فيض دمع قاطري
وقال عبد الكريم بن إبراهيم
لم أذرمفناك لولا المسك والقطر
سرى يمرض أنفاس الرياح بما
يخفي ثوب اللهجي متراء مستترا
كان أميناً وشبه تراقبه
وقال :

أهلاً به من زائر متدار
يتجاوز الرمان يحقق ظلها
والليل يرغل في ثياب جداد^(١)
ويشق ملفف القنا السواد
حتى تيمم العراء وسأدى
في حيث ينو الحارث بن عباد^(٢)
والخلل نكائم على السواد
معتادة أبيت نائم حليها
بأرق من حجب اللثم مقدما

(١) في نسخة « لم عند خمر » (م)

(٢) يرغل في ثياب جداد : أراد أنه أسود شديد السواد (م)

(٣) الحارث بن عباد — بزة غراب — هو فارس النعامة الذي اعتزل حرب

البسوس حتى قتل للهليل بن ربيعة ابنه (م)

وكانما يَأْتُونَهَا فِي نَحْوِهَا مَتَوَقِّدٌ مِمَّا يَحِينُ قُوَادِي

[عقاب بن شبة بين يدي النصور]

خطب صالح بن أبي جعفر النصور في بعض الأمر فأحسن ، فأراد النصور أن يقرضه ويثني عليه ، فلم يحسر أحد على ذلك لسان المهدي ، وكان مرشحاً للخلافة ، وخافوا ألا يقع الثناء على أخيه بمواقته ، فقام عقاب بن شبة ، فقال : ما رأيت أبين بيانا ، ولا أفصح لسانا ، ولا أحسن طريقا ، ولا أغصص^(١) عروة ، من خطيب قام بحضرتك يا أمير المؤمنين ، وحق لمن كان أمير المؤمنين أباه ، والمهدي أخاه ، أن يكون كما قال زهير :

يَطْلُبُ شَأْؤُ امْرَأَتِي قَدَمًا حَسَنًا بَرَا الْمُلُوكَ وَبَرَا هَذِهِ السُّوْفَا^(٢)
هُوَ الْجَوَادُ فَإِنْ يَلْحَقْ بِشَأْوَهِمًا عَلَى تَكَالُفِهِ فَيُثْلَهُ لِحْفًا
أَوْ يَسْبِقَاهُ عَلَى مَا كَانَ مِنْ مَهَلٍ فَبَالِقَى قَدَمًا مِنْ صَالِحٍ سَبَقَا

فحبب الناس من حُسن تخلصه ، فقال أبو جعفر : لا ينصرف التمني إلا بثلاثين ألفاً .

قال أبو عبد الله كاتب المهدي : ما رأيت مثل عقاب قط في بلاغته ؛
[مدح الغلام ، و] أَرْضَى النصور ، وسلم من المهدي .

[زهير وهزم بن سنان]

وفي قصيدة زهير هذه يمدح هرم بن سنان بن أبي حارثة المري :

فَدَجَلٌ لِّلْبَيْتَتَيْنِ الْخَيْرُ فِي مَرَمٍ وَالسَّائِلُونَ إِلَى أَبْوَابِهِ طَرُفًا
مَنْ يَلْقَى يَوْمًا عَلَى عِيَالَتِهِ هَرَمًا يَلْقَى السَّاحَةَ مِنْهُ وَالذَّيَّ خُلْفًا

(١) في نسخة « ولا أعصص صرقة » (م) .

(٢) بَرَا الْمُلُوكَ : فاقاها ، وفي نسخة الديوان « نالا الملوك » (م) .

وليس مانع ذى قرني وذى رحيم
ليثٌ بصرٌ يصطادُ الرجالَ ، إذا
يُطعنهم ما ارتموا حتى إذا اطمأنوا
فَضْلُ الجِوَادِ على الخيلِ البَطَاءِ فلا
هَذَا وليس كمن بعبا يحجته
لو نال حتى من الدنيا بمكرمة
يوماً ولا مُقديماً من خابطٍ وورقا^(١)
مالئثٌ كذَّبَ عن أقرانه صدقا^(٢)
ضارب حتى إذا مضأربوا اعتنقا
يُعطى بذلك ممنونا ولا ترقا^(٣)
وسَطَ الندى إذا ما ناطقٌ نطقا
أفقَ السماء لنسالت كفه الألقا

وكان زهيرٌ كثير المدح لهرم ، وروى أن بنتا لسان بن أبي حازمة رأت
بنتا زهير بن أبي سلمى في بعض الحافل ، وإذالها شارةٌ وحلٌ حسنة ، فقالت :
قد سرفى ما أرى من هذه الشارة والنمة عليك [فقالت : إنها منكم] . فقالت :
على والله لك الفضل ، أعطيناكم ما يفتى ، وأعطينونا ما يبقى !

وقد قيل : إن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لابنة هرم بن سنان :
ما وهب أبوك زهير ؟ قالت : أعطيناها مالا وأمانا أفناء الدهر . قال : لكن
ما أعطاكموه لا تفتنيه الدهور . وقد صدق عمر رضى الله عنه ، لقد أبى زهير
لهم ما لا تفتنيه الدهور ، ولا تخلفه المصور ، ولا يزال به ذكر المدوح ساميا ،
وشرفه باقيا ، فقد صار ذكركم علما منصوبا ، ومثلا مصروبا ، قال الطائي ،
وذكرهم في شعره :

مالى ومالك شينُه حين أذكره إلا زهير وقد أصنى له هرم
وقال يوسف الجوهري يمدح الحسن بن سهل :
لو أن عيني زهير أبصرت حسنا وكيف يصنع في أمواله السكرم
إذن لقال زهير حين يُبصره هذا الجواد على العلات لا هرم

(١) المراد بالخابط ، ها : طالب المروف ، وأصله الذى يجتد الشجر لينزل ورقه
فيأخذه لعاب ماشيته ، كى بذلك زهير عن كرمه (م) . (٢) عثر : مكان بينه (م) .

وقال آخر ، ويدخل في باب تفضيل الشعر :

الشعرُ يَحْفَظُ ما أودَى الزمان به والشعرُ أفضل ما يجنى من الكرَم
لولا مقالُ زهيرٍ في قصائدهِ ما كان يعرف جودُ كان من هَرَم

وقيل : أعطى هرم [المعطاء الجزيل] عوض قول زهير فيه :

تالله قد علمت سرّاً بنى ذُبْيَانُ عَامَ الخُبْسي والأَضْبَرِ
أَنْ نَعَمَ حَشَوُ الدُّرْعِ أَنْتَ إِذَا دُعِيتَ تَزَالِ وَلُجَّ فِي الدُّعْرِ^(١)
حامي الدُّمَارِ عَلَى مُحَافَظَةِ الْجُلَى أَمِينُ مَغِيبِ الصَّدْرِ^(٢)
حَدَبٌ عَلَى الْمَوْتِ الضَّرِيكَ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِ نَوَائِبُ الدُّفْرِ^(٣)
وَمَرَّهَقُ النِّيرانِ يُحْمَدُ فِي اللَّوَاءِ غَيْرُ مَلَمَنِ الْقَدْرِ^(٤)
والسرّ دونَ القاحشاتِ ، وما يَلْقَاكَ دُونَ الْخَيْرِ مِنْ سِرِّ

وقال :

إِنَّ الْبَخِيلَ مَلُومٌ حَيْثُ كَانَ وَلَسَكُنَّ الْجَوَادَ عَلَى عِلَاتِهِ هَرَمٌ
هُوَ الْكَرِيمُ الَّذِي يُعْطِيكَ نَائِلَهُ يَفْقَهُ ، وَيُظَلِّمُ أَحْيَانًا قَيْطَانَهُ
وإن أَنَاهُ خَلِيلٌ يَوْمَ مَسْأَلَةٍ يَقُولُ : لَا غَائِبٌ مَالِي وَلَا حَرَمٌ
الخليل : الذي أَخْلَـه به الفقر ؛ إِلَى غير ذلك مِنْ مُخْتَارٍ مَدَحِهِ فِيهِ .

[فضل الشعر]

ولما امتدح نَصِيبُ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَمْرَهُ بِإِبِلٍ وَخَيْلٍ ، وَثِيَابٍ وَدَنَانِيرٍ
وَدِرَاهِمٍ ، قَالَ لَهُ رَجُلٌ : أَتُعْطِي لِمِثْلِ هَذَا الْعَبْدِ الْأَسْوَدِ هَذَا الْعِطَاءَ ؟ قَالَ : إِنْ كَانَ أَسْوَدَ فَإِنْ
شِعْرُهُ أَيْضًا ، وَإِنْ كَانَ عَيْدًا فَإِنْ نَافَهُ الْحَرْقُ ، وَأَمَّا اسْتَحَقَّ بِمَا قَالَ أَكْثَرَ مِمَّا أُعْطِيَ وَهَلْ
أَعْطَيْنَاهُ إِلَّا بِأَيَّامِ تَبَلٍّ ، وَمَا لَا يَفْقَهُ ، وَمَطَايَا تَنْقُصُ ، وَأَعْلَانًا مَدِيحًا يُرَوَّى ، وَثَنَاءً يَبْقَى .

(١) زال : اسم فعل أمر بمعنى أزل ، وهي كلمة خال عند القتال بدعو بها القرن قرنه .

(٢) الجلى : النابتة الشديدة - وأمين مغيب الصدر : أراد أنه مأمون في غيبه كما

هو مأمون في حضوره لا ينال من صديق في حال غيبته عنه (٣) .

(٤) الضريك : المحتاج (م) . مرهق النيران : تنشى الشيطان نيرانه ،

واللأواء : الشدة ، وغير ملمن القدر : لا تسب قدره لأنه يطعم ما يشبهه الناس (م) .

(٩ - زمر الأدب ٣)

وقال الأخطل يمتدُّ على بنى أمية يمدِّحهم :
 أبى أمية إن أخذت نوالكم فلأأخذكم من مديحي أكرُّ
 أبى أمية لي مدائحُ فيكم تُفَسِّون إن طال الزمانُ وتدكرُّ
 ولما مدح أبو تمام الطائي محمد بن حسان الضبي بقصيدته التي أولها :
 أسقى طلائهم أجشُّ هزيمٍ وغدت عليهم نضرةٌ ونعيمٌ^(١)
 وصَلَ بهال كثير ، وخلع عليه خلعة نغية ، فقال يصفها :
 قد كان من كثوة السيف خرقٌ مُكَنَسٍ من مكارمٍ ومساجٍ^(٢)
 حُلَّةٌ ساريةٌ وكساه كسحا القيصِرِ أورداءُ الشجاع^(٣)
 كالسراب الرقائقي الحُسنِ ، إلا أنه ليس مثله في الخداع
 قصيًّا تترجف الریحُ متقلِّبه بأمرٍ من المبوب مطاع
 رجفانا صكَّاه الدهر منه كبدُ الصبِّ أو عَصَى الأرتاع^(٤)
 لازما ما يليه تحسُّبه جزءٌ من اللتين والأضلاع
 كسوة من أغرَّ أروعَ الصِّبْرِ رَحِبِ القوادِ رَحِبِ الدُّراع
 سوف أكوِّك ما يعنى عليها من ثناء كالبرد بردِ الصَّنَاع
 حسنُ هاتيك في العيون ، وهذا حسنُهُ في القلوب والأسماع
 فقال : لئن الله على أن بقى عندي ثوب أو يصل إلى أبي تمام ؛ وأمر
 بحمل ما في خزانته إليه .

بعض الأخبار قال إبراهيم بن العباس الصولي لأبي تمام : [أمراء] الكلام يأبأهم رعيةً
 عن أبي تمام لإحسانك ، قال : [ذاك] لأنى استضى بنورك ، وأردُ شريعتك .

- (١) أراد بأجش هزيم : الطر ، وأصل الأجش الحشن الصوت ، والهزيم : الذي له صوت شديد (م) . (٢) الحرق - بكسر الحاء - القى الحشن الكريم الطباع (م) .
 (٣) السحا : كل ما انقشر عن شيء ، والقيصِر العنزة العليا اليابسة على البيضاء ، والشجاع هنا : الحية ، يريد أن الثوب الذي كساه يباه رقيق (م) .
 (٤) انتصاب « الدهر » على الظرفية الزمانية ، والشبه به هو « كبد الصب - الخ - (م) » .

وكان الطائي مع جودته شعره بليغ الخطيب، حاضر الجواب، وكان يقال :
ثقتان قلما يجتمان : السان البليغ ، والشعر الجيد .

وقال الحسن بن جنادة الوشاء : انصرف أبو تمام من عند بعض أصحاب
السلطان ، فوقف على ، قلت : من أين ؟ قال : كنت عند بعض الملوك فأكلنا
طعاما طيبا ، وفاكهة فاضلة ، وبُخْرْنَا وَغُلْفْنَا ؛ فخرجتُ هاربا من المجلس ، نائرا
إلى التسلي ، وماني منزلي نبذ [فإن كان عندك منه شيء فامنحنى ، قلت : ما عندي
نبذ] ، ولكن عندي شجر أريده لبعض الأودية ، فقال : دع اسمه ، وأعطنا
جسته ، فليس يثينا عن اللدام ، ما هججته^(١) به من اسم الحرام .

[استنجاز أعرابي موعدة]

قال عبيدالله^(٢) بن محمد بن صدقة : كنا عند أبي عبيدالله^(٣) ، فدخل عليه أعرابي
قد كان له عليه وعد ، فقال له : أيها الشيخ السيد ، إني والله أتسحبُ على كرمك ،
وأستوطي فراشَ مجدك ، وأستعين على نعلك بقدرك ؛ وقد مضى لي موعدان ،
فاجمل التَّجَجُّعَ ثالثا ، أفد لك الشُّكرَ في العرب شادخَ الفرة ، بادئ الأوضاح .
فقال أبو عبيدالله^(٤) : ما وعدتك تفريرا ، ولا أخرتُك تقصيرا ، ولكن الأشغال
تقطعي ، وتأخذ بأوفر الخط مني ، وأنا أبلغ لك جهد الكفاية ، ومنتهى الوسع
بأوفر مأمول ، وأحد عاقبة ، وأقرب أمد ، إن شاء الله تعالى

فقال الأعرابي : يا جلساء الصَّدق ، قد أحصرني التطول ، فهل من معين
مُنْجِد ومساعدٍ مُنْشِد ؟ قال بعضُ أحداث الكتاب لأبي عبيدالله^(٥) : والله
- أصلحك الله - لقد قصدك ، وما قصدك حتى أثلك ، وما أثلك إلا بعد أن
أجال النظر ، فأمن الخطر ، وأيقن بالظفر . فحق له أمله بتبذية القليل ، وتهينة
التمجيل . قال الشاعر :

إذا ما اجتلاه المجد عن وعدٍ آملٍ تبلج عن بشرٍ ليستكمل البشرى
ولم يُثْنِوْهُ مطلق الداءِ عَنِ التَّي تصونُ له الحمدَ الموقرَ والأجرا

(١) هجته : قبخته (م) . (٢) في نسخة « عبيدالله » في المواضع كلها (م) .

فأحضر أبو عبيد الله^(١) للأعرابي عشرة آلاف درهم، وقال الأعرابي لفتى :
خُذْهَا فَأَنْتَ سَبِيهَا . قَالَ : شَكَرْتُكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهَا ، قَالَ لَهُ أَبُو عبيد الله^(٢) : خُذْهَا
قَدْ أَمَرْنَاكَ بِمِثْلِهَا . فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ : الْآنَ كُنْتُ النِّسَاءَ ، وَتَمَّتْ لِلْنِّسَاءِ .

[معاوية بن يسار]

وكان أبو عبيد^(٣) الله واسع الذِّراع، سَابِغُ الدِّرعِ في الكرم والبلاغة ، وبِسْمِ
معاوية بن يَسَارٍ^(٤) .

وكان يقول : إِنَّ مَخْوَةَ الشَّرَفِ تُنَاسِبُ بَطْرَ الْفَتَى ، وَالصَّبْرُ عَلَى حَقِّكَ الشُّرُوءُ
أَشَدُّ مِنَ الْعَبْرِ عَلَى أَلَمِ الْحَاجَةِ ، وَذَلِكَ الْفَقْرُ يَسِي عَلَى عِزِّ الصَّبْرِ ، وَجُورُ الْوَلَايَةِ مَانِعٌ
مِنْ عَدْلِ الْإِنصَافِ ، إِنْ لَمْ يَنْسَبْ بِمَدَامَةِ ، وَكَانَ لِسُلْطَانِ عِزِّهِ قُوَّةٌ عَلَى شَهْوَتِهِ .
وكان يقول : لَا يَكْسِرُ رَأْسُ صِنَاعَةٍ إِلَّا فِي أَحْسَنِ رُتْبَانٍ ، وَأَرْدَلِ سُلْطَانٍ ،
وَلَا يَجِبُ الْعِلْمُ إِلَّا لِمَنْ انْصَلَفَ عَنْهُ ، وَخَرَجَ مِنْهُ .

وكان يقول : حُسْنُ الْبَشَرِ عِلْمٌ مِنْ أَعْلَامِ [النِّجَاحِ] وَرَأْدٌ مِنْ [رُودِ
الْفَلَاحِ] ، وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ زُهَيْرٌ :

تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مَهْلِكًا كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ
وَقَالَ لَهُ الْمُهْدِيُّ بَعْدَ أَنْ قَتَلَ ابْنَهُ عَلَى الزُّنْدَقَةِ : لَا يَمْتَنِعُكَ مَا سَبَقَ [بِهِ] الْقَضَاءُ فِي وَلَدِكَ ،
مِنْ [تَلْجِ صَدْرِكَ] وَتَقْدِيمِ نَصِيحَتِكَ ؛ فَإِنِّي لَا أَعْرِضُ لَكَ رَأْيًا عَلَى شُكِّهِ ، وَلَا أُوْخِرُكَ قَدَمًا
عَنْ رَدِّتِهِ . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّمَا كَانَ [وَلَدِي حَسَنَةً] مِنْ نَبْتِ إِحْسَانِكَ أَرْضُهُ ،
وَمِنْ تَقْدِيرِكَ سَمَاوُهُ ، وَأَنَا طَاعَةُ أَمْرِكَ ، وَتَعْبِيدُ نَهْيِكَ ، وَبَقِيَّةُ رَأْيِكَ لِي أَحْسَنُ التَّأَلُّفِ عِنْدِي
وَكَانَ يَقُولُ : السَّالِمُ يَمْشِي الْبَرَّازَ آمِنًا ، وَالْجَاهِلُ يَهْبِطُ الْفَيْطَانَ كَامِنًا ،
وَقَدْ دَرَّ زُهَيْرٌ حَيْثُ يَقُولُ :

السَّالِمُ دُونَ الْفَاحِشَاتِ وَمَا يَلْقَاكَ دُونَ الْخَلِيرِ مِنْ سَيْرٍ

وَقَالَ أَبُو عبيد الله^(٥) : ذَاكَ كَرْنِي الْمَنْصُورُ فِي أَمْرِ الْحَسَنِ^(٦) بْنِ قَحْطَنَةَ ، قَالَ : كَانَ

(١) في نسخة « أبو عبيد الله » (م) . (٢) في نسخة « معاوية بن يشار » (م) .

(٣) في نسخة « الحسن » .

أوتق الناس عندي، وأقربهم من قلبي، فلما لقي أبا حنيفة انكثت، قلت: إن فسدت نيته فبيضه الباطل كما ربه الحق، وتشهد بخائيه عليه كما شهدت له، فتعدل في أمره من شك إلى يقين. ثم قال لي: اكتم علي ما ألقيت عليك.

قال عمران بن شهاب: استعنت على أبي عبيد الله في أمر يعض إخوانه وكان قد تقدم سؤال إياه فيه، فقال لي: لولا أن حاك لا يجحد ولا يضاع، لحببت عنك حسن نظري؛ أظننتني أجهل الإحسان حتى أعلمه، ولا أعرف موضع المروف حتى أعرفه؛ لو كان يقال ما عندي إلا بشيئ لكنت مثل البعير الذلول؛ يحمل عليه الحمل الثقيل، إن قيد أقاد، وإن أتيخ برك، ما يملك من نفسه شيئا، قلت: معرفتك بموضع الصنائع أثبت معرفة، ولم أجعل فلانا شيئا إنما جعلته مذكرا. قال: وأى إذكارا بلغ عندي في رعي حقلك من سيرك إليه وتسليمك عليه^(١)، إنه متى لم يتصفح المأمول أسماء مؤتليه غدوة ورواحا لم يكن للأمل عملا، وجري عليه المقدار لمؤتليه على يديه بما قدر، وهو غير محمود على ذلك ولا مشكور، ومالي إمام بدوردي من القرآن إلا أسماء رجال أهل التأمل، حتى أمرهم على قلبي، فلا تستعن على شريف إلا بشرته؛ فإنه يرى ذلك حياء لفره؛ وأنشد:

وذاك امرؤ إن تأتته في عظمة إلى بابه لا تأتته بشيئ

ومن توقعاته: الحق يغيب قلبا أو ظفرا، والباطل يورث كذبا ونذما. وكتب إليه رجل: والنفس مولعة بحب العاجل. فكتب إليه: لكن العقل الذي جملة الله للشهوة زماما والهوى رباطا موكل بحب الآجل، ومستصير لكل كثير رائل.

قال مصعب بن عبد الله الزبيري: وقد زياد الحارثي على الهدي وهو بالزبي حتى عهد، فأقام سنتين لا يصل إليه شيء من بزه، وهو ملازم كاتبه أبا عبيد الله، فلما طال أمره دخل إلى كاتبه فأنشد:

(١) في نسخة ومن سيرك إلى، وتسليمك على، وهي أدق من جهة المعنى (م).

ما بعد حولين مرًا من مطالبة ولا مقام لدى دين وذى حسب
لئن رحلت ولم أغفر بفائدة من الأمير قد أعذرت في القلب
فوق أبو عبيد الله : يصنع الله لك ! فكتب إليه :
ما أردت الهاء منك لأنى قد تيقنت أنه لا يُجاب
أجباب الدعاء من مستطيل جُلَّ تسيجه الخفا والتباب

ألفاظ لأهل مصر ، في ذكر الاستطالة والكبر

مع ما يشارك كل ذلك من معانيها ، ويطرق نواحيها من المساوى والتعاقب
فلان لسانه مقرّض للأعراض ، لا يأكل خبره إلا بلحوم الناس . هو
غرض يرشق بسهام النية ، وعلم يقصد بالوقية ، قد تناولته الألسن الماذلة ،
يتناقلت حديثه الأندية الخافلة . قد لزمه عار لا يُمحى رَسْمُه ، ولزمه شئار لا يزول
وَسْمُه ، فأصبح [قَلَّ كل لسان ، وضَحَكَة كل إنسان ^(١)] ، وصار دولة الألسن ،
ومثلة الأعين . وقد عرض عرضه [غرضاً لسهام العائنين ، وألسنة القاذفين ، وقلد
نفسه عظيم العار والشئار ، والسَّبة الخافقة على الليل والنهار . قد أسكرته خمره
الكبر ، واستنرقته عُرَّة التَّيه ، كأن كسرى حامل غاشيته ، وقارون وكيل
نفاقته ، وبَلَقِيس إحدى داباته ، وكأن يوسف لم ينظر إلا بطلته ، [ودادود
لم ينطق إلا بنفسته] ، ولتبان لم يتكلم إلا بحكته ، والشمس لم تطلع إلا من جبينه ،
والنعام لم يند إلا من يمينه ، وكأنه امتطى السماكين ، واتصل الفرقدين ، وتناول
التَّيْرَيْن يدين ، وملك الخافقين ، واستعبد الثقلين ، وكان الخضر له عرشت ،
والنبراء باسمه فرشت .

(١) النمل - بفتح النون وسكون القاف - ما يقتل به على الشراب ، والضحكة :

الذى يضحك منه الناس (م) .

فلان له من الطلوس رجله ، ومن الورد شوكه ، ومن الماء زبد ، ومن النار دخانها ، ومن الخمر خمارها ، قد هبت سائمُ نائمها ، ودبت مكابد عقاربها ، والنام يضرب بسيف كليل إلا أنه يقطع ، ويضرب بضد واهن إلا أنه يوجع . هو تمثال الجبن ، وصورة الخوف ، ومقر الرعب ؛ فلو سميت له الشجاعة لخاف لفظها قبل معناها ، وذكرها قبل خواها ، وفزع من اسمها دون معناها ، فهو يهلك من مخوفه أضلّت أحلام ، فكيف بمسوع الكلام ؟ إذا ذكرت السيوف لمس رأسه هل ذهب ، ومس جبينه هل ثقب ؟ كأنه أسلم في كتاب الجبن صيدا ، ولقن كتاب القتل إجميا . وعده برق خلب ، وروغان ثلج . غم وعده جهام ، وحده سيفه كهام . حصلت منه على مواعيد عرقوية ^(١) ، وأحزان يقوية ^(٢) ، قد حرسى ثمر الوعد ، وجرت على شوك المثل . ففى له وعد أخذ ^(٣) من البرق الخلب خلقا ، وقد تناول من المارض الجهام طبعها ، وتركى أرعى رياض رجاء لا يثبت ، وأجنى ثمار أمل لا يورق ؛ فأنا فى ضمان الانتظار ، وإسارعة خمار ^(٤) . هو يرسل برقه ، ولا يسيل عذقه ، ويقدم رذعه ، فلا يطر بده . وعده الرقم على بساط الهواء ، وأنشط فى بساط الماء .

حل هذا من قول أبى الفضل بن المييد :

لا أستفيق من الغرام ، ولا أرى خلوًا من الأشجان والبرحاء
وصروف ألام أفن قيامتى بنوى الخليل وفرقة القرناء
وجفاء خيل كنت أحسب أنه عوفى على السراء والضراء
ثبت الزينة فى العوق ، ووده متقل كتنقل الأحياء
ذى خلة يأتيك أثبت عهد كاخلط برسم فى بساط الماء

(١) عرقوية : نسبة إلى عرقوب ، وهو مضرب المثل فى الخلف والمطل (م) .

(٢) يقوية : نسبة إلى يقوب نبي الله تعالى الذى حزن على ابنه يوسف وبكاه

حتى ابيضت عيناه من الحزن (م) .

(٣) فى المطبوعات « له وعد أخدع من البرق الخلب خلقا » وما أثبتناه أشد

توافقا والتامًا بما جده (م) . (٤) الضار : العاصب الذى لا يرجى (م) .

أردت هذا البيت .

هو صخرة خلّقاء^(١) ، لا يستجيبُ المرتقى ، وحية صماء لا تسمع للمرتقى ،
كأنى استغفر بالجوّ رغداً ، وأهزّ منه بالدعاء طوداً ، هو ثابت المطف [نأى
المطف] ، عاجز القوة ، قاصر اللّنة ، يتعلّق بأذناب الماذير ، ويحيل على ذنوب
القادير . هو كالنّمامة نكونُ جلاً إذا قيلَ لها طيري ، وطائراً إذا قيلَ لها سيري .
يفاض له بذل ، ولا يفوض إليه شغل ، ويملاً له وطب ، ولا يدقّع به خطب ،
قد وفرّ همة على مطعم يحوّده ، وملبّس يحوّده ، ومرقّد يمهّده ، وبينان يشيّده ،
هذا كقول الحطيئة :

دَعِ السَّكَاكِمَ لَا تَرْحَلْ لُبْعَيْتِهَا وَأَقْعِدْ فَاكِ أَنْتَ الطَّاعِمُ السَّكَاكِي
قَلْبَ نَيْلٍ ، وَصَدْرُ دَغِلٍ ، وَطَوْبَةُ مَعْلُولَةٍ ، وَعَقِيدَةُ مَذْخُولَةٍ ، صَفْوَةٌ
رَيْنُ^(٢) ، وَرَمَّةٌ مَاتَى ، قَدْ مَلَى قَلْبُهُ رَيْنًا ، وَشَجِنَ صَدْرُهُ مَيْنًا^(٣) . يدعى الفضل
وهو فيه دجى ، ذأبه بثّ الخلدانغ ، والتفتّ في عُقد المسكايد ، ضربه خُبث ،
ويمنه حُثْ ، وعهده نَكْث . هو سحابة صَيف ، وطائرُ صَيف ، قوته
غُصْبَةٌ ، والظفر به هزيمة . هو القودُ المركوب ، والوترُ المضروب ، يطوّه الخفّ
والحافر ، ويمتصّيه الواردُ والصادر . [يمتص عن الذكر] ، ويصنّر عن
الفِكر . ذاته لا يوسمُ أغلالها ، وصفته لا تنفّج أغلالها . هو أقلُّ من تبنة في
لينة ، ومن قلّامة في قمامة . وهو يندق الشّطرنج في القيمة والقائمة ، جهله
كثيف ، وعقله سخيّف ، لا يستترّ من العقل بسجف ، ولا يشتل إلا على
سحف . يمدّ يد الجنون فيفرك بها أذن الحزَم ، ويفتح جراب السحف
فيفصّع به قفا العقل . لا تزال الأخبارُ تورّد سفايح جهله وخرقه ، والأنباه
تنقلُ نتائج سُخْفِهِ وَجُحْفِهِ . قد ظلّ يتعنّزُ في فضول جهله ، وينساقطُ في
ذبول عقله . هو سمينُ اللالِ مهزول النّوال . ثروة في الثريا وهمة في الثرى .

(١) خلّقاء : ملء (م) . (٢) رنق : كدر (م)

(٣) الرين : الدنس ، وأراد الحقد والضغن ، والمين : السكّاب (م) .

وَجْهَهُ كَهَوْلِ الْمُلُوعِ ، وَزَوَالِ النِّعْمَةِ ، وَقَضَاءِ النِّوَمِ ، وَمَوْتِ الْقُبَاةِ . هُوَ قَدَى التَّيْنِ ، وَشَجَى الصَّدْرِ ، وَأَذَى الْقَلْبِ ، وَجَمَى الرُّوحِ ، وَجْهَهُ كَأَخْرِ الصَّكِّ ، وَظَلَمَ الشَّكِّ ، كَأَنَّ النُّحْسَ يَطْلُعُ مِنْ جَبِينِهِ ، وَالْخُلَّ يَقْطُرُ مِنْ وَجْهِهِ . وَجْهَهُ طَلْعَةُ الْحَجَرِ ، وَلَقْظُهُ قِطْعُ الصَّخْرِ . وَجْهَهُ كَحُضُورِ الْغَرِيمِ ، وَوَصُولِ الرَّقِيبِ ، وَكِتَابِ الْعَزْلِ ، وَفَرَاقِ الْحَبِيبِ . لَهُ مِنَ الدِّينَارِ نَضْرَتُهُ ، وَمِنَ الْوَزْدِ صُفْرَتُهُ ، وَمِنَ السَّحَابِ ظُلْفَتُهُ ، وَمِنَ الْأَسَدِ نَكَبَتُهُ^(١) . هُوَ عَصَاةُ لُؤْمٍ فِي قِرَارَةِ خُبْنٍ . الْأُمُّ مَهْجَةٌ فِي أَسْقَطِ جَنَّةٍ . حَدِيثُ النِّعْمَةِ ، خَبِيثُ الطَّعْمَةِ ، خَبِيثُ الْمَرْكَبِ ، لَيْثُ الْمُنَسَبِ ، يَكَادُ مِنْ لُؤْمِهِ يُعْدِي مِنْ جِلْسٍ إِلَى جَنْبِهِ ، أَوْ تَسْمَى بِاسْمِهِ . قَدْ أُرْضِعَ بِلْبَانَ الْلُؤْمِ ، وَرُئِيَ فِي حِجْرِ الشُّؤْمِ ، وَفُطِمَ عَنْ ثَدْيِ الْخُلْبِ ، وَنَشَأَ فِي عَرَاةِ الْخُلْبِ ، وَطُلِقَ الْكُورُ ثَلَاثًا لَمْ يَنْطِقْ فِيهِ اسْتِنَاءٌ ، وَأَعْتَقَ الْمَجْدُ بَاتَا لَمْ يَسْتَوْجِبْ عَلَيْهِ وَلَا . هُوَ حَازَ مِبْطُنَ بُشُورِ مَفْرُوزِ بَيْتِيسَ ، مَطَرَزَ بَطْرَ ، [أَيْ مِنَ الْلُؤْمِ بِنَادٍ] ، لَمْ تَهْتَدِ لَهُ قِصَّةُ مَادِرَ^(٢) . هُوَ قَصِيرُ الشَّيْرِ ، صَنِيرُ الْقِدْرِ ، قَاصِرُ الْقَدْرِ ، صَنِيقُ الصَّدْرِ ، وَدَى إِلَى قِيَمَةِ مَنْلِهِ فِي خُبْنِ أَصْلِهِ ، وَفَرْطُ جَهْلِهِ ، لَا أَمْسَ لِيَوْمِهِ ، وَلَا قَدِيمَ لِقَوْمِهِ ، سَائِلُهُ مَحْرُومٌ ، وَمَالُهُ مَسْكُوتٌ ؛ لَا يَحْبُنُ إِنْفَاقَهُ ، وَلَا يَحِلُّ خَنَافَهُ . خَيْرُهُ كَالْمَنْفَاقِ تَسْمَعُ بِهَا وَلَا تَرَى . خُبْرُهُ فِي حَالِقٍ ، وَإِدَامُهُ فِي شَاهِقٍ . غِنَاهُ قَفْرٌ ، وَمَطْبُخُهُ قَفْرٌ ، يَمْلَأُ بَطْنَهُ وَالْجَارِ جَانِعٌ ، وَيَحْفَظُ مَالَهُ وَالْعَرَضُ ضَائِعٌ ، قَدْ أَطَاعَ سُلْطَانَ الْيُخْلُ وَانْخَرَطَ كَيْفَ شَاءَ فِي سِلْكِهِ . هُوَ مَنْ لَا يَبْيِضُ حَجَرُهُ ، وَلَا يَشْمُرُ شَجَرُهُ ، سَكَيْتُ الْحَلْبَةَ^(٣) ، وَسَاقَةُ الْكَنْبَةِ ، وَأَخِيرُ الْجَرِيدَةِ . لُفْتَةُ الْمَائِبِ ، وَعَرَضَةُ الشَّاهِدِ وَالْمَائِبِ . هُوَ عَيْبَةُ الْعُيُوبِ ، وَذَنُوبِ الْذُنُوبِ . وَقَالَ أَبُو الْفَضْلِ الْمِكَالِي :

(١) النكبة : ربيع الفم ، والأسد معروف بالخير ، وهوتن الفم (م) .

(٢) مَادِر : مضرب التل في البخل ، كان له حوض يملأه ماء ليسقى دوابه ،

فلذا فرغ قنف فيه الحصى الكبير لئلا يستقى غيره (م) . (٣) الحلبة : موضع

جري الحيل التسابقة . وسكيتها : أراد أنه ياتي في آخر التسابقين (م) .

وطلمة بقيهما قد شهرت
 كأنها عن لها قد قشرت
 تحكى زوال نعمة ما شكرت
 أقبح بها صحيفة قد نشرت
 عنوانها إذا الوحوش حشرت
 بلعنها ما قدمت وأخرت
 صاحبها ذو عودة لو سكرت
 إن سار يوماً فالجبال سكرت
 أو رام أكلا فالجيم سكرت

من
 بديع الزمان
 يشكو الحيرى
 القاضى
 ويختص بهذه الأنواع رسالة بديع الزمان إلى القاضى على بن أحمد يشكو
 أبا بكر الحيرى القاضى وينثمه - وقد أطلت عنان الاختيار فيها لصحة مبانها ،
 وارتباط ألفاظها بمانيها :

الظلامه - أطال الله بقاء القاضى - إذا أتت من مجلس القضاء ، لم ترق
 إلّا إلى سيد القضاء . وما كنت لأقصر سيادته على الحكم ، دون سائر الأنام ،
 لولا اتصالهم بسببه ، وانتسابهم بقلبه ، وهبهم مطلقين على قسميه ، مغيرين على
 اسمه ، ألم فى الصحة أديم كأديمه^(١) ، أو قدّم فى الشرف كقدّمه ، أو حديث
 فى الكرم كطريفه ؛ فهنيئاً لهم الأسماء ، وله للعانى ، ولا زالت لهم الظواهر ،
 وله الجواهر . ولا غرو أن يسموا قضاء ، فما كل مانع ماء ، ولا كل متفـ
 سماء ، ولا كل - برة عدل الممرّين^(٢) ، ولا كل قاض قاضى الحرمين ، وبالنارات
 القضاء ! ما أخص ما بيع ، وأسرع ما أضيع ! والسنة الإنذار ، قبل خلو الديار ،
 وموت الخيار ، ألا يغار لخلى الحسناء ، على السوداء ، ومركب أولى السياسة ،
 تحت السّاسة ، ومجلس الأنبياء ، من تصدّر الأغبياء ، وحمى البراة من صيد البغاث ،
 ومرتع الذكور^(٣) من تسلط الإناث ؟ وبأى الرجال ، وأين الرجال ! ولى القضاء من
 لا يملك من آلائه غير السّبال^(٤) ، ولا يعرف من أدواته غير الاعتزال ، ولا يتوجه

(١) الأديم : الجلد (م) .

(٢) الصمرين : أبى بكر وعمر بن الخطاب ، رضى الله عنهما (م) .

(٣) فى نسخة «ومربع الذكور» (م) . (٤) السبال - بكر السين - جمع

سبله - بالتحريك - وهو الشارب ، ويقال : مقدم اللحية وما أسبل منها على الصدر (م) .

في أحكامه إلا إلى الاستحلال ، [ولا يرى التفرقة إلا في العيال] ولا يُحْسِنُ من
 الفقه غير جمع المال ، [ولا يقن من الفرائض إلا أقله الاحتفال ، وكثرة الاتصال]
 ولا يدرس من أبواب الجدل إلا قبيح القفال ، وزور القفال ، ذاك أبو بكر
 القاضي ، أضاعه الله كما أضاع أمانته ، وخان خزائنه ، ولا حاطه من قاضٍ في
 صولة جندی ، وسبلة كردی ... إلى أن قال : أيتكفي أن يُصْبِحَ المرء بين الزنوة
 والعود ، ويمسى بين موجبات الحدود ، حتى يكل شبابه ، وتثيب أثرابه . ثم
 يلبس دَنِيَّةً ^(١) ، ليخلع دينيته ، ويسوى طيلسانه ، ليحرف يده ولسانه ، ويقصر
 سبَّالَه ، ليطليل حباله ، ويُظْهِرَ شَقَاشِقَه ، لِيَسْتَرْخِطَ رَهْ ، ويبيض لحية ، ليسودَّ
 صحيفته ، ويبدى ورَّعه ، ليخفي طمعه ، وينشى عَجْرَابه ، لِيَمْلَأَ جَرَّابه ، ويكثر
 دُعَاؤه ، ليحشو وعاءه ، ثم يخدم بالنهار أمعاءه ، ويعالج بالليل وَجَمَاءَه ، ويرجو
 أن يخرج من بين هذه الأحوال علماً ، ويقصد كما ؟ هذا إذا المجد كالوه بقفزان ^(٢)
 و باعوه في سوق الخسران ! هيهات حتى ينسى الشهوات ، ويَتُوبَ القلوات ،
 ويمتد الخابِرَ ، ويمتصن الدفاتر ، وينتج الخواطر ، ويخالف الأسفار ، ويمتد
 القِفَارَ ، ويصل الليلة باليوم ، ويمتنع السهر من النوم ، ويحمل على الروح ،
 ويمشي على العين ، وينفق من العيش ، ويخزن في القلب ، ولا يستريح من النظر
 إلا إلى التحديق ، ولا من التحقيق إلا إلى التلقيق ؛ وحامل هذه الكلف إن
 أخطأه رائدُ التوفيق ، قد ضلَّ سواء الطريق ، وهذا الحيرى رجل قد ضلَّه طلبُ
 الرئاسة عن تحصيل آلائها ، وأجله حصولُ الأمنية عن تحمل أدوائها ^(٣) :

والكلبُ أحسن حالةً وهو التهاية في الخلسه

من تصدَّى للرئاسة قبل إبانِ الرئاسة

(١) الدنية بفتح الدال وتشديد النون مكسورة - قلنسوة كان القضاة يلبسونها ،
 وقد جاء في مقامات الحريري « فضحك القاضي حتى هوت دينته » (٦) .
 (٢) قفزان : جمع قفزة ، وهو مكيال . (٣) في نسخة « عن تتخل أدوائها » (م) .

فَوَلَّى الظَّالِمُوهُو لَا يَعْرِفُ أَسْرَارَهَا ، وَحَلَّ الْأَمَانَةَ وَهُوَ لَا يَدْرِي مَقْدَارَهَا ؛
وَالْأَمَانَةُ عِنْدَ النَّاسِ خَفِيَّةٌ الْحَمْلُ عَلَى الْعَاقِبِ ، تُشْفِقُ مِنْهَا الْجِبَالُ ، وَحِمْلُهَا
الْجِبَالُ ، وَقَدْ مَقَّعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ حَدِيثِهِ يَرَوِي ، وَكَتَابَ
اللَّهُ يُتْلَى ، وَبَيْنَ الْبَيْتَةِ وَالِدَعْوَى ، فَتَبِعَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ حَاكِمٍ لَا شَاهِدَ عِنْدَهُ
أَعْدَلُ مِنَ السَّلَةِ وَالْجَامِ^(١) ، يُدْخِلُ بِهِمَا إِلَى الْحُكْمِ ، وَلَا مَرْكَزَ أَصْدَقَ لَدَيْهِ مِنْ
الصُّفْرِ^(٢) ، تَرَقُّصُ عَلَى الظَّفَرِ ، وَلَا وَثِيقَةٌ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ غِرَازَاتِ الْخَصُومِ ، عَلَى السَّكِينِ
الْخُتُومِ ، وَلَا كَفِيلُ أَوْقَعَ بَوَاقِيَهُ مِنْ خِيَتَةِ الْقَدِيلِ ، وَحَالِ اللَّيْلِ ، وَلَا وَكِيلُ أَعَزَّ
عَلَيْهِ مِنَ الْمُنْذِيلِ وَالطَّبِيقِ ، فِي وَقْتِ الْفَسَقِ وَالْفَلَقِ ، وَلَا حُكُومَةُ أَيْبَضُ إِلَيْهِ مِنْ
حُكُومَةِ الْمَجْلِسِ ، وَلَا خُصُومَةُ أَوْحَشَ لَدَيْهِ مِنْ خُصُومَةِ الْفُلَيْسِ ، ثُمَّ الْوَيْلُ لِلْفَقِيرِ
إِذَا ظَلَمَ ، فَمَا يَنْضِيهِ مَوْقِفُ الْحُكْمِ إِلَّا بِالْقَتْلِ مِنَ الظُّلْمِ ، وَلَا يَجِيرُهُ مَجْلِسُ الْقَضَاءِ
إِلَّا بِالنَّارِ مِنَ الرِّمَاءِ . وَأَقْسَمَ لَوْ أَنَّ الْيَقِيمَ وَقَفَ بَيْنَ أَنْيَابِ الْأَسْوَدِ ، بَلْ الْحَيَاتِ
الْأَسْوَدِ ، لَكَانَتْ سَلَامَتُهُ مِنْهَا أَرْجَى مِنْ سَلَامَتِهِ إِذَا وَقَعَ مِنْ هَذَا الْقَاضِي
بَيْنَ مَخَارِبِهِ وَأَقَارِبِهِ ؛ وَمَا غَلَبَ الْقَاضِي بِقَوْمٍ يَحْمِلُونَ الْأَمَانَةَ عَلَى مَقَرِّهِمْ ،
وَيَأْكُلُونَ النَّارَ فِي بَطُونِهِمْ ، حَقٌّ تَغْلُظُ قَصَصَاتِهِمْ^(٣) مِنْ مَالِ الْيَتَامَى ، وَتُسَمِّنُ
أَكْفَالَهُمْ مِنْ مَالِ الْأَيَامَى ، وَمَا رَأَيْهِ فِي دَارِ عَمَلِهَا خَرَابُ الدُّورِ ، وَعُطْلَةُ الْقُدُورِ ،
وَحَلَاةُ الْبُيُوتِ ، مِنْ السَّكُوسَةِ وَالْقَوْتِ ، وَمَا قَوْلُهُ فِي رَجُلٍ يُكَادِي اللَّهَ فِي الْفُلْسِ ،
وَيَبِيعُ الدِّينَ بِالْمَنْعِ الْبُخْسِ ، وَفِي حَاكِمٍ يَبْرُزُ فِي ظَاهِرِ أَهْلِ السُّنَنِ ، وَبَاطِنِ الْأَصْحَابِ
السَّبْتِ ، فَتَلَهُ الظُّلْمُ الْبَحْثَ ، وَأَكَلَهُ الْحَرَامُ السُّخْتِ . وَمَا قَوْلُهُ فِي سَوْسٍ لَا يَقَعُ
إِلَّا عَلَى صَوْفِ الْأَيْتَامِ ؛ وَجَرَادٍ لَا يَقَعُ إِلَّا عَلَى الزَّرْعِ الْحَرَامِ ، وَلَصَنٍ لَا يَنْقَبُ إِلَّا
خَزَانَةَ الْأَوْقَافِ ، وَكَرْدِي لَا يُبْدِرُ إِلَّا عَلَى الضَّعَافِ ، وَلَيْثٌ لَا يَفْتَرِسُ عِبَادَ اللَّهِ إِلَّا
بَيْنَ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ ، وَخَارِبٌ^(٤) لَا يَنْهَبُ مَالَ اللَّهِ إِلَّا بَيْنَ الْعُودِ وَالشُّهُودِ .

(١) السَّلَةُ - بفتح السين - السَّرَقَةُ ، وَالْجَامُ : الْوَعَاءُ الَّذِي تَصْرَبُ بِهِ الْحَرَامُ (م) .

(٢) الصُّفْرُ : جَمْعُ أَصْفَرٍ ، وَهُوَ الدِّينَارُ (م) . (٣) الْقَصَصَاتُ : جَمْعُ

قَصْرَةٍ - بِالضَّمِّ - وَهِيَ أَصْلُ الْعَنْقِ . (٤) الْخَارِبُ : السَّارِقُ (م) .

وذكر في هذه الرسالة فصلاً في ذكر العلم - وهو مستطرف البلاغة ،
مستعذب البراعة - قال :

والعلم - أطال الله بقاءه - القاضى - شئ كما تعرفه ، بعيد المرام ، لا يصاد
بالتهام ، ولا يقسم بالأزلام^(١) ؛ ولا يرى في المنام (ولا يضبط باللجام ، ولا يورث
عن الأعمام ، ولا يكتب للثام [، وزرع لا يزكو^(٢) حتى يصادف من الحزم
ثرى طيباً ، ومن التوفيق مطراً صيباً ؛ ومن الطبع جواً صافياً ، ومن الجهد روحاً
دائماً ، ومن الصبر سقياً نافعا ، والعلم علق^(٣) لا يباع من زاد ، وصيد لا يأنف
الأوغاد ، وشئ لا يدرك إلا بنزع الروح ، وعون اللاشك والروح ، وغرض
لا يصاب إلا بافتراش المدر^(٤) ، وأمساد الحجر ، ورد الضجر ، وركوب الخطر ،
وإذمآن السهر ، واصطحاب السفر ، وكثرة النظر ، وإعمال الفكر ، ثم هو
مستاص إلا على من زكا زرع ، وخلا ذرع ، [وكرم أهله وقزعه ، ووعى
بصره وسمه] ، وصفا ذهنه وطبعه ، فكيف يناله من أنفق صباه على الفخشاء ؛
وشبابه على الأحشاء ، وشغل نهاره بالجمع ، وليله بالجمع ، وقطع سلوته بالثنى ،
وخلوته بالفناء ، وأفرغ جده على الكيس ، وهزل في الكأس ؛ والعلم ثمراً لا
يصلح إلا للفرس ، ولا يفرس إلا في النفس ، وصيد لا يقع إلا في الندر ، ولا
ينشب إلا في الصدر ، وطائر لا يندعه إلا قنص اللفظ ، ولا يملقه إلا شرك
الحفظ [ولا ينشب إلا في الصدر ،] وتمر لا يغوصه إلا اللآح ، ولا تطيقه إلا الأنواح ،
ولا تهيجه إلا الرياح ، وجبل لا ينسج إلا بخط الفسك ، وساء لا يصمد إلا بغير راج
القهم ، وتجم لا يلس إلا بيد المجد .

(١) الأزلام ، ها : قذاح الميسر (م) .

(٢) لا يزكو : لا ينمو (م)

(٣) العلق - بالكسر - النعيس الذى يتغالى فيه (م)

(٤) المدر - بالتجريك - صغار الحمى (م) .

ومن مفردات الآيات في المايب والمقايح

قول أبي تمام :

مَسَاوِي لَوْ قَسِمَ عَلَى الْفَوَائِي لَا أَثْمِرْنَ إِلَّا بِالطَّلَاقِ

آخر :

قَوْمٌ إِذَا جُرَّجَانٍ مِنْهُمْ أُمِنُوا مِنْ لُؤْمِ أَحْسَابِهِمْ أَنْ يَقْتُلُوا قَوْدًا^(١)

البحرئ :

بَا فِي يَدِي ، وَإِنِ اللَّثِيمَةَ وَاجِدٌ وَيَبْنُو الْخَيْثُ الْقَطِيعُ وَهُوَ صَقِيلٌ

ابن الرومي في رجل يعرف بابن رمضان :

رَأَيْتُكَ تَدْعِي رَمَضَانَ دَعْوَى وَأَنْتَ نَظِيرُ بَوْمِ الشُّكِّ فِيهِ

وله في أعمى :

كَيْفَ يَرُجُّهُ الْحَيَاءُ مِنْهُ صَدِيقٌ وَمَكَانُ الْحَيَاءِ مِنْهُ خَرَابٌ

غيره :

هُوَ الْكَلْبُ ، إِلَّا أَنَّ فِيهِ مَلَالَةٌ وَسُوءُ مُرَاعَاةٍ وَمَا ذَاكَ فِي الْكَلْبِ

آخر :

أَبَا ذُلْفٍ يَا أَكْذَابَ النَّاسِ كُلَّهُمْ سِوَايَ فَإِنِّي فِي مَدْيَعِكَ أَكْدَبُ

أبو الفضل الميكاالي :

هُوَ الشُّوكُ لَا يُعْطِيكَ وَإِفْرَ مَنَّةَ يَدِ الدُّهْرِ إِلَّا حِينَ تَضْرِبُهُ جَلْدًا

(١) جر : اكتسب جريرة . يريد أنهم لا يساوون أحدا من الناس ، ومن شرط القود — وهو الاقتصاس من القاتل بقتله — التكافؤ . فليسوا يقتلون أصلا (م) .

[قولهم في اللحن وتعلم العربية]

قال المأمون لبعض ولده وسمع منه لحنا : ما على أحدكم أن يتعلم العربية ،
فيقيم بها أوده^(١) ، ويربى بها شهده ، وبفل^(٢) حجاج خضه ، بمس كتاب
حكمه^(٣) ، ويملك مجلس سلطانه ، بظاهر بيانه ؛ ليس لأحدكم أن يكون
لسانه كلسان عبده أو أمته ، فلا يزال الدهر أسير كلته .

وقال رجل للحن البصري يا أبو سعيد ، قال : كسب الدرام شغلك
أن تقول يا أبا سعيد ، ثم قال : تعلموا العلم للأدیان ، والنحو للسان ، والطب
للأبدان .

وكان الحسن كما قال الأعرابي وسمع كلامه : والله إنه لنصيح إذا لفظ ، نصيح
إذا وعظ . وقيل له : يا أبا سعيد ، ما تراك تلحن ، قال : سبقت اللحن . أخذه
أبو الصاهية ، وقيل له : إنك تخرج في شرعك عن العروض ، فقال : سبقت العروض ،
وقال إسحاق بن خلف البهراني :

النحو يصلح من لسان الألسن والمرء تنظمه إذا لم يلحن
فإذا طلبت من العلوم أجنها فأجلها منها مقيم الألسن
وقال علي بن بسام :

رأيت لسان المرء رائد عليه وعنوانه كأنظر بماذا تمنون
ولا تمد إصلاح اللسان فإنه يجبر ما عنده وبين
على أن لا لعراب حدا ، وربما سمعت من الإعراب ما ليس بحسن
ولا خير في اللفظ الكريه استأعاه ولا في قبيح اللحن والقصد أزين

(١) أوده : اعوجاجه (م) .

(٢) بفل : يكسر ويضف (م) . (٣) في نسخة « بمسكتات حكمه » (م) .

وقال بعض أهل العصر ، وهو أبو سعيد الرستمي :

أَفِي الْحَقِّ أَنْ يُعْطَى ثَلَاثُونَ شَاعِرًا وَيُحْرَمَ مَلَكُونَ الرِّضَا شَاعِرٌ . عَلَى
كَمَا سَاحَمُوا عَمْرًا بِوَاوٍ زِيَادَةٍ وَضَوْيَيْنِ بِسْمِ اللَّهِ فِي أَلِفِ الْوَحْدَانِ
أَبُو الْفَتْحِ الْبُسْتِي :

حَذَفْتُ وَغَيْرِي مَثَبٌ فِي مَكَانِهِ كَأَنِّي نَوْنُ الْجَمْعِ حِينَ يُضَافُ
وَقَالَ :

أَفْدَى الزَّوَالِ الَّذِي فِي التَّخَوُّكِ كَلْبَنِي مُنَاطِرًا كَاجْتَنِبْتَ الشَّهْدَ مِنْ شَفَعَتِهِ
فَأَوْرَدَ الْحَجَجَ الْقَبُولَ شَاهِدُهَا مُحَقَّقًا لِيَرِيَنِي فَضْلَ مَعْرِفَتِهِ
ثُمَّ انْفَقْتُ عَلَى رَأْيِي رَضِيَتْ بِهِ وَالرَّفْعَ مِنْ صِفَتِي وَالنَّصَبَ مِنْ صِفَةِ
الْحَسَنِ الْأَحْمَامِ ^(١) :

أَنَا مِنْ وَجْهِ النَّحْرِ فِيكُمْ أَفْضَلُ وَمِنَ الْخَنَازِ إِذَا تَقَدَّ الْمَهْلُ ^(٢)

• [لَوْعَةُ الشَّوْقِ] •

وقال أحمد بن يوسف :

كُتِبَ غُلَامٌ مِنْ وَلَدِ أَغْوَشَرَوَانَ عَمَّنْ كَانَ أَحَدَ غُلَامِي الدِّيَّوَانِ ، إِلَى آخِرِ مَنْهُمْ
وَكَانَ قَدْ عَلِقَ بِهِ ، وَكَانَ شَدِيدَ الْكَلْفِ بِهِ وَالْحُبَّةُ لَهُ : لَيْسَ مِنْ قَدْرِي - أَدَامَ
اللَّهُ سَعَادَتَكَ - أَنْ أَقُولَ لِمِثْلِكَ جِئْتُ فِدَاكَ ؛ لِأَنِّي أَرَاكَ فَوْقَ كُلِّ قِيَمَةٍ خَطِيرَةٍ
وَعَمَّنْ مُتَّعِيزٌ ، وَلَئِنْ غَسَى لَا تُسَاوِي نَفْسَكَ ، فَتُقْبَلْ فِي فِدَايِكَ ، وَعَلَى كُلِّ
حَالٍ ؛ لِحُبِّي لِلَّهِ فِدَاءً سَاعَةً مِنْ أَيَّامِكَ ، أَعْلَمُ أَيُّهَا السَّيِّدُ الْعَلِيُّ الْمَرْزُوقُ ، أَنَّهُ لَوْ
كَانَ لِمِثْلِكَ مِنْ شِدَّةِ الْخُطْبِ أَمْرٌ يَقِفُ عَلَى حَدِّهِ النَّعْتُ ^(٣) ، لَاجْتِهَادًا أَنْ يُضْعِفَ ^(٤)

(١) فِي نَسْخَةِ « أَبُو الْحَسَنِ الْأَحْمَامِ » (م)

(٢) أَفْضَلُ : يَرِيدُ أَنَّهُ غَيْرُ مُنْصَرَفٍ ، وَسَقَطَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ مِنْ بَعْضِ النُّسَخِ (م) .

(٣) النَّعْتُ : الْوَصْفُ ، نَعْتُ يَنْتَه : وَصْفُهُ يَصِفُهُ (م) .

(٤) فِي نَسْخَةِ « لَاجْتِهَادًا أَنْ يُضْعِفَ » (م) .

من ذلك ما عسى أن يعطف به زمام قلبك ، وتحنو له على الرقة به والتحنى أثناء جوانحك ، ولكن الذى أسيئت وأصبحت ممتحناً به فيه شَسَحٌ^(١) على كل بيان ، ونزع عن كل لسان ؛ والحب أيها الملك لم يشبه قذى ربية ، ولم يختلط به قلب معاب . فلا ينبغي لمن كرمته أخلاقه أن يناف مقاربة صاحب اللدل بحمرة نيته ، والذى آمناء أيها الولي اللطيف مجلس أصف فيه أمامك ، ثم أبوح بما أضنى جدى ، وقت كبدى . فإن خف ذلك عليك ورأيت نشاطاً من نضك إليه كنتَ كمن فك أسيراً وأبرأ عيلاً ، ومن الخير ملك سبيلاً ، يتوَعَّرُ سادكها على من كان قبله ، ومن يكون بعده ؛ ثم أضاف إلى ذلك منة لا يُعطىها جَبَلٌ رَاسٌ ، ولا تلك دائر ، فرأيت أيها السيد المتمد في الإسعاف ، قبل أن يندرنى الموت ؛ فيحول بينى وبين ما نزعته إليه النفس مواصلاً برّاً إن شاء الله تعالى .

فأجابه : تولى الله تعالى ما جرى به لسانك بالزيد ، ولا أوحش ما بيننا بطائر فرقة ، ولا صافر تشتت ، وضناً وإيائك فى أوتق حبال الأنس ، وأؤكد أسباب الألفق ؛ وقتت على ما غلصته من المعجز عن بلوغ ما خامر قلبك^(٢) ، وانظوى فى ضميرك ، من الشف للقلق ، والهوى المضرع ، ولمرى لو كشفت لك عن معشار ما شتمل عليه مضمير صدرى لأيقنت أن الذى عندك إذا قشته إلى ما عندى كالنيل لاشى البائد ، ولكنك بفضل الإنعام سبقتنا إلى كشف ما فى الضمير . وأما طاعنى لك ، وذمى إليك ؛ فطاعة العبد للقتنى ، الطائع لما يمتكّم له وعليه مولاه وما يسكّه ، وأنا صائر إليك وقت كذا ؛ فأتأهب لقلبك بأحد عافية ، وأتم عُدّة^(٣) ، وأشدّ نجم جرى بالألفة ، إن شاء الله تعالى .

وكتب بعض الكتاب : إني لأكره أن أفديك بنفسى استحياء من التصغير

(١) شَسَح : جد ، وفى نسخة « منع من كل بيان » (م) .

(٢) خامر قلبك : خانطه (م) (٣) فى نسخة « وأتم عافية » (م) .

(١٠ — زهر لأدب ٣)

في المأوضة ، ومن التخلّف في الموازنة ، وعلى الأحوال كلّها ، قدّم الله رُوحِي
عنك ، وصانتي عن رُؤية المكروه فيك .

وقال النبي :

فَدَى لَكَ مِنْ يُقَصِّرُ عَنْ مَدَاكَ فَلَا مَلَكَ إِذَنْ إِلَّا قَدَاكَ
وَلَوْ قُلْنَا فِدَى لَكَ مِنْ يُسَاوِي دَعَوْنَا بِالْبَقَاءِ لَمَنْ قَلَاكَ
وَأَتَمْنَا فِدَاءَكَ كُلَّ نَفْسٍ وَإِنْ كَانَتْ لِمَلِكَةٍ مِلَاكَ

[وقال عبيد الله بن شبيب : كتب إلى بعض إخواني من أهل البصرة
كتبا ملح فيه وأوجز ، وهو : أطال الله بقاءك ، كما أطال حياك ، وحملني
فداك إن كان في فداؤك .

كُتِبْتُ وَلَوْ قَدَرْتُ هَوَى وَشَوْقَا إِلَيْكَ لَكُنْتُ سَطْرًا فِي كِتَابِي [
وكتب آخر إلى إبراهيم وأحد ابني المدبر ، وقد أصابتهما محنة ثم أردفتها
نعمة : لو قُبلت فيكما ، ودانيتُ قدريكما ، قُلت : جعلني الله فداكما ، ولكني
لا أجزى عنكما ، فلا أقبل بكما ، وقد بلغتني المحنة التي لومات إنسان غمّا بها
لكنته [ثم اتصلت النعمة التي لو طار امرؤ برحابها لكنته] وكتب تحته :
وليس بتزويق اللسانِ وصَوْغِهِ وَلَكِنَّهُ قَدْ خَالَطَ اللَّحْمَ وَالْعِظَامَا

وكتب ابن ثوبان إلى عبيد الله بن سليمان يستنذر في ترك مكاتبته بالتفدية
[الله يعلم ، وكفى به علما ، لقد وددت مكاتبتك بالتفدية] فرأيت عينا أن
أفديك بنفس لا بدّ لها من فناء ، ولا سبيل لها إلى بقاء ، ومن أظهر لك شيئا
وأضر لك خياله قد غش ؛ والأمر إذا كانت الضرورة توجب أنه ملق ^(١)
لا يحق ، وإعطاء لا يتحصّل ، لم يجب أن يخاطب به مثلك ، وإن كان عند قوم
نهاية من نهائات التعظيم ، ودليلا من دلالات الاجتهاد ، وطريقا من طرق التقرب .
قال الزبير بن أبي بكر : قال لي مسلمة بن عبد الله بن جندب الهذلي : خرجت أريد العقيق
ومعى زبجان السواق ؛ فلقينا نسوة فيهن امرأة لم أر أجمل منها فأنشدت بيتين لزبجان :

(١) في الطبوعات « توجب أنه ملك لا يحق » تحريف ما أبتناه (م) .

أَلَا يَا عِبَادَ اللَّهِ هَذَا أَحْوَكُ قَتِيلٌ ، هَلْ فِيكُمْ لَهُ الْيَوْمَ نَائِرٌ ؟
 خُذُوا بِيَدِي ، إِنَّمَتْ ، كُلَّ خَرِيدَةٍ مَرِيضَةٍ جَفْنِ الْمَيِّتِ وَالطَّرْفِ سَاجِرُ
 نِمَّ قَالَ : شَأْنُكَ بِهَا يَا بَنَ الْكَرَامِ فَالطَّلَاقُ لَهُ لَازِمٌ إِنْ لَمْ يَكُنْ دَمُ أَيْيَكُ فِي
 قَابِهَا . فَأَقْبَلْتُ عَلَى وَقَالَ : أَنْتَ ابْنُ جَنْدَبٍ ؟ فَقُلْتُ : نَعَمْ . قَالَتْ : إِنْ أَقْبَلْنَا
 لَا يُرْدِي ، وَأَسِيرُنَا لَا يَفْدَى ، فَأَغْتَنِمَ لِنَفْسِكَ ، وَاحْتَسِبْ أَبَاكَ .

قَالَ أَبُو عِيَّةٍ : قَالَ رَجُلٌ مِنْ فِرَازَةَ لِرَجُلٍ مِنْ بَنِي عَذْرَةَ : تَمْدُونُ مَوْتَكُمْ
 مِنَ الْحَبِّ مَزِيَّةً ، وَإِنَّمَا ذَاكَ مِنْ صَنْفِ الْمَنَةِ ، وَعَجَزَ الرُّوِيَّةُ . قَالَ الْمَدَنِيُّ :
 أَمَّا إِنَّمَا كُمْ لَوْرَأَيْتُمْ الْمَاجِرَ الْبُلْجُ^(١) ، تَرْشَقُ بِالْأَعْيُنِ الدُّعْجُ^(٢) ، فَوْقَهَا الْحَوَاجِبُ
 الرَّجُجُ^(٣) ، [وَتَحْتَهَا لِلْبَاسِمِ التَّلْجُ] ، وَالشَّفَاهُ الشُّرُ ، تَقْفَرُ عَنِ التَّنَالِي النَّرُ ، كَانَتْ
 بَرَدَ الدَّرُ ، لَجَلْتُمُوهَا اللَّاتِ وَالْمَزَى ، وَرَفَضْتُمُ الْإِسْلَامَ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ :
 وَقَالَ أَعْرَابِي : دَخَلْتُ بَنَدَادَ فَرَأَيْتُ فِيهَا عَيُونًا دُعْجًا^(٤) ، وَحَوَاجِبَ وَصَفَاحِصًا
 رُجْبًا^(٥) ، يَسْتَحَبُّنَ الثِّيَابَ ، وَيَسْتَلْبِثْنَ الْأَلْبَابَ .

وَذَكَرَ أَعْرَابِي نِسَاءً قَالَتْ : غُلَامُنْ فِي سَوَالِفِ طُولٍ ، غَيْرَ فَيِّحَا السُّطُولِ^(٦) ،
 إِذَا شِئْنَ أَسْبَلْنَ الذُّيُولَ ، وَإِنْ رَكِبْنَ أَقْلَنَ الْحُمُولَ .

وَوَصَفَ آخَرُ نِسَاءً قَالَتْ : يَتَلَتَّنَ عَلَى السَّيَائِكِ ، وَيَتَشَيَّخَنَّ عَلَى الْبَيَازِكِ^(٧) ،
 وَيَتَزَوَّنَنَّ عَلَى الْمَوَاتِكِ ، وَيَرْتَفِقْنَ عَلَى الْأَرَاكِ ، وَيَتَهَادَيْنَ عَلَى الدَّرَاكِ^(٨) ،
 ابْتِسَامُهُنَّ وَمَيِّضُ ، عَنْ تَقَرُّ كَالْإِغْرِيبِ ، وَهَنْ إِلَى الصَّبَا صُورُ ، وَعَنْ ائْتَلَأُحُورُ^(٩) .

-
- (١) المَاجِرُ : جَمْعُ مَجْرٍ . وَهُوَ بَزَّةٌ جَلَسَ : الْمَوْضِعَ يَكُونُ عَلَيْهِ التَّقَابُ ، وَهُوَ
 أَيْضًا مَادَارُ الْمَيِّتِ ، وَالْبُلْجُ : جَمْعُ أُبْلَجٍ أَوْ بُلْجَاءَ ، وَالْأُبْلَجُ : الْأَبْيَضُ الشَّرْقِ (م)
 (٢) الدُّعْجُ : جَمْعُ دُعْجَاءَ ، وَهِيَ الْمَيِّتُ الشَّدِيدَةُ الْبَيَاضِ مَعَ السَّوَادِ (م) .
 (٣) الرَّجُجُ : جَمْعُ أَرْجٍ ، وَهُوَ الدَّقِيقُ مِنَ الْحَوَاجِبِ (م) . (٤) السُّطُولُ : أَرَادَ
 التَّجَرُّدَ مِنَ الْحُلِيِّ (م) . (٥) الْبَيَازِكُ : الرَّمَاحُ ، وَاحِدُهَا بَيَزَكٌ (م) . (٦) الدَّرَاكُ :
 الْبَسِطُ ، وَاحِدُهَا دَرَنَكٌ (م) . (٧) صُورُ : مَا لَمَلَّتْ ، وَحُورُ : رَاجِعَاتٌ (م) .

(وصف الهوى ، وأمره)

سئل بعض الحكماء عن الهوى ، فقال : هو جليسٌ مُتَبِعٌ ، وأليفٌ مُؤَنِّسٌ ، أحكامه جائزة ^(١) ، ملك الأبدان وأرواحها ، والقلوب وخواطرها ، والسيون ونواظرها ، والنفوس وآراسها ، وأعطى زمام طاعتها ، وقياد مملكتها ، تَوَارَى عن الأبصار مَدَّخَلُهُ ، وغمض عن القلوب مَسْلُكُهُ .

وسئلت أعرابية عن الهوى فقالت : لَأُمْتَعِ الهوى بملكه ، ولا أُلَيِّ بسلطانه ، وقبض الله يده ، وأَوْقَنَ عَصْدُهُ ؛ فإنه جائر لا ينصف في حكم ، أعمى ما ينطقُ بحد ، ولا يقصر في ظلم ، ولا يَرْغَبُ لِقَوْمٍ ، ولا ينفذُ لِحَقٍّ ، ولا يبقى على عقل ولا فهم ، لو ملك الهوى وأطع لَرَدَّ الأمور على أديارها ، والدنيا على أعقابها .

ووصف أعرابي الهوى فقال : هو ذاك تدوى به النفوسُ الصَّحَّاحُ ، وتسيل منه الأرواح ، وهو سقم مكتم ، وبجر مُضْطَرِّم ؛ فالقلوبُ له منصبة ، والسيون ساكنة ^(٢)

قال [أبو] عبيد الله بن محمد بن عمران المرزباني : أخبرني الظفر بن يحيى ، قال : أحب رجل امرأة دونه في القدر ، فضله عنه ، فقال : يا حم ، لا تَلَمْ مُجْتَمِعاً على سقمه ؛ فإن للقر على نفسه مستغنى عن منازعة خصمه ، وإنما يُلام من اختلف ما يقدر على تركه ، وليس أمرُ الهوى إلى الرأي فيملكه ، ولا إلى العقل فيدبره ؛ بل قُدْرَتُهُ أَغْلَبُ ، وجاريته أَعَزُّ من أن تنفذ فيه حيلة حازم ، أو لطف محال . وقال بعضهم : رأيت امرأتين من أهل المدينة تَمَارِبُ إحداها الأخرى على هوى لها ، فقالت : إنه يقال في الحكمة النابرة ، والأمثان السائرة : لا تلوين من أساء بك الظن إذا جعلت نفسك هدفاً للهمة ، ومن لم يكن عوناً على نفسه مع خصمه لم يكن معه شيء من عَفْدَةِ الرأى ، ومن أقدم على هوى وهو يَسْلُمُ

(١) في نسخة وفي تزيين الأسواق « جائزة » (م) .

(٢) في نسخة « ساكنة » أى تسيل للسمع (م) .

مافيه من سوء التنبؤ سلط على نفسه لسانَ التذلل ، وضع الحُزْم . قتلت للفتوة ؛
ليس أمرُ الهوى إلى الرأي فيملكه ، ولا إلى القل فيدبره ، وهو أخطب قدرة ،
وأمنع جانباً من أن تنفذ فيه حيلة الحازم ، أو ماسحت قول الشاعر :

ليس خطبُ الهوى بخطبِ يسير لا يتنبك عنه مثلُ خَيْرِ

ليس أمرُ الهوى يُدَبِّرُ بالرأْي ولا بالقيلس والتفكير

إنما الأمرُ في الهوى خَطَرَاتٌ محدثاتُ الأمورِ بعدَ الأسورِ

قال المرزباني : أخبرني الصولي أن هذه الأبيات ثلثية بنت المهدي ، ولها
فيها لُحْنٌ .

وقيل لمبد الله بن القفع : ما بالُ العاقل للميز القهن ، واللييب التطين ، يتعرض
للحب وقد رأى منه مواضع الهلكة ، ومصارع التلف ، وعلم ما يؤول^(١) إليه عُبَاء ،
وترجع به أخرا على أولاه ؟ فقال : زُخْرِفَ^(٢) ظاهِرُ الشقِّ بِجِمالِ زينةٍ يستدعي
القلوب إلى ملاسَّتِهِ ، ومثْلُ باجلِ حلاوةٍ يظلي^(٣) النفوسَ إلى ملاسَّتِهِ ، كظاهرِ
زخرفِ الدنيا ، وبهاءِ روضها ، ولذِيذِ جَنَى ثمرها ، وقد سكرتُ أبصارُ قلوبِ بَنَاتِهَا
عن النظر إلى قبيحِ عيوبِ أفعالها . فهم في بلائها منغمسون ، وفي هلكةٍ فتنها
متورطون ، مع علمهم بسوءِ عواقبِ خطبها ، وتجسُّعِ مرارةٍ شربها ، وسرعةِ
استرجاعها ماوهبت ، وإخراجها مما ملكت ، فليس يَنْجُو منها إلا مَنْ حَذَرَهَا ،
ولا يهلك فيها إلا من أَمِنَهَا ، وكذلك صُورَةُ الهوى ؛ هما في الفتنة سواء .

[بعض ما جاء في الغاف]

وقال ابن دُرَيْد : قال بعضُ الحكماء : أغلق أبوابَ الشهواتِ بأفْضالِ
الزَّهَادَةِ ، [وافتح أبوابَ البرِّ بفتاحِ البُيُوتِ] فَإِنَّ ذَلِكَ يُدْنِيكَ مِنَ السَّعَادَةِ ،

(١) يؤول : يرجع (م) . (٢) زخرف : زين (م) .

(٣) يظلي النفوس : يدعوها (م) .

وتستوجب من الله الزيادة .

وقال غيره : إنَّ الله مشوبٌ بالقبح ؛ ففكروا في انقطاع الذة وبقاء

ذكر القبح

قال أبو عبد الله بن إبراهيم بن عرفة [فطوَّبه] :

ليس الظريفُ بكاملٍ في ظرْفِهِ حتى يكونَ عن الحرام عفيفاً
فإذا تعفَّ عن محارمِ رَبِّهِ هناك يُدعى في الأنامِ ظَريفًا

وقال :

كم قد ظفرتُ بمن أهوى فيمتنُّ منه الحياهُ وتَوفُّ اللهُ والحدَرُ
وكم خلوتُ بمن أهوى فيمتنُّ منه الكاهةُ والتبيلُ والنظرُ
أهوى للراحِ وأهوى أن أجالسهم وليس لي في حرامِهم وطَرُ
كذلك الحبُّ لا إتيانُ معصيةٍ لا خيرَ في لذةٍ من بعدها سفرُ

وقال العباس بن الأحنف :

أناذنونَ لَصَّةً في زيارتكم فندكم شهواتِ السمعِ والبصرِ
[لا يضر السوء إن طالَتْ إقامتُهُ عَفَ الضمير ولكن فاسق النظر]^(١)

وقال بعضُ الطالبيين :

رَمَوْنِي وإيَّاهم بِشَتَاءٍ مُمٍ بها أحقُّ ، أدالَ اللهُ منهم وعَجَلًا
بأمرِ عرسكناه ورَبِّ عَمْدٍ جيمًا فلها عَفَّةٌ أو تجملًا

وقال سعيد بن حميد :

زائرُ زَارَاتنا على كَمِيرٍ وعد مُعْخَفُ الكَشْحِ مُثْقَلُ الأَرْدافِ
غالبُ الخُوفِ حينَ غلبه الشو قُ وأَخفى الهوى وليس بخافي
غَضٍ طرَفِي عنه تُقَى اللهُ فاختَرْتُ على بَذلِهِ بقاءَ النِّصاني
نم ولى والخُوفُ قد كَهَزَ عَظْمِيهِ ولم يَحْمِلْ من لِباسِ التَّفاني

(١) سقط هذا البيت من بعض النسخ ، وحفظ في ولا يضر السوء إن طال

الجلوس به (م) .

وفي الحديث الشريف : « مَنْ أَحَبَّ فَنَفٍ فَاتَ نَفْسُهُ شَهِيدٌ » .
والغفافُ مع البذل ، كالاستطاعة مع القفل ، كما قال صريح النواني :
وما ذممتُ الأيَّامَ أنْ لَسْتُ مَادِحًا لِعَهْدٍ لِيَالِهَا الَّتِي سَلَفَتْ قَبْلُ
الْأَرْبُ يَوْمَ صَادِقِ التَّيْشِ يَلْتَهُ بِهَا وَتَدَامَى الْغَافَةُ وَالْبَذْلُ^(١)
وأنشد الصولي لأبي حاتم البجستاني في اللبرّد ، وكان يلزم حلقته ،
وكان من اللّاح وهو غلام :

مَاذَا لَقِيتُ الْيَوْمَ مِنْ مُتَمَجِّنٍ خَيْثُ الْكَلَامِ^(٢)
وَقَفَ الْجَمَالُ بَوَجهِ فَسَتَّ لَهُ حَدَقُ الْأَنَامِ
حَرَكَاتُهُ وَسُكُونُهُ يُخَيِّئُ بِهَا ثَمَرُ الْأَنَامِ
فَإِذَا خَلَوْتُ بِمِثْلِهِ وَعَزَمْتُ فِيهِ عَلَى اعْتِرَامِ
لَمْ أَعُدْ أَخْلَاقَ الْقَفَا فِدَاكَ أَوْ كَدُ الْفَرَامِ
نَفْسِي فِدَاؤُكَ يَا أَبَا الْعَبَّاسِ جَلَّ بِكَ اعْتِصَامِ
فَارْخَسْ أَعْيُنَ أَهْلِكَ فَإِنَّهُ نَزَرُ الْكَرَى بِأَدَى السَّامِ
وَأَنِلْهُ مَا دُونَ الْحَرَا بِمِثْلِهِ رَغَبٌ فِي الْحَرَامِ

وكان أبو حاتم يتصدق كل يوم بدينار ، ويمتص القرآن في كل أسبوع .
وذكر أنه اجتمع أبو العباس بن سريج الشافعي ، وأبو بكر بن داود العباسي
في مجلس على بن عيسى بن الجراح الوزير ، فتناظرا في الإيلاء ، فقال ابن سريج :
أنت بقولك : « من كثرت لحظاته دامت حسراته » أبصر منك بالكلام في
الإيلاء ، فقال أبو بكر : لئن قلت ذلك فإني أقول :

أَنْزَهُ فِي رَوْضِ الْحَاسِنِ مُفْلَقِي وَأَمْنَعُ نَفْسِي أَنْ تَنَالَ مُعَرَّمَا

(١) النداءى : جمع نديم ، وأصله الذي يحال لك على الشراب (م) .

(٢) التمجين : الكثير المجون ، وخنث الكلام : أى لينة متكرره (م) .

وأَجِلُ من قِلَلِ المَوَى مَالُو أَنَّهُ يُصَبُّ عَلَى الصَّخْرِ الأَمَمُ تَهْدِمًا
وينطق طَرْفِي عن مَسْرَجِ خَلِيلِي فَلَوْلَا اخْتِلَاسِي رَدُّهُ لَتَكَلَّمَا
رَأَيْتُ المَوَى دَعْوَى من النَّاسِ كُلِّهِمْ فَلَسْتُ أَرَى حَبًّا صَحِيحًا مَسَلَا
قَالَ أَبُو العَبَّاسِ : بِمِ تَفْتَخِرُ عَلَيَّ ؟ وَأَنَا لَوْ شِئْتُ لَقُلْتُ :

وَمُتَلَاعِمِ الشَّهْدِ مِنْ تَفَاتِيهِ قَدْ بَيْتُ أَمْنَعُهُ لَدَيْدَ سِنَاتِهِ
صَبًّا بِحُسْنِ حَدِيثِهِ وَكَلَامِهِ وَأُكْرِرُ اللَّحْظَاتِ فِي وَجَنَاتِهِ
حَتَّى إِذَا مَا الصَّبْحُ لَاحَ عَمُودُهُ وَلَوْ بِحُجَّتِمْ رَبَّهُ وَبَرَاتِهِ

قَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْوَزِيرَ ، تَحَفَّظَ عَلَيْهِ مَا قَالَ حَتَّى يَقِيمَ شَاهِدِينَ
عَدْلِينَ أَنَّهُ وَلَّى بِحُجَّتِمْ رَبَّهُ ! قَالَ أَبُو العَبَّاسِ : يَلْزَمُنِي فِي هَذَا مَا يَلْزَمُكَ فِي قَوْلِكَ :
أَنزَهَ فِي رَوْضِ الْحَامِسِ مُقَلَّتِي ... الْبَيْتَ . فَضَحَكَ الْوَزِيرُ ، وَقَالَ : لَقَدْ جَمَعْتُمَا
ظَرْفًا وَلُطْفًا وَفَهْمًا وَعِلْمًا .

أَلْفَاظُ لِأَهْلِ المَعْرِ ، فِي عَمَادِنِ النِّسَاءِ

هِيَ رَوْضَةُ الْحُسْنِ ، وَضَرْعَةُ الشَّمْسِ ، وَبَذَرُ الأَرْضِ . هِيَ مِنْ وَجْهَيْهَا فِي
صَبَاحٍ شَامِسٍ ، وَمِنْ شَعْرِهَا فِي لَيْلٍ دَامِسٍ ^(١) ، كَأَنَّهَا فَلَقَةُ قَمَرٍ عَلَى بُرْجِ فُضَّةٍ .
بَذَرُ التَّمِ يَفْعَى تَحْتَ ثِيَابِهَا ، وَغُصْنُ الْبَانِ يَهْتَزُّ تَحْتَ ثِيَابِهَا ، فَنُفْرُهَا يَجْمَعُ الضَّرِيبَ
وَالضَّرِبَ ^(٢) ، كَأَنَّهُ ثَرَالِدَرٌ ، كَمَا قَالَ الْبَحْتَرِيُّ :

إِذَا تَقَصَّوْنَ شُفُوفَ الرِّبَاطِ آوِنَةً قَشَرْنَ عَنْ لُؤْلُؤِ الْبَحْرَيْنِ أَصْدَافَا
قَدْ أَتَيْتُ صَدْرَهَا ثَمَرَ الشَّبَابِ ، خَرَطْتُ لَهَا يَدَ الشَّبَابِ حُقَيْنِ ^(٣) مِنْ عَاجٍ ،
كَأَنَّهَا الْبَذَرُ قَرُطٌ بِالرَّيَا ، وَنَيْطَ بِهَا عِقْدٌ مِنَ الْجُوزَاءِ ، أَعْلَاهَا كَالنَّصْنِ مَيْتَالِ ،

(١) شَامِسٌ : ذِي فَحْمٍ ، عَلَى النِّسْبِ . وَدَامِسٌ : مَظْلَمٌ (م) .

(٢) الضَّرِيبُ : الْبَانِ ، وَالضَّرِبُ : عَمَلُ النَّحْلِ (م) .

(٣) حُقَيْنِ : ثَنِيَّةٌ حَقٌّ ، وَهُوَ الْعَلْبَةُ ، وَأَرَادَ تَنْدِيهَا (م) .

وأسفلهما كالكاهن^(١) مُنْهَالٌ ، لها عُنُقُ كإبريق اللجَيْنِ ، وَسُرَّةٌ كدُهنِ العاجِ ،
نِظَامُهَا مُجْدِبٌ ، وإِزَارُهَا مُخْصِبٌ . مَطْلَعُ الشَّمْسِ مِنْ وَجْهِهَا ، وَنَبْتُ الْبَدْرِ
مِنْ فِيهَا ، وَمَلَقَطُ الْوَرْدِ مِنْ خَدَّهَا ، وَمَنْبَعُ السَّحَرِ مِنْ طَرْفِهَا ، وَمِبَادِي اللَّيْلِ
مِنْ شَعْرِهَا ، وَمَغْرَسُ النِّصْنِ مِنْ قَدَّهَا ، وَمِهْيَلُ الرَّمْلِ مِنْ رِذْفِهَا

ولهم في محاسن العلمان والمذيرين

زاد جماله ، وأقر هلاله . تفرقَ في وجهه ماءُ الحسنِ ، شادِنٌ قَاتِرٌ
طَرْفَهُ ، سَاحِرٌ لَغْظُهُ . غَلَامٌ تَأْخُذُهُ الْعَيْنُ ، وَيَقْبِلُهُ الْقَلْبُ ، وَيَأْخُذُهُ الطَّرْفُ ،
وَتَرْتَاحُ إِلَيْهِ الرُّوحُ . تَكَادُ الْقُلُوبُ تَأْكُلُهُ ، وَالْعَيُونُ تَشْرَبُهُ . يَجْرِي مَاءُ الشَّبَابِ
فِي عَوْدِهِ قِتَابِلَ كَالنِّصْنِ ، وَاسْتَوْفَى أَقْسَامَ الْحُسْنِ ، وَلَبِسَ دِيبَاجَةَ اللَّاحَةِ ،
كَأَنَّ الْبَدْرَ قَدْ رَكِبَ أَزْرَارَهُ ، لَا يَشِيعُ مِنْهُ النَّظَرُ ، وَلَا يَرَوِي مِنْهُ الْخَاطِرُ ،
كَأَنَّ الْبَدْرَ يَحْكِيهِ ، وَالشَّمْسُ تُشَبِّهُهُ وَتُضَاهِيهِ ، صُورَةُ تَجَلُّو الْأَبْصَارِ ، وَتُغْجِلُ
الْأَفْئَادَ ، شَادِنٌ مُنْتَقِبٌ بِالْبَدْرِ ، وَمُكْتَحِلٌ بِالسَّحَرِ . مَا هُوَ إِلَّا تَرْفُهُ الْأَبْصَارِ ،
وَتُغْجِلُ الْأَفْئَادَ ، وَبِذَّةِ الْأَمْصَارِ ، غَزَاتُ طَرْفِهِ تُخْجِرُ عَنْ ظَرْفِهِ ، وَمَنْطِقُهُ
يَنْطَلِقُ عَنْ وَصْفِهِ . تَحَالُ الشَّمْسُ تَبَرَّقَتْ غُرْمَتُهُ ، وَاللَّيْلُ نَاسِبٌ أَصْدَاغُهُ وَطَرْفَتُهُ
الْحُسْنُ مَافَوْقَ أَزْرَارِهِ ، وَالطَّيِّبُ مَا تَحْتَ إِزَارِهِ ، شَادِنٌ يَضْحَكُ عَنِ الْأَقْحَوَانِ ،
وَيَنْتَفِسُ عَنِ الرِّيحَانِ ، كَأَنَّ خَدَّهُ سَكْرَانٌ مِنْ خَمْرِ طَرْفِهِ^(٢) ، وَبِنَدَادٍ مَسْرُوقَةٍ
مِنْ حُسْنِهِ وَظَرْفِهِ ، أَعْجَبَتْ يَدُ الْجَمَالِ نَوْنَ صَدْغِهِ بِخَالٍ ، هَذَا مَحْمُولٌ مِنْ قَوْلِ
ابن المعتز :

غِلَاةُ خَدِّهِ صُبْنَتْ بَوْرَدٍ وَنَوْنُ الصَّدْغِ مُنْجَمَةٌ بِخَالٍ

(١) الدَّهْنُ - بالكسر - السَّكَبُ مِنَ الرَّمْلِ (م)

(٢) فِي نَسْخَةِ « مِنْ خَمْرَةِ فِهِ » وَهِيَ - وَإِنْ كَانَتْ أَشْهَرُ فِي كَلَامِهِمْ - أَجَدُ
مِنْ انْسِجَامِ أَسْلُوبِ اللَّؤْلُفِ (م) .

له عينان حشواً لبعثتهما السحر^(١)، كأنه قد أعار الظن^(٢) جيده ، والنصن^(٣) قد أراح ريمه ، والوردة خذه ، الشكل^(٤) من حر كاته ، وجميع الحسن بعض
منها قد ملكت أزيمة القلوب ، وأظهر حجة الذنوب ، كأنما وسمه الجلال
بشائته ، ولحظه الفلك بشتاته ، فصاعه من ليله ونهاره ، وحلاه بنجومه وأقاربه ،
وتقبه بيدائع آثاره ، ورمقه بنواظر سموه ، وجعله بالجمال أحد حدوده . وقد
صبح الحياة غلالة وجهه ، ونشير لؤلؤ العرق عن ورده خذه . تكاد الأخطأ
تسفل من خذه دم الخجل . له طرة كالنسيق ، على غرة كالفلق . جانا في
غلالة تم على ما يستره ، ونمفوم رقتها عما يظهريه^(٥) . وجه بهاء الحسن مضول ،
وطرف بمردود السحر مكحول ثمر حبي حاية التنور ، وجبل ضرة لقلائد
التنور . السحر في الحاطه ، والشهد في أفاقه . اختلس قامة النصن ، وتوشع بمطارف
الحسن ، وحكى الروض غب المزن^(٦) . الأرض مشرقة بنور وجهه ، وليل السرار
في مثل شمره^(٧) . الجنة مجتنة من قر به ، وماه الجلال يترق في خذه ، ومحاسن
الربيع بين سحره ونحره ، والقمر فضلة من حسنه . ملهو إلا خال في خذه الظرف ،
وطراز على علم الحسن ، ووردة في غصن النهر ، ونقش على خاتم الملك ، وشمس
في فلك اللطف . هو قمر في التصوير ، شمس في التأثير . منظر بلاء العيون ، وبملك
النفوس ، زرافين أصداعه^(٨) معاليق القلوب . كأن صدغه قمر من المسك على عارض
البدن . وجهه عرس ، وصدغه مأثم ، ووصله جنة ، وهجره جهنم . أصداعه قد اتخذت
شكل القنارب ، وظلت ظلم الأقارب . إن كان عرق صدغه تسع ، فدياق
ريمه ينفع . كأن شارب زنبور الخضر الأخضر ، وعذاره طراز المسك والتنبق
[الأفخر] ، على الوردة الأحمر . إذا تكلم تكشف حجاب الزمرد والقيق ،

(١) الشكل : الدلال (م) . (٢) في نسخة « ونمفوم رقتها على ما يستره » (م) .

(٣) المزن : المطر (م) . (٤) ليل السرار : آخر ليالي الشهر العربي (م) .

(٥) الزرافين : جمع زرفين ، وهو الحلقة ، أو خاس بحلقة الباب ، ويقولون

« زرفن صدغيه » أي جعلها على شكل الزرفين (م) .

عن يَمَطٍ الدَّرِّ الْأَنَيْقِ . قَدِ هَمَّ أَرْقَمُ الشَّمْرِ عَلَى شَارِبِهِ ، وَكَادَ نَمُ الحُسْنُ يَقْبَلُهُ .
كَأَنَّ المَذَارِ يَنْقُشُ فِصًّا وَجْهَهُ ، وَيَحْرِقُ فِصَّةَ خَدِّهِ . طَرَزَ الجَمَالَ دُبُلَاجَ وَجْهِهِ ،
وَأَبَانَ عِذَارَهُ المَذَرَّ فِي حُبِّهِ . [لَبَّ الرِّبْعُ بِخَدِّهِ ، فَأَنْبَتَ البِنْفِجَ فِي وَرْدِهِ .
لَمَّا احْتَرَقَتْ فِصَّةُ خَدِّهِ ، احْتَرَقَ سَوَادُ القَلْبِ مِنْ حُبِّهِ] .

كيف لا يخضرُّ شاربهُ ومياهُ الحُسْنِ تَسْقِيهِ

ولهم في تَقْيِضِ ذلك ، في ذم خروج اللحية

قَدْ انْتَقَبَ بالدَّيْمُجُورِ ، بَعْدَ النُّوزِ ؛ فَذَوَّلَهُ حُسْنُهُ قَدْ أَعْرَضَتْ أَيَّامُهُ ، وَانْقَرَضَتْ
دَوْلَتُهُ وَأَحْكَامُهُ . اسْتَحَالَ خَدُّهُ دُجَا ، وَزَمَرْدُ خَدِّهِ سُبُجَا ^(١) ؛ وَأَخَذَتْ نَارُ حُسْنِهِ
بَعْدَ الإِبْقَادِ ، وَلَبَسَ عَارِضُهُ تَوْبَ الحِدَادِ . ذَبِيلُ وَرْدُ خَدِّهِ ، وَنَشْوُكُ زَعْفَرَانُ
خَطِّهِ . فَارَقْنَا خَشْفًا ، وَوَأَفَانَا جِلْفًا ، وَفَارَقْنَا هَلَالًا وَغَزَّالًا ، وَعَادُوا بِأَلَا وَنَسْكَالًا .
مَالِي أَرَى الآبَاطَ جَائِشَةً ؛ وَالْأَنَافَ مُعْشِبَةً ، وَالْعَيُونَ مَنُورَةً ، وَالْأَزْوَارَ مَرْمَى ،
وَالْأَطْفَارَ حَمَى . وَالْأَعْيَ لِبُودَا ، وَالْأَسْنَانَ مُخْضَرًّا وَسُودَا .

من رسائل البديع ومقاماته

وكتب إلى بديع الزمان بعض من عُزِلَ عن ولاية حسنة يستمدُّ وداده ويستميل
فؤاده ؛ فَجَبَهُ بِدَسَخَتِهِ : وَرَدَّتْ رَهْمَتُكَ أَطَالَ اللهُ بَقَاءَكَ فَأَعْرَضَتْهَا طَرْفَ التَّحَرُّزِ
وَمَدَدَتْ إِلَيْهَا يَدَ التَّقَرُّزِ ، وَجَمَعَتْ عَلَيْهَا ذَيْلَ التَّحَرُّزِ ، فَلَمْ تَنْدَ عَلَى كَيْدِي ، وَلَمْ
تَحْطَ بِنَظَائِرِي وَيَدَيِّ : وَلَقَدْ خُطِبْتَ مِنْ مَوَدَّنِي مَا لَمْ أُجِدْ لَهَا كَفِيًّا ، وَطَلَبْتَ
مِنْ عِشْرَتِي مَا لَمْ أَرَكْ لَهَا رَضِيًّا ؛ وَقُلْتُ : هَذَا الَّذِي رَفَعَ عَنَّا أَجْفَانِ

(١) في نسخة «وزمرد خطه سبجا» والخط من قولهم «خط الغلام» إذا نبت
عذاره ، والسبج : جمع سبجة أو سبيجة ، وهي كساء أسود ، والمراد أن شعر
عارضه قد نبت (م) .

من رسالة
لمن طلب
وداده

طَرَفَه ، وشال بشرات أخيه ، وتاه بحُسنِ قَدِّه ، وزها بورْدَ خَدِّه ، ولم يَسْتَقِمْ
 من تَوْبِهِ ، ولم تَسِرْ بضوئه ؛ فَالآنَ إِذْ نسخَ الدهرُ آيَةَ حُسْنِهِ ، وأقامَ مائلٌ
 غُصْنَهُ ، وقَلَّلَ غَرْبَ حُجْبِهِ ^(١) ، وكفَّ شأوَ زَهْوِهِ ، واتصمر لثامه بشعرات قد كسفت
 هِلَالَهُ ، وأكسفتْ بَالَهُ ، ومسخَتْ جِمالَهُ ، وغَيَّرَتْ حالَهُ ، وكَدَرَتْ شِرْعَتَهُ ^(٢) ،
 وتَكْرَتْ طَلْمَتَهُ ، جاءَ يَسْتَقِي من جرفنا جَرَفًا ، ويعرف من طيبتنا غَرَفًا ، فهلا
 يا أبا الفضل مهلا :

أَرِغَيْتَ فِينَا إِذْ عَلَا لَكَ الشَّمْرُ فِي خَدِّ قَحِيلٍ
 وَخَرَجْتَ مِنْ حَدِّ الطُّبَا ، وَصِرْتَ فِي حَدِّ الإِبِلِ
 أَنْشَأْتَ تَطْلُبُ عِشْرَتِي عُدَّ لِمَدَاوِقِ بَاخِشِلِ

أَسَيْتَ أَيامَكَ ؛ إِذْ تَكَلَّمْنَا نَزْرًا ^(٣) ، وَتَنْظَرْنَا شَزْرًا ^(٤) ، وَتَجَالِسُ مَنْ
 حَضَرَ ، وَنَسْرِقُ إِلَيْكَ النِّظَرَ ، وَنَهْتَزُ لِكَلَامِكَ ، وَنَهْشُ لِسْلَامِكَ :
 فَتَنْ لَكَ بِالْمِيزِ الَّتِي كُنْتُ مَرَّةً إِلَيْكَ بِهَا فِي سَالِفِ الدَّهْرِ أَنْظُرُ
 أَيَّامَ كُنْتُ تَتَابِلُ ، وَالْأَعْضَاءُ تَتَزَايِلُ ، وَتَتَفَاعُجُ ، وَالْأَجْسَادُ تَتَفَالُجُ ، وَتَتَفَلَّتُ ،
 وَالْأَكْبَادُ تَتَفَلَّتُ ، وَتَخْطُرُ وَتَرْقُلُ ، وَالْوَجْدُ بِنَا يَمْلُو وَيَسْفُلُ ، وَتُدْبِرُ وَتُقْبِلُ ،
 خَمْنِي وَتَحْمِلُ ، [وَتَصْدُ] وَتُعْرِضُ ، فَتَضْفِي وَتَعْرِضُ :

وَتَبْسِمُ عَنِ الْمَى كَأَنَّ مَنُورًا تَحْمِلُ حَرَّ الزَّمْلِ دَعَصَ لَهُ نَدِ
 فَأَقْصِرِ الآنَ فَإِنَّهُ سَوْفَ كَسَدَ ، وَمَتَاعٌ قَدْ ، وَدَوْلَةٌ أَعْرَضَتْ ، وَأَيَّامٌ
 انْقَضَتْ :

وَعَهْدٌ يَفَاقُ مَقْصِي وَسَوْقٌ كَسَادٍ نَزَلِ
 وَخَدَّ كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ وَخَطَّ كَأَنَّ لَمْ يَزَلِ

- (١) فُلل: كسر ، والغرب: الحد . وفي نسخة «وفاغرب عيجه» وثأ: سكن (م).
 (٢) الشَّرْعَةُ: بالكسر - موضع ورود الماء ، وتكديرها: تصير ما بها كدرا (م).
 (٣) النَّزْر: القليل (م) . (٤) الشَّر: النظر من ناحية شأن المتكبرين (م) .

ويوم صار أُمس ، وحسرة بقيت في النفس ، وثر غاض ماؤه فلا يرشف ،
 وريق خدع فلا ينشف ، وتمايل لا يعجب ، وتئن لا يطرب ، [ووجه زال
 بهاؤه] ، ومقلة لا تبحر الحاطها ، وشقة لا تفتن الفاظها ، فقام تدل ، وإلأم
 نحتمل وعلام ؟ وآن أن تذعن الآن ، وقد بلغت ما أنت متعاطيه من غمويه
 يجوز سد الشاء في الشق ، وتشبه يفتضح عند ذوى البصر والصدق ؛ من
 إفتالك لتلك الشرات جفا وحضا ، وإفتالك عليها قضا وقضا . وسيكينا الدهر
 مؤونة الإنكار عليك ، بما يرف من نبات الشر وأمهاته إليك ؛ فأما ما استأذنت فيه
 رأي من الاختلاف إلى مجلسي فأقل إليك نشاطي ، وأضيق عنك بساطي ،
 وأشنع قلبي منك ، وأشد استغنائى عن حضورك ، فإن حضرت فأنت داه
 نروض عليه الحلم ، وتعلم به الصبر ، وتكلف فيه الاحتمال ، وتغنى منه الجفن
 على قذى ، وتطوى منه الصدر على أذى ، ونجمله للقلوب تأنيا ، وللعيون تأديبا .
 ومالك إلا أن تتاض من الرغبة عنا رغبة فينا . ومن ذلك التدلل علينا تذلا
 لنا ، ومن ذلك التعالى تبصبا ، ومن ذلك التعالى ترخضا ، وما بال الدهر
 أعقبك من التزايد تنقضا^(١) ، ومن التسحب على الإخوان تقمضا ، ولئن اعتضت
 من الذهاب رجوعا ، لقد اعتضنا من الزاع نزوعا^(٢) ، فانا برحلك وجانبك ،
 ملقى حبلك على غاربك ، لا أوتر قربك ، ولا أندء سيربك ، والسلام .

ومن إنشاء بديع الزمان في مقامات الإسكندري ولعل ما فيها من الطول
 غير مملول . قال : حدثنا عيسى بن هشام قال : كان يملئ من مقامات الإسكندري
 ما يضمنى له الفؤور ، ويفتقضى له الصفور ، ويروى لى من شيره ما يتمتج
 بأجزاء الهواء رقة ، ويضمض عن أوهام الكهنة دقة ، وأنا أسأل الله بقاءه ،

(١) يقولون « حبس الكلب بذنبه » إذا حركه يملق به صاحبه (م) .

(٢) نزع النفس إلى كذا نزاعا : اشتاقته ، ونزعت عنه روعا :

انصرف (م) .

المقامة الأسدية
 من إنشاء
 البديع

حتى أَرْزَقَ لِقَاءَهُ، وَأَتَعَجَّبَ مِنْ قُصُودِ هِمَّتِهِ بِحَالَتِهِ، مَعَ حُسْنِ آتِهِ، وَقَدْ
ضَرَبَ الدَّهْرُ شَوْوَنَهُ أَسْدَاداً^(١) وَهَلَمْ جَرَأَ إِلَى أَنْ انْفَقَتْ لِي حَاجَةٌ بِمَحْنِصٍ،
فَشَحَذْتُ إِلَيْهَا الْحِرْصَ، فِي صُحْبَةِ أَفْرَادٍ كَنُجُومِ اللَّيْلِ، أَخْلَاسَ^(٢) لظُهُورِ
الْخَيْلِ، فَأَخَذْنَا الطَّرِيقَ نَذْتَهَبُ مَسَافَتَهُ، وَنَسْتَأْصِلُ شَأْفَتَهُ، وَلَمْ نَزَلْ نَفْرِي
أُسْنَمَةَ النَّجَادِ^(٣) بِتِلْكَ الْجِيَادِ، حَتَّى صِرْنَا كَالْبُعِيِّ، وَرَجَعْنَا كَالْقَيْسِ، وَتَنَاحَ
لَنَا وَادٍ فِي سَفْحِ جَبَلٍ، ذِي آلَاءٍ وَأَنْثَلٍ، كَالْمَذَارَى يُسَرِّحُنَ الصَّفَاةَ، وَيَنْشُرُنَ
النَّدَاةَ، فَالْتِ الْمَاجِرَةُ بَنَا إِلَيْهَا، فَزَنَّا نُقُورَ وَنُقُورَ، وَرَبَطْنَا الْأَفْرَاسَ
بِالْأَفْرَاسِ، وَمَلْنَا مَعَ النَّمَاسِ، فَارَاغْنَا إِلَّا صَهِيلُ الْخَيْلِ، وَنَظَرْتُ إِلَى فَرَسِي
وَقَدْ أَرْهَفَ أُذُنِي، وَطَمَحَ بَعِينِي، يَحْدُ قُوَى الْخَيْلِ بِمَشَافِرِهِ، وَيَحْدُخُدُ الْأَرْضَ
بِمُجَافِرِهِ، ثُمَّ اضْطَرَبَتِ الْخَيْلُ، فَأَرْسَلْتُ الْأَبْوَالَ، وَقَطَعْتُ الْجِبَالَ، وَصَارَ
كُلُّنَا إِلَى سِلَاحِهِ، فَإِذَا الْأَسَدُ فِي قَرَّةِ الْمَوْتِ، قَدْ طَلَعَ مِنْ غَابِهِ، مُنْتَفِجاً
فِي إِهَابِهِ، كَاشِراً عَنْ أَنْيَابِهِ، بِطَرَفٍ قَدْ مَلَأَ صَلَفًا، وَأَغْفَ قَدْ حَشَى أَفْئًا.
وَصَدَرَ لَا يَبْرَحُ الْقَلْبَ، وَلَا يَسْكُنُهُ الرَّعْبَ، قُلْنَا: خُطِبُ وَاللَّهِ مَلَمٌ، وَحَادِثٌ
مِهِمٌ، وَتَبَادَرْنَا إِلَيْهِ مِنْ سَرَّعَانِ الرَّهَقَةِ فَقِي:

أَخْضَرَ الْجِلْدَةَ مِنْ بَيْتِ الرَّبِّ يَمْلَأُ الدُّلُوءَ إِلَى عَقْدِ الْكَرْبِ

بِقَلْبٍ سَافَهُ قَدْرَ، وَسَيْفٍ كَلَهُ أَرُ، فَلَسَكْتُهُ سَوْرَةَ الْأَسَدِ، لِحَافَتِهِ أَرْضُ
قَدَمِهِ، حَتَّى سَقَطَ لِيَدِهِ وَفِهِ، وَتَجَاوَزَ الْأَسَدُ مَصْرَعَهُ، إِلَى مَنْ كَانَ مَعَهُ، وَدَعَا
الْحَيْنَ أَحَاهُ، إِلَى مِثْلِ مَا دَعَاهُ، فَسَارَ إِلَيْهِ، وَعَقَلَ الرَّهْبَ يَدِيهِ، فَأَخَذَ أَرْضَهُ
وَأَفْرَسَ اللَّيْثُ صَدْرَهُ، وَلَكِنْ شَغَلَتْ بِمَامَتِي فِهِ، حَتَّى حَقَنْتُ دَمَهُ، وَقَامَ
الْفَتَى فَرَجاً بَطْنُهُ حَتَّى هَلَكَ مِنْ خَوْفِهِ، وَالْأَسَدُ بِالْوَجَادِ فِي جَوْفِهِ، وَنَهَضْنَا

(١) فِي الْقَامَاتِ «ضَرَبَ الدَّهْرُ شَوْوَنَهُ، بِأَسْدَادٍ دُونَهُ» (م)

(٢) أَحْلَاسَ لظُهُورِ الْخَيْلِ: يَرِيدُ أَنَّهُمْ يَلَازِمُونَ ظُهُورَهَا، كُنَايَةً عَنْ شَجَاعَتِهِمْ

وَفُرُوسِيَّتِهِمْ (م) (٣) النَّجَادُ: جَمْعُ نَجْدٍ، وَهُوَ مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ، ضِدُّ السَّهْلِ (م)

على أثر الخيل ، فأنقذنا منها ما ثبت ، وتركنا ما أفلت ، وعدنا إلى الرفيق
للجهره .

فلما حثونا التّرب فوق رفيقنا جزعنا ولكن أي ساعة يجزع
وعدنا إلى القلاة ، فبهطنا أرضها ، وسرنا حتى إذا ضمرت للزاد ، وفقد
الزاد ، أو كاد يدركه النفاذ ، ولم نملك الذهاب ولا الرجوع ، وخفا القاتلين
الظما والجوع ، عن لنا فارس فصدنا صدّه ، وقصدنا قصده ، ولما بلغنا تلك
عن حاذ فرسه ينقش الأرض بشفتيه ، ويلقي التراب بيليه ، وعدنى من بين
الجماعة ، قبل ركابى ، وتحرم بئابى ، ونظرت فإذا وجه يبرق برق العارض
المتهلل ، وفرس متى ما ترق الدين فيه تسهل ، وعارض قد اخضر ، وشارب قد
طر ، وساعد ملآن ، وقضيب ريّان ، ونجار تركى ، وزى ملكى ، قلت :
ما جاء بك ؟ لا أهالك ! قال : أما بعد بعض اللوك ، ثم من قتل بهم ، فهمت
على وجهى إلى حيث ترانى ، وشهدت شواهد حاله ، على صدق مقاله ،
ثم قال : أنا اليوم عبدك ، ومالى مالك ، قلت : بشرى لك وبك ، أدلك
سيرك إلى فناء رحب ، وعيش رطب ، وهنأتى الجماعة ، بحسب الاستطاعة ،
وجعل ينظر فقتلنا الحائظه ، وينطق فتفتننا أفاظه ، والنفس تناجى فيه المحظور ،
والشيطان من وراء الفرور ، قال : بإسادة ، إن فى سفح هذا الجبل عيناً ، وقد
ركبت فلاة عوراء^(١) ، فخذوا من هناك للماء ، فلوينا الأعتة إلى حيث أشار ، وبلغناه
وقد صهرت الهاجرة الأبدان ، وركبت الجنادب العيدان^(٢) ، قال : ألا تقيون
فى هذا الظل الرحب ، على هذا الماء المذب ؟ قلنا : أنت وذاك ، فنزل عن فرسه ،
ونحى منطقتة ، وحل قرطقتة^(٣) ، فاستترعنا إلا بطلاة [تتم] على بدره ،

(١) فلاة عوراء : صحراء ليس بها ماء (م) .

(٢) ركبت الجنادب العيدان : كناية عن اعتماد الحر (م)

(٣) القرطى : ضرب من الكساء (م)

فما شككتنا أنه خاتم الولدان ، ففارق الجنان ، وهرب من رضوان ،
وعمد إلى السروج لخطأ ، وإلى الأفراس غشاً^(١) ، وإلى الأمكنة فعرشها ، وقد
حارت البصائر فيه ، ووقعت الأبصار عليه ، ووتد كل مناشقاً ، وخنت اللفظ
ملقاً . وقلت : يا فتى ، ما أطفك في الخدمة ! وأحسنك في الجلة ! فالويل لمن
فازقته ، وطوبى لمن رافقته ، فكيف نشكر الله على النعمة بك ؟ قال :
ما سقونه أكثر ، أنعم عليكم خفي في الخدمة ، فكيف لو رأيتموني في الرفقة ؟
أريكم من جذى طرقت ، لزدادوا بي شغفاً ؟ قلنا : هات ، فعد إلى قوس
[أحدنا] فأوتره ؛ وفوق سهماً فرماه في السماء ، وأتبعه بأخر فشقه في الهواء ،
وقال : سأريكم نوعاً آخر ، ثم عد إلى كنائقي فأخذها ، وإلى فرسى فسلها ،
ورمى أحدنا بسهم أثبتته في صدره ، وآخر طيره من ظهره ، قتل : ويحك !
ما تصنع ؟ قال : اسكت بالكلع ، والله ليشدن كل منكم يد رفيقه ، أو لأغصبه
بريقه ، فلم نذر ما نصنع ، وأفراسنا مربوطة ، وسروجنا محلوطة ،
وأسلحتنا ببيدة ، وهو راكب ونحن رجالة ، والقوس في يده يرشق بها
الظهور ، ويمشق بها^(٢) البطون والصدور ، وحين رأينا منه الجِدَّ ، أخذنا^(٣) القِدَّ ،
فشد بعضنا بعضاً ، وبيت وحدي لأجد من يشدني ، قال : اخرج يا هابك^(٤) ،
عن ثيابك ، ثم نزل عن فرسه ، وجعل يصفع الواحد منا بعد الآخر ، ويقول :
أقت قضيبك ، فخذ نصيبك ، [وزرع ثيابه] وصار إلى وعلى خفان جديبان
فقال : اخلهما لأأم لك ، قتل : هذا خف لبسته رطباً ، فليس يمكنني خله
فقال : على زرع ، ثم دنا ليزرع أنخف ، ومددت يدي إلى سكين فيه

(١) حشاً : قدم لها الحشيش (م) (٢) يمشق : يضرب في سرعة (م) .

(٣) القد - بكسر القاف - السير من جلد يربط به الأسير (م) .

(٤) الإهاب : الجلد (م) .

وهو مشغول ، فَأُثْبِتُهُ فِي بطنه ، وَأَبْنَتْهُ مِنْ مَنَّتِهِ ^(١) . فإِذَا دَعَى قَمَ فَرَّه ^(٢) ، وَأَلْقَتْهُ حَجْرَهُ ، وَقُتَّتْ إِلَى أَحْصَابِي غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ ، وَتَوَرَّجْنَا سَبَّ لِلْقَتُولَيْنِ ، وَأَدْرَكْنَا الرِّفِيقَ ، وَقَدْ جَادَ بِنَفْسِهِ ، وَصَارَ إِلَى رَشِيهِ ^(٣) ، وَصِيرْنَا إِلَى الطَّرِيقِ فُورِدْنَا خَمْسَ بَدَلِيَّالٍ ، فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَى فُرْصَةٍ مِنْ سَوْفِهَا رَأَيْنَا رَجُلًا قَدْ قَامَ عَلَى رَأْسِ ابْنِ وَبُذْيَةَ ، بِحِجَابٍ وَخُصْبَةٍ ، وَهُوَ يَقُولُ :

رَحِمَ اللَّهُ مَنْ حَسَا فِي جِرَابِي مَسْكَارِمَهُ
رَحِمَ اللَّهُ مَنْ رَنَى لِسَعِيدِهِ وَقَاطِعَتَهُ
إِنَّهُ خَادِمٌ لَكُمْ وَهِيَ لَا شَكَّ خَادِمَتُهُ

فَالْمَيْتِسِرُ هَشَامُ : قُلْتُ : إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ هُوَ الْإِنْسَانُ كُنْدَرِي الَّذِي سَمِعْتُ بِهِ
وَسَأَلْتُ عَنْهُ فَإِذَا هُوَ هُوَ ، فَذَلَّلْتُ إِلَيْهِ ، فَقَالَتْ لَهُ : أَحْكَمَكَ حَكَمَكَ ، قَالَتْ :
دِرْهَمٌ ، قُلْتُ :

لَكَ دِرْهَمٌ فِي يَمِينِهِ مَا دَامَ بُشْمُ دُمِي النَّفَسَ
فَاخْشَبْ حِسَابَكَ وَالْمَتَسِرَ كَيْمَا تَنَالُ لِلْمَتَسِرِ

لَكَ دِرْهَمٌ فِي اثْنَيْنِ ، وَفِي ثَلَاثَةٍ ، وَفِي أَرْبَعَةٍ ، فِي سَخْمَةٍ حَقٌّ بِلَفْتِ الْمُشْرِينِ ،
ثُمَّ قُلْتُ : كَمْ مَمْلُوكٌ ؟ قَالَ : عَشْرُونَ رَغِيغًا ، فَأَمَرْتُ لَهُ بِهَا ، وَقُلْتُ : لَا نَصْرَةَ مَعَ
الْإِذْلَانِ ، وَلَا حِيلَةَ مَعَ الْحِرْمَانِ .

وَقَالَ أَبُو فَرَّاسٍ الْهَدَنَانِيُّ :

لَأَبِي فَرَّاسٍ
الْهَدَنَانِيُّ يَتَغَزَلُ

سَكَرْتُ مِنْ لُحْلُفِهِ لَا مِنْ مُدَامَتِهِ وَمَالٍ بِالنَّوْمِ عَنْ عَيْفَى تَمَائِلِهِ
وَمَا الثَّلَاثُ دَهْتَنِي بِلِ سَوَالِفِهِ وَلَا الشَّمُولُ دَهْتَنِي بِلِ تَمَائِلِهِ
أَلْوَى بَصِيرِي أَضْدَاعُ لُؤَيْنَ لَهُ وَغَالُ عَقْلِي ^(١) مَا تَحْمُوزِي غَلَائِلُهُ

(١) أَبْنَتْهُ : أَظْهَرَتْهُ ، وَأَرَادَ أَخَذَهُ ، وَمَتَتْهُ : ظَهَرَهُ (م) .

(٢) فَرَّه : فَخَّه (م) . (٣) رَمَاهُ : قَبْرَهُ (م) .

(٤) أَلْوَى بِهِ : ذَهَبَ بِهِ ، وَغَالُ عَقْلِي : أَضَاعَهُ وَأَهْلَكَهُ (م) .

لأبي نواس
في الغزل

وقال ابن المعتز ، وقد تقدم عنه في هذه الألفاظ :

ويوم فاختى الدجج مزيح عزاليه سطلي وانهمال^(١)
أبخت سروره وظلت فيه برغم الماذلات رخي بال
وساق يحمل للنديل منه مكان حائل السيف الطوال
غلالة خذه صبغت بورذ ونون العُدغ مُنَجَّة بحال
بدا والصبح تحت الليل باد كطر في أبلق مرعى الجلال
بكأس من زجاج فيه أسد فرائسهن ألباب الرجال
أقول وقد أخذت الكاس منه وقتك سوء ربات الحجال

وقد أحسن ما شاء في قوله : • فرائسهن ألباب الرجال • وإن كان أصل
للفي لأبي نواس في ذكر تصاوير الكاس .

لأبي نواس
في وصف يوم
شرب

قال الصولي : مر أبو نواس بالمدائن فدخل إلى ساباط^(٢) ، فقال بعض أصحابه :
ندخل إيوان كسرى ؛ فرأينا آثاراً في مكان حسن تدل على اجتماع كان لقوم
قبلنا ، فافتنا خمسة أيام نشرب هناك ، وسألنا أبا نواس صفة الحال ، فقال :

ودار ندائى سطلوها وأذلجوا بها أثر منهم جديده ودارس
مسحيب من جر الزقاق على الترى وأضغث ريمان جنى وإابس
ولم أر منهم غير ما شهدت به بشرقى ساباط الديار البساس
حبنت بها صغبي فجئت شملهم وإنى على أمثال تلك الخائس
أفتنا بها يوماً ويوماً وثالثاً ويوم له يوم الترحل خائس
تدار علينا الراح في عجبدي حبتما بأنواع التصاوير فارس

(١) فاختى : منسوب إلى الفاختة ، واحدة القواخت ، وهي من ذوات الأغواق من الحمام يشبه لونها ضوء القمر ، والدجج - بالفتح - النجم ، وهو الطر الكبير ، وفي نسخة « فاحمى الدجج » والزالى : جمع عزلاء ، وأصلها مصب الماء من الراوية .
ويقال : « أرخت السماء عزاليها » إذا أريد الكناية عن اشتداد المطر (م) .

(٢) ساباط : موضع بمدين كسرى (م) .

قَرَارُهَا كَسْرَى وَفِي جَنْبَاتِهَا مَعَى تَدْرِهَا بِالقِسَى الْقَوَارِسُ^(١)
 فَلِرَّاحٍ مَا زُرْتُ عَلَيْهِ جَبُوبُهَا وَلِلْمَاءِ مَا دَارَتْ عَلَيْهِ الْقَلَانِسُ
 وَقَالَ عَلَى بْنُ الْعَبَّاسِ النُّوْبَخْتِيُّ : قَالَ لِي الْبَحْرِيُّ : أَتَدْرِي مِنْ أَيْنَ أَخَذَ
 الْحَسَنُ قَوْلَهُ : * وَلَمْ أَرْ مِنْهُمْ غَيْرَ مَا شَهِدْتُ بِهِ * ؟ .. الْبَيْتَ - قُلْتَ : لَا ،
 قَالَ : مِنْ قَوْلِ أَبِي خِرَاشٍ :

وَلَمْ أَدْرِ مَنْ أَلْقَى عَلَيْهِ رِدَاءَهُ سِوَى أَنَّهُ قَدْ سُلِّ عَنْ مَاجِدٍ مَخْضُ
 قُلْتَ : لِلْعَنَى مُخْتَلَفٌ ، قَالَ : أَمَا تَرَى حَدَثَ الْكَلَامِ وَاحِدًا ، وَإِنْ
 اخْتَلَفَ الْمَعْنَى ؟ !

قَالَ الْجَاهِظُ : نَظَرْنَا فِي الشُّعْرِ الْقَدِيمِ وَالْمُحَدَّثِ فَوَجَدْنَا الْمَعْنَى تُكَلَّبُ وَيُؤْخَذُ
 بِمَعْضَاهَا مِنْ بَعْضٍ ، غَيْرَ قَوْلِ عَنُقْرَةَ فِي الْأَوَائِلِ :

وَحَلَا الدِّبَابُ بِهَا يُفْقَى وَحَدَهُ غَرْدًا كِفْعَلِ الشَّارِبِ لِلْمَرْثَمِ
 مَرَجًا يَحْكُ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ قَدَحَ الْكَبِّ عَلَى الزَّنَادِ الْأَجْذَمِ
 وَقَوْلُ أَبِي نَوَاسٍ فِي الْمُهَذَّبِينَ :

قَرَارُهَا كَسْرَى وَفِي جَنْبَاتِهَا مَعَى تَدْرِهَا بِالقِسَى الْقَوَارِسُ
 فَلِرَّاحٍ مَا زُرْتُ عَلَيْهِ جَبُوبُهَا وَلِلْمَاءِ مَا دَارَتْ عَلَيْهِ الْقَلَانِسُ
 أَخَذَهُ أَبُو الْعَبَّاسِ النَّاشِيءُ فَقَالَ وَوَلَدَ مَعْنَى زَائِدًا :

وَمُدَامَةً لَا يَبْتَنِي مِنْ رَمِيٍّ أَحَدٌ حَبَاهُ بِهَا لَدْنِيٍّ مَزِيدًا
 فِي كَأْسِهَا صَوْرَ تُظَنُّ لِحْسِنَهَا عُرْبًا بَرَزْنَ مِنَ الْخِلَامِ وَغِيدًا^(٢)
 وَإِذَا لِلزَّوْجِ أَثَارُهَا فَتَضَمَّتْ ذَهَبًا وَدُرًّا تَوَّأَمًا وَفَرِيدًا
 فَكَانَ بَيْنَ لَبْسِنَ ذَلِكَ مَجَالِسِدَا وَجَعَلْنَ ذَا لِنُحُورِهِنَّ عُقُودًا
 وَأَبْيَاتُ أَبِي خِرَاشٍ ، وَكَانَ خِرَاشٌ عُرُوقَةً شَرَوَاتِمَالَةً فَأَسْرَوْهُمَا ، وَأَخَذُوهُمَا لِأَبِي خِرَاشٍ

(١) قَرَارُهَا كَسْرَى : يَرِيدَانِ فِي قِرَارَةِ الْكَأْسِ صُورَةَ كَسْرَى ، وَفِي جَوَانِبِهَا
 صُورَ مِهْ ، وَتَدْرِهَا : نَخْلُهَا ، وَالْقِسَى : جَمْعُ قَوْسٍ ، وَالْقَوَارِسُ : جَمْعُ قَارِسٍ (م).

(٢) عُرْبٌ : جَمْعُ عُرُوبٍ - بَنَتْهُ أُولَاهُ كَصُورٍ - وَهِيَ الْمَرْأَةُ اللَّحْيَةُ إِلَى زَوْجِهَا (م).

وهوّا بقتلها ، فنهام بنو رزام ، وأبى بنو ملال إلا قتلها ، وأقبل رجل
من بني رزام فالتقى على حراش ردهاء ، وشيّل القوم بقتل عروة ، وقال الرجل
لخراس : اتجّه ، فنجّا إلى أبيه ، فأخبره الخبر ، ولا تعرف الرب رجلا مدح
من لا يعرفه غيره :

حدّثُ إلى بعد عروة إذ تجا خراش وبعض الشر أهون من بعض
فوالله لا أنسى قليلاً رزنته بحباب قوسى ما مشيت على الأرض
على أنها تشفو الكلام ، وإنما نوكل بالأدنى وإن جلّ ما يفي^(١)
ولم أدر من ألقى عليه ردهاء سوى أنه قد سلّ عن ماجد مخض
ولم يك مثولج الفؤاد مهتجاً أضاع الشلب في الريلة والخفض^(٢)
ولكنه قد لوحتت تخامص على أنه ذو مرة صادق النهض
كانهم يشئون بطائر خفيف اللّاس عظمه غير ذى تحض
يؤاور قوت الليل فهو مهاذب يمتّ الخناح بالتبسط والقنض

الريلة : الخفض والهبطة ، والمهاذب : المجتهد في القدو والطيران .

وقال أبو خراش يرى أخاه عروة :

تقول أراه بعد عروة لا هياً وذلك رزّة لو علّت جليل
فلا تحسبى أنى تناسيت عهدّه ولكنّ صبري يا أسيّم جليل
ألم تلعن أن قد تفرّق قبلنا خليلاً صفاء مالك وعقيل
وأنى إذا ما الصبح أنسيت ضوّه يعاودنى قطع على قيل
[أبى الصبر أنى لا أزال يهيجنى ميت لنا فيما ممّى ومقيل]

مالك وعقيل اللذان ذكرهما نديماً جزيمة الأبرش ، وكانا أنباء بإبن أخته عمرو ،

أبو خراش
يرى أخاه
عروة

(١) خطى « على أنها تشفو الكلام » (م) .

(٢) مهيجاً : قتيلاً ، والريلة : كثرة اللحم ، يريد لم يكن متشاقلاً إذا دعى

ولم يضيع أيامه في اكتساب اللحم والشحم (م) .

وكان قد استهوته الجن ، فتأها فتصيا مُنادمته ، وهما اللذان عني متم
ابن نُويرة في مريّة أخيه مالك :

وكنا كندمانى جَذِيمة حَقِيبة من البحر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كأنى ومالكا لطول اجتماع لم تَبِتْ ليلة مما
وقول عنقرة في وصف الباب أوحد فرد ، ويتم فذ ، وقد تعلق ابن الرومي
بذيله وزاد معنى آخر في قوله :

إذا رقت شمسُ الأصيلِ وفَضَّتْ على الأفقِ التربةِ وَرَمًا مُزْعَرًا^(١) لابن الرومي
ولاحظتِ الثَّوارَ وهي مريضةٌ وقد وضعتْ خدًا على الأرضِ أضرعا
كما لاحظتِ عَوادها عَيْنُ مُدَقِّرٍ توجَّع من أوصالِهِ مانوجًا^(٢)
وبين إغضاء الفراقِ عليهما كأنهما خِلا صَفله نودعا
وقد ضربتِ في خُضرةِ الرُّوضِ صُفرةٌ من الشمسِ فأخضرَ أخضرًا مَشْفَا
وظلَّتْ عيونُ النُّورِ تَحْضُلُ بالندى كما اغرورقتْ عَيْنُ الشَّجِي لَتَدَمًا
وأذكى بسمِ الرُّوضِ ريمانُ ظَلِّهِ وغنى مُغْنَى الطيرِ فيه مُرَجًا
وغرَّدَ رجبى البابِ خِلالَهُ كما حَتَّحَتِ النُّشْوَانُ صَنَجًا مشرعا
فكانتِ أرائينُ البابِ هنا كُ على شِدْواتِ الطيرِ ضَرْبا موقعا

وذكر أبو نواس معنى قوله في تصاوير الكئوس في مواضع من شعره فن ذلك :
بَيْنَمَا على كِسْرَى ماء مُدَامَةٌ مكَلَّةٌ حافَاهُها بِنُجُومِ
فَلَوْرُدٌ في كِسْرَى بنِ ساسانَ رَوْحُهُ إذا لَا صُلْفَانِي دُونَ كُلِّ نَدِيمِ

[وصف النمن والأطلال]

وأول هذا الشعر :

لَيْنَ دِمْنٍ تَرْدَادُ طَلِيبَ نَدِيمِ على طولِ ما أَقَوْتُ وَحُسنَ دُسُومِ^(٣)

(١) الورس - بالفتح - نبت ذو نور أصفر يصبح به (م) .

(٢) اللدغف : للريض (م) .

(٣) النمن : جمع دمنة ، وهي آثار البليار ، وأقوت : أنضرت (م) .

تجافى اليلى عنهم حق كأنما . ليسن على الإقواء ثوب تميم
وهذا معنى مليح وإن أخذ من قول أعرابي :

شلت بهم عنك نية قذف^(١) غلوت الشعب غير ملتئم^(٢)
واستودعت سيرتها الديار فما تزداد طيباً إلا على القدم

وهذا خيد قول محمد بن وهيب :

طللان طال عليهما الأمد دَرسا فلا علم ولا قصد^(٣)
ليس اليلى فكأنما وجبداً بعد الأجنة مثل ما وجدوا
وقال الأخطل :

لأسماء محتل^(٤) بناظرة البشر قديم ولما يعف سالف الدهر
يكاد من المر فإن يضحك رثمه^(٥) وك من ليل للديار ومن شهر
هذا أيضاً كقول أبي صخر المذلى :

فللى بذات الجليش دار عرفتها وأخرى بذات الين آياتها سطر^(٦)
كانها م الآن لم يتقرا وقد مر الدارين من بعدنا عصر^(٧)
وقد قال مرام التيلي :

تراها على طول القواء جديدة وعهد للثاني بالحلول قديم^(٨)
وقرأ الزبير بن بكار أعبار أبي السائب [المخزومي] فلما بلغ إلى قول

مالك بن أسماء الفراري :

بعكت الديار لتقد ساكنها أفعد قلبي أبتقى الصبرا ؟
هذا البيت نظير قول ابن وهيب :

ينام سكن^(٩) بغيرهم ذكروا الفراق فأصبحوا سقرا
فظلت ذا وله^(١٠) ياتيني من لا يرى أمرى له أمرا

(١) نية قذف : بعية .

(٢) م الآن : أصله « من الآن » لحذف النون للتخفيف ، ومثله قول المتنبي :
نحن قوم ملجن في زى ناس فوق طير لها شخوص الجبال (م) .

لابن وهيب

للأخطل

لأبي صخر

لمرام التيلي

لابن وهيب

وإن أبا السائب قال عند سماع البيت الأوسط : ما أسرع هذا ! أما احدثوا !
أما قد مواركا ! أما ودّعوا صديقاً ! فقال الزبير : رحم الله أبا السائب ! فكيف
لو سمع قول العباس بن الأحنف :

سألونا عن حالنا كيف أنتم قَرَرْنَا وَدَاعَنَا بالسؤالِ
ما أنخفَ حتى ارتحلْنَا فافترقن بين النزول والإرتحال^(١)
هكذا رواه الزبير بن بكار لمالك بن أسماء، ورواها غيره لأيوب بن شبيب الباهلي.

ومن ألفاظ أهل مصر، في صفة الديار الخالية

دارٌ لَيْسَتْ لِلْيَلِ، وتعتَلَّتْ من الخُلَى . دار قد صارت من أهلها خالية ، بعد
ما كانت بهم حَالِيَةً . دار قد أنفَدَ البين سكَّانَهَا ، وأقعد حيطانَهَا ، شاهد اليأس
منها ينطقُ ، وحَبْلُ الرجاء فيها يقصر . كأن عُمرانَهَا يُطَوِّى وخرايِبُهَا يُنْشَرُ ،
أركانُهَا قيام وقعود ، وحيطانُهَا رُكْعٌ ومُجُود .

يشبه الأول من قول مالك بن أسماء قول مزاحم القطبي .

بَكَتْ دَارُهُمْ مِنْ قَدِيمِ تَهَلَّلَتْ دموعي ، فأَيُّ الجَاذِعِينَ أَوْمُ؟^(٢)
أُسْتَمِرُّ يَبْكِي عَلَى المَوْنِ وَالْبَلَى أَمْ آخِرُ يَبْكِي شَجْوَهُ فِيهِمْ
أبو الطيب المتنبي :

لَكَ يَا مَنَازِلُ فِي القُلُوبِ مَنَازِلُ أَقَرَّتِ أَنْتَ وَهَنْ مَنكَ أَوَاهِلُ
يَمْلُكُنْ ذَاكَ ، وَمَاعِلَتْ ، وَإِنَّمَا أَوَّلَا كَمَا يَبْكِي عَلَيْهِ المَاقِلُ

وقال علي بن جبلة ، في معنى قول العباس بن الأحنف :

زَاثَرْتُمْ عَلَيْهِ حَسَنَهُ كَيْفَ يَخْفَى اللَّيْلُ بِذُرَاطِلِمَا
بَابِي مَنْ زَاثَرَنِي مَكْنَتَا خَائِفًا مِنْ كُلِّ أَمْرٍ جَزِعَا

(١) هكذا يقطع همزة « الإرتحال » - وهي همزة وصل - لضرورة إقامة

الوزن (م) . (٢) تهللت دموعي : انهلت وانصبت (م) .

رَحَدَ الْفَتْلَةَ حَقِّي أَمَكْتُ وَرَعَى الْحَارِسَ حَقِّي هَجَا
رَكِبَ الْأَهْوَالَ فِي ذَوْرِهِ نَمَّ مَا سَلَّمَ حَقِّي وَدَعَا

وقال الحسين بن الضحاك :

[بأبي زورٍ تَلَفْتُ لَهُ فَتَنَفْتُ عَلَيْهِ الْمَاءَ حَذَا ^(١)
بَيْنَا أَضْحَكُ مَسْرُورًا بِهِ إِذْ تَقَطَّعْتُ عَلَيْهِ كَذَا ^(٢)

أبو الطيب اللثبي] :

بأبي مَنْ وَدِدْتُهُ فَافْتَرَقْنَا وَقَمَى اللَّهُ بِدِ ذَاكَ اجْتِمَاعَا
فَافْتَرَقْنَا حَوْلًا ، فَلَمَّا اجْتَمَعْنَا كَانَ تَسْلِيمُهُ عَلَيَّ الْوَدَاعَا

وقال أبو الحسن جعظة : قال لي خالد الكاتب : دخلت يوماً بعض الديارات
فلذا أنا بشابٍ موتٍ في صَفَادِ حَسَنِ الْوَجْهِ ؛ فَلَمْتُ عَلَيْهِ ، فَرَدَّ عَلَيَّ ، وقال :
مَنْ أَنْتَ ؟ قلت : خالد بن يزيد ، فقال : صاحب القطعات الرقية ؟ قلت : نعم اقتل :
لأن رأيت أن تفرِّجَ عني يَمِضُ مَا تَشْدِي مِنْ شَرِّكَ فَافْلُ ، فَأَنْشَدْتَهُ :

تَرَفُّفْتُ مِنْ شَفَتَيْهَا عَقَارًا وَقَبِلْتُ مِنْ خَدَّهَا جُلْنَارًا ^(٣)
وَعَاقَتْ مِنْهَا كَثِيرًا سَهِيلًا وَغَضَّنَا رَطِييًّا وَبَدْرًا أَنَارَا
وَأَبْصَرْتُ مِنْ نُورِهَا فِي الظَّلَامِ لِكُلِّ مَكَانٍ بَلِيلٍ نَهَارَا

فقال : أحسنت ! لا يَفْضُضُ اللَّهُ فَأَكْ ، ثم قال : أَجِزْ لِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ :
رَبِّ لَيْلٍ أَمَدٌ مِنْ نَفْسِ الْعَا شِقِّ طُلُوعًا قَطَعْتُهُ بِاتِّعَابِ
وَحَدِيثِ آتٍ مِنْ نَظَرِ الْوَا مَقِي بَدَلْتُهُ بِسُوءِ التَّعَابِ
فَوَافَقَهُ قَدْ أَعْلَمْتُ فَكَّرِي فَاقْدِرْتُ أَنْ أَجِزَهَا . [ويمكن أن يجازي بهذا البيت :
ووصال أفـلـ من ثلعة البـا رِقِّ عَوْضَتْ عَنْهُ طُولَ اجْتِنَابِ]

(١) ازور - بالفتح - الزائر . وأصله مع . در فوسف به ، والصعدا - بضم

الصاد وفتح العين - أصله الصعداء بمدودا قصصره ضرورة (م) .

(٢) الكمد - بالتحريك - الحزن (م) .

(٣) المقار - بوزن غراب - الحمر (م) .

[طول الليل]

لابن الرومي

وقال ابن الرومي في طول الليل :

رُبَّ لَيْلٍ كَأَنَّهُ الدَّهْرُ طَوْلًا قَدْ تَنَاهَى فُلَيْسُ فِيهِ مَزِيدُ
ذِي نَجُومٍ كَأَنَّهُنَّ نَجُومُ الشَّيْبِ لَيْسَتْ تَغِيبُ لَكِنْ تَزِيدُ

لبشار

وهذا من أجود ما جاء في هذا المعنى ، وقد قال بشار :

لَعَلَّكَ مِنْ كَفَيْكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ إِلَى أَنْ تَرَى وَجْهَ الصَّبَاحِ وَيَسَادُ
تَيْتُ تُرَاعَى اللَّيْلُ تَرْجُو نَفَادَهُ وَلَيْسَ لِلَّيْلِ الْعَاشِقِينَ نَفَادُ^(١)

وقال :

خَلِيلِي مَا بَارُ الدَّجَى لَا تَرْحُحْ وَمَا بَالُ ضَوْءِ الصَّبْحِ لَا يَتَوَضَّحْ
أَصْلُ النَّهَارِ السَّتِيرُ سَيْلُهُ أَمْ الدَّهْرُ لَيْلٌ كُلُّهُ لَيْسَ يَبْرَحْ
كَأَنَّ الدَّجَى زَادَتْ وَمَا زَادَتْ الدَّجَى وَلَكِنْ أَطَالَ اللَّيْلَ ثُمَّ مَجْرَحْ

وقال [أيضاً] :

طَالَ هَذَا اللَّيْلُ ، بَلْ طَالَ السَّهَرُ وَقَدْ أَعْرِفُ لَيْلِي بِالْقَصْرِ
لَمْ يَطْلُ حَتَّى جَفَنِي شَادِنٌ نَاعِمُ الْأَطْرَافِ فَتَانُ النَّظَرِ^(٢)
لِي فِي لَيْلٍ مِنْهُ لَوْعَةٌ مَلَكَتْ قَلْبِي وَسَمِعِي وَالْبَصَرُ
فَكَأَنَّ الْمَهْمَ شَخْصٌ مَائِلٌ كَلَّا أَبْصَرَهُ النَّسُومُ مَقَرُ^(٣)

وقال أيضاً :

كَأَنَّ فَوَادَةَ كَرَّةً تَنْزَى حَذَارَ التَّيْنِ إِنْ نَعِمَ الْحَذَارُ^(٤)
يَرْوَعُهُ السَّرَارُ بِكُلِّ شَيْءٍ مَخَافَةً أَنْ يَكُونَ بِهِ السَّرَارُ
[كَأَنَّ جَفُونَهُ سُمِّمَتْ بِشَوْثٍ فُلَيْسُ لِنَوْمِهِ فِيهَا قَرَارُ]
أَقُولُ وَلَيْلَتِي تَزْدَادُ طَوْلًا أَمَا لَيْلِي بِدَمْعِ نَهَارُ

(١) ترجو نفاذه : تمنى زواله . أو انتهاءه . (م)

(٢) الشادن : الظبي إذا قوى وترعرع . (م)

(٣) شخص مائل : قائم . (م) . (٤) تنزى : تنب ، وأصله تنزى (م)

جَفَتْ عَيْنِي عَنِ التَّنْمِيزِ حَتَّى كَأَنَّ جَفَوْنَهَا فِيهَا قِصَارُ
 قِيلَ لِإِبْرَاهِيمَ : مِنْ أَيْنَ سَرَقْتَ قَوْلَكَ : * يَرَوْعُهُ السَّرَارُ بِكُلِّ شَيْءٍ * .
 قَالَ : مِنْ قَوْلِ أَشْعَبِ الطَّمْعِ ، وَقَدْ قِيلَ لَهُ : مَا بَلَغَ مِنْ طَمَعِكَ ؟ قَالَ : مَا رَأَيْتُ
 اثْنَيْنِ يَتَسَارَتَانِ إِلَّا ظَلَفْتُهُمَا بِرِيدَانِ أَنْ يَأْمُرَا إِلَى بَيْتِي * . وَأَخَذَهُ أَبُو نُؤَاسٍ فَقَالَ :
 لَا تَبِيحَنَّ حُرْمَةُ الْكِتَابِ رَاحَةَ السَّهَامِ فِي الْإِعْلَانِ
 قَدْ نَسَرَّتْ بِالْكَوْتِ وَالْإِطْرَاقِ جَهْدِي فَهَمَّتِ الْعَيْنَانِ
 تَرَكْتَنِي الْوُشَاةَ نَصَبَ الشَّيْرِ يَسْنُ وَأُحْدُوْنَةً بِكُلِّ مَكَانٍ
 مَا نَرَى خَالِفَيْنِ فِي النَّاسِ إِلَّا قُلْتُ مَا يَخْلُوْنَ إِلَّا إِنْسَانِي
 وَمِثْلُ قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ : * جَفَتْ عَيْنِي عَنِ التَّنْمِيزِ * ... الْبَيْتَ ، قَوْلُ الْآخَرِ :
 كَأَنَّ الْهَبَّ بِطُولِ الشَّهَادِ قَصِيرُ الْجَفْوَنِ وَلَمْ تَقْصُرِ
 وَقَدْ تَنَاوَلَ هَذَا اللَّغَى التَّابِيُّ [فَأَنشده وَقَالَ] :
 وَفِي الْآخِرِ انْقِبَاضُ عَنْ جَفْوَنَاهَا وَلِي الْجَفْوَنِ عَنِ الْآمَاقِ تَقْصِيرُ
 وَقَالَ الْمُنَنِّي :

أَمِيدُوا صَبَاحِي فَهَوَّ عِنْدَ الْكَوَاكِبِ وَرَدُّوا رِقَادِي فَهَوَّ لَحْظُ الْحَبَائِبِ
 كَأَنَّ نَهَارِي لَيْلَةٌ مَدْلَهْمَةٌ عَلَى مُقْلَةٍ مِنْ فَقْدِكُمْ فِي غِيَابِي
 بَعِيدَةٌ مَا يَزِينُ الْجَفْوَنَ كَأَنَّمَا عَقْدْتُمْ أَعَالِي كُلِّ هُذْبٍ بِحَاجِبِ
 وَقَالَ الشَّعْبِيُّ : تَشَاجَرُ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَمُسْلِمَةُ أَخُوهُ فِي شِعْرِ أَمْرِ الْقَيْسِ
 أَيْهَمَا أَوْصَفَ ؟ وَالنَّابِئَةُ فِي طَوْلِ اللَّيْلِ ، أَيْهَمَا أَشْعَرُ ؟ قَالَ الْوَلِيدُ : النَّابِئَةُ أَشْعَرُ ، وَقَالَ مُسْلِمَةُ :
 بَلْ أَمْرُو الْقَيْسِ ، فَرَضِيَا بِالشَّعْبِيِّ ، فَأَحْضَرَاهُ ، فَأَنشده الْوَلِيدُ :

كَلَيْسِي لَمْ يَأْمُيَةً نَاصِبٍ وَلَيْلٍ أَقَاسِيَهُ بَطِيءُ السَّكْوَاكِ (١)
 تَطَايَلُ حَتَّى قُلْتُ لَيْسَ بِمَنْقُصٍ وَلَيْسَ الَّذِي يَرَعَى النُّجُومَ بِأَيِّ (٢)

(١) كَلَيْسِي : اِتْرَكْنِي ، وَنَاصِبٌ : صَاحِبُ نَعَبٍ ، عَلَى النَّسَبِ ، وَالنَّصَبُ -
 بِالْتَحْرِيكِ - التَّنْبِ (م) .

(٢) آيِبٌ : رَاجِعٌ ، وَالْقِيَاسُ أَنْ يَقَالَ « آتَيْتُ » بِالْهَمْزِ ، وَلَكِنَّهُمْ قَدْ يَخْفَوْنَ
 الْهَمْزَةَ قَبْلَهَا يَاءً لِأَنَّ الْيَاءَ بِجَانِبِ الْكُسْرَةِ (م) .

وصدّر أراح الليل عازب همه
 وأنشد مسلة قول امرئ القيس :
 وليل كعوج البحر أرخى سدّوله
 على بأنواع المسموم لتبتل
 فقلت له لما تمطى بجوزه
 وأردف أعجازاً وناه بكل كل
 ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي
 بصبح ، وما الإصباح منك بأنجل
 فيالك من ليل كأن نجومه
 بكل مزار القتل شدت يده بلر
 فطرب الوليد طرباً ، فقال الشعبي : بانت القضية .

معنى قول النابغة : • وصدر أراح الليل عازب همه •

أنه جعل صدره مأوى للموم ، وجعل المسموم كالنعم السارحة الضادية ،
 تسرحُ نهراً ثم تأتي إلى مكانها ليلاً . وهو أول من استثار هذا المعنى ،
 ووصف أن الموم مترادفة بالليل لتقييد الألفاظ عما هي مطلقة فيه بالنهار ،
 واشتغالها بتصرف الحفظ عن استعمال الفكر ، وامرؤ القيس كره أن يقول إن المم
 يخف عليه في وقت من الأوقات فقال : وما الإصباح منك بأمثل .

للطرماح

وقال الطرماح بن حكيم الطائي :

ألا أيها الليل الذي طال أصبح
 يوم ، وما الإصباح فيك بأروح
 على أن للعنين في الصبح راحة
 لطرهما طرقتيهما كل مطرح
 فنقل لفظ امرئ القيس ومناه ، وزاد فيه زيادة اغتر له معها فحش السرقة
 وإما تبه عليه من قول النابغة ، إلا أن النابغة لوح ، وهذا صرح .

لابن بسام

وقال ابن بسام :

لا أظلم الليل ولا أدعى
 أن نجوم الليل ليست تمور^(١)
 ليلى كما شامت ، فإن لم تزُر
 طال ، وإن زارت فليتي قصير
 وإنما أغار ابن بسام على قول علي بن الخليل فلم يغير إلا القافية :

(١) أراح : رد ، والمازب : البعد (م) .

(٢) ليست تمور : لا تحرب (م) .

لبي
ابن الخليل

لا أَظْلُمُ اللَّيْلَ وَلَا أَدْعِي أَنْ نَجْمَ اللَّيْلِ لَيْسَتْ تَزُولُ
لَيْلِي قَالَتْ ، قَصِيرٌ إِذَا جَاءَتْ ، وَإِنْ ضَنْتُ فَلَيْلِي طَوِيلٌ

وهذه السَّرْقَةُ كما قال البديعُ في التنبية على أبي بكر الخوارزمي في بيت
أخذ رويته وبعض لفظه: « وَإِنْ كَانَتْ قَضِيَّةُ الْقَطْعِ تَجِبُ فِي الرَّبْعِ ، فَمَا أَشْدَقْتُ
على جوارحه [أجمع] ؛ ولعمري إن هذه ليست سَرَقَةً ، وإنما هي مَكَايِدَةٌ مُحَضَّةٌ ،
وأحب أن أقالهُ لو سمع هذا لقال : هذه بضاعتنا رُدَّتْ إلينا ، فحببت أن ربيعة
ابن مكرم وعُتْبَةُ بن الحارث بن شهاب كانا لا يستحلان من البيت ما استحلّه ،
فإنهما كانا يأخذان جُلَّهُ^(١) ، وهذا الفاضل قد أخذ كله ، وقد أخذ على ابن الخليل
من قول الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان :

لَأَسْأَلُ اللَّهَ تَعْيِيراً لِمَا صَنَعْتُ نَامَتْ وَإِنْ أَسْهَرْتَ عَيْنِي عَيْنَاهَا
فَاللَّيْلُ أَطْوَلُ شَيْءٍ حِينَ أَقْدَمُهَا وَاللَّيْلُ أَقْصَرُ شَيْءٍ حِينَ أَقَامَهَا
وابن بسام في هذا [الشعر] كما قال الشاعر :

وَفِي يَقُولُ الشَّعْرُ إِلَّا أَنَّهُ فِي كُلِّ حَالٍ يَسْتَرِقُ الْمَسْرُوقَا

ألفاظ لأهل المصر في طول الليل والسهر

وما يعرض فيه من الموموم والتفكير

ليلة من غَضَضَ الصَّدْرَ ، وَنَمَّ البَرْقَ . ليلةٌ هموم وغوم ، كما شاء الحسود ،
وساء الودود . ليلةٌ قَصَّ جناحها ، وَضَلَّ صباحها . ليل ثابت الأطناب ، طامى
الفوارب ، طامح الأمواج^(٢) ، وافى اللذائب . ليل ليست لها أسحار ، وظلمات
لا تتخللها أنوار . بات بليلة نابية ، يُراد قوله :

(١) جله - بضم الجيم وتشديد اللام - معظمه (م) .

(٢) في نسخة « طامى الأمواج » (م) .

فبت كأنى ساورتني ضئيلة من الرُقش في أنيابها السُّم نَارِقٌ^(١)
 [يُسَهَّدُ من ليل التمام سُلَيْهَا لِيَحْلِي النساء في يديه قَاعُ] ^(٢)
 بات في الصيف بليّة شتوية . سائرته الموم ، وعائته النوم ، واكتحل
 المسهاد ، واقتش الاقتاد^(٣) ، فاكثحل^(٤) بمَلْمُول السهر ، وتعلل على فراش الفكر .
 قد أفضّ مهاده ، وقَلِقَ وسأده . موم تفرّق بين الجنب والمهاد ، وتجمّع بين
 العين والشهاد . طَرَفَ برّعي النجوم مطروف ، وفراش بشعر المم مخوف .
 كأنه على النجوم رقيب ، وللظلام قَيب .

ولهم فيما يتصل بضدّ ذلك من ذكر [إقبال] الليل

واشتار الظلمة ، وطلوع الكواكب

أقبلت عساكرُ الليل ، وخفّت راياتُ الظلام . وقد أرغى الليلُ علينا
 سُودَهُ ، وسحب الظلامُ فينا ذيوه . توقّد الشقّ في ثوب الفسّ . أقبلت وفودُ
 النجوم [وجأت مواكب الكواكب . تفتحت أزاهير النجوم] ، وتوردت
 حداثقُ الجو ، وأذكى القلّكُ مصايحه . قد طفت النجومُ في بجزر الدجى ،
 ولبس الظلامُ جلباباً من القار . ليلة كغراب الشهاب ، وحَذَقَ الحِسْآن ، وذوئب
 المذارى . ليلة كأنها في لباسٍ بنى المباس^(١) ليلة كأنها في لباس التكالى ، وكأنها
 من التّبيش في مواكب التّجيش . ليلة قد حلك إهابها ، فكان البحر يهاها .

ولهم في ذكر النوم والنّاس

شربَ كأسِ النّاس ، وانثى من سحر الكرى^(١) ، قد عسكر النّاسُ
 بطرفه ، وخيم بين عينيه . غرق في لُجّة الكرى ، وتمايل في سَكْرَةِ النوم .
 قد كلل الليلُ الرّوى بالرقاد ، وشامت الأعين أجفانها في الأضداد .

(١) الرقنى : جمع رقشاء ، وهى الحية (م)

(٢) القتاد - بزنة السحاب - الشوك (م) .

(٣) كان المباسيون قد اغنوا السواد شعاعاً في لباسهم وفي راياتهم وبنودهم (م) .

(٤) الكرى : النوم (م) .

وفي اتصاف الليل وتناهيه ، وانتشار النور ، وأقول النجوم

قد اكتمل الظلام . قد انتصفا عُمُرَ الليل ، واستغرقنا شبابه . قد شاب
رأسُ الليل ، كاد ينفِثُ النسيمُ بالسَّحَرِ . قد انكشف غطاءه الليل . انتهكت^(١) سُرَّهُ
الدُّجَى ، وشيَّطتْ ذَوَائِبُهُ ، وتوقَّسَ ظَهرُهُ ، وتهدَّم عُمرُهُ . فَوُضتْ خِيامُ
الليل ، وخلق الأفقُ ثوبَ الدُّجَى . أعرِضَ الظلامُ وتولى ، [وتدنى] عنقودُ
الثريا طُرُزَ قِيعِ الليل بُرَّةَ الصبح ، وباح الصبحُ ببيرو . خلق الليلُ ثيابه ،
وحَدَرَ الصبحُ ثيابه . لاحت تباشيرُ الصبح ، وافترقَ النَجْمُ عن نواجذه ، وضرب
النورُ في الدُّجَى بمسوده . بثَّ الصبحُ طلائمه . تبرَّقَعَ الليلُ بُرَّةَ الصبح . أطار
بأزى الصبحِ غرابَ الليل^(٢) ، وعزلت نوافجَ الليل^(٣) بجِماماتِ الكافور ، وانهزم
جُنْدُ الظلامِ عن عَسْكَرِ النور . خلعتْ خلعةَ الظلامِ ، ولبستْ رداءَ الصباح ،
وملأ الأذانُ بَرَقَ الصباح ، وسطعَ الضوء ، وطلعَ النور ، وأشرقت الدنيا .
وأضاءت الآفاق . مالت الجوزاء للغروب ، وولت مواكبُ الكواكب ، وتناثرت
عقودُ النجوم ، وفترت أسرابُ النجوم من حدِّقِ الأمان ، وهَمَى إطلاقُ الجوزاء ،
وانطلقا قنديلُ الثريا . قال بعضُ الأعراب : خرجنا في ليلةٍ حَنِينٍ قد أَلَقَتْ على
الأرض أكارِعَهَا ، فحَتَّ صورةُ الأبدان ، فما كنّا نتعارف إلا بالأذان .
قال ابن محكان السعدي :

وليلي يقول الناسُ في ظلماته سواءٌ صحَّيحاتُ العيونِ وغورها
كان لنا منه ميوتاَ حصينةٌ مُسوحاً أعاليها وساجاً ستورها^(٤)
وهذا بارعٌ جداً . أراد أن أعلاه أشدُّ ظلاماً من جوانبه .

وقال أعرابي في صفته : خرجتُ حين انحدرتِ النجومُ ، وشالتْ أرضُ جُلْها ،

(١) في إحدى المطبوعات « ستر الدُّجَى هرم الليل » وليس جى . (م) .

(٢) في نسخة « أطار منادى الصبح غراب الليل » وليست بذلك (م) .

(٣) في نسخة « نوافج السك » (م) .

(٤) المسوح : جمع مسح - بالكسر - وهو ثوب من شعر أسود يشبه ثوب الرهبان ،

والساج : خشب عجز ينبت بالهند ، ولونه أسود ، وفي نسخة « وساجاً كسورها » (م) .

فَا زِلْتُ أَشَدَّعَ اللَّيْلِ حَتَّى انْصَدَعَ النَّجْمُ .

ومن بديع الشعر في صفة الليل قول الأعرابي :

واللَّيْلُ يَطْرُدُهُ النَّهَارُ وَلَا تَرَى كَاللَّيْلِ يَطْرُدُهُ النَّهَارُ طَرِيداً
فَقَرَأَ مِثْلَ الْبَيْتِ مَالٌ رِوَاغُهُ هَتَكَ الْقَوَاضِ سَيْتَرُهُ الْمُدَوِّدَا
ومن الديدع :

على حين أثنى القومُ خيراً عَلَى الشَّرِّ وَطَارَتْ بِأُخْرَى اللَّيْلِ أُجْنِحَةُ النَّجْمِ
آخر :

وليل ذى قِيَاطِلَ مُدْلَمٍ رَمَيْتُ بِقَعْبِهِ عَرْضَ الْأَفْوَلِ
يَرُدُّ الْغُرُفَ مُنْقَبِصاً كَلِيلَا وَيَعْلَأُ هَوْلُهُ صَدْرَ الدَّلِيلِ
ابن للمعز :

هَلَمْتُ رَكَابَنَا إِلَيْكَ بِنَا بِظُلَيْلِ أَهْلِ النَّارِ وَالنَّعِ
فَكَانَ أَيْدِيهِمْ دَائِبَةً يَفْخَمُنَ لَيْتَهُمْ عَنْ صُحْبِ

وقال كشاجم :

سَيِّئاً لَيْلِي قَصَرْتُ مُدَّتَهُ يَدِيرُ مَرَّانَ مَرَّةٍ مَشْكُورَا
وَبَتَ بَدْرُ الدَّجَى يَشْمَشُهَا نُورِيَّةٌ تَمْلَأُ الدَّجَى نُورَا^(١)
غَارَتْ عَلَى نَفْسِهَا وَقَدْ سَقَرَتْ فَعَادَ جَيْبُ الْحَبَابِ مَزُورَا
حَتَّى رَأَيْتُ الظَّلَامَ يَدْرَجُهُ الشَّرْبُ وَدَرَجَ الصَّبَاحُ مَنُشُورَا^(٢)
فَاخْتَلَطَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ كَمَا تَخْلُطُ كَفٌّ مَسْكَا وَكَافُورَا

وقال علي بن محمد السكوفي :

مَتَى أُرْتَجَى يَوْمًا شَفَاءً مِنَ الضَّنَا إِذَا كَانَ جَانِبِي عَلَى طَبِيبِ
وَلَى عَائِدَاتٍ صِفْتُهُنَّ جِثْنَ فِي لِيَا سَوَادٍ فِي الظَّلَامِ قَشِيبِ^(٣)
نَجْمٌ أَرَاغِي طَوْلَ لَيْلِي بِرُؤُوسِهَا وَهَنْ لَيْتِي السَّيْرَ ذَاتُ نُفُوسِ

(١) يشمشها : يمزجها ، وأراد البحر (م) .

(٢) في نسخة « وبرد الصباح منشوراً » (م) . (٣) قشيب : جديد (م)

خوافقُ في جَنَحِ الظلامِ كأنها
تَرى حُوتها في الشرقِ ذاتَ سباحةٍ
إذا ما هوى الإكليلُ منها حبيته
كَانَ القى حولَ الهجرةِ أوردتْ
كَانَ رسولُ الصُّبحِ يغلطُ في الدُّجى
كَانَ أخيراً الرِّيحُ صرَّحَ بمردِّ
كَانَ سوادُ الليلِ في ضوهِ صُبْحِهِ
كَانَ نَذيرُ الشمسِ يحكي بيشِرِهِ
ولولا اتِّقائُ عَتَبَةِ قَلتِ سِدى
جوادٌ بما تحوى بَدَأُ مَهْذَبِ
نصيبُ إخاءٍ وهو غيرُ مناسبِ
وَنِسْبَةُ ما بينَ الأَقاربِ وحشةٌ
[أخو الصفاء قريب]

وهذا البيت كقول الطائي :

وقلتُ أخى قالوا أخٌ من قرابةٍ
[نسيبٍ في رأيي وعزى ومذهبي]
وقال عبد السلام بن رغبان^(١) ، وسلك طريق الطائي [فاضلٌ منها] :
أخ كنتُ أبكيه دماً وهو حاضرٌ
بكاء أخٍ لم تحوهِ بقرابةٍ
فأت فاشوقني إلى الأخرى واقف
وأظلمت الدنيا التي أنت نورُها
قلتُ لم إنَّ الشكولَ أَقْدِيبُ
وإنَّ باعدتُنَّا في الأصولِ للناسِ
حذاراً ، وتَمَنَّى مُقْلَقِي وهو غائبُ
يَلِي إنَّ إخوانَ الصفاء أَقاربُ
ولا أنا في عُمرى إلى الله راغِبُ
كَأَنَّكَ لِلدُّنيا أَخٌ ومناسِبُ

(١) الوجيب : خفتان القلب واضطرابه (٢) .

(٢) الحوت والقرب والإكليل والهجرة : نجوم في السماء (٣) .

(٣) صرح : قصر عال ، ومرد : مطول أى عال ، ولم تكن : لم يحب (٤) .

(٤) هو ديك الجن (٥) .

يُرَدُّ فَيَرَانِ لِلصَّائِبِ أَتَى أَرَى زَمَنًا لَمْ تَبْقَ فِيهِ مَصَائِبُ
وَفِي هَذِهِ التَّصْيِيدَةِ :

تَرَشَّفْتُ أَيْمَى وَهَنْ كَوَالِحُ إِلَيْكَ ، وَغَالَبْتُ الرَّدَى وَهُوَ غَالِبُ
وَدَافَعْتُ فِي كَيْدِ الزَّمَانِ وَنَحْوِهِ وَأَيُّ يَدِي لِي وَالزَّمَانُ لِلصَّارِبِ ؟
وَقُلْتُ لَهُ : خَلَّ ابْنُ أُمِّي لِمُعْبَةِ وَهَانًا أَوْ فَازَدَدُ فَإِنَّا عَصَائِبُ
فَوَاقِهِ إِخْلَاصًا مِنَ الْقَوْلِ صِدْقًا وَإِلَّا فَحَقِّي آلَ أَحَدٍ كَاذِبُ
لَوْ أَنَّ يَدِي كَانَتْ شِفَاءً أَوْ دَمِي دَمِ الْقَلْبِ حَتَّى يَقْضِيَ الْحَبْلُ قَاضِبُ
لَسَلْتُ تَسْلِيمَ الرِّضَا وَانْخَفَتِهَا يَدَا لَرَدَى مَا حَجَّ قَلْبُ رَاكِبُ
فَتَى كَانَ مِثْلَ السِّيفِ مِنْ حَيْثُ جَنَّتُهُ لَسَانِي نَابِتِكَ فَهُوَ مَصَارِبُ
فَتَى عَمَّ حَذُّهُ عَلَى الدَّهْرِ رَامِحُ وَإِنْ نَابَ عَنْهُ مَا لَهُ وَهُوَ عَازِبُ
شَمَائِلُ إِنْ تَشَهَّدَ فَهِنَّ مُشَاهِدُ عَظَامُ ، وَإِنْ تَرَجَّلَ فَهِنَّ رَكَائِبُ
وَقَالَ الطَّائِيُّ لِمَلَى بْنِ الْجَهْمِ :

إِنْ يُكْدِرُ مُطَرَفُ الْإِخَاءِ فَإِنَّا نَقْدُو وَنَسْرِي فِي إِخَاءِ تَالِدٍ (١)
أَوْ يَفْتَرِقُ نَسَبٌ يُوَلِّفُ بَيْنَنَا أَدَبُ أَقْنَاءِ مَقَامِ الْوَالِدِ
أَوْ يَخْتَلِفُ مَا هُوَ الْوَصَالُ فَإِذَا عَذَبُ مُحَمَّدٍ مِنْ غَيْرِ وَاحِدٍ (٢)

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى بْنِ حُلَادٍ : سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ الْجَهْمِ ، وَذَكَرَ دِجْلًا
فَلَسَهُ ، وَكَفَرَهُ ، وَقَالَ : وَكَانَ يَطْعَنُ عَلَى أَبِي تَمَامٍ ، وَهُوَ خَيْرٌ مِنْهُ دِينًا
وَشِعْرًا ، فَقَالَ رَجُلٌ : لَوْ كَانَ أَبُو تَمَامٍ أَخَاكَ مَا زِدْتَ عَلَى مَذْحِكِ لَهُ .
فَقَالَ : إِلَّا يَكُنْ أَخَا نَسَبٍ فَهُوَ أَخُو أَدَبٍ ، أَمَا سَمِعْتَ مَا خَاطَبَنِي بِهِ ؟
وَأَنْشَدَ الْآيَاتِ :

(١) لِلطَّرَفِ وَالطَّارِفِ وَالطَّرِيفِ : الْجَدِيدِ الْحَدِيثِ ، وَيَقَابِلُهُ الْتَالِدُ وَالتَّلِيدُ (م)

(٢) لِأَبِي تَمَامٍ فِي اسْتِعَارَةِ اللَّاءِ بَعَارَاتٍ غَرِيبَةً كَمَا هُوَ الْوَصَالُ هُنَا ، وَمَا لِلَّامِ ،
وَنَحْوُ ذَلِكَ (م)

وقال رجل لابن المقفع : إذا لم يكن أخى صديقى لم أحبيه ، قال :
نعم صدقت ، الأخ نسيبُ الجسم ، والصديق نسيبُ الروح .
وقال أبو تمام يخاطب محمد بن عبد الملك الزيات :

أبا جعفرَ إن الجهالةَ أَشْرُـ
أرى الحشَوَ والدهاءَ أَضْحَوْا كَأَنَّهُمْ
وَلُودٌ ، وَأُمُّ الْعِلْمِ جَدٌّ ، حَاطِلٌ^(١)
شعوبٌ تَلَاقَتْ دُونَنَا وَقِبَائِلُ
وَحَظَّ ذَوَى الْأَدَابِ فِيهِمْ نَوَافِلُ
غَدَوًا وَكَأَنَّ الْجَهْلَ يَجْمَعُهُمْ أَبَا
فَتَكُنْ هَصْبَةً تَأْوِي إِلَيْهَا وَحَرَةً
يُمِرَّدُ عَنْهَا الْأَعْوَجَى الْمُنَاقِلُ^(٢)
فَإِنَّ الْقَتَى فِي كُلِّ حَالٍ مَنَاسِبٌ
مَنَاسِبَ رُوحَانِيَةٍ مَنِ يَشَاكُلُ
وقال البحتري لأبى القاسم بن خرداذبه :

إِنْ كُنْتُ مِنْ طَارِسٍ فِي بَيْتِ سَوْدَدِهَا
وَكُنْتُ مِنْ بَحْتَرَى الْبَيْتِ وَالنَّسَبِ^(٣)
فَلَمْ يَصِرْ نَا تَنَاقَى لِلنَّصِيبِ وَقَدْ
رُحْنَا نَسِيبِينَ فِي عِلْمٍ وَفِي أَدَبٍ
إِذَا تَقَارَبَ الْأَدَابُ وَالنَّامَتُ
دَنَتْ مَسَافَةٌ بَيْنَ الْمُجْمَرِ وَالْعَرَبِ

[وصف النجوم]

وقد احتذى طريقه أبو القاسم محمد بن هانى ، فقال يمدح جعفر بن على ،
وذكر النجوم ، قال :

لابن هانى
الأندلسى

جَمَلْنَا حَشَايَانَا زِيَابَ مُدَامِنَا
وَقَدَّتْ لَنَا الظَّلَامُ مِنْ جِلْدِهَا لَحْفَا
فَمَنْ كَبِدَ تَدْنَى إِلَى لُبِّ هَوَى
وَمَنْ شَفَعَ تَوْحَى إِلَى شَفَعِ رَشْفَا
بَعِثْكَ نَبَهُ كَأَنَّهُ وَجْهُونُهُ
قَدْ نَبَهُ الْإِبْرِيْقُ مِنْ بَعْدِ مَا أَعْنَى
وَقَدْ فَكَّتْ الظَّلَامُ بَعْضَ قِيُودِهَا
وَقَدْ قَامَ جَيْشُ اللَّيْلِ لِلْفَجْرِ فَاصْطَفَا

- (١) جداء : سفرة التدى قليلة المر ، وفي نسخة « جيداء » تطبيع (م)
(٢) يمرد عنها : يميل عنها وينفر منها وبهرب ، والأعوجى : الفرس المنسوب
إلى أعوج وهو فرس مشهور (م)
(٣) فى ديوانه « وكنت من طي » فى البيت - إلخ « وفى نسخة « وكنت من
محدثى فى البيت - إلخ » ولعل أصل ما فى الأصل « وكنت من بحترى - إلخ » (م)

وولت نجوم للثرا كأنها
 ومسر على آثارها دبراتها
 وأقبلت الشرى العبور ملبسة
 وقد بادرتها أخنها من ورائها
 تخاف زفير الليث يقدم ثائرة
 كأن السما كين الذين تظاهرا
 فذا راسح يهوى إليه سناؤه
 كأن رقيب النجم أجل مرقب
 كأن سهيلا في مطالع أقصر
 كأن بن تيش ونشأ مطافل
 كأن سهاها عاشق بين عود
 كأن على قطبها فارس له
 كأن قدامى النسر والنسر واقع
 كأن أخساء حين دؤم طارأ
 كأن المزيج الآبنوس مؤهنا
 كأن ظلام الليل إذ مال متيلة
 كأن حمود النجر خافان عسكر
 كأن لواء الشمس غرة جفر
 وقال ابن طباطبا [العلوى] :
 كأن اكتاتم المشتري في ستاه
 كأن سهيلا والنجوم أماته

خواتم تبدو و بئان يد تخفي
 كصاحب رذه أكتت خيله خلفا^(١)
 بمرزنها اليبوب نجبه طرفا
 لتخرق من رقتي مجرمتها سحفا
 وبربر في الظلاء يسفها نسفا
 على لجديته ضلجان له الخففا
 وذا أعزل قد عض أمله لها
 يقلب تحت الليل في ريشه طرفا
 مفارق ألف لم يحد بسده إلغا
 بوجرة قداضلان في منهج خسفا
 فأونة يبدو وأونة يخفي
 لوادان مر كوزان قد كره الزخفا
 قصص فلم تسم الخوافي به ضففا
 أتى دون نصف البدر فاختلف النصففا
 سرى بالنسيج الخسرواني ملتفا^(٢)
 صريع مدايم بات يشربها صيرفا
 من الترك نادى بالنجاشي فاشتخفا
 رأى القرن فلزادت طلاعه ضففا

لابن طباطبا
 العلوى

وديمة سر في ضمير مديع
 يطرأها راج وراء قطيع

(١) الدبران : منزل القمر ، والشرى العبور : نجم (م)
 (٢) المزيج : الجزء من الليل ، والآبنوس : أراد الأسود (م) .

وقد لاحتِ الشَّمْرى المَبُور كأنها تَقَلَّب طَرْفٍ بالدموعِ موع
وأضحت الجوزاء في أفقِ غَرْبها فباتتِ كَنَشوانٍ هناكِ صَرِيع
إلى أن أجاب الليلُ ذاعِي صُبْحِه وكان يُنادي منه غيرَ سَمِيع
وقال :

وكانَ "أهلُ" المَلالِ ما تَبَدَّى شَطْر طوقِ المِراةِ ذى التذهيبِ
أو كَتُوسٍ قد اعمَتَ طَرْفاهُ أو كَتُونٍ في مُهْرَقٍ مكتوبِ
وقال على بن محمد المولى بصف القمر ، وقد طرح جرمه على دجلة :

لم أنسِ دِجْلَةَ والشَّجَى مُتَصِرَمٌ والتَبَدُّرُ في أفقِ السماء مغرِبُ
فكانها فيه رداءُ أَرْقٍ وكأنه فيها طرازٌ مُذهَّبُ

وقال [الأمير] تميم بن الحر ، وكان يحتذى مثل ابن المعتز ، ويقف في التشبهات بجانبه ، ويفرغ فيها على قلبه ، ويتبعه [في] سلوك ألقاظ اللوك :

اسقياي فلت أمتني لئلا ليس إلا تَلَّةُ النفسِ شُغْلِي
أطبع العذول في تركِ ما هَوَى كأنى اتهمت رأبي وعقلي
علافي بها فقد أقبل الليلُ كلَّون الصدود من بعد واصلِي
واستجلى النسيمُ بعدما أضحك الرُّؤُ من بكاء السحابِ جادَ بوبلِي
عن هلالِ كَمَوَّلجانِ نُصارِي في سماءِ كأنها جَامُ ذَبَلِ

وقال :

ربِّ صَفراءِ علَّمتني بصفرا وجنَّحُ الظَّلَامِ مُرَخِّ الإزارِ
بين ماء وروضةٍ وكروم وروابي منيفةٍ وصحاري^(١)
تتقَى به النصوصُ علينا ونجيب التياتُ فيها القماري^(٢)

(١) في نسخة « بين ماء وبركة » والروابي : جمع رابية ، وهو ما ارتفع من الأرض (م)

(٢) تتقَى : تتبايل ، والقيان : جمع قينة ، وهي الأمة للفتية ، والقمارى : جمع قمرى ، وهو ضرب من الحمام (م)

على بن محمد
المولى

تميم بن الحر

وكان الدُّهْنِي غَدَاؤُ شَرِي وَكَانَ النُّجُومَ فِيهَا مَذَارِي (١)
وَانْجَلَى النِّيمُ عَنْ هَلَالٍ تَبْدَى فِي يَدِ الْأَفْقِ مِثْلُ نِصْفِ يَسَوَارِ
وَقَالَ :

عَبْتُ فَأَنَّى عَلَيْهَا الْمَتَابُ وَدَعَا دَمْعَ مَقْلَتَيْهَا انْكَابُ
وَضَمْتُ نَحْوَ خَدَّهَا يَدَيْهَا فَالْتَقَى الْيَاسَمِينُ وَالْمُنَابُ (٢)
رُبُّ مُبْدَى تَمْتَعِبُ جِلَّ الْقَتْسَبِ رِيَاءَ وَهْمَةِ الْإِعْتَابِ
فَاسْتَقْبَلَهَا مُدَامَةً تَصْنُغُ الْكَأْسَ سَكَا يَصْنُغُ الْخُلُودَ الشَّابُ
مَاتَرَى اللَّيْلَ كَيْفَ رَقَّ دُجَاهُ وَبَدَا طَلْسَاهُ يَنْجَابُ ؟
وَكَانَ الصَّبَاحُ فِي الْأَفْقِ بَازٍ وَالْدُّهْنِي بَيْنَ مِخْلَبَيْهِ غُرَابُ
وَكَانَ السَّمَاءُ جُلَّةً يَجْمُرُ وَكَانَ النُّجُومَ فِيهَا حَبَابُ
وَكَانَ الْجُوزَاءُ سَيْفَ صَعِيلٍ وَكَانَ الدُّهْنِي عَلَيْهَا قِرَابُ
مِنْ وَصْفِ الشَّرَابِ وَالْكُوسِ وَالسَّقَاةِ فِي اللَّيْلِ

وَقَالَ :

وَزَنْجِيَّةُ الْآبَاءِ كَرْخِيَّةُ الْجَلْبِ عَبِيرِيَّةُ الْأَفَاكِسِ كَرْمِيَّةُ النَّسَبِ (٣)
كَمَيْتَ بَزَلْنَا ذَنْهَا فَضَجَّرَتْ بِأَثَرِ قَانٍ مِثْلُ مَا قَطَرَ الذَّهَبُ
فَلَمَّا شَرِبْنَاهَا صَبَّوْنَا سَكَاثَنَا شَرِبْنَا السُّرُورَ لِلْخَفَضِ وَالْهَوَّ وَالطَّرِبِ
وَلَمْ نَأْتِ شَيْئًا بِسُخْطِ الْمَجْدِ فَفُلَهُ سَوَى أَنَا بَيْنَنَا الْوَقَارُ مِنَ الْعَيْبِ
كَأَنَّ كُؤُوسَ الشَّرْبِ وَهِيَ دَوَارُ قَطَائِعُ مَاءِ جَامِدٍ تَحْمِلُ اللَّهَبِ
يَمْدُ بِهَا كَمَا خَضِييَا مُدِيرُهَا وَلَيْسَ بِشَيْءٍ غَيْرُهَا هُوَ مَخْضَبِ
فَبَيْنَمَا نُسْقَى الشَّمْسَ وَاللَّيْلُ رَاكِدُ وَتَهْرَبُ مِنْ بَذْرِ السَّمَاءِ وَمَا قَرُبُ

(١) الدُّهْنِي : جمع مدري ، وهي خشيبة يمشط بها الشعر [اللطخ] (٢)

(٢) في نسخة « وضمت نحو خدَّها يديها » وهي أليق مما هنا (٣)

(٣) في نسخة « عناية الأناس » (٤)

وقد حجب النيمُ اللّيلَ مكانه
[كأنّ التّرباً تحت حُلّة لوتها]
وقال :

كان السحابُ التّرابَ أصبحَ أكوها
إلى أن رأيتُ النجمَ وهو مغرب
كان سوادُ الليلِ والصّبحُ طالعٌ
وقال :

وكأنّ يُبيدُ الشّمسُ رؤساً، ويمتدّ
بولدٍ فيها المزجُ دُرّاً منضداً
صغار وكبرى في الكؤوس كأنها
إذا حانتُ السّاقُ الأغرَ حنّتها
صبت بها مغمي وقد رندج الدّجى
وقد أزهّرتَ يَبضُ النجومِ كأنها
وقال :

ألا فاستقباني قهوةً ذهبيةً
كانتُ التّربا والظلامُ يحفّها
كانتُ نجومُ الليلِ تحت سوادِهِ
وقال :

أما دَبرَ مرحنا سَقَتَكَ رعودُ
فكم واصلتنا في رُبّك أوانِسُ
من النّيمِ يهيمُ مزنها ويمودُ
يُظفَنَ علينا بالمدّامةِ غيدُ

(١) في نسخة « قطرة القطر » والقطر - بالفتح - المطر (م)

(٢) رندج : سود ، مأخوذ من البرندج ، وهو مايسود به الخف (م)

(٣) السج - بالتحريك - خرز أسود (م)

[وكم نال من نور الضحى فيك منيس
وماست على السكبان قضبان فضة
وإذ ليتي لم يوقظ الشيب ليلى
ليالى أغدو بين نوبى صباية
وقال :

سأله قبله منه على عجل
وأغسل ما بين إسعاف برقه
وقال : وجهي بذروا خفاء به
وهذا ينظر إلى قوله :

ألمح لقلقى السهرا
غزال لو جرى نفسى
ولكن عنه حدثت
على التنج والخورا
ومن أودى به قر
فكيف يماثب القمر

كانه ذهب إلى قول أبى نواس :

كان نياحه أطلعن من أزواره قمر
يزيدك وجهه حسنا إذا ما زدتَه نظرا
بين خالط التفسير من أجفائها الخورا
ووجهه سارى لو تعوب ماؤه قطرا^(١)

فيل للنجاحظ : من أنشد الناس وأشعرهم ؟ قال : القى يقول : وأنشد هذه
الآيات .

ونظير قوله :

(١) في نسخة « إسعاف برقره » (م)

(٢) السارى أسله التوب الرقيق الجيد ، شبه به الوجه فى ملاسته ونعمته (م)

كَأَنَّ مَيَّابَةَ أَطْلَقْنَ مِنْ أَرْزَارِهِ قَمَرَا

قَوْلُ الْحَكَمِ^(١) بِنِ قَتِيرٍ لِلزَّيْ :

وَيَلِي عَلَى مَنْ أَطَارَ النَّوْمَ فَاثْتَمَا وَزَادَ قَلْبِي إِلَى أَوْجَاعِهِ وَجَمَا
وَقَالَ تَمِيمٌ :

هَبَّتْ وَجْهَهَا بِحَزْنٍ وَجَاءَتْ بِمَدَامٍ مُقْبِلٍ بِرُجَايَ
فَأَثَلَتْ فِي النَّقَائِيزِ مِنْهَا قَرَأَ طَالِعًا وَضَوْءَ سِرَاجِ
فَاسْقِيَانِي بِلَا مِرَاجٍ فَإِنِّي فِي الْمَالِ حَيْرَةٌ بِخَيْرِ مِرَاجِ
وَانْظُرَا الْأَفْقَ كَيْفَ بَدَأَ الْإِصْبَاحُ مِنْ بَعْدِ آيَاتِ بَنُوسِ بِلَاجِ

وَقَالَ :

إِذَا خَذِرْتَ زَمَانًا لَا تُسَرُّ بِهِ كَمْ قَدَأَى سَهْلٌ دَهْرٌ بَدَأَتْهُ^(١)
فَاقْبَلِ مِنَ الْعَرِمَا أَصْطَاكَ مَخْطَطًا لِمَلِّ مُرَكٍّ يَخْلُو فِي ثَقْلِهِ
خُذْهَا إِلَيْكَ، وَدَعْ لَوْحِي، مَشْفُوعَةً مِنْ كَفِّ أَفْقَى أَسِيلِ الْخَدِّ مُذْهَبَةً^(٢)
فِي كُلِّ مُتَقِدٍ حَسَنٍ فِيهِ مَعْتَرَضٌ عَلَيْهِ يَحْمِيهِ مِنْ أَنْ تَسْتَبْدَّ بِهِ
فَكُحْلُ صَنِيبٍ مَمْنُوعٌ بِمُخْتَبَرِهِ وَوَرْدٌ خَذِيذٌ يَحْمِي بِمَقَرِّهِ
لَا تَتْرَكَ الْقَدَحَ لِللَّانِ فِي يَدِهِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْهِ مِنْ تَلْهِبِهِ
فَصْنُهُ مِنْ سَقِينَا ؛ إِنِّي أَغَارُ بِهِ وَسَقَةٍ وَاسْتَقَى مِنْ فَضْلِ مَشْرِبِهِ
وَانْظُرْ إِلَى اللَّيْلِ كَأَنَّ نَجْمِي مِنْهَزِمَا وَالصَّبْحُ فِي إِثَرِهِ يَمْدُو بِأَشْهَبِهِ
وَالْبَدْرُ مُتَصَبِّبٌ مَا بَيْنَ أَنْجُمِهِ كَأَنَّهُ مَلِكٌ مَا بَيْنَ مَوَازِكِهِ

مِنْ الْمُخْتَارِ مِنْ شِعْرِ تَمِيمِ بْنِ الْمَعْرِ

وَإِذَا أَفْضَيْتَ إِلَى ذِكْرِهِ ، فَهَؤُلَاءِ مِنْ مُخْتَارِ شِعْرِهِ ، [قَالَ] :

(١) فِي نَسْخَةِ « الْحَكِيمِ بْنِ قَتِيرٍ » (ر)

(٢) فِي نَسْخَةِ « وَكَمِ آتَى سَهْلٌ دَهْرٌ - إِلَيْهِ » (ر)

(٣) فِي نَسْخَةِ « مِنْ كَفِّ ظَلَمِ أَسِيلِ الْخَدِّ - إِلَيْهِ » وَالْأَفْقَى : الْوَصْفُ مِنَ الْقَنَاءِ

وَهُوَ اِبْتِغَاءُ نَصْبَةِ الْأَفْقَى ، وَأَسِيلِ الْخَدِّ : مُسْتَقِيلُهُ فِي رَقَةٍ (ر)

مُسْتَقْبَلُ الْبَاقِي يَهْوِي وَإِنْ كَثُرَتْ مِنْهُ الذُّنُوبُ وَمَقْبُولٌ بِمَا صَنَعَا
فِي وَجْهِهِ شَافِعٌ يَمْخُو إِسَاءَتَهُ مِنْ الْقُلُوبِ وَجِيهٌ حِينَا شَفَعَا
كَأَنَّمَا الشَّمْسُ مِنْ أَتَوَابِهِ بَرَزَتْ حَسَنَةً، أَوِ الْبَدْرُ مِنْ أَزْوَارِهِ طَلَعَا
استمارة [مأخوذة] من قول الآخر، وهو ابن زُرَيْقٍ :

أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ فِي بَنَدَادٍ لِي قِرَا بِالْكَرْنِخِ مِنْ قَلْبِكَ الْأَزْوَارَ مَطْلَمَهُ
ومن قول أحمد بن يحيى القرآن :

بَنَدَا فَكَأَنَّمَا قِرَا عَلَى أَزْوَارِهِ طَلَعَا

يَحْتَ لِّلْكَ مِنْ عَرَقِ الْجَبِينِ بَنَانُهُ وَلَمَّا

وقال أبو ذر أستاذ سيف^(١) الدولة :

نَضَى الْقِدَاءَ لِمَنْ عَصَيْتُ عَوَازِلِي فِي حُبِّهِ لَمْ أَخْشَ مِنْ رُقَبَائِيهِ
الشَّمْسُ تَطْهَرُ فِي أَسِيرَةٍ وَجْهِي وَالْبَدْرُ يَطْلُعُ مِنْ خِلَالِ قَبَائِيهِ^(٢)
وقال نعيم :

أَلْعَلَّ قَلْبِي وَهَوَى لِي غَيْرُ عَازِلٍ وَأَغْنَى غَرَامِي وَهُوَ مَا بَيْنَ أَضْغَى
وَمَنْ لِي بِصَبْرٍ أَسْتَزِيلُ بِهِ الْجَوَى وَلَا جَلْدِي طَوْحِي وَلَا كِبْدِي مَيِّ
فَأَوَّلُ شَوْقِي كَانَ آخِرَ سَلَوِي وَآخِرُ صَبْرِي كَانَ أَوَّلَ أَذْمِي
وقال :

وَرَدُّ الْخُلُودِ أَرْقَى مِنْ وَرَدِ الرِّيَاضِ وَأَنْتَمُ
هَذَا تَنْشَقُّهُ الْأَنْوَاذُ وَذَا يَقْبَلُهُ الْقَمُّ
وَإِذَا عَدَلْتُ فَأَفْضَلُ السُّورَدَيْنِ وَرَدُّ يُلْتَمُ
لَا وَرَدَ إِلَّا مَا تَوَلَّى صَبْحَ حُسْرَتِهِ الدَّمُ
هَذَا يُشْمُ وَلَا يَضْمُ وَذَا يُضْمُ وَيُشْمُ^(٣)

(١) في نسخة « وقال سيف الدولة » وفي أخرى « وقال أبو دارسان »

تحريف (٢) في نسخة « والبدر يطلع من خلال شانه » (٣)

(٣) كان من حق الرمية عليه أن يقول « ويضم » بالإدغام، لكنه فك

الإدغام إلامة لوزن البيت (٣)

سُبْحَانَ مَنْ خَلَقَ الْخُلُودَ دَ شَقَاكُمَا تُنْقَسُ
وَأَعَارَهَا الْأَصْدَاغَ فَهِيَ بِهَا شَقِيقٌ يُعْلَمُ
وَأَسْتَنْقَى الْأَجْفَانِ قَهْشَى . بَلَحْظَهَا تَكَلَّمَ
وَتَبَيَّنَ لِلْحَبِيبِ عَنْ سِرِّ الْحَبِيبِ فَيَفْهَمُ
وَتَشِيرُ لِمَنْ رَأَتْ الرِّقِيبَ بَلَحْظَهَا فَسَلَّمَ
وَأَعَارَهَا مَرَضًا تَصِحُّ بِهِ الْقُلُوبُ وَتَسْقَمُ
فَتَنُ السُّيُومَ أَجَلٌ مِنْ فِتْنِ الْخُلُودِ وَأَعْظَمُ

وقال :

إِنْ كَانَتْ الْأَلْحَاطُ رُسُلَ الْقُلُوبِ : فِينَا فَمَا أَهْوَنَ كَيْدَ الرِّقِيبِ
قَبْلَتْ مِنْ أَهْوَى بَيْنِي وَلَمْ يَعْلَمْ بِقِيْلَى خَدِّ الْحَبِيبِ
لَكِنَّهُ قَدْ قَطَعَتْ عَيْنُهُ بَلَحْظَ عَيْنِي فِطْنَةً لِلْسَّرِيبِ
إِنْ كَانَ عِلْمُ النَّبِيِّ مُسْتَخْفِيًا عَنَّا فَيَنْدُ اللَّحْظِ عِلْمُ النَّبِيِّ

وقال :

قَالُوا الرِّجَالُ عِلْمِي تَأْتِي سَرِيبًا مِنْ جَادِي
فَأَجَبْتُهُمْ إِنْ أَخَذْتُ لَهُ الْأَمْسَى وَالْحُزْنَ زَادًا^(١)
سُبْحَانَ مَنْ قَسَمَ الْأَمْسَى بَيْنَ الْأَحِبَّةِ وَالْبَعَادَا
وَأَعَارَ لِلْأَجْفَانِ حُسْنًا نَسْتَقْرِقُ بِهِ الْعَبَادَا

وقال :

عَقَرَبُ الصَّدُغِ فَوْقَ تَقَاعَةِ الْخُلْدِ نَعِيمٌ مُطَرَّرٌ بِمَذَابِ
وَسُيُوفِ الْإِحْكَافِ كُلِّ حِينٍ بِأَنْعَاسٍ جَنَى التَّنَائِيَا الْمِذَابِ^(٢)
وَعِيُونَ الْوَشَاةِ يُفْزِدُنَ بِالرَّقَبَةِ وَالنَّعْرِ رُؤْيَا الْأَحْبَابِ^(٣)

(١) الْأَمْسَى : الْحُزْنُ الشَّدِيدُ (م) (٢) جَنَى التَّنَائِيَا : أَرَادَ بِهِ الرِّيقَ (م)

(٣) الرَّقَبَةُ - بِالْكَسْرِ - الْمَرَاقِبَةُ (م)

فَيُشْتَقِي الْحَبُّ وَتُطْفَى
بِالْذَّانِي حَرَارَةُ الْإِكْثَابِ
وقال :

تَرَى عَذَابَاتِهِ قَدْ قَلِمَا بِمَصْدَرِي
وَيْمٌ كَانَ لَهُ فِي كُلِّ جَارِحَةٍ
كَأَنَّ جَوْهَرَهُ مِنْ لُطْفِهِ عَرَضُ
وَاللَّهُ مَا فَتَلَتْ عَيْنِي عَاسِنُهُ
مَا تَصْدُرُ الْعَيْنُ عَنْهُ لَحْظَهَا مَلَأَ
يَا مَنَّهُى أَقْمِلْ لَا تَذَنْ لِي أَجَلِي
إِنْ كَانَ وَجْهَكَ وَجْهًا صَبِيغٌ مِنْ قَرِي
وقال :

أَلَا يَا نَسِيمَ الرِّيحِ هَرَجٌ مَلَأَ
وَهْبٌ عَلَى مَنْ شَفَّ جَسَدِي بِأَذَى
فَلَنْ قَالَ : مَا هَذَا الْحُرُورُ ؟ قُلْ لَهُ :
وَعَتَارُ شَعْرِهِ كَثِيرٌ ، وَقَدْ تَفَرَّقَ مِنْهُ قِطْعَةٌ كَافِيَةٌ فِي أَعْرَاضِ الْكِتَابِ .

[عَوْدٌ إِلَى وَصْفِ النُّجُومِ]

رَجَعَ مَا انْقَطَعَ

قَالَ الصَّاحِبُ أَبُو الْقَاسِمِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عِبَادٍ :

لَقَدْ رَحَلْتُ سُدًى فَبَلَكَ سُدًى ؟
رَعِيْتُ بِطَرْفِي النُّجُومَ لَمَّا رَأَيْتُهَا
تَبَاعَدُ بَعْدَ النُّجُومِ بَلْ هِيَ أَبْعَدُ
تَبِيرُ الثَّرَيَا وَهِيَ قُرُطُ مَسْلَسِلُ
وَقَدْ أُنْعَدْتُ دَارًا فَبَلَ أَنْتَ مُنْعَدُ ؟
وَيَشْتَلُ مِنْهَا الطَّرْفُ ذُرًّا مُبْدَدُ (٢)
وَتَتَرَضُّ الْجُوزَاءُ وَهِيَ كَكَاكِبِ - تَمِيلُ مِنْ سَكْرِ بَيْسَا وَتَمِيدُ (٣)

لِلصَّاحِبِ
ابْنِ عِبَادٍ

(١) السُّمُومُ - فَتَحَ السَّيْنُ - الرِّيحُ الْحَارَّةُ تَهْبُ فِي النَّهَارِ ، غَالِبًا ، وَصَرَادَةُ الرِّيحِ الْحَارَّةِ
مُطْلَقًا ؛ بِدَلِيلِ أَنَّهَا حَارَّةٌ رَوْرًا فِي الْبَيْتِ التَّالِي ، وَأَصْلُ الْحُرُورِ الرِّيحُ الْحَارَّةُ تَهْبُ بِالْبَلِيلِ ،
غَالِبًا (٢) فِي نَسْخَةِ « وَيَطْرَفُ عَنْهَا الطَّرْفُ دَرُ مُنْعَد » وَفِي أُخْرَى
« وَيَطْرُدُ عَنْهَا الطَّرْفُ دَرُ مُنْعَد » (٣) فِي نَسْخَةِ « وَهِيَ كَوَاكِبِ - إِلَخ » (٤)

وَنَحْبِهَا طَوْرًا أَسِيرَ جَنَابَةٍ
وَلَا حَ سُهَيْلٌ وَهُوَ الصَّبِيحُ رَاقِبٌ
أَزْدَدُ طَرَفِي فِي النُّجُومِ كَأَنَّهَا
رَأَيْتُ بِهَا ، وَالصَّبِيحُ مَا حَانَ وَرَدُّهُ ،
وَفِيهِ لَنَا مِنْ مَرْبِطِ الشَّمْسِ أَشَقَرُ
وَإِذَا مَا جَرَى فَالْمَرْحُ تَكْبُورُ وَتَرْكُدُ

لأبي الحاتم

وقال أبو علي الحاتمى :

وَلَيْلٌ أَقْنَا فِيهِ نَعِيلٌ كَأَنَّنا
وَنَجْمُ التُّرْبَا فِي السَّمَاءِ كَأَنَّهُ
عَلَى حُلَّةٍ زَرْقَاءَ جَبَبٌ مَذْرُورٌ

للبحرئ

البحرئ :

وَلَقَدْ تَرَيْتُ مَعَ الْكَوَاكِبِ رَاكِبًا
وَالْيَسْلُ فِي لَوْنِ التُّرَابِ كَأَنَّهُ
وَالْيَسْرُ تَنْصَلُ مِنْ دُجَاهٍ كَأَنَّجِي
حَقٌّ تَبَدَّى الْقَجَرُ مِنْ جَنَابَتِهِ
وَقَالَ الْأَمِيرُ أَبُو الْفَضْلِ لِلْيَكَالِي
أَهْلًا بِفَجَرٍ قَدْ نَصَى ثَوْبَ الدُّجَى

لليكالئ

أَوْ غَادَةً شَقَّتْ صِدَارًا أَزْرَقًا
كَالسِّيفِ جُرْدٌ مِنْ سَوَادِ قِرَابٍ
مَا بَيْنَ ثُغْرَتَيْهَا إِلَى الْأَتْرَابِ

لرجل من بنئ

الحارث ابن كعب

وقال رجلٌ من بنئ الحارث بن كعب يصف الشمس :

مُخَابَةٌ أَمَّا إِذَا اللَّيْلُ جَنَّتْهَا
إِذَا انْشَقَّ عَنْهَا سَطْحُ الْفَجْرِ وَانْجَلَّى
وَأَلَيْسَ عَرْضُ الْأَرْضِ لَوْ أَنَّ كَأَنَّهُ
تَجَلَّتْ وَفِيهَا حِينَ يَبْدُو شَاعَهَا
فَتَخَفَى وَأَمَّا بِالنَّهَارِ فَتَظْهَرُ
دُجَى اللَّيْلِ وَانْجَابَ الْحِجَابُ الْمَسْقَرُ
عَلَى الْأَفْقِ الشَّرْقِيِّ ثَوْبٌ مُعْتَقَرُ
وَلَمْ يَمَلْ لِلْعَيْنِ الْقَصِيرَةِ مَنَظَرُ

(١) الجراز - ما نضم بزة غراب - السيف القاطع ، وللهند : المصنوع فى الهند (م)

(٢) الحضراء : السماء ، والصرح الممرد : القصر الرفيع

(٣) فى نسخة « جيب مذر » تطبيع (م) (٤) قراب السيف : غمده

(٥) فى نسخة « صداراً أوزقاً » تطبيع (م) (٦) فى نسخة « ولم يمل العين القصيرة منظر »

عليها كرزع الزعفران يشبه شماغ تلالاً فهو أبيض أصفر^(١)
 فلما علت وأبيض منها اصفرأوها وجالت كما جال للنبيح للشهر^(٢)
 وجلت الآفاق ضوياً بينها بحر لها وجه الضحى تسفر^(٣)
 ترى الظل يطوى حين تبدو وفارة تراه إذا زالت عن الأرض ينشر
 كما بدأت إذ أشرقت في منيها تعود كما عاد الكبير للممر
 وتدنف حتى ما يكاد شعاعها يبين إذا ولت لمن يتبصر
 فأفتت قرونا وهي في ذلك لم تزل تموت وتحي كل يوم وتلشر

[أجل ما قال العرب]

وقال عبد الله بن مروان لبعض جلسائه يوماً : ما أحكم أربعة أبيات قالتها
 العرب في الجمالية ؟ فأنشده :

منع البقاء تقلب الشمس وطلوعها من حيث لا تسمى
 وطلوعها يضاء صافية وغروبها صفراء كالورس
 تجري على كبد السماء كما يجري حمام الموت في النفس
 اليوم تعلم ما يحويه به ومضى بفضل قضائه أمس

قال : أحسنت ، فأخبرني بأندح بيت قالته العرب في الشجاعة ، قال : قول
 كعب بن مالك الأنصاري :

نصل السيوف إذا قصرت بخطونا قدماً ، ونلحقها إذا لم تلحق
 قال : فأخبرني بأفضل بيت قيل في الجود ، فأنشده لحاتم طي :

(١) في نسخة « كرزع الزعفران » تطبيع ؛ وردع الزعفران : أيه (م)

(٢) النبيح : أحد ثلاثة أقذاح من أقذاح الميسر لا تصيب لواحد منها ، والآخران :

السفيح ، والوعد (م) (٣) وجه الضحى : أوله ، وانتصاه على الظرفية (م)

أماوى ما يفتى الثراء عن الفقر إذا حترحت يوماً وضق بها الصدر
ترى أن ما أقيمت لم أك رغبة وأن يدى مما بتخلت به جيفر
ألم تر أن اللال غادر ورائع ويبقى من اللال الأحاديث والقد كور
غينا زمانا بالتصمك والنقى فكلأ سقاه بكأسهما الدهر
فما زادنا بقيا على ذى قرابة غناك، ولا أزرى بأحسانا الفقر
قال : فأخبرنى عن أحسن الناس وصفا ، قال : الذى ^(١) يقول :
كان قلوب الطير رطباً وباساً لدى ذكرها السحاب والخشف البالي
والذى يقول :

كان عربون الوخش حول خباتنا وأرسلنا الجزع الذى لم يقب
والذى يقول :

وتعرف فيه من أليه شمائل ومن خاله ومن يزيد ومن حجب
ساحة ذاء مع برذا ، وواء ذاء ونائل ذاء إذا صتا وإذا سكر
يريد امرأ القيس .

ومن ألقاظ أهل المصر فى طلوع الشمس وغروبها

ومتوع النهار ^(٢) واتصافه ، وابتدائه ، وانتهائه

بدا حاجب الشمس ، ولمت فى أجنحة الطير ، وكشفت قناعها ، ونثرت
شعاعها ، وارتفع سرادقها ، وأضأت مشارقها ، وانتشر جناح الضوء فى أفق
الجو . طنب شعاع الشمس فى الآفاق ، ودعبت أطراف الجدران . أبيض النهار ^(٣)
وارتفع . استوى شتاب النهار ، وعلا روق الضحى ، وبلفت الشمس كبد السماء

(١) الأبيات الآتية فى الوصف كلها لامرىء القيس بن حجر الكندى (م)

(٢) يقول « منع النهار » من باب فتح - إذا ارتفع وبلغ غاية ارتفاعه قبل

الزوال (م)

(٣) كذا . وفى نسخة « أبيض النهار » وما أراها شيئاً (م)

اتصل كل شيء ظلّه ، وقام قائمُ المَاجِرَةِ ، ورمّت الشمسُ بِجَمَرَاتِ الظَّهِيرِ . اصفرّت
غَلَاةُ الشمسِ ، وصارت كأنّها الدِّينَارُ يلمعُ في قرارِ الماءِ ، ونفّستَ تَبْرًا على
الأصيلِ . وشدّت رَحْلَهَا للرحيلِ ، وتصوّبتَ الشمسُ للغيبِ ، وتضيقَت للغروبِ^(١)
فأذِنَ جَنبُهَا للوجوبِ^(٢) . شابَ النهارُ ، وأقبلَ شبابُ الليلِ ، ووقفت الشمسُ
للعيانِ ، وشافَهَ الليلُ لسانَ النهارِ . الشمسُ قد أشرقتَ بروحها ، وجنعت
للقروب ، وشافعتَ دَرَجَ الوجوبِ . الجوُّ في أطوارِ منهجةٍ من أصالهِ^(٣) ، وشغوف
مورثةٍ من غَلَاةِ . استترَ وجهُ الشمسِ بالنقَابِ ، وتوارتَ بالحجابِ . كان هذا
الأمرُ من مطلعِ الفلقِ ، إلى مجتمَعِ الفَسَقِ . فلانَ يركبُ في مقدمة العُشْبِ ، ويرجع
في ساقَةِ الشَّقِ ، ومن حينَ تفتحُ الشمسُ جَفَنَهَا ، إلى أن تغمضَ طَرَفَهَا ، ومن
حينَ تسكنُ الطيرُ أوكارَهَا ، إلى حينَ ينزلُ السَّراةُ مِنْ أكوارِهَا

مقامة لأبي الفتح الإسكندري من إنشاء البديع ، انصَلَّتْ بِذِكْرِ اللَّيْلِ والنَّهَارِ القامة الكوفية
قال عيسى بن هشام : كنت وأنا قتيُّ السنِّ أشدُّ رَحْلِي لكلِّ عَمَاةٍ ،
وأركضُ طَرَفِي لكلِّ غَوَاةٍ ، حتى شربتُ من العُمَرِ سائِهه ، ولبستُ من الدهرِ
سَابِقَه ، فلما صاح النهارُ بجانب ليلى ، وجهتُ للمعادِ ذَبِيلِي ، وطِطْتُ ظَهْرِي
لِلْمَرُوضَةِ ، لأداءِ المفروضة ، وصَحِبَتِي في الطريقِ رَجُلٌ لم أنكره من سوءِ ،
فلما تخالينا ، وحينَ تخالينا ، سَفَرَتِ القِصَّةُ عن أصلِ كوفيٍّ ، ومَذْهَبِ صوفيٍّ ،
وسِرِّنا فلما حللنا السكوفةَ مِلْنَا إلى دارِهِ [ودخلناها] وقد بَقِلَ وجهُ النهارِ ،
واخضرَّ جانبُهُ ، ولما اغتمضَ جَفَنُ اللَّيْلِ وطَرَّ شَارِبُهُ قُرْعَ عَلَيْنَا البابَ ، قَلْنَا : من
القارعِ الْمُتَنَابِّ ؟ فقال : وَفْدُ اللَّيْلِ وبريده ، وَقَلُّ الجوعِ وطريده ، وأسيرِ

(١) تضيقَت للغروب : مالت نحو المغرب (م)

(٢) أذِنَ جنبها : استمع ، وأراد أطاع ، والوجوب : السقوط (م)

(٣) الأطوار : جمع طمر - بالكسر - وهو الثوب البالي ، ومنهجة : نمرة
بالية ، والأصائل : جمع أصيل ، وهو الوقت الذي قبل غروب الشمس ، وفي نسخة

« الجو في أطيَارِ بهجة - إلخ » (ر)

الغمر، والزمن المر، وضيء وطوء خفيف، وضالته رَغِيف، وجار يستعدي
على الجوع، والجَنِب للرقوع، وغريب أوقدت النار على سفره، ونبع العواء
في أمره^(١)، ونُيذت خلفه الحُصَيَات، وكُنِيت بده القَرَصَات، فَنَضَوْه طَلِيح،
وحيثه تبرج^(٢)، ومن دون أفراخه مهابه فيح^(٣).

قال عيسى بن هشام : قَبِضْتُ من كَيْسِي قَبِيضَةَ اللَّيْثِ وَبَسْتَهَا إِلَيْهِ ، وَقُلْتُ
زِدْنَا سَوْالًا نَزِدَكَ نَوَالًا ، فَقَالَ : مَا عَرِضَ عَرَفُ الْعُودِ ، عَلَى أَحَدٍ مِنْ نَارِ الْجُودِ ،
وَلَا لَقِيَ وَفَدَّ الْبِرِّ ، بِأَحْسَنٍ مِنْ بَرِيدِ الشُّكْرِ ، وَمِنْ مَلِكِ التَّقْضَلِ فُلْيُوسَ ، فَلَا يَذْهَبُ
الْعَرَفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ ، وَأَمَّا أَنْتَ فَحَقَّقْ اللَّهَ أَمْلَكَ ، وَجَعَلْ الْيَدَ الْمُلْكُ لَاك .
قال عيسى بن هشام : فَتَحْنَا الْبَابَ ، فَإِذَا شَيْخُنَا أَبُو الْفَتْحِ الْإِسْكَانْدَرِيُّ ،
قَتَلْنَا : يَا أَبَا الْفَتْحِ ، شَدُّ مَا بَلَنْتُ بِكَ الْخَصَاصَةَ ، وَهَذَا الرَّيُّ خَاصَةٌ ! فَخَسِمَ
وَأَنشَأَ يَقُولُ :

لَا يَسْرُنَكَ الَّذِي أَنَا فِيهِ مِنَ الطَّلَبِ
أَنَا فِي بُرْقَةٍ تَشْقِي لَهَا بُرْقَةُ الطَّرَبِ
أَنَا لَوْ شِئْتُ لَأَتَّخَذْتُ شِقَاقًا مِنَ الذَّهَبِ

[من رسائل البديع]

وكتب البديع إلى بعض إخوانه : غَضِبُ الْمَاشِقِ أَقْصَرُ مَرَامٍ أَنْ يَنْظُرَ
حَذَرًا ، وَإِنْ كَانَ فِي الظَّاهِرِ مَهَابَةٌ سَيِّفٌ ، إِنَّهُ فِي الْبَاطِنِ سَعَابَةٌ صَيِّفٌ ، وَقَدْ
رَأَيْتُ بَنِي إِعْرَاضِهِ صَفْحًا ، أَلْجَدُّ أَقْصَدُ أَمْ مَرَحًا ، وَلَوْ التَّبَسَّ الْقَلْبَانِ حَقَّ التَّبَاسُمَا
مَا وَجَدَ الشَّيْطَانُ بَيْنَهُمَا مَسَافًا ، وَلَا وَاللَّهِ لَا أُرِيكَ رَدًّا ، أَجِدُّ مِنْهُ بَدًّا ،
وَلِنْ حَبَّةٍ تَحْتَمِلُ شَكًّا لِأَجْدَرُ حَبَّةٍ ، أَلَّا تُشْقَى بِحَبَّةٍ ، وَإِنْ كَانَ

من البديع
إلى بعض
إخوانه

- (١) نبع الكلب باحا : صاح ، والعواء : الكلب الكثير العواء (م)
(٢) فضوه — بالكسر — أراد به مطيته ، وطلبيح : هزيل مريض ؛ وتبرج
من قولهم « برج به المرض ونحوه » إذا شق عليه وأجهده (م)
(٣) للمهامة : جمع مهمه ، وهي الصغراء ؛ والتبيح : جمع فيعا . وهي الواسعة (م)

قَصَدَ مَرَّحًا فَا أَغْنَانَا عَنْ مَرَحٍ يَحُلُّ عَقْدَ الْقَوَادِ [حتى تَف على المراد ، ولا تسنا
إلا المافية] والسلام .

وله إليه : المودة - أعزك الله - غيب ، وهو في مكان من الصدر ، لا ينفذه
بصر ، ولا يذركه نظر ، ولكنها تُعَرَفُ ضرورة ، وإن لم تظهر صورة ،
ويدركها الناس ، وإن لم تدركها الحواس ، ويستغنى المرء بصحتها من صدره ،
ويعلم حال غيره من نفسه ، ويعلم أنها حب وراء القلب ، وقلب وراء الغلب^(١) ،
وغلب وراء العظم ، وعظم وراء اللحم ، ولحم وراء الجلد ، وجلد وراء الثريد ،
ورَد [وراء البعد] . ولو كانت هذه الحجب قوارير لم ينفذها نظر ، فيستدل
عليها بغير هذه الحاشة بدليل إلا أن أزوره ، والله لو التبت به التباساً ، يعمل
رأسنا رأساً ، مازدته ودّاً ، ولو حال بيني وبينه سورُ الأعرافِ ، ورملُ الأحقافِ ،
ما قصته حقاً .

وقال الأمير أبو الفضل اليكالي :
لأبي الفضل
اليكالي

وَعَزَّالٍ مَنَحْتُهُ ظَاهِرَ الْوَدِّ فِجَازِي بِالْمَسْدِ وَالِإِتْحَابِ
لَمْ أَلَمْهُ إِنْ رَدَّنِي لِحِجَابِ رَدَّنِي وَإِلَهُ الْقَوَادِ لِيَأْ بِي^(٢)
هُوَ رُوحٌ وَلَيْسَ يُنْكَرُ لِلرُّوحِ حِجَابٌ تَوَارِعَ عَنْ الْوَرَى بِحِجَابِ

وللبدیع إلى أخيه :

كتابي أطال الله بقاءك ، ونحن وإن بعدت الدار فرعاً نبتة ، فلا يجنبني
بُعدِي على قُربك ، ولا تمحوَن ذِكْرِي من قلبك ، فالأخوان ، وإن كان أحدهما
بخراسان والآخر بالحجاز ، مجتمعان على الحقيقة مفترقان على الحجاز ، والاثنتان في

(١) الغلب - بكسر الحاء وسكون اللام - لحمه رقيقة تصل بين الأصلاخ .

(٢) في نسخة :

« لم أله إذ أنزوى في حجاب * رَدَّنِي وَإِلَهُ الْحَشَا دَا التَّهَابِ » (٣)

(٣) - زمر الآداب (٢)

المنى واحد وفى اللفظ اثنان ، وما بينى وبينك إلا ستر، طوله فتر، وإن صحبى رفیق ، اسمه سويق ، لثقتين سريماً ولنسمدن جميعاً ، والله ولى المأمول .

وكتب أبو الفضل بن الميديد إلى بعض إخوانه :

من ابن الميديد
لبعض إخوانه

قد قُربَ - أيدك الله - محمك على ترأخيه ، وتصاقت مستقرتك على تنأخيه ؛
لأن الشوق يمثلك ، والذكر يحتملك ؛ فحنن فى الظاهر على افتراق ، وفى الباطن
على تلاق ، وفى التسمية متباينون ، وفى المنى متواصلون ، وإن تفرقت الأشباح ،
لقد تماقت الأرواح .

جمله من كلام ابن المعتز فى الفصول القصار

الدهر سريعُ الوتة ، شنيعُ الثمرة . أهلُ الدنيا كزكبر يُسارهم وهم
ريام . والناسُ وفدُ البلى ، وسكانُ الترى ، وأقرانُ الردى . المرءُ نُصبُ الحوادثِ
وأسيرُ الاغترار . الآمانُ حصائدُ^(١) الرجالِ . الحرصُ ينقصُ للمرءِ من قدره ، ولا يزيدُ
فى رزقه . الكذبُ والحسدُ والتفاحُ أُنانيُّ الدل . التمامُ جسرُ الشر . الحاسدُ
اسمُ صديقٍ ومعناه عدو . الحاسدُ ساخطٌ على القدرِ ، ومفتاحٌ على من لا ذنبَ له ، بحيلٍ
بما لا يملكه ، يشفيك [منه] أنه يفتنُ فى وقتِ سرورك . الفرصةُ سريعةُ القوتِ
بطيئةُ القود . الصبرُ من ذى المصيبةِ مصيبةٌ على ذوى الشئام . التواضعُ سلمُ
الشرف ، والجودُ صوانُ المرضِ من الدم . النذرُ قاطع . [الأسرار] إذا كثرت^(٢)
خزأتها ازدادت ضياعاً سوء . كشجرة النارِ يحرقُ بعضها بعضاً . عَبدُ الشهوةِ
أذلُّ من عبدِ الرزق . وعاءُ الخطأِ بالصمتِ يحتم ، وانفراقُ بالرفقِ يلهم . الرعدُ
مرضُ المروف ، والإنجازُ برؤء ، والمطلُّ تلفه . إذا خضرَ الأجلُ ، انفضح

(١) فى نسخة « الآمال مصائر الرجال » ولا تصح قطعاً ولا معنى (م)

(٢) فى نسخة « كنوز السر إذا كثرت خزائنها - إلخ » (م)

الأمل . لَا تَشِينُ وَجْهَ الْغَوْرِ بِالْتَفَرُّعِ . لَا تَتَكَبَّرُ خَاطِبَ سِرِّكَ . وَمَنْ زَادَ أَدَبَهُ عَلَى عَقْلِهِ كَانَ كَالرَّاحِي الضَّعِيفِ مَعَ شَاهٍ كَثِيرَةٍ .

قال أبو العباس الناشي لأبي سهل بن نوبخت :

زَعَمْتَ أَبَا سَهْلٍ بِأَنَّكَ جَامِعٌ ضُرِبَ بِأَمْنِ الْأَدَابِ بِجَمْعِهَا الْكَمَلُ
وَهَبَّكَ تَقُولُ الْحَقُّ أَيْ فَضِيلَةٌ تَكُونُ لَنَفْسٍ عِلْمٌ وَلَيْسَ لَهُ عَقْلٌ
وَالْمُحِبُّ حَبْسُ الرُّوحِ . قُلُوبُ الْقَلَاءِ حَصُونُ الْأَسْرَارِ . مَنْ كَرُمَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ
هَانَ عَلَيْهِ مَالُهُ . مَنْ جَرَى فِي هَوَانِ أَمَلِهِ ، عَثَرَ بِأَجَلِهِ . مَا كُلُّ مَنْ [يُحْسِنُ] وَعَدَهُ
يَحْسُنُ إِنْجَازَهُ . رُبَّمَا أَوْرَدَ الطَّمَعُ وَلَمْ يُصْدِرْ ، وَضَمِنَ وَلَمْ يُوفِ . وَرُبَّمَا شَرَقَ شَارِبُ
لِللَّاهِ قَبْلَ رِيَةٍ . مَنْ تَجَاوَزَ الْكَفَافَ لَمْ يُفْنِمْهُ إِلَّا كَثَارٌ . كَلَّا عَظُمَ قَدَرُ الْمُنَافِسِ
فِيهِ عَظُمَتِ الْقَبِيحَةُ بِقُدْرِهِ ، وَمَنْ أَرْحَلَهُ الْخِرَاصُ أَنْفَضَهُ الطَّلَبُ . الْأَمَانِيُّ تُنْمِي
أَعْيُنَ الْبَصَائِرِ ، وَالْحَظُّ يَأْتِي مَنْ لَمْ يُوْثِقْهُ . وَرُبَّمَا كَانَ الطَّمَعُ وَءَاكَ حَشْوُهُ الْمُتَالِفُ ،
وَسَاقِيًا يَدْعُو إِلَى التَّدَامَةِ . مَا أَخْلَى تَلَقَّى الْبَنِيَّةِ ، وَأَمْرٌ عَاقِبَةُ الْفِرَاقِ . مَنْ لَمْ
يَتَأَمَّلِ الْأَمْرَ يَبْغِي عَقْلَهُ ، لَمْ تَنْفَعْ حِيلَتُهُ إِلَّا عَلَى مَقَاتِلِهِ .

[رثاء المعتضد ، وتمرّيته]

وقال أبو العباس يَرْتَفِي للمعتضد :

قَضَوْا مَا قَضَوْا مِنْ أَمْرِهِمْ ثُمَّ قَدَّمُوا إِمَامًا إِمَامًا اتَّخَلَّقَ بَيْنَ يَدَيْهِ^(١)
وَصَلَوْا عَلَيْهِ خَاشِعِينَ كَانَهُمْ صُفُوفٌ قِيَامٌ لِلسَّلَامِ عَلَيْهِ
وقال يَرْتَفِيه :

قَالَتْ شَرِيْرَةٌ مَا تَلْجُفِيكَ سَلْهَرًا قَلْبًا ، وَقَدْ هَدَأَتْ عَيُونَ التُّوَمِ^(٢)
مَا قَدْ رَأَيْتُ مِنَ الزَّمَانِ أَحْلَى بِي . هَذَا ، وَتَحْتَ الْعَدْرِ مَا لَمْ تَعْلَمِي

(١) في نسخة « ثم قدموا » إماما إماما الحق - إلخ (م)

(٢) في نسخة « قالت شريرة » بالسين الهمزة (م)

فاقص صبراً للزمان ودينه
 إن الذي حاز الفضائل كلها
 أما السيوف فمن صنائع بانه
 وكان أحداث الزمان عيده
 يظفان من سنو الضيق قلبه
 يزغى الضمان قبل ساعة فرصة
 كم فرصة تركت فصار غصة
 ولرب كيد ظل يستجد بسدها
 وهي للناس إن رمين بتبينها
 فهددك أي لث مكتيبة
 ولقد عرت ولا حريم معاند
 وقال للمتصد يعز به بانه هرون :
 يا ناصر الدين إذ هدت قواعده
 وقائد الخليل مذ شدت مآزره
 كأنهم قنا ليست لها عقد
 قب كلى ثياب الضرب مضرة
 وسائس الملك يزغاه ويكلؤه
 تخرى أنامله الدنيا لصاحبها
 كالشهم يبتئ الرأي فصفحته
 لا يشتكي الدهر إن خطب ألم به
 صبراً ، فدينك إن الصبر عادتنا

فهو اللى بما كرفت فلى
 هو ذاك فى قصر الضريح العظيم
 لولاه لم يزوين من سفك الدم
 ففى يؤخرهن لا تقدم
 وممول للممول للتظلم
 فإذا رآها أمكنت لم يحجم
 تشجى بطول تلهف وتندم
 فى بشر وجه مطلق متجهم
 يرمين فى نفس الأجل الأعظم
 والخمىل تعثر بالقنا التحطم
 حرم ولا الإسلام بالمسلم

وأصدق الناس فى يؤنى وإنعام
 مذلات يسراج وإلجام
 يهزها الزجر فى كرك وإلجام
 تقرب النار بين البيض والحام^(١)
 إذا خلا الفمض فى أجنان نوام
 ونضله من عداة قاطر داي^(٢)
 تلقى الردى دونه ، والتوق للراي^(٣)
 إلا إلى صمدة أو حد صمام^(٤)
 وإن طويتنا على حزن وتهيام

- (١) فى نسخة « قب كلى ثياب القصر » تطبيع ، والصعب - بالفتح - برد
 يعنى يجمع غزله ويشد ثم يصنع وينسج ، وقيل : هى برود غخططة (م)
 (٢) عرى : أسفه قولهم « عرى فلان الضرع بحربه » إذا استخرج لبنه (م)
 (٣) فوق السهم : موضع الوتر منه (م) (٤) الصمام : السيف (م)

فياذر الآخر نحو الصَّغِيرِ مَحْتَبَاً إِنَّ الْجَزُوعَ صَبُورٌ بَعْدَ الْإِمَامِ
ولما ماتت دُرَيْدَةُ^(١)، وهي جاريةٌ [المتضد، و] كانت مَكِينَةً عنده، جزع جازيته دويحة
عليها جزعا شديداً، فقال له عبيد الله بن سليمان: مثلك يا أمير المؤمنين تهون عليه
للصائب؛ لأنك تجد من كل قعيد خلفاً، وتنال جميع ما تريد من العِوض،
والعِوض لا يوجد منك، فلا ابتلى الله الإسلام بقديك، وعمره بطول بقاء عمره،
وكان الشاعر عني أمير المؤمنين بقوله:

يُبْكِ عَلَيْنَا وَلَا نَبْكِ عَلَى أَحَدٍ لَنَحْنُ أَغْلَطُ أَكْبَاداً مِنَ الْإِبِلِ
فضحك المتضد وتسلّى وعاد إلى عادته.

قال محمد بن داود الجراح: فلقيني عبيد الله فأخبرني بذلك، وقال: أرزقت
شراً في معنى البيت الذي أنشدته فإ وجدته؛ قلت له قد قال البطلين البجلي:
طوى الموت ما بيني وبين أحبةٍ بهم كنتُ أعطي من إساءةٍ وأمنعُ
فلا يحسب الوائشون أن قناتنا تلين، ولا أنا من الموت نجزعُ
ولكن للألاف لا بدّ - لوعةً إذا جلت أقرانها تنقطع^(٢)
فكتبه، وقال: لم حفظته لما عدلت عنه.

[من شعر ابن المعتز]

وقال ابن المعتز، وذكر اللوقي:
وسكّانٍ دارٍ لا تزاورَ بينهم على قُربٍ بعضٍ في الهمة من بعضٍ
كانَ خوانياً من الطين فوقهم فليس لها حق القيامة من فنن
وقال يمدح عبيد الله بن سليمان:

(١) في نسخة « دويحة » (م)

(٢) في نسخة « إذا جلت أقرانها تنقطع » (م)

أَيَا مُوَصِّلَ الثَّمَنِ عَلَى كُلِّ حَالَةٍ
كَأَيُّ لِحْقِ النَّيْثِ الْبِلَادَ بَسِيلَهُ
وَمَا مَقِيلًا وَالْدَّهْرُ عَنِّي مُفْرَضٌ
وَيَا مَنْ يَرَانِي حَيْثُ كُنْتُ بِقَلْبِهِ
لَقَدْ رُمْتُ فِي آمَالٍ غَضِي كُلِّهَا
ذَكَرْتُ مَنَى تَتَمَّ الْإِمَامُ وَعَيْنُهُ
وَكَمْ نَمَصَةٍ لَهُ فِي صَرْفِ نَهْمَةٍ
وَمَا كُلُّ مَا تَهْوَى النَّفْسُ بِتَأْفَرٍ
قوله : * كَأَيُّ لِحْقِ النَّيْثِ الْبِلَادَ بَسِيلَهُ * مأخوذ من قول هِشَلِ بْنِ حَرَى

وقد بحث إليه كثير بن الصَّلْتِ كُسُوةً ومالا من المدينة :

جَزَى اللَّهُ خَيْرًا وَالْجَزَاءُ بِكَفَةٍ
أَنَا وَأَهْلِي بِالْمَرَاقِ فِدَاهُمْ
وقال ابن اللؤلؤي :

سُرِرْتُ بِمَغْفِرٍ إِذْ حَلَّ أَرْضِي كَمَا سُرَّ لِلْمَغْفِرِ بِالْإِيَابِ
كَمْ طَوَّرَ بِلَدَتِهِ فَأُذِنَ لِي غَنِيًّا عَنْ مَطَالِمَةِ السَّعَابِ

وبعث عبدُ الله بنُ طاهرٍ إلى أبي الجنوب بن أبي حفصة وهو ببنداد عشرين
ألفَ دِرْهمٍ فقال :

لَمَرَى لِنَمِّ النَّيْثِ غَيْثُ أَصَابِنَا ببنداد من أرض الجزيرة وإيَّله^(١)
وَنِعَمَ الْفَقْرِ وَالْيَدُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ بعشرين ألفاً صَبَّحْتَنِي رَسَائِلُهُ^(٢)

(١) الوايل : المطر الغزير (م)

(٢) اليد : الصحارى ، واحدها يدهاء (م)

فَكُنَّا كَحَيِّ صَبَّحَ النَّيْتُ أَهْلَهُ وَلَمْ تَنْجَعْ أَظْمَانُهُ وَحَمَانُهُ
أَنْ جُودَ عَبْدُ اللَّهِ حَتَّى كَفَتْ بِهِ رَوَّاحُنَا سِرَّ الْقَلَاةِ رَوَّاحِلُهُ
[أبو شجاع]

وكانت بنو كلاب ومن والآها من العرب بنواحي الكوفة تجتمعوا وعزموا على أخذ الكوفة سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة، فبعث أبو شجاع عضد الدولة دينر^(١) ابن لشكروز فأصلحهما، وكان أبو العليب المتقي بها فوصله وبعث إليه خلعاً وقاد إليه فوساً بترجّيع قيل، ، قتال في قصيدة :

فَلَوْ لَمْ يَسِرْ سِرْنَا إِلَى بِأَغْصَى غَرَائِبَ يُؤَيِّرُنَ الْجَيَادَ عَلَى الْأَهْلِ
وَمَا أَنَا مِنْ يَدْعَى الشُّوقِ قَلْبُهُ وَيَمْتَلِئُ فِي تَرْكِ الزَّوَارِ بِالشَّغْلِ
وَلَكِنْ رَأَيْتَ الْفَضْلَ فِي الْقَصْدِ شِرْكَةً فَكَانَ لَكَ الْفَضْلَانِ فِي الْقَصْدِ وَالْفَضْلُ
وَلَيْسَ الَّذِي يَنْتَعِ الْوَيْلَ رَائِدًا كَنْ جَاءَهُ فِي دَارِهِ رَائِدُ الْوَيْلِ
[الموفق العباسي]

وكان ابن المنزّ يمدح أبا أحمد بن التوكل ، ويلقب بالناصر والموفق ، وكانت حاله ترامت في أيام المعتضد إلى غاية لم يبلغها الخليفة ، وقد ذكرها الصولي في قصيدة [لصاحب النرب] ، وقال وقد اقتصر خلفاء بني العباس من أولهم ومعتضد من بعده وموفق يُرَدُّدُ مِنْ إِرْثِ الْخِلَافَةِ مَا ذَهَبَ مُوَازٍ لَمْ فِي كُلِّ فَضْلٍ وَسُودِدَ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْعَدَمِ مِنْهُمْ لَنْ حَسِبَ^(٢) وقال المعتضد ، أَوْ قِيلَ عَلَى لِسَانِهِ ، لَمْ يَغْلِبِ الْمَوْفِقُ عَلَى أَمْرِهِ :
أَلَيْسَ مِنَ الْعَجَائِبِ أَنْ مَثَلِي يَرَى مَا هَانَ مِمَّنِّي عَلَيْهِ
وَتَوَخَّذَ بِأَمِيمِهِ الدُّنْيَا جِيحًا وَمَا مِنْ ذَاكَ شَيْءٍ فِي يَدِيهِ
وشرح ابن المعتز فيه :

(١) في شرح ديوان المتنبي « دلير » باللام مكان النون (م)

(٢) في نسخة « ينازلهم في كل فضل - إلخ » (م)

إليك امتطينا العيس تنفع في البرى
 صدين من التهنيد حتى كأنها
 فبتنا ضيوفاً للفلاة قرام
 بهز برود العصب فوق متونها
 ولما طنى أمر الدعي رميته
 وجرد من أعواده كل مرهف
 جرى فوق متليه الترنيد كأنما
 وأعلته كيف الصافع بالقتا
 سريع إلى الأعداء، أماجابه
 وبغرى السؤال المذمر من بعد ماله
 أخذ معنى قوله : « نسيم كنفث الرقيات عليل » عبد الكريم بن إبراهيم،

قال :

سلام على طيب رؤى حاتنا
 إلى مزبد الموج طابى الثبا
 نخل به قطعاً مقرما
 يكر على قطع مقرم
 وبسجوا فيسحب في ذائل
 يمان نسهم بالأنجم
 كان الشمال على وجهه
 بها سقم وهي لم تسقم
 ضيفة رثن كنفث الرقي
 على كبد اللذذ للفرم
 إذا درجت فوقه درجته في حبك الزرد للحكم
 وقد جلتسه بأوراقها
 فروع غدتها نطاف الثم
 علتها الحمام بتريدها
 كما سجع التوح في مائهم

(١) الضيق ، والنمس ، والشميل : ضروب من السر السريع (م)

(٢) العصب : السيف القاطع ، وظيل : مكسور (م)

(٣) المخفرم : العظيم (م) (٤) الساسم : شجر أسود، ويقال : هو الأبوس.

كَأَنَّ شَمَاعَ الضَّحَى يَبْنَاهَا عَلَى السَّوْسَنِ الضَّحَى وَأَتْلُورِمَ
وَشَامِعٍ مِنْ ذَهَبٍ سَائِلٍ عَلَى خَسْرَوَانِيَّةٍ نَمَمَ
رُبَا تَتَفَقَّأُ مِنْ فَوْقِهَا عَزَّالِي الرِّبْعِ لَهَا أَسْرَرِمَ^(١)
عَلَى كُلِّ مَحْبِيَّةٍ خَلَّةٍ تَسْدَى عَلَى جَدُولٍ مَنَمَ
كَأَنَّ فِلسَ الْوَقْتِ صَوَّاعُهُ وَكَأَنَّ أَرْقَمَ انْتَابَ لِلْأَرْقَمِ

[صاحب الزنج]

وقول ابن المنذر «ولما طعن أمرُ الدعي» يريد صاحب الزنج بالبصرة، وكانت شوكته قد انقضت وظنير به بعد موافقة كثيرة، وفي ذلك يقول ابن الرومي في قصيدة طويلة جدا يمدح فيها أبا أحمد [للوفيق بن المتوكل]، وصاعد بن خالد، والعلاء بن صاعد ابنه، وهي من أجود شعره، قال [:

أَبَا أَحْمَدٍ أَبْلَيْتَ أَنَّهُ أَحَدٌ بِلَاءِ سِرْضَاهُ ابْنُ عَمَلِكِ أَحَدٌ
حَصَرْتَ عَمِيدَ الزَّيْجِ حَتَّى تَحَاذَلَتْ قُوَاهُ، وَأَوْدَى زَادُهُ لِلزُّوْدِ^(٢)
فَقُلْتُ، وَلَمْ تَقْتُلْهُ، يَلْفُظُ نَفْسُهُ وَظَلَّ، وَلَمْ تَأْسِرْهُ، وَهُوَ مَقِيدُ
وَكَأَنَّ نَوَاحِيَهُ كَتَفًا فَلَمْ تَزَلْ تَحْتِمُهُمَا شَحْنًا كَأَنَّكَ مِزْدُ^(٣)
تَفَرَّقَ عَنْهُ بِالْمَكَايِدِ جُنْدُهُ وَيَزْدَادُهُمْ جُنْدًا وَجُنْدُكَ مَحْصَدُ^(٤)
وَلَا يَسُتَفِيهِ الْقُرْنُ بِدَاسْتَلَايِهِ أَضْرُهُ لَهُ مِنْ كَاسِدِيهِ وَأَكِيدُ
فَا رُمْتَهُ حَتَّى اسْتَقَلَّ بِرَأْيِهِ مَكَانَ قَنَاقِرِ الظُّهْرِ أَيْمَرُ أَجْرَدُ

[هذا مأخوذ من قول مسلم بن الوليد :

ورأس مهراق قد ركبت قلته
ولم تأل إنذاراً له غير أنه
سكنت سكونا كان رهنا بوثبة
هذا مأخوذ من قول النابغة :

(١) في نسخة « عزالي الربيع لدى للرم » (ر)

(٢) أودى : هلك (ر) (٣) في نسخة « وكانت نواحيه كفافا » تطبيع (ر)

(٤) في نسخة « وجندك محصد » (ر) (٥) حماس : شديدة (ر)

وقلت يا قوم إن الليث متقبض على برائته للوسبة الضارية
ويقول في مدح صاعد :

يقرظ إلا أن ما قيل دونه • ويوصف إلا أنه لا يمدد^(١)
أرق من الماء الذي في خايه طياعاً ، وأمعى من شباه وأنجد
له سورة مكتنة في سكتة كما اكن في النيد الجراز للهند
كان أباه حين سماء صاعدا رأى كيف يرتقى في المال ويصمد

[لما سمع البحري هذا البيت قال : منى أخذه ، في قوله في الملا بن

صاعد] :

سماء أسرته الملا وإعسا قصدوا بذلك أن يتم علاه
وهذا في قوله ، كما قال [ابن] للرزبان وقد أنشد لابن المعتز في مناقصة

الطالبيين :

دعوا الأسد تسكن في غابها ولا تدخلوا بين أنيابها
فنحن ورتنا ثياب النسي فلم تجذبون بهدأبها
[قال :] قد أخذه من [قول] بعض الباسيين :

دعوا الأسد تسكن أغيلها ولا تقربوها وأشبالها
ولكنه سرق ساجاً ، ورد عاجاً ، وغل قطيفة ، ورد ديباجاً .
ومن قصيدة ابن الرومي :

تراه على الحرب التوان بمنزل وآثاره فيها ، وإن غلب ، شهد
كما احتجب القدار والحكم حكمة على الخلق طراً ليس عنه ممرد^(٢)
البحري :

ولي الأمور بنفسه ، وعملها متقارب ، ومراهم متباعد^(٣)

(١) في نسخة « ويوصف إلا أنه يتجدد »

(٢) ليس عنه ممرد : ليس عنه مهرب (م)

(٣) في نسخة « ربي الأمور بنفسه » وليست بشيء (م)

يَتَكَلَّلُ الْأَدْنَى، وَيُدْرِكُ رَأْيَهُ الْأَقْصَى، وَيَقْبَهُ الْأَبَى السَّائِدُ
 إِنْ غَارَ فَهُوَ مِنَ التَّبَاهَةِ مُنْجِدٌ أَوْ غَابَ فَهُوَ مِنَ اللَّهَابَةِ شَاهِدٌ
 وَقَالَ أَعْرَابِيٌ يَصِفُ رَجُلًا : كَانَ إِذَا وَلَّى لَمْ يَطَابِقْ بَيْنَ جَفَوْنِهِ ، وَبِرْسَلِ
 السَّيُونِ عَلَى عَيُونِهِ ؛ فَهَوَّاثٌ عَنْهُمْ ، شَاهِدٌ مَعَهُمْ ، وَالْحَسِنُ آمَنُ ، وَالْمَسِيءُ خَائِفٌ .
 فَتَى رُوحُهُ رُوحٌ بَسِيطٌ كَيَانُهُ وَمَسْكَنُ ذَلِكَ الرُّوحِ نُورٌ مُجَسَّدٌ
 صَفَا وَنَفَى عَنْهُ الْقَذَى فَكَأَنَّهُ إِذَا مَا اسْتَشْفَتَهُ الْعُقُولُ مَصْدَقٌ
 كَرَمَتْ لِحَاشٍ لِلْفَعْمُونَ بِمَدْحِكِهِمْ إِذَا رَجَزُوا فَيَكُمُ أَنْتَبَسَ قَصْدُوهَا
 أَرَى مَنْ تَطَالَى مَا بَلَغَتْ كَرَامَتُهُ مَنَالُ الثَّرِيَا وَهُوَ أَكْثَرُ مَقْدَمُ
 كَأَزْهَرَتْ جَنَاتُ عَدْنٍ وَأَعْمَرَتْ فَاضَحَتْ وَعُجِمَ الطَّيْرِ فِيهَا غَرْدُ
 وَفِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ يَقُولُ :

لِمَا تُؤْذِنُ الدُّنْيَا بِهِ مِنْ صُرُوفِهَا يَكُونُ بِكَاءِ الطَّافِلِ سَاعَةً يُؤْلَدُ
 وَإِلَّا فَمَا يُبْكِيهِ مِنْهَا وَلَهَا لِأَنْفَحُ عَمَّا كَانَ فِيهِ وَأَرْغَدُ
 إِذَا أَبْصَرَ الدُّنْيَا اسْتَهْلَ كَأَنَّهُ بِمَا سَوْفَ يَلْقَى مِنْ رَدَائِهَا يُهْدَدُ
 قَالَ الصَّوْلِي : افْتَتَحَ ابْنُ الرُّومِيِّ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ عَلَى مَا يَلِزِمُهُ (١) مِنْ فَتْحٍ مُقَابِلِ
 حَرْفِ الرُّومِيِّ اقْتِدَارًا ، فَحَمَلَهُ ذَلِكَ عَلَى أَنْ قَالَ :

مَتَاحٌ لَهُ مَقْدَارُهُ فَكَأَنَّمَا نَفَوْضُ شَهْلَانَ عَلَيْهِ وَصَدَدُ (٢)
 شَهْلَانُ : اسْمُ جَبَلٍ ، وَهَذَا لَا يَصِحُّ ، إِنَّمَا هُوَ صَنْدِدٌ بِكسر الدالِ ؛ لِأَنَّ
 فَضْلًا لَمْ يَجِئْ إِلَّا فِي أَرْبَعَةِ أَحْرَفٍ : دَرَمٌ ، وَهَجْرَجَ [لِلْأَحْقِ] ، وَهِنَبَجَ الَّذِي
 يَبْلُغُ كَثِيرًا ، وَقَلَمُ الَّذِي يَقْلَعُ الْأَشْيَاءَ .
 وَقَوْلُ ابْنِ الْمُعْتَزِيِّ وَصَفَ السِّيفِ (٣) : • كَأَنَّمَا تَنْفَسُ فِيهِ الْقَيْنُ وَهُوَ صَقِيلٌ •
 مَعْنَى بَدِيعٍ فِي وَصْفِ الْقِرْنَدِ ، وَقَدْ قَالَ :

(١) فِي نَسْخَةِ « حُلَّى مَا يَلِزِمُهُ » وَالْكَلَامُ بِهِدُ يُؤْيِدُ أَنَّ الْأَصْلَ مَا أَنْتَبَهَ (م)

(٢) أَنْظَرُ ص ٧٩٦

(٣) مَتَاحٌ : حَبِياً وَمَقْدَرٌ (م)

ولى صارمٌ فيه النابا كوامنٌ فما يُنتَعَى إلا لِسَفْكِ دماء
ترى فوق مَنَئِيهِ القِرْنَدَ كأنهُ بقية غَيمٍ رَقٌ دون سماء
وقال أيضاً إسحاق بن خلف :

ألقى بحساب خصره أمضى من الأجل للتأخر
وكأنما ذَرَّ المِيسِرَ عليه أغصانُ الرياحِ

ولما صار سيفُ عمرو بن معد يكرب الذى كان يسمي الصمصامة إلى المهادى ،
— وكان عمروُ وهبه لسميد بن العاص ، فوارثته ولدهُ إلى أن مات المهادى ،
فاشتراه موسى المهادى منهم بمال جليل ، وكان أوسعُ بنى العباس كفاً ، وأكثرم
عطاء — ودعا بالشمرء ، وبين يديه مِكَتَلٌ فيه بذرةٌ ، قال : قولوا في هذا السيف ؛
فهدر ابن يامين البصرى قال :

حاز صمصامة الزُبَيْدَى من يمين جميع الأنام موسى الأمينُ
سيفَ عمرو وكان فيما سمعنا خيراً ما أعِدَّتْ عليه الجفونُ
أخضر اللون بين خديه بردٌ من دُغَافٍ يَمِيسُ فيه اللنونُ^(١)
أوقدت فوقه الصواعقُ ناراً ثم شابت فيه الدغافُ القيونُ^(٢)
فإذا ما سلتهُ بهر الشمس ضياءً فلم تكد تسبِينُ
ما يُبَالَى مِنَ انتِصَاءٍ لحرب أشمالُ سَطَتْ بهِ أو يَمِينُ
يستطيعُ الأبصارَ كالتبَسُّرِ للشَّلِّ ما تنقرُ فيه العيونُ
وكانَ القِرْنَدُ والجوهرُ والجا رى على صفحته ملا معين
نِعمَ خرقا ذى الحفيظة فى المِيسِرِ جاء يَتَقَى به ونِعمَ القِرْنُ

قال موسى : أصبت ما فى نفسى ، واستخفَّ [الفرح] فأمر له بالمِكَتَلِ
والسيف ؛ فلما خرج قال للشمرء : إنما حرمتُم من أجل ، فأنكم المِكَتَلِ

(١) الدغاف — بضم الدال بزة غراب — السم ، ويميس : يتجتر ، واللنون :

اللوت (م)

(٢) شابت : خلطت ، والقيون : جمع قين ، وهو الحداد (م)

وفي السيف غناى [ققام موسى] فاشتري منه السيف بمالٍ جليل .

البحترى :

قد جُذت بالطرفِ الجوادِ فننه لأخيك من جدوى يدك بمنصل^(١)
يتناول الزوجَ البعدَ مثاله عفواً ، ويفتح في الفضاءِ القفل
بإثارة في كل حَتَفٍ مظلم وهداية في كل نفسٍ مجهول
يَغشى الوغى فالترس ليس بجَنَفٍ من حذء ، والدُّرْعُ ليس بمَقْل
ماضٍ وإن لم تُخَفِ يدُ فارس بطلٍ ، ومُصَوِّلٌ وإن لم يُعْقِل
مُضغى إلى حُكْمِ الردى فإذا مَغَى لم يَلْتَفِتْ ، وإذا قُضِيَ لم يَدْبِل
متوقدٌ يَفْرِى بأول ضربةٍ ما أدركتْ ولو أنها في يدِ بِل^(٢)
فكان فارسه إذا استمعى به الزَّ حقان يعصى بالسَّكِّ الأعزل^(٣)
فإذا أصاب فكل شيءٍ مَقْتَلٌ وإذا أُصِيبَ فما له من مَقْتَلٍ
حلت حائله التدية بقله من عهدٍ عادٍ غُضَّةٌ لم تَدْبِل
وقال أبو القاسم بن هاني للمعز :
هيباً لمنضلك للقدِّ كيف لم تَسِلْ النفوسُ عليك مِنْهُ مَسِيلاً
لم يحل جبارُ اللوك بذكرِهِ إلا تشحطَ في الدماءِ قَتِيلاً
فإذا رأيناهُ رأينا عِلَّةَ للثيرات ونيراً مغلولاً
بك حسنه منقلداً وبهاؤُهُ متنكباً ومضاوهُ مسلولاً
فإذا غضبتَ علته دونك رُبْدَةٌ يَتَدَوَّبُها طرفُ الزمانِ كَيلاً
وإذا طربت إلى الرضا أهْدَى إلى شمسٍ الظهيرة عارِضاً مَصْلولاً
كتب القير ند عليه بعض صفاتكم صرفتُ فيه التساجُ والإكليل

(١) الطرف - بالكسر - القرس ، والجمدوى : العطاء ، والنصل : السيف

(٢) يفرى : يقطع ، وفي نسخة « يرى بأول ضربة » ولها وجه (م)

(٣) في الديوان « فكان شاهره » وهى خير مما هنا ، وفي نسخة « استمعى

به في الزحف » (ن)

وقال :

هل يدنيني من فنائك ساججٌ مَرَحٌ وجائلةُ النَسُوجِ أَمُونُ
ومَهْدٌ فيه الفِرْدُ كَأَنَّهُ دَرٌّ لَهُ خَلْفُ الْقُرَاتِ كَيْنُ
غصب المضارب مقفرا من أعينٍ لَكِنَّهُ من أنفُسٍ مسكون
وأهدى الكندي إلى بعض إخوانه سيفاً، فكتب إليه : « الحمد لله الذي
خصَّكَ بمنافع كنفاع ما أهديت ، وجمالك تهزُّ للمكارم اهتزاز الصارم ، وتعفي
في الأمور مضاه الأتور ، وتصورُ عرضك بالإرقاد^(١) ، كما تصانُ السيوفُ
بالأغداد ، ويطرد ماء الحياض في صفحات خدك المشوف ، كما يشفُ الرنقُ
في صفائح السيوف ، وتصلُّ شرفك بالعطيات ، كما تصلُّ متونُ
المشرفيات .

[وفد الشام بين يدي المنصور]

قدم على أبي جعفر المنصور وفدٌ من الشام بعد انهزام عبد الله بن علي، وفيهم
الحارث بن عبد الرحمن النفازي ، فتكلَّم جماعةٌ منهم ، ثم قام الحارث فقال :
يأمر المؤمنين ؛ إنا لسنَّا وفدٌ نباهةٌ ، ولكنَّا وفدُ توبة استخفَّت حليمتنا ؛ فنحن
بما قدمنا معترفون ، وبما سلف منا مُتذِرون ، فإن تماقينا فيما أجرمنا ، وإن
تَعَفُّ عنا فطلما أحسنتَ إلى من أساء ، فقال المنصور : أنت خطيب القوم ، وردَّ
عليه ضياعه بالنوطة .

وقال رجلٌ من أهل الشام للمنصور : يأمر المؤمنين ، من انقم قد شفى
غيظَه وانتصف ، ومن عفا تفضل ، ومن أخذ حقه لم يَجِبْ شكره ولم يذكر
فضله ، وكظم النيطر حلم ، والتشنى طَرَفٌ من الجزع ، ولم يدح أهل التقى والنهى
من كان حلياً بشدة السقاب ، ولكن بحسن الصنح والاعتذار وشدة التغافل ،

وبعدُ فلما قُبِ مستدبر لمدواة أوليائه للذنب ، والعاقبة مستدبر لشكرهم آمين
من مكافأهم ، ولأن يُثَقِّ عليك ما تَسَّع الصدر خيرٌ من أن توصف بغيته ،
على أن إناثك عنات عباد الله موجب لإقالة عثرتك من ربهم ، وموصول
بفوه ، وعقابك لإمام موصول ببقائه ، قال الله عز وجل : « خُذِ الْقِتْمَ وَأْمُرْ
بِالْعُرْبِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ » .

[بعض ما قيل في الفو]

وقال بعض الكتاب لرئيسه وقد عتب عليه : « إذا كنت لم ترض مني
بالإسادة فلم رضيت من نفسك بالكافاة » .

وأذنب زجل من بني هاشم قبضه الأمان ، فقال : يا أمير المؤمنين ، من حمل
مثل دالتي ، وليس قَوْبَ حرمي ، غفر له مثل زلتي ، قال : صدقت وعفاه .
ولما دخل بعض الكتاب على أمير بعد نكبة نالت فرأى من الأمير بعض
الازدياء ، قال له : لا يَصْنَعُ عندك خولُ الثبوة ، وزوال الثروة ؛ فإنَّ السيفَ
المتيق إذا منه كثيرُ الصدا أَسْتَفْنَى بِقَلِيلِ الْجَلالِ حتى يعودَ حدُّه ، ويظهر
فرندُّه ؛ ولم أصِفْ قسِي عَجَباً ، لكن شُكراً . وقال صلى الله عليه وسلم :
« أنا أشرفُ ولدِ آدم ولا غر » ؛ فخير بالشكر ، وترك الاستِطالة بالكثير .

[نعيم بن جميل والمصم]

وكان نعيم بن جميل السدوسي [قد أقام] بشاطىء القرات ، واجتمع إليه
كثيرٌ من الأعراب ، فنظَّم أمره ، وبَسَدَ ذكره ؛ فكتب المصمُّ إلى
مالك بن طوق في التهوض إليه ، فتبدَّد جمعه ، ونظر به فحمله موتاً^(١) إلى
باب المصم ، فقال أحمد بن أبي داود : ما رأيت رجلاً عاين الموت ، فإياه ولا شفه
عما كان يجب عليه أن يفعلهُ إلا نعيم بن جميل ؛ فإنه لما مثل بين يدي المصم وأحضر

(١) في نسخة « من حمل مثل حمالي » (م)

(٢) تبدد جمه : تفرق المجتمعون إليه (م)

(٣) في نسخة « حمله مستوحاً » وليس بذلك (م)

السيف والنطع ، وقف بينهما ، تأمله المتصم — وكان جبلا وسبا —
فأحب أن يعلم أين لسانه من منظره ، قال : تكلم يا نعيم ، قال :
أما إذ أذنت يا أمير المؤمنين فأنا أقول : الحمد لله الذي أحسن كل شيء خلقه
وبدا خلق الإنسان من طين ، ثم جل نسله من سلالة من ماء مهين ، [يا أمير
المؤمنين :] جبر [الله] بك صدح الدين ، ولم بك شعث للسلمين ، وأوضع
بك سبل الحق ، وأخذ بك شهاب الباطل ؛ إن الذنوب تمحس الألسن
القصية ، وتعيى الأقدمة الصحيحة ، ولقد عظمت الجريرة ، واقطعت الحجة
وساء الظن ، فلم يبق إلا غفوك وافضائك ، وأرجو أن يكون أقربها مني
وأسرعها إلى أشبهها بك ، وأولاهما بكرمك ، ثم قال :

أرى الموت بين السيف والنطع كما نأى
وأكبر غنى أنك اليوم قاتلي
وأرى امرئ يأتى بهذر وسجدة
وسيف النال بين عينيه نهضة^(١)
وما جزعي بين أن أموت وإني
لأعلم أن السوت شيء موقت^(٢)
ولكن خافي صيبة قد تركتهم
وأكبادهم من حسرة تفتت^(٣)
فإن عشت عاشوا سالمين بفيضة
أذود الردى عنهم وإن مت مؤنوا
وكم قاتل لا يبعد الله داره
وأخر جذلان يسر ويشت^(٤)
فتبسم للمتصم وقال : يا جميل ، قد وهبتك للصيبة ، وغفرت لك العتوبة ،

ثم أمر بك قيوده ، وخلع عليه ، وعقد له على شاطئ الفرات .

[من للمتصم إلى عبد الله بن طاهر]

وكتب للمتصم — حين صارت إليه الخلافة — إلى عبد الله بن طاهر : عافانا الله
ولياك ، قد كانت في قلبى منك عنت غفرتها الاقتدار^(١) ، وبقيت حرايات أخاف^(٢)
منها عليك عند نظرى إليك ؛ فإن أنك ألف كتاب استقدمك فيه فلا تقدم ،

(١) أصلت السيف : أخرجه من غمده (م)

(٢) موقت : له وقت محدود لا يتقدم عنه ولا يتأخر (م)

(٣) في نسخة « هفوات غفرتها الاقتدار » (م)

وحسبك معرفة بما أنا مُنْطَوٍ لك عليه إطلاعى إليك على ما فى ضميرى منك ،
والسلام .

[الخليفة المتصم]

قال العباس بن المأمون : ولما أفضت الخلافة إلى المتصم دخلت ، فقال :
هذا مجلس كنت أكره الناس الجلوس فيه ، قلت : يا أمير المؤمنين ، أنت
تعفو عما تيقنته ، فكيف تعاقب على ما توقعت ؟ فقال : لو أردت عقابك
لتركت عتابك .

وكان المتصم شهياً ، شجاعاً ، عاقلاً ، مفوهاً ، ولم يكن فى [خلفاء] بنى العباس
أمر غيره ؛ وقيل : [بل كان يكتب خطاً ضعيفاً ، و] كان سبب ذلك أنه رأى
جنازة لبعض الخدم ، فقال : ليتنى مثله لأتخلص من الكتاب ! فقال الرشيد :
والله لا عذبك بشئ تختار عليه الموت .

قال أبو القاسم الزجاجى : وهذا شئ يُحسكى من غير رواية صحيحة ،
إلا أن جلسته أنه كان ضعيف البصر بالبرية .

وقرأ أحمد بن عمار اللذرى ^(١) - وكان يتقلد الرض عليه فى الحضرة كتاباً فيه :
« ومطرنا مطراً كثيراً عنه الكلال » فقال له المتصم : ما الكلال ؟ قال : لا أدري .
فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ! خليفة أمى و كاتب أمى ! ثم قال : من يقرب
مننا من كتاب الدار ؟ عرف مكان محمد بن عبد الملك الزيات ، وكان يتولى قهراً
الدار ، ويشرف على المطبخ ، فأحضره ، فقال : ما الكلال ؟ قال : النبات كله
رطباً ويابس ؛ فالرطب منه خاصة يقال له خلا ، ومنه سميت الخلافة ، واليابس
يقال له حشيش ؛ ثم اندفع فى صفات النبات من ابتدائه إلى اكتباله إلى هتيجه ،
فاستحسن ذلك المتصم ، وولاه الرض من ذلك اليوم ، فلم يزل وزيراً مدة خلافته
[وخلافة الواثق] ، حتى نسكه التوكل بمحمود حقدًا على أيام أخيه الواثق .

(١) فى نسخة « أحمد بن عمار الشينرى » (م)

المتعم يكتب الملك الروم وقال الرياشي : كتب ملك الروم إلى المتعم كتاباً يتهذه فيه ، فأمر بجوابه ، فلما قرئ عليه لم يَرْضَ ما فيه ، وقال لبعض الكتاب : اكتب « أما بعدُ فقد قرأت كتابك ، وفهمت خطابك » والجواب ما ترى ، لا ما تسمع ، وسيطر الكافر لمن عُفِيَ الدار » .

بين الحجاج وقطري بن القجاء وهذا نظير قول قطري للحجاج ، وقد كتب إليه كتاباً يتهذه ، فأجابه قطري : أما بعد ، فالمدح لله الذي لو شاء لجمع شخصيناً : فملت أن متاففة الرجال [أقوم] من تسطير للقال ، والسلام ^(١) .

[كتب بن معدان الأشعري عند الحجاج]

[ووصفه بنى للهب بن أبي صفرة]

ولما انتصح للهب خراسان ، ونقّى الخوارج عنها ، وتفرقت الأزارقة كتب الحجاج إليه أن اكتب لي بحجر الواقعة ، وشرح لي القصة حتى كأني شاهدها ؛ فبعث إليه للهب كتب بن معدان الأشعري ، فأنشده قصيدة فيها ستون بيتاً تنص خبرهم لا يخرم منه شيئاً ؛ فقال له الحجاج : أخطيب أم شاعر ؟ قال له : كلاهما ، أعز الله الأمير ! قال : أخبرني عن بنى الملب ، فقال له : المنيعة سيدهم ، وكفلك يزيد فارسا ، وما لقي الأبطال مثل حبيب ، وما يستعجى شجاع أن يفر من مذرك ، وعبد الملك موت [دُعاف وسم] ناعم ، وحسبك بالفضل في التجدة ، واستجيز قبيصة ، وعمد ليث غاب ، قال الحجاج : ما أراك فضلت عليهم واحدا منهم ؛ فأخبرني عن جلتهم ومن أفضلهم ؟ قال : هم - أعز الله الأمير ! - كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفها ، قال : إن خبرتَ حرَّ بكُم كان يبلغي عظيما ، أفكذلك كان ؟ قال : نعم أيها الأمير ، والساج دون البيان . قال : أخبرني كيف رضى الملب عن جنده ورضاً جنده عنه ؟ قال : أعز الله الأمير ،

(١) في نسخة « من تسطير للقال والقلم » وفي أخرى « من تسطير للقال والسلام » وكلاهما تحريف ما أثبتناه (م)

له عليهم شفقة الوالد، ولهم به برّ الولد . قال : أخبرني كيف فاتكم قَطرى ؟ قال : كِدْنَا في منزله فتحوّل عنه ، وتوهم أنه كادنا بذلك ، قال : فهلا انبتموه ، قال : الكلب إذا أبحر عقر ، قال : للهبُ كان أعلم بك حيث أرسلك .

[بشر بن مالك عند الحجاج]

[يصف أبناء اللهب أيضاً]

وقد رُوي أنَّ اللهبَ لما فرغ من قتل عبد ربه الحروري دعا بشر بن مالك فأنفذه بالشارة إلى الحجاج ، فلما دخل على الحجاج قال : ما أتمك ؟ قال : بشر بن مالك ، فقال الحجاج : بشارة وملك ! وكيف خلقتَ اللهب ؟ قال : خلفته وقد أُمِنَ ما خاف ، وأدرك ما طَلَبَ ، قال : كيف كانت حالكم مع عدوكم ؟ قال : كانت البداية لهم ، والعاقةُ لنا ، قال الحجاج : العاقبة للعتيق ، ثم قال : فما حالُ الجند ؟ قال : وسّتهم الحق ، وأغنّاهم النّقل ، وإتهم لهم رجل يسوئهم سياسة الملوك ، ويقايلُ بهم قتالَ الصلوك ، فلهم منه برّ الوالد ، وله منهم طاعة الولد ، قال : فما حال ولد اللهب ؟ قال : رعاة البيات حتى يؤمنوه ، وحمّة السّريح حتى يردوه ، قال : فأيهم أفضل ؟ قال : ذلك إلى أيهم ، قال : وأنت أيضاً ، فإني أرى لك لساناً وعبارة ، قال : هم كالحلقة المفرغة لا يُدري أين طرفها ، قال : ويحك ! أكنت أعددت لهذا اللقاء هذا القال ؟ قال : لا يعلم النّيب إلا الله .

[أبو الصقر وصاعد بن مخلد]

ودخل أبو الصقر قبلَ وزارته على صاعد بن مخلد ، وهو الوَزيْر حينئذ ، وفي المجلس أبو العباس بن تَوَابَة ، فسأل الوَزيْر عن رجل ، فقال : أنفى ، يريد نفى ، فقال ابن تَوَابَة : في انْفَرَه ، فتضاحك به أهل المجلس ، فقال أبو الصقر مُصْطَباً^(١) .

(١) هذه القصة قد وردت ببارات مختلفة في نسخ هذا الكتاب ، وقد اخترنا أقرب هذه الببارات إلى الاستقامة (م)

[أبو العيناء وابن ثوبان]

وكان أبو العيناء يُعَادِي ابن ثوبانَ لِمُكَادَاتِهِ لِأَبِي صَقر ؛ فَاجْتَمعا فِي مَجْلِسٍ صَاعِدٍ فِي غَدِ ذَلِكَ الْيَوْمِ ، فَتَلَحَّيَا ، فَقَالَ ابنُ ثُوْبَانٍ : أَمَا تَعْرِفُنِي ؟ فَقَالَ : بَلَى أَعْرِفُكَ ضَيْقَ الطَّمَنِ ، كَثِيرَ الْوَسَنِ ، خَارًا عَلَى الدَّقَنِ ، وَقَدْ بَلَغَنِي تَعْدِيكَ عَلَى أَبِي الصَّقَرِ ، وَإِنَّمَا حَلَمْتُ عَنْكَ ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَجِدْ لَكَ عِزًّا فَيَذَلَّهُ ، وَلَا عُلُوًّا فَيُضَمَّهُ ، وَلَا يَجِدُ أَفْهِيئَةً ؛ ضَافَ لِحَلَمَتِكَ أَنْ يَأْكُلَهُ ، وَدَمَكَ أَنْ يَسْفِكَهُ ، فَقَالَ ابنُ ثُوْبَانٍ : مَا نَسَبَ إِنْسَانَانِ إِلَّا غَلَبَ الْأَمْهَاءُ ، فَقَالَ أَبُو الْعَيْنَاءِ : فَلِهَذَا غَلَبْتَ بِالْأَمْسِ أَبَا الصَّقَرِ !

[مِنْ مَكَارِمِ أَبِي الصَّقَرِ]

وَعَمَّا يُعَدُّ مِنْ مَكَارِمِ أَبِي الصَّقَرِ أَنَّ ابنَ ثُوْبَانٍ دَخَلَ عَلَيْهِ فِي وَزَارَتِهِ ، فَقَالَ : تَاللَّهِ لَقَدْ آتَاكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا نُلَاطِئُكَ ، فَقَالَ أَبُو الصَّقَرِ : لَا تُثْرِبْ عَلَيْكَ يَنْفِرُ اللَّهُ لَكَ [وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ] ، فَمَا قَصَّرَ فِي الْإِحْسَانِ إِلَيْهِ ، وَالْإِنْعَامِ عَلَيْهِ ، مَدَّةَ وَزَارَتِهِ .

[أَبُو الصَّقَرِ وَأَبُو الْعَيْنَاءِ]

وَلَمَّا وَلِيَ أَبُو الصَّقَرِ الْوِزَارَةَ خَيَّرَ أَبَا الْعَيْنَاءِ فِيمَا يَجِبُ عَلَيْهِ حَتَّى يَفْعَلَهُ ، فَقَالَ : أُرِيدُ أَنْ يَكْتُبَ [لِي الْوِزِيرُ] إِلَى أَحَدِ بْنِ مُحَمَّدٍ الطَّائِي يُعْرِفُهُ مَكَانِي ، وَيُلْزِمُهُ قَضَاءً حَقِّ مِثْلِي .

فَكُتِبَ إِلَيْهِ كِتَابًا بِخَطِّهِ ، فَوُصِّلَهُ إِلَى الطَّائِي ، فَسَبَّ لَهُ فِي مَدَّةِ شَهْرِ مَقْدَارِ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَعَاشِرُهُ أَجَلَ عَشْرَةِ ، فَأَنْصَرَفَ بِمَجِيعِ مَا يَجِبُهِ ، وَكُتِبَ إِلَى أَبِي الصَّقَرِ كِتَابًا مَضْمُونُهُ : أَنَا - أَعَزُّكَ اللَّهُ - طَلَيْتُكَ مِنَ الْفَقْرِ ، وَتَهَيَّيْتُكَ مِنَ الْبُؤْسِ ، أَخَذْتُ يَدِي عِنْدَ عَتَرَةِ الدَّهْرِ ، وَكَبُورَةِ الْكِبَرِ ، وَعَلَى أَيْةِ حَالٍ حِينَ قَدَّتِ الْأَوْلِيَاءُ وَالْأَشْكَالُ وَالْإِخْوَانُ وَالْأَمْثَلُ ، الَّذِينَ يَفْهَمُونَ فِي غَيْرِ تَعَبٍ ، وَهَمَّ النَّاسُ الَّذِينَ كَانُوا غِيَاثًا لِلنَّاسِ ، فَحَلَّتْ عَقْدَةُ الْخَلَّةِ ، وَرَدَّدَتْ إِلَى بَعْدِ الْغُفُورِ النِّعْمَةَ ، وَكُتِبَ لِي كِتَابًا إِلَى الطَّائِي ، فَكَأَنَّمَا كَانَ مِنْهُ إِلَيْكَ ، أُنْتَبِهْتُ وَقَدْ اسْتَعْمَبَتْ عَلَى الْأُمُورِ ، وَأَحَاطَتْ بِالنَّوَابِ ؛ فَكَثُرَ مِنْ بَشِيرِهِ ، وَبَذَلَ مِنْ يُسْرِهِ ، وَأَعْطَى مِنْ مَالِهِ أَكْرَمَهُ ، وَمِنْ بَرٍّ أَحْكَمَهُ ، مُكْرِمًا لِي

كُتِبَ مِنْ
أَبِي الْعَيْنَاءِ
لِلْأَبِي الصَّقَرِ

مدة ما أقمت ، ومنقلاي من فوائده لنا ودعت ، حكمتي في ماله فحكمت ،
وأنت تعرف جتري إذا تمكنت ، وزادني من طوله فشكرت ؛ فأحسن الله
جراكم ، وأعظم حباكم ، وقدمي أملك ، وأعاذني من صدك وحايك ؛ قد
أنفتت على مما ملكك الله ، وأنفتت من الشكر ما يسره الله لي ، والله
عز وجل يقول : (لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ .) فالحمد لله الذي جعل لك اليد
القابلة ، والرتبة الشريفة ، لا أزال الله عن هذه الأمة ما بسط فيها من عدك ،
وبث فيها من رعدك .

[أبو العيناء يذم ابن الخصيب]

قطعة مختارة من نسخة الكتاب الذي عمله أبو العيناء في ذم أحد بن الخصيب
لما نكب على السنة الكتب والقواد وأرباب النولة [في ذلك الوقت] .
قال : ذكره محمد بن عبد الله بن طاهر قال : ما زال يخرق ولا يرفع . ومازلت
أتوقع له الذي وقع فيه . [وذكره أنا مش ، قال : غدر بمن آثره ، وتحطى إلى
مالا يقدره ، لحال به ما يحذره . وذكره بناء قال : أبطرت النعمة ، ففجأته النعمة]
وذكره وصيف قال : ترك العقلاء على يأس مرتبته ، والحق على رجاء درجته !
وذكره موسى بن بناء قال : لولا أن القدر يمشي البصر لما انتهى فينا ولا أمر . وذكره
فارس بن بناء قال : لم تتم له نعمة ؛ لأنه لم تكن له في الخير حمّة . وذكره الفضل
ابن العباس قال : إن لم يكن تاريخ البلاء فما أعظم البلوى . وذكره هرون بن عيسى
قال : كانت دواة من دُول المجانين ، خرجت من الدنيا والدين . وذكره المتلى بن
أيوب ، قيل له : ما أعجب ما نكب ، قال : نعمته أعجب من نكبته ! وذكره
ميمون بن إرمي ، قال : لو تأمل فماله فاجتنبها ، لاستغنى عن الآداب أن يطلبها !
وذكره محمد بن نجاح قال : لأن كانت النعمة عظمت على قوم خرج عنهم لقد عظمت
المصيبة على قوم نزل فيهم ! وذكره علي بن [يحيى] بن النعمه ، قال : لم يكن له أول

يَرْجِعُ إِلَيْهِ، وَلَا آخِرُ يَسُودُ عَلَيْهِ، وَلَا عَقْلٌ فَيُزَكُّ لَدَيْهِ ! وَذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى بْنِ شَاكِرِ النُّجَيْمِ قَالًا : [قَبْلَهُ اللَّهُ] إِنْ ذَكَرْتَ ذَا فَضْلٍ تَنْقُصُهُ لِمَا فِيهِ مِنْ ضِدِّهِ ، أَوْ ذَكَرْتَ ذَا قَسْوَةٍ تَوْلَاهُ لِمَا فِيهِ مِنْ شَكْلِهِ . وَذَكَرَهُ ابْنُ ثَوَابَةَ قَالًا : إِمْرُؤُا أَسَاءَ حِشْرَةَ الْأَحْرَارِ ، فَأَصْبَحَ مُقْفِرُ الْبَارِ . وَذَكَرَهُ حُجَالِجُ بْنُ هُرُونَ قَالًا : مَا كَانَ لَهُ فِي الشَّرَفِ أَسْبَابٌ مِثْلَانِ ، وَلَا فِي الْغَيْرِ عَادَاتُ حِسَانِ . وَذَكَرَهُ [أَحَدُ بَنِي حُدُونٍ] قَالًا : إِنْ مَنَحْتَهُ الْقُدْرَةَ لَقَدْ حَمَلْتَهُ النُّكْبَةَ . وَذَكَرَهُ [مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ] قَالًا : مَا زَالَ يَسْتَوْحِشُ بِالْمَصْمُوحِ أَنْسٌ بِالنَّفْعَةِ وَذَكَرَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ فَرَّاسٍ قَالًا : كُنْتُ إِذَا نَصَحْتُه زَنَانِي ، وَإِذَا غَشَّيْتُهُ مَنَانِي . وَذَكَرَهُ أَبُو صَالِحِ بْنِ عَمَارٍ قَالًا : لَنْ عَلَا بِحُطِّ لَقْدِ انْحُطِّ بِحَقِّ ، وَذَكَرَهُ سَعِيدُ بْنُ حَيْدٍ قَالًا : إِذَا أَصَابَ أَحْجَمٌ ، وَإِذَا أَعْطَا صَمٌّ .

[أَبُو بَكْرٍ سَبْيُوِيَه وَأَهْلُ مِصْرَ]

وَكَانَ فِي هَذَا الْمِصْرِ بِمِصْرِ أَبِي بَكْرٍ لِلرُّوْفِ بِسَبْيُوِيَه نَاقِلَةُ الْبَصْرَةِ يُشَبِّهُ فِي حُضُورِ جَوَابِهِ وَخَطَابِهِ ، وَحُسْنِ عِبَارَتِهِ ، وَكَثْرَةِ رِوَايَتِهِ ، وَكَانَ قَدْ تَنَاوَلَ الْبَلَادُزْر^(١) ؛ فَرَضْتُهُ مِنْهُ لَوْثَةً^(٢) ، وَكَانَ أَكْثَرُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ وَيَكْتُبُونَ عَنْهُ مَا يَقُولُ .

قَالَ يَوْمًا لِلْمِصْرِيِّينَ : يَا أَهْلَ مِصْرَ ، أَصْحَابُنَا الْبُخْدَادِيُّونَ أَحْزَمُ مِنْكُمْ ، لَا يَقُولُونَ بِالْوَلَدِ ، حَتَّى يَتَّخِذُوا لَهُ الْقَدَّ وَالْمُدَّدَ ؛ فَهَمُّ أَبَدًا يَمْتَزِلُونَ . وَلَا يَقُولُونَ بِاتِّخَاذِ الْعَقَّارِ خَوْفًا أَنْ يَمْلِكَهُمْ سِوَهُ الْجَوَارِ ؛ فَهَمُّ أَبَدًا يَكْتَنُزُونَ . وَلَا يَقُولُونَ بِاتِّخَاذِ الْحَرَارِ خَوْفًا أَنْ تَتَوَقَّ نَفْسُهُمْ إِلَى السَّرَّارِيِّ ؛ فَهَمُّ أَبَدًا يَقْسِرُّوْنَ . وَلَا يَقُولُونَ أَبَدًا بِإِظْهَارِ الْغَنَى [فِي مَكَانٍ] عُرِفُوا فِيهِ بِالْقَفْرِ ؛ فَهَمُّ أَبَدًا يَسْأَلُونَ .

وَوَقَفَ يَوْمًا بِالْجَامِعِ وَقَدْ أَخَذَتْ الْخَلْقَ مَأْخِذَهَا ، قَالًا : يَا أَهْلَ مِصْرَ ، حَيْطَانُ

(١) الْبَلَادُزْرُ : شَجَرٌ هِنْدِيٌّ يَسْلُوُ كَالْجُوزِ ، وَرَقُّهُ عَرِيضٌ أَغْبَرُ سَبْطٌ حَادٍ الرَّائِحَةِ إِذَا نَامَ تَحْتَهُ شَخْصٌ سَكِرَ ، وَرَبْمَا عَرِضٌ لَهُ السَّابُ ، وَهُوَ يَضُرُّ الْمَحْرُورِينَ . وَيُتَرِّقُ الْقَهْمُ وَالْبِدَنُ ، وَيَقْرَحُ ، وَيُورِثُ الْبَرَسَامَ وَالْمَالِيخُولِيَا (م)

(٢) الْلَوْثَةُ - بَضْمُ اللَّامِ - الْحَقُّ ، وَالْهَيْجُ ، وَمِثْلُ الْجَنُونِ (م)

القابر أنفعُ منكم ، يُسْتَنْزَهُ بها من التعب ، ويُسْتَفَادُ بها من الريح ، ويُسْتَغَالُ بها من الشمس . والبهايم خيرُ منكم تُمتطى ظهورها ، وتُحتذى جلودها ، وتؤكل لحومها . وكان أبو الفضل بن خنزابه الوزير ، ربما رفع أُنْفَهَ يَمِيها ، فقال له سيويوه ، وقد رآه فعل ذلك : أَسْمُ منى الوزيرُ رانحةٌ كريمةٌ فشمَر أُنْفَهَ ، فأطرق واستعمل الهوض ، فخرج سيويوه ، فقال له رجل : من أين أقبلت ؟ قال : من عند الزأجي نفسه ، المذل بفرسه ^(١) ، المستطيل على أبناء جَنْفِهِ .

واستأذن على مسلم بن عبيد الله العلوي ، ومسلم من أهل الحجاز نزل مصر ، فحجب عنه ، فقال : قولوا له : يرجع إلى لبس البَئَاءِ ، ومَعَصِ النوى ، وسُكُنِ القلا ، فهو أشبهُ به من نعيم الدنيا .

وكان على شرط كافر الإخشيدى أحدُ الخِصَاصَةِ ، فوجد عليه سيويوه في بعض الأُمَرِ ، فعزل عن الشرطة ، فوليها رَكي ^(٢) صاحب الراضى ، فلم يحمله أيضاً ، فوقف لكافور وهو مارتاً إلى الصلاة يوم الجمعة ، قال : أيها الأستاذ ، وليت ظلاماً ، وعزلت ظلاماً ، قليل الوفاء ، كثير الجفاء ، غليظ القفا . فتبسم ابن برك البغدادى ، وكان يسابِرُ كافوراً ، فقال : وهذا ابن بركٍ ممن يفرُّك ، لن ينفعك ولن يضرَّك .

وأخلى الحمام لمقلع الحسينى ، فأتى سيويوه ليُدخل ، فتبجح ، وقيل : الأمير مفلحٌ به ، قال : لا أنقى الله مَضوْلَه ، ولا يُلغى مَوْلَه ، ولا وقاه من العذاب مَهْوْلَه ، وجلس حتى خرج ، قال : إن الحمام [لا يُغلى إلَّا] لأحدٍ ثلاثة : مبتلى في قُبَلِه ، أو مبتلى في دُبُرِه ، أو سلطان يخافُ من شره ، فأى الثلاثة أنت ؟ قال : أنا المُقَدَّم .

وأحضره أبو بكر بن عبد الله الخازن فقال : قد بلغتْ بَدَأَه لسانك ، وقبيحُ

(١) في نسخة « المذل بفرسه » (م) (٢) في نسخة « زكى » (م)

مما تملك للأشراف ؛ فاحذر أن تعود فينالكَ منى أشدَّ العقوبة ؛ فخرج [متحزنا فكان] الولدان يتولمّون به ويذكرون له الخازن ، فيشدّ عليه ذلك ، فينصرف ولا يكلمهم ؛ فرّبه رجل يكنى أبا بكر من ولد عقبة بن أبي معيط ، وغلّام قد ألح عليه ^(١) بذلك ، فضحك للميطي ، فقال للغلّام : ضرب الله عنق الخازن كما ضرب النبي صلى الله عليه وسلم عنق عقبة بن أبي معيط على الكفر ، وضرب ظهر أبيك بالسوط كما ضرب علي بن أبي طالب بأمر عثمان رضى الله عنهما ظهر الوليد بن عقبة على شرب الخمر ، وألحقك يا صبي بالصبيّة ، يريد قول النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد قال له عقبة لما أمر النبي صلى الله عليه وسلم علياً رضى الله عنه بقتله : « فَمَنْ للصبيّة يا رسول الله ؟ » قال : النارُ لك ولهم فانصرف الميطي وبطن الأرض أحبّ إليه من ظهرها .

[رَجَعَ إِلَى أَبِي الْعِيَاء]

وقال أبو العيَاء : أنا أوّل من أظهر العقوفَ لوالديه بالبصرة ، قال لي أبي : إِنَّ اللَّهَ قد قرّن طاعته بطاعتي ، فقال تعالى : (أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ) فقلت : يا أبت ، إن الله تعالى قد آمنني عليك ، ولم يأمنك على ، فقال تعالى : (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا يَكُنْ لَكُمْ رِزْقُهُمْ وَإِلَّا كَم) . وقال أعرابي لأبيه : يا أبت ، إن كبيرَ حقك لا يبطل ضيقُ حقّ عليك ، والذي تَمَتَّ به إلى أمتٍ مثله إليك ، ولست أزعُمُ أناسوا ، ولكن لا يحمل لك الاعتداء .

ودخل على عبيد الله بن سليمان فضمه إليه ، فقال : أنا إلى ضمّ الكفاية أخرجُ منى إلى ضمّ اليدين .

وقال له مرة : أنا ممك مقيوض الظاهر ، مرحوم الباطن ^(٢) .

(١) في نسخة « وغلّام قد ألح عليه بذلك » (م)

(٢) في نسخة « أنا ممك مضبوط الظاهر موجود الباطن » (م)

قال أبو العيَّان المُنْبِي :

ما ذا لقيت من الدنيا وأعجَبها أني بما أنا بك منه محسود
وقال له رجل : يا عَجَنُ ، قال : وضربَ لنا مثلاً ونَسِيَ خَلْقَهُ !

[كَلَّمات لأبي العيَّان]

وذكر أبو العيَّان محمد بن يحيى بن خالد بن برمك ، قال : بأبي وأمي دَامَ
الرَّجُلُ الطَّلُق ، والقول الحق ، والوعد الصدق ، نيت أفضل من علانيته ، وفعله
أفضل من قوله . وقال له التوكل : ما أشدَّ ما مرَّ عليك من قَدَرٍ بصرِكَ ؟ قال :
ما حرَّمت منه من النظر إليك أيها الأمير ! وقال لعبيد الله بن يحيى : سَمْنَا وأهلنا
الضرَّ ، وبضاعتنا الحمد والشكر ، وأنت الذي لا يخيب عنده حرٌّ ، وقال له يوماً :
قد اشتدَّ الحجاب ، وفحش الحرمان ، قال : ارفق يا أبا عبد الله ، قال : لورقني
فلك لرفق بك قولي ! وقال له : أيها الوزير ، إذا تفاقل أهلُ الفضل هلك أهل
التجمل . وذم رجلاً قال : لا يعرف الحق فينصره ، ولا الباطل فيُنكره .
وقيل له : ما أبلغ السكلام ؟ قال : ما أسكت البَطْل ، وحَيَّرَ الحق . وقيل له :
مات الحسن بن سهل ، قال : والله لئن أنصب للمادحين ، لقد أظال بكاء الباكين
والله لقد أصيب بموته الأنام ، وخرت بفقده الأقاليم .

[مما قيل في الرثاء]

أشجع بن
عمرو السلي

قال أشجع بن عمرو السلي :

مضى ابنُ سَعْدِ بْنِ لَمْ يَبْقَ مَشْرِقٌ ولا مغربٌ إلا أنه فيه مادِحٌ
وما كنتُ أذري ما فواصلُ كَفَّه على الناسِ حتى غَيَّبَتْهُ الصَّفائِحُ
فَأَصْبَحَ في تَلَدٍ من الأرضِ مَيِّتًا وكانت به حَيًّا تَضِيقُ الصَّحَائِصُ ^(١)
كأن لم يمِتْ ميتٌ سِوَاكَ ولم تَقُمْ على أَحَدٍ إِلَّا عَلَيْكَ التَّوَانِصُ

(١) الصحاصح : ما استوى من الأرض ، واحدها صحصح بوزن جعفر (م)

ها أنا من رُزّه وإنّ جَلَّ جازعٌ ولا بسرورٍ به — ذمّ موتك فأرح
 لئن حسنتُ فيك المرأى وذكرها لقد حسنتُ من قبْلُ فيك الدائمُ
 سأبكيك ما فاضت دموعي، فإن تنفضَ فحبُّك مني ما تُكِنُّ الجوارحُ
 قوله : * وكانت به حياءُ تنفيقُ الصالحُ * يتعلق بقول الحسين بن مطير

الحسين بن
 مطير في معنى
 ابن زائدة

أنا على مَنٍ وقولا لغيره : سَقَتْكَ النوادي مَرَباً ثم مَرَباً
 فيا قَبْرَ مَنٍ أنت أولُ حفرةٍ من الأرض خُطَّتْ للساحة مَضْجَعاً
 ويا قَبْرَ مَنٍ كيف وارت جودُهُ وقد كان منه اللَّبَّ والبحرُ مُتَرَعاً
 بلى قد وسف الجودَ والجودُ مَيِّتٌ ولو كان حياً ضِفَّتْ حتى تصدعاً
 فمَيِّ عِيْشَ في معروفه بعد موته كما كان بعد السيل يَجْزَاهُ مَرْتَعاً
 ولما مَقَى مَنٍ مَعَى الجودِ وانقضى وأصبح عَرَيْنَ السَّكَّامِ أَجْدَعاً

لهذا كقول عبد الصمد بن اللؤلؤ في عمرو بن سعيد بن سلم الباهلي :
 أقبر أبي أمية لو عَلاهُ حلتَ إذا لَضَعَتْ به ذِراعاً
 حوِثَ الجودَ والتقوى وعمرأ فكيف أَلَقَتْ يا قَبْرُ اضْطِلاعا
 لموتهم أَلَقَتْ لهم ضِماناً ولولا ذاك لم تُطِقِ اتِّساعاً
 وقول أشجع : * لئن حسنتُ فيك المرأى وذكرها * من قول الخنساء :
 لخنساء في
 أخيها عمرو

يا صَخْرُ بَدَكَ هاجبُ استِباري شائِكَ باتَ بذاتِي وصَفاري
 كنا نعدُّ لك المدايحَ مَدَّةَ فاليوم صرتَ تُنَاحُ بالأشعارِ
 وقالت جَنُوبُ أخت عمرو [ذى الكلب] :
 سألتُ بعرو أخى صَحْبَهُ فأظلمَني حينَ ردِّ السَّوْءِ لا

لجنوب في
 أخيها عمرو

طَلَّوْا ، أُتِيجَ لَهُ - فَأَمَّا
 أُتِيجَ لَهُ نَمِرًا أَجْبَلُ
 فَأَقْسَمُ بِأَعْرُو لَوْ نَبَّأَكَ
 [إِذَا نَبَّأَ لَيْتَ عَرَبِيَّةٍ
 إِذَا نَبَّأَ غَيْرَ رِعِيدَةٍ
 مَا مَعَ تَصْرِفِ رَبِّهِ لِلنَّوْنِ
 وَقَالُوا : قَطْنَاهُ فِي غَارَةٍ
 فَلَا إِذَا قَبْلَ رَبِّ النَّوْنِ
 وَقَدْ عَلِمْتُ فَهَمَّ عِنْدَ الْإِقَاءِ
 كَانَهُمْ لَمْ يَحْثُوا بِهِ
 وَلَمْ يَنْزِلُوا بِمَحْوِلِ السَّيْنِ
 وَقَدْ عَالِمُ الضَّيْفِ وَالْمَرْمُولِ
 وَخَلَّتْ عَنْ أَوْلَادِهَا لِلرُّضَاعِ
 بِأَنْكَ كُنْتُ الرِّبِيعِ الْغَيْثِ
 وَخَرَقَ تَجَاوَزَتْ بِمَجْهُولِهِ
 [فَكُنْتُ النَّهَارَ بِهِ شَمْسَةً
 وَحَيَّ صَبَعْتُ وَحَيَّ أَبْنَتَ
 وَكَمْ مِنْ قَبِيلٍ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ

قال عمرو بن شبة : وكان عمرو بن عاصم هذا يَنْزُرُ قَهْمًا فيصيب منهم ،
 فوضوا له رصدا على الماء ، فأخذوه فقتلوه ، ثم مروا بأخته جنوب ، فقتلوا : أخاك !
 فقالت : لئن طلبتموه لتجدنّه [منيما ، ولئن ضفتموه لتجدنّه مريما ، ولئن وعدتموه

(١) يروى « أعز السباع عليه أحالا » (م)

(٢) يمتنيك : يطلب حاجته منك (م)

(٣) الحرق : الصحراء الواسعة الأطراف ، والوجناء ، الناقة ، والكلال : التنب (م)

لتجده [سريعا ! فقالوا : قد أخذناه فقتلناه ، وهذا نبله . فقالت : والله لن
سبتموه لا تجدون ثمنه وافية ، ولا حجرته جافية ، ولرب ندى منكم قد افترشه ،
وسب قد احتوشه ؛ ثم قالت الآيات المتقدمة الذكر .

وأشد أبو حاتم ولم يقل فأنله :

ألا في سبيل الله ماذا تضمت بطون الثرى واستودع البلد القفر
بدور إذا الديادجة أشرقت بهم وإن أجذبت يوما فأيديهم القطر
فيا شامتا بالموت لا تسمتن بهم حياتهم فخر وموتهم ذكر
أقاموا بظهير الأرض فاخضر عودها وصاروا يبطن الأرض فاستوحش الظفر
وقال أبو عبد الله العتي ، وتوفى له بنون فجمع بهم ومات في آخرهم ابن

لأبي عبيد الله العتي يرى ابنه له يكنى أبا عمرو كان يقول الشعر ؛ قال يرثيه :

لقد شمت الواشون بي وتغيرت وجوه أراها بدموت أبي عمرو
تجرى على الدهر لما قصده ولو كان حيا لاجترأت على الدهر^(١)
أسكان بطن الأرض لو يقبل الفدى فديننا وأعطيناكم ساكني الظفر
فيا ليت من فيها عليها، وليت من عليها نوى فيها مقيما إلى الحشر
وقاسمني دهرى بنى مشاطرا فلما توفى شطره مال في شطري^(٢)
فصاروا كأن لم يعرف الموت غيرهم فنكل على شكل وقبر على قبر
وقال في ابن توفى صغيرا .

إن يكن مات صغيرا فالأسى غير صغير
كان ريماني فأسمى وهو ريمان القبور
غرسه في باتين البلى أيدي الدهر

(١) تجرى : أصله تجرأ فسهل الحمز فجلبا ألفا (م)

(٢) توفى : استوفى (م)

ومن هنا أخذ أبو الطيب المتنبي قوله :

فإن تَكُ في قبر فإِنَّكَ في الحشا وإن تَكُ طِفْلاً فالأُمسَى ليس بالعلقل
وقال خلف بن خليفة الأقطع :

لخلف بن خليفة
الأقطع

أَعْتَابُ نَفْسِي إِنْ تَبَسَّمتُ خَالِيَا وَقَدْ يَفْضَحُكَ الْمُتَوَرِّدُ وَهُوَ حَزِينُ
وبالبدِّ أَشْجَانِي وَكَمْ مِنْ شَجَرٍ لَهُ دَوْنِي الْمَصْلَى وَالْبَقِيعُ ، شَجُونُ

رُبِّي حَوْلَهَا أَمْثَالُهَا إِنْ أَتَيْتَهَا قَرِينُكَ أَشْجَانًا وَهَنْ سَكُونُ
كَفَى الْمَجْرَأَنَا لَمْ يَصِحْ لَكَ أَمْرُنَا وَلَمْ يَأْتِنَا عَمَّا لَدَيْكَ يَتَقِينُ

لأبي عطاء
السندی

وقال أبو عطاء السندی في ابن هبيرة :

أَلَا إِنْ عَيْنَا لَمْ تَجِدْ يَوْمَ وَاسْطِرْ عَلَيْكَ بِيَاقِي دَنَعًا جَلَمُودُ
عَشِيَّةٌ قَامَ النَّاعَاتُ وَشَقَّتْ جِيوبٌ بِأَبْدَى سَاتِمٍ وَخُدُودُ^(١)

فَإِنْ تُنْسِي مَهْجُورَ الْفِتَا فَرِمَا أَقَامَ بِهِ بَدَ الْوَفُودِ وَفُودُ
فَإِنَّكَ لَمْ تَبْعُدْ عَلَى مَتَعِدٍ بَلَى كُلُّ مَا تَحْتَ التَّرَابِ بَعِيدُ

لأعرابي

أعرابي :

وَمِنْ عَجَبِ أَنْ بَتَّ مُسْتَوْدِعُ الثَّرَى وَبَثَّ بِمَا زَوَّدَتْهُ مَتَمَتَا
فَلَوْ أَنِّي أَنْصَفْتُكَ الْوَدَّ لَمْ أَبِثْ خِلَافَكَ حَتَّى نَنْطَوِي فِي الثَّرَى مِمَّا

سَأَحِي الْكَرَى عَيْنِي وَأَقْرَشَ الثَّرَى يَمِينِي إِذَا صَارَ الثَّرَى لَكَ مُضْجِمَا
وَبَدَّكَ لَا أَمْسَى لِعَظَمِ رَزِيئَةٍ قَصَبَتْ فَتَوَتَّ الْمَصَابِ أَجْمَا

ومعنى هذا البيت الأخير تداوله الناس نظماً ونثراً .

[قال أبو نواس في الأمين]

طَوَى الْمَوْتَ مَا يَمِينِي وَبَيْنَ عَمْدِي وَلَيْسَ لِمَا تَطْوِي الْمَنِيَّةُ نَاسِرُ

(١) المأثم : النساء يحضرن الجأزة (م)

لئن عَمِرَتْ دُونَ بَنِي لَا أُحِبُّ لَقَدْ عَمِرْتُ عَنْ أُحِبِّهِ لِقَائِهِ
وَكُنْتُ عَلَيْهِ أَخْذَرُ لَوْتُ وَحْدَهُ فَلَمْ يَبْقَ لِي شَيْءٌ عَلَيْهِ أَحَازِرُ
أُمُّ الْهَيْمِ وَقِيلَ لَأُمِّ الْهَيْمِ السُّدُوسِيَّةُ : مَا أَسْرَعَ مَاسَلُوتُ عَنْ ابْنِكَ الْهَيْمِ ! قَالَتْ :
السُّدُوسِيَّةُ أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ رَزَنَتْهُ كَالْبَدْرِ فِي بَهَائِهِ ، وَالرَّمْحَ فِي اسْتَوَائِهِ ، وَالسِّيفَ فِي مَضَائِهِ ؛
وَلَقَدْ فَتَنَتْ مَصِيبَتُهُ كَبِدِي ، وَأَفْنَى قَعْدُهُ جَدِي ، وَمَا اخْتَصْتُ مِنْ بَدَنِهِ إِلَّا
أَمِنَ لِلْمَصَائِبِ لِقَعْدِهِ .

أَبُو الْهَيْمِ وَعَزَّى أَبُو الْهَيْمِ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُوَادٍ عَنْ وَلَدِهِ ، قَالَ : مَا أَصِيبُ مِنْ أَيْمٍ
يَعَزِّي . وَاللَّهِ لَقَدْ هَانَ لِقَعْدُهُ ، جَلِيلُ الْمَصَائِبِ مِنْ بَدَنِهِ .

لَأَعْرَابِي مَاتَ وَدَخَلَ أَعْرَابِي مِنْ بَادِيَةِ الْبَصْرَةِ إِلَى الشَّامِ وَمَعَهُ بَنُونَ ، فَلَمَّا كَانَ يَقْنُسَرِينَ
بَنُوهُ بِالطَّاعُونَ مَاتَ بَنُوهُ بِالطَّاعُونَ قَالَ :

أَبْدَى بَنِي الدَّهْرِ أَرْجُو غَضَارَةً مِنْ الْعَيْشِ أَوْ أَسْمَى لِمَافَاتٍ مِنْ عُمرِي
غَطَارِفَةً زَهْرٌ مَضُوءٌ السَّيْلِيمِ فَلَوْ عَلَى تِلْكَ التَّطَارُفَةِ الزَّهْرِ
سَقَى اللَّهُ أَجْسَادًا وَرَأَى تَرْكُتَهَا بِمَحْضَرِ قَنْسَرِينَ مِنْ صَيْبِ الْقَطْرِ
يَذْكُرْنِهِمْ كُلُّ خَيْرٍ رَأَيْتُهُ وَشَرٍّ ، فَمَا أَفْكَتُ مِنْهُمْ عَلَى ذِكْرِ
هَذَا الْبَيْتِ كَقَوْلِ الْآخَرِ :

رَعَاكَ ضِيَانُ اللَّهِ يَا أُمُّ مَالِكٍ وَقَدْ أَنْ يَرْهَكَ أَوَّلَى وَأَوْسَعُ
يَذْكُرُ نِيكَ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ وَالَّذِي أَخَافُ وَأَرْجُو وَالَّذِي أُنْوَغُ
وَقَالَ مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ :

وَأَبْنِي وَإِسْمَاعِيلَ يَوْمَ وَدَاعِهِ لَسْكَالَ الْفَيْدِ يَوْمَ الرُّوحِ فَارِقَهُ النَّصْلُ
أَمَّا وَالْحَبَالَاتُ الْمُرَاتُ مِيتَنَا رَسَائِلُ أَذْنَاهَا الْمَوْدَةُ وَالْوَحْلُ (١)
لَا اخْتُ صَهْدًا مِنْ إِخَاءٍ وَلَا نَائِي بِذِكْرِكَ نَائِي مِنْ ضَمِيرِي وَلَا شَيْئَلُ

وإني في مالى وأهلى كأتق
 يذكرك الغيرُ والشرُّ والحِجَا
 فألقك عن منمومها متنزهاً
 وأحدُ من إخلالِكَ البخلُ إنه
 يبرحُك لا بالمالِ حاشى لك البخلُ
 أمنتجماً مَرَوّاً بأفقالِ همةٍ
 دَعِ الثَّقَلَ وَاخِذِ حَاجَةَ مَا هَاتِلُ
 ثناء كثرُف الطيب يهدى لأهله
 وليس له إلا بنى برك أهلُ
 فإن أغشَ قوماً بدمٍ أو أزورم
 فكالوحش يُدنيه من القنصِ الخِل
 ومن ألقا أهلَ المصرِ في التعازي وما يتعلق بمآنها

من ذكر البكاء والجزع وعظم المصائب

خبرٌ عز على النفوسِ مَسَمَهُ ، وأثر في القلوبِ مَوَظَّهُ . خبرٌ تصطكُ
 له السامعُ ، وترعجُ به الأضالعُ ، وتسقط له الجبالُ ، وتَصْحو منه السكارى
 خبرٌ كادت له القلوبُ تطيرُ ، والقولُ تطيشُ ، والنفوسُ تطيحُ . خبرٌ يخفض
 البصرَ ويقذيه ، ويَقْيِضُ الأملَ ويقدح فيه . الخبرُ في أثناءِ الرجاءِ قد انقطع ،
 وأصمَّ به الناعى وقد أسمع . ناعى الفضائلِ قائمٌ ، وأنفُ المحاسنِ رَافِعٌ . خبرٌ
 أخرج الصدْرَ ، وأحلَّ البسكاهُ ، وحرَّم الصبرَ ، وأطار واقع السكون ، وأثار
 كامين الوجوم ، ونقلت وطأة على أجزاء النفس ، وتآدت معرته إلى سرِّ
 القلب . كتبتُ والأرضُ واجفةٌ ، والشمسُ كاسفةٌ ، للزء العظيم ، والمصائبُ
 الجسيم ، في فلك الملك ، ورُكنِ المجد ، وقريع الشرق والغرب ، وما عسى
 أن يُقالَ في الفلك الأعلى إذا انهارَ من جوانبه ، وتهاوت على منابحه .
 أنى الناعى ^(١) ، فغذب المساعى ، وقامت بواكى المجد ، وكسفت شمسُ الفضلُ ،

وعاد النهار أسود ، والعيش أنكد . غرب لموته نجمُ الفضل ، وكسدت سوقُ
الأدب ، وقامت نوادب الساحة ، ووقف ظكُ الكرم ، ولطمت عليه الحاسن
خدودها ، وشقت له للنقاب جيوبها [وَبُرودها] ، قد كانت الرزيةُ يبعثُ مارت
السماءُ مؤزرا ، وسارت الجبالُ سيرا ، حتى شوهلت الكواكبُ ظهرا ، ثم تهافتتُ
شفعاً ووترا ، فارتاعت الأئمة ، وانبسطت الظلمة ، وارتفعت الرحمةُ ، واضطربت
لليلة ، وقامت نوادبُ المجد ، وأصبح الناسُ من القيامةِ على وعد . إن المجدَ بعده
لجاري النعم ، وإن الفضلَ لمنزعج النفس ، وإن الكرمَ لخارج الصدر ، وإن
للملكِ لوَاهِنَ الظهور^(١) . كتابي وأنا من الحياة متذمّم ، وبالعيش مُتَبَرِّمٌ ، بعدما ماد العاود
الشامخ ، وزال الجبلُ الباذخ ، ونطقت نوادبُ المجد ، وأقيمت ما تَمُّ الفضل .
نبي فلان فتكرَّحَتْهُ الدهرُ ، وقبضتْهُ بَتهُ القَهرُ ، فلا قلبَ إلا قد تباين
صدّعه ، ولا عينَ إلا وهى ترشحُ بالدمِ بعده . كتبتُ والأحشاءُ محترقة ، والأجنانُ
بماها عَرِقة ، والنعمُ واكِفٌ ، والحزنُ هاكف . مصابُ أطلقُ أشرابَ النموع
وفرقها ، وأطلقُ أعشارَ القلوبِ وأحرقها ، مصابُ فضّ عقودَ النموع ، وشبّ
النارَ بين الضلوع . مصابُ أذاب دموعَ الأحرار ، فتخلّبت^(٢) سحابُ النموع
الفيزار ، وانصدّتْ مسالكُ السكون والاستقرار . كتبتُ عن عين تَدْمَعُ ، وقابِ
يَجْزَعُ ، ونفس تَهْلَعُ^(٣) ، وقد أذَلَّتْ مَصُونُ الصبرة ، وحسبتُ وأفدَحَ الحيرة ، ومذّت
الممُّ إلى جسمى يدَ السمِّ ، وجبرَّ النعمُ على خذى ذبولَ الدم . لولا أن العينَ
بالنعم أنطقُ من كل لسان وقم ، لأخبرتُ عن بعض ما أوْهَنَ ظَهْرِي ، وأوْهَى
أزْرِي . إنَّ الفجعةَ إذالم تحاربُ ببِيشٍ من البكاء ، ولم يخفَّ من أهْمالها بالاشتكاء ،
تضاضتْ دَاوْها ، وازدادتْ أعيَاؤها ، وعزَّ دَاوْها . قد شفيتُ غليلي بما استَدْرَيْتُهُ

(١) واهن : ضيف ، وواهِن الظهور : كناية عن ضعف احتمالِه الأعباء . (م)

(٢) تخلّبت : سالت وانهمرت (م) (٣) تهلج : تحزن (م)

من أسراب الدموع المتحيرة ، وحُفَّتْ عني بعض البرحاه بما امتزجته من أخلافها المتحدرة . إن في إسبكال التبرة ، وإطلاق الزفرة ، والإجهاش بالبكاء والنشيج ، وإعلان الصياح والضجيج ، تنفيساً عن برحاه القلوب ، وتحقيقاً من أتمال الكروب . قد أُنِيَ الدهرُ بملهد الأَصْلَاب ، وأطارَ الألياب ، من النازلة الهائلة ، والفجعة الفظيعة . زُرُّهُ أضعفَ الزمام القوية ، وأبكى الميونَ البكئية . مصيبة زَلَزَلَتِ الأرضَ ، وهذمت الكرمَ اللعُض ، وسلبت الأجفانَ كرامها ، والأبدانَ قَواها . نجمة لا يدَاوِي كَلَمَها آس^(١) ، ولا يَسُدُّ ثَمَلُها تَنَاس . مصيبة تركتِ العقولَ مُدَلِّيةً ، والنفوسَ مُولَمةً . زُرُّهُ هَضَّ وهَضَّ^(٢) ، وأطال الانخزال والانتقاض ، ولم يَرَضَ بأنْ فُضَّ الأعضاء ، حتى أفاض السماء . زُرُّهُ ملاهُ الصدورَ ارتباعاً ، وقسم الأليابَ شماعاً ، وترك الجفونَ مقروحة ، والدموع مسفوحة ، والقوى مهدودة ، وطرق المزاء مسدودة . زُرُّهُ نكأ القلوبَ وجرحها ، وأحمرَّ الأَكْبَادَ وقروحها ، مالى يدُ تَحْطُ إِلَّا بكلفة ، ولا نفس تردد إلا في غُصَّة ، ولا عين تنظر إلى من وراء قَدَى ، ولا صدر ينطوى إلا على أذى ؛ فالدموع واكفة ، والقلوب واجفة ، والملم وارىد ، والانسُ شارد .

والناسُ مَأْتَمُّمٌ عليه واحدٌ في كل دار زنةٌ وزفيرُ
 گانی كَنَدَةُ وهى تَلْهَفُ على حُجَر^(٣) ، والخنساءُ تَبْكِي على صخر . أنايين
 غَبْرَةٌ وزفرةٌ ، وأَنَّةٌ وحسرة ، وتَمَلُّلٌ واضطراب ، واشتعالٌ والتهاب . مصيبة
 أصبحتُ لِنَفْسِها وقيداً ، ولِكُرْبِهاً أُنَيْداً . كَتَبَتْ وقد ملك الجزعُ عِزَّائِي ،
 وحصل ناظرى فى إيسار بكائى ، فالقلبُ دهش ، والبنانُ يرتعش ، وأنا من البقاء
 متوحش . قد انتهى بى المَلَعُ إلى حيثُ لا التَأْسَى مُصَحِّب ، ولا التَنَاسِى مَصَاحِب ،
 بى انزعاج يحلُّ عَقْدُ الحَزْمِ ، واكتئابٌ ينقضُ شروطَ العَزْمِ . قد بلغ الحزنُ مبلغاً

(١) السكم : الجرح ، والآسى : للمالج (م)

(٢) هَضَّ : كسر ودق ، وهاض العظم : كسره (م)

(٣) حجر : كان ملك كندة ، وقته بنوأسد ، وهو أبوامرى القيس الشاعر (م)

لم أَبْذِلْهُ لِنَوَائِبَ ، وَإِنْ جَلَّتْ وَقَعًا ، وَنَأَتْ مِنْ تَنَالٍ ، لَمْ يَتَدَّ طَرَقَ الْمَصَائِبَ ،
وَلِنْ عَظُمَتْ لِحْجَا . كَتَبْتُ عَنْ اضْطِرَابِ نَفْسٍ ، وَاضْطِرَابِ صَدْرٍ ، وَتَهَابِ
قَلْبٍ ، وَانْتِهَابِ صَبْرٍ ؛ فَمَا أَعْظَمُهُ مَفْقُودًا ! وَمَا أَكْرَمُهُ مَلْحُودًا ! إِنْى لَأَنْوَحَ عَلَيْهِ
نَوْحٌ^(١) لِلنَّاقِبِ ، وَأَرْزِيهِ مَعَ النُّجُومِ الثَّوَابِ ، وَأُبْكِيهِ مَعَ الْمَالِ وَالْحَاسَنِ ، وَأُنْثِي
[عَلَيْهِ] بِنَاءَ الْمَسَاعِي وَالْمَآثِر . لَيْتَ عَيْنَ الزَّمَانِ شَلَّتْ قَبْلَ أَنْ فَتَكَتْ بِمُحْجِرِ
الْفَضْلِ ، وَعَيْنَ الزَّمَانِ كَفَّتْ قَبْلَ أَنْ رَأَتْ مَصْرَعَ الْفَخْرِ . لَقَدْ رَزَيْنَا مِنْ فُلَانٍ
عَالِمًا فِي شَخْصٍ ، وَآمَنَةً فِي نَفْسٍ . مَعَى وَالْحَاسَنِ تَبْكِيهِ ، وَلِلنَّاقِبِ تَمَزُّي فِيهِ .
الْمَيُونُ لَمَا قَرَّتْ بِهِ أَسْخَهَا فِيهِ رَيْبُ النَّوْنِ ، وَلَمَّا شَرَحَتْ بِهِ الصَّدُورَ قَبَضَهَا
بِفَقْدِهِ الْقُدُورَ . قَدْ رَكِبَ عَلَى الْأَعْنَاقِ ، بَدَ الْيَتَاقِ ، وَعَلَى الْأَحْيَادِ بَدَ الْيَحْيَادِ ،
وَفَاحَ فَنِيْتُ الْمَسْكِ مِنْ مَآثِرِهِ ، كَمَا يَفُوحُ الصَّبْرُ مِنْ مَجَارِهِ . كَانَ مَنْزِلُهُ مَأْلَفَ
الْأَضْيَافِ ، وَمَنَاسِ الْأَشْرَافِ ، وَمُتَتَّجِمُ الرُّكْبِ ، وَمَقْصَدُ الرِّفْدِ ، فَاسْتَبَدَلَ
بِالْأَنْسِ وَخَشَةِ ، وَبِالْمَضَارَةِ غُبْرَةَ ، وَبِالْبَيَاضِ ظُلْمَةَ ، وَاعْتَاضَ مِنْ تَرَاكُمِ الْمَرَآكِبِ
تَلَادَمَ الْمَآثِمِ ، وَمِنْ مَضْجِجِ النَّدَاءِ وَالصَّهِيلِ ، عَجِيجَ الْبَكَاءِ وَالْمَوِيلِ . هَذِي الْمُبَارَكُ
تُبْدِي شَجْوَهَا لِفَقْدِهِ ، وَتَلْبَسُ حِدَادَهَا مِنْ بَمْدِهِ ، وَهَذِي الْحَاسِنُ قَدْ قَامَتْ
نَوَادِبُهَا مَعَ نَوَادِبِهِ ، وَاقْتَرَنْتْ مَصَائِبُهَا بِمَصَائِبِهِ . لَوْ قِيلَتْ الْقِدْيَةُ لَوْ قِيَّتُهُ بِنَفْسِي
وَأَيَّامِ عَمْرِي ، عَلِمًا أَنَّ الْعِيْشَ يَمُتُّهُ مِنْ إِخْوَانِ الصَّفَا يَصْفُو ، وَبِظَمْنِهِ عَنِ الدُّنْيَا
يَكْدُرُ وَيَقْفُو . لَوْ وَثِقَ مِنَ الْمَوْتِ عَزِيزُ قَوْمٍ لِمَزَّتِهِ ، أَوْ كَبِيرُ بَأُولَادِهِ وَأُسْرَتِهِ ،
أَوْ ذُو سُلْطَانٍ بِاسْطِلَاطَتِهِ وَقُدْرَتِهِ ، أَوْ زَعِيمُ دَوْلَةٍ بِمَحْشَدِهِ وَعُدَّتِهِ ، لَكَانَ الْمَاضِي
أَحَقُّ مِنْ وَثْقَى وَأَوَّلَى مِنْ فِدْيَى ، وَكُنَّا أَقْدَرُ عَلَى دَفْعِ مَا حَلَّتْ ، وَدَبَّ مَا كَرِثَ
وَأَرْزَقَ ؛ لَكِنَّهُ الْأَمْرُ الْمُسَوَّى فِيهِ بَيْنَ مَنْ عَزَّ جَانِبُهُ وَذَلَّ ، وَكَثُرَ مَالُهُ وَقَلَّ ،
حَتَّى لَحِقَ الْبُغْضُ بِالْفَاضِلِ ، وَالتَّاقَصُ بِالْكَامِلِ .

(١) فِي نَسْخَةِ « نَوْحِ لِلنَّاقِبِ » وَلِلنَّاقِبِ : جَمْعُ مَنَقِبَةٍ ، وَهِيَ الْحَصَةُ مِنْ خِصَالِ
الشَّرَفِ (م)

ولهم فيما يطابق هذا النجوم وصف الدهر وذم الدنيا

هو الدهر لا يُنجَب من طوارقه ، ولا يفكر هجوم بوارقه . عطاؤه في ضانٍ
الارتجاع ، وجباؤه في قرآن الانتزاع . من عرف الزمان لم يستشعر منه الأمان ،
وتصرف الحوادث ، بين الموروث والوارث . الدهر مشحون بطوارق الفسار ،
مشوب صفو إيماء بالكدر ، مزوج صائبه بالعسل ، موصولة حبال الأمن فيه
بأسباب الأجل . قد جعل الله الدنيا دار قلع ، ومحل نقلة^(١) ، فمن راحل ليومه ، ومن
مؤخر لفته ، وكل متشوف لأجله ، وجار لأمدّه . ما الدنيا إلا دار النقلة ،
ولا المقام فيها إلا للرحلة ، إن المرء حقيق إذا طرقه ما يتحيف صبره (ويطرق
صدره) ، أن يعود إلى علمه بالدنيا كيف نصبت على الثقة ، وجنبت طول
المهلة ، وابتدئت بالتفاد ، وشغ كونها بالفساد ، وأن الثاوي فيها راحل ، والأمام
فيها مرّاحل . موهوب الدنيا مسلوب وإن أرحى إلى مهل ، ومنوحها مجذوب
وإن أخر إلى أجل . لو خلد من سبق ، لما وسعت الأرض من لحق ؛ ولذلك
جعلت الدنيا دار قلع^(٢) ، ومحل نجمة .

سُيقْنَا إِلَى الدِّنْيَا فَلَوْعَاشَ أَهْلُهَا مُتَمَنِّيًا بِهَا مِنْ جَنَّةٍ وَذُهِوبٍ
تَمَلَّكَهَا الْآتِي تَمَلَّكَ سَالِبٍ وَطَارَهَا الْمَاضِي فَرَاقَ سَلِيبٍ
وقال عتبة بن هارون : كنت مع فضل الرقاشي ، فمر بمقبرة ، فقال : يا أهل
الديار الموحشة ، والمحال المقفرة ، التي نطق بالخراب فتأوها ، وشيد بالتراب بناؤها ،
ساركها مغترب ، ومحلها مغترب ، أهل هذه المنازل متشاغلون ، لا يتواصلون
تواصل الإخوان ، ولا يتزاورون تزاور الجيران ، قد طحنهم بكلكله اليلى ،
وأكلهم الجندل والنرى .

(١) دار قلع - بضم القاف وسكون اللام ، وعلى الإضافة - أي دار نحو
وانتقال ، وقد وردت هذه العبارة في كلام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه (م)

وقال خافان بن صُبَيْح : لَوْحِشَةُ الشَّلَكِ التَّمَسْنَا أَنْسَ الْيَقِينَ ، وَمِنْ ذَلِّ
الْجَهْلِ هَرَبْنَا إِلَى عَرِّ الْمَرْقَةِ ، وَتَلَوُفِ الضَّلَالَةِ لَزِمْنَا الْجَادَّةَ .

وقال بعضُ الحكماء : كَوْنُ الْمَصَائِبِ وَسَكُونُ التَّوَائِبِ بَنَاتَا الْمُنَايَا مَطْوِيَّاتَا
فِي السَّاعَاتِ ، مَتَحَرَّكَاتَا فِي الْأَوْقَاتِ ، وَرَبَّ مَقْتَبِطٍ بِسَاعَةٍ فِيهَا اقْتَضَاهُ أَجَلُهُ ،
وَمَتَمَتِّعٍ بِوَقْتٍ صَارَ فِيهِ إِلَى قَبِيرِهِ ، وَمَتَمَتِّظٍ وَرُودَ يَوْمٍ فِيهِ مَنِيَّتُهُ .

ووعظ أعرابيٌّ ابناً له أفسدَ ماله في الشَّرَابِ ، فَقَالَ : لَا الدَّهْرُ يَبْغِظُكَ ،
وَلَا الْأَيَّامُ تَنْذِرُكَ ، وَالسَّاعَاتُ تُمَدُّ عَلَيْكَ ، وَالْأَنْفَاسُ تَعْدُ مِنْكَ ، وَأَحَبُّ أَمْرٍ يَكُ
إِلَيْكَ ، أَرَدُّهُمَا لِلْمَضَرَّةِ لَدَيْكَ .

[مِنْ مَقَامَاتِ بَدِيعِ الزَّمَانِ الْمَهْدَانِي]

وَمِنْ إِنْشَاءِ بَدِيعِ الزَّمَانِ فِي الْمَقَامَاتِ : حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : كُنْتُ فِي
الْأَهْوَازِ فِي رُقَّةٍ مَعَ مَا تَرَوُّهُ الْعَيْنُ فِيهِمْ تَسْهَلُ ، لَيْسَ مِثْلًا إِلَّا أَمْرُدُ بِكُرِّ الْأَمَالِ ،
بَعْضُ الْجَمَالِ . أَوْ مَخْطُتٌ خَسَنُ الْإِحْبَالِ ، مَرْجُوُّ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِ ، فَأَفْضَنُ فِي الْمِشْرِ
كَيْفَ [نَضَعُ قَوَاعِدَهَا ، وَالْأُخُوَّةَ كَيْفَ] عَحْكُ مَقَاعِدَهَا ، وَالسَّرُورَ فِي أَى وَقْتٍ
تَتَطَاهَا ، وَالْأَنْسَ كَيْفَ تَتَهَادَاهُ ، وَقَائِمُ الْحِظِّ كَيْفَ تَتَلَاوَاهُ ، وَالشَّرَابَ [مِنْ
أَيْنَ نَخْلُصُهُ ، وَالْجُلُوسَ كَيْفَ نَرْتَبُهُ ؟] فَقَالَ أَحَدُنَا : عَلَى الْبَيْتِ وَالْمَنْزِلِ ، وَقَالَ آخَرُ :
عَلَى الشَّرَابِ وَالنَّقْلِ ، وَقَالَ بَعْضُنَا : إِلَى السَّمَاعِ وَالْجَمَاعِ ، وَقَنَا نَجْرَ أَذْيَالِ الْقُسُوفِ ،
حَتَّى نَسْلُخَنَا مِنَ السُّوقِ ، وَاسْتَقْبَلْنَا رَجُلًا فِي طَيْرَيْنِ ، فِي يُمْنَاهُ عُكَّازَةٌ ، وَعَلَى
كَفَيْهِ جِنَّازَةٌ ^(١) ؛ فَتَعَلَّيْنَا لَهَا وَأَيْنَا الْجِنَّازَةَ ، وَأَعْرَضْنَا عَنْهَا صَفْعًا ، وَطَوَيْنَا دُونَهَا
كُشْعًا ، فَصَاحَ بِنَاصِيحَةٍ كَادَتْ الْأَرْضُ لَهَا تَنْفَطِرُ ، وَالنَّجْمُ تَنْكَدِرُ ، وَقَالَ :
لَتَرَوْهَا صُفْرًا ، وَلَتَرَكِبْنَهَا قَسْرًا . مَا لَكُمْ تَكْرَهُونَ مِطْيَةَ رَكَبِهَا أَمْ لَا تَكْرَهُونَ ، وَسِيرَكُمَا
أَخْلَافُكُمْ ، وَتَتَقَدَّرُونَ سِرِيرًا وَطَيْتُهُ أَبَاؤُكُمْ ، وَسَيَطُوهُ أَبْنَاؤُكُمْ ؟ أَمَا وَاللَّهِ لَتُخْمَلُنَّ عَلَى

لقائمة
الأهواز

(١) الجنَّازة - بكسر الجيم - سرير الميت (التمش) ما دام فيه (م)

هذه العيدين ، إلى تلك الديان ، ولتفتنَّ بهذه الجياد ، إلى تلك الوهاد .
وَيَحْكُمُ تَطْيِرُونَ^(١) ، كأنكم محبِّرون ، وتكرهون ، كأنكم منزهون ، هل تنفع
هذه الطيرة ، يا حجر ؟

قال عيسى بن هشام : قد نقضَ علينا ما كنَّا عقدناه ، وأبطلنا ما
كنَّا أرذناه ؛ فَمَلْنَا إِلَيْهِ ، وقلنا : ما أحوَجُنَا إلى وَعْظِكَ ، وَأَعَشَقْنَا لِفَضْلِكَ !
ولو شئتَ لَزِدْتُ ، قال : إِنْ وِراءَكُمْ مَوَارِدُ أَمْهٍ وَلِرْدُهَا ، وَقَدْ سَرَّيْتُمْ إِلَيْهَا
عَشْرِينَ حَجَّةً :

وإِنْ أَمْرًا قَدْ سَارَ عَشْرِينَ حَجَّةً إِلَى مَنْهَلٍ مِنْ وَرْدِهِ لَقَرِيبُ
وَفَوْكُمْ مَنْ يَعْلَمُ أَسْرَاكُمْ ، وَلَوْ شَاءَ لَهَكَ أَسْتَارَكُمْ ، يَعْلَمُكُمْ فِي الدُّنْيَا بِعِلْمٍ ،
وَيَقْضِي عَلَيْكُمْ فِي الْآخِرَةِ بِعِلْمٍ ، فليكنَ لِلْمَوْتِ مِنْكُمْ عَلَى ذِكْرٍ ، لثَلَا تَأْتُوا بِنُكْرٍ ؛
فإنكم متى اسْتَحْتَمَوْهُ لَمْ تَجْهَوْا ، ومتى ذَكَرْتُمُوهُ لَمْ تَمْزَحُوا ، وَإِنْ نَسِيتُمُوهُ فَهُوَ
ذَا كُرُّكُمْ ، وَإِنْ نَعِمْتُمْ بِهِ فَهُوَ ثَائِرُكُمْ ، وَإِنْ كَرِهْتُمُوهُ فَهُوَ رَائِرُكُمْ [قلنا : فما
ساجتكم ؟ قال : هي أطولُ من أن تُحَدَّ ، وأَكْثَرُ من أن تُمَدَّ ، قلنا : فما نَحْصُ
الوقت ؟ قال : رَدُّ قَائِمِ الْعُمُرِ ، وَدَفْعُ نَازِلِ الْأَمْرِ ، قلنا : ما إلى ذلكَ سَبِيلُ ،
ولكن لك ما شئتَ من متاعِ الدُّنْيَا وَزُخْرُفِهَا ، قال : لا حاجةَ لي فيها .

قوله * وَإِنْ أَمْرًا قَدْ سَارَ عَشْرِينَ حَجَّةً * محرف عن قول قائله :
* وَإِنْ أَمْرًا قَدْ سَارَ خَمْسِينَ حَجَّةً * والبيت لأبي محمد التيمي ،
أَنشده دَعْبِل :

إِذَا مَضَى الْقَرْنُ الَّذِي أَنْتَ فِيهِمْ وَخُلِّقَتْ فِي قَرْنٍ فَأَنْتَ غَرِيبُ
وَالْبَيْتَ بَعْدَهُ . قال دَعْبِل : وَتَزَعُمُ الرِّيَاةُ أَنَّهُ لِأَعْرَابِيٍّ مِنْ بَنِي أَسَدٍ . وقال
خِلَاد الْأَرْقُط : كُنَّا عَلَى بَابِ أَبِي عَمْرِو بْنِ الْعَلَاءِ وَمَعَنَا التَّيْمِيُّ ، فَذَكَرْنَا كِتَابَ

(١) تطيرون - بتشديد الطاء والياء جميعاً - أصله تتطيرون ، قلب التاء الثانية
طاء ثم أدغمها (م)

الحجاج بن يوسف إلى قتيبة بن مسلم : إني وإياك لدرسان^(١) ، وإن أمرأ قد سار
خمين حجة لقين أن يردّه . فأصلحناهُ بيتاً ، فاجتلبه النبي في شعره .

[من رسائل بديع الزمان الهمذاني] .

وكتب البديع إلى أبي القاسم الكرخي : أنا وإن لم ألتق تطاول الإخوان إلا
بالتطاول ، وتجمل الأحرار إلا بالتجمل ، أحاسب الشيخ على أخلاقه ضناً
بما عقدت يدي عليه من الظن به ، والتقدير في مذهبه ، ولو لا ذلك لقلت : في
الأرض مجالٌ إن ضاقت ظلاله ، وفي الناس واصلٌ إن رمت حباله ، وأواخذُه
بأفعاله ؛ فإن أعارني أذنًا واعيةً ، ونفساً راعيةً ، وقلبا متقفاً ، ورجوعاً عن
الذهاب ، ونزوعاً يقرعه من هذا الباب ، فرشت لمودته صدرى^(٢) ، وعقدت
عليه جوامع حصري ، وجماع غري ؛ وإن ركب من التعلّال غير مركب ،
وذهب من التعلّال في غير مذهب ، أقطعتُه خطه أخلاقه ، ووليتُه جانب إعراضه ،
فكنت امرأ :

من البديع
لأبي القاسم
الكرخي

لا أذود الطير عن شجرٍ قد بلوتُ اللز من ثمره

فإني — أطال الله بقاء الشيخ مولاي — وإن كنت في مستقبل السن والعمر ،
فقد حلبت شطرى الدهر^(٣) ، وركبت ظهري البر والبحر ، ولقيت وفدى الخير
والشر ، وصاغت يدي النقع والضر ، وضربت إبلى السمر والبسر ، وبلوتُ
طسى الخلو والزر ، ورضنت ندى العزف والشكر ؛ فما تكاد الأيامُ تربي من
أضالها غريباً ، وتضميني من أقوالها عجيباً ، ولقيت الأفراد ، وطارحت الأحاد ؛
فأرايتُ أحداً إلّا ملأت حافتي سميّه وبصره ، وشغلت حيزي فكره
وتفكره ، وأثقلت كفة في الحزن ، وكففته في الوزن ؛ وودّ لو بارز القرن

(١) لغة الإنسان — بكر اللام وفتح الـدال مخففة — المساوي له في السن (م)

(٢) في نسخة « فرشت لمودته خوان صدرى » (م)

(٣) حلبت شطرى الدهر : كناية عن التجربة والاختبار (م)

بفتحتي ، أو لقي الفضل مصحفتي ، فإلى صَفَرْتُ في عينه ؟ وما الذي أزرى بي عنده ؟ حتى احتجبَ وقد قَصَدْتُه ، ولزِمَ أرضه وقد حضرته ، وأنا أحاشيه أن يجهلَ قَدْرَ الفضلِ ، أو يتجحدَ فضلَ العلمِ ، أو يمتنعَ ظَهْرَ القبةِ ، على أهليه ، وأسأله أن يختصني من بينهم بفضل إنعام إن زلت بي مرةً قَدَمَ رأى في قصده ، وكأني به وقد غضب لهذه المخاطبة الجحيفة ، والرتبة المتحيضة ، وهو في جنب جفائه يسير ، وإن ألقع عن عادته إلى الوفاء ، ونزع عن شيمته في الجفاء ؛ فأطال الله بقاء الأستاذ وأدام عزه وتأييده

وله إليه رقعة :
بِعَزٍّ عَلَى — أطال الله بقاء الشيخ الرئيس — أن ينوبَ في خدمته قلمي ،
عن قَدَمِي ، ويسعد برويته رسولي ، دون وصولي ، ويرد شِرْعَةَ الأنسِ
به كتابي ، قبل ركابي ، ولكن ما الحيلة والعواقب جمة :
وعلى أن أسمى وليس على إدراك التبعاح
وقد حضرت داره ، وقبِلْتُ جداره ، وما بي حبُّ الجُذْران ، ولكن
شفقاً بالقُطْبان ، ولا عشقَ الحيطان ، ولكن شوقاً إلى السكان ، وحين عدتِ
القَوَادِي عنه ، أملتُ ضميرَ الشوقِ على لسان القلم ، معتذراً إلى الشيخ على
الحقيقة ، عن تقصير وقع ، وفُتُور في الخدمة عَرَضَ ، ولكني أقول :

إِنْ يَكُنْ تَرْكِي لِقَصْدِكَ ذنباً فكفى ألا أراك عِقباً
وله جواب إلى رئيس هراة عدنان بن محمد : ورد كتابُ الشيخ الرئيس
سيدي ، فظلت وفودُ النعم تترى على ، ومثلت لدى وبين يدي ، وقد أخذت مكارمَ
نفيه ، فجعلها قِلَادَةً غزيبه ، وتبع الحسن من عنده ، فحلى بها نحرَ عبده ^(١) ،
وما أشبه رائح حُلِيه ، في نحروته ، إلا بالقرعة اللانحة ^(٢) ، على [الدَّهْمَةِ] السكالحة

(١) في نسخة «فكساها لبيده» (م)

(٢) أصل الفرة البياض في وجه الفرس ، وأراد البياض مطلقاً ، واللائحة :

الظاهرة ؛ والسكالحة : العابسة (م)

كتاب آخر
من البديع
إلى أبي القاسم

كتاب منه
إلى رئيس
هراة

لَا أَخَذَ اللَّهُ الشَّيْخَ بِوصْفِ نَزَعِهِ عَنْ عَرْضِهِ ، وَزَرَعَهُ فِي غَيْرِ أَرْضِهِ ، وَنَعَتْ
سَلَخَهُ مِنْ خَلْقِهِ وَخُلُقِهِ ، وَأَهْدَاهُ إِلَى غَيْرِ مَسْتَحَقِّهِ ، وَقَضَى اسْتِفَادَهُ مِنْ فَرَعِهِ
وَأَصْلِهِ ، وَأَوْصَلَهُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ . ذَكَرَ حَدِيثَ الشُّوقِ وَلَوْ كَانَ الْأَمْرُ بِالزِّيَارَةِ حَتَّى ،
أَوْ الْإِذْنِ [جَزْئاً] أَطْلَقَ عَزَمًا ، لَكَانَ آخِرُ نَظَرِي فِي الْكِتَابِ ، أَوَّلُ نَظَرِي
إِلَى الرِّكَابِ ، وَلَا اسْتَعْنَتْ عَلَى كَلْفِ السَّيْرِ ، بِأَجْنَحَةِ الطَّيْرِ ^(١) ، لَكِنَّهُ - آدَامَ اللَّهُ
عَزَّوَهُ - صَرَعَنِي بَيْنَ يَدَيْهِ سَرِيعَةَ الثَّبَدِ ، وَرَجَلَ وَشَيْكَةً الْأَخْذِ ، وَأَرَانِي زَهْدًا فِي
ابْتِغَاءِ ، كُحْيٍ فِي ارْتِقَاءِ ، وَزَعَا فِي زُرُوعِ ، كَذَهَابِ فِي رُجُوعِ ، وَرَغْبَةٍ فِي
كَرْغَبَةٍ عَنِي ، وَكَلَامًا فِي الْفَلَافِ ، كَالصَّرْبِ نَعْتِ الْخَافِ . فَلَمْ أَصْرُحْ بِالْإِجَابَةِ
وَقَدْ عَرَّضَ بِالْإِعْدَاءِ ، وَلَمْ أُعْلِنِ بِالزِّيَارَةِ وَقَدْ أَسْرَءَ بِالْإِدْعَاءِ ، وَلَوْ لَمْ يَدْعُ بِلِسَانِ
الْمُحَاجَاةِ ، وَلَمْ يَجَاهِرْ فِي بَهْمِ الْمُنَاجَاةِ ، لَكُنْتُ أَسْرَعُ إِلَيْهِ ، مِنْ السَّكْرَمِ إِلَى عَطْفِيهِ .
وَفَكَّرْتُ فِي مُرَادِ الشَّيْخِ ، فَوَجَدْتُهُ لَا يَتَمَدَّى الْكُورُ يَشُبُّ نَارَهُ ، وَالْفُضْلُ
يُدْرِكُ نَارَهُ ، وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كُنْكَافًا فَأَوْلَاهُ بِتَرْفِيهِ مَوْلَاهُ ، عَنْ زَفَرَةٍ صَاعِدَةٍ ،
بِسَفَرَةٍ بَاعِدَةٍ ^(٢) ، وَنُكْبَاءَ جَاهِدَةٍ وَقَدْ زَادَ سَيْدِي فِي أَمْرِ الْمُخَاطَبَةِ ، وَمَا أَحْسَنَ
الاعْتِدَالَ ، وَقَدْ كَفَانَا مِنْهُ الْأُسْتَاذُ ، وَأَسْأَلُهُ أَلَّا يَزِيدَ ، وَقَدْ بَدَأَ وَيَجِبُ أَلَّا يَبْعِدَ ،
فَلَا تَنْفَعُ كَثْرَةُ الْمَدِّ مَعَ قَلَّةِ الْمُدُودِ ، وَالزِّيَادَةُ فِي الْحَدِّ مَعَ نَقْصَانِ الْمُدُودِ نَقْصُ
مِنِ الْمُدُودِ ، وَرَبِّ رِيحٍ أَدَّى إِلَى خُسْرَانٍ ، وَزِيَادَةُ أَفْضَتْ إِلَى نَقْصَانٍ ، وَرَأَى
الشَّيْخُ فِي تَشْرِيفِهِ بِجَوَابِهِ مَوْفُقٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

اجْتَلَبَ قَوْلُهُ فِي أَوَّلِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ مِنْ قَوْلِ أَبِي إِسْحَاقَ الصَّابِي فِي جَوَابِ

كِتَابِ لِبَعْضِ إِخْوَانِهِ :

وَصَلَ كِتَابُكَ مَشْحُونًا بِطَلِيفِ بَرِّكَ ، مُوشَّحًا بِنَافِيرِ فَضْلِكَ ، نَاطِقًا بِصَحَّةِ
مِنْ الصَّابِي لِبَعْضِ إِخْوَانِهِ

(١) فِي نَسْخَةٍ « اسْتَعْنَتْ عَلَى السَّيْرِ ، أَجْنَحَةُ » (م)

(٢) فِي نَسْخَةٍ « زَفَرَةٍ قَاصِدَةٍ » (م)

عهدك ، صادقاً عن خلوص ودك ، وضمته وشكرتُ الله تعالى على سلامتك
شكراً المخصوص بها ، ووقفتُ على ماوصفته من الاعتدال بي ، وتناهيتُ إليه
من التريظ لي ، فازدتُ على أن أعزّيتي خيلاً . ونحلتني خيالك ، لأنك
بالمصائل أولى ، وهي لك أخرى ، ولو كنت في نفسي ممن يشتملُ على وصفه
حدّى إذا حدثت ، أو يحيط بكاله وصفي إذا وصفت ، لشرّعت في بلوغها والقرب
منها . لكن المادح لك مستفد لك وشمه وقد بخسك ، ومستغرق طوقه وقد
تمسّك ، فأبلغ ما يأتي به للمثني عليك ، ويتوصل إليه للطري لك ، الوقوف في
ذلك دون منهته ، والإقرار بالعجز دون غايته ومداه .

وقال البديع ما ذكره من ترك السفر والبقية بما حضر من قول لابي الرومي
ابن الرومي :

أماحق حامي عرض مثلك أن ترى له الرفد والترفيه أوجب وأجب
أفت لكى ترداد نعماك نعمة وتنفى وجه ناضر غير شاحب
وكى لا يقول القائلون أنا به وعاقبه والقول جم المساغب
وايس عجباً أن ينوب تكرّم عذبت به من أمل لك عائب
دمايحى ترعى لا ذمام سينة وحق لا حق القلاص النجائب^(١)

ودخل على أبي الغتاهية ابنه ، وقد تصوف ، فقال : ألم أكن قد نهيتك عن
هذا ؟ فقال : وما عليك أن أعود الخير ، وأنشأ عليه فقال : يا بني ، يحتاج
التصوف إلى رقة حال ، وحلاوة شمائل ، ولطافة معنى ، وأنت قليل الظل ، مظلم
الهواء ، راكد السيم ، حامد العينين ، فأقبل على سوقك : فإنها أعوذ عليك .
وكان ترأّوا .

(١) القدام - بكسر الدال - العهد ، والقلاص : الإبل الغنية : واحدها قلووس .

والنجائب : الحريّة السير ، والمفرد نجيب ونجبة (م)

فقر من كلام المتصوفة والزهاد والقصاص

نور الحقيقة، أحسن من نور الحقيقة. الزهد قطع العلائق، وهجر الخلق. الدنيا ساحة، فاجعلها طاعة. التصوف ترك التكلف. قيل للمتصوف: أبيع مرقمتك؟ قال: أرايتم صياداً يبيع شبكته! وقيل لبعضهم: لو تزوجت! قال: لو قدرت أن أطلق نفسي أطلقها، وأنشد:

تجرد من الدنيا فإنك إنما سقطت إلى الدنيا وأنت مجرد
الدنيا نور والآخرة يقظة، والمتوسط بينهما الموت، ونحن في أضفأ أحلام.
ذو النون: البعد بين نعمة وذنب، لا يصلحها إلا الشكر والاستغفار.
غيره: يبنى للعبد أن يكون في الدنيا كثر يرض لا بد له من قوت، ولا يراه
كل طعام. ليس في الجنة نعيم أعظم من علم أهلها أنها لا تزول.

ابن المبارك: الزهد إخفاء الزهد. إذا هرب الزاهد من الناس فاطلبه، وإذا طلبهم
فاهرب عنه. من أطلق طرفه كثر أسفه. من سوء القدر فضل النظر من طالع طرفه،
تابع حقه، ومن نظربعين الهوى حار، ومن حكم على الهوى جار، ومن أطال
النظر لم يدرك العاة، وليس لناظر نهاية. ربما أبصر الأعمى رشد، وأصل
البصير قسده. وقيل: رب حرب جئيت من لفظة، ورب حب غرس من
لفظة، وأنشد:

نظرت إليها نظرة لو كسوتها سراويل أبدان الحديد المسرود
لرقت حواشيها وقص حديدتها ولأت كما لأت داود في اليد^(١)
وقال سعيد بن حميد:

نظرت قتادتي إلى الخنثى بطرة. إلى منصور الضمير تشير^(٢)

(١) في نسخة « لرق حواشي » والحواشي: جمع حاشية. وحاشية الثوب:

جانبه (م)

(٢) الخنثى: الموت (م)

فلا تصرفن الطرفَ في كل منظرٍ فإنَّ مَمَارِضَ البلاءِ كثيرٌ
ولم أرَ مثْلَ الحبِّ أَسَمَ ذا هوى ولا مثلَ خُكِّ الحبِّ كيفَ يَجُورُ
لقد صُنْتُ ما بي في الضميرِ لو أنه يُهان لدى الطرفِ النومُ ضَمِيرُ
غيره :

اليوم أيقنت أن الحبَّ مُتَلَفَةٌ وأن صاحبه منه على خَطَرٍ
كيف الحياة لمن أنسى على شَرَفٍ من اللئيمِ بين الخوفِ والحذرِ
يلومُ عينه أحياناً بذنبيهما ويحملُ الذنبَ أحياناً على التدرِ
إذا نأى أو دنا فالقلبُ عندكم وقلبه أبداً منه على سَفَرٍ
ونظر محمد بن أسباط الصوفي إلى أبي التثني الشيباني وقد نظر في وجه غلام
مليح ، فقال : [إياك و] إذ ماَ النظر [فإنه] يكشف الخبر ، ويفضح البشر ،
ويطول به المكثُ في سقر .

وقال للملئ الصوفي : شكوتُ إلى بعض الزهاد فسأداً أجده في قلبي ، فقال : هل
نظرتُ إلى شيء فتأقتُ إليه نفسك ؟ قلت : نعم ، قال : احفظْ عينيك ؛ فإياك إن
أطلقتها أوقعتك في مكروه ، وإن ملكتهما ملكتهما سائرَ جوارحك .
وقال مسلم الخوافي ل محمد بن علي الصوفي : أؤصني ، فقال : أوصيك بتقوى
الله في أمرِك كله ، وإثارة ما يحبُّ على محبتك ، وإياك والنظر إلى كل ما دعاك إليه
طرفك ، وشوقك إليه قلبك ؛ فإنهما إن ملكاك لم تملك شيئاً من جوارحك ، حتى
تبلغ لهما ما يطلبانك به ^(١) ، وإن ملكتهما كنت الداعي إلى ما أردت ، فلم يصيا لك
أمراً ولم يرداً لك قولاً .

قال بعض الحكماء : إن الله عز وجل جعل القلبَ أميرَ الجسدِ ، وملكَ
الأعضاء ؛ فجميعُ الجوارح تنقادُ له ، وكلُّ الحواسِ تُطيعُه ، وهو مديرها ^(٢)

(١) في نسخة « حتى يطلب بهما ما يطلبانك به » (م)

(٢) وتقرأ « مديرها » بالباء للوحدة (م)

ومصرّضها ، وقائدُها وسائقها ، وإرادته تنبُعث ، وفي طاعته تنقلب ؛ ووزيره العقل ، وعاضدُه القهْمُ ، ورائدُه المِيتان ، وطيّمتُه الأذنان . [وما في النقل سواء ، لا يَكُنْه أمرًا ، ولا يطويانِ دونه سرًّا ، يريد العين والأذن] .
وقيل لأفلاطون : أيهما أشدّ ضررًا بالقلب السمع أم البصر ؟ فقال : هما للقلب كالجنّاحين للطائر ، لا يستقلّ إلا بهما ، ولا ينهض إلا بقوتهما ، وربما قصّ أحدهما فتهض بالأخر على تعب ومشقة . قيل : فما بالُ الأعمى يعشق ولا يرى ، والأصمّ يعشق ولا يسمع ؟ قال : لذلك قلت : إن الطائر قد ينهضُ بأحد جناحيه ولا يستقلّ بهما طيرانًا ، فإذا اجتمعَا كان ذهابه أمضى ، و [طيرانه] أَوْحَى ^(١) .

وقال الأسود بن طلوت الجارودي : نظر إلى أبو القمير الصوفي وقد أطلت النظر إلى غلام جميل ، فقال : ويحك ! إنَّ طَرَفَكَ لمظيم ما احتجى من البلاء قد عرَّضَكَ للسكر وهطول العناء ، لقد نظرت إلى حَتَفٍ قاتل للقلوب ، وبلاء مُظْهِرٍ للعيوب ، وعارٍ قاضحٍ للنفوس ، ومكروهٌ مُذْهِلٌ للعقول ، أكل هذا الاعتقار بالله جرأكَ عليه حتى أمنتَ مَكْرَهُ ، ولم تخفَ كَيْدَهُ ؛ أعلم أنك لم تكن في وقت من أوقاتك ، ولا حالةٍ من حالاتك ، أقرب إلى عقوبة الله منك في حالتك هذه ، ولو أخذك لم يتخلصك الثقلان ، ولم يَقْبِلْ فيك شفاعَةُ إنس ولا جان .

ونظر محمد بن ضوء الصوفي إلى رجل ينظرُ إلى غلام مليح ، فقال : كفى بالبعيد قصصا عند الله ، وضعة عند ذوى العقول ، أن ينظرَ إلى كل ما سَنَحَ له من البلاء .

ونظر [أبو] مسلم الخشوعي فأطال النظر ، فقال : إنَّ في خلقِ السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآياتٍ لأولى الألباب . ثم قال : سبحان الله ! ما أَعْجَمَ طَرَفِي على مكروه نفسه ، وأدمنته على تسخط سيده ،

وأغراه بما نعى عنه ، وألهجه بما حذر منه ! لقد نظرت إلى هذا نظراً شديداً خشيتُ أنه سيفضحني عند جميع مَنْ يعرفني في عَرَصَةِ القيامة ؛ ولقد تركني نظري هذا وأنا أشتحي من الله تعالى أَنْ غفر لي ! ثم صمق .

ونظر غالبُ الضرور^(١) إلى غلام جميل على فرس رائع ، قال : لا أدرى بم أداوى طرقي ، ولا بم أعالج قلبي ؟ ما أتوبُ إلى الله من ذنبٍ إلا رجعت فيه ، ولا أستغفرهُ من أمرٍ إلا أتيتُ أعظمَ منه ، حتى لقد استحييتُ أن أسأله المغفرة لما يلحق قلبي من القنوط من عفوه ، لعظيم حالي بالشكر الذي أصنعه . فقال له قائل : وأيّ منكر أتيت ؟ فقال : أتريدُ مني أكثرَ من نظري هذا ! والله لقد خشيتُ أن يبطل كلُّ عملٍ قدمته ، وخير أسلفته ، ثم بكى حتى ألقى خدّه بالأرض .

ورأى بعضُ الزهاد صوفياً يضحكُ إلى غلامٍ جميل ، قال له : يا خارب القلب ، ويا مفتضح الطرف ؛ أما تستحي من كرامِ كائنين ، وملائكة حافطين ، يحفظون الأنفال ، ويكتبون الأعمال ، وينظرون إليك ، ويشهدون عليك ، بالبلاء الظاهر ، والنيل البخيل المخامر ، الذي أقت نفسك فيه مقام مَنْ لا يبالي من وقف عليه ، ونظر من اخلق إليه .

وقال أبو حمزة بن إبراهيم : قلت لـ محمد بن السلاء البغدادي - وكان سيدَ المتصوفة ، وقد رأيته يماشي غلاماً ضئيلاً مدة ثم فارقه - : لم هجرت ذلك الفتى بعد أن كنتَ له مواصلاً ، وإليه مائلاً ؟ فقال : والله لقد فارقه من غيرِ قَلْبٍ ولا مَلَلٍ ؛ ولقد رأيته قلبي يدعوني إذا خلوت به ، وقربت منه ، إلى أمرٍ لو أتيتَه لسقطت من عينِ الله عز وجل ؛ فهجرتُه تنزيهاً لله ولنفسِي عن مصارعِ الفتن ، وإني لأرجو أن يعقبنى سيدي من

مفارقته ما أعقب الصابرين عن تحارمه عند صدق الوفاء بأحسن الجزاء ؛ ثم بكى حتى رحمته .

قال أبو حمزة : ورأيتُ مع أحد بن علي الصوفي بيت للقدس غلاماً جليلاً ، قلتُ : منذ كم صحبتك هذا الغلام ؟ قال : منذ سنين ، قلتُ : لو سرتما إلى بعض المنازل فكنتما فيه كأن أحدكما من الجلوس في المسجد بحيث يراكا الناس ؟ قال : أخاف احتيال الشيطان عليّ به وقت خلوتي ، وإني لأكره أن يراني الله فيه على معصية فيفترق بيني وبينه يوم يظفر المحبون بأحبابهم قال أبو الفتح البستي :

ننازع الناس في الصوفي ، واختلفوا فيه وظنّوه مشتقاً من الصوف
ولست أعلم هذا الاسم غير فتي صافي صوفي حتى لقب الصوفي
ورأى بقرات رجلاً من تلامذته يتفرّس في وجه أوحياً ، وكانت قائمة
الجمال ، فقال : ما هذا الشغل الذي منعه الرويّة والفكرة ؟ قال : التمجّب
من آثار حكمه الطيبة في صورة أوحياً ، قال : لا تجملن نظرك لشهوتك مركباً ،
فيجمع لك في الوحول الأذية ^(١) ؛ ولتكن نفسك منه على بال ، إن آثار
الطيبة في وجه أوحياً الظاهرة تمنع بصرك ، وإن فكرت في صورتها الباطنة
تحد نظرك .

وقال بعضهم : رأيتُ جاريةً حسناء الساعد ؛ قلت : يا جارية ،
ما أحسن ساعدك ! قالت : [أجل ، لكنه] لم تختص به ، فنضّ بصراً جسمك
عما ليس لك ؛ لينفتح بصرك عطفك فتري مالك .

(١) في نسخة « ليجمع لك ذحول الأذية » (م)

الرأى والهوى

وقال بعضُ الفلاسفة اليونانيين : فضلُ ما بينَ الرأى والهوى أنْ الهوى يَحْصُنُ والرأى يَمُتُّ ، وأنْ الهوى فى حيزِ العاجِل ، والرأى فى حيزِ الآجَل ، والرأى يبقى على طولِ الزمان ، والهوى سريعُ الدُّور^(١) والاصمَحلال ، والهوى فى حيزِ الحس ، والرأى فى حيزِ العقل .

وقال بعضُ الحكماء : من اعتادَ لهوَه عرضته الشهوات .

وقال آخر : من جَرَى مع هواه طَلَقًا^(٢) ، جمل عليه لنذل طرَقًا .

وقال ابنُ دُرَيْد : أوصى بعضُ الحكماء رجلاً فقال : آمركُ بمجاهدةِ هواك ؛ فإنه يقال : إنْ الهوى مفتاحُ السيئات ، وخَصِيمُ الحسنات ، وكلُّ أهوائك لك عدوٌّ ، وأعداها هوَى يَكْتُمُكَ نَفْسَهُ ، وأعدى منه هوَى يَمَثُلُ لك الإثمُ فى صورةِ التقوى ، ولن تفصل بين هذه الخصوم إذا تناظرتَ لديك إلا بِحَزْمٍ لا يَشُو به وهَنٌ^(٣) ، وصِدْقٍ لا يطمع فيه تكذيبٌ ، ومَضَاهٍ لا يقارِبُه التَّشْيِيطُ ، وصبرٍ لا يبتاله الجُرْعُ ، وهمةٍ لا يفتتها التَّضْيِيعُ .

وقال أبو الصَّهْبَاءِ :

لا تَأْمَنُ لِلْمَوْتِ فى طَرْفِ وفى نَفْسٍ ولو تَمَنَّمتَ بالحِجَابِ والحِرسِ
فما تَزَالُ سِيْهَامُ الْمَوْتِ نَافِذَةً فى جَنْبِ مُدْرِعٍ مِنَّا وَمُسْتَرْسٍ^(٤)
ما بَالُ دِينِكَ تَرْضَى أَنْ نَدْنِسَهُ وثَوْبُكَ الدَّهْرُ مَقْصُولٌ مِنَ الدَّنَسِ
تَرْجُو التَّجَاعُةَ وَلَمْ تَسْلُكْ سَائِلَهَا إِنْ السَّفِينَةَ لَا تَحْصِرِي عَلَى يَبَسِ

[من اليدِ بدائه فى مجالسِ الخلقاء]

خرج شبيب بن شيبه من دارِ المهدي ، فقيل له : كيف رأيتَ الناسَ ؟ قال :

(١) الدُّور : الهلاك (م)

(٢) طَلَقًا - بفتح الطاء واللام ساحتنة أو مفتوحة - شوطاً (م)

(٣) الوهن - بالتحرير - الضعف (م)

(٤) للدرع : لابس الدرع ، وأصله متدفع ، وللترس : لابس الترس (م)

رأيتُ الداخلَ راجياً والخارجَ راضياً . نحا إلى هذا المعنى ربيعةُ الرقي فقال :

قد بسطَ المهديّ كفَّ الندى للناسِ والمفوعِ عن الظالمِ

فأراحِلُ الصادرِ عن بابِهِ مبشراً للواردِ القادمِ

وقال مسلم بن الوليد في نحو هذا المعنى :

جزيت ابن منصورٍ على نأى دارِهِ جزاءَ مقسّرٍ بالصنيعةِ شاكِرٍ
فتى راغِمِ الأموالِ واصطنعَ العُلاَ وأرثَ نيرانَ الندى للعشارِ^(١)
[ترى الناسَ أرسلًا على بابِ دارِهِ] [عَلَى آمِنٍ يَحْدُو بِهِ حُلُ صادِرِهِ]^(٢)

وقال للنتى :

والقى القمَّ الضحَّاكُ أعلمُ أنه قريبٌ بذى الكفِّ اللقداءِ عهدُهُ

دخل خالد بن صفوان على أبي العباس السفاح ، وعنده أخواله من بني الحارث بن كعب ، فقال : ما تقول في أخوالى ؟ فقال : هم هامة الشرف ، وعزّين الكرم ، وغرّس الجود ، إن فيهم خلصا ما اجتمعت في غيرهم من قومهم : إنهم لأطولهم أمّا ، وأكرمهم شيئا ، وأطيبهم طعما ، وأوفاهم ذمّا ، وأبدمهم حمّا ، الجرة في الحرب ، والرّفد في الجذب ، والرأس في كل خطب ، وغيرهم بمنزلة العجّاب^(٣) . فقال : وصفت أباصفوان فأحسنّت ، فزاد أخواله في الفخر ؛ فنصب أبو العباس لأعمامه ، فقال : أفرح يا خالدا ؟ قال : أعلى أخوال المؤمنين ! قال : وأنت من أعمامه ؟ قال : كيف أفرح قومًا مابين ناسج برد ، وسائس قرْد ، ودانيج جسد^(٤) ، دلّ عليهم همدُ ، وغرقهم جرْد ، وملكتهم أمّ ولد ! فأشرق وجهُ أبي العباس . قال يموت ابن المزرّع : سمعتُ خالي الجاحظ ، وذَكَرَ كلامَ خالد هذا ، فقال : والله لو فكرت في جمع معايبهم ، واختصار اللفظ في متآلبهم ،

أخوال
السفاح

(١) أرت التار : أوقدها ، وفي كلمة النسخ « وأثبت نيران - إلخ » (م)

(٢) صدر هذا البيت مذكور في نسخة . وعجزه عن ديوان مسلم بن الوليد (م)

(٣) العجب - بالفتح - أصل القنب ومؤخر كل شيء .

(٤) في نسخة زيادة « وراكب عرد » والورد - بفتح العين وسكون الراء - الحمار (م)

بعد ذلك للدخ للذهب سنةً لكان قليلا ، فكيف على يديه لم ترُضْ له فكرًا .
هكذا أورد هذه الحكاية الصولى ، وقد جاءت بأطول من هذا ،
وليس من شرطنا .

لمن بن أوس

قال لمن بن أوس الهذلى :

لمررك ما أذرى وإنى لأوجلُ على أينما تأنى للتيبة أولُ
وإنى أخوك الدائمُ الودَّ لم أحلُ إذا ناب خطبُ أو نبأ بك منزلُ^(١)
كأنك تشفى منك داء ماضى وسخطى ، وما فى ريبقى ما تمجلُ
وإن سوتى يوما صيرتُ إلى غدٍ ليحبَّ يوما آخرُ منك مُقبلُ
ستقطع فى الدنيا إذا ما قطعنى يمينك فانظرُ أى كفت تبذلُ
وفى الناس إن دنتُ حبالك واصلُ وفى الأرض عن دار القلى مُحَوَّلُ
إذا أنت لم تصف أخاك وجدتهُ على طرف الهجران إن كان بعزلُ
ويركب حدَّ السيف من أن تصيبهُ إذا لم يكن عن شفرة السيف رمزُ حلُ
وكنتُ إذا ما صاحب رأم ظننى وبذل سوءا بالذى كان يفعلُ
قلبتُ له ظهَرَ الجعن ولم أدُم عليه العهد إلا ريتا أمحوَّلُ
إذا انصرفت نفسى عن الشيء لم تكد على بوجهٍ آخر الدهر تُقبلُ

ودخل عبد الله بن الزبير على معاوية بن أبى سفيان وأنشد شعرتهن ، قال :
لمن هذا ؟ قال : لى يا أمير المؤمنين ، قال : قد شمرتَ بحدى يا أبا بكر ! ثم
دخل عليه متن فأندش الشعر بيته ، قال : يا أبا بكر ، ألم تقل له شرك ؟ قال :
يا أمير المؤمنين ، إنه يظننى^(٢) فما كان له فهو لى . أراد معاوية معاوية فتابه بشر
متن ؛ ليبلغ ما فى نفسه ، وليس أدعاؤه له على حقيقة منه .

(١) حفظى « الدائم السهد لم أخن » إن ابتاك خصم - إلخ » (م)

(٢) ظنر الرجل - بكسر الظاء وسكون المعزة - ابته من الرضاع (م)

(١٦ - زمر الأداب ٢)

وقال خالد بن صفوان : دخلتُ على هشام بن عبد الملك ، فاستدناي حتى كنت أقرب الناس إليه ، ثم تنفس الصعداء ، وقال : يا خالد ، رب خالد جلي جلك هو أشهى إلى حديثنا منك ! فقلت أنه أراد خالفاً القسري ، فقلت : أفلا تنيده يا أمير المؤمنين ؟ فقال : هيهات ! إن خالداً أذل فأمل ، وأوجب فأجف ، ولم يدعُ لراجع مرجاً . وتمثل بهذا البيت :

إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكند عليه بوجه آخر الدهر تُقبلُ
وروي أبو حاتم عن أبي عبيدة قال : كان عبد الملك بن مروان في سمره مع أهل بيته وولده وخاصته ، فقال لهم : لَيْقُلْ كلُّ واحدٍ منكم أحسن ما قيل من الشر ، وليفصل [مَنْ] رأى تفضيله ، فأنشدوا وفضلوا ، فقال بعضهم : [امرؤ القيس ، وقال بعضهم :] الثانية ، وقال بعضهم : الأعشى ، فلما فرغوا قال : أشمرُ الناس والله من هؤلاء الذي يقول ، وأنشد سحر هذه الأبيات التي أنشد ، وهي لمن بن أوس :

وذي رحيم قَلَمْتُ أظفارَ صِفْنِه	بحملَى عنه وهو ليس له حِلْمٌ
يحاول دغى لا يحاولُ غـِـيرُهُ	وكل الموتِ عندي أن يحلَّ به الرغْمُ
فإن أعفُ عنه أغض عينا على قَدَى	وليس له بالمُفَنِّج عن ذنبه عِلْمُ
وإن أنصرتُ منه أكن مثل رائسٍ	سهلٌ عدوٌ يستهاض بها العظمُ
صيرتُ على ما كان بيني وبينه	وما يستوي حَرْبُ الأقاربِ والسلمُ
وبادرتُ منه التأء والمروء قادرُ	على سبه ما كان في كمة السهم
ويشتم عرهي في اللئيب جاهداً	وليس له عندي هَوَانٌ ولا شتمٌ ^(١)
إذا شمتُهُ وصلَّ القرابة سامي	قطيحتُها ، تلك السفاعة والإثمُ
فإن أدعُه للنصفِ يَأبَ إجابي	ويدعُو لحكم جاني غيره الحكمُ ^(٢)

(١) في اللئيب : لئى حين أكون غائبا عنه (م)

(٢) للنصف : أى للعدل والنصفة ، ويأب إجابي : يرضها ويمتنع عنها (م)

فولاً اتقاه الله والرحيم التي
إذا لم يلاه بارق وخطته
ويسى إذا أبى ليهدم صالحي
بود كَوِ أَى معدم ذو خصاصة
وبعد غنا في الحوادث نكيتي
فما زلت في ليني له وتطقي
وخففى له منى الجناح تألقا
وضبرى على أشياء منه ترينى
لاشقل منه الضغن حتى استقلت
رأيت اتسلا ما بيننا فرقت
وأبرأت غلا الصدر منه توشما
فأطفا نار الحرب بينى وبينه

رعايتها حق وتطليها ظم
بوسم شنار لا يشابهه وسم^(١)
وليس الذى بينى كمن شأنه المذم
وأكره جدى أن يخالطه الذم
وما إن له فيها سناء ولا غم
عليه كاتمحو على الولد الأم
لذنتيه منى القربة والرحم
وكفلى عن غيظ وقد ينفع الكظم
وقد كان ذا ضغن يصوبه الحزم^(٢)
برفق أحيانا وقد يرقع الألم
بملى كاشفى بالأذوية الكلم
فأصبح بسد الحرب وهو لنا سلم

[من رسائل أبى الفضل بن العميد]

وكتب أبو الفضل بن العميد إلى أبى عبد الله الطبرى :

وصل كتابك فصادفنى قريب عهد بانطلاق ، من عنتِ الفراق ، إلى أبى عبد الله
من ابن العميد الطبرى
وأوقفنى مستريح الأعضاء والجوارح من حر الاشتياق ، فإن البحر جرى
على حكمة المألوف فى تحويل الأحوال ، ومضى على رثمه المروف فى
تبديل الأدال ، وأعطفى من محالته عتقا لاستحق به ولا ، وأبرأتى من
عهدتك براءة لا تستوجب معادركا ولا استثناء ، ونزع من عتق ربة
الذل فى إحنائك بيدى جفائك ، ورش على ما كان محتدم فى ضميرى
من نيران الشوق ماء السوء ، وشن على ما كان يلهب فى صدرى من الوجع

(١) يروى « بوسم شنار لا يشابهه وسم » وللمنى واحد (م)

(٢) يروى « وقد كان ذا ضغن يضيق به الحزم » وهى أظهر (م)

ماء اليأس، ومسح أعار قلبي فَلَمْ تُطُورْ هاجمِ الصبر^(١)، وشعب أفلاذ كيدي
فلاحم صدوعها بحسن المزاء، وتقلل في مسالك أنفاسي فموض نفسي من النزاع
إليك تَزُوعاً عنك^(٢)، ومن القهاب فيك رجوعاً دونك، وكشف عن عيني ضبابات
مالقاه الموصى على بصري، ورضع عنها غيايات ماسد له الشك دون نظري، حتى
حذر القلب عن صفحات شيمك، وسفر عن وجوه خليقتك؛ فلم أجد إلا
مفكراً، ولم ألق إلا مستكبراً، فوليت منها فراراً، ومليت رعباً، فذهب قد
أقيت حبلك على غار بك، ورددت إليك ذمياً عهدك .

وفي فصل من هذه الرسالة : وأما عذرك الذي رمت بسقطه فاقبض، وحاولت
تمهيداً وتقريرة فاستوفز وأعرض، ورفضت بعنقه فامتنع، فقد ورد ولقيته
بوجه يؤثر قبوله على رده، وتزكيت على جرحه، فلم يبق بما بذله لك من نفسه،
ولم يبق عند ظنك به، أتى وقد غطى التذمُّ وجهه، ولت الحياض رأسه، وغض
الجلجُل طرفه؛ فلم تتمكن من استكشافه، وولّى فلم تقدر على إيقافه، ومضى يعثر
في فضول ما يشاء من كرب حتى سقط، فقلنا : ليلد والقم : ثم أمر بمطالعة
ما صحبه فلم أجده إلا نابطاً شراً، أو تحملاً وزراً .

وقوله هذا محلول من عقد نظمه إذ يقول :

أقر السلام على الأمير وقل له قدك انتب أرمنت في النوا
أنت الذي شئت قتل مسرتي وقدحت نار الشوق في أحشائي
ورضيت بالثمن اليسير معوضة مني ، فهلاً يشتى بفلا
وسأنتك الشقي فلم ترني لها أهلاً ، فجذت بعذرة شوها^(٣)
وردت موهبة فلم يرفع لها طرف ، ولم ترق من الإساءة

(١) لأم : ضم وجمع ولحم ، والفطور : جمع فطر ، وهو الشق (م)

(٢) النزاع إليك : أي التوق إليك ، والنزوع عنك : الانصراف عنك (م)

(٣) العني : الاسترضاء ، والنفرة - بالكسر - الاعتذار (م)

وأما منطقها التفتيم سكتة فراجعت نحيي على استغيا
لم تشف من كدر ، ولم تبرد على كبد ، ولم تفسح رجائب داه
داوت جوى بجوى وليس بحازم من يستكت النار باللقاه
من يشف من كد بآخر مثله أثرت جوارحه على الأدواء

وله إليه رسالة : أخطب الشيخ سيدى - أطال الله بقاءه - مخاطبة مخرج
بروم الترويح عن قلبه ، ويرى التفرج^(١) من كز بد ؛ فأكتبه مكاتبه مصدور ،
يريد أن ينفث بعض ما به ، ويخفف الشكوى من أوصابه ، ولو بقيت في
التصير بقية لسكت ، ولو وجدت في أثناء وجدى مخرجة يتحللها بجلد لأمسكت ؛
فقدما لبثت الصديق على علاته ، وصفت له عن هناته ، ولكنى مغلوب
على الغراء ، مأخوذ عن عادتي في الإغضاء ، قد سل من جفائك مارك احتمالي
جفاء ، وذهب في غشى من ظلك ما أنزف حلى لجله هباء ، وتوالى على
من قبح فيك في هجر يستمر على نسق ، وصد مطرد متيق ، ما لو فغص
على الورى ، وأفيض على البشر لا تملأت منه صدورهم ، فهل أقدر على ألا أقول ،
وهل نكلت إلى مراعاتك ، وهل تشكوك إلى الفجر حليفك على الإصرار ،
وعقيدك على الإفساد^(٢) ، وأشكوه إليك ، فإنك وإن كنتا في قطيمة الصديق
رضيعة ليان ، وفي استيطاء مركب القوق شريكى عنان ، فإنه فاصر عنك في
دقائق مخترة ، أنت فيها نسيج وحديك ، وقاعد عما تقوم به من لطف مبتدعة ،
أنت فيها وحيد عسرك ، أننا متفقان في ظاهري بشر الناظر ، وباطني يسوء الخابر ،
وفي تبادل الأبدال ، والتحول من حال إلى حال ، وفي بث حباتي الزور ،
وتصّب أشراك القورور ، وفي خلف الموعد ، والرجوع في الموهوب ، وفي فظافة
احتضام ما يمر ، وشناعة ارتجاع ما يمنع ، وقصد مشاركة الأحرار^(٣) ، والتحمل

(١) بروم ، ويرى ، كلاهما بمعنى يطلب ، ووقع في نسخة « يريد » في مكان
« ويرى » والذى واحد (م) (٢) عقيدك : معاهدك ومعادك ، يربطانهم متفقان (م)
(٣) للشارة : الخاصة (م)

عند ذوى الأخطار ، وفي تكذيب الظنون ، والليل عن النباحة للخمول ، إلى كثير من شيكما التي أسندتما إليها ، وسنكما التي تماقدتما عليها ، فأين هو من لا يجارى فيه غض غررى اليهود ، ونسكت قوى القود ؟ وأنى هو عن الخمية والنية ، ومضى الضراء^(١) في النية ، والتفق بالنفاق في الحيلة ، وأين هو من ادعى ضروب الباطل ، والتحلّى بما هو منه عامل ، وتقمص السوء والأفاضل ؛ هذا إلى كثير من مساو مشورة أنت ناطقها ، ونحاز مشرفة أنت جابها . أنت أيذك الله إن سويته بنفسك ، ووزته بوزنك ، أعظم منه لقويه ، وأحق منه لبيه ؛ وهبك على الجلة قد زحمت - مفقراً عليه - أنه أشد منك قدرة ، وأعظم بسطة ، وأتم نصرة ، وأطلق يدا في الإساءة ، وأمضى في كل سكاك شاة^(٢) ، وأحد في كل عاملة شدّة^(٣) ، وأعظم في كل مكروه مُتفلسلاً ، وآلف إلى كل محذور متوصلاً ، إن البهر الذي ليس غميب من يمزع ، وإن التقي منك مأمولة ، ومن جعلك سرهوبة ، وهبلك أهل توهم أنه لو كان ذا روح وجنان ، مصوراً في صورة إنسان ، ثم كاتبته أسطفه على الصلة ، وأسفاه من المجر ، وأذكره من المودة ، واستقبل به إلى رعاية للقة ، وأسند على ما أشاعه القراق في نفس من الوعة ، وأختره بالبإد في صدرى من الحرفة ، كان يستعين ما استعنته من الاضطراب عند جوائى ، ويستعجز ما استعجزته من الاستخفاف بكتابى .

وله فصل في هذه الرسالة ، وقد ذكر دعواه في السلم :
وهبك أفلاطون شه فأين ما سئفته من الدياسة ، قد قرأناه ، أنبذ فيه إرشادا إلى قطيعة صديق ، وأحبك أرسطاطاليس بعينه ، أين ما رستته من الأخلاق ؟ قد رأينا فلم نرفيه هداية إلى شيء من الثعوق ، وأما الهندسة فإنها باسنة عن القادير ، ولن يعرفها إلا من جهل مقدار نفسه ، وقدد الحق عليه وله ؛ بل لك في رؤساء الآداب العربية [من تاريخ مضطرب ، ولما نشأحك ، لكن أنحب أن تصحقى

(١) مضى فلان الضراء - بزة السحاب - أي مضى مستخفياً فيما يواريه من من هجر وعومه ، ويقال ذلك لمن يوصف بأنه يختل ويخضع (م)

(٢) شاة السنان : حده (م) (٣) الشدة : قية القوة ، وحده كل شيء (م)

بالتربيع من القول ، دون التريب [من الفصل ؟ وقد أغربت في الغلب بنفسك
إلى حيث لا تهتدى الرجوع عنه . وأما العفو فلن تدفع عن حلق فيه ،
وبصير به ، وقد اختصرته أجزأ اختصار ، وسهلت سبيل تعليمه على من يحسك
قدوة ، ويرضى بك أسوة ، قلت : التدر والبطل وما جرى مجراها مرفوع ،
والصدق والحق وما صاحبتهما مخفوض ، وقد نصب الصديق عندك ، ولكن
غرضاً يرضى بشهام الغيبة ، وعلماً يقصد بالوقية ، ولست بالروى ذى اللحية
فأعرف قدر حذقك فيه ، إلا أنى لا أراك تتعرض لكامله فيه ، ولا وافره ،
وليتك سبت في بحر الجحش حتى تخرج منه إلى شطّ المضارب .

وفى فصل منها أيضاً :

وهنى سكت لدهواك سُكوت متعجب ، ورضيت رضاء منسخط ،
أرضى الفضل اجتذابك بأهداه ، من يدى أهليه وأصحابه ، وأحبك لم تراحم
خطابه ، حتى عرفت ذلة فقره وقلة بصره ، فاصدقنى هل أنشدك :

لو بأبائين جاء يضطربا ضرج ما أنف خاطب بدم^(١)

وليت شرى بأنى حل تصدّيت له ، وأنت لو تتوجت بالتريا ، وقدرت
قِلادة الفلك ، وتمنطقت بمنطقة الجوزاء ، وتوشّعت بالهجرة لم تكن إلا عطلاً ،
ولو توشّعت بأنوار الربيع الزاهر ، وسرّجت جبينك غرة البدر الباهر ،
ما كنت إلا عطلاً ، سيما مع قلة وفائك ، وضفّ إختالك ، وظلمة ماتصريف
فيه من خصاصك ، وتراكم الدّسّ على ضلالك ، وقد نديمت على ما أمرتك من
ودى ، ولكن أى ساعة تندم ، بعد إثناء الزمان فى ابتلاك ، وتصنّعى
حالات الدهر فى اختيارك ، وبعد تضيق ماقرنته ، وتخص ماأسنته ، فهن
الوداد غرس إذا لم يوافق ترى ترها ، وجوا عذبا^(٢) ، وما رويًا ، لم يرضج
زكاؤه ، ولم يجر غلاؤه ، ولم تنفتح أزهاره ، ولم تعين غماره ، ولبت شرى ، كيف

(١) هذا بيت لمهل بن ربيعة أخى كليب بن ربيعة ، وقبل هذا البيت قوله :

أنكحها قدعها الأرقم فى جنب ، وكان الحباء من آدم

يقول ذلك فى ابنته وقد زوجها بمن لم يره كفتا (م) (٢) جوا عذبا : طيب المواء (م)

ملك الضلال قيادى حتى أشكل على ما يحتاج إليه المزوجان ، ولا يستغنى
عنه للتآلفان ، وهما مازجة طبع ، وموافقة شكل وخلق ، ومطابقة خيم^(١) وخلق ،
وما وصلنا حال نجسنا على اختلاف ، وحتماً من اختلاف ، ونحن فى طرف
ضدين ، وبين أمرين متباعين ، وإذا حصلت الأمر وجدت أقل ما بيننا من
الهماد ، أكثرهما بين الوهاد والتجادر^(٢) ، وأبعد ما بين البياض والسواد ، وأيسر
ما بيننا من الفجار أقل [ما بيننا من النصارى ، وأكثر ما] بين الليل والنهار ، والإعلان
والإسرار

[حسن التآلف للأمور]

قال أسد بن عبد الله لأبى جعفر المنصور : يا أمير المؤمنين ، فرط الخيلاء ،
وهيبة العزة ، وظل الخلافة ، يكف عن الطلب من أمير المؤمنين إلا من
إذنه ، قال له : قل ، قد والله أصبت منك الطلب ؛ فسال حوائج كثيرة
فصيت له .

وقال مروان بن نهيك لأبى جعفر المنصور : يا أمير المؤمنين ، قد حضر خدمك
الإعظام والهيبة عن ابتدائك بطليتهم ، وما عاقبة هذين لهم عندك ؟ قال : عطاء
يزيدهم حياة ، وإكرام يكسومهم هيبة الأبد

قال عيسى بن علي : ما زال المنصور يشاورنا فى أمره حتى قال إبراهيم بن هرمقفيه :
إذا ما أراد الأمر ناجى ضميره فناجى ضميراً غير مختلف القل
ولم يشر إليه الأدين فى جل أمره إذا اختلفت بالأضعفين قوى الحبلى

فقر فى ذكر المشورة

للمشورة قلع النمل ، ورائد الصواب ، وحزم التدبير . للمشورة قبل
للسورة . والمشورة عين الهداية .

(١) الخيم - تكسر الحاء - الطبع والسجبة (م)

(٢) الوهاد : جمع وهدة ، وهي ما انخفض من الأرض . والتجاد : جمع مجد .

وهو ما ارتفع من الأرض (م)

ابن القز : من رضى بحاله استراح ، والمستشير على طرف النبلح .
وله : من أكثر المشورة لم يعدم في الصواب ملوحاً ، وفي الخطأ عافراً .
بشار بن برد : للشار بين إخذى الحسنيين : صواب يفوز بشمرته
أو خطأ يُشارك في مكروهه ، وقال :

إذا بلغ رأى الشورة فاستين بترّم نصيح أو مشورة حلزم
ولا تحسب الشورى عليك غصاصة فإن الخوا في قوة القوام^(١)
وما خير كف أمك القل اختها وما خير سيف لم يؤيد بقام
وخل المؤمن للضعيف ولا تكن توها فإن الحر ليس بنائم
وأدين إلى القرب القرب نفسه ولا تشهد النجوى امرأ غير كاتم
فإنك لا تستطرد القم بالمنى ولا تبلغ العليا بغير الكارم

دخل الهذيل بن زفر على يزيد بن المهلب في حالات لزيمته فقال : أيها
الأمير ، قد عظم شأنك أن يُستعان بك أو يستعان عليك ، ولست تفعل شيئاً
من المعروف إلا وأنت أكبر منه ، وليس العجب من أن تفعل ، بل العجب
من ألا تفعل ؛ فقضاها .

[تأريخ الكتب والرسائل]

استخلص القاضي أبو خليفة القملي بن حباب الجمحي رجلاً للأئمة به ، فقال :
أخبرني أبي وأعود ، قال : ما أفضل ، إننا لك وعد ، وإنما شك قد ، وكان أبو خليفة
من جلة المحدثين ، وله خلاوة معنى ، وحسن عبارة ، وبلاغة لفظ . قال الصولي : كتبت
أبا خليفة في أمور أرادها فأغفلت التاريخ منها في كتابين ، فكتب إلي بعد نفوذ
الكني : وصل كتابك - أعزك الله - منهم الأوان ، فظلم للكان ، فأدى خيراً ما القرب

(١) الخوا في : ريشات إذا ضم الطائر جناحيه خفيت ، والقوام : عشر ريشات
في مقدم الجناح ، وهي كبار الريش ، تغطي الخوا في (م)

فيه بأولى من البُشْد ؛ فإذا كتبت — أكرمك الله تعالى ! — فلتكن كتبك
مرسومة بتاريخ ؛ لأعرف أدنى آثارك ؛ وأقرب أخبارك ، إن شاء الله تعالى ؛
وقال بعض الكتاب: التاريخ عمود اليقين ، وثأني الشك ، به تُعرف الحقوق ،
وتُحفظ السمود .

وقال رجل لأبي خليفة سلم عليه : ما أحسبك تعرف نسي ، فقال :
وجهك يدل على نسيك ، والإكرام يمنع من مسألتك ، فأوجد لي السيل
إلى معرفتك .

وسأل أبو جعفر النصور قبل أن تُفَضِّيَ إليه الخلافة شيب بن شبة ، فانتسب له
ضرفه أبي جعفر ، فأثنى عليه وعلى قومه ، فقال له شيب : بأبي أنت وأمي ! أنا
أحب للعرفة واجبتك عن السألة ، فبسم أبو جعفر وقال : لطف أهل العراق !
أنا عبد الله بن محمد [بن علي] بن عبد الله بن العباس ، قال : بأبي أنت وأمي :
ما أشبهك بنسبك ؛ وأدلك على منصبك .

يقر وأمثال، يتداولها المال

الولاية حلوة الرضاع مرّة النظام . غبار المل خير من زعفران السطة .

ابن الزيات : الإرجاف مقدمة السكون .

عبد الله بن يحيى : الإرجاف رائد الفتنة .

حامد بن العباس : غرس البلوى ، يشر الشكوى .

أبو محمد للهلي : التصرف أعل وأثنى ، والتصل أصف وأعنى

أبو القاسم صاحب : وعدّ الكريم ، ألزم من دين التريم .

ابن المعتز : ذلّ الرّزل يضحك من تيه الولاية . وقال :

كم تائه بولاية وبرزه ركض البريد

مسكر الولاية طيب وفارها صتب شديد

وقال : من ولي ولاية فتاه فيها فأخبره أن قدره دونها . العزل طلاق الرجال
وحض الرجال . وأنشدوا :

وقالوا العزلُ لجمال حَيْضٍ لحاءُ الله من حَيْضٍ بَحِيضٍ
فإنَّ يكُ هكذا فأبو عليٍّ من اللائي يَلْسَنَ من الهَيْضِ
منصور الفقيه :

يا مَنْ تولى فأبدى لنا الجفا وتَبَدَّلْ
أليس منك سَمِينًا من لم يمتْ فمُتْزَلْ
وقال أيضًا :

إذا عُرِلَ المرءُ واصلته وعند الولاية استكبرُ
لأنَّ اللؤلؤَ له نخوة ونفى على القلِّ لا تصبرُ

[من ترجمة منصور الفقيه ، وأخباره]

ومنصور هذا هو منصور بن إسماعيل بن عيسى بن عمر التيمي^(١) ، وكان يصفه
على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه ، وهو حلو القطعات ، لا تزالُ تندر له
الآيات مما يُستغَرَفُ منها ، ويُستحلُّ منها ، [ويبقى ثَناءُ] ، وهو القائل لما
كفَّ بصره :

مَنْ قال ماتَ ولم يَسْتَوْفِ مَدَّتَهُ لعظم نازلةٍ نالتهُ معذور
وليس في الحكم أن يحيا فحقَّ بَلَتْ به نهاية ما يخشى للقدِيرُ
قلَّ له غيرُ مُرتابٍ بظلمته أوسودَ مذهبه : قد عاش منصورُ
وعقَّبَ على بعض الأشراف ، وكانت أمُّه أمةً قيمتها ثمانية عشر ديناراً ، قال :
من فأتى بأبيه ولم يفتى بأمة

ورام شمتى ظفا سكت من نصف شتمه
وقال :

لو قيل لي عذ أمانا من حادث الأزمان
لما أخذت أمانا إلا من الإخوان
وقال :

رضيت بما قسم الله لي وفوضت أمري إلى خالقي
كما أحسن الله فيما مضى كذلك يحسن فيما بقي
وقال :

لو كنت متصفاً بملك مع مواصلة الكبار
ماضى شرب السم واهلتم أن شرب السم ضار
وقال :

إذا القوت تأتى لك والصحة والأمن
وأصبحت أماً حزن فلا فارقت الحزن
ورأيت له في أكثر النسخ - على أن أكثر الناس يرويه لإبراهيم بن
اللهدي ، وهو الصحيح - :

لولا الحياء وأنت مشهور والميب يلق بال كبير كبير
لحقت منزلنا الذي نحمله ولكان منزلنا هو المهجور^(١)
وهذا كقول صاحب أبي القاسم :

[دعني عينك نحو الصبا دعاء يكرر في كل ساعة
فلولا وحقت عذر للشيب قلت لعينيك سمعاً وطاعة]

(١) هذا وجه ضيف في المرية ، وهو أن تجعل « هو المهجور » جملة من
مبتداً وخبر في محل نصب خبر كان ، والصحيح أن تجعل « هو » ضمير فصل و « المهجور »
بالنصب على أنه خبر كان ، نحو قوله تعالى : (كنت أنت الرقيب عليهم) .

وقال ابن حريد في معنى البيت الأول فأحسن :

إذا رأيت امرأ في حال عُسرته مُعَايَاً لك ما في وُدّه خَلَلٌ
فلا تمنّ له أن يستفيدَ غنى فإنه بانتقال الحالِ ينقلُ
[تنوير الحال ، بكثرة الأموال]

وكان لمحمد بن الحسن بن سهل صديقٌ قد نالته عُصرةٌ ، ثم ولي عملاً ، فأتاه
مُحمد قاضياً حقاً ومسلماً عليه ، فرأى منه [نبوةٌ و] تقيراً ، فكتب إليه :
لئن كانت الدنيا أنا لك ثروةً وأصبحت ذا بُسرٍ ، وقد كنتَ ذا عُسرٍ
لقد كنتُ الإِثراءُ منك خلاصاً من اللُؤم كانت تحتَ نوبٍ من الفقرِ
وقال أبو العتاهية في عمرو بن مَسْعُدة ، وكان له خِلا قبل ارتفاع حاله ، فلما
علت رُبُنته مع اللُؤمِون تقيّر عليه :

غَنيتُ عن العهد القديم غنيّتا وضِيعتُ عهداً كان لي ونبيّتا
وقد كنتُ لي أيام ضَيفٍ من القوى أبر وأوفى منك حين قَويّتا
تجاهلتُ عما كنتُ تُحسِن وَصْفُهُ ومُتّ عن الإحسان حين حَيّيتا

وكتب بديع الزمان إلى أبي نصر بن المرزبان فيما ينخرط في هذا السلك :

كنتُ أطال الله بقاء الشيخ سيدي وأدام عزّ صفى قديم الزمان أتمنى الخير للاخوان ،
وأسأل الله تعالى أن يدير عليهم أخلاف الرزق ^(١) ، ويعلم أكناف العيش ، ويؤتيهم
أصناف الفضل ، ويوطئهم أكناف الرزق ، وينيلهم أعراف المجد ، وقصارى الآن
أن أرغب إلى الله تعالى ألا يُنيلهم فوق الكفاية ، فشذ ما يظنون عند النعمة
ينالونها ، والدرجة يملونها ، وسرع ما ينظرون من عال ، ويحسون من مال ، وينسون
في ساعة الدنوة . وأوقات الخشونة ^(٢) ، وفي أزمان الذنوبة أيام الصوبة ، وللكتاب مزيةٌ

(١) الأخلاف : جمع خلف - بالكسر - وهي حلة خضر الناقة (م)

(٢) الدنوة : اللين ، لين الشيء - من باب كرم - هذانة وهذونة : لان .

وضده الخشونة (م)

من
بديع الزمان
لابن المرزبان

في هذا الباب ؛ فيدعم في التربة أعوان كما اخرج الشط ، وفي المُطَلَّة إخوان كما
انتظم الشُّطُّ ، حتى إذا لحظهم الجُدُّ لحظةً تَحَقَّقَ بِمَشُورِ عَمَلَةٍ ، أَوْصَلَ جَمَلَةً ؛
عَادَ عَامِرٌ مَوَدَّتِهِمْ خَرَابًا ، وَاقْلَبَ شَرَابُ عَدَمِ مَرَّابًا ، فَمَا اتَّسَعَتْ دُورُهُمْ إِلَّا ضَافَتْ
صُدُورُهُمْ ، وَلَا عَمِلَتْ قُدُورُهُمْ إِلَّا خَبِتْ بُدُورُهُمْ ، وَلَا عَمِلَتْ أُمُورُهُمْ إِلَّا سَبَلَتْ سُدُورُهُمْ ،
وَلَا أَوْقَدَتْ نَارُهُمْ إِلَّا انْطَفَأَ نُورُهُمْ . وَلَا هَمَّ لِحَبْلِ عَنَّا قَتْلَهُمْ إِلَّا فَطَلَتْ أَخْلَافَهُمْ ، وَلَا
صَلَحَتْ أَحْوَالُهُمْ ، إِلَّا فَدَسَتْ أَضْلَامُهُمْ ، وَلَا كَثُرَ مَالُهُمْ ، إِلَّا قَلَّ جَاهُهُمْ ، وَعَزَّ
مَعْرُوفُهُمْ ، وَوَرَسَتْ أُنُوفُهُمْ ^(١) ، حَتَّى إِنَّهُمْ لَيَصِيرُونَ عَلَى الْإِخْوَانِ مَعَ الْخَطُوبِ خَطْبَاءُ ،
وَعَلَى الْأَحْرَارِ مَعَ الزَّمَانِ أَلْبَاءُ . فَصَارَ أَحَدُهُمْ مِنَ الْمَجْدِ أَنْ يَنْصَبَ تَحْتَهُ تَخْتُهُ ،
وَأَنْ يُوَطَّى اسْتِدْثَانُهُ ، وَحَسْبُهُ مِنَ الشَّرَفِ دَارُ بَصْرَجٍ أَرْضُهُ ، وَيَزْخَرُ بِغَضَائِهِ ،
وَيَزُوقُ سَقُوفَهُ ، وَيَطْلُقُ شَفُوفَهُ ^(٢) ، وَنَاهِيهِ مِنَ الشَّرَفِ أَنْ تَنْدُو الْحَاشِيَةُ أَمَانَهُ ،
وَتَحْمِلَ الْفَاشِيَةُ قَدَامَهُ ، وَكَفَاهُ مِنَ الْكِرَمِ أَلْقَاطُ شَقَاعِهِ ^(٣) ، وَثِيَابُ قَدَاعِيهِ ، يَلْبَسُهَا
مُلُومًا ، وَيَحْشُوهَا لُوبًا ، وَهَذِهِ صِفَةُ أَفْضَلِهِمْ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْتَحِكُ الْوَدَّ أَيْامَ حُشْكَارِهِ
حَتَّى إِذَا اخْصَبَ جِلُّ مِيزَانِهِ وَرَكِيلُهُ ، وَأَسْتَانَهُ رَكِيلُهُ ، وَأَنْبِيَهُ رَكِيلُهُ ، وَأَلْفَهُ رَغِيْفُهُ ،
وَأَمِينَهُ يَمِينُهُ ، وَدَانِيْرُهُ سَمِيْرُهُ ، وَصَنْدُوقُهُ صَدِيقُهُ ، وَمِفْتَاحُهُ ضَبِيجُهُ ، وَخَاتَمُهُ خَادِمُهُ ،
وَجَمْعُ الدَّرَةِ إِلَى الدَّرَةِ ، وَوَضْعُ الْبَدْرَةِ عَلَى الْبَدْرَةِ ، فَلَمْ تَقَعْ الْقَطْرَةُ مِنْ طَرَفِهِ ،
وَلَا الدَّرَةُ مِنْ كَفِّهِ ؛ وَلَا يَخْرُجُ مَالُهُ عَنْ عِدَّةِ خَافِهِ ، إِلَى يَوْمِ مَاتِهِ ، وَهُوَ يَجْمَعُ
لِحَادِثِ حَيَاتِهِ ، أَوْ وَارِثِ وَفَاتِهِ ؛ يَسْلُكُ فِي النَّذْرِ كُلَّ طَرِيقٍ ، وَيَبِيعُ بِالْدَرَمِ أَلْفَ
صَدِيقٍ ؛ وَقَدْ كَانَ الظَّنُّ بِصَدِيقِنَا أَبِي سَمِيْدٍ أَيْدِيَهُ اللَّهُ تَعَالَى - أَنَّهُ إِذَا اخْصَبَ آوَانَا
كَفْنَا مِنْ ظَلَمِهِ ، وَحَيَاتَنَا مِنْ فَضْلِهِ ، فَتَنَ لَنَا الْآنَ بَعْدَهُ ؟ إِنَّهُ - أَطْلَالَ اللَّهُ جَوَاهِرَهُ -
حِينَ طَارَتْ إِلَى أُذُنِهِ عُقَابُ الْمُخَاطَبَةِ بِالْوُزَيْرِ ، وَجَلَسَ مِنَ الدُّيُونِ فِي صَدْرِ الْإِيْرَانِ

(١) ورم أنف فلان : كناية عن إظهاره الكبر (م)

(٢) الشفوف : جمع شف - بالكسر - وهو رقيق الثياب (م)

(٣) شقاعة : ذات تشقق

أَقْصَى عُدْرَةِ السِّلَاسَةِ لَمَى ، بَرَضَ بَعْضِ الْخُطْفَةِ إِلَى ، وَجِلَ بَرَضِهِ
لِلْهَلَاكِ ، وَيَتَسَبَّبُ إِلَيْهِ بِمَالِ الْأَتْرَاكِ ، وَجِلَتْ أَوَّارَتُهُ مَرَّةً وَأَقْصَدَهُ أُخْرَى ،
وَأَذْكُرُهُ أَنَّ الرَّابِكَ رَجِمَا اسْتَنْزَلَ ، وَالْوَالِي رَجِمَا عَزَلَ ، ثُمَّ يَحْفَ رِيْقُ الْخُطْبِ
عَلَى نَسَانِ الْمَدْرِ ، فَتُبْقِي الْخَزَاةَ فِي الصَّدْرِ ، وَمَا يَجْمَعُ وَالشَّيْخُ إِنْ كَانَ زَادَهُ
قَوْلُ بِلَا عُلُوًّا فِي تَحْكِهِ ، [وَغُلُوًّا فِي تَهْكِهِ] وَجِلَ يَمْشِي الْبَجْتَرَى فِي ظِلِّهِ ؛
[وَيَبْرَأُ إِلَى مَنْ عَلَيْهِ] ، فَأَقُولُ - إِذَا رَأَيْتَ ذِلَّةَ السُّؤَالِ مِنْ عَمْرَةٍ الرَّدِّ
مِنْهُ لِي - :

قُلْ لِي مَقِي فَرَزَنْتُ سُرْعَةً مَا أَرَى بِأَيِّدِقٍ^(١)
وَمَا أَضِيعُ وَقْتًا فِيهِ أَضْنَعُهُ ، وَزِمَانًا بِذِكْرِهِ قَطَعْتُهُ ، هَمْلًا إِلَى الشَّيْخِ
وَشَرَعْتُهُ ، قَدْ نَكَأَ الْقَلْبَ بَرَحَهُ ، وَكَيْفَ أَصِفُ حَالًا لَا يَفْرَحُ بِهِ
مَرَّةً حَالَهُ ، وَلَا يَنْقُضُ عَمْرَةَ إِجْلَالِهِ ؛ فَمَا أَوْلَانِي بِأَنْ أَذْكُرَهُ مَجْلًا ، وَأُتْرَكَ
مَفْصَلًا ، وَالسَّلَامُ .

وَكُتِبَ إِلَى بَعْضِ إِخْوَانِهِ فِي أَمْرِ رَجُلٍ وَلَى الْأَشْرَافِ :
فَضَحَتْ مَا ذَكَرْتَ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاكَ - مِنْ أَمْرِ فُلَانٍ أَنَّهُ وَلَى الْأَشْرَافِ ،
فَلِنْ يَصْدُقَ الطَّيْرُ يَكُنْ إِشْرَافًا عَلَى الْهَلَاكِ ، بِأَيْدِي الْأَتْرَاكِ ، فَلَا تَحْزَنْكَ وَلَا يَنْهَ
فَالْجِلَّ لَا يَبْرَحُ إِلَّا لِقَتْلٍ ، وَلَا تَجْبِيكَ خَلْعَتُهُ فَاتُورَ لَا يَزِينُ إِلَّا لِقَتْلٍ ، وَلَا يَرْحُكُ
نِصْفَهُ فَارْخُسَ مَا يَكُونُ النَّفْطُ إِذَا غَلَا [وَأَسْفَلَ مَا يَكُونُ الْأَرْنَبُ إِذَا عَلَا] ،
وَكَاثُ بِهِ وَقَدْ شَنَّ عَلَيْهِ جِرَانُ الْعَوْدِ ، شَنَّ الطَّرَاجُودِ ، وَقِيلَهُ مَرْكَبُ الْقَجَارِ ،
مِنْ مَرْبُطِ النِّجَارِ ، وَإِنَّمَا جَرَّ لَهُ الْجِلَّ ، لِيُصْطَقَّ كَمَا صَفَّحَ مِنْ قَبْلِ ، وَسَتَعُودُ تِلْكَ
الْحَالَةُ إِحَالَةً ، وَيَنْقَلِبُ ذَلِكَ الْجِلُّ حَبَالَةً ، فَلَا يَحْسُدُ الذَّنْبُ عَلَى الْإِلَهِ يَنْطَاطُهَا
طَلْمَةً ، وَلَا يَحْسِبُ الْحَبَّ يُنْثَرُ لِلْمُصْفُورِ نِيمَةً ، [وَهِيَ وَلَى إِسَارَةِ الْبَحْرَيْنِ أَلَيْسَ
(١) الْفَرَزَانُ : قِطْعَةٌ فِي لُغَةِ الشَّطْرَنْجِ (الْوَزِيرِ) لَهَا أَمِيَّةٌ عَظِيمَةٌ . وَيَقَالُ لَهُ
«الْمَرْزُ» وَفَرَزَنْ : سَارَ فَرَزَانًا ، وَالْيَدِيقُ : قِطْعَةٌ أُخْرَى مِنْهُ الشَّانُ ، وَالْفَقْطَانُ
أَعْمِيَانُ (م)

رسالة أخرى
من البديع
لبعض إخوانه

مرجه ذلك النمل ، ومصره ذلك الفضل ، ومنصبه ذلك الأهل . وعصارته
ذلك النسل ، وقيدته تلك الأهل [، وقوله ذلك القول ، وفعله ذلك الفعل ،
فكان ماذا ؟ أليس [ما قد سلب أكثر مما أوتي ، وما عدم أوفر مما غنم ! مالك تنظر
إلى ظاهره ، وتعي من باطنه ؟ أكان يصحبك أن تكون قعيدته في بيتك ،
وبطنه من تحتك ، أم كان يسرك أن تكون أخلاته في إهابك ، وبوابه على بابك ،
أم كنت تود أن تكون وجماعه في إزارك ، وغلطه في دارك ، أم كنت
ترضى أن تكون في مربطك أنفاسه ، وعليك لبائسه ، ورأبك رأسه ؟ جعلت
فذاك ! ما عندك خير مما عنده ، فاشكر الله وحده على ما آتاك ، واحذره على
ما أحطاك ، ثم أُنشد :

إن النقي هو الراضى ببيئته لا من يظال على الأقدار مكتئبا

[في البخل]

ألف سهل بن هارون كتاباً^(١) يمدح فيه البخل ويدم الجود ؛ ليظهر قدرته
على البلاغة ، وأهداه للحسن بن سهل في وزارته للامان ، فوقع عليه : لقد مدحت
ما دمه الله ، وحسنت ما قبح الله ، وما يقوم صلاح لفظك بفساد معنك ، وقد
جللنا نوالك عليه قبول قولك فيه .

بين سهل
ابن هارون
والحسن بن
سهل

وكان الحسن من كرماء الناس وعتلائهم . سئل أبو العيناء عنه ، فقال :
كانما خلف آدم في ولده ، فهو ينفع عيائهم ، ويدم خلتهم ، ولقد رفع الله
لدهنا من شأنها ، إذ جعله من سكانها

أخذ هذا المعنى أبو العيناء من قول الشاعر :

وكان آدم كان قبل وفاته أوصاك وهو يمسود بالخراب
بينه أن ترعاه فرعيتهم وكفيت آدم عيلة الأبناء

(١) في كتاب البخله للباحظ رسالة سهل بن هارون في البخل ، وقد طبع
كتاب البخله في لندن ، وطبع في مصر أربع مرات .

وأخذ أبو الطيب التنهي آخر كلام أبي العياد فقال :
 قد شرف الله دُنْيَا أَنْتَ سَاكِئُهَا وشَرَّفَ النَّاسَ إِذْ سَوَّاكَ إِنْسَانَا
 وقيل للحسن بن سهل : لم قيل : قال الأول ، وقال الحكيم ؟ قال : لأنه
 كلام قديم مرَّ على الأسماع قَبْلَنَا ، فلو كان زِلْلاً لَمَا هُلَّ إِلَيْنَا مُسْتَحْسِنًا .

ومن أمثال البخلاء ، واحتجاجهم ، وحكمهم

أبو الأسود الدؤلي : لَا تُجَاوِدَ اللَّهَ ؛ فَإِنَّهُ أَجْوَدُ وَأَجْمَدُ ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُوسِعَ عَلَى خَلْقِهِ
 حَتَّى لَا يَكُونَ فِيهِمْ مَحْتَاجُ ضَلٍّ . وقال : لَوْ أَعْطَيْنَا الْمَسَاكِينَ فِي إِعْطَائِنَا إِيَّاهُمْ كُنَّا أَسْوَأَ أَحَالًا مِنْهُمْ .
 وقال السكندري : قَوْلُ «لَا» يَدْفِعُ الْبَلَاءَ ، وَقَوْلُ «نَمْ» يَزِيلُ النِّعَمَ . وقال :
 سَمِعَ الْفَنَاءَ بِرِسَامٍ حَادٍ ؛ لِأَنَّ الْمَرْءَ يَسْمَعُ فَيَطْرُبُ ، فَيَسْمَعُ فَيَفْتَرُ ، فَيَقْتَمُ فَيَمْرُضُ
 فَيَمُوتُ . وقال لابنه : يَا بَنِي ، كُنْ نَعْمَ النَّاسِ كَالْأَلْعَبِ بِالْقَارِ ، إِنَّمَا غَرَضُهُ أَخْذُ
 مَتَاعِهِمْ ، وَحِفْظُ مَتَاعِهِ .

وقال [غيره] : مَنْعُ الْجَمِيعِ أَرْضَى الْجَمِيعِ . إِذَا قَبِيعَ السُّؤَالِ حَسَنَ الْمَنْعِ .
 وقال علي بن الجهم : مَنْ وَهَبَ فِي عَمَلِهِ فَهُوَ مَخْذُوعٌ ، وَمَنْ وَهَبَ بَعْدَ الْعَزْلِ
 فَهُوَ أَحَقُّ ، وَمَنْ وَهَبَ مِنْ جَوَائِزِ سُلْطَانِهِ أَوْ مِيرَاثٍ لَمْ يَتَصَبَّ فِيهِ فَهُوَ مَخْذُولٌ ، وَمَنْ وَهَبَ
 مِنْ رِكَبِهِ وَمَا اسْتَفَادَ بِحِيلَتِهِ فَهُوَ الْمَطْبُوعُ عَلَى قَلْبِهِ ، الْمَخْذُومُ عَلَى سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ
 وَمِنْ إِنْشَادَاتِهِمْ :

لَا تُجْدُ بِالْمَطْهَاءِ فِي غَيْرِ حَقٍّ لَيْسَ فِي مَنَعٍ غَيْرُ ذِي الْحَقِّ يُخْلُ
 وقال كثير :

إِذَا الْمَالُ لَمْ يَوْجِبْ عَلَيْكَ عَطَاءَهُ حَقِيقَةُ تَقْوَى أَوْ صَدِيقٌ تَرَاهُ
 مَنَعَتْ ، وَبَعْضُ الْمَنَعِ خَزَمٌ وَقُوَّةٌ وَلَمْ يَفْتَلِكْ الْمَالُ إِلَّا حَقَّاقَتَهُ ^(١)

(١) لَمْ يَفْتَلِكْ الْمَالُ : لَمْ يَأْخُذْ مِنْكَ بِسُرْعَةٍ ، وَالْحَقَاقِقُ : جَمْعُ حَقِيقَةٍ ، وَلِلرَّادِ
 بَهَا هُنَا مَصَارِفُ الْمَالِ الَّتِي يَحِقُّ صَرْفُهَا فِيهَا ، مِثْلُ الْإِعَانَةِ عَلَى مَكْرَمَةٍ ، أَوْ دَفْعِ ضَائِقَةٍ ،
 وَفِي نَسْخَةٍ «لَمْ يَفْتَلِكْ الْمَالُ إِلَّا حَقَّاقَتَهُ» (م)

ابن للمتز :

يلوب بجود بر قتر امرى ققام القاس مقام القليل
 فاعدد عرا مالك واستبقه فالبخل خير من سؤال البخل
 وكتب بعض البخلاء يصف بخيلا : حضرت - أعزك الله - مائدة فلان
 لقدر الملوب ، والخبز للتاح^(١) ، والشقاء الغالب ، فرأيت أواني تروق العيون
 محاسنها ، ويوق النفوس ظاهرها وباطنها ، وتزهي اللحظات بيدائع غرائبها ،
 وتستوفي الشهوات بلطائف مجائبها ، مُكَلَّلَةٌ بأحسن من حل الحسان ووجوهها
 وزهر الرياض وتورها ؛ كأن الشمس حلت باحتها ، والبدر يعرف من جوانبها
 فددت يدا عنتها الشراة ، وغلبها القدر الغالب ، وجرحها الطمع الكاذب ، وإذا
 له مع كثير كل رغي لحظة نسكر ، ومع كل لقمة نظرة شرر ، وفيما بين ذلك
 حرق قائمة ، يصلى بها من حضره من الضمان والحشم ، [وقام بين يديه من
 الولدان] والخدم ، ومع ذلك فترة للمشي عليه من اللوت ؛ فلما وضعت الحرب
 أوزارها برض الخوان ، ونظمت عنه سمادير النشيان^(٢) ، بطلان جملته ، ونصر
 ما كان من بخله ، ونظر إلى مؤاكله ، نظر المسترق له بأكلته ، المالك لخليط
 رقبته ! يظن أنه أولى من والديه بنسبته ، وأحق بماله ، من ولده وعياله ، يرى
 ذلك [فضلا ، وحقا لازما ، وأمرًا واجبًا] نزل به الكتاب والسنة ، واتفق عليه
 قضاة الأمة ، فإن دمه رد حكم القضاة عليه ، وإن سمح به فغير محمود عليه .

قتر لابن المعتر وغيره في الصديق والصديق

إنما نمتي الصديق صديقًا لصديقه فيما يدعيه لك ، ونمتي العدو عدوًا لعدوه

(١) أصل الخبز - بالتاح - الهلاك ، والتاح : القدر للها (م)

(٢) السمادير : شيء يترامى للسكران بسبب ضعف بصره الناشئ عن السكر .
 وهو أيضا ما يشاك من دوار أو ناس (م)

عليك إذا ظنرك . علامة الصديق إذا أراد القطيعة أن يؤخر الجواب ، ولا يهتدي بالكتاب ، لا يفسدك الظن على صديق قد أصلحك اليقين له . إذا كثرت ذنوب الصديق أتمتحق السرور به ، وتسلمت التهم عليه . من لم يقدم الامتحان قبل الثقة والثقة قبل الأنس أثمرت مودته ندما . نصح الصديق تأديب ، ونصح العدو تأنيب . ظاهر الشاب خير من باطن الحقد ، مأجس البود بمثل الشاب .

ترك الشاب - إذا استحق أنح - منك الشاب - ذريعة المعير

وكتب أبو إسحاق الصابي إلى صديق له من الحبسي : نحن في الصحة كالنسرين^(١) ، لكنني واقع ، وعلى الطائر أن ينشأ أخاه ويراجع من قل صدقه قل صديقه . من صدقت لهجته ظهرت حُجته . الصادق بين الهابة والهبة . من عُرِف بالصدق جاز كذبه ، ومن عرف بالكذب لم يجز صدقه ، ومن تمام الصدق الإخبار بما تحتل القول .

[كتاب الحسن بن وهب إلى أبي تمام يصف بلاغته]

وكتب الحسن بن وهب إلى أبي تمام الطائي : أنت حفظك الله تختدي من البيان في النظام ، مثل ما قصد نحن في النثر من الإفهام ، والفضل لك أعرك الله - إذ كنت تأ - به في غاية الاختصار ، على غاية الاقتصار ، في منظوم الأشعار ، فتعمل متعده ، وتربط متشرده ، وتضم أقطاره ، وتجلو أنواره ، وتفصله في حدوده ، وتخرجه في قيوده ، ثم لا تأتي به مهجلا فيستبهم ، ولا مشتركا فيلتبس ، ولا متقددا فيطول ، ولا متكلفا فيحول ؛ فهو منك كالمجزة تضرب فيه الأمثال ، وتشرح فيه المقال ؛ فلا أعدمنا الله هدايك واردة ، وفوائدك وافدة ، وهي طويلة

(١) النسران : نجران في السماء ، يقال لأحدهما : النسر الواقع ، ويقال للآخر :

النسر الطائر (م)

وفي هذه الرسالة يقول أبو تمام ، وقد أرى أنه قال ذلك في غيرها :

[لقد جئني كتابك كل بثّ
جئني ، وأصاب شاكلة الرمي
فضضت ختامه فنبجت لي
غرائبه عن الطير الجلي
وكان أغصن في غني وأندى
على كبدى من الزهر الجلي
وأحسن موقفا منى وعندى
من البشري أنت بعد النعي
كتبت به بلا لفظ كبريه
على أذن ، ولا لفظ في
وضمن صدره ما لم تضمن
صدور الصانين من الحلي
فإن تك من هدايك الصفايا
فرب هدية لك كالمهدي
لئن غربتها في الأرض بكرة
لقد زفت إلى سمع كفي
وقال البحرى في الحسن بن وهب :

وإذا تألق في الندى كلامه المصقول خلت لسانه من غضبه^(١)
وإذا دجت أقلامه ثم اتحت برقت مصايح الدجا في كتبه
باللفظ يقرب فهمه في بعده مناً ، ويبعد نيله في قرّبه
حكم فأنحها خلال بنانه متدفق وقلبيها من قلبه
كالروض مؤتلق بمجرة ورده وأنيق زهرته وخضرة غشيه
أو كالبرود مخيرت لتوَج من خاله أو وشيه أو غضبه^(٢)
، كأنها والسمع مقود بها وجهه الحب بدا لمن محبه

أشد بعض الكتاب هذه الأبيات أبا العباس ثعلبا ، فاستمادها حتى فهمها ،
ثم قال : لو سمع الأوائل هذا ما فاضلوا عليه شعرا .

وقال بمقتضى الكتاب :

- (١) خلت : ظننت ، والغضب : السيف القاطع ، ومن عادتهم تشبيه اللسان
بالسيف ، وانظر إلى قول حسان * لسانى وسنى صارمان كلاما * (م)
(٢) الغال : هنا : ضرب من البرود ، والوهى : أصله نقش الثوب ، وسمى
به نوع من الثياب ، والصب - بالفتح - برد يصنع غزله ثم ينسج (م) .

ورسالة ألقاها في النظم كاللذرة للتشيز
 جاءت إليك كأنها المستوفى في كل الأمور
 بأرق من شكوى وأخ من حياة في سرور
 لو واجهت أعمى لأصبح وهو ذو طرف بصير
 فكأنها أمل سرى من يد يأس في السرور
 أو كالقيد إذا أتت لقدمه بشرى البشير
 أو كالنعام لساير أو كالأمان مستجير
 كتبت بحبر كالتوى أو كغترسى من كغور
 فكأنما هو باطل ما بين حق مستنير

وقال أحمد بن أبي العباس بن ثوبة :

في كل يوم صدور الكتب صادرة
 من رأيه وندى كفيه عن مشل
 عن خط أعلامه يجرى القضاة على
 كل الخلاق بين البيض والأسل^(١)
 كأن أسطره في بطن مهره
 نور يضاحك دمع الواكب الخليل^(٢)
 لمابه على الصدر ينغمس
 وربما كان فيه النفع للعل
 كالنار تعطيك من نور ومن جبرق
 والحر يعطيك من غم ومن جدل^(٣)
 وقال آخر :

مداد مثل خافية الفراير
 ورق مثل رقائق السراب
 وأقلام كأرواح الجوارى
 وألفاظ كأهام الشباب

[مثل من بلاغة عمرو بن مسعدة]

قال أحمد بن يوسف : دخلت على للأمون ، وفي يده كتاب ، وهو يماود
 قراءته مرة بعد مرة ، ويصند فيه : بهرّه ويصوّه : فالتفت إلى وقد لحظني في

(١) البيض : السيوف ، والأسل : الرماح (م)

(٢) المهرق : الصحيفة يكتب فيها ، وأهه كلف : للمطر الغزير ، والحصل : بفتح

فكسر - الندى (م) (٣) الجندل : السرور (م)

أنهاء قراءته الكتاب، فقال : أراك مُفَكِّراً فيما تراه مني ! قلت : نعم ، وفي الله
 أمير المؤمنين الخلوفاً قال : لا مكروه إن شاء الله ، ولكنني قرأت كتاباً
 وجدته نظيراً ما سمعت الرشيد يقوله عن البلاغة ، فإني سمعته يقول : البلاغةُ
 التباعد من الإطالة ، والتقرب من البنية ، والدلالة بالقليل من اللفظ على الكثير
 من المعنى ، وما كنتُ أتوهمُ أن أحداً يقدر على هذه البلاغة حتى قرأت هذا
 الكتاب من عمرو بن مسعدة إلينا فإذا فيه :

كتابي إلى أمير المؤمنين ومن قبلي من الأجناد والقواد في الطاعة والاعتقاد
 على أحسن ما تكونُ عليه طاعةُ جُنْدٍ تَأَخَّرَتْ أُعْطِيَتْهُمْ ، واختلت أحوالهم !
 ألا ترى يا أحد إلى إدماجه [للسألة في الإخبار] ، وإعفائه سلطانه من الإكثار .
 ثم أمر لهم برزق ثمانية أشهر .

وفي عمرو بن مسعدة يقول أبو محمد عبد الله بن أيوب التيمي ^(١) :

أَيْتَنِي عَلَى بُلُوغِ نَاصِبٍ	خَفِيَ كَوْنُ خَيْبِكَ بِالْحَاجِبِ
كَأَنَّ تَأَلُّفَهُ فِي السَّمَاءِ	يَدَا كَاتِبٍ أَوْ يَدَا حَاسِبِ
فَرَوَى مِنْ لَزَلٍ تَذَكَّرَهَا	يَهْتَجِجُ مِنْ شِدْقِكَ الثَّغَابِ
غَرِيبٌ يَحْسُنُ لِأَوْطَانِهِ	وَيَبْكِي عَلَى عَصْرِهِ الثَّغَابِ
كَفَاكَ أَبُو الْفَضْلِ عَمْرُو النَّدَى	مُطَالَعَةُ الْأَمَلِ الْكَاذِبِ
وَصِدْقُ الرِّجَاءِ وَحُسْنُ الْوَفَاءِ	لِعَمْرُو بْنِ مَسْعَدَةَ الْكَاتِبِ
عَرِضَ الْفَنَاءِ طَوِيلُ الْبِنَا	وَفِي الْمَرْءِ وَالشَّرَفِ الثَّغَابِ
بَنَى لِلْمَلِكِ طَوْدَهُ يَتَنَّهُ	وَأَهْمَلُ الْخُلَاقَةِ مِنْ غَالِبِ
هُوَ الْمُسْتَرْجَى لِعَمْرُوفِ الزَّمَانِ	وَمُسْتَعَمِّمِ الرَّاضِغِ الرَّاهِبِ
جَوَادٌ بِمَا مَلَسَتْ كَفَّهُ	عَلَى الضَّيْفِ وَالْجَارِ وَالصَّاحِبِ

(١) روى أبو طي القالي (الأمالي ١/ ١٨٠) (الدار) البيتين الأول والثاني مع بعض

تغيير في أولهما ولم ينسهما ، ونسبهما للبكري في اللآلئ (٤٤٠) لبيد الله بن اللباس
 ابن الفضل بن الربيع بن يونس .

بأذم الركاب ووثنى الثيا ب والطرف والطفة الكاسِب
 تؤمله لجسام الأمور وتدعوه للجلال الكارِب
 خصب الجنب مطير السحاب بشيمته لئن الجسائب
 يروى القنا من محور العدا ويُفريق في الجود كاللاعب^(١)
 إليك تبدت بأكوارها حراجيج في مهمه لاحب^(٢)
 كأن نَمَاسًا تَمَادى بنا تزايل من برَدٍ حاصِب
 يردن نَدَى كَفْكَ المرتجى ويقضين من حَقِّك الواجب
 وقف ما أنت من جابر بسجل لقويم ومن خارب^(٣)
 يساق العدا بكنوس الردى ويسبق مسألة الطالب
 وكل راغب نكته بالسطا وكل نلت بالتحف من هارب
 وتلك الخلائق أعطيتهم وفضل من اللانع الواهب
 كبت الثناء، وكُتِبُ التنا أفضل مكسبة الكاسب
 يقينك يحلوسر الدجى وظنك يُخْزِرُ بالنائب
 وهذا الشعر يتدفق طبعًا وسلاسة .

[الكلام الجيد الطبع ، والكلام المصنوع]

قلت : والكلام الجيد الطبع مقبول في السمع ، قريبُ المثال ، بعيدُ المثال ،
 أنيقُ الديباجة ، [رقيق الزجاجة] ، يدنو من فهم سامعه ، كدونه من وهم
 صانعه ، والمصنوع مثقف الكموب ، معتدلُ الأنوب ، يطرد ماء البديع على
 جنباته ، ويجول رَوْنُ الحسن في صفحاته ، كما يجول السحر في الطرف الكحيل ،

(١) في نسخة « ويحرق في الجود كاللاعب » وما أثبتناه أوضح (م)

(٢) حراجيج : جمع حرجوج ، وهى السينة الطويلة من النوق أو الشديدة الضامرة ، واللاحب . الواضح (م)

(٣) في نسخة « وقف ما أنت من جابر » وفى أخرى « وقف ما أنت من جابر » وما أثبتناه خير منهما جميعا (م)

والأثرُ في السيف العقيل ، وحمل الصانع شعره على الإكراه في الصل وتفتيح
 المباني دون إصلاح المعاني يعني آثار صنمته ، ويطلق أنوار صيفته ، ويخرجه إلى
 فساد التصف ، وقُبْح التكلف ؛ وإلقاء المطبوع بيده إلى قبول ما يبيته هاجسه ،
 وتفتنه وسأوسه ، من غير إعمال النظر ، وتدقيق الفكر ، يخرجه إلى حدّ المشهر
 الرث ، وحبّز النث ؛ وأحسن ما أجرى إليه ، وأعوّل عليه ، التوسط بين
 الحالين ، والمزنة بين المتزلتين ، من الطبع والصنعة .

وقد قال أعرابي للحسن البصري : علمني ديناً وسيطاً ، لا ساقطاً سقيمًا ،
 ولا ذاهباً فروطاً ، قال الحسن : أحسنت ، خيرُ الأمور أوساطها . والبحتري عن
 هذا القوس يزعج ، وإلى هذا النحو يرجع .

قد تم - بحون الله تعالى وتوفيقه - الجزء الثالث من كتاب « زهر الآداب ،
 وثمر الألباب » لأبي إسحاق الحصري ، ويليهِ - إن شاء الله تعالى - الجزء الرابع
 مفتتحاً بقول المؤلف « ومن التمر الذي يجرى مع النفس قول ابن المعتز بمدح
 للسكتي » نسأله سبحانه أن يوفقني إلى إكماله .

فهرس الجزء الثالث من كتاب
« زهر الأداب ، ونمر الألباب »
لأبى إسحاق الحصرى

فهرس الجزء الثالث من كتاب
« زهر الآداب، وغر الألباب » لأبي إسحاق المصري

الموضوع	ص	الموضوع	ص
إسحاق يصف للغى المجيد	٦٤١٧	نبد لأهل مصر بحرى في اللبح	٥٩٩
من ترجمة إسحاق اللوصلى . وشعره	—	بحرى الأمثال	٦٣٨
استطراد فيما قيل من الشعر فى جمال	٦٥٠	نبد من مفردات الأبيات فى فرائد	—
الدواب	—	للبح	—
وحدة القصيدة والساقها	٦٥١	بين إبراهيم اللوصلى وموسى الهادى	٦٣٩
السر فى الابتداء بالنسب	٦٥٤	بين الإسكندر ودارا بن دارا	٦٤٠
موازنة بين أبى تمام والبحترى عن	٦٥٥	حكيم يصف أحزم للوك	—
الحناجى	—	أنو شروان يصف سياحة الدولة	—
أثر النساء والجمال	٦٦٢	واصل بن عطاء يصف أخلاق السفة	٦٤١
عكاشة بن عبد الصمد البصرى	٦٦٣	مايلغ بالإنسان أقصى درجات الفضل	—
بعض ما قيل فى وصف القيان من	٦٦٥	أحزم الرأى	—
الشعر	—	حكيم يصف خلال الفضل	—
من ترجمة على بن عبد الرحمن (أبى	٦٦٧	يزرجهر يصف للروءة ونحوها	—
الحسن بن يونس)	—	وصية معاوية لزياد حين ولاد العراق	—
لأبى المعتز فى المرأة	—	من كلام البغاء فى ذكر السلطان	٦٤٢
لكشاجم يصف المرأة	٦٦٨	—	—
الأقلام	٦٦٩	—	—
كتاب من عبيد الله بن طاهر إلى	—	لأبى إسحاق الصابى	—
إسحاق بن إبراهيم يستهديه أقلاما	—	للخوارزمى	—
جواب إسحاق على كتاب عبيد الله	٦٧٠	لأبى الفتح البسقى	—
لمنصور بن عمار يصف القلم	٦٧١	لأبى الفضل بن العميد	—
للتجيمى فى وصف القلم	—	لأبى الطيب اللتى	٦٤٤
من أخبار التجيمى	٦٧٣	بين ابن ميادة وعبد الواحد بن سليمان	—
لمحمدان القمى يصف قلم	—	لعمرف القوافى يمدح طلحة بن عبيد الله	٦٤٥
وصف القلم الصالح للكتابة للثانى	—	للقطامى يمدح عبد الواحد بن سليمان	—
من ترجمة الثانى وأخباره وشعره	٦٧٤	نسب عبد الواحد بن سليمان	—
من آداب آل وهب : الحسن بن	٦٨٠	نبرة شعر القطامى	٦٤٦
وهب ، وسليمان بن وهب	—	تم الألفاظ وتم الألحان	٦٤٦
من كلام أهل مصر فى ذم الكتابة	٦٨٣	بين مختار وأبى التهاية	—
—	—	إسحاق اللوصلى يصف جارية للمصمم	٦٤٧

الموضوع	ص	الموضوع	ص
بين أحمد بن المذل وأخيه	٢٠٦	وصف الكلام لنية بن أبي سفيان	٦٨٤
أخذ أحمد بن المذل للصة	٢٠٧	الناسي، وصف شعره	٦٨٥
القطامي يهجو امرأة من عمارب	٢٠٨	من فصل للناسي، في الشعر	—
أم عبد الصمد بن المذل	٢٠٩	لؤاث الكتاب في الشعر	٦٨٦
— لأبي حكيمة في الرقيق	—	للخليل بن أحمد يصف الشعراء	٦٨٧
لأبي شراة يمدح بني رياح	٢١٠	بين أعرابي وشاعر من أبناء القرس	—
لأبن المذل في إبراهيم بن رياح	٢١١	لمارة بن يميل، وللجاحظ	٦٨٨
— صفات عبد الصمد بن المذل	—	لبشار وقد مدح للهدى فلم يحزه	—
من شعر أبي حكيمة راشد بن	٢١٢	— خالد بن صفوان يصف جريرا	—
إسحاق	—	والفرزدق والأخطل	—
بين الرشيد وعبد الملك بن صالح	٢١٤	بين المبراج وعبد الملك بن مروان	٦٨٩
عبد الملك بن صالح	٢١٥	— المقامة القريضية للبديع	—
— لابن الرومي يمدح الحقد	—	المقامة الفيلانية للبديع	٦٩٢
بين مسلة بن عبد الملك والعباس	٢١٧	قمر في الشعر	٦٩٤
ابن الوليد	—	من مفردات الأبيات في الشعر	٦٩٥
— رجع إلى أخبار عبد الملك بن صالح	—	الأحنف بن قيس	٦٩٦
بين الرشيد والحسن بن عمران	٢١٩	نسب الأحنف بن قيس	٦٩٧
— بين الرشيد ويزيد بن مزيد	—	كلام للأحنف في مجلس معاوية	٦٩٨
مختار مما قيل من الشعر في الرثاء	٢٢٠	— صفة الأحنف	—
قطر الندى والخليفة المعتضد	٢٢٢	— ذكر الأحنف للنبي فاستغفر له	—
لابن القنز يرنى ابن ثوبة	٢٢٣	كما وصف به الأحنف	٦٩٩
أيام الشباب، وما قيل فيها من	٢٢٤	— جارية لأن المهلب والأحنف	—
الشعر	—	— وفود الأحنف على معاوية	—
من ترجمة علي بن بسام، وأخباره	٢٢٥	ابن الرومي يذكر حق الشاعر ص	٢٠٠
بين المأمون وأحمد بن خالد	٢٢٦	السكرام	—
— بين المأمون ومحمد بن داود في	—	وفاة الأحنف ورثاء امرأة إياه	٢٠١
حسن الخط	—	— المتصم ومحمد بن وهيب	٢٠٢
— رأفة المأمون بجاله	—	منصور النمرى والعتابي	٢٠٣
بين يزيد بن معاوية وجليل بن أوس	٢٢٨	— تقديم الرشيد للنمرى	٢٠٤
— من أقوال الحكماء عند وفاة الاسكندر	—	النمرى رافضى	٢٠٥
		أبناء المذل، أحمد بن المذل	٢٠٦

الموضوع	م	الموضوع	م
ألفاظ لأهل العصر في وصف الاستطالة والكبر	٧٦٦	جملة من كلام ابن المعتز في ذكر السلطان	٧٢٩
من بديع الزمان يشكو القاضي الحيرى	٧٢٥	من كلام أهل العصر في هذا النحو	٧٢٥
لبديع في ذكر العلم	٧٧٣	وصف جارية كاتبة	٧٣١
من مفردات الأبيات في المناسبات	٧٧٤	وصف غلام كاتب	—
قولهم في اللحن وتعلم العربية	٧٧٥	من بديع الزمان لابن العميد	—
لوعة الشوق	٧٧٦	بين البديع وأبي القاسم الهمداني	٧٣٢
بنو عنزة	٧٧٩	من مقامات بديع الزمان	٧٣٣
وصف الحسان	٧٧٩	عما قيل في وصف فص وحاتم	٧٣٤
وصف الهوى ، وأمره	٧٨٠	مفاضلة بين الكلام والصمت	٧٣٥
بعض ما جاء في الصاف	٧٨١	الحنين إلى الأوطان وبعض ما قيل فيه	٧٣٦
ألفاظ لأهل العصر في وصف النساء	٧٨٤	ألفاظ لأهل العصر في وصف الأمكنة	٧٤١
ولهم في وصف الطعان والمعدرين	٧٨٥	ولهم في ضد ذلك	٧٤٢
ولهم في تقييد ذلك في ذم خروج اللحية	٧٨٧	ولهم في وصف الفلاح والحصون	—
من رسائل بديع الزمان	—	ولهم في صفات الدور والقصور	٧٤٣
للقامة الأسدية ، لبديع الزمان	٧٨٩	من رسائل الميكالى وشعره	—
لأبي فراس الحمداني ينزل	٧٩٣	لكشاجم يصف شعما	٧٤٨
لابن المعتز في الغزل	٧٩٤	لابن الرومي يذكر رجلا متلونا	—
لأبي نواس في وصف يوم شرب	—	وصف أبي الفضل الميكالى للبطوعى	٧٤٩
لأبي العباس الناشئة	٧٩٥	ابن أبي دؤاد بين يدى الواثق	٧٥٥
لأبي خراش الهذلي	—	من صفة ابن أبي دؤاد وأخباره	٧٥١
رتاء أبي خراش لأخيه	٧٩٦	بن أبي الفتح وابن أبي دؤاد	٧٥٢
لابن الرومي	٧٩٧	قطعة من شعر الأهراب في الغزل	٧٥٢
لأبي نواس	—	زيارة طيف الخيال	٧٥٤
وصف الحسن والأطال	—	عقال بن حبة بين يدى المنصور	٧٥٩
لأهل العصر في وصف الميثار الحالية	٧٩٩	زهير وهزم بن أبي ستان	—
بعض ما قيل في طول الليل	٨٠١	فضل الشعر	٧٦١
لأهل العصر في طول الليل	٨٠٤	من أخبار أبي تمام	٧٦٢
ولهم في ضد ذلك	٨٠٥	استبجاز أعزاني موعبة	٧٦٣
		معاوية بن يسار وبعض أخباره	٧٦٤

م	الموضوع	م	الموضوع
٨٤٣	أبو الصقر وصاعد بن مخلد	٨٠٥	ولهم في ذكر النوم والتماسي
٨٤٤	أبو العيناء وابن أبي ثوبة	٨٠٧	من بديع الشعر في وصف الليل
—	من مكارم أبي الصقر	٨٠٨	أخو الصفاء قريب
—	أبو الصقر وأبو العيناء	٨١٠	بعض ما قيل في وصف النجوم
٨٤٥	أبو العيناء يذم ابن الحبيب	٨١٣	من وصف الشراب في الليل
٨٤٦	أبو بكر سيديو المصري وأهل مصر	٨١٦	المختار من شعر تميم بن الحز
٨٤٨	رجع إلى أبي العيناء	٨١٩	عود إلى وصف النجوم
٨٤٩	كلمات لأبي العيناء	٨٢١	أجل ما قال العرب من الشعر
—	المختار مما قيل في الرثاء	٨٢٢	لأهل مصر في طلوع الشمس وغروبها
٨٥٠	لأهل مصر في التمازي	٨٢٣	المقامة الكوفية ، لبديع الزمان
٨٦٠	المقامة الأهوازية ، لبديع الزمان	٨٢٤	من رسائل بديع الزمان
٨٦٢	من رسائل بديع الزمان	٨٢٦	جملة من كلام ابن المعتز في الفصول القصار
٨٦٤	من رسائل الصافي	٨٢٧	رثاء المعتضد وتمزيته
٨٦٥	لابن الرومي	٨٢٩	من شعر ابن المعتز
—	بين أبي النعالية وانه	٨٣١	أبو شجاع عضد الدولة
٨٦٦	قصر من كلام المتصوفة	—	الموفق الصباسي
٨٧١	الرأى والهوى	٨٣٣	صاحب الزنج
—	من بدائنه في مجالس الخلفاء	٨٣٦	لابن يامين في سيف عمسرو بن
٨٧٢	أحوال السفاح	معد يكرب الزبيدي	
٨٧٤	لمن بن أوس	٨٣٧	للبحتري يصف سيفا
٨٧٦	من رسائل ابن العميد	—	لابن هاني يصف سيف المعز
٨٨٠	حسن التآقي للأمو	٨٣٨	وقد الشام بين يدي المنصور
٨٨٠	قصر في ذكر المشورة	—	بعض ما قيل في الغزو
٨٨١	تأريخ الكتب والرسائل	—	تميم بن جميل السدوسي والمعتصم
٨٨٢	قصر وأمثال يتداولها العيال	٨٤٠	من المعتصم إلى عبد الله بن طاهر
٨٨٣	من ترجمة منصور الفقيه	٨٤١	الحليفة المعتصم
٨٨٥	من بديع الزمان لابن الرزيان	٨٤٢	كعب بن معدان يصف للحجاج
٨٨٧	من البديع لبعض إخوانه	بنى الملب	
٨٨٨	بين سهل بن هارون والحسن بن سهل	٨٤٣	بشر بن مالك يصف للحجاج بن
		اللباب أيضا	

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٨٨٩	من أمثال البخلاء واحتجاجهم	٨٩٣	مثل من بلاغة عمرو بن مسعدة
٨٩٠	قمر لابن المتمر في الصداقة	٨٩٤	لتيحي في عمرو بن مسعدة
٨٩١	كتاب الحسن بن وهب إلى أبي	٨٩٥	الكلام الجيد الطبع ، والكلام
	تمام نصف بلاغته		الصنوع
٨٩٢	للبخترى في الحسن بن وهب		

والحمد لله واسع الفضل ، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد
نبيه المصطفى ، وعلى آله وصحبه وعترته .

زَهْرُ الْأَلْبَابِ

وثر الألباب

لأبي إسحاق إبراهيم بن علي ، الحصري ، القيرواني
المتوفى في عام ٤٥٣ من الهجرة

مفصل ومضبوط ومشروح بقلم المرحوم
الدكتور زكي مبارك

أجزاء الأربع

حققه وزاد في تفصيله وضبطه وشرحه

محمد عبد الرحمن عبد الحميد

دار الجيل

الطبعة الأولى: ١٩٦٦

طبعات - بيروت
ص. ٥٠٠ - ١٩٦٦

الطبعة الرابعة

المحمد لله بِكَفَاءِ تَعْمَاتِهِ ، والشكر له على آلائِهِ ، وصلاته وسلامه
على الصَّوْنَةِ من أنبيائه ، وعلى آله وصحبه وأوليائه

[نماذج من الشعر الجيد]

لابن المعتز

ومن الشعر الذي يجري مع النفس قول ابن المعتز يمدح المكتبي ؛ إذ قدم
من الرقة بعد القبض على الترمطى قال :

لا وِثْمَانَ التَّهْمُودِ فوق أغصانِ القدود^(١)
وعنْقايدِ مَنْ أَصْدَا غِ وَوَرْدٍ مِنْ خُدُودِ
وبدورٍ مِنْ وَجُوهٍ طالَمَاتٍ بِالسُّعُودِ
ورسولٍ جَاءَ بِأَلْيِهِ مَادَ مِنْ بَدَنِ الرَّجِيدِ
ونسيمٍ مِنْ وَصَالٍ فِي قَفَا طُولِ الصُّدُودِ^(٢)
مَا رَأَتْ عَيْنِي كُظْمِي زَارَنِي فِي يَوْمِ حِيدِ
فِي قَبَاءٍ فَاخْتَى^(٣) السُّلُونِ مِنْ لَبْسِ الْجَدِيدِ^(٤)
كَلَّا قَاتِلَ جَنْدِي^{*} بِسَيْفٍ وَتَحْمُودِ
قَاتِلَ النَّاسِ بَيْنَيْنِ وَخَدَيْنِ وَجِيدِ^(٥)
قَدْ سَقَانِي الْخَمْرُ مِنْ فِيهِ عَلَى رَغَمِ الْحُسُودِ

(١) « زمان اليهود » و « أغصان القدود » كلاهما من إضافة المشبه به إليه
المشبه : أي اليهود التي كالزمان ، والقدود التي كالأغصان ، مثل « ذهب الأصيل »
و « لجين الماء » (م)

(٢) « في قفا طول الصدود » أي بعده (م)

(٣) القباء - يفتح القاف ، زنة السحاب - ثوب يلبس فوق الثياب ، وقيل :
ثوب يلبس فوق القميص ويمنطق عليه ، ويجمع على أقبية ، وفاختى : منسوب إلى
الفاختة واحدة الفواخت ، وهي من ذوات الأطواق من الحمام ، قيل لها ذلك لونها ،
فإن لونها يشبه القنط ، الذي هو ضوء القمر (م)

(٤) الجيد - بكسر الجيم - العنق (م)

وتعاقنا مكاناً وهو في عَقْدٍ شديد
 تفرع الثمر بثمر طيب عند الورود
 [مثل ما عاجل بردٌ قطرُ مُرنٍ يجمود
 سحرا من قبل أن ترجع أرواح الوفود
 ومضى يخطف في الشئ كجبار عنيد]
 مرجحاً بالملك القسا دم بالجد السعيد
 يا مذل البني يا قاتل حيات الخفود
 عش ودم في ظل عيش خاله باق جديد
 فلقد أصبح أعداؤك كالزئج الحصيد
 ثم قد صاروا حديثاً مثل عاد ونمود
 جاهم بحر حديد تحت أجيال بنود
 فيه عقبان خيول فوقها أسد جنود
 وردوا الحرب فلدوا كل خطي مديد^(١)
 وحام شره الحد إلى قطع الوريد^(٢)
 ما لهذا الفتح يا خيبر إمام من نديد^(٣)
 فاحمد الله فإن السحت مفتاح الزيد

وقول علي بن الحليل مولى يزيد بن يزيد الشيباني وكان يرمى بالزندقة ، قال لعلي بن الحليل
 الفضل بن الربيع : جلس الرشيد يوماً للظالم ، فجلست أنصفح الناس ، وأسمع كلامهم ، فرميت بكركي ، فرأيت في آخرهم شيخاً حسن الهيئة والوجه ما رأيت
 أحسن منه ؛ فوقف حتى تقوض المجلس^(١) ثم قال : يا أمير المؤمنين ، رقتي ؛ فأمر
 (١) الخطي : الرمح ، نسبة إلى الخط ، وهو مرفأ للسفن تجلب إليه الرماح ،
 ومديد : طويل (م)

(٢) الوريد : عرق في الصق (م) (٣) نديد : مثل وشيه (م)
 (٤) تقوض المجلس : انفضأ أهله ، وأهله « تقوض الباء » بمعنى تهيم (م)

بأخذها ، فقال : إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لى بقرائها ؛ فأنأ أحسنُ تعبيراً
 غلطى من غيرى - فقال له : اقرأ ، فقال : شيخ ضيف ، ومقامٌ صنب ، ولا آمنُ
 الاضطراب ؛ فإن رأى أمير المؤمنين أن يصلَ عنايته بأمرى فى الإذن بالجلوس
 فعل ، فقال : اجلس ، فجلس وأنشأ يقول :

يا خبيرَ من وُخِدتْ بأرْحِلِهِ	نُجِبُ الرُكَّابِ بِمَهْمَةٍ جَلِيلِ ^(١)
تطوى السبابَ فى أزمِنتها	طوى التَّجَارِ عِاثِمَ الرِّيسِ ^(٢)
لمأ رأتكَ الشمسُ طالمة	سجدتْ لوجهك طلعة الشمس
خيرُ البرية أنت كلهم	فى يومك القادى وفى الأنس
وكذاك لن تنفك خيرهمُ	تمسى وتصبح فوق ما تُسمى
فله ما هرون من ملك	عف السريرة طاهر النفس
تمت عليه لربه نعمُ	تزداد جلستها مع اللبس
من عترة طابت أرومتها	أهل العفاف ومنتهى القدس
متهللين على أرسيتهم	ولدى الهياج مصاعب مُشْرِ ^(٣)
إنى لجأتُ إليك من فزع	قد كان شرِّدى ومن لَبْسِ
لما استخرتُ الله مجتهداً	يمتُ نحوك رَحْلة النفس ^(٤)
واخترتُ حِلْمَكَ لا أجاوزهُ	حق أغيبَ فى تَرَى رَشْمِ
كم قد سريت إليك مُدَّرِعا	ليلا يهوجُ كعالكِ النَّفْسِ ^(٥)
إن راعى من هاجس فزعُ	كان التوكُّل عنده تَرْسِ
ماذاك إلا أننى رجلاً	أصبوا لى نَفَرٍ من الإنس

(١) وُخِدت : من الوحد ، وهو ضرب من السير السريع ، والنجب : جمع نجيب ، والهمه : الصحراء ، وجلش : غليظ ؛ يريد أن السير فيه يشق على سالكيه (م)
 (٢) تطوى : تقطع ، والسباب : جمع سبب ، وهى الأرض المستوية البعيدة ،
 والريس : بالكسر - القطن (م) (٣) مصاعب : جمع مصعب ، وهو من الإبل
 الذى تصعب مقادته ، وشهير : جمع أشمس ، وهو الآبى النافر للمتبع (م)
 (٤) النفس : الناقة الصلبة (م) (٥) النفس - بالكسر - الحبر (م)

بيض أوانس لا قرون لها يعتلن بالطويل والخبيث
وأجاذب الفتيان ييهمُ صفراء مثل مجاجة الورس
للماء في حلقاتها حببُ نظم كرقم صحائف القُرس
والله يعلمُ في بنيته ما إن أضعت إقامَةَ الخُرس^(١)

قال : ومن تكون ؟ قال : على بن الخليل ، الذي يقال إنه زنديق ، فقال له : أنت آمن ، وأمر له بخمسة آلاف درهم .

وأُشيد أبو العباس المبرد لرجل يصف دعوة دعا بها الله عز وجل ، وقد رأيتها وصف دعوة في شعر محمد بن حازم الباهلي :

وسارية لم تشر في الأرض تبغني محلاً ، ولم يقطع بها اليدَ قاطعُ
سرت حيث لم تحذِ الركب ولم تنخُ لورده ، ولم يقصر لها القيد مانعُ
تمر وراء الليل والليل ضاربُ يحنانه فيه سيمـيـرٌ وهاجعُ
إذا وردت لم يزود الله وفدها على أهلها ، والله رآه وسمعُ
تفتح أبواب السموات دونها إذا قرع الأبواب منهن قارعُ
وإني لأرجو الله حتى كأتني أرى بحيل الظن ما الله صانعُ

[من مستحسن الأجوبة]

ودخل رجل [من شيان] على ممن بن زائدة ، فقال : ما هذه الثيبة ؟ بين ممن بن زائدة ورجل من شيان فقال : أيها الأمير ، ما غاب عن التين من يذكره القلب ، وما زال شوقي إلى الأمير شديداً ، وهو دون ما يحبُّ له ، وذِكْرِي له كثيرا ، وهو دون قدره ، ولكن جفوة الحجاب ، وقلة بشر الفلان ، تمناني من الإتيان ! فأمر بتسجيل إذنه ، وأجرل صلته .

وقال أبو جعفر النصور لمن بن زائدة : كبرت يا ممن ! قال : في طاعتك بين النصور يا أمير المؤمنين ، قال : إنك لجلد^(٢) ، قال : على أعدائك ، قال : وإن فيك لبعية ، قال : ومن بن زائدة

(١) الخس : أراد الصلوات الخس للفرصة (م)

(٢) جلد : قوى شديد الاحتمال (م)

حي لك يا أمير المؤمنين ، قال : فأى الدولتين أحب إليك ؛ هذه أم دولة بني أمية ؟
قال : ذلك إليك يا أمير المؤمنين ، إن زاد برك على برهم كانت دولتك أحب إلى .
[من ترجمة معن بن زائدة ، وأخباره]

ومن هذا هو معن بن زائدة بن عبد الله [بن زائدة بن مطر بن شريك بن عمرو أخى الحوفزان بن شريك بن عمرو بن قيس] بن شرحبيل بن منبه بن مرة ابن ذهل بن شيبان ، وبنو مطر بيت شيبان ، وشيبان بيت ربيعة .

وكان من أجود الناس ، وفيه يقول مروان بن أبي حفصة ويعم بني مطر :
بنو مطر يوم القضاء كأنهم أسود لها في غيل خفان أشبل^(١)
هم يمنعون الجار حتى كأنما لجارهم بين السما كتي منزل
ولا يستطيع القائلون فسلمهم وإن أحسنوا في الثابت وأجلوا
بهاكيل في الإسلام سادوا ولم يكن كأولهم في الجاهلية أول
هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دُعوا جابوا وإن أعطوا أطابوا وأجزوا
أخذ البيت الأول ابن الرومي ، وزاد فيه ، فقال :
تلقاهم ورماح الخط بينهم كالأسد ألسها الآجام خفان
[الرأي والشجاعة]

أتى قوم من العرب شيخا لهم قد أربى على الثمانين ، وأهدف على التسعين^(٢) ،
فقالوا : إن عدونا استاق مَرَحَنَا ، فأشِرْ علينا بما تدرك به الثَّار ، وننفي به العار ،
قال : الضف فسخ همتي ، ونكت إبرام عزيمتي ، ولكن شاوروا الشجنان من
ذوى الزَّم ، والجبناء من ذوى الحزم ؛ فإنَّ الجبان لا يألو برأيه ما يبق مهجكم ،
والشجاع لا يألو برأيه ما يشد ذكركم ، ثم اخلصوا من الرأي بتيجة تبعد عنكم
معرفة نقص الجبان ، وتَهَوَّر الشجنان ، فإذا نجم الرأي على هذا كان أنفذ على
عدوكم من السَّهم الصائب ، والحسام القاضب .

- (١) الفيل - بكسر الفين - موضع الأسد ، وخفان : مكان مشهور بالأسود ،
والأشبل : جمع شبل - بالكسر - وهو ولد السبع (م)
(٢) أهدف على التسعين : قاربها وأشرف عليها (م)

[قضاء الله وعده]

قال الأصمعي : سمعت أعرابية تقول لرجل مخاصمته : والله لو صور الجبل لأظلم معه النهار ، ولو صور الثقل لأضاء معه الليل ، وإنك من أفضلهما لعدم ؛ فحَفَّ الله ، واعلم أن من ورائك حَكَمٌ لا يحتاج للدَّعَى عنده إلى إحضار البينة .

[بنو كليب]

قال الفرزدق يهجو كليباً :

ولو يَرْمِيْ بِلَوْثٍ بَنِي كَلِيبٍ نَجْمُ اللَّيْلِ مَا وَصَّحَتْ لِسَارِي
ولو لبس النهار بنو كليب لَدَسَ لَوْثُهُمْ وَضَحَ النَّهَارُ

[من جيد كلام الأعراب]

دعاء أعرابي
برقة

وقال سفيان بن عيينة : سمعت أعرابياً يقول عشية عَرَافَةَ : اللهم لا تحرمني خيراً ما عندك لِشَرِّ ما عندي ، وإن لم تقبلْ تَمَجِّي ونَصَمي ، فلا تحرمني أجراً للصواب على مصيبيته .

كتاب بين
صديقين

وقال آخر منهم لصديق استبطأ فلامه : كانت لي إليك زَلَّةٌ يمنني من ذكرها ما أُمَلْتُ من تجاوزك عنها ، ولست أعتذرُ إليك منها إلا بالإقلاع عنها .
وقال آخر لابن عم له : والله ما أعرف تقصيراً فأفعل ، ولا ذنباً فأعتب ، ولست أقول : إنك كذبت ، ولا إنني أذنبت .

وقال آخر لابن عم له : سأخطي ذنبك إلى عَذْرِكَ ، وإن كنت من أحدهما على يقين ، ومن الآخر على شك ، لتتمَّ النعمة مني إليك ، وتقوم الحجة لي عليك .
وأصيب أعرابيٌّ بآبن له فقال - وقد قيل له : اصبر - أعلى الله أجملد ، أم في مصيبي أتبدل ؟ والله للجزع من أمره أحبُّ إلى الآن من الصبر ! لأن الجزع استكانة ، والصبر قساوة ، ولئن لم أجزع من النقص لا أفرح بالمزيد .

ودعا أعرابي فقال : اللهم إني أعوذ بك أن افتقرَ في غِنَاكَ ، أو أضلَّ في دعاء أعرابي هَذَا ، أو أذلَّ في عَزَاكَ ، أو أضام في سُلْطَانِكَ ، أو أضطهد بالأمر إليك .

قال الأصمى : سمعتُ أعرابياً يَمِطُ رجلاً وهو يقول : وَيَحْك ! إِنْ فلانا وإن ضحك إليك ، فإنه يضحكُ منك ، ولئن أظلمَ الشفقة عليك ، إن عقابه لتسرى إليك ؛ فإن لم تتخذْه عدواً في علايتك ، فلا تجعله صديقاً في سريرتك .
سمع أعرابى رجلاً يَقَعُ في السلطان ، فقال : إنك غُفْلٌ لم تسمك التجارب ، وفي النصيح لَسْعُ المقارب ، كَأَنى بالصاحك إليك ، وهو بكٍ عليك .

وحذرَ بعضُ الحكماء صديقاً له صعبه رجل ، فقال : احذرْ فلانا فإنه كثيرُ المألَةِ ، حسنُ البحث ، لطيفُ الاستدراج ، يحفظُ أولَ كلامك على آخره ، ويعتبرُ ما أخرت بما قدّمت ، فلا تظهرنَّ له المخافة فيرى أن قد تحرّزت ؛ واعلم أن من يقظة الفطنة إظهارَ الغفلة مع شدة الحذر ، فبائنه مباءةً الآمين ، وتحفظُ منه تحفظُ الخائف ؛ فإنَّ البحث يظهر الخفى الباطن ، ويُبدي المستكن الكامن .

أتى أعرابى رجلاً لم يكن بينه وبينه حرمة في حاجة له ، فقال : إني ابتطيتُ إليك الرجاء ، وسرّيتُ على الأمل ، وراققتُ الشكر ، وتوسّلتُ بمُحْسِنِ الفطن ، لحقق الأمل ، وأخسِنِ الثوبة ، وأكرم الصّدِّ^(١) ، وأرقم الأود^(٢) ، وعجل السراح^(٣) .
قال الأصمى : وسمعتُ أعرابياً يقول : إذا ثبتت الأصول في القلوب ، نطقَت الألسنة ، لقروا ! والله يعلم أن قلبي لك شاكر ، ولساني ذاكرك ، ومحال أن يظهرَ الودَّ المستقيم ، من الفؤاد السقيم .

ومدح أعرابى رجلاً ، فقال : إنه ليسل من المار وجوها مسودة ، ويفتح من الرأى أبواباً منسدة .
وقال أعرابى :

كَمْ قد ولدتُم من رئيسٍ قَسَوِرٍ دَامى الأظافرِ في الخيس المُشَطِرِ
سَدِكتْ أناملُهُ بِقَائمٍ مَرهفٍ [وينشر فائدة وجذوة مِنْبَرِ

(١) الصّد : العطاء ، وهو يفتح الصاد والفاء جميعاً (م)

(٢) الأود - بالتحريك - الاعوجاج (م) (٣) السراح : الفكاك (م)

ما إن يريد إذا الرماحُ تشاجرتُ
يلقى السيوفَ بوجهٍ وبنحرة [
ويقول للطرفِ اصطبرِ لشيءٍ القنأ
وإذا تأمل شخصٌ ضيفٍ مقبلٍ
أومئ إلى الكوماء هذا طارق
وقال :

قامت تصدَّى له عُدداً لغفلته
جيداء ربذاء لم تعد قلائدَها
فراح كالحائم العذبان ليس له
وقال آخر :

ومكتناتٍ بمدٍ وهنٍ طرفتي
دسسنَ رسولاً ناصحاً وتلونه
فبتُ أعاطيهنَّ صرفَ صباية
فيلو جد قلبي يوم أتيتُ ناظري
بأردية الظلماء ملتفتاتٍ
على رقيةٍ منهنَّ مستترات
وبئنَ على الذاتِ مستكفات
سليمي وجادتُ بعدها غيراني

وقال الأحنف بن قيس : من لم يستوحش من ذلِّ المسألة لم يأنف من الرد .
وقال سفيان الثوري لأخ له : هل بملك شيء مما تكرهه عن لا تعرف
قال : لا ، قال : فأقلل عن تعرف .

أخذه ابن الرومي ، فقال :

عدوك من صديقك مُستفاد
فإنَّ الداءَ أكثر ما تراه
فدعْ عنك الكثيرَ فكم كثير
فأقلل ما استطعت من الصحاب
يصكونُ من الطعام أو الشراب
يُغاف ، وكَم قليل مستطاب ؟

(١) في نسخة « سربال ليل أغبر » وهو الذي أخفظه (م)

(٢) الكوماء : الناقة العظيمة السنام (م)

وما التَّبَجُّ لِللَّاحِ مَرْوِيَّاتٍ وَيُلْقِي الرَّيُّ فِي التُّغْلَفِ الْمَذَابِ

[جَعَلَ مِنَ الْوَانِ لِلدَّمَاحِ]

وقال رجل غلام القسري: والله إنك لتبذل ما جلت، ونجبر ما اضل، وتكثر ما قل؛ فضلك بديع، ورأيتك جميع، تحفظ ما شئت، وتؤلف ما نئت.

وسئل أعرابي عن قومه، قال: يفتنون الفقر، عند شدة الحر، وأرواح الشتاء، وهبوب الجربياء^(١)، بأسنة الجزور، ومترعات القدور، نهش وجوههم عند طلب اللروف، وتمس عند لمان السيوف.

ووصف أعرابي قوما قال: لهم جود كرام اتست أحوالها، وبأس ليوث تبغها أشبالها، وهم ملوك افضحت آمالها، وفجرت آباء شرقت أحوالها. وقال خالد بن صفوان، وقد دخل على بعض الولاة: قلتمت فأعطيت كلاً، بقيطه من نظرك [ومجلسك]، وصوتك، وعدلك، حتى كأنك من كل أحد، وحتى كأنك لست من أحد.

وذكر خالد رجلا قال: كان والله بديع اللطيق، ذلق البراة، جزل الأنفاط، عربي اللسان، ثابت العدة، رقيق الحواشي، خفيف الشفتين، بليّل الريق، رحب الشرف، قليل الحركات، خفي الإشارات، خلو الشائل، حسن الطلاوة، حياً جرياً، قوولا صموتا، يفل الحز، ويسيب للفاقل، لم يكن بالهذر في منطقه، ولا بالزمر في مروته، ولا بالخرق في خليقته، متبوعا غير تابع، كأنه علم في رأسه نار.

وقال بعض الهناء لرئيسه: إن من النعمة على المؤمن عليك أنه لا يأمن التقصير، ولا يخاف الإفراط، ولا يحذر أن تملقه قيصه الكذب، ولا ينهي به للدح إلى غاية إلا وجد في فضلك عزنا على تجاوزها. ومن سمادة جدك أن الداعي لا يعدم كثرة الشايعين، ومساعدة النية على ظاهر القول.

(١) الجربياء: ريح الشمال، أو بردها، أو هي ريح بين الشمال والجنوب (م)

ألفاظ لأهل العصر ، في ضروب المآدح

قد وضعت كثرة التجارب ، في يدهِ مرآةِ المواقب . قد تجددت مصروف الدهور ،
وحسنته مصابر الأمور . قد أرضعته الحنكة بلبانها ، وأدبته الدربة في إبانها .
فلان نوازل التجارب حسنته ، وفوائد الأيام عرّكته . هو عارف بتصاريف
[الأيام ، أخذ برهان التجارب ، نافذ في مجال التحصيل والتميز . قد حسب الأيام ،
وتولى [النقض والإبرام . هو ابن الدهر حنكة وتجربيا ، وعوداً على الدهر صليبا .
قد أدبه الليل والتهار ، وذارت على رأسه الأدوار ، واختلفت به الأطوار . لهمة
حلا جناحها إلى عنان النجم . وامتد صياحها من شرق إلى غرب ، لا يتماثلها إشراف
الأمر إذا أخطره بفكره ، واتساف الصخر إذا ألقاه في وهمة ، هيمته أبعد من مناظر
الفرقد ، وأعلى من متكب الجوزاء . أوسع من الأرض ذات العرض . هو حى القلب ،
منشرح الصدر ، ذكى الذهن ، شجاع الطبع ، ليس بالنوم ولا السؤوم ، فذ فرّد ،
وأسدّ وزد ، وكان له في كل جراحة قلبا . كأن قلبه عين ، وكان حسنه سمع .
شهاب مقدّم ، وقذح مقوم . [وهو شهيم] مشدود النطاق ، قائم على ساق ، قد
جد واجتهد ، وحشر وحشد ، شمر عن ساق الجدا أطاق ، قد ركب الصب والدلول ،
ونجّش الخزن والسهول ، وقطع البر والبحر ، وأعمل السيف والرمح ، وأسرج
الدهم والشهب ^(١) . هو مولود في طالع الكمال ، وهو جلة الجلال . قد أصبح عين
المكارم ، وزين المحافل . هو فرّد دهره ، وشمس عصره ، وزين مضره ، وهو علم
الفضل ، وواسطة عقد الدهر ، وناديرة الفلك ، ونكتة الدنيا ، وغرة العصر . قد
بايعته يد اللجذ ، ومالت به الشورى إلى النصر . فلان يزيد عليهم زيادة الشمس
على البدر ، والبحر على القطر . هوراش نبلهم ، ونبمة فضلهم ، وجمعة وزدهم ،

(١) أسرج : وضع السرج ، والدم : جمع آدم ، والشهب : جمع أشهب ،
والدهمة والشبة من ألوان الخيل (م)

وواسطة عقدهم . هو صدّرتهم وبدرهم ، ومن عليه يدور أمرهم ، يُنيف عليهم
إنافة صفحة الشمس على كرة الأرض ، كأنهم فلك هو قطبه ، وجسده هو قلبه ،
ومملوك هو ربه . هو مشهور بسيادتهم ، وواسطة قِلاذتهم . موضعه من أهل الفضل
موضع الواسطة من المقد ، وليفة التّم من الشهر ، بل ليلة القدر إلى مطلع الفجر .
أفضل وأنتم ، وأسدى في الإحسان والأحم ، وأشرج في الإكرام والأجلم ، قسم من
إنعامه ما يسعُ أَمَا ، وتلقى السادة أَمَا^(١) ، أعطاه عنان الأهتمام ، حتى استولى على قصير
المرام . رُدّ عنه الدهرُ أحص الجناح^(٢) ، وملكه مقادة النجاح . أولاه من مبهود
البرّ وألوفه ، وقصّرت الأعداء عن ميثابه وألوفه . أولاه إسعافاً شمعاً ، وعطاء سحاً ،
ومننا صفواً وغفواً . أقاض عليه شهاب البرّ وسأيله ، وجمع له شعوب الجليل وقبائله ،
وهطلت عليه سحاب غنايته ، ورفرت حوله أجنة رعايته . قد فكّه بكرمه من
قيد السؤال ، وممرّة الاختلال . رآشه بعد ما حصّه الفقر ، وأرضاه وقد أسخطه
الدهر . ملأ الصيون ، وسهر دوننا لتحقيق الظنون . قد شمت من كرمه أكرم
سحاب ، وحصلت من إنعامه في أخصب جناب . قد سد ثلثة حالي ، وأدرّ خلوبة
آمالج . ما أخلو من طلّ إحسانه ووابله ، وغابر إنعامه وقابله . قد استعطرت منه
بنود هزير . وسريت في ضوء قمر منير . قد كرت من برّه في مشارع تفرز ولا
تنزّر ، ورقلت من طوّله في ملابس تطول ولا تقصر . إقامته في ظلّ ظليل ، وقضيل
جزيل ، وريح ليليل ، ونسيم عليل ، وماء رويّ ، ومهاد وطنيّ ، وكنز كنين ،
ومكّن مكن . أنا آوى إلى ظله كما يأوى الطير للذعور إلى الحرم ، وأواجه منه وجه
الجاهل بصورة الكرم . أنا من إنعامه بين خير مستفيض ، وجاء عريض ، ونعم يفيض .
قد استظهرت على جور الأيام بدّله ، واستقرت من دهرى بطلّه . ما أردّ فيه طرّ في

(١) أَمَا - بفتح الهمزة واليم - قريناً (م)

(٢) « أحص الجناح » كناية عن الضعف (م)

وأعده من خالص ملكي منتسب إلى عطائه، أو مكتسب بجميع آرائه . مسافة بصرى
تبعد إن سافرتُ في مواهبه، وركائب فكري تَطْلُعُ^(١) إن أنصيتُها في استقراء صنائعها .
نعمته : نعمة عمت الأمم ، وسبقت النعم ، وكشفت المموم ورفعت الهمم ، نعمه قد سطع
صباؤها مستنيراً ، وطلب شعاعها مستطيراً ، قد عرفتني نعمته حتى استنفدت شُكْرَ
لساني ويدي وأتمت ظهري ، وملأت صدري . نعمته عندى مشرقة الجوى ، مفرقة
النوء ، موقفة الضوء . تتابعت نعمته تتابع القطر على القفر ، وترادفت منته ترادف
الغنى إلى ذوى القفر . نعمه أشرقت بها أرضي ، ومُطَارَ بهار وضي ، وورى لها زندي ،
وعلا معها جدى ، وأتاني الزمان يعتذر من إساءته ، وجاءني الدهر ينتظر أمرى .
نعمته أنعمت البال ، وسرت النفس والحال . نعم تعم عموم المطر ، وتزيد عليه
بإفراد النفع عن الضرر . نعم تضعف الخواطر عن التماسها ، وتضعف القرائح عن
اقتراحها . له أيادٍ قد عمت الآفاق ، ووسمت الأعناق ، وأيادٍ قد حبست عليك الشكر ،
واستعبدت لك الحر . مَن تَوَالَتْ تَوَالَى القَطْرُ ، واتسعت سَمَةُ البرِّ واليَافِرِ ، وأثقلت
كاهل الحر . عندى فلاة منتظمة من منته حملتها وقفاً على محور الأيام ، وجلوتها
على أبحار الأنام . أيادٍ يقصر عن حقوقها جبه القول ، وتزهر فيها سواطع الإنعام
والطول . أياديه أطواق في أجياد الأحرار ، وأفلاك تدور على ذوى الأخطار . له مَن
تضعف عن تحملها عواقب الأطواد ، ويتضاعف حملها على السَّبع الشداد ، لو تحمل
الذئبان نَقْلَ هذا الامتنان لأثقل كواهلهم وأضعف عواقبهم . أيادٍ يفرض لها الشكر
ويحتم ، ومن يبتدأ بها الذكر ويحتم . أيادٍ تتقل الكاهل ، ومن تتعب الأمل .
مَن تَضَعُفُ مَنَ الشكر^(٢) ، وينشر معها قوى النشر ، من هي أحسن أثر آمن النيث
في أزاهير الربيع ، وأعلى موقفاً من الأمن عند الخائف المروع . إن أتمت نفسى في

(١) تطلع : تضي وتضف وتكل (م)

(٢) من الأولى جمع منة بمعنى العطية وهى بكسر الليم ، ومن الثانية جمع منة

بمعنى القوة وهى بضم الليم (م)

تعداد منته وحصرها فساطع في إحصاء السحاب وقطرها . أياذ لا تحمي أو تحمي
محاسن النجوم ، وسكن لا تحصر أو تحصر أقطار النجوم . أياذ كمد الرمل والنمل ،
أعيت على المد ، ولم تقف عند حد . زادت أياذيه حتى كادت تجهد الأعداد ،
وتسبق الإعداد . أياذيه عندى أغزر من قطر المطر ، وعوارفه لدى أسرع من رجع
البصر . رفعتني من قعر التراب ، إني تملك السحاب . استنبطه من الخفيض الأوهـد ،
إلى السناء الأجمد ، وقد نبهه عن خول ، وأجرى الماء في عوده بعد ذبول ، ورقاه
إلى ذروة من المجد بعد نزول . فضائل تزل أقدام النجوم لو وطئتها ، وتصرهم
الأفلاك لو طلبتها ، ثبت قدمه في المحل اللئيف ، ومكته من جوامع التشريف .
جذب بقبضه من للسقط المنحط ، إلى للرفع المشتط .

ولهم في أدعية من صدور الكتب تليق بهذه الأثنية والمادح

أطال الله له البقاء ، كطول يده بالسقاء ، ومد له العمر ، كامتداد ظله على الخمر ،
وأدام له الواهب ، كأفاض به الرقاب ، وحرس لديه الفضائل ، كاعتذبه الشامل ^(١) .
تولى الله عنى مكافأته ، وأعان على الخير نيته وقفه ، وأصبح بقاءه عزاً يبسط يديه
لأوليائه على أعدائه ، وكلاءة تذب عن ودائع منته عنده ^(٢) ، وزاد في نعمة وإن عظمت ،
وبلغه آماله وإن انفسحت ، ولا زال الفضل يأوى منه إلى ركني منيع وجناب
مرجع . لازالت الألسن عليه بالثناء ناطقة ، والقلوب على مودته متطابقة ، والشهادات
له بالفضل متناسقة . لازال يسطف على الصادر والوارد ، عطف الأم والوالد . أبقاه
الله للجميل يُبلى مماله ، ويحمي مكارمه ، ويعمر مدارجه ، ويشتر نتاجه . أدام
الله أيامه التي هي أيام الفضائل ومواقيتها ، وأزمان المآثر وتواريخها . أدامه الله

(١) الثمان : جمع ثمان ، وهي هنا الخصة والحقة والطبيعة ، وقال الشاعر

* وما لوى أخى من شايلا * (٢)

(٢) السكلاء : الرعاية والحفظ ، وتذب : تدفع (٣)

المواهب ، سامية الذوائب ، موفية على مُنية الراجي وبنية الطالب . أجاد الله
 للمعطاء بفضه بين خدمه ، والجلال يُفيضه على إنشاء نعمه ، والله يتابع له أيام الملاء
 والنعطة ، والثناء والبسطة ، ليرتفع أنواع الخدم في رياض فواضله ، ويصكرع
 أصناف الحشم في حياض مواهبه ، والله يبقيه طويل النراع ، مديد الباع ،
 ملياً بالاتصال ^(١) والاصطناع . جزاء الله عن نعمة هيأها بعد أن أسبغها ،
 وعارفة مَلأها ^(٢) بعد أن سوغها . أفضل ما جازى به مبتدئ إحسان ، ومجبر
 إنسان ، لا زال مكانه مَصاناً ^(٣) للكرم ، مَعاناً للنعم ، لا تريمه المواهب ،
 ولا حرومه النوايب ، بُسِطت بالملأ يده ، وقرن بالسعادة جده ، وجعل خير يومئيه
 غده ، ولا زالت الأيام والليالي مطايا ، في أمانيه وآماله [وأيامه] ، وصرف
 سروف الخير عن إصابة إقباله وكله .

وقال ابن المتوفى القاسم بن عبيد الله :

أما حاسداً يَكوى التلَهف قلبه إذا ما رآه غزياً وَسطَ عَشْكَرٍ
 تصفح بنى الدنيا فهل فيهم له نظير ترى ثم اجتهد ونفكر
 فإن حدثتكَ النفسُ أنك مثله بنجوى ضلال بين جنبيك مضمر
 فجد ، وأجد رأياً ، وأقدم على العدا وشدة عن الإسم المآزر وأضمر
 وعاصي شياطين الشباب وقارع النوايب وازفع صرعة الضر واجبر
 فإن لم تطلق ذا فاعذر الدهر واعترف لأحكامه واستغفر الله يفسر

[منزلة صناعة الكلام]

قال الجاحظ : صناعة الكلام علق نفيس ، وجوهه ثمين ، هو الكنز
 الذي لا يُفنى ولا يُبلى ، والصاحب الذي لا يُملأ ولا يُقل ، وهو العيار على كل

(١) في نسخة « ملياً بالإفضال » .

(٢) في نسخة « وعارفة حلاها » .

(٣) مَصاناً : موضعا للصون ، ومَعاناً : موضعا للعون ، ولا تريمه : لا تبرحه .

(٢ - زمر الآداب : ٤)

صناعة ، والزمام لـسكل عبارة ، والتسلسل الذى به يستبين نـقص كل شـئ .
ورُجـحانه ، والراووق الذى يُعرَفُ به صفاه كل شـئ . وكـدره ، والذى كل عـلم
عليه عـيال ، وهو لـسكل تحصيل آله ومثال .

وقال ابن الروى :

ما عُدُّرُ معتزلى مُوسرٍ منعتُ كَفَاهُ مُستزليا مِشَنَّهُ صَفَدًا^(١)
أَرَعُمُ التَّدَرُ المحتومُ ثَبَطَهُ إِنْ قَالَ ذَاكَ فَقَدْ حَلَّ الَّذِي عَقَدَا

وقال [ابن الروى] :

لدى الجدل إذا غَدَا الجدلهم خَجَجَ نَضْلٌ عن الهدى وَتَجَوَّرُ
وَمِنْ كَأَنِيَةِ الزَّجَاجِ تَصَادَمَتْ فَهَوَتْ ، وَكُلُّ كَاسِرٍ مَكْسُورُ
فَالْقَاتِلُ لِقَتُولِ نَمَّ لَصَفِيهِ وَلَوْ هِيهِ ، وَالْأَسْرُ لِلْأَسُورُ

وقال أبو العباس الناشئ . يفتخرُ بالكلام :

ومِنْ أَنَا يُعْرِفُ النَّاسُ فَضَلْنَا بِالسُّنَا زَيْنَتْ صُدُورُ الْحَافِلِ
تَنْبِيرُ وَجْوهُ الْحَقِّ عِنْدَ جَوَابِنَا إِذَا أَظْلَمَتْ يَوْمًا وَجُوهُ السَّائِلِ
صَمْتَنَا فَلَمْ تَقْرُكْ مَقَالًا لَصَامَتْ وَقُلْنَا فَلَمْ تَرْكْ مَقَالًا لِقَاتِلِ

وقال يصفُ أصحابه :

فلو شَهِدْتُ مَقَامِي وَأَنْذَيْتِي يَوْمَ الْخِصَامِ وَمَاءُ اللَّوْتِ يَطْرُدُ
فِي فِتْيَةٍ لَمْ يَلَقِ النَّاسُ مَذًى وَجِدُوا لَهُمْ شَيْئًا وَلَا يُلْفَوْنَ إِنْ قَدَّوْا^(٢)
مَجَاوِرِ الْفَضْلِ أَفْلَاكُ الْمَلَا سَبِيلَ التَّقْوَى عِلَّ الْهَدَى عُذُّ النَّعَى الْوُطْدُ
كَأَنَّهُمْ فِي صُدُورِ النَّاسِ أَثَدَةٌ نَحْسُ مَا أَخْطَأُوا فِيهَا وَمَا عَمَدُوا
يُبْنُونَ لِلنَّاسِ مَا تَخْفَى ضَائِرُهُمْ كَأَنَّهُمْ وَجَدُوا مِنْهَا الْقَى وَجَدُوا
دَلُّوا عَلَى بَاطِنِ الدُّنْيَا بَظَاهِرِهَا وَعِلْمُ مَا غَابَ عَنْهُمْ بِالَّذِي شَهِدُوا
مَطَالِعُ الْحَقِّ مَا مِنْ شُبْهَةٍ غَيَّبَتْ إِلَّا وَمِنْهُمْ لَدَيْنَا كَوْكَبٌ يَقْدُ^(٣)

(١) الصـفـد - بالتحريك - المطاء .

(٢) يلفون : يوجعون .

(٣) عـقـت : أظـلـت .

وقال سعيد بن حميد :

قالت : اكنتم هوائى واكنى عن اسمى بالعزير اللثمين الجبار
قلت : لا أستطيع ذلك ، قالت : صيرت بدى تقول بالإجبار
ومخلت عن مقالة بشر بن غياث لذهب النجار
وقال أبو القاسم بن عباد الصاحب :

كنت دهرأ أقول بالإستطاعة وأرى الجبر ضلة وشاعة
فقدت استطاعى فى هوى ظهني ؛ فسمعا للنجارين وطاعة
وقال أيضا :

ولما تناءت بالحبيب دياره وصرنا جميعا من عيان إلى وهم^(١)
تمكن منى الشوق غير محاليس كمنزلى قد تمكن من ختم

[بعض ما قيل فى النسيب]

وأشد محمد بن سلام بعض هذه الأبيات التى أنشدها ، وزعم أنها لأبي كبير
الهلذلى ، وزويت ليزيد بن الطثرية وغيره ، والرواة يَدْخُلُون بعض الشعر فى
بعض ، وهى :

عُقَيْلِيَّة ، أَمَا مَلَأَتْ إِزَارَهَا فَوْعَتْ ، وَأَمَا خَصَرُهَا فَبَيْتِل^(٢)
تَقْبِظُ أَكْذَابَ الْحَيِّ ، وَيُظِلُّهَا بَنُحْنَانٌ مِنْ وَادِى الْأَرَاكِ مَتِيلُ
فِيَا خُلَّةَ النَّفْسِ الَّتِي لَيْسَ دُونَهَا لَنَا مِنْ أَخْلَاءِ الصَّفَاءِ خَلِيلُ
وَيْ مِنْ كَرَمَتِنَا حَبِّهِ ، لَمْ يَطْعَمْ لَهُ عَدُوٌّ ، وَلَمْ يُؤْمِنْ عَلَيْهِ دَخِيلُ
أَمَا مِنْ مَقَامٍ أَشْتَكِي غُرْبَةَ النَّوَى وَخَوْفَ الْيَدَا فِيهِ إِلَيْكَ سَبِيلُ
أَلَيْسَ قَلِيلًا نَظْرَةً إِنْ نَظَرْتُهَا إِلَيْكَ ؟ وَكَلَا لَيْسَ مِنْكَ قَلِيلُ

(١) عيان - بكر العين - معاينة ومشاهدة .

(٢) عقيلية : منسوبة إلى عقيل ، وملأت إزارها : للوضع الذى يدار عليه
الإزار ، وبئيل : دقيق هضم كأنه منقطع عما تحته وما فوقه ، وفى نسخة « فدى عس »

وإن عناه النفس - مدامت هكذا
أراجسة قلبي على فرائح
فلا تحملي وزري وأنت ضيفة
فياجنة الدنيا ، وما مُنتهى للمنى
فديتك ، أعدائ كثير ، وشقي
وكت إذ ما جئت جئت بعلّة
فاكل يوم لي بأرضك حاجة
وأشد ابن سلام لأى كبير الهنلى :

وإنى لمستقي لها الله كلما
سحاب لا من صبيذى ضوايق
ولا غلفات حين هيجن بنسمة
إذا ما هبطن القاع قد مات نبتة
لوى الدين مُقتل وشع غريم
سحاب لا من صبيذى ضوايق
والين هوجاء للهب عقيم
إذا ما هبطن القاع قد مات نبتة
بكتين به حق يعيش هشيم

[عمران بن حطان والحجاج]

ولما ظفر الحجاج بعمران بن حطان الشارى^(١) قال : اضربوا عُنق ابن الفاجرة ،
قال عمران : لبسنا أدبك أهلك يا حجاج ! كيف أمنت أن أجيبك بمنلى ما لقينى
به ؟ أجد الموت منزله أصانمك عليها ؟ فأطرق الحجاج استحياء ، وقال : خلوا
عنه ؛ فخرج إلى أصحابه ، فقالوا : والله ما أطلقك إلا الله ، فارجع إلى حرب
معنا ، فقال : هيهات ! غلّ يداً مُطليقها ، واسترق رقبة مُمتقها ! وأشد :
أأقاتل الحجاج عن سلطانِه . يبدئُ تفرّ بأنها مولاته ؟
إنى إذا لأخو الدائمة ، والذى عفت على عرفائه جهلاته

(١) الشارى : واحد الشرارة ، وهم الخوارج ، زعموا أنهم شروا أنفسهم
وأموالهم من الله - أى باعوها - بأن لهم الجنة .

ماذا أقولُ إذا وقتتُ مُوازياً في الصفِّ واحتجبتُ له فَلَائِه؟
 وتحدثتُ ألا أكفاه أن صَنَّاها غُرِسَتْ لَدَيَّ سَخَفُظَلَّتْ نَحْلَاتِه
 أقولُ جارٍ على؟ إني فيكم لأحقُّ مَنْ جَارَتْ عليه وَلَاتِه
 تالله ما كُدتُ الأميرُ بآلِه وجوارحِي وسِلاحِها آلَاتِه

أخذ أبو تمام هذا فقال معتذراً إلى أبي النيث موسى بن إبراهيم الرافعي :
 أأليسُ هُجَرَ القولِ مَنْ لَوْهَجَوْتُهُ إذا لَهَجَانِي عنه معروفُهُ عِنْدِي
 كريمٌ متى ائْتَدَحَهُ أمدحه والورى مَعِي ، وإذا ملكته لَمَتُهُ وَحَدِي
 وعران بن حطان هو القاتل :

لم يسجز الموتُ شَيْءاً دون خالقِه والموتُ فَإِنْ إذا ما غَالَه الأَجَلُ
 وكلُّ كَرَبٍ أمامَ الموتِ مُنْقَطِعٌ بالموتِ ، والموتُ فَيَا بَدُهُ جَلَلٌ^(١)
 وكان الفرزدقُ عمل بيتاً ، وحلف بالطلاق أن جَريراً لا يَنْقُضُهُ ، وهو :
 فإني أنا الموتُ الذي هو نازلٌ بنفسك فانظُرْ كيف أنتُ مُحَاوِلُه
 فانصل ذلك بجرير ، قال : أنا أبو حَزْرَةَ ، طَلقتُ امرأةَ الخليلِ ،

وقال :

أنا الدهرُ يُفْنِي الموتَ والدهرُ خَالِدٌ فَنُفْسِي بِمِثْلِ الدهرِ شَيْئاً يُطَاوِلُه

ولمّا أشار جرير إلى قول عرّان .

وهو عرّان بن حِطَّان بن ظليان بن سهل بن معاوية بن الحارث بن سدوس
 ابن سنان بن ذهل بن ثعلبة ، ويكنى أبا شهاب ، وكان من الشُّرَافَةِ ، وكان من
 أغضب الناس وأقبحهم ، وكان إذا خطب ثارت الخوارج إلى سلاحها ،
 وكان من أقبح الناس وجهاً ، قالت له امرأته وكانت في الجبال مثله في القبح :
 إني لأرجو أن أكون وإياك في الجنة ؛ لأن الله رزقك مثلي فشكرت ، وابتلاني
 بمثلك فصبرت !

(١) جلال ، هنا : مضاه يسير هين .

[بين أعرابي وبعض الولاة]

ودخل أعرابي على بعض الولاة فقال : أَصْلَحَ اللهُ الأمير ، اجلسنى زماماً من أَرْمَتَكَ ، فإني مِسْتَرِ حَرْبٍ^(١) ، وَرَكَّابُ نَجْبٍ ، شديدٌ على الأعداء ، لَيْثٌ على الأصدقاء ، منطوى الحصيصة ، قليلُ الثَّيْبَةِ^(٢) ، [قليل] غرار النوم ، قد غَذَّتْني الحروبُ أَفْأَوْيقَهَا ، وَحَلَبْتُ الدهرَ أَشْطَرُهُ ، فلا يَمْتَنِعُ مني الدَّمَامَةُ ، فَإِنْ نَحَمَهَا لَشَهَامَةٍ .

[الدنيا ، وأهلها]

قال المسيح عليه السلام : الدُّنْيَا لِإِبْلِيسَ مَرْزَعَةٌ ، وَأَهْلُهَا لَهُ حُرُاثٌ .
وقال إبليس لعنه الله : المعجبُ لبني آدمَ يَحْبُونُ اللهَ وَيَعْصُونَهُ ، وَيُغْفَضُونِي وَيُطِيعُونِي .

[أربع كلمات طيبات]

خرج الزهري يوماً من عند هشام بن عبد الملك فقال : مارأيتُ كالْيَوْمِ ، ولا سمعتُ كأربع كلمات تكلمَ بهن رجلٌ عند هشام ؛ دخل عليه فقال : يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ احفظ عني أربع كلمات ، فيهن صلاحٌ مُلْكِكَ ، واستقامةُ رِعْيَتِكَ . قال : هاتهن ؟ قال : لا تَعِدَنَّ عِدَّةً لا تَتَّقِي مِنْ نَفْسِكَ بِإِيجَازِهَا ، ولا يَفْرَنْكَ لِلرَّتَقِ ، وإن كان سهلاً إذا كان المُنْحَنَرُ وَغَرًّا ، واعلم أن للأعمال جزءاً فاتقِ الواقبَ ، وأن للأُمُورِ بَقَتَاتٍ فَكُنْ عَلَى حَذَرٍ .

قال عيسى بن دآب : لَخَدَّيْتُ بهذا الحديث الهادي وفي يده لُقْمَةٌ قد رَضِيَها إلى فيه فأمسكها ، وقال : ويحك أعِذْ عني ! قلت : يا أمير المؤمنين ، أَيْسَغُ قَسَمَتِكَ ، قال : حديثك أحبُّ إليَّ .

(١) مسمر حرب : موقدها ومُشْعِطُهَا .

(٢) الثَّيْبَةُ : ما يبق في البطن من الطعام والشراب .

[بين معاوية وعمر بن سعيد]

ولما عقد معاوية البيعة ليزيد قام الناس يخطبون ؛ فقال لعمر بن سعيد :
 قُمْ يَا أُمِيَّةُ ، قَامَ مُحَمَّدٌ اللَّهُ وَأَتَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : أَنَا بَدَلُ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ
 أَجَلَ تَوْمُونِهِ ، وَأَمَلُ تَوْمُونِهِ ، إِنْ اسْتَضَفْتُمْ إِلَى حِلْمِهِ وَسَيْكَمِ^(١) ، وَإِنْ
 احْتَجَجْتُمْ إِلَى رَأْيِهِ أُرْسِدْكُمْ ، وَإِنْ افْتَقَرْتُمْ إِلَى ذَاتِ يَدِهِ أَعْنَاكُمْ ، جَدَعَ
 قَارِحَ^(٢) ، سُوْبِقَ فَسَبَقَ ، وَمُوْجِدَ فَبَجَدَ ، وَقُورِعَ قَقَرَعَ ، وَهُوَ خَلْفُ
 أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَا خَلْفَ عَنْهُ ، قَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ : اجْلِسْ ، فَقَدْ أَبْلَغْتَ .

وعمر بن سعيد هذا هو الْأَشْدُقُ ؟ [وإنما سُمي الْأَشْدُقُ] لتشادقه في
 الكلام ، وقيل : بل كان أَقْوَمَ مَائِلَ الشَّدْقِ ، وهذا قول عوانة بن الحكم
 الكلبي ، وهو خِلَافُ قول الشاعر :

تَشَادَقَ حَتَّى مَالَ فِي الْقَوْلِ شَدْقُهُ وَكُلُّ خَطِيبٍ لَا إِلَّا لَكَ أَشْدَقُ

وكان أبوه سعيد بن العاص أحد خطباء بني أمية وبلغاهم .

ولما مات سعيد دخل عمرو على معاوية فاستنطقه فقال : إِنْ أَوَّلَ كُلِّ
 مَرْكَبٍ صَعَبٌ ، وَإِنْ مَعَ الْيَوْمِ غَدَا ، قَالَ مُعَاوِيَةُ : وَفِي هَذِهِ الْعَلَّةِ إِلَى
 مَنْ أَوْصَى بِكَ أَبِيكَ ؟ قَالَ : أَوْصَى إِلَى وَلَمْ يُوصِرْ بِي ، قَالَ مُعَاوِيَةُ : إِنْ ابْنُ
 سَعِيدٍ هَذَا لَأَشْدَقُ !

[من تواضع الرشيد]

قال ابن السكك للرشيد : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، تَوَاضَعْتُ فِي شَرَفِكَ أَفْضَلَ مِنْ
 شَرَفِكَ ؛ إِنْ رَجَلَا آتَاهُ اللَّهُ مَالاً وَجَمَالاً وَحَسَبًا ، فَوَاسَى فِي مَالِهِ ، وَعَفَى فِي
 جَمَالِهِ ، وَتَوَاضَعَ فِي شَرَفِهِ ، كَتَبَ فِي دِيْوَانِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

(١) إِنْ اسْتَضَفْتُمْ : إِنْ لَمْ تُمْ ، وَفِي نَسْخَةِ « إِنْ اسْتَطَلَعْتُمْ إِلَى حُكْمِهِ » .

(٢) الْجَدْعُ : الشَّابُّ الْحَدِثُ ، وَالْقَارِحُ : الشَّدِيدُ الْمَجْرَبُ ، يُرِيدُ أَنَا جَامِعُ
 لَهُذَيْنِ الْوَصْفَيْنِ .

[اللقي في حى أحابته بمصر]

نالت أبا الطيب اللقي علة بمصر ، فكان بعض إخوانه من المصريين
يكثر الإسلام^(١) به ، فلما أبل قطعه ، فكتب إليه : وصلني أعزك الله
مُتَلًا ، وقطعتي مُبَلًا ، فإن رأيت ألا تسكدر الصحة على ، وتحبب العلة
إلي ، فمَلت .

وفي هذه العلة يقول :

أَقْتُ بَارِضٍ مِصْرِيٍّ ؛ فَلَا وَرَائِي	تَحَبُّ بِي الرِّكَب ، وَلَا أُمَامِي
عَلِيلُ الْجَنْسِ مُنْقَضُ الْقِيَامِ	شَدِيدُ الشُّكْرِ مِنْ غَيْرِ الدَّامِ
وَزَائِرَتِي كَأَنَّ بِهَا حَيَاءَ	فَلَيْسَ تَزُورُ إِلَّا فِي الظَّلَامِ
بَدَلْتُ لَهَا لِلطَّارِفِ وَالْحَشَايَا	ضَافَتَهَا ، وَهَاتَتْ فِي عِظَامِي
يَضِيقُ الْجِلْدُ عَنْ تَضَيُّ وَهْنِهَا	فَتَوَسَّيْتُهُ بِأَنْوَاعِ السَّقَامِ
إِذَا مَا فَارَقْتَنِي غَتَلْتَنِي	كَأَنَّا عَارِكَفَانِ عَلَى حَرَامِ
كَأَنَّ الصَّبِيحَ يُطْرِدُهَا فَتَجْرِي	مَدَامِيهَا بِأَرْبَعَةِ سِجَامِ
أُرَاقِبُ وَقْتَهَا مِنْ غَيْرِ شَوْقٍ	مُرَاقِبَةً الشَّوْقِ الْمُسْتَهَامِ
وَيَضْدُقُ وَعَدَهَا وَالصَّدْقُ شَرٌّ	إِذَا أَقَالَكَ فِي الْكَرْبِ الْعِظَامِ

الفاظ لأهل مصر في السيادة وما جانسها من ذكر التشكى والمرض

وتألفه ، وسوء أثره ، والانزعاج لموارضه

عرض لي مرض أساء بالنجاة ظني ، وكاد يصرف وجه الإفاقة عني .
هو شوري بين أسراض أربعة : صداع لا يخف ، وحُمى لا تُنْبِئُهُ^(٢) ، وزُكَام
لا ينجف ، وسعال لا يَكُفُّ . علة هوى أثرها مُمْتَل ، وَجَدِيدُهَا مُسْكَبِل .

(١) الإسلام به : الزيارة له وعبادته ، وأبل : يرى من مرضه .

(٢) الإغياب : أن تزور يوما وتترك الزيارة يوما .

أَمْرَاضُ تَلَوْتُ عَلَى ، وَأَسَامَتْ بِي وَإِلَى ، فَأَنَا أَشْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى إِذْ جَمَلَهَا
عِظَةً وَتَذَكِيرًا ، وَلَمْ يُبْقِ مِنْهَا الْآنَ إِلَّا سِيرًا ، أَحْسِبُ أَنَّ الْأَمْرَاضَ قَدْ أَقْسَمَتْ
عَلَى أَنْ تَجْمَلَ أَعْضَائِي مَرَاتِمَهَا ، [وَأَلَّتْ عَلَى أَنْ تُصَيِّرَ جَوَارِحِي مَرَايِمَهَا] .
عِلَلٌ لَا يَصْبِرُ مِنْهَا [آتٍ إِلَّا تَسْكَدِيرُ وَرْدٍ] وَلَا يَعْزِلُ مِنْهَا وَالْإِبُولُ عَهْدُ .
قَدْ كَرَّتْ تِلْكَ الْعِلَّةُ فَمَادَتْ عِلَلًا ، [وَسَقَتْنِي بَعْدَ تَهْسَلٍ عِلَلًا ^(١)] . عَلِلَ رَسْمُهُ
بَرَى لِلْأَخْلَةِ ، وَهَضَمَتْ نَقَصَ الْأَهْلَةَ ، وَتَرَكْتُهُ نَعْرَضًا ، وَأَوْسَعْتُهُ مَرَمًا ،
وَعَادَرْتُهُ وَانْغِلَالُ أَكْثَفُ مِنْهُ جُمَّةٌ ، وَالطِّيفُ أَوْفَرُ مِنْهُ قُوَّةٌ . عَرَضَ لَهُ مِنَ
الْمَرَضِ مَا حَارَ مَعَهُ الْقِنَوطُ يُفَادِيهِ وَيُرَاحِيهِ ، وَالْيَأْسُ يُخَاطِبُهُ وَيُصَافِحُهُ .
قَدْ وَرَدَ مِنْ سِوَةِ الْفَنِّ أَوْ خَمَ لِلنَّاهِلِ ، وَبَاتَ مِنْ حَسَنِ الرَّجَاءِ عَلَى مَرَاحِلِ .
طَالَمْتُ الْكَرَمَ يَتَرَجِّعُ نَجْمُهُ بَيْنَ الْإِضَاءَةِ وَالْأَفْوَلِ ، وَتَمَثَّلُ شَمْسُهُ بَيْنَ الْإِشْرَاقِ
وَالْفُرُوبِ . أَصْبَحَ فُلَانٌ لَا يُقِلُّ رَأْسَهُ ^(٢) ، وَلَا يَحْجُورُ ظِلَّهُ ، وَيَدُ اللَّيْلِ تَقْرَعُ بَابَهُ .
مَا هُوَ لَعَلَّةٌ إِلَّا عَرَضٌ ، وَلِسَهَامِ اللَّيْلِ إِلَّا غَرَضٌ . شَاهَدْتُ نَعْسِي وَهِيَ تَخْرُجُ ،
وَقَبِيتُ رُوحِي وَهِيَ تَفْرُجُ ، وَعَرَفْتُ كَيْفَ تَكُونُ السَّكْرَةُ ، وَكَيْفَ تَقَعُ
الْقَمَرَةُ ، وَكَيْفَ طَقُمَ الْبَعْدُ وَالْفَرَاقُ ، وَكَيْفَ تَلْتَفَّ السَّاقُ السَّاقُ . مَرَضَ لِحَقْتِي
رَوْعَتُهُ ، وَمَلِكْتِي لَوْعَتُهُ . وَجِدْتُ فِي نَفْسِي الْمَا أَوْحَشُهُ أَنَّهُ وَأَنَّهُ أَوْحَشُهُ .
بَلَنْفَى مِنْ شِكَايَتِهِ مَا أَوْحَشَ جَنَابَ الْأَنْسِ ، وَأَرَانِي الظُّلْمَةَ فِي مَقْلَعِ الشَّمْسِ .
قَدْ بَلَنْفَى مَا عَرَضَ لَكَ مِنَ الْمَرَضِ ، وَالْمَ بَكَ مِنَ الْأَلَمِ ؛ فَتَحَامَلْ عَلَى سُودَاءِ
صَدْرِي ، وَأَفْذَى سُودَاءِ طَرْفِي ، وَغَدَ اسْتَفْدِ الْقَلْبَ لِمَلَّتْكَ مَا أَعَدَّهُ الصَّبْرُ مِنْ
ذُخِيرَةٍ ، وَأَضْعَفْ مَا قَوَاهُ الْعَزَمُ مِنْ بَصِيرَةٍ . قَلْبِي يَتَقَلَّبُ عَلَى حَدِّ السَّيْفِ إِلَى
أَنْ أَعْرِفَ انْكَشَافَ الْمَارِضِ وَزِيَالَهُ ، وَأَتَحَقَّقَ احْمَارَهُ وَانْتِقَالَهُ . أُنْعَى إِلَى مَنْ انْخَبِرَ
الْمَارِضُ ، حَسَمَ اللَّهُ مَادَّتَهُ ، وَقَصَّرَ مُدَّتَهُ ، مَا أَرَانِي الْآفَقُ مُظْلَمًا ، وَالْعَيْشُ مُبْهِمًا .

(١) التهل : الشرب الأول ، والعلل : الشرب ثانيا ، وكلاهما بالتحريك .

(٢) لا يقبل رأسه : لا يرفعه ، أو لا يحمله .

فقر وتهوين العلة بحسن الرجاء ، وذكر المشاركة والاهتمام بحلّوها

والاستبشار بزوالها

إن الذي بلغني من ضَعْفِهِ قد أضعفَ للثَّمةَ ، وإن لم يُضَمَفِ الظنُّ باللهِ والثَّقةَ . قد استشفَّ العافية من ثوبٍ رقيقٍ . ما أكثرَ ما رأينا هذه العللَ حَلَّتْ ثم تَجَلَّتْ وتوالَتْ ثم تَوَلَّتْ . خبِّرني فلانَ بملكِكَ فأشركني فيها ألما وقلِّقا ، فلا أَعْلَى اللهُ لكَ جِسا ولا حالا ، فليستَ نِكايةَ الشغلِ في قلبي بأقلِّ من نِكايةِ الشكايةِ في جِسمِكَ ، ولا استيلاءَ القلْبِ على غُصْني بأيسرَ من أعراضِ التَّقمُّ لبدنِكَ ، ومن ذا الذي يَصْغُ جِسمه إذا تألَّتْ إحدى يديه ، ومن يحملُ محلَّها في القربِ إليه ؟ أنا منزَّعٌ لشكائِكَ ، مَبْتَهجٌ بِمَآفَاتِكَ ، إن كانتَ علَّتْكَ قد قَرَّسَتْ وجِرحَتْ ، فإنَّ صَحتَكَ قد آسَتْ وآنَسَتْ^(١) . بلغني شكائَكَ فأزَّيْتُ ، ثم عرفتُ خِفَتَهَا فأزَّيْتُ . الحمد لله على قُرْبِ المدةِ بينَ اللَّحْظَةِ والمِنْحَةِ ، والنِّقْمَةِ والنِّعْمَةِ ، وعلى أَنَا لم تهالكِ بأبدىِ الخفاةِ حتى تدارِكَ بِحُسْنِ الرَّافَةِ ، ولم نَسْلَمْ لخطَّةِ الحذرِ حتى سَلِمَ من وَرَظَةِ القدرِ .

ولهم في شكاة أهل الفضل والسؤود

شكائُهُ التي تتألَّمُ منها الروءَةُ والفضلُ . ويسقمُ منها الكرمُ للخصُ . شكائُهُ التي غَصَّتْ بها حلوقُ اللَّجْدِ ، وحرَّجَتْ لها صدورُ أهلِ الأدبِ والعلمِ^(٢) ، وبدا الشَّحوبُ معها على وَجْهِ الحُرِّيَةِ ، وحرَمَ معها اليشْرُ على غُرَّةِ الروءَةِ . قد احتلَّ بعلتهِ الكَرَمُ ، وشكا بِشكائِهِ السيفُ والقلمُ . شكاة عرضتْ منه لشخصٍ الكرمِ النفسُ ، والشرفُ اللَّحْضُ . لوقِبتْ مَهجتي فديةً ، دونَ وَعْكِ تَجْدِها ،

(١) آسَتْ : عالجَتْ ودأوتْ وطبَتْ ، وآنَسَتْ : جلبتْ الأنسَ .

(٢) حرَّجَتْ لها الصدورُ : ضاقتْ .

جُلِدْتُ بِهَا ، وساعة أنْسَ تنقذها ليدلتها ، علماً بأنْ أُنْفِي الكرم لاغير ، والفضل ولا صَير .

ولهم في تنشيم الإقبال ، وذكر الإبلال

قد شِمتْ بِارِقَةِ العافية ، وشِمتْ رَأْمَةَ الصَّحَةِ . أَقبلُ صُنْعُ الله من حيث لم أجتسب ، وجاءني لُطْفُهُ من حيث لا أرتقب ، وتدرجتُ إلى الإبلال وقد حسبتُ خُلماً ، ورضيتُ به دون الاستقلال غُماً ، وقد تَخَلَّصْتُ إلى شَطِّ العافية لما تداركني الله تعالى بلطفه من لطائفه ، وجعل هبة الروح عارِقةً من عوارفه ، وتسمتُ زَوْجَ الحياة ، بعد أن أَشْفَيْتُ على الوفاة^(١) ، وَفَيْتُ وجهي إلى الدنيا بعد مواجهتي للدار الأخرى . قد صَافَحَ الإقبال والإبلال ، وقارب النهوض والاستقلال . سَيَّرِكَ اللهُ من العافية التي أذاقك وَيُسَيِّغُ ثوبها ، ولا يبعد عليك مكروهاً . قد استقلَّ استقلالَ السيف حُودُثَ عَهْدِهِ وأعيدَ فِرْنْدُهُ^(٢) ، والقمر انكشف سِرَّارُهُ ، وذاعت أسرارُهُ^(٣) . حين استقلتُ يدي بالقلم ، بَشَّرْتُكَ بالبحار الألم . قد أُنَاكَ اللهُ بالسلامة الفائضة ، وعافاك من الشكاة المارضة . أَجَلُ فَاَنْشَرَحْتَ الصدور ، وشمل السرور . الحمد لله الذي حرس حِسْمَكَ وعافه ، وبخاعه أَثَرَ السقم وعَفَّاه . الحمد لله الذي جعل العافية عَفِيَّ ما تشكيت ، والسلامة عِرْضاً عما عَاتَيْتُ . الحمد لله الذي أعفأك من مُمَانَةِ الألم . وعافاك للفضل والكرم ، ونظفني معك في سِلْكِ النعمة ؛ وضَمَّنِي إليك في مُنبِيج الصَّعَةِ . الحمد لله الذي جعل السلامة ثَوْبَكَ الذي لا تنضوه^(٤) ، وسيفك فيما تأمله وترْجُوهُ . الله يَجْمَلُ السلامة أطول بُرْدِيكَ ، وأشدَّهما سُبُوغاً عليك ، ويدفع

(١) أَشْفَى على الشيء : قارب به ودنا منه .

(٢) حودث عهده : أراد جدد مقالَه ، وفرند السيف : جوهره .

(٣) السرار - بزة الكتاب - اللبّة التي تخفى فيها القمر .

(٤) لا تنضوه : لا تخلعه .

في صدور الكاره دون ريبك ، وفي محور المحاذير قبل الانتهاء إلى غلك . لازالت
العافية شِمارَكَ ، ما واصل ليلَكَ نهارَكَ .

فقر في أذعية العيادة ، والاستشفاء بكتبها

أغناك الله من الطب والأطباء ، بالسلامة والشفاء ، وجعله عليك تمحيصاً^(١)
لاتنصيصاً ، وتذكيراً لا نكيراً ، وأدباً لا غضباً . الله يدرك لك صَوْبَ العافية ،
ويُضفي عليك ثوبَ الكفاية الوافية . أوصل الله تعالى إليك من بَرَدِ الشفاء
ما يكفيك حرَّ الأواء . كتابك قد أذى رَوْحَ السلامة في أعضائي ، وأوصل
بَرَدَ العافية إلى أحشائي . تركني كتابك والنعم تئب إلى صحتي ، وانخطوب
تتجاني عن مُهْجتي ، بعد أمراضٍ اكتنفت ، وأسقامٍ اختلفت . قد استبق كتابك
والعافية إلى جسي كأنهما قرساً رهان تباريا ، ورسيلاً مضمار تجاريا . أبدلني
كتابك من حُزُونِ الشكاية سُهُولَ المفاة ، ومن شدة التألم ، رخاء التمتع .

قطعة من كلام الأطباء والفلاسفة

الماقل يترك ما يحبُّ ليستغنى عن العلاج بما يكره .

جالينوس : المرض هَرَمَ عارض ، والمَرَمَ مرضٌ طبعي .

وله : بحالة التقييل حُمى الروح .

بختيشوع : أكل القليل مما يضُرُّ أصلح من أكل الكثير مما ينفع .

يوحنا بن ماسويه : عليك من الطعام بما حدَّث ، ومن الشراب بما قدَّم .

وقال له المأمون : ما أحسن ما يُنْقَلُ به على التبيذ ؟ قال : قول أبي نواس ،

يريد قوله :

الحمد لله ليس لي مَسَلٌ خرى شرابي وَثَقَلِي القَبْلُ

نابت بن قرة : ليس شيء أضر بالشيخ من أن تكون له جارية حسناء ،
 وعلبان حاذق ؛ لأنه يُكْذِرُ من الطعام فيستقم ، ومن الجماع فيهرم .
 غيره : ليس لثلاث حيلة : فقرٌ يخالطه كسل ، وخصومة يخامرها حسد ،
 ومرض يمازجه هرم .

ثلاثة يجب مداراتهم : السلطان ، والمريض ، والمرأة .
 ثلاثة يُعَذَّرُونَ على سوء الخلق : المريض ، والمسافر ، والصائم .

فقر في ذكر المرض والصحة والموت والحياة لغير واحد
 شيثان لا يُعرفان إلا بعد ذهابهما : الصحة والشباب . بمرارة السقم توجد
 حلوة الصحة . هذا كقول أبي تمام :
 إساءة دهرٍ أذكرت حسنَ قفله إلى ، ولولا البُشرى لم يُعرف الشهد^(١)
 وقوله أيضا :

والحادثات وإن أصابك بُؤسها فهو القى أدراك كيف نعيمها
 ما سلامة بدن معرض للآفات ، وبقاء عمر معرض للساعات ؟
 قال أبو النجم :

إن القى يصبح للسلام كالقرض للنصوب للثبام
 أخطأ رام وأصاب رام

وقيل لبعض الأطباء وقد نهكته العلة : ألا تتماجد ؟ فقال : إذا كان [الداء
 من] السماء بطل النواء ، وإذا قدر الرب بطل حدُّ الربوب ، ونعم النواء
 الأمل ، وبئس الداء الأجل .

بزرجمهر : إن كان شيء فوق الحياة فالصحة ، وإن كان شيء فوق
 الموت فالمرض ، وإن كان شيء مثل الحياة فالقئ ، وإن كان شيء مثل
 الموت فالقفر .

(١) الثرى - بالفتح - الخنظل ، والشهد : العمل .

غيره: خيرٌ من الحياة ما لا تطيبُ الحياةُ إلا به، وشرٌّ من الموت ما يتعنى الموت له .
قال المتنبي في مرثية أم سيف الدولة :

أطْلَبَ النَّفْسَ أَنْكِ مَتَّ مَوْتًا تَمَنَّتَهُ الْبَوَاقِي وَانْثَلَوْا إِلَى
وَذَلَّتْ وَلَمْ تَرَى يَوْمًا كَرِيهَا نُسِرَ النَّفْسُ فِيهِ بِالْأَوَالِ
رَوَاقُ الْعِزِّ فَوْقَكَ مُسْتَبْطَرٌ وَمُلْكٌ عَلَى ابْنِكَ فِي كَالِ
لِلْمَوْتِ بَابُ الْآخِرَةِ

الحسن : ما رأيتُ يقيناً لاشكَّ فيه أشبه بشكٍّ لا يقين فيه . من الموت
ابن المعتز : الموت ستمُ مرُسلٌ إليك ، وعركَ بقدر سفره نحوك
أخذه بعض أهل مصر فقال :

لَا تَأْمَنُ الدَّهْرَ انْظُرُوا ن وَخَفَ بَوَادِرَ آفَتِهِ
فَالْمَوْتُ سَمٌّ مُرْسَلٌ وَالْعَمْرُ قَدَرٌ مَسَافَتِهِ

البستي :

لَا يَفْرَنْكَ أَتَى لَيْنُ الْمَسِّ فَمَزَى إِذَا انْتَضَيْتُ حُصَامُ
أَنَا كَالْوَرْدِ فِيهِ رَاحَةُ قَوْمٍ ثُمَّ فِيهِ لآخرين زُكَّامُ
وقال آخر :

إِنَّ الْجَهْلَ تَضَرُّعِي أَخْلَاقُهُ ضَرَرُ الشَّمَالِ لِمَنْ بِهِ اسْتِفَاقُهُ
ولآخر ، وهو البستي :

فَلَا تَكُنْ عَجَلًا فِي الْأَمْرِ تَطْلُبُهُ فَلَيْسَ يَحْمَدُ قَبْلَ النَّضْجِ بُحْرَانُ
وقال آخر :

لَا تَعْتَمِدْ إِلَّا رَيْسًا فَاضِلًا إِنَّ الْكِبَارَ أَطْبَعُ لِلْأَوْجَاعِ
وقال آخر :

وإِنِّي لَأَخْتَصُّ بِبَعْضِ الرِّجَالِ وَإِنْ كَانَ قَدَمًا تَهِيلًا عَابِلًا^(١)

(١) العدم - بالفتح - المعنى عن الكلام ، والبام - كسحاب - التخليل .

فَإِنَّ الْجُبْنَ عَلَى أَنَّهُ ثَقِيلٌ وَخِيمٌ يُشَقَّى الطَّعْمَا
وقال المتنبي :

لَمَّا عَتَبْتُكَ مَحْمُودٌ عَوَاقِبُهُ وَرَبَّمَا صَحَّتِ الْأَجْسَامُ بِالْمَلَلِ
وقال أيضاً :

أَعِذْهَا نَفَرَاتٍ مِنْكَ صَادِقَةً أَنْ تُحْسِبَ الشَّحْمَ فَمِنْ شَحْمِهِ وَرَمٌ
[من الأجوبة للفتح]

قال أبو المنذر هشام بن محمد السائب الكلبي : كان بلال بن أبي بردة جليداً حين ابتلى ، أحضره يوسف بن عمر في قيوده لبعض الأمر ، وهم بالحيرة ؛ فقام خالد بن صفوان فقال ليوسف : أيها الأمير ، إن عدو الله بلالاً ضربني وحبسني ولم أفارق جماعة ، ولا خلعتُ بدءاً من طاعة ، ثم التفت إلى بلال فقال : الحمد لله الذي أزال سلطانك ، وهدأ أركانك ، وأزال جلالك ، وغير حالك ، فوالله لقد كنت شديداً الحجاب ، مستخفاً بالشريف ، مغروراً بالمصيبة ! فقال بلال : يا خالد ؛ إنما استطلت عليّ ثلاث ممك من عليّ : الأمير مُقِيلٌ عليك ، وهو عني مُعْرِضٌ . وأنت مُطْلَقٌ ، وأنا مأسور . وأنت في طينتك ، وأنا غريب ! فأغمره ، [ويقال : إن آل الأهم زعقة دخلت في بني منقر فاقسبت إليهم]^(١) وكان سبب ضرب بلال خالداً في ولايته أن بلالاً مرّ بخالد في موكب عظيم ، فقال خالد : • سحابة صيفٍ عن قليل تَقْشَعُ •
فسمه بلال ، فقال : والله لا تقشع أو يصيبك منها شؤبوب^(٢) برد ، وأمر بصره وحبسه .

[وثناء قدح]

وقال أبو الفتح كشاجم يرى قدحاً له انكسر :

(١) ما بين المتوفين ساقط من أكثر الأصول ، وهو كلام مقحم .

(٢) الشؤبوب - ضم فسكون - الدقة العظيمة من المطر

عَرَافِي الزَّمَانُ بِأَحْدَاثِهِ وَعِنْدِي قَبَائِعُ الْحَادِثَاتِ
وِعَاةُ الدِّمَاقِ ، وَتَاجُ الْبَنَانِ وَمَعْرُضُ رَاجِحٍ مَتَى تَكْسَهُ
وَجَسْمُ هَوَاةٍ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ يَرُدُّ عَلَى الشَّخْصِ تَمَثُّلُهُ
وَيَتَّبِقُ مِنْ نَكَمَاتِ الدِّمَاقِ وَرَقٌّ ؛ فَلَوْحٌ فِي كَيْفَةِ
يَكَادُ مَعَ الْمَاءِ إِنْ مَتَّ هَوَى مِنْ أَنْ أَمْلَ مَجْدُولُهُ
فَأَقْدَرِيهِ عَلَى ضَيْقَةٍ كَأَنَّ لَهُ نَاطِلًا يَنْتَقِي
أَقْلَبُ مَا أَبْقَتْ الْحَادِثَاتُ وَقَدْ قَنَحَ الْوَجْدُ مَتَى بِهِ
وَأَعْجَبَ مِنْ زَمَنِ مَا نَحَى فَلَا تَبْعِدُنِ فِكْمَ مَنْ حَشَى
سَيُفْقِرُ بِعَدْلِكَ رَسْمُ الْغُبُوقِ وَتُوحِشُ مِنْكَ مَعَانِي الصَّبِيحِ

[من طرائف الوصف]

ومن أحسن ما قيل في وصف قنح ، قول ابن الرومي يصف قدحا أهدها
إلى علي بن يحيى للنجم :

- (١) عرافي : نزل بي ، وقنح : تهل وعصر حمله
(٢) الترح : الحزن ، وفي نسخة « وتاج السكرام »

لابن الرومي
في وصف
قدح

وبدع من البذائع ينسب
رق في الحسن والملاحة حتى
كنم الحب في الملاحة بل أشهى وإن كان لا ينال بمزف
تفقد العين فيه حتى تراها
كهباء بلاهباء مشوب
صبيخ من جوهر مصفى طليعا
وسط القدر، لم يكبر ليجزع
لا عجول على العقول جهول
فيه نون معقرب عطفته
مثل عطف الأصداع في وجنات
ما رأى الناظرون قدرا وشكلا
وقال أبو القاسم التنوخي :

فتنوخى
في وصف
قدح أيضا

وراج من الشمس مخلوقة
هواء ولكنه جامد
إذا ما تأملتها وهى فيه
فهذا النهاية في الايضاض
وما كان في الحق أن يُقرنا
ولكن تجاور شكلهما البسيطان فانفقا في الجوار
كأن للدبر لها بالبين
تدرج ثوبا من الياسين
بذت لك في قدح من نهار
وماء ولكنه غير جاز
تأملت نوراً محيطاً بنار
وهذا النهاية في الاحمرار
لقرط الثنائي وبسد النفاذ
إذا قام للشي أو باليسار
فردكم من الجلنار

(١) يطبق كل طرف : يستوى كل نظر ، يريد أنه يأخذ بجماع القول
والأبصار (م) .

(٢) في نسخة « لا مؤول على القول » (م)

لكشاجم
في رثاء
منديل

وقال أبو الفتح كشاجم برني منديل كم :

من بَيْتِكَ من وَجَدَ على هَالِكٍ فَإِنَّمَا أَبْكِي عَلَى دَسْتِجَةٍ ^(١)
جاذِبِيهَا رَشَاءً أَعْيَدُ فجادت النفسُ بها مُحَرَجَةً
بديعةً في نَسِجِها، مثلها يفقد من يُحْسِنُ أَنْ يَنْسُجَهُ
كأَمَا رِقَّةٌ أَشْكَالُهَا من رِقَّةِ الصَّاقِ مُسْتَخْرَجَةً
كأَمَا مَفْنُولُ أَهْدَائِهَا أَيْدِي دَبَا فِي نَسَقِ مَرْوَجَةٍ ^(٢)
كأَمَا تَفْرِيقُ أَعْلَامِهَا طَاوُوسَةٍ تَحْتَالُ أَوْ دُرَجَةٍ
لَيْسَةً جَذْدُهَا حَنِهَا لَا رَقْمَةَ السُّلُكِ وَلَا مُنْهَجَةٍ ^(٣)
كم رَقْمَةٌ من عِنْدِ مَشْهُوقَةٍ تُرْسَلُ فِي أَثْنَانِهَا مُدْرَجَةٍ
أَوْ مَسْعَةٍ مِنْ شَفَةِ عَذْبَةٍ تُثْرِدُ حَرَّ الكَيْدِ الْمُنْصَجَةِ
إِلَى تَحِيَاتٍ لِطَافِئِهَا تُنْكِنُ مِنِّي مُنْهَجَةً مَرْعَجَةٍ
كَانَتْ لَحَجَّ الكَاسِ حَتَّى تَرَى مِنْهَا لِأَتَارِيقِ الذِّدَى مَخْرَجَةٍ
وَحَاتِمِي يُفْقِدُ فِيهَا إِذَا آتَرْتُ مِنْ كَفَى أَنْ أُخْرِجَةٍ
وَأَتَيْتِي الْجَلَامَ بِهَا كَلَامًا كُلُّهُ الْمَازِجُ أَوْ تَوَجَّجَةٍ
فَاسْتَأَثَرَ الدَّهْرُ بِهَا؛ إِنَّهُ ذُو هِمَّةٍ مُجَلِّبَةٍ مَرْهَجَةٍ ^(٤)
فَأَصْبَحَتْ فِي كَيْمٍ مُخْتَالَةٍ مُلْجَمَةٌ فِي هَجْرِنَا مُسْرَجَةٍ

وقال أيضاً يصف سقوط الثلج :

الثلجُ يَنْقُطُ أَمْ يَلْجُنُ بِسُبُكٍ أَمْ ذَا حَصَى الكَافُورِ ظَلٌّ يَفْرُكُ
رَاحَتْ بِهِ الْأَرْضُ النِّضَاءَ كَأَنَّهَا فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ بِفَرٍّ تَضْحَكُ

وله يصف
سقوط الثلج

- (١) في نسخة « أبكي على مسبجة » وفي أخرى « على سبجة » والمسنحة :
الحرمة (م)
(٢) الدبا : صغار الجراد والفيل (م) (٣) اللبیس : الذي أكثر لبسه ، وللمتهجة :
الحلقة البالية (م)
(٤) في نسخة « ذونوب مجلبة مرهجة » (م)

شابت مفارقها فبين ضحكها
أراني على خضر العصون فأصبحت
وتردت الأشجار منه ملاءة
كانت كمود الهند طرى فأنكفى
والجو من أريج الهواء كأنه
لخذي من الأوتار حطك إنما
قال يوم يوزن بالملاحة، إنه
وقال أيضا :

باكر فهذي صبيحة قره
تنبج وشمس وصوب غادية
باتت وقيماها زبرجدة
كانها والثلوج تضحكها
كأن في الجو أيدبا كترت
شابت فسرت بذالكوا بهجت
قد جلئت بالبياض بلدتها
وقال الصوري :

ذهب كؤوسك يا غلا
الجو يمسلي في البيا
أزعت ذا ثلج وذا
ورد الربيع موردد
م فإن ذا يوم مفضل
ض وفي حلى الكافور يمرض
ورد على الأعصان ينفض
والوزد في نشرين أبيض

(١) في نسخة « من داجى الهواء » وما أثبتناه موافق لما في الديوان، والارجح:

طيب الرائحة (م)

(٢) في نسخة « قال يوم يؤذن باللامح » وهي تناسب آخر الكلام (م)

ولكشاجم
أبضا

الصوري
في المعنى

وقال البقي :

باسم

كم تظلمنا عقود لمو وأنس
وفقدنا الدنان في يوم تلج
وجعلنا الزمان للهو سلكا
عزل الكأس فيه رثدا ونسكا
فكان السماء تنحل كافر
وأعطينا ، ونحن نفتق مسكا
وقال الأمير أبو الفضل الميكالي يصف الجمد :

الميكالي
يصف الجمد

رب جنين من حيا النمر
سلته من رحم السدير
مهلك الأستار والضمير
كانها صحائف البلور
أو أكر تجسست من نور
أو قطع من خالص الكافور
لوقيت سلكا على الدهور
لعللت قلائد النحور^(١)
وأخجلت جواهر البحور
[وسميت ضرائر الثفور]
يا حسنة في زمن الحورود
إذ قئظه مثل حشى المهجور^(٢)
يهدى إلى الأكياد والصدور
روحا يجلى نفقة المسدور
ويجلب السرور للمهرود

ألفاظ لأهل المصر في وصف الثلج والبرد والأيام الشتوية
أتى الشتاء كئنگله ، وأحل بنا أقاله . مد الشتاء رواقه ، وأتى أوراقه ،
وحل نطقه . ضرب الشتاء بجرانه ، واستقل بأركانه ، وأناخ بنوازه ، وأرسي
بكلا كله ، وكلع بوجهه ، وكشر عن أنياه . قد عادت [هامات] الجبال
شيبا ، ولبست من الثلج بردا قشيبا . شابت مفارق البروج ، لتراكم الثلوج ،
ألم الشيب بها وابيضت لمها^(٣) . قد صار البرد حجابا ، والثلج حجازا . برد
يغير الألوان ، وينشف الأبدان . برد يقصص الأعضاء ، وينفض الأحشاء . برد
يمجد الربوق في الأصداق ، والسمع في الآفاق . برد حال بين الكلب وهريه ،

(١) في نسخة « تطلت قلائد النحور » (م)

(٢) في نسخة « يا حسنة في زمن الحورود » تحريف (م)

(٣) في نسخة « ألم الشتاء بهامات ابيضت لمها » (م)

والأَسَدُوزَيْثِرَه ، والطيرُ وصَفِيرَه ، وللماء وخِرِيرَه . نحن بين لثق ، ورثق ، وزلق^(١) يوم كأنَّ الأرضَ شَابَتْ لهُوْلَه . يوم فَتَحَ الجَنَابُ ، مِسْكَ النَّقَاب ، عبوس قَمَطَرِير ، كَشَرَ عن بَابِ الزَّهْرِير ، وفرش الأرض بالقَوَارِير . يوم أَخَذَتْ الشَّامَلُ زِمَامَه ، وكسا الصَّرَّ ثِيَابَه . يوم كَانِ الدُّنْيَا فِيه كَافُورَه ، والسَّمَاءُ بَلُورَه . يوم أَرْضَه كَالْقَوَارِيرِ اللَّامَةِ ، وهَوَاؤُه كَالزَّيْبِزِ اللَّامَةِ . يوم أَرْضُه كَالزَّجَاجِ ، وسَمَاؤُه كَأَطْرَافِ الزَّجَاجِ^(٢) . يوم يَعْمَلُ فِيه الخَفِيفُ إِذَا هَجَمَ ، ويَخْفُضُ الثَّقِيلُ إِذَا هَجَرَ ، نَحْنُ فِيه بَيْنَ أَطْبَاقِ التَّيْرِدِ لَمَّا نَسْنِثُ إِلَّا بِمَحْرُ الرَّاحِ ، وَسَوْرَةِ الْأَقْدَاحِ^(٣) . لَيْسَ لِلْبَرْدِ كَالْبُرْدُ ، وَالتَّخْمِرِ ، وَالجَمْرِ . إِذَا كَلِبَ الشِّتَاءُ ، فَتَرَيَاقُ سَمُومِهِ الصَّلَاةَ ، وَدَرَقُ سَيُوفِهِ الطَّلَاةَ^(٤) .

تَقْيِيزُ ذَلِكَ مِنْ كَلَامِهِمْ فِي وَصْفِ التَّقِيْظِ وَشِدَّةِ الْحَرِّ

قَوِي سُلْطَانُ الْحَرِّ ، وَبُسْطُ بَسَاطُ الْجَمْرِ . حَرُّ الصَّيْفِ ، كَعَدُّ السَّيْفِ . أَوَقَدْتَ الشَّمْسُ نَارَهَا ، وَأَذَكْتَ أَوَارَهَا . حَرٌّ يَلْفَحُ حَرُّ الْوَجْهِ . حَرٌّ يَشْبَهُ قَلْبَ الصَّبِّ ، وَيُذِيبُ دِمَاجَ الصَّبِّ . هَاجِرَةٌ كَأَنَّهَا مِنْ قُلُوبِ الْعَشَاقِ ، إِذَا اشْتَعَلَتْ فِيهَا نَارُ الْفِرَاقِ . هَاجِرَةٌ تَحْكِي نَارَ الْمَجْمَرِ ، وَتُذِيبُ قَلْبَ الصَّخْرِ . كَأَنَّ الْبَسِيطَةَ مِنْ وَقْدَةِ الْحَرِّ ، بِسَاطٍ مِنَ الْجَمْرِ . حَرٌّ تَهْرَبُ لَهُ الْحَرَبَاءُ مِنَ الشَّمْسِ ، قَدْ صَهَرَتْ الْهَاجِرَةُ الْأَبْدَانُ ، وَرَكِبَتْ الْجَنَادِبُ الْعِيدَانُ . حَرٌّ يُنْصَحِجُ الْجُلُودَ ، وَيُذِيبُ الْجُلُودَ أَيَّامَ كَأَيَّامِ الْفَرْقَةِ امْتَدَادًا ، وَحَرٌّ كَحَرِّ الْوَجْدِ اشْتِدَادًا . حَرٌّ لَا يَطِيبُ مَعَهُ عَيْشٌ ، وَلَا يَنْفَعُ مَعَهُ تَلَجٌ وَلَا خَيْشٌ . حَمَازَةُ الْقَيْظِ ، تَقْلُ كَدَمَ ذِي الْقَيْظِ . آبُ آبٍ يَجِيْشُ^(٥) مِرْجَلَه ، وَيَثُورُ قَسَطُكُه . هَاجِرَةٌ كَقَلْبِ الْمَهْجُورِ ، أَوْ التَّنَوُّرِ الْمَسْجُورِ . هَاجِرَةٌ كَالْجَحِيمِ الْجَاهِمِ ، نَجْمٌ أَذْيَالُ السَّمَاءِ .

(١) اللثق : ركود الريح وكثرة الندى (٢)

(٣) الصر - بكسر الصاد - شدة البرد (٤) الزجاج - بكسر الزاي - جمع زجاج (٥)

(٦) كلب الشتاء : اشتد وقسا ، والترياق : دواء السموم ، والصلاة : الدفء

بالتار ، والطلا : الحجر (٧) آب : رجح ، وآب : اسم شهر من شهور الصيف ،

وفي نسخه « آب آب بجيش مرجلة وتنور قسطله » تحريف (٨)

[السجلة أمّ الندامة]

قال بعض الحكماء : إياك والمجلة فإنّ العرب كانت تَكْنِيها أمّ الندامة ؛ لأنّ صاحبها يقول قبل أن يعلم ، ويجب قبل أن يفهم ، ويعزم قبل أن يفكر ، ويقطع قبل أن يُقدّر ، ويحمد قبل أن يجرب ، ويذمّ قبل أن يخبر ، ولن يصحب هذه الصفة أحدٌ إلّا صاحب الندامة ، واعتزل السلامة.

[تأميل ورجاء]

ولما ولى المهدي^(١) سليمان بن وهب وزارته قام إليه رجل من ذوى حُرْمَتِهِ ، فقال : أعزّ الله الوزير ؛ أنا خادمك المؤمل لدولتك ، السعيد بأيامك ، المنطوى القلب على ذلك ، المنشور اللسان بمدحك ، المرتمن بشكر نعمتك ، وقد قال الشاعر :

وفيت كل صديق ودني ثمتاً إلا المؤمل دولاني وأباي
فإنني ضامنٌ إلّا أكافئهُ إلا بتسويفه فضلي وإنصامي

وإني لكأ قال القيس : ما زلتُ أمتطي النهارَ إليك ، وأستدلُّ بفضلك عليك ، حتى إذا جئني الليلُ ففصرَ البصرَ ، ومحا الأثرَ ، أقام بدني ، وسافر أُملي ، والاحتداد عُذري ، فإذا بلمتكَ قَدَرٌ^(٢) . قال سليمان : لاعليك : فإني عارفٌ بوسيلتك ، محتاجٌ إلى كفايتك واصطناعك ، ولست أؤخر عن يومى هذا توأنيك ما يحسُنُ عليك أثره ، ويعطيك لك حَبْرُهُ ، إن شاء الله .

وكتب محمد بن عباد إلى أبي الفضل جعفر بن محمود الإسكافي وزير المعتز بالله وكان المعتز يمتحن به ، ويتقرّب إليه قبل الوزارة : ما زلت - أيدك الله تعالى - أذمّ العهر بدمك إياه ، وأنتظر لنفسى ولت عُقباه ، وأتمنى زوال حال من لا ذَنْبَ له

(١) في نسخة « لما ولى المهدي محمد بن الواثق بن للتعصم سليمان بن وهب » (م)

(٢) قد : فكفاني ذلك (م)

إلا عاقبة محمودة تكون لك بزوال حاله ، وأترك الإعذار^(١) في الطلب على الاختلال الشديد ؛ ضناً بالمعروف عندى إلا عن أهله ، وحسباً ليشغرى إلا عن مستحقه .

فوقع في كتابه : لم أؤخر ذكرك ناسياً لحقك ، ولا مُهَيلاً لواجبك ، ولا مرجحاً^(٢) لهمم أمرك ، ولكنى ترقيت اتساع الحال ، وانفساح الآمال ؛ لأخصك بأشنانها خطراً ، وبأجلها قدراً ، وأعوذها بنفع عليك ، وأوفرها رزقاً لك ، وأقربها مسافة منك ؛ فإذا كنت ممن يحفره الإهمال ، ولا يتيسر له الإهمال ، فسأختار لك خير ما يشير إليه الوقت ، وأنتم النظر فيه ، وأجله أول ما مضيه ، إن شاء الله .

ولما ولي سليمان بن وهب الوزارة كتب إليه عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :
أبى دهرُنا إسعافنا في نفوسنا وأسقفنا فيمن يحب ونكرمُ
فقلت له : نماك فيهم أتمها ودع أمرنا ؛ إن اللهم للقدم
فجيب من لطيف شكواه في تهنته ، وقضى حوائجه .

[ووقع عبيد الله في كتاب رجل اعتدّ عنده بأمر جميل : وقتت على ما ذكرته من شكايته ، فوقع ذلك عندنا الموقع الذى أردته ، وصدر جوابنا إليك بما شكرته ، ولم تعدُّ ظننا ، وما قدرنا فيك . ثم اعتدت الاعتداد حتى كأنك لم تكاتبنا ؛ فلا تفسدن ناله إحسانك بطارف امتنانك ، واقتصر من وصف سالفك على ذكر مستأنفك] .

[من حسن التقسيم]

ووقع عبيد الله في أمر رجل خرج عن الطاعة : أنا قادرٌ على إخراج هذه النقرة^(٣) من رأسه ، والوحرة من نفسه^(٤) .

(١) في نسخة « وأترك الاعتذار » (م) (٢) مرجحاً: مؤخرًا ، وأصله الهمز (م)

(٣) النقرة - كهجرة - الحياء والتعاطف ، والوحرة : الحقد (م)

(٤) في نسخة « والوحرة من صدره ، والنقرة من نفسه » (م)

ونحو هذا التقسيم قولُ قتيبة بن مسلم بخراسان : من كان في يده شيء من مال عبد الله فلينبذه ، أو في فمه فليلقه ، أو في صدره فليفتنه .

وقال عبد الله بن علي ، بعد قتله من قتل من بني أمية ، لإسماعيل بن عمرو : أساءك ما فعلتُ بأصحابك ؟ قال : كانوا يداً قطعتمها ، [وعضداً ففتتها ، ومرة فنقضتها] ، وركناً فهدمته ، [وجيلاً فهضته] ، وجناحاً فقصصته ، قال : إني خليق بأن أخلقك بهم ، قال : إني إذا لسعيد .

وقال النصورُ لجري بن عبد الله : إني لأعذكُ لأمر كبير ! قال : يا أمير المؤمنين قد أعدَّ الله لك منى قلباً مفقوداً بنصيحتك ، ويداً مبسوطةً بطاعتك ، وسيفاً مسلولاً على أعدائك .

وكتب الحسن بن وهب إلى القاسم بن الحسن بن سهل يعزِّيه : مدَّ الله في همرك موفوراً غير متقص ، وعنوحاً غير ممْتَحَن ، ومُعْطًى غير مُسْتَلَب .

ومن جيد التقسيم مع المطابقة قولُ بعض الكتاب : إنَّ أهل النصح والبر لا يساوِيهم أهلُ الأثْنِ والنِشْ ، وليس منْ جمع إلى الكفاية الأمانةُ كنَّ أضافَ إلى السَّجَرِ الخيانة .

وقالت هند بنت النعمان بن المنذر لرجل دَعَتْ له وقد أولاهها يداً : شكرتُكِ يدُ نالها خصاصة بعد ثروة ، وأغناك الله عن يد نالها ثروة بعد فاقة .

ومن بدیع التقسيم في هذا النوع قولُ البحري :

كأنك السيفُ حدَّاهُ ورَوَّقهُ والنِثْ وإبله الدَّانِي ورَبَّقهُ
هل انكاركم إلا ما تجبتهُ أو المواهب إلا ما تفرقهُ

وقال الحسن بن سهل يوماً للأُمون : الحمد لله يا أمير المؤمنين على جزيل ما آتاك ؛

(١) في نسخة « كانوا يداً قطعتمها ، وعقدة فنقضتها ، وركناً فهدمته ، وجناحاً

قصصته » (٢)

وَسَيِّءٌ مَا أُعْطَاكَ ؛ إِذْ قَسَمَ لَكَ الْخُلَافَةَ ، وَوَهَبَ لَكَ مَعَهَا الْحِجَّةَ ، وَمَكَّنَكَ
 بِالْسلطان ، وَحَلَّاهُ لَكَ بِالْمَدَلِّ ، وَأَيَّدَكَ بِالظَّفَرِ ، وَشَفَعَكَ بِالْعَفْوِ ، وَأَوْجَبَ لَكَ
 السَّعَادَةَ ، وَقَرَّنَهَا بِالسِّيَاسَةِ ، فَنَ فَسِّحْ لَهُ فِي مِثْلِ عَطِيَّةِ اللَّهِ لَكَ ؟ أَمْ مِنْ أَلْبَسَهُ
 اللَّهُ تَعَالَى مِنْ زِينَةِ الْمَوَاصِبِ مَا أَلْبَسَكَ ؟ أَمْ مِنْ تَرَادَفَتْ نَعْمُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ
 تَرَادُفُهَا عَلَيْكَ ؟ أَمْ مِنْ حَاوَلَهَا وَارْتَبَطَهَا بِمِثْلِ مُحَاوَلَتِكَ ؟ أَمْ أَى حَاجَةٍ بَقِيَتْ
 لِرَعِيَّتِكَ لَمْ يَجِدْهَا عِنْدَكَ ؟ أَمْ أَى قِيَمٍ لِلإِسْلَامِ انْهَى إِلَى غَايَتِكَ وَدَرَجَتِكَ ؟
 تَعَالَى اللَّهُ ! مَا أَعْظَمَ مَا خَصَّ الْقَرْنَ الَّذِي أَنْتَ نَاصِرُهُ ! وَسَبِّحَانَ اللَّهَ ! أَيْةُ نِعْمَةٍ
 طَلَبَتْ الْأَرْضَ بِكَ إِنْ أُدِّيَ شُكْرُهَا إِلَى بَارِئِهَا ، وَالْمُنْعَمِ عَلَى الْعِبَادِ بِهَا ؟ إِنْ اللَّهُ
 تَعَالَى خَلَقَ الشَّمْسَ فِي فَلَكِهَا ضِيَاءً يَسْتَبِيرُ بِهَا جَمِيعُ الْخَلَائِقِ ؛ فَكُلُّ جَوْهَرٍ
 زَهَاهُ حُسْنُهُ وَنُورُهُ فَعَى أَلْبَسَتْهُ زِينَتُهُ لَمَّا اتَّصَلَ بِهِ مِنْ نُورِهَا ؟ وَكَذَلِكَ كُلُّ وَلِيٍّ
 مِنْ أَوْلِيَائِكَ سَمِعَ بِأَفْصَالِهِ فِي دَوْلَتِكَ ، وَحَسَّنَتْ صُنَائِمَهُ عِنْدَ رَعِيَّتِكَ ، فَإِنَّمَا نَالَهَا بِمَا
 أَيْدَتْهُ مِنْ رَأْيِكَ وَتَدْيِيرِكَ ، وَأَسْعَدَتْهُ مِنْ حَسَنِكَ وَتَقْوِيمِكَ .

[بَيْنَ قَبِيَّةٍ وَأَرْبَعَةٍ مِنْ عَشَائِهَا]

قَالَ بَعْضُ الظُّرَفَاءِ : اجْتَمَعَ لَقِيَمَتِي أَرْبَعَةٌ مِنْ عَشَائِهَا ، وَكُلُّهُمْ يُورِثُنِي
 صَاحِبُهَا مَرَّةً ، وَيُخَفِّفُنِي عَنْهُ خَبْرَةً ، وَبُيُومِي ^(١) إِلَيْهَا بِحَاجَتِهِ ، وَيُنَاجِيهَا بِلَحْظِهِ ؛ وَكَانَ
 أَحَدُهُمْ غَالِبًا قَدَمًا ، وَالْآخَرُ مَقِيمًا قَدْ عَزَمَ عَلَى الشَّخْصِ ، وَالثَّالِثُ قَدَسَلَّتْ ^(٢)
 أَلِفُهُ ، وَالرَّابِعُ مُسْتَأْنَفَةٌ مَوْدَّتِهِ ؛ فَضَحِكْتُ إِلَى وَاحِدٍ ، وَبَكَتُ إِلَى آخَرٍ ، وَأَقَصْتُ ^(٣)
 آخَرَ ، وَأَطْمَعْتُ آخَرَ ؛ وَاقْتَرَحَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَا يَشَاكُلُ بَنَّهُ وَشَأْنَهُ ؛ فَأُجَابَتْهُ ،
 فَقَالَ الْقَادِمُ : جَمِلْتَ فِذَاكَ ، أَنْحَسِينَ ؛
 وَمَنْ تَيْنًا عَنْ دَارِ الْهَوَى يُكْثِرُ الْبُكَاءَ وَقَوْلَ لَيْسَ لِي أَوْ عَسَى سَيَكُونُ

(١) يَوْمِي : يَشِيرُ (م) (٢) سَلَفَتْ : مَضَتْ (م) (٣) أَقَصْتُ : أَجِدْتُ (م)

وما اخترتُ نأى الدار عنك لينوق^(١) ولكن مقادير^(٢) لمن شؤون
فدات : أحسنه ، ولا أقيم لحنه ، ولكن مطارحه تستغنى به عنه ، أقرب به
منه ، وأنا به أصدق ، ثم غنت :

وما زلت مذ شطت بك الدار باكيا أو مل منك المصطف حين توثب
فأضغمت ما بي حين أبت وزدتنى عذابا وإعراضا وأنت قريب
وقال الغاضن : جلت فذاك ، أنحنين :

أزف الفراق فأعلني جزعا ودعى العتاب فإننا سفر
إن الحب يصد مقربا فإذا تباعد شقه الذكمر
قلت : نعم ، وأحسن منه ومن إيقاعه ، ثم غنت :

لأقمن^(٣) مأثما عن قريب ليس بعد الفراق غير النحيب
ربما أوجع التوى للقلوب ثم لاسيا فراق الحبيب^(٤)
ثم قال السالف : جلت فذاك ، أنحنين :

كنّا نمتبكم لىالى عودكم حلو للذاق وفيكم مستغتب
فالآن حين بدأ التكر منكم ذهب العتاب فليس عنكم مذهب
قالت : لا ، ولكن أحسن منه فى معناه ، ثم غنت :

وصلتك لما كان ودك خالسا وأعرضت لما صار نهبا مقبما
ولن يلبث الحوض الجديد بناؤه إذا كثر الوراد أن يتهدبا
فقال المتأفف : أنحنين ، جلت فذاك :

إني لأعظم أن أبوح بحاجتى وإذا قرأت صحيفتى فضمى
وعليك عهد الله إن أبنته أحدا ولا آذنته بشكلى^(٥)

(١) فى نسخته « ربما أوجع التوى القلب حزنا » وفى أخرى « ربما أوجع
الموى للقلوب » (م) (٢) فى نسخة « ولا أبديته بشكلى » (م)

قالت : نعم ، ومن غناء صاحبه ^(١) ؛ ثم غنت :

لمرك ما استودعتُ سِرِّي وسرها سوانا ، حذاراً أن تَذِيعَ السرائر
ولا خالطتهم مُقَلَّنَايَ بنظرٍ فتعلم نَجْوَانَا الميمونَ النواظرُ
ولكن جعلت الوهمَ بيني وبينها رسولاً فأدَى ما تُجِنُّ الضمائرُ
أُكَلِّمُ ما في النفس خوفاً من الهوى مخافةً أن يُغري بِذِكرك ذَاكِرُ
فضرقوا وكَلِّمهم قد أوماً بِمَاجته ، وأجابه بِجوابه .

[بين ابن المعتز وقينة]

قال أبو العباس بن المعتز : كان لنا مجلس حظاً أرسلت بسببه خادمة إلى قينة فأجابت ، فلما مررت في الطريق وجدت فيه حارساً فرجعت ، فأرسلت أعاتبها فكتبت إلي : لم أتعلف عن السير إلى سيدي في عشيقي أسراً لأرى وجهه المبارك وأجيب دعاءه ، إلا لعله قد عرفتها فلانة ، ثم خفت أن يسبق إلى قلبه الطاهر أني قد تخلفتُ بغير عذر ؛ فأحييتُ أن تقرأ عذري بخطي ، ووالله ما أقدر على الحركة ، ولا شيء أسراً إلى من رؤيتك ، والجالوس بين يدبك ، وأنت « مولاي جاهي وسندي ، لا قدّدتُ قربك ، ولك رأيتك في بسط العذر موقفاً .

وكتبت في أسفل الكتاب :

أليس من الحرمان حظاً سلبتهُ وأخوّجني فيه البلاءُ إلى العذرِ
فصبراً فما هذا بأوّل حادثٍ رمتني به الأقدار من حيث لا أدري
فأجبتها : كيف أردتُ عذراً من لا تسلط التهمة عليه ، ولا تهدي المؤجدة إليه !
وكيف أعلمه قبول المآذير ، ولستُ آمنُ بعضَ خواطره ^(٢) أن تشير إلى انتهاز
فرصة فيما دعا إلى الفرقة ؛ وإن سلّمتُ من ذلك فن يُجربني من نوكله

(١) في نسخة « أحسن من غناء صاحبه » (٢)

(٢) في نسخة « بعض جواهره إلى يسير إلى انتهاز فرصة فيما عاد إلى الفرطة »

على تقديم المذنب ، ووقوعه بمواقع التصديق في كل وقت ، فتتصل أيام الشغل
والسعة ، وتنقضي أيام الفراغ والصحة ، فتطول مدة النية ، وتدرس آثار
المودة ، وكتبت في آخر الرقة :

إذا غبت لم تعرف مكافئ لذة . ولم يلق نفسى لهُوها وسُورها
وحدثتُ سَمّاً واهناً غير مُمَكِّك . قولى ، وعيناً لا يراى ضيورها

[بين ابن المعتز وبعض الوزراء]

وكتب إلى بعض الوزراء : ما زال الحاسدُ لنا عليك أيها الوزير ينصبُّ
الجهائل ، ويطلب القوائل ، حتى انتهز فرصته ، وأبلفك تشنيعاً زخرفه ^(١) ، وكذبا
زوره ، وكيف الاحتراس ممن يحضر وأغيبُ ، ويقول وأمسك أمر تصدأ لا يتفعل
وما كراً لا يفتقر ؛ وربما استنصح الفاش ، وصدق الكاذب ؛ والخطوة لا تُدرَكُ
بالحيلة ، ولا يجرى أكثرها على حسب السبب والوسيلة .

فأجابه : حصول الثقة بك - أعزُّك الله ! - تُنفى عن حضورك ، وصدق
حالتك ينجح عنك ، وما تقرّر عندنا من نيتك وطويتك يُنفى عن اعتذارك .

[من شعر ابن المعتز]

وقد قال ابن المعتز :

أخفى عليك الدهر مقتدراً	والدهر الأم غالب ظفراً
ما زلت تلتقى كلَّ حادثة	حتى حنّاك وببيض الشعرَا
فالآن هل لك في مقاربة	فقد بلغت الشيب والكبرا
الله إخوان قدهم	سكنوا بطون الأرض والحقرا
أين السيل إلى قسائمهم	أم من يحدث عنهم خبرا
كم مورق بالبشر مُبْتَسِم	لا أجتني من غصنيه تمرَا

(١) في نسخة « وأبلفك شيئاً زخرفه » (ر)

ما زال يُؤلِّفُ خِصْلَتَهُ وصبرت أَرْقُبَهُ وما صَبِرَا
وعَدُو غَيْبٍ طَالِبٍ لَدِي لو يَسْتَطِيعُ جَاوِزَ الْقَدَرَا
يُورِي زِنَادِي كَيْ يُخَادِعَنِي وَيُطِيرُ فِي أَنْوَاجِ الشَّرَرَا
وقال أيضا :

وَأَنِّي عَلَى إِشْفَاقٍ عَيْنِي مِنَ الْقَذَى لتَجْمَعُ مِنِّي نَظْرَةً ثُمَّ اطَّرَقُ^(١)
كَأَنِّي حُلْتُ مِنْ بَرْدِ مَاءٍ طَرِيدَةٍ تَمُدُّ إِلَيْهِ جِيدَهَا وَهِيَ تَفْرُقُ^(٢)
وقال :

وما زلتُ مَذْشُوتٌ بِدِيٍّ مَعْدِمٍ نَزَرِي غَنَائِي لَغَيْرِي وَافْتِقَارِي عَلَى نَفْسِي
وَدَلٌّ عَلَى الْحَمْدِ مَجْدِي وَعَفْوِي كَمَا دَلَّ إِشْرَاقُ الصَّبَاحِ عَلَى الشَّمْسِ
وقال :

سَمَى إِلَى الدَّنِّ بِالْمِيزَالِ يَنْقُرُهُ سَاقٍ تَوْشَحَ بِالْمَنْدِيلِ حِينَ وَثَبَ
لَهَا وَجْهًا بَدَتْ صَفْرَاءُ صَافِيَةٍ كَأَنَّمَا قَدْ سَهِرًا مِنْ أَدِيمٍ ذَهَبَ
وقال :

لَبَسْتُ صَفْرَةً فَكَمْ فَتَنَتْ مِنْ أَعْيُنٍ قَدْ رَأَيْتَهَا وَعُقُولَ
مِثْلُ تَمْسِ الثَّرُوبِ تَحَبُّ ذِيلاً صَبَّغَتْهُ بَرَقَرَانِ الْأَصْمِيلِ
والشمس عند طلوعها ، وعند غروبها ، تَمَكَّنُ النَّاضِرُ إِلَيْهَا فَيَمَكِّنُ التَّشْبِيهَ
بِهَا ؛ قَالَ قَيْسُ بْنُ الْخَطِيمِ :

فَرَأَيْتُ مِثْلَ الشَّمْسِ عِنْدَ طُلُوعِهَا فِي الْحَسَنِ أَوْ كَدُونِهَا لَغُرُوبِ

(١) في نسخة « لتسبح مني نظرة ثم أطرق » (م)

(٢) وفيها « حلت عن برد ماء ... وهي تعزف » وحلت: منعت وطردت (م)

[جرير في المدينة يُغري بشعر قيس بن الخطيم]

ولما قدم جرير بن الخطمي المدينة اجتمع إليه أهلها، وقالوا: يا أبا حَزْرَةَ !
أنشدنا من شعرك، قال: ما تصنعون به ؟ وفيكم من يقول :

أني سربت وكنت غير سروب وتقرّبُ الاحلامُ غيرَ قريب
ما تمنى يقطي قسداً نولته في النوم غير مُصرّد محسوب^(١)
كان الذي يُلقي بها فلقينها فلهوت عن نهي امرئ مكذوب^(٢)
فرايتُ مثل الشمس عند طلوعها في الحُسْنِ أو كدُنُوها لتروب
نخلو على برد يتنين غداهما غدقُ بساحة حائر يعقوب^(٣)

[يعقوب بن داود]

وقّع يزيد بن خالد الكوفي رقعة إلى يعقوب بن داود ضمنها :
قل لابن داود والأنساء سائرة: لا يحزرن الأجر إلا من له عمل
يا ذا الذي لم تزل يُمتناه مذ خلقت فيها لباغى نداء القل والتهل
إن كنت مسدى معروف إلى رجلٍ لفضل شكرٍ فإني ذلك الرجل
فأمنن على ببرّ منك يتمشق فإني شاكِرُ المعروف محتمل
قال يعقوب: قد جربنا شكرك فوجدناه قد سبق برّنا، وقد أمرتُ
لك بمشرة آلاف درهم [تصلح حالك]، وليست آخر ما عندنا لك،
فاستوثقا حتى مات.

(١) مصرود - بزة للعظام - القطع . وفي نسخة « مسرد » بحرف (م)

(٢) في نسخة « من هو - أرى - مكذوب » وما أثبتناه يوافق الأمازي
٢٧٣/٢ وحامسة ابن الشجري ١٨٩ (م)

(٣) وقع هذا البيت في نسخة ، على هذا الوجه :

نخلو على برد يبين خطاها عنق مخافة خابر لنيوب

وهذا البيت ليس في الأمازي ولا في حماسة ابن الشجري، وهو في ديوان قيس

ص ٦ سادس أبيات قطعة عدتها ثلاثة عشر بيتا (م)

ولما سخط المهدي على يعقوب أحضره ، فقال : يا يعقوب ! قال : لبيك
يا أمير المؤمنين تلبية مكروبٍ لمَوْجِدَتِكَ ، شَرِّقْ بَعْضَتَكَ ، قال : ألم أرفع قَدْرَكَ
وأنت خامل ، وأسِرْ ذِكْرَكَ وأنت هامل ، وألْبِسَكَ من نِعَمِ الله تعالى ونِعْمِي
مالم أجِدْ عندك طاقَةً لحله ، ولا قياماً بشُكْرِهِ ؟ فكيف رأيت الله تعالى أظهر
عليك ، وردَّ كَيْدَكَ إليك ؟

قال : يا أمير المؤمنين ؛ إن كنت قلت هذا بتيقن وعلم فإني معترف ،
وإن كان بسعاية الباغين ، ونمائم الماندين ، فأنت أعلم بأكثرها ؛ وأنا عائد
بكرمك ، وعميم شرفك .

قال : لولا الخنث^(١) في دَمَكِ لألبستك قميصاً لا تشد عليه زراً^(٢) ؛ ثم أمر به
إلى الحبس ، فتولّى وهو يقول : الوفاء يا أمير المؤمنين كَرَمٌ ، والمودة رَحِمٌ ،
وما على العفو نَدَمٌ . وأنت بالعفو جدير ، وبالحسان خَلِيقٌ . فأقام في السجن
إلى أن أخرجه الرشيد .

أخذ معنى قول المهدي : « لألبستك قميصاً لا تشد عليه زرا »
أبو تمام فقال :

طَوَّقَهُ بِالْحِمَامِ طَوَّقَ رَدَى أغناه عن مَسِّ طَوَّقِهِ يَدِي
وقال ابن عمر في معنى قول الطائي :
طَوَّقَهُ بِحِمَامِ طَوَّقَ دَاهِيَةٍ لا يستطيعُ عليه شَدُّ أَرْزَارِ

(١) في نسخة « لولا الحسب في دمك » (م)

(٢) في نسخة « لا تشد عليه أزرارا » (م)

ولما قبض المهدي على يعقوب ورأى أبو الحسن الفيرى سبيل الناس عليه ،
وكان غططاً به قال :

يعقوبُ لا تَبْعِدْ وَجَنَّبْتَ الردى فلا بكيينَ كما بكي النضنُ الندى ^(١)
لو أنَّ خيرك كان شرًّا أكلهُ عند الذين عدوا عليك لما عدا
أخذ هذا المعنى بعض المحدثين [في النزول] فقال :
لو أن هجرك كان وصلاً أكلهُ مما أقامى منك كان قليلاً

[بين أحمد بن أبي دواد والواقى]

قال أبو العيناء : قال لي أحمد بن أبي دُود : دخلت على الواقى فقال لي :
ما زال اليوم قومٌ في ثلبك وتَفصك ! فقال : يا أمير المؤمنين ، لكل امرئ
منهم ما اكتسب من الإثم ، والذي تولى كثره منهم له عذاب عظيم ، والله
ولى جزائه ؛ وعقابُ أمير المؤمنين من ورائه ، وما ذلَّ - يا أمير المؤمنين -
من كنت ناصره ، وما ضاق من كنت جاراً له ، فما قلت لهم يا أمير المؤمنين ؟
قال : قلت يا أبا عبد الله :

وسعى إلى بصرم عزة مفسرٌ جعل الإلهُ خلودَه نِمالاً ^(٢)

قال الفتح بن خاقان : ما رأيت أغلرف من ابن أبي دواد ؛ كنت يوماً
ألاعب المتوكل بالنرد ، فاستؤذن له عليه ، فلما قرَّب مناهمت برصها ، فمنى
المتوكل وقال : أجاهرُ الله وأستُرّه من عباده ؟ فقال له المتوكل : لمه دخلت
أراد الفتح أن يرفع النرد ! قال : خاف يا أمير المؤمنين أن أصله عليه !
فاستحليناه ، وقد كنا نجهنماه .

(١) في نسخة « فلا بكيين كما بكي النضن الندى » (م)

(٢) في نسخة « وسعى إلى جيب عزة مفسر » (م)

[من خطباء العرب شبيب بن شيبة وخاله بن صفوان]

قيل لبعض الأمراء : إن شبيب بن شيبة^(١) يتعمّل الكلام ويستدعيه ،
فلو أمرته أن يصعد المنبر فجأة لانتضح ؛ فأمر رسولا فأخذ بيده فصعد به المنبر ،
فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال : إن لأمر
المؤمنين أشباها أربعة : الأسد الخادِر ، والبحر الزاخر ، والقمر الباهر ، والريم
الناضر ، فأما الأسد الخادر فأشبهه صولته ومضاءه ، وأما البحر الزاخر فأشبهه
جوده وعطاه ، وأما القمر الباهر فأشبهه نوره وضياه ، وأما الريم الناظر
فأشبهه حسنه وبهاه ، ثم نزل .

وهذا الكلام يُنسبُ إلى ابن عباس يقول في علي بن أبي طالب رضي الله عنهما .
وكان شبيب بن شيبة من أفصح الناس وأخطبهم ، ويشبهه بخالد بن صفوان ؛
غير أن خالداً كان أعلى منه قدراً في الخاصة والعامة . وذكر خالد شبيباً فقال :
ليس له صديق في السر ولا عدو في العلانية . وكانت بينهما معارضة^(٢) للنب
والجوار والصناعة ، ولما قال الشاعر :

فَنَحَّ شَبِيبًا عَنْ قِرَاعِ كَتِيبَةٍ وَأَذِنَ شَبِيبًا مِنْ كَلَامِ مُلَفَّقٍ
وكان لا ينظر إليه أحد وهو يخطف إلا تبين فيه الخجل .

وقال أبو تمام لعلي بن الجهم :

لَوْ كُنْتُ يَوْمًا بِالنَّجُومِ مُصَدِّقًا لَوَحَيْتُ أَنَّكَ نَلْتَ شَكْلَ عَطَّارِدٍ
أَوْ قَدَمْتِكَ السَّنَّ خِلْتُ بِأَنَّهُ مِنْ لَقِظِكَ اشْتَقَّتْ بِلَاغُهُ خَالِدٌ

وقالت له امرأة : إنك لجَمِيل يا أبا صفوان . قال : كيف تقولين هذا وما
في عموِّ الجلال ولا ردأؤه ، ولا بُزْأه . عموؤه الطول ، ولست بطويل ، وِرْدأؤه

(١) تختلف الأصول في هذا الاسم ؛ فبعضها يقع فيه « شبيب بن شبة » بياه
موحدة مشددة بعد الشين ، وبعضها يقع فيه « شبيب بن شيبة » بياه مشددة تحتية
ساكنة ثم باه موحدة مفتوحة ، ويتمم الكلام : يتكلفه (م) (٢) في نسخة
« مغاوضة » (م)

البياض ، ولست بأبيض ، وبرُنته سواد الشعر ، وأنا أضعط ! ولكن قولي :
إنك للمليح .

وكان خاله حافظاً لأخبار الإسلام ، وأيام الفتن ، وأحاديث الخلفاء ،
ونوادر الرواة ، وكل ما تصرف فيه أهل الأدب ، وله يقول مكي بن سودة :

علم بتزليل الكتاب ملقنٌ ذَكُورٌ لما سَدَّاهُ أولٌ وأولاً
يَبْدُ قَرِيعَ القومِ في كلِّ مَحَلٍّ ولو كان سحبانَ الخطيبِ ودَغَلًا
تري حُطْبَاءَ الناسِ يومَ أرتجاله كأنهم الكروانُ صادفَ أُجْدَلًا^(١)

أما سَحْبَانُ الذي ذكره فهو خطيبُ العرب بأسرها غير منازع ولا مدافع ،
وكان إذا خطب لم يُعِدَّ حرفاً ، ولم يتوقف ، ولم يتحسب ، ولم يفكر في استنباط ،
وكان يسيل غريباً ، كأنه آذَى بَحْرٍ^(٢) .

ويقال : إن معاوية قدم عليه وفد من خراسان وجههم سميد بن غفان ،
وطلب سَحْبَانَ فلم يوجد عاتة النهار ، ثم اقْتَضَبَ من ناحية كان فيها اقتضاباً ،
فدخل عليه فقال : تكلم ، فقال : انظروا لي عصاً يُقيم من أودى ، قال له
معاوية : ما تصنع بها ؟ فقال : ما كان يصنع موسى عليه الصلاة والسلام وهو
يخاطبُ ربَّه وعصاه بيده ، فجاءوه بعصا فلم يَرْضَهَا . فقال : جيتوني بعصا ،
فأخذها ، ثم قام فتكلم منذ صلاة الظهر إلى [أن فاتت] صلاة العصر ، ماتتَ حَتَجٌ ،
ولا سَلٍّ ، ولا توقف ، ولا تحبس ، ولا ابتداء في معنى فخرج منه إلى غيره حتى
أتمه ولم يبق منه شيء ، ولا سأل عن أى جنس من الكلام يخاطب فيه ، فإ
زالت تلك حاله وكل عين في الساطين شاخته إلى أن أشار له معاوية بيده
أن اسكت ، فأشار سحبان بيده أن دَعَى لا تَقَطَعْ على كلامي ، قال له معاوية :
[الصلاة . فقال : هي أملك ونحن في صلاة يتبعها تحميد وتمجيد ، وعظة وتنبية

(١) الأجدل : الصقر ، وهو من كواسر الطير (م)

(٢) الآدى : الموج (م)

وتذكّر ووعد ووعيد ، فقال معاوية : [إنك أخطبُ العرب ، فقال سبحانه :
والمعجم ، والجنّ ، والإنس .

[مجلان بن سحبان]

وكان ابنه عجلان حلوّ اللسان ، جيّد الكلام ، مليح الإشارة ، يجمعُ مع
خطابته شعراً جيداً ، ويضرب الأمثال إذا خطب ، وينتزع النادر من الشعر ،
والسائر من الثل ، فتخلو خطبته ، وكأن يرُنُ كلامه وُزْناً .

[دغفل بن حنظلة النساب]

وأما دغفل الذي ذكره مكى بن سواده فهو دغفل بن حنظلة بن يزيد أحد
بنى ذهل بن ثعلبة النساب ، وكان أعلم الناس بأنساب العرب ، والآباء والأمهات ،
وأحفظهم لمثالبها ، وأشدّهم تفكيراً وبحثاً عن مآيب العرب ، ومثالب النسب .

قال له معاوية يوماً : والله لئن قلت في هذا البيت ^(١) من قريش ما يجد في آل
حزبٍ مثلاً ؛ فتبسّم دغفل ؛ فقال له معاوية : والله لتخبرني ببسمك ، وما انضمت
عليه جوائحك ، أو لأضربنّ عنقك ، وما آمنُ أن تكذب أو تزيد .

قال : يا أمير المؤمنين ، أتم من بني عبد مناف كسّام كسّام ماء فتية ^(٢) ، ذات
مرعى خصيب ، وماء عذب ، وأكمة بارزة ، فهل يوجد في سنام هذه مدبّة
قرّاد من عاهة ؟ فقال له معاوية : أولى لك ! لو قلت غير هذا ؛ أما على ذلك
لورأيت هنداً وأباها ، وزوجها ، وأخوها ، وعمتها ، وخالها ، رأيت رجلاً تحارّ أبصارُ
من رآه فيهم ، فلا تجاوزهم إلى غيرهم ، جلالةً وبهاء .

[وصف الصالح لأمرأى بين يدي الحجاج]

وعلى ذكر الصالحى الحجاج أعرايا فقال : من أين أقبلت ؟ قال : من

(١) فى نسخة « فى هذا النسب من قريش » (م)

(٢) الكوماء : الناقة العظيمة السنام (م)

البادية . قال : ما يدرك ؟ قال : عصا أركبها لصلاتي ، وأعدها لشدائي ، وأسوق بها دابتي ، وأقوى بها على سترى ، وأعتد بها في مشيقي ، ليتسع بها خطوي ، وأعبر بها^(١) النهر فتؤمنني ؛ وألقى عليها كسائي فتسترني من الحر ، وتقيني من القُر ، وتذني ما بعد مني ، وهي رحل سترتي ، وعلاقة إداوتي ، ومسحب ثيابي ، أعتد بها عند الضراب ، وأقرع بها الأبواب ، وأتقي بها غور السكالب ، تنوب عن الرمح في الطعان ، وعن الخوذة^(٢) عند منازلة الأقران ، ورثتها عن أبي ، وأورثتها بدي ابنى ، وأهش بها على غنني ، ولي فيها مأرب أخرى ، كثيرة لا تحصى .

[عِزَّة الخليل بن أحمد]

قال النضر بن شميل : كتب سليمان بن علي إلى الخليل بن أحمد يستدعيه الخروج إليه ، ويحث إليه بمال كثير ، فردّه وكتب إليه :

أبلغ سليمان أي عنه في سعة
يسخو بنفسي أي لا أرى أحداً
والفقير في النفس لافي المال نعمة
والمال يفتق أناساً لا خلاق لهم
كل امرئ بسبيل الموت مرتين
أخذ هذا الطائي قال :

لا تُنكرى حطل الكريم من الفتى
فالسيل حرب المكان العالي
وقال أيضاً يصف قوماً خضعوا بأبي داود :
نزلوا مركز الندى وذراه
وعدتنا من دون ذاك التوادي

(١) في نسخة « وأبث بها النهر » ولا وجه له (م)

(٢) في نسخة « وعن الحرب » (م)

(٣) الدندن - بكسر الدالين - كل ما اسود من نبات أو شجر (م)

غير أن الرُّبَا إلى سُبُل الأنواء أَدْنَى، والحظُّ حظ الرِّهَادِ^(١)
وهذا الشعر من أصلح شعر الخليل ، وكان شعره قليلا ضعيفا ، بالإضافة
إليه وهو أستاذ النحو والريب ، وقد اخترق علم العروض من غير مثال تقدمه ،
وعنه أخذ سيبويه ، وسعيد بن مسعدة ، وأئمة البصريين ، وكان أوسع الناس
فطنةً ، والعظمهم ذهنا . قال الطائي :
فلو نُشِر الخليل إذا لَمُتْ رَزَاياه على فِطْنِ الخليل

للصابي يعزى
عن صفى

[من رسائل الصابي]

وكتب أبو إسحاق الصابي إلى محمد بن عباس يعزى عن طفله :
الدينا ، أطال الله بقاء الرئيس ، أقدارُ تَرَدُّ في أوقاتها ، وقضايا تَجْرِي إلى
غاياتها ، ولا يَرُدُّ منها شيءٌ عن مَدَاهُ ، ولا يصدُّ عن مطلبه وَمَنْعَاهُ ؛ فهي كالسهم
التي تثبت في الأغراض ، ولا ترجعُ بالاعتراض ؛ ومن عرف ذلك معرفة
الرئيس لم يفض من الزيادة ، ولم يَقْطُ من النقيصة^(٢) ، وأمين أن يستخف أحدُ
الطرفين حله ، ويستزل أحدُ الأمرين حَزْمَهُ ، ولم يدع أن يوطئن نفسه على
النزلة قبل نزولها ، يأخذ الأهبة للحادثة قبل حلولها ، وأن يجاور الخيرَ
بالشكر ، ويساور المِحنة بالصبر ؛ فيختير فائدة الأولى عاجلا ، ويستمرى عائدة
الأخرى آجلا .

وقد نفذ من قضاء الله تعالى في المولى الجليل قدراً ، الحديث سناً ، ما أَرْمَضَ ،
وأَوَمَضَ ، وأَقْلَقَ وأَقْصَ ؛ ومضى من التألم له ما يحقُّ على مثلي ممن توافقت
أيادي الرئيس إليه ، ووجبت مشاركته في الألم عليه ، فإننا لله وإنا إليه راجعون
وعند الله محتسبه غصناً ذَوِي ، وشهاباً حَتَا ، وفرعاً دَلَّ على أصله ، وخطيباً أُنْبِتَه

(١) الأنواء ، : الأمطار. واحدها نوء ، وفي نسخة «والحظ عند الوهاد» (م)

(٢) في نسخة « ولم يقط عند الصية ولم يحزع عند النقيصة » (م)

وَشَيْخُهُ ؛ وإليه أَسْأَلُ أَنْ يَجْعَلَ للرئيس فَرَسًا صالحًا ، وَذُخْرًا عتيْدًا ، وَأَنْ يَنْفَعَهُ يَوْمَ الدِّينِ ، حيث لَا يَنْفَعُ إِلَّا مِثْلُهُ بَيْنَ الْبَنِينَ ، بِجُودِهِ وَمَجْدِهِ .

ولَقَدْ كَانَ لِلصَّابِ عَظِيمًا ، وَالْحَادِثُ فِيهِ جَسِيًّا ، لَقَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْهِ ، وَإِلَى الرَّئِيسِ فِيهِ ؛ أَمَّا إِلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ تَزَّهَى بِالْإِحْتِرَامِ ^(١) ، عَنْ اقْتِرَافِ الْإِثْمِ ، وَصَانَهُ بِالْإِحْتِصَارِ ، عَنْ مَلَابَسَةِ الْأَوْزَارِ ، فَوَرَدَ دُنْيَاهُ رَشِيدًا ، وَصَدَرَ عَنْهَا سَمِيدًا ، نَقَى الصَّحِيفَةَ مِنْ سَوَادِ الذُّنُوبِ ، بَرَى السَّاحَةَ مِنْ دَرَنِ الْعُيُوبِ ، لَمْ تَدْنَسْهُ الْجُرَازُ ، وَلَمْ تَلْتَقْ بِهِ الصَّغَائِرُ وَالْكِبَارُ ، قَدْ رَفَعَ اللَّهُ عَنْهُ دَقِيقَ الْحِسَابِ ، وَأَسْتَمَّ لَهُ الثَّوَابُ مَعَ أَهْلِ الصَّوَابِ ، وَأَلْحَقَهُ بِالصَّدِيقِينَ الْفَاضِلِينَ فِي اللَّعَادِ ، وَبَوَّاهُ حَيْثُ أَفْضَلُهُمْ مِنْ غَيْرِ سَعَى وَلَا اجْتِهَادِ .

وَأَمَّا الرَّئِيسُ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا اخْتَارَ ذَلِكَ لَهُ قَبْضَهُ قَبْلَ رُؤْيَيْهِ إِلَيْهِ عَلَى الْحَالَةِ ^(٢) الَّتِي تَكُونُ مَعَهَا الرِّقَّةُ ، وَمَعَايِنَتُهُ الَّتِي تَتَضَاعَفُ مَعَهَا الْخُرْقَةُ ، وَتَحْتَمُّ مِنْ فِتْنَةِ الْمَرَاةَةِ ، لِبَرَقَتِهِ عَنْ جَزَعِ الْفَارِقَةِ ، [وَكَانَ هُوَ الْمَبْقَى] فِي دُنْيَاهُ ، وَهُوَ الْوَاحِدُ لِلْمَاضِي الذَّخِيرَةِ لِأَخْرَاجِهِ ، وَقَدْ قِيلَ : إِنْ تَسَلَّمَ الْجِلَّةُ فَالْتَّخَلَّ هَدَرُ ^(٣) ؛ وَعَزَّزَ عَلَى أَنْ أَقُولَ قَوْلَ الْمُهَوَّنِ لِلْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ ، وَالْأَوْفَى التَّوَجُّعُ عَلَيْهِ وَاجِبٌ فَقَدِهِ ، فَهُوَ لَهُ سَلَاةٌ ، وَمِنْهُ بَعْضَةٌ ، وَلَكِنْ ذَلِكَ طَرِيقُ التَّنْصِيَةِ ، وَبَيْلُ التَّعْزِيَةِ ، وَالنَّهْجُ الْمُسْلُوكُ فِي مَخَاطَبَةِ مِثْلِهِ ، مِمَّنْ يَقْبَلُ مَنَفْعَةَ الذِّكْرِ وَإِنْ أَغْنَاهُ الْإِسْتِغْثَارُ ، وَلَا يَأْبَى وَرُودَ اللَّوْعِظَةِ وَإِنْ كَفَّاهُ الْإِعْتِبَارُ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَبْقَى الرَّئِيسَ الْمَصَائِبَ ، وَيُعِيدُهُ مِنَ التَّوَائِبِ ، وَيَرْعَاهُ بَيْنَهُ الَّتِي لَا تَنَامُ ، وَيَجْعَلُ فِي حِمَامِهِ الَّذِي لَا يُرَامُ ، وَيُبْقِيهِ مَوْفُورًا غَيْرَ مُنْتَقَصٍ ، وَيَقْدُمُنَا إِلَى السُّوءِ أَمَامَهُ ، وَإِلَى الْخُذُورِ قَدَامَهُ ، وَيُبِيدُ بِي مِنْ بَيْنِهِمْ فِي هَذِهِ الدَّعْوَةِ ، إِذْ كُنْتُ أَرَاهَا مِنْ أَسَدِ أَحْوَالِي ، وَأَعْدُوها مِنْ أَلْبَغِ أَمَانِي وَأَمَالِي .

(١) الاحترام : الموت (م)

(٢) في نسخة « على الحالة التي تصعب معها الرقعة ، وتتضاعف عندها الخرقعة » (م)

(٣) الجلة - بكسر الجيم - اللسان من الإبل ، والسخل - بفتح فسكون - وله

الشاة ، واحدة سخلة (م)

من الصافي
إلى بعض
الرؤساء

وكتب إلى بعض الرؤساء :

قد جَرَتْ المادَّةُ — أطال الله بقاء الأمير! — بالتمهيد للحاجة قبل موردِّها، وإسلاف الظنون الداعية إلى نجاسها، وسالكُ هذه السبيل يسئ الظن بالمسئول؛ فهو لا يلتزمُ فضلَه إلاَّ جزاءً، ولا يستدعي طَوْلَه إلاَّ قضاءً؛ والأميرُ بكرمه الغريب، ومذهبه البديع، يؤثر أن يكون السلفُ له، والابتداء منه، ويوجب للمهاجم برغبته عليه حقَّ الثقة به منه، والحمدُ لله الذي أفرد بالطرائق الشريفة، وتوَحَّدَه^(١) بالخلائق المنيعة، وجعل عينَ زمانه البصيرة، ولتمته الثاقبة للنيرة^(٢).

[من رسائل البديع]

كتاب منه
إلى بعض
أصحابه

وكتب البديع في بابِه إلى بعض أصحابه :

لك أعزُّك الله عادةً فضل، في كل فصل، ولنا شُبُه مَنَّتْ، في كل وقت؛ ولعمري إن ذا الحاجة مَنِيَّتُ الظُّلْمَةُ، ثَقِيلُ الوطْأَةِ، وَلَكِنْ لَيْسُوا سِوَاهُ [أَوَّلُو^(٣) حاجة محتاج إليهم الأموال، وأولو حاجة تحوجهم الآمال.

والأمير أبو تمام عبدُ السلام بن الفضل^(٤) اللطيفُ لله أميرُ المؤمنين — أيده الله — إن أحوجُه الزمانُ فطالما خَدَمَه، وإن أهانَه فكثيراً ما أكرمه وثممه. وقديماً أقله السرير، وعرفه الخَوَزَنِيُّ والسدير. وإن نقصه المال فالعَرْضُ وافر، وإن جفاه الملك فالقُضْلُ ظاهر، وإن ابتلاه الله فَلْيَبْتَلِكُمْ به فينظر كيف تفعلون. وأنت تقابلُ موردَّه عليك من الإِعْظَامِ، بما يستحقُّ من الإِكْرَامِ، فلا تنظرن إلى ثوبٍ بال، فَتَحْتَهُ شرفُ عال، ولا تقس على الثُّرَيِّدِ، ما وراءه من المجد، ولكن إن نظرت في شامخ أصله، وراسخ عقله، وشهادة الفراسة له. ثم ليأت بمد هذه الآيات ما هو قضية المروءة معه، والأخوة معي، بَأَعَا في ذلك غاية جهده، والسَّيْفُ لا يرى في غِيْده، والحمد لله حقَّ حمده.

(١) في نسخة «ووحده» وهما يعني أفرد (م) (٢) في نسخة «الباقية للنيرة» (م)

(٣) من هـ إلى العنوان الذي وضعناه في ص ٩١٩ ساقط من جميع الطبوعات (م)

(٤) في الرسائل (ص ١٦٠) «بن جعفر» (م)

كتاب منه
إلى إبراهيم
بن أحمد
بن حمزة

وله إلى أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد بن حمزة :
لو كانت الدنيا أطال الله بقاء الشيخ ! — على مرادى نجوى ، لاخترت
أن أضرب بهذه الحضرة أطناب عمرى ، وأنفق على هذه الخدمة أيام دهرى ،
ولكن فى أولاد الزنا كثرة . ولعين الزمان نظرة ، وقد كنتُ حَظِيتُ من خدمة
الشيخ المحسن بشرعة أنس نفسها بعضُ الوشاة على ، وذكر أى أقت بطوس بعد
استثنائى إلى مزق ، وفى هذا ما يطلع الشيخ ، فإن رأى أن يحسن جِزْرِ بكتاب
يعطز به مقدمى فضل إن شاء الله تعالى .

كتاب آخر
إلى أبي نصر
الليكالى

وله فى هذا الباب إلى أبي نصر الليكالى :
الشيخ — أعزّه الله — ملكٌ من قلوبى مكاناً فارغاً^(١) ، فزله غير منزل قلعة ،
ومن مودى ثوبا سابغا ، فلبسه غير لبسة خلعة ، ومن نصب تلك الشئائل
شبكة ، وأرسل تلك الأخلاق شركا ، فنصّ الأحرار فاستحشهم ، وصاد
الإخوان واسترقهم .

وتالله ما يُتَبَيَّنُ إلا من اشترى عبداً وهو يحدُّ حراً بأرخص من العبدئنا ، وأقلَّ
فى البيع غنياً ، ثم لا يهتبل^(٢) غرة وجوده ، ويتنزه فرصة امتلاكه بمجوده ، وأنا أتم
للشيخ على مكربة يتيمة ، ونعمة وسيمة . فليعزل من الرأى ما كان بهيما ، وليطلق
من النشاط ما كان عقيما ، وليحلل حَبْوة التقصير ، وليتجنب جانب التأخير ،
وليفتنْ عُدْرَتَها ، وينقض حجَّتَها وعُمُرَتَها ، برأى يجذبُ المجد باعه ، ويعمر النشاط
رباعه ؛ وتلك حاجةُ سيدى أبى فلان وقد ورد من الشيخ بحراً ، وعقد به جسراً ،
وما عسَّرَ عُذْرَهُ هو مستنجزه ، ولا يمدُّ أمرُهُ منتزهه ، ولا ضاعت نعمة أنابريدُ
شكرها ، وعزيم نشرها ، وولى أمرها ؛ وهذا القاضل قرارة مائها ، وعقاد بنائها ؛
وقد شاهدت من ظُرفه ، ما أعجز عن وصفه ، وعرفت من باطنه ما لم يُدَرِّ بظاهره ،
ورأيت من أوله ما تمَّ على آخره ، ثم له البيت المرموق ، والنسب الموموق ، والأولية

(١) يشير بهذا إلى قول الشاعر :

أتانى هواها قبل أن أعرف الهوى وحلت مكاناً لم يكن حل من قبل
ومرزل قلعة : يعنى لا يطول المقام به (م) (٢) لا يهتبل : لا يتنزه (م)

القدية ، والشيمة الكريمة ؛ وقد جَمَعْتَنَا في الود حلقة ، ونظَمْتَنَا في السفر رقة ،
وعرفني بما أنهض له وفيه ، فضمنت له عن الشيخ كَرَمًا لا يُلَقَّى بابه ، وَعَدَقًا^(١)
لا يَخْلَف سحابة ؛ فليخرجني الشيخ من عهدة هذه الثقة ، زادها إليه تأكداً ،
ولمن رأى أن أسأل الشيخ في مناه عرفني كيف للمأني له ، وإنما أَطَلْتُ ليعلم صدق
اهتامي ، وفَرَطَ تقليدي للمنة والزماي .

جواب منه
عن صنعة

وله جواب عن صنعة بصاحب هذه العناية :

ود فلان سيدي وهو عينُ بلدنا وإنسانها ، ومقلتها ولسانها ؛ فأظهر آيات
فصله ، لاجرم أنه وصل إلى الصميم ، من الإيجاب الكريم ، وهو الآن مقيم بين
رَوْح وريثان وحنة نعيم ، تحميتُهُ فيها سلام ، وآخر دعواه ذكرك وحسن التناء
عليك بما أنت أهله ، وأنا أصدقُ دعواه ، أفخر به افتخار الخبيتي بتابع مولاه ،
وقد عرفته ولسته ، وكيف يَجْرُ^(٢) في البلاغة رَسَنَه ، فإظنك به ؟ وقد ملكتها
المجالس ولحقتها العيون ، وسلَّ صارماً من فيه ، يُعيدُ شكرك ويُبدِّيه ، وينشر
ذكرك ويطويه ؛ والجماعة تمدحُ لمدحه ، وتجرح بجرحه ، نرايك في تحفظ أخلاقك
التي أثمرت هذا الشكر ، وأنتجت هذه المآثر الفرة ، موصفاً إن شاء الله تعالى .

ومن إنشائه في مقامات الاسكندري ، قال :

المقامة
الأذربيجانية

حدثنا عيسى بن هشام ، قال : لما تَلَقَّيَ النِّفَى بفاضل ذَبِيلِه ، أثمته بمال
سلبته ، أو كنز أصبته ، فَخَفَرَنِي اللَّيْلُ ، وسرَّتْ بي الخليلُ . وسلكتُ في
هربي مسالك لم يَرُضْها السَّيْرُ ، ولا اهتدَّتْ إليها الطَّيْرُ ، حتى طويتُ أرضَ
الرَّغْبِ وتجاوزتُ حدَه ، وصيرتُ إلى جِى الأَمْنِ ووجدتُ بَرْدَه ، وبلغتُ
أذربيجان وقد حَقَّيْتُ الرِّواحلُ ، وأكلتها المراحل ، ولما بلغتُها :

(١) الصدق - بالتحريك - الماء الكثير (م)

(٢) في نسخة « يجرى » وليس بذلك (م)

نزلنا على أن المقام ثلاثة فطابت لنا حتى أفتابها شهرا
 حينما أنا يوما في بعض أسواقها إذ طلع رجل برُكوة قد اعتضدها^(١)، وعصا
 قد اعتمدها، ودثية قد تقلَّسها، وفوطه قد تطيلَّسها؛ فرفع عقيرته وقال: اللهم
 يا مبدئ الأشياء ومبيدَها، ومحيي العظام ومبيدَها، وخالق الصباح ومزيره،
 وخالق الإصباح ومزيره، وموصل الآلاء سابعة إلينا، ومُحكِّم السماء أن تقع علينا،
 وبارئ النَّسم أزواجاً، وجاعل الشمس سراجاً، والسماء سقفاً، والأرض فراشا،
 وجاعل الليل سكنا والنهار معاشاً، ومنشئ السحاب قفالا، ومرسل الصواعق
 نكالا، وعالم ما فوق النجوم، وماتحت التخوم. أسألك الصلاة على سيد المرسلين
 محمد وآله الطاهرين، وأن تصينني على التربة أثني حبَّلتها، وعلى العُصرة أعبود
 ظلَّها، وأن تُسهِّل لي على يدَي مَنْ قَطَرَتْهُ الفِطْرَةُ، وأطلَمَتْهُ الطَّيْرَةُ. وسيد
 بالدينِّ المتين، ولم يَعمَ عن الحقِّ المبين، راجلةً تطوى هذا الطريق، وزاداً
 يسقى والرفيق.

قال عيسى بن هشام: فناجيتُ نَفْسِي بأن هذا الرجل أفصحُ من إسكندرَينا
 أبي الفتح، والتفتُّ لفتةً، فإذا هو أبو الفتح. قُلْتُ: يا أبا الفتح، بآع هذه
 الأرضَ كيدُك، وانتهى إلى هذا الشَّعبِ صيدُك؟ فأنشأ يقول:

أنا جَوَّالُ البَلا دِ وَجَوَّابُ الأُنْفِ
 أنا خُذْرُوقَةُ الزَما نِ وَخَمَّارَةُ الطُّرُقِ
 لا تَلْسَنِي لك الرِشا دُ على كُدَيْتِي وَدُقِ

وقال الطرماح بن حكيم:
 وما أنسَـم الأشياءَ لأَنسِ يَمَّةً من الدهرِ إذ أهل الصفاء جميع

(١) ركوة: وعاء يجمع فيه ما يحمله، واعتضدها: جعلها في عنقه (م)

وإذ دهرنا فيه اعتزاز، وطَيْرُنا سَوَاكِنُ في أوْكَارِهِنَّ وقوعُ
 فعل لليالينا بنصف مليحة وأيامهنَّ الصالحات رُجوعُ ؟
 كأن لم يَرُ عُنْكَ الظاعنون إلى بلى ومثل فراق الظاعنين يَرُوعُ ^(١)

[أيام الشباب وأيام الشيب]

وقال علي بن محمد [بن الحسن] الملوى : لعلى العلوى

وأما لأيام الشبا ب وما تيسن من الزخارف
 وذهابهن بما عرفن من الناصر والمعارف
 أيام ذكرك في دوا وين الصبا صدر الصحاف
 وأما لأيامي وأيام الشبهات للراشف
 الفارسات البان قصبانا على كُشْبِ الروادف
 والجماعات البدر ما بين المحاجب والسواف
 أيام يُظهرون الخلال ف بنير ثيات الخالف
 وقف النعم على الصبا وزلت من تلك المواقف

وقال ابن المعتز : لابن المعتز

دَعَتْنِي إلى عهد الصَّبَا رُبَّةُ الخدر
 وقالت وماه العين يخلط كحلها
 لمن تطلب الدنيا إذا كنت قابضاً
 عنانك عن ذات الوشاحين والشذر
 أراك جعلت الشيب للهجر علة
 كأن هلال الشهر ليس من الشهر
 وقال [أحمد بن أبي طاهر] :

(١) من أول موضع إشارتنا في ص ٩١٥ إلى هنا ساقط من جميع المطبوعات (م)

لأحمد بن
أبي طاهر

يا من كَلِّفْتَ بِحَبِيٍّ كَلِّفِي بِكَاسَاتِ الشُّقَارِ
وَحِيلَةَ مَا فِي وَجْهِكَ مِنَ الشَّقَاتِي وَالْبَهَارِ
وَوُلُوعَ رِدْفِكَ بِالْتَّرَجْسِجِ تَحْتَ خَصْرِكَ فِي الْإِزَارِ
مَا لِي رَأَيْتُ لِحْسَنَ وَجْهِكَ فِي الْبَرِّيَّةِ مِنْ نِجَارِ
لَا رَأَيْتُ الشَّيْبَ مِنْ وَجْهِهِ بِمَا يَحْكِي الْخَارِ
[قَالَتْ غِبَارٌ قَدْ عَلَاكَ قُلْتَ ذَا غَيْرِ الْغِبَارِ
هَذَا الَّذِي قُلْتَ لِلَّوْكَ إِلَى الْقُبُورِ مِنَ الدِّيَارِ]
قَالَتْ ذَهَبَتْ بِحَبِّجَتِي عَنِّي بِحَسَنِ الْاِعْتِذَارِ
يَا هَذِهِ أَرَأَيْتَ لَيْسَ مَذْخَلْتُ بِهَا نَهَارِ
وقال خالد الكاتب :

لخالد الكاتب

نَظَرْتُ إِلَى بَعِينٍ مِنْ لَمْ يَعْدِلِ
لَا رَأَيْتُ شَيْبًا أَلَمْ يَغْفِرْ قِيَّ
وَنَظَلْتُ أَطْلُبُ وَضَلْتُهَا بِتَمَلُّقِ
وَالشَّيْبُ يَفْزَعُهَا بِالْأَلْفِ تَقَمَّلِي
وقال ابن الرومي :

لابن الرومي

كُنِّي حَزَنًا أَنْ الشَّبَابَ مَعْبُورُ
وَعَزَاكَ عَنْ لَيْلِ الشَّبَابِ مَعَاثِرُ
قُلْتَ : نَهَارُ الْمَرْءِ أَهْدَى لِسْمِهِ
تَحَارُ الْقَتْلِ شَيْخُوخَةً أَوْ مَنِيَّةً
وقال :

كَانَ الشَّبَابُ وَقَلْبِي فِيهِ مَغْنَمٌ
فِي لَقَبٍ لَسْتُ أَدْرِي مَا دَوَّاعِيهَا

(١) الحار : المرجع ، حار يحور : رجع ، والمثبة : الموت ، والمرجع : المرجع
أيضا ، ورمدد : الرماد (م)

رَوَّحَ عَلَى النَّفْسِ مِنْهُ كَادَ يُبْرِدُهَا بَرَدَ النَّسِيمِ وَلَا يَنْفِكُ يُخْبِئُهَا
كَأَنَّ نَفْسَ كَانَتْ مِنْهُ سَارِحَةً فِي جَنَّةٍ بَاتَ سَاقِ الْمُرْنِ يَسْقِيهَا
يَمُضِي الشَّبَابُ وَيَبْقَى مِنْ لِبَاقَتِهِ شَجَوُ عَلَى النَّفْسِ لَا يَنْفِكُ يُشْجِيهَا^(١)
مَا كَانَ أَكْثَمَ عِنْدِي قَدَّرَ نَعْمَتِهِ لِنَفْسِهِ لَا لِحِلْمٍ كَانَ يُصِيبُهَا
مَا كَانَ يُوزَنُ لِإِعْجَابِ النَّسَاءِ بِهِ وَالنَّفْسُ أَوْجِبَ لِإِعْجَابِهَا بِمَا فِيهَا
وَقَالَ :

إِذَا مَا رَأَيْتُكَ الْبَيْضَ صَدَّتْ ، وَزَيْمًا غَدَوْتُ وَطَرَفُ الْبَيْضِ نَحْوُكَ أَصَوَّرَ^(٢)
وَمَا ظَلَمْتُكَ الْغَايَاتُ بِصَدِّهَا وَإِنْ كَانَ فِي أَحْكَامِهَا مَا يَجُورُ^(٣)
أَعْرِ طَرَفَكَ الْمَرَاةَ وَانْظُرْ ؛ فَإِنْ نَبَا بَعِينِكَ عَنْكَ الشَّيْبُ فَالْبَيْضُ أَعْزَرَ
إِذَا شِئْتُ عَيْنَ الْفَتَى شَيْبَ نَفْسِهِ فَعَبْنُ سِوَاهُ بِالشَّاءِ أَجْدَرَ^(٤)
وَقَالَ كُشَاجِمُ :

وَقَفَّتْنِي مَا بَيْنَ حُزْنٍ وَبُؤْسٍ وَتَلَّتْ بَعْدَ ضَحْكَةٍ بُبُؤْسٍ
إِذْ رَأَيْتُنِي مَشَعَلْتُ عَاجًا بِسَاجٍ وَهِيَ الْآبَسُوسُ بِالْآبَسُوسِ
وَقَالَ أَبُو نَوَاسٍ :

بَكَرْتُ تَبَصَّرَنِي الرَّشَادُ كَأَنِّي لَا أَهْتَدِي لِمَذَاهِبِ الْأَرَارِ
وَتَقُولُ : وَنَحْكَ قَدْ كَبُرَتْ عَنِ السَّبَا وَرَمَى الزَّمَانُ إِلَيْكَ بِالْأَعْدَارِ
فَالِي مَتَى تَعْبُو وَأَنْتَ مَتَّيْمٌ مَتَّيْلِبٌ فِي رَاحَةِ الْإِقْتَارِ
فَأَجَبْتَنِي إِنْ عَرَفْتُ مَذَاهِبِي فَصَرَفْتُ مَعْرِفِي إِلَى الْإِنْكَارِ

(١) يشجيا : يحزنها (٢) أصور : مائل (٣)

(٣) يجور : ينسب إلى الجور ، وهو ضد العدل (٤)

(٤) الشناءة : البغض والكراهية ، وشئت : أبغضت (٥)

لكشاجم

لأبي نواس

لأحمد بن زياد

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ زِيَادٍ الْكَاتِبُ :

وَلَمَّا رَأَيْتُ الشَّيْبَ حُلَّ يَاضَهُ
وَلَوْ خِلْتُ أَنِّي إِن تَرَكْتُ تَحِيَّتِي
وَلَكِنْ إِذَا مَا حُلَّ كَرُهُ فَسَاحَتُ

بِمَفَرَّقٍ رَأْسِي قُلْتُ : أَهْلًا وَمَرْحَبًا
تَنَكَّبَ عَنِّي رُمْتُ أَنْ يَتَنَكَّبَا
بِهِ النَّفْسُ يَوْمًا كَانَ لِلْكَرْهِ أَذْهَبًا

كَأَنَّ هَذَا الْبَيْتَ يَنْظُرُ إِلَى قَوْلِ الْأَوَّلِ :

وَجِئْتُ إِلَى النَّفْسِ أَوَّلَ مَرَّةٍ
فَرَدَّتْ إِلَى مَعْرِفَتِهَا فَاسْتَعْرَفَتْ

أَبُو الطَّيِّبِ :

لِلتَّنْبِيْهِ

أَنْتَكُرْتُ طَارِقَةَ الْحَوَادِثِ مَرَّةً
ثُمَّ اعْتَرَفْتُ بِهَا فَصَارَتْ دَيْدَنًا

ابن الروي :

لِابْنِ الرَّوِيِّ

لَا حَ شَيْئِي فَصُرْتُ أَمْرَحُ فِيهِ
وَتَوَلَّى الشَّبَابُ فَازْدَدْتُ غَيًّا
إِنَّ مِنْ سَاءِ الزَّمَانِ شَيْءٌ

مَرَّحَ الطَّرْفَ فِي الدِّبَارِ الْمَحَلِّي
فِي مِيَادِنِ بَاطِلِي إِذْ تَوَلَّى
لَأَحَقُّ الْوَرَى بِأَنْ يَتَسَلَّى

[النتهي :

أَرَأَيْتَ أَسْوَأَ نَفْسٍ لَمَّا
سَاءَ فِي الدَّهْرِ ؟ لَا ، لِمَرِي ، كَلَّا !]

النتهي :

لِلتَّنْبِيْهِ

تَصْنَعُوا الْحَيَاةَ لِلْجَاهِلِ أَوْ غَافِلٍ
وَلَنْ يُفَالِطَ فِي الْحَقَائِقِ نَفْسَهُ
[البحرئى^(١) :

تَعَامَى فِيهِمَا وَمَا يُتَوَقَّعُ
وَيَسُومُهَا طَلَبُ الْحَالِ فَيَطْمَعُ

يَكْفِيكَ مِنْ حَقِّ تَحْيِيلٍ بَاطِلٍ
تَرْدِي بِهِ نَفْسُ الْأَلْفِيفِ فَتَرْجِعُ

لِلْبَحْرِئِ

(١) سقطت هذه الكلمة من جميع المطبوعات ، والبيت الآتي ليس من قصيدة
النتهي التي منها البيتان السابقان على هذه الكلمة ، وهو ثابت في شعر البحرئى ،
لا جرم كانت هذه الكلمة من أئرم اللازمات (م)

وقلنا تصحُّ مناقطات أهل العقول، عند أهل التحصيل، وما أحسن

ما قال الطائي:

لأبي تمام
الطائي

لَيْبَ الشَّيْبِ بِالْمَقَارِقِ، بَلْ جَدَّ قَأْبُكِي مُتَمَاضِرًا وَلَعُوبًا^(١)

يَا نَيْبَ الثَّغَامِ ذَنْبُكَ أَجْبَى حَسَنَاتِي عِنْدَ الْحَسَانِ ذُنُوبًا^(٢)

لَوْ رَأَى اللَّهُ أَنَّ فِي الشَّيْبِ فَضْلًا جَاوَزَتْهُ الْأَبْرَارُ فِي اخْتِلَافِ شَيْئًا

وقد جاء في التباغل عن الدهر وأحداثه، ونكباته، ومصائبه، ونجاته،

والتسلل عن المموم، بماء الكروم، شعر كثير؛ فما يتعلق منه بذكر الشيب

قول ابن الرومي:

لابن الرومي

سَأَغْرِضُ نَحْنُ أَعْرِضُ الدَّهْرَ دُونَهُ وَأُشْرِبُهَا صِرْفًا وَإِنْ لَمْ لَوْمٌ

فَإِنِّي رَأَيْتُ الْكَأْسَ أَكْرَمَ خُلَّةٍ وَفَتَى لِي وَرَأْسِي بِالشَّيْبِ مُقَمَّمٌ

وَصَلَّتْ فَلَمْ تَبْخَلْ عَلَيَّ بِوَصْلِهَا وَقَدْ بَخِلْتَ بِالْوَصْلِ عَلَيَّ تَكْتُمُ^(٣)

وَمَنْ صَادَمَ اللَّذَاتِ إِنَّ خَانَ بَعْضَهَا لِيُزْغِمَ دَهْرًا سَاءَهُ فَهُوَ أَرْغَمُ

أَمِنْ بَعْدَ مَتَوَى الْمَرَّةِ فِي بَطْنِي أَمِهِ إِلَى ضَيْقٍ مَتَوَاهُ مِنَ الْقَبْرِ يَسْلَمُ

وَلَمْ يَبْقَ بَيْنَ الضَّيْقِ وَالضَّيْقِ فَرْجَةٌ أَبِي اللَّهِ! إِنَّ اللَّهَ بِالْبِدِّ أَرْحَمُ!

وقال القمطوي:

للمطوي

أُعْجِبْتَنِي إِنْ أَنَاخَ بِي الدَّهْرُ لَمَّا كُنْتُ إِلَى الْأَقْدَاحِ

لَا تَرَدُّ الْمُمُومُ يُنْشِئُنِي أَنْفَا رَأَى حِدَادًا يَشْرِبُ مَاءَ قِرَاحِ

أَحْدَاثِهِ، صَارَتِ الْكَأْسُ تَأْسُو دُونَ إِخْوَانِي الثَّقَاتِ جِرَاحِ

وقال ابن الرومي [ونحله بشارا]:

لابن الرومي

وَقَدْ كُنْتُ ذَا حَالٍ أُطِيلُ أَذَّ كَارِهَا وَإِرْعَادَهَا قَلْبِي لِأَهْزِ مَجْبَا^(٤)

(١) مُتَمَاضِرٌ وَلَعُوبٌ: من أسماء نساء العرب (م)

(٢) الثَّغَامُ - زينة السحاب - نبت أبيض الزهر والتمر (م)

(٣) تَكْتُمُ: من أسماء النساء أيضا (م)

(٤) فِي نَسْخَةِ « وَإِرْعَادَهَا قَلْبِي نَوَى الدَّهْرُ مَجْبَا » (م)

فَبَدَّلْتُ حَالاً غَيْرَ هَاتِكِ ، غَابَتِ
وَكُنْتُ أَدِيرُ الْكَأْسَ تَلَايَ رَوِيَّةً
وَكُنْتُ مَزِيداً فِي سُرُورِي وَمُتَمَتِّعِي
وَهَذَا كَمَا قَالَ فِي قَيْئَنَةٍ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ هَذَا الْبَابِ :

شَاهَدْتُ فِي بَعْضِ مَا شَاهَدْتُ مُسَمِّعَةً
غَلَّتْ أَشْرَبُ بِالْأَرْطَالِ ، لِأَطْرَبَا
وَمِنْ مَلِيحِ شَمْرِهِ فِي الشَّيْبِ :

وَمِنْ نَكِدِ الدُّنْيَا إِذَا مَا تَصَكَّرَتْ
إِذَا رُمْتُ بِالْمُقَاشِ تَنْفَ أَشْلَهِي
يَرَوْعُ مَقَاشِي نَجْصُومَ مَسَاحِي
وَقَالَ أَبُو الْفَتْحِ كُشَاجِمُ :

لَا فِي الْفَتْحِ
كُشَاجِمُ

أَخَى قَمَ صَاوِفِي عَلَى تَنْفَرِ شَيْبَةٍ
إِذَا مَا مَعَى لِلْمُقَاشِ يَأْتِي بِهَا أَتَتْ
كَبَّانٍ عَلَى السُّلْطَانِ يُجَزَّى بِذَنْبِهِ
وَقَدْ وَشَحَتْ هَذَا الْكِتَابَ بِقَطْعِ خُتَارَةٍ فِي الشَّيْبِ وَالشَّابِّ ، وَجِثَتْ هَهُنَا بِمُحْمَلَةٍ ، وَهَذَا النَّوْعُ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ نَحِيطَ بِهِ اخْتِياراً ، أَوْ نَبْلِغَهُ اخْتِياراً .

شُفُورُ لِأَهْلِ الْعَمْرِ ، فِي وَصْفِ الشَّيْبِ وَمَدْحِهِ وَذَمِّهِ

ذَوَى غُصْنٍ شَبَابِهِ . بَدَتْ فِي رَأْسِهِ طَلَائِعُ الشَّيْبِ ، [أَخَذَ الشَّيْبُ بِسِنَانِ
شَبَابِهِ] ، غَزَاهُ الشَّيْبُ بِمَيُوسِهِ ، طَرَزَ الشَّيْبُ شَبَابَهُ ، أَقْمَرَ لَيْلُ شَبَابِهِ ، أَلْجَاهُ

(١) فِي نَسْخَةِ « فَأَضَحَتْ مَعْزَى مِنْ هُمُومِي وَمَهْرِيَا » (م)

(٢) فِي ابْنِ الرُّومِيِّ « يَرَاوُغُ مَقَاشِي » (م)

بلجامه ، وقاده بزمامه ، علاه غبارُ وقائع الدهر . وزن هذا لابن المعتز • هذا غبارُ وقائع الدهر • ينأهو راقد في ليل الشباب ، أيقظه صبحُ للشيب . طوى مرلحلُ الشباب ، وأنفق عمره بغير حساب . جاوز من الشباب مرأجل ، وورد من الشيب منأكل . قلَّ الدهرُ شيئاً شبابه ، وعما محاسنُ روائه . قضى بأكورة الشباب ، وأنفقَ نفازةَ الزمان . أخلقَ بُرْدَةَ الصبا ، ونهاه النهى عن الهوى . طار غرابُ شبابه . انتهى شبابه ، وشاب أترابه . استبدل بالأدم الأبلق ، وبالغراب العقيق ^(١) . انتهى إلى أشدَّ الكهل ، واستعاض من حلك الغراب بقادمة النس . افتزعن ناب القارح ، وقرع ناحِذَ الحلم ، وارتاضَ بلجام الدهر ، وأدرك عصر الخنكة وأوان للسكة . جمع قوة الشباب إلى وقار للشيب . أسفر صبح للشيب ، وعلته أبهة الكبير . خرج عن حدِّ الحدائة ، وارتفع عن غيرة الفرارة . نفّض حيرة الصبا ، ووّلى داعية الحجا . لمّا قام له الشيب مقام النصيح ، عدل عن علائق الحدائة بتوبة نصوح . الشيب حلية العقل وشيبة الوقار . الشيب زبدة مخمّتها الأيام ، وفضة سبكها التجارب . سرى في طريق الرشد بمصباح الشيب . عصى شياطين الشباب ، وأطاع ملائكة الشيب . الشيخ يقول عن عيان ، والشاب عن سماع . في الشيب استحكام الوقار وتناهى الجلال ، وميمم التجربة ، وشاهد الخنكة الشيب مقدّمة الموت والمهرم ، والمؤذّن بالخراف ، والقائد للموت . الشيبُ رسول للمية . الشيب عنوان الفساد . الموت ساحل ، والشيب سفينة تقرب من الساحل . صفا فلان على طول العمر ، صفا التبر على شُب الجمر ^(٢) . لقد تنهت به الأيام تهذيباً وتحلياً ، وتنهت به السن تجريباً وتحنيكاً . قد وعظه الشيبُ

(١) الأدم : الأسود ، والأبلق : الذى لونه البلقه . وهى سواد فى بياض ، والعقيق : طائر لونه مختلط من سواد وبياض (م)

(٢) فى نسخة « على مقت الجمر »

بَوْخَطُهُ ، وَخَبَطَ السِّنَّ بِإِبْنِهِ وَسَبَّطَهُ ، قَدْ تَضَاعَفَتْ عَقُودُ عَمْرِهِ ، وَأَخَذَتْ الْأَيَّامُ مِنْ جَسَمِهِ . وَجَدَ مَسَّ الْكِبَرِ ، وَلَحِقَهُ ضَعْفُ الشَّيْخُوخَةِ ، وَأَسَاءَ إِلَيْهِ أَمْرُ السِّنِّ ، وَاعْتَراضُ الْوَهْنِ . هُوَ مِنْ ذَوَى الْأَسْنَانِ الْعَالِيَةِ ، وَالصَّحْبَةِ لِلْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ . هُوَ رِمٌّ حَرَمٌ ، قَدْ أَخَذَ الزَّمَانُ مِنْ عَقْلِهِ . كَمَا أَخَذَ مِنْ عَمْرِهِ . تَلَّمَهُ الدَّهْرُ تَلْمَ الْإِنَاءِ ^(١) ، وَتَرَكَهُ كَلِذَى الْغَارِبِ الْمُنْكَوْبِ ، وَالسَّتَامِ الْمَجْبُوبِ . رَمَاهُ مِنْ قَوْسِهِ ^(٢) الْكَبِيرُ . أَرَبَقَ مَا هُوَ شَبَابُهُ ، وَاسْتَشَنَّ أَدِيمَهُ . كَسَرَ الزَّمَانُ جَنَاحَهُ ، وَنَقَضَ مِرْمَرَتَهُ . طَوَى الدَّهْرُ مِنْهُ مَا نَشَرَ ، وَقَتِدَهُ الْكِبَرُ . يَرْسُفُ رَسْفَانُ الْمَقْتَدِ ، هُوَ شَيْخٌ مَجْتَثٌ ^(٣) الْجَنَّةِ ، وَاهِي اللَّئِنَةِ ، مَقْلُولُ الْقُوَّةِ وَمَقْلُولُ الْفَتْوَةِ ^(٤) ، تَقَاتَتْ عَلَيْهِ الْحَرَكَةُ ، وَاخْتَلَفَتْ إِلَيْهِ رُسُلُ الْمَنِيَّةِ . مَا هُوَ إِلَّا شَمْسُ الْمَصْرِ ، عَلَى الْقَصْرِ . أَرْكَانُهُ قَدْ وَهَتْ ، وَدُرَّتُهُ قَدْ تَنَاهَتْ . هَلْ بَعْدَ النَّايَةِ مَنَزَلَةٌ ، أَوْ بَعْدَ الشَّيْبِ سِوَى الْمَوْتِ مَرَحَلَةٌ ؟ مَا الَّذِي يُرْجَى مِنْ كَانَ مِثْلُهُ فِي تَعَاوُرِ الْخُلُطَاءِ . وَتَحَاذُلِ الْقَوَى ، وَتَدَاوِيِ اللَّذَى ، وَالتَّوَجُّهِ إِلَى الدَّارِ الْأُخْرَى ، أَبْعَدُ دِقَّةِ الْعَقْلِ ، وَرَقَّةِ الْجِلْدِ ، وَضَعْفِ الْحَسَنِ ، وَتَحَاذُلِ الْأَعْضَاءِ ، وَتَفَاوُتِ الْأَعْتَدَالِ ، وَالتَّرَبُّبِ مِنَ الزَّوَالِ . وَالَّذِي بَقِيَ مِنْهُ دَمَاءٌ ^(٥) يَرْقُبُهُ لِلنُّوْنِ بِمَرَصَدٍ ، وَحُشَانَشَةٍ هِيَ هَامَةٌ الْيَوْمِ أَوْ غَدٍ . قَدْ خَلَقَ عَمْرَهُ ، وَانطَوَى عَيْشُهُ ، وَبَلَغَ سَاحِلَ الْحَيَاةِ ، وَوَقَفَ عَلَى نَيْفَةِ الْوَدَاعِ ، وَأَشْرَفَ عَلَى دَارِ الْمَقَامِ ، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْفَاسٌ مَعْدُودَةٌ ، وَحَرَكَاتٌ مَحْصُورَةٌ . نَضَبُ غَذِيرُ شَبَابِهِ .

فقر لغير واحد في المشيب

قيس بن عاصم : الشيبُ خطام المنية . أكرم بن صفيق : الشيب عنوان الموت . الحجاج بن يوسف : الشيب نذير الآخرة . غيره : الشيب نوم الموت .

- (١) في نسخة «تلمة الإناء» (م) (٢) في نسخة «من قومه» (م)
 (٣) في نسخة «محبب الجنة» (م) (٤) في نسخة «معلول الفتوة» (م)
 (٥) القدماء - جتج القidal - شبة النفس (م)

العتى : الشيبُ جمع الأمراض . العتاي : الشيبُ نذير المنيّة . محمود الوراق : الشيبُ أحد الميتين . ابن المعتز : الشيبُ أولُ مواعد القناء . وقال : عظم الكبير فإنه معروف الله قبلك ، وارحم الصغير فإنه أغرّ بالدنيا منك . غيره : الشيبُ قناعُ الموت . الشيبُ غمامٌ قَطَرُهُ الغيوم . الشيبُ قَذَى عَيْنِ الشباب .

نظر سليمان بن وهب في المرأة فرأى الشيب ، قال : عَيْبٌ لاعدمناه !
وقيل لأبي الحيثاء : كيف أصبحت ؟ قال : في داء يتمناه الناس !
ابن المعتز :

أَنكَرْتَ شَرَّ مَشْيِي وَوَلَّتْ بدموع في الرداء سُجُوم
اعذري يا شَرَّ شَيْئِي بِهِمْ إِنَّ شَيْبَ الرَّأْسِ نَوْرُ الْهُمُوم
مسلم بن الوليد :

الشَّيْبُ كَرَّةٌ ، وَكَرَّةٌ أَنْ أَفَارِقَهُ أَغْصِبَ لَشَيْءٍ عَلَى الْبُضَاءِ مَوَدود
يَمْنَى الشَّابُّ فَيَأْتِي بَعْدَهُ بَدَلٌ وَالشَّيْبُ يَذْهَبُ مَقْفُوداً بِمَقْفُود
وقال آخر :

لَوْ أَنَّ عُجَرَ النَّفْيِ حِسَابٌ كَانَ لَهُ شَيْبُهُ فَذَلِكَ^(١)
وقال بعضهم :

ولى صاحباً ما كنتُ أهوى اقترابه فلما التقينا كان أكرمَ صاحب
عزيزٌ علينا أن يفارق بسداً تمنيتُ دهرًا أن يكون مُجَانِبِي
يعنى الشيب ، يقول : لم أكن أشتى اقترابه ، فلما حل كان أكرم صاحب ، عزيز على مجانبته ؛ لأنه لا يجانب إلا بالموت .

(١) الفذالك : جمع فذلكة ، وهى جملة الحساب ، ووقع في نسخة « كان له شيبه عنابا » (م)

أبو إسحاق الصابي :

والسرُّ مثلُ الكاسِ ير سب في أواخرها القدي

أبو الفضل الميكالي :

أُتِخَّ شَبَابُكَ مِنْ كُفْرٍ وَمِنْ طَرَبٍ وَلَا تُصِخْ لِلْأَمِّ تَمَعٌ مُسْكَنْثٍ

فَيُورُ عَمْرٍ الْقَيِّ رِيْعَانُ جَدَّتِهِ وَالسَّرُّ مِنْ فُضَّةٍ وَالشَّيْبُ مِنْ خَبَثٍ

[بعض ما قالوه في الخُضَاب]

في ذكر الخُضَاب : الخُضَابُ أَحَدُ الشَّبَابِينَ

عبدان الأصبهاني :

فِي مَشْيِي شِمَاكَ لَمْ ذَاتِي وَهُوَ نَائِعٌ مَنَعُ لِي حَيَاتِي

وَيَعِيبُ الْخُضَابُ قَوْمٌ، وَفِيهِ لِي أَنْسُ إِلَى حُضُورِ وَفَاتِي

لَا وَمَنْ يَسْلُمُ السَّرَّائِرَ إِنِّي مَا تَطَلَّبْتُ خَلَّةَ الْغَانِيَاتِ^(١)

إِنَّمَا رَمَيْتُ أَنْ يَغِيَّبَ عَنِّي مَا تُرِيْبُهُ كُلَّ يَوْمٍ مِرَاتِي

وَهُوَ نَائِعٌ إِلَيَّ نَفْسِي، وَمَنْ ذَا سَرَّهُ أَنْ يَرَى وَجْهَ النُّعَاةِ؟

ابن المعتز :

رَأَتْ شَيْبَةً قَدْ كُنْتُ أَغْفَلْتُ قَصَّهَا وَلَمْ تَتَمَهَّدْهَا أَكْفَتْ الْخُضَابُ وَاضِبِ

قَالَتْ : أَشَيْبٌ مَا أَرَى أَقَلْتُ : شَامَةٌ قَالَتْ : لَقَدْ شَأْنَتْكَ عِنْدَ الْحَبَائِبِ

الأمير أبو الفضل الميكالي :

قَدْ أَبَى لِي خِضَابُ شَيْبِي فُزَادَ فِيهِ وَجِدَ بِكُمْ سِرِّي وَلَوْعِ^(٢)

خَافَ أَنْ يَحْدِثَ الْخُضَابُ نَصُولًا وَنَصُولُ الْخُضَابِ شَوْءٌ بَدِيعٌ

وَقَالُوا : الْخُضَابُ مِنْ شُهُودِ الزُّورِ ، وَالْخُضَابُ حَدَادُ اللَّشِيبِ ، [إِنْ خُضِبَ

الشَّرُّ] فَكَيْفَ يَخْضِبُ الْكَبِيرُ . الْخُضَابُ كَفَنُ الشَّيْبِ .

(١) في نسخة « مَا تَطَلَّبْتُ حَلِيَةَ الْغَانِيَاتِ » والحقة بضم الحاء - الحصة (م)

(٢) في نسخة « مراد حدثني بكم سري » (م)

قولهم في
الخُضَابِ

ابن الرومي :

ليس تُنْفِي شهادة الشَّعر الأسود شيئاً إذا استنشَّ الأديمُ
أفبرجوس وُسوداً أن يَزَكَّى شاهد الخضب؟ أين ضلَّ الحليمُ؟
لا لعمري ما للخضب لدى الأبصار إلا التكذيبُ والتأنيبُ
يدعى للكبير شَرخَ شبابٍ قد تولى به الشبابُ القديمُ
والسوادُ الدَّعيُّ أو جَبْ تكذيباً إذا كَذَبَ السوادُ الصميمُ

وله أيضاً في هذا المعنى :

كالو أردنا أن نُحْمِلَ شبابنا مَشِيكاً ولم يَأْتِ المَشيبُ تمذراً
كذلك يُعْنِنا إحالةُ شيبنا شباباً إذا ثوبُ الشبابِ تمسراً
أبى الله تدويرَ ابن آدم نفسه وأنى يكون البَدُّ إلا مُدْبِراً
وقال :

قل للسود حين شيب : هكذا كَذَبَ التَّوَانِي في سوادِ عذارِهِ
فكذبته في ودهن كَذَاكا^(١) هيهات غَرْكَ أن يُقَالَ غَرَاثُ
أبى الدوامى غيرهن دَهاكا لا تحسبن خَدَعْتُهُنَّ بحيلةٍ
بل أنتَ ويحك خَادَعْتَكُمُنَا كَا وقال أبو الطيب التتبي :

وَمِنْ هَوَى كُلِّ مَنْ لَيْسَتْ مُمَوَّهَةٌ وَمِنْ هَوَى الصَّدْقِ فِي قَوْلِي وَعَادَتِهِ
تَرَكْتُ لَوْنَ مَشِيحِي غَيْرَ غَضُوبٍ لَيْتَ الْحَوَادِثُ بَاعَتْني الَّذِي أَخَذْتُ
رَغِيتُ عَنْ شَعْرِ فِي الْوَجْهِ مَكْذُوبٍ فَا الْخَدَائَةُ مِنْ حِلْمٍ بِمَانَةِ
مَعْنِي يَحْلِي الَّذِي أَعْطَتْ وَتَجَرَّبِي قَدْ يَوْجِدُ الْحِلْمُ فِي الشَّبَابِ وَالشَّيْبِ

(١) في نسخة « فكذبته في ردهن كذاكا » تطبيع (م)

غيره :

يا خاضبَ الشيب بالحناء يَسْرُوهُ سَلِّ الإلهَ له سِرًّا من النارِ
وقد سلك أبو القاسم مسلكا طريقاً في قوله :
أَفْدَى للماضبة التي أَتَبَّعْتُهَا كَفَا يَشْتَعِ عَيْسَهَا إِذْ آبَا^(١)
والله لولا أَنْ يُسْقَى الصَّبَا ويقولَ بعضُ القائلين نَصَابِي
لكسرت دُمْلَجَهَا لَضِيقِ عَنَاقِهِ وَلَشَتُّ مِنْ فِيهَا البرودَ رُضَابَا^(٢)
بِذَّتُمْ فَلَوْلَا أَنْ أَغْيَرَ لَمَيَّ عَتَبَا وَأَلْقَاكُمْ عَلَى غَضَابَا^(٣)
نَحَضَبْتُ شَيْبَا فِي عِذَارِي كَأَمَّا وَحَوْتُ مَحْوِ النَّفْسِ مِنْهُ شَبَابَا^(٤)
وخلعته خَلَعَ النِّجَادَ مَذَمَّا وَاعْتَصَتْ مِنْ حِلَابِهِ حِلَابَا
ولبست مُبَيَّضَ الحِدَادِ عَلَيْكُمْ لَوَأْنِي أَحْمَدُ البِيضَ خَضَابَا
وَإِذَا أَرَدْتُ إِلَى الشَّيْبِ وَفَادَةَ فَاجْعَلْ إِلَيْهِ مَطِيكَ الْأَحْقَابَا
فَلتَأْخُذَنَّ مِنَ الزَّمَانِ حِمَامَةَ وَلتَدْفِنَنَّ إِلَى الزَّمَانِ غَرَابَا
مَاذَا أَقُولُ لِرَيْبِ دَهْرِ خَائِنٍ يَجْمَعُ المِدَادَةَ وَفَرَّقَ الْأَخْبَابَا

[الوليد بن يزيد وقد غلبت عليه لذاته]

وقيل للوليد بن يزيد بن عبد الملك لَمَّا غلبت عليه لذاته . وملكوته
شهواته : يا أمير المؤمنين ؛ إن الرعية ضاعت بتضييعك أمرها ، وتركك ما يجب
عليك من مصلحتها . فقال : ما الذي أغفلناه من واجب حقها ، وأسقطناه من
مفروض ذمامها ؟ أَمَا كَرَّمْنَا دَائِمًا ، ومَعْرِفْنَا شَامِلًا ، وسلطاننا قائم ؛ وإيماننا
ما نحن فيه ، يُبَسِّطُ لَنَا فِي النِّعَةِ ، وَمُسْكِنٌ لَنَا فِي الْمَكْرَمَةِ ، وَأَذَلَّتْ لَنَا الْأُمَّةَ^(٥) ،
وَمُدَّتْ لَنَا فِي الْحَرَمَةِ ، فَإِنْ تَرَكْتُ مَا بِهِ وَسْعٌ ، وامتنعت عما به أنعم ، كنت أنا

(١) العيس : الإبل ، وفي نسخة « ما آبا » (م)

(٢) في نسخة « بضيق عناقها » والرضاب : ماء القم (م)

(٣) في نسخة « أَنْ أَغْيَرَ لَمَيَّ عَتَبَا » (م) (٤) في نسخة « في عذارى كاذبا » (م)

(٥) في نسخة « وَأَذَلَّتْ لَنَا فِي الْأُمَّة » (م)

الزبل لنعمى بجلا ينال الرعية ضره ، ولا يبرؤدهم ثقله ^(١) . يا حاجب لا تأذن لأحد فى الكلام .

وقال عمرو بن عبدة للوليد بن يزيد ، وكان خاصا به : يا أمير المؤمنين ؛ أنطقتى بالأنس ، وأنا أسكت بالهيبه ، وأراك تأمرنا بأشياء أنا أخافها عليك ، أفأسكت مطيعاً أم أقول مشفقاً ؟ قال : كل مقبول منك ، معلوم فىه فتتك ^(٢) ؛ والله فىنا علم غيب نحن صائرون إليه ! وتعود فتقول . قتل الوليد بعد ذلك بشهر .

[بين الحجاج وأهل العراق]

وقال عبد الملك بن مروان للحجاج : إني استعملتك على العراق ، فأخرج إليها كيش الإزار ^(٣) ، شديد الفزار ، قليل المنار ، منطوى الخصلة ، قليل الثيلة ^(٤) ، غرار النوم ، طويل اليوم ، واضط الكوفة ضفطة تحيق منها البصرة .

وشكا الحجاج يوماً سوء طاعة أهل العراق ، وسقم مذهبهم ، وسخط طريقهم ، فقال له جامع المحاربى : أما إنهم لو أحبك لأطاعوك ، على أنهم ما شئوك لبلدك ، ولا لذات يدك ، إلا لياً تقموه من أفعالك ؛ فدع ما يُبعدم عنك إلى ما يُدنيه منكم ، والتس العافية من دونك تُقطعها عن فوقك ، وليكن إيقاعك بعد وعيدك ، ووعدك بعد وعدك ثلاثاً .

فقال له الحجاج : والله ما أرى أن أرد بى اللّخاء إلى طاعى إلا بالسيف . فقال جامع : أيها الأمير ؛ إن السيف إذا لاقى السيف ذهب اختيار . قال الحجاج :

-
- (١) لا يبرؤدهم : لا يتعلمهم ولا يحجزهم (م) (٢) فى نسخة «معلوم لى فيك» (م)
 (٣) كيش الإزار : مشعرا ، وهو كناية عن الجدة ، وفى نسخة «شديد الفزار» (م)
 (٤) الخصلة - بالحاء ، الصلجة - كل ثلجة فيها عصب ، ويقولون «ارتعدت فرائصه» واضطربت خصائله . يريدون اشتد خوفه ، والثيلة : بقية الطعام فى البطن (م)

الخيار يومئذ لله . قال جامع : أجل ، ولكن لا ندرى لمن يحمله الله . فغضب
الحجاج وقال : يا هتاه ! إنك من محارب ، فقال جامع :
وللحرب شئنا وكنا محارباً إذا ما القنا أمتى من العطن أحرأ
فقال له الحجاج : والله لقد هممتُ أن أخلع لسانك ، فأضربت به وجهك .
فقال جامع : إن صدقتك أغضبتك ، وإن كذبتك أغضبتنا الله . فقال الحجاج :
أجل ، وسكن سلطانه ، وشغل ببعض الأمر ، وخرج جامع وإنسل من صفوف
الناس ، وانحاز إلى جبل العراق .

[جامع الحارثي]

وكان جامع لينا مفعوها ، وهو الذي يقول للحجاج حين بنى واسطا :
بَلَيْتَهَا فِي غَيْرِ بَلَدِكَ ، وَأُورِثَهَا غَيْرَ وَلَدِكَ .
وكان الحجاج من الفصحاء البلقاء ، ويقال : ما رُئِيَ حَضَرِي أَنْصَحَ مِنْ
الحجاج ومن الحسن البصري . وكان يحب أهل المجازة والبالغة ، ويؤثرهم
ويقربهم .

[أيوب بن القريّة]

ولما دخل أيوب بن القريّة على الحجاج - وكان فيمن أسر من أصحاب
عبد الرحمن بن الأشعث بن قيس الكندي - قال له : ما أعددت لهذا الموقف ؟
قال : ثلاثة حروف ، كأنها ركب وقوف ، دُنْيَا ، وآخِرَة ، ومَعْرُوف .
فقال له الحجاج : بِسْمَا مَنِيَتْ هَ نَفْسُكَ يَا بَنَ الْقَرْيَةِ ، أَتَرَانِي مِنْ تَحْدَعُهُ
بِكَلَامِكَ وَخَطْبِكَ ؟ والله لانت أقرب إلى الآخرة من موضع تنجلي هذه .
قال : أَيْقَنْ عَنِّي ، وَأَسْفِنِي رِيْقِي ، فَإِنَّهُ لَا بَدَّ لِلْجَوَادِ مِنْ كَبُوتِهِ ، وَالسَّيْفِ
مِنْ نَبُوتِهِ ، وَالْحَلِيمِ مِنْ حَبُوتِهِ .

قال : أنت إلى القبر أقرب منك إلى العفو ، أَلَسْتَ الْقَاتِلَ وَأَنْتَ تَحْرُضُ
حَزْبَ الشَّيْطَانِ ، وَعَدُوَّ الرَّحْمَنِ ! تَقْدُوا بِالْحَجَّاجِ قَبْلَ أَنْ يَتَّعَشِيَ بِكُمْ ! وَقَدْ رُوِيَ
هَذِهِ الْإِفْطَلَةُ لِلْمُضْبَانِ بْنِ الْقَبْشَرِيِّ . ثُمَّ قَدَمَهُ فَضْرَبَ عُنُقَهُ .

قال الخُزَيْمِيُّ لأبي دلف وأخذه من قول ابن القرية :
له كَلِمٌ فيك معقولةٌ إزاء القلوب كركب وقوف

[كثير بن أبي كثير]

وبعث الحجاجُ إلى عامله بالبصرة : اخذ لي عشرة من عندك ، فاختر رجلاً
فيهم كثير بن أبي كثير ، وكان عربياً فصيحاً ، فقال كثير : ما أراي أن أفلتُ
من يد الحجاج إلا بالأسن ، فلما دخلنا عليه دعاني فقال : ما أسنك ؟ قلت : كثير .
قال : ابن من ؟ قلت في نفسي : إن قلت ابن أبي كثير لم آمن أن يتجاوزها ،
قلت : ابن أبا كثير ، فقال : اعزب ^(١) لسنك الله ولن من يث منك !!

[من قولهم في اللديح]

وقال النابغة الذبياني يمدح آل جُفَته :
وفه عينا من رأى أهل قبةٍ أضرَّ بمن عادي وأكثر ناصيا ^(٢)
وأعظم أحلاماً وأكثر سيِّداً وأفضل مشقوعاً إليه وشافيا
مق تَلَقُّهُمْ لا تَلَقَّ للبيت عورة فلا الضيف ممنوعا ولا الجار ضائفا
وأشدد محمد بن سلام الجمحي للنابغة الجهمدي :

مق كملت أخلاقه غير أنه جوادٌ فما يُبقي من المسال باقيا
مق تم فيه ما يسرُّ صديقه على أن فيه ما يسوء الأعدا
[أشم طويل الساعدين شمر دل إذا لم يرح للمجد أصبح غاديا]
ومن حرَّ اللدح وجيّد الشعر قول الخطيئة :

تزور امرأً يعطى على الحد ماله ومن يعطى أتمانَ المحامدِ محمد
يرى البخل لا يُبقي على المرء ماله ويعلم أن المرء غيرُ غنل

(١) عزب يعزب : بعد يعبد (٢) في نسخة « أضر لمن عادوا » (٣)

كُذِّبَ وَمُتَلَفٌ إِذَا مَا سَأَلَتْهُ تَهَلَّلَ وَاهْتَزَّ اهْتَزَّزَ الْمُهَنْدِ
مَتَى تَأْتِي تَمْشُو إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ تَجِدُ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرُ مَوْقِدِ
وَسَمِعَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ هَذَا الْبَيْتَ فَقَالَ : ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَوْلُهُ :

يَسُوسُونَ أَحْلَامًا بَعِيدًا أَنْتَاهَا وَإِنْ غَضِبُوا جَاءَ الْخَفِيفَةُ وَالْجِدُّ
أَقْلُوا عَلَيْهِمْ لَا أَبَا لِأَيِّكُمْ مِنَ اللَّوْمِ أَوْ سُدُّوا الْمَكَانَ الَّذِي سَدُّوا
أُولَئِكَ قَوْمٌ إِنْ بَنَوْا أَحْسَنُوا الْبِنَا وَإِنْ عَاهَدُوا أَوْفُوا وَإِنْ عَقَدُوا شَدُّوا
وَلِنْ كَانَتْ النَّمَاهُ فِيهِمْ جَزَّوْا بِهَا وَإِنْ أُنْصِمُوا لَا كَدَّرُوهَا وَلَا كَدُّوا
مَطَاعِينَ فِي الْمُهَيْجَا مَكَاشِيفُ لِلدَّجَى بَنَى لَهُمْ آبَاؤُهُمْ وَبَنَى الْجَدُّ
وَتَعَذَّلَنِي بِنَاءُ سَمْعٍ عَلَيْهِمْ وَمَا قُلْتُ إِلَّا بِالَّذِي عَمِلَتْ سَمْعُ

وقال منصور النخعي :

تَرَى الْخَيْلَ يَوْمَ الْحَرْبِ يَغْلَمَانِ مَحْتَهُ وَيَرَوْنِي الْقَتَا فِي كَفِّهِ وَالْمَنَاصِلُ
حَلَالٌ لِأَطْرَافِ الْأَيْسَنَةِ نَحْوُهُ حَرَامٌ عَلَيْهَا مِنْهُ مَسْنَنٌ وَكَاهِلٌ^(١)
وقال آخر :

فَقِي دَهْرُهُ شَطْرَانِ فِيمَا يَنْتَوِيهِ فَقِي بَابِهِ شَطْرٌ وَفِي جُودِهِ شَطْرُ
فَلَا مِنْ بَقَاةِ الْخَيْرِ فِي عَيْنِهِ قَذَى وَلَا مِنْ زَيْتِ الْحَرْبِ فِي أُذُنِهِ وَقَرُ

[الشراب وخطره]

وقال بعضُ الظُّرَفَاءِ : الشَّرَابُ أَوَّلُ الْخُرَابِ ، وَمِفْتَاحُ كُلِّ بَابٍ ، يَمْحَقُ
الْأَمْوَالَ^(٢) ، وَيَذْهَبُ الْجَمَالَ ، وَيَهْدِمُ لِلرَّوَدَةِ ، وَيُوهِنُ الْقُوَّةَ^(٣) ، وَيَضْعُمُ الشَّرِيفَ ،

(١) يريد أنه لا غير قتال خصمه ظهره (٢)

(٢) يَمْحَقُ الْأَمْوَالَ : يَفْنِيهَا (٣)

(٣) يوهن القوة : يضعفها (٤)

وَمِنْ الظَّرِيفِ ، وَيُذِلُّ العَرِيزَ ، وَيَفْلِسُ التَّجَارَ ، وَيَهْتِكُ الأُسْتَارَ ، وَيُورِثُ الشَّارَ^(١) .

وقال يزيد بن محمد المهلب :

لمعرك ما ينفق على الكأس شرها ولم كان فيها لذة وزخاه
مراراً تُريك النوى رشداً ، وتارة تحمّل أن المحسنين أساءوا
وأن الصديق الماحض الود ميفض وأن مديح المادحين هجاء
وجرت إخوان التبيذ قهلاً يدوم لإخوان التبيذ إزاء

[من اعتلال الطفيليين، وحيلهم]

عُتِبَ طفيلي على التطفيل فقال: والله ما بُنيت المنارلُ إلا لِيَتُدْخَلَ، ولا نصبت للوائد إلا لتؤكل ، وإني لأجمع فيها خللاً ؛ أدخلُ مجالسا، وأقدم مؤانسا، أنبسط وإن كان رب الدار عابساً ؛ ولا أتكلف مفرماً، ولا أنفق درهماً، ولا أنتب خادماً. وقال ابن الدراج^(٢) الطفيلي لأصحابه : لا يهولنكم إغلاقُ الباب ، ولا شدة الجوعاب ، وسوء الجواب ، وعيوس البواب ، ولا تحذير الغراب ، ولا مناقبة الألقاب ؛ فإن ذلك صائر بكم إلى محمود النوال ، ومغنى لكم عن ذلك السؤال ، واحتملوا السكرة الموهنة ، والأظمة المزمنة ، في جنب الظفر البقيّة ، ولترك للأمنية ، والزموا الطوّزجة للماشرين^(٣) ، والخلفه للواردين والصادرين ، والتمتق للعلمين والمطربين ، والبشاشة للخدامين والموكلين ؛ فإذا وصلتكم إلى مرادكم فكلوا محنكم ، وادخروا لتدكم مجتهدين ؛ فإنكم أحقّ بالعلماء من دعي إليه ، وأولى به من وضع له ، فكونوا لوقته حافظين ، وفي طلبه مشتريين ، واذكروا قول لي نواس :

(١) الشار - بفتح الشين - أشد العار (م) (٢) في نسخة «وقال أبو الدراج» (م)

(٣) في نسخة «وازموا للطارحة» (م)

لِنَخْمَسَ مَالَ اللَّهِ مِنْ كُلِّ فَاجِرٍ وَذِي بَطْلَنَةٍ لِّلطَّيِّبَاتِ أَكُولٍ^(١)

هذا يقوله أبو نواس في أبيات تُسَنَدُ رُكْلُهَا ، ويستظرف جلُّهَا ، وهي :
 وَخَيْسَةَ نَاطُورٍ بِرَأْسِ مَيْيَفَةٍ وَهُمْ يَدَا مَنْ رَامَهَا بِرَزْلِيلٍ^(٢)
 إِذَا عَارَضَتْهَا الشَّمْسُ قَامَتْ ظِلَالُهَا وَإِنْ وَاجَهَتْهَا آذَنْتْ بِدُخُولِ
 حَقْلَانَا بِهَا الْأَهْمَالُ فَلَمْ هَجِيرَةٍ عِبُورِيَّةٍ تُذَكِّي بَغْيَرٍ قَتِيلٍ^(٣)
 تَأْتَتْ قَلِيلًا ثُمَّ فَاتَتْ بِمَذَقَةٍ مِنْ الظِّلِّ فِي رِثِ الْإِنَاءِ ضَمِيلٍ^(٤)
 كَأَنَّا لَدَيْهَا بَيْنَ عِطْفِي نَعَامَةٍ جَفَا زَوْرُهَا عَنْ مَبْرَكٍ وَمَقِيلِ
 حَلَبْتُ لِأَصْحَابِي بِهَا دِرَّةَ الصَّبَا بِصَفَرَاءِ مِنْ مَاءِ الْكُرُومِ شَمُولِ
 إِذَا مَا أَتَتْ دُونَ اللَّهَازِ مِنَ التَّقَى دَعَا هُمُ مِنْ صَدْرِهِ بِرَحِيلِ
 فَلَمَّا تَوَاقَى اللَّيْلُ جُنْعًا مِنَ الدَّجَى تَصَابَيْتُ وَاسْتَجَلْتُ غَيْرَ جَمِيلِ
 وَأَعْطَيْتُ مَنْ أَهْوَى الْحَدِيثَ كَابِدًا وَذَلَّتْ صَفِيًّا كَانَ غَيْرَ ذَوَلِ
 فَتَقَى وَقَدْ وَسَّذْتُ يُسْرَاى خَذَهُ أَلَا رَجَا طَالِبْتُ غَيْرَ مُنِيلِ
 فَأَزَاتِ حَاجَاتِي بِمَقْوَى مُسَاعَدَى وَإِنْ كَانَ أَدْنَى صَاحِبٍ وَخَلِيلِ
 فَأَصْبَحْتُ أَلْحَى الْكَرِّ وَالْكَرْمُحَمْنُ أَلَّا رَبِّ إِحْسَانٍ عَلَيْكَ تَقِيلِ
 كَفَى حَزَنًا أَنْ الْجَوَادَ مَقَرُّ عَلَيْهِ ، وَلَا مَعْرُوفَةً عِنْدَ بَحِيلِ
 سَأْبَى النِّسَى إِمَّا وَزِيرَ خَلِيفَةٍ يَقُومُ سِوَاهُ أَوْ غَيْفَ سَبِيلِ
 بِكُلِّ فِتْنَى لَا يَسْتَطَاعُ فُزَادُهُ إِذَا نَوَّهَ الزَّخْفَانِ بِاسْمِ قَتِيلِ
 لِنَخْمَسَ مَالَ اللَّهِ مِنْ كُلِّ فَاجِرٍ وَذِي بَطْلَنَةٍ لِّلطَّيِّبَاتِ أَكُولٍ^(٥)
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ لِلْمَالِ عَوْنَ عَلَى التَّقَى وَلَيْسَ جَوَادٌ مُقَدِّمٌ كَبَحِيلِ

(١) تقول : خَمَسْتُ لِلْمَالِ أَحْمَهُ - مِنْ بَابِ نَصَرَ - إِذَا أَخَذْتَ خَمْسَهُ (م)

(٢) الناطور : حارس الزرع ، والنيفة : العالية ، والزليل : الانزلاق (م)

(٣) الهجيرة : الهاجرة ، وعبورية : منسوبة إلى الشعرى العبور ، وطلوعها

أعد الحر (م) (٤) في نسخة « فِي رِثِ الْأَبَاءِ ضَمِيلِ » (م)

ألفاظ لأهل مصر في صفة الطفيليين والأكلة وغيرهم

شيطان مَعدته رَجِيم ، وسلطانها ظُلوم . هو آكلُ من النار ، وأشربُ من الرمل . لو أكل القليلَ ما كَفَأَ ، ولو شرب النليلَ ما أَرَوَاهُ ، يَجُوبُ البلادَ ، حتى يقع على جَفَنَةِ جَوَادٍ . يرى ركوبَ البريدِ ، في حضور الثريد^(١) . أصابه أزمُ للشَّوَاءِ ، من سَفُودِ الشَّوَاءِ ، وأنامله كالشبكة ، في سيد السمكة . هو أَجَوَحُ من ذئب مُفْتَسٍ بين أعراب . الميوز قد تَقَلَّبَتْ ، والأكباز قد تَلَهَبَتْ ، والأفواء قد تَحْمَلَتْ . امتدت إلى الخوان الأعناق ، [واحتدت نحو الأحداق] ، وتَحَلَّتْ له الأشداق .

[وصف طائر]

سأل المهدي صباح بن خاقان عن طائر جاءه من آفاق القنابة فقال :
يا أمير المؤمنين ، لو لم يَبَيِّنْ بحسن الصفة لَبَانَ بحسن الصورة . قال : صِفْ لِي .
قال : نعم ، يا أمير المؤمنين ، قَدْ قَدْ أَجَلَمْ^(٢) ، وقوم تقويم القلم ، ينظر من جَحْرَتَيْنِ ، ويلفظ بدرَّتَيْنِ ، ويمشي على عقيقتين ، تكفيه الحبة ، وتُرويه النَبَّةُ^(٣) ، إن كان في قصص فَلَقَهُ ، أو تحت ثوب خرقة ، إذا أقبل فدَبَنَاهُ ، وإذا أدبر حِينَاهُ .

[أحطى النساء عند المهدي]

ودخل عبدُ الله بن مصعب الزبيري على المهدي ، فقال : ويحك يا زبيري ؛ دَخَلْتُ على الخيزران ، فلما قامت لِتُصْلِحَ من شأنها نظرت^(٢) إلى حُسنه ! قلت : يا أمير المؤمنين ؛ أدركك في ذلك ما أدرك الخزومي حيث قال :
بينما نحن بالبَلَاكِشِ بالقفا عَجِرَ راعا والعيسُ تهوى هُويَا

(١) في نسخة « في حصول التريد » (م) (٢) الجلم - بالتحريك - المقس (م)

(٣) نسخة « وترويه النبة » بالعين المهملة (م)

خطرت خَطَرَةً على القلب من ذكراك وَهَنًا فما استطعت مُضِيًّا
قلت : ليك إذ دعاني لك الشوق في وللمعادين كُرًّا لِلطَّيِّبِ
فأمر فرقت السور عن حُسْنَةٍ .

ثم قال لي : يا زيري ، واسأناه من الخيزران ! ثم اثنى راجعاً إليها
قلت : يا أمير المؤمنين ، أدركك في هذا ما أدرك جيلاً^(١) حيث يقول :
وَأَنْتِ الَّتِي حَبَبْتَ شَغَبًا إِلَى بَدَأِ إِلَى وَأَوْطَانِي بِلَادُ سَوَاهِمَا
حَلَّاتٍ بِهِذَا حَلَّةٍ ثُمَّ حَلَّةٍ بِهِذَا فَطَابِ الْوَادِيَانِ كِلَاهُمَا
فدخل على الخيزران ، فابته أن خرج ؛ قال لزيري : فدخلت ، فقال
أنشدني فأنشدته لصخر بن الجعد :

هَنِيئًا لِكَأْسِ جَدِّهَا الْجَلْبِ بِمَدْمَا عَقَدْنَا لِكَأْسٍ مَوْثِقًا لَا نَخُونَهَا
وَإِشْمَاتِهَا الْأَعْدَاءَ لِمَا تَأَلَّيُوا حَوَالِيَّ وَاشْتَدَّتْ عَلَيَّ ضُنُونَهَا
فَإِنْ تَصْبَحِي وَكَلَّتْ عَيْنِي بِالْبُكَاءِ وَأَشْمَتِ أَعْدَائِي فَرَّتْ عَيْنُونَهَا
فَإِنْ حَرَامًا أَنْ أُخَوِّنَكَ مَا دَعَا بِلَيْلِ قَمَرِي الْحَمَامِ وَجُوهَهَا^(٢)
وَمَا طُرِدَ اللَّيْلُ النَّهَارَ ، وَمَا دَعَتْ عَلَى فَتَنٍ وَرَقَاءَ شَاكِرَ رَيْنِهَا^(٣)
فأمر لي على كل بيت بألف دينار ، وكانت الخيزران وحسنة أحضرت النساء
عند المهدي .

[وصف غلام] .

وصف اليوسفي علما فقال : كان يعرف المراد بالألفظ ، كما يعرفه باللفظ ،
وَيُمَازِنُ فِي النَّاطِرِ ، مَا يَجْرِي فِي الْخَاطِرِ^(٤) ، أقرب إلى داعيه ، من يد مُعَاطِيهِ ؛

(١) نسب أبو تمام هذين البيتين إلى كثير ، ونسب أولهما إلى كثير في معجم البكري (م)

(٢) بيل : اسم واد (م) (٣) في نسخة « زينها » (م)

(٤) في نسخة « ما يحوي الخاطر » (م)

حديدُ الذهن ، ثاقبُ الفهم ، خفيفُ الجسم ، يُفنيك عن اللامة ، ولا يحوجك إلى الاستزادة .

وقال أبو نواس :

ومتظرٌ رَجَعَ الحديثُ بِطَرَفِهِ إذا ما اثني من ليته فَصَحَ النُّصْنَا
إذا جبلَ اللَّحْظُ الخَفِيَ كَلَامُهُ جعلت له عِيسَى لَتَفْهَمَهُ أَذْنَا
وقال :

وإني لَطَرَفُ التَّيْنِ بالتَيْنِ زَاجِرٌ قد كدت لا يَخْفَى عَلَى ضَمِيرٍ
وقد طرق هذا المعنى وإن لم يكن منه [من قال] :
بَلَوْتُ أَخِيَاءَ هَذَا الزَّمَانِ فَأَقْلَلْتُ بِالْخَجَرِ مِنْهُمْ نَيْبِي
وكلُّهُمْ إِنْ تَصَفَّحْتُ — صَدِيقَ الْعِيَانِ عَدُوَّ النَّصِيبِ
تَقَدَّرَ مَسَاقِطُ لَحْظٍ لِلرَّيْبِ فَإِنَّ الْعُمُونَ وَجُودَهُ الْقُلُوبِ
وهو كقول المهدي :

ومطلع من نفسه ما يَسُرُّهُ عليه من الاحتِظِ الخَفِيَ دَلِيلُ
إذا القلبُ لم يُبْدِ الَّذِي فِي ضَمِيرِهِ فَنِي اللَّحْظِ وَالْأَلْفَاظِ مِنْهُ رَسُولُ

[بين خالد بن صفوان وعلى بن الجهم]

ودخل خالد بن صفوان عَلَى عَلَى بن الجهم بن أبي حذيفة فألقاه يريد الركوب
فَقَرَّبَ إِلَيْهِ حِمَارَ لِيَرْكَبَهُ ، فقال خالد : أما علمت أن العَيْرَ ^(١) عار ، والجَمَارَ شَنَار ،
مُنْكَرَ الصَّوْتِ ، قَبِيحَ الْقَوْتِ ، مُتَزَلِّجٌ ^(٢) فِي الصُّحُلِ ، مرتطمٌ في الوحل ، ليس
بركوبة غل ، ولا بمطية رَحَل ، رَاكِبُهُ مَقْرَفٌ ^(٣) ، ومسايره مشرف .
فاستوحش ابن أبي حذيفة من ركوب الجمار ونزل عنه ، وركب فرساً ودفع
الجمار إلى خالد فركبه ، فقال له : ويحك يا خالد ! أَتُنْتَهِي عن شيءٍ وتَأْتِي مثله ؟
فقال : أصلحك الله ! عَيْرٌ مِنْ بَنَاتِ الْكُرْبَالِ ^(٤) ، وأضح السربال ، محتلج

(١) العير - بالفتح - الجمار (م) (٢) في نسخة « مرتج في الضلع » (م)

(٣) مقرف : معرض للثمة (م) (٤) السربال : كورة من كور فارس (م)

القوائم^(١) ، يحمل الرّجّلة ، ويبلغ القبة ، ويمتحن أن أكون جباراً عبيداً ،
إن لم أعترف بمكانى قد ضللت إذأ وما أنا من المهتدين .

[كَرُّهُ الْحَدَثَانِ]

قال ابن دأب : خرجت مع بعض الأمراء فى سفر إلى الشام ، فرأى رجل
كنت أعرفه حسنَ الحال من أصحاب الأموال الظاهرة فى حال رثة ، فسلم علىّ
قلت : ما الذى غيرَ حالك ؟ قال : تنقلُ الزمان ، وكَرُّهُ الحَدَثَانِ ؛ فَأَثَرَتِ الضَّرْبُ
فى البُلْدَانِ ، والبُعدُ عن المعارف والخلّان ، وقد كان الأمير الذى أنت معه صديقاً لى
فاخترت البُعد من الأشكال ، حينَ حَصَنَى^(٢) الإقلال ، واستعملت قول الشاعر :

يَبْتَاعُ نَعْلَ نَصْرٍ الْعَيْسَ حَقَّ يَكْفَى غنى المال يوماً أو غنى الحَدَثَانِ^(٣)
فَلَمَوْتُ خَيْرَ مَنْ حَيَاةٍ بَرَى لَهَا على المرء ذى العلياء مَسَّ هَوَانِ
مَنْ يَتَكَلَّمُ بُلْغَ حُكْمٍ كَلَامِهِ وإنْ لَمْ يَقُلْ قَالُوا عَدِيمُ بَيَانِ
كَانَ الْفَقْرُ فى أَهْلِهِ بوردك الْفَقْرُ بغير لسانٍ ناطقٍ بلسانِ

قال ابن دأب : فلما اجتمعتُ مع الأمير فى المنزل وصفت له الرجل ،
قال لى : ويحك ! اطلبه حتى أصلح من حاله ، فطلبته فأعوزنى .

[من قولهم فى الرثاء]

وقال أبو العيص يرى [قتيلا] :

خَتَلَتْهُ النُّونُ بَمَدِّ اخْتِيَالٍ يَزِينُ صَفَتَيْنِ مِنْ قَتْلٍ وَنَعَالٍ
فى ردها من الصفيح صَقِيلٍ وقيص من الحديد مُذَالٍ^(٤)

(١) فى نسخة « محكم القوائم » وفى أخرى « محملج » ولعله محرف عن « مهملج » (م)

(٢) حصن - بالحاء المهملة - قص - جناحى . والإقلال : الفقر ، وفى نسخة

« خصى » بالحاء المهملة (م) (٣) نص العيص : سيرا لإبل ، ونص فلان ناقة : أى

سيرها أقصى ما تستطيع من السير (٤) ردها من الصفيح : أراد السيف ، وقيص

من الحديد : أراد الدرع ، ومذال : بطويل (م)

وقال حارثة بن بدر الندائي يرى زيادا :

صَلَّى إِلَهُهُ عَلَى قَبْرِ وَطَرِهِ عِنْدَ الثَّوْمَةِ يَسْنِي فَوْقَهُ الْوُورُ^(١)
تَهْدِي إِلَيْهِ قَرِيشٌ نَمَشَ سَيْدَهَا قَمَّ حَلَّ النَّدَى وَالْمَرْءُ وَالْخَيْرُ^(٢)
أَبَا لِلْهَيْبَةِ وَالْدُنْيَا مَفْجَمَةٌ وَإِنْ مَنْ غَرَّتِ الدُّنْيَا لَمُتُورُ
قَدْ كَانَ عِنْدَكَ لِلْمَعْرُوفِ عَارِفَةٌ وَكَانَ عِنْدَكَ لِلنَّكَرَاءِ تَفَكِيرُ
وَكُنْتَ تُنَشِّي فَتُنْطَلِي الْمَالَ مِنْ سَمَةٍ فَالآنَ بِأَبْكَ أَمْسَى وَهُوَ مَهْجُورُ
وَلَا تَلِينَ إِذَا عَوِثْتَ مَعْتَسِرًا وَكَانَ أَمْرُكَ مَا يُوسِرَتِ مَيْسُورُ
لَمْ يَعْرِفِ النَّاسُ مَذْغِيَّتَ فِتْنَتِهِمْ وَلَمْ يُحَلِّ ظَلَامًا عَنْهُمْ نُورُ^(٣)
فَالنَّاسُ بِعَدِّكَ قَدْ خَفَتْ حُلُومُهُمْ كَأَنَّمَا نَفَخَتْ فِيهَا الْأَعْيُورُ

أَخَذَ هَذَا الْبَيْتَ مِنْ قَوْلِ مَهْلَهْلِ بْنِ رَيْمَةَ فِي أَخِيهِ كَلِيبٍ، وَكَانَ إِذَا اتَّيَدَى^(٤)

لَمْ تَحَلِّ حَبِيبَتَهُ ، وَلَمْ يَنْطَلِقْ أَحَدٌ إِلَّا حَبِيبًا لَهُ ، إِجْلَالًا وَمَهَابَةً :

أَنْبَيْتُ أَنَّ النَّارَ بِعَدِّكَ أَوْقَدَتْ وَاسْتَبَّ بِعَدِّكَ يَا كَلِيبُ الْجُلُسُ
وَمُحَدَّثُوا فِي أَمْرِ كُلِّ عَظِيمَةٍ لَوْ كُنْتُ حَاضِرًا أُنْزِمَ لَمْ يُنْفِسُوا

وَكَانَ حَارِثَةُ ذَا بَيَانَ وَجْهَارَةٍ [وَأَدَبٌ] ، وَكَانَ شَاعِرًا عَلِيمًا بِالْأَخْبَارِ

[وَالْأَنْسَابِ] ، وَكَانَ قَدْ غَلَبَ عَلَى زِيَادٍ ، وَكَانَ حَارِثَةُ مِنْهُوْمًا فِي الشَّرَابِ ،

فَعُوتِبَ زِيَادٌ فِي الْاِسْتِثَارِ بِهِ ، قَالُوا : كَيْفَ أَطْرَحُ دَجْلًا يُسَارِنِي مِذْ دَخَلْتَ الْعِرَاقَ ،

وَلَمْ يَصْلُكْ رُكَابُهُ رُكَابِي ، وَلَا تَقْدَمُنِي فَتَنْطُرَ إِلَى قَفَاءِ ، وَلَا تَأْخُرْ عَنِّي فَلَوْيْتَ

عَنِّي إِلَيْهِ ، وَلَا أَخْذُ عَلَى الشَّمْسِ فِي شِتَاءِ قَطْ ، وَلَا الرُّوحِ فِي صَيْفٍ ، وَلَا سَأَلْتَهُ

عَنْ بَابٍ فِي الْعِلْمِ إِلَّا قَدَّرْتَ أَنَّهُ لَا يَحْسُنُ غَيْرَهُ .

وَقَالَ لَهُ زِيَادٌ : مَنْ أَخْطَبُ ؟ أَنَا أَمْ أَنْتَ ؟ قَالُوا : الْأَمِيرُ أَخْطَبُ إِذَا تَوَعَّدَ

(١) يَسْنِي : يَتَوَرَّعُ ، وَالْمُورُ : التَّرَابُ (م) . (٢) الْخَيْرُ - بِكَسْرِ الْفَاءِ -

الشَّرَفُ وَالْكَرَمُ (م) . (٣) فِي نَسْخَةٍ « لَمْ يَعْرِفِ النَّاسُ مَذْغِيَّتَ فِتْنَتِهِمْ » (م) .

(٤) اتَّيَدَى : جَلَسَ فِي النَّدَى ، وَهُوَ يَجْتَمِعُ الْقَوْمُ لِلْسَّمْرِ وَالْمَشُورَةِ (م) .

(٦) - زَمَرَ الْأَدَابُ (١)

أو وعد، وبرق ورعد، وأنا أخطبُ في الوفاة، والثناء، والتحير، وأنا أكذب
إذا خطبت، وأحشو كلامي بزيادات [مليحة] شهية، والأمير يقصد إلى الحق،
وميزان العدل، ولا يزيدُ في كلامه، ولا ينقص منه.

فقال له زياد: [قاتلك الله!] لقد أجدتَ تخليص صفتي وصفتك.

ولما مات زياد جفاه عبيدُ الله [ابنه]، فقال [له حارثة: أيها الأمير، ماهذا
الجفاء مع معرفتك بالحال عند أبي المنيرة؟ فقال له عبيد الله]: إن أبا المنيرة بلغ
مبلغاً لا يلحقه فيه عيب، وأنا أنسب إلى من يطلبُ عليّ، وأنت تُدِيمُ الشراب،
وأما حديثُ السن؛ فتي قرَّبْتُكَ فظهرت منك رائحة الشراب لم آمن أن يُظنَّ بي
[ذلك]، فدع الشراب وكن أول داخل وآخر خارج.

فقال له حارثة: أنا لا أدعه لمن يملك ضري ونفسي، أأدعه للحال عندك؟
ولكن صرّفتي في بعض أعمالك. فولاه سُرق من بلاد الأهواز.

وقال أبو الأسود الدؤلي، وكان صديقاً لحارثة: (١)

لأبي الأسود
في حارثة
بن بدر

أحار بن بدر قد ولّيت ولايةً فكن جُرْداً فيها غُحُونُ وتُسرِقُ
ولا تدعن للناس شيئاً نصيبه فظنك من ملك المراقين سُرقِ
فالناس إلا قاتل فسكذبُ يقول بما يتوَّى وإما مُصدّق
يقولون أقوالاً بظنٍّ وتهمه فإن قيل هاتوا حقوا لم يمتقوا
فقال له حارثة:

جزاك اللهُ العرشَ خَيْرَ جزائه قد قلت معروفاً وأوصيت كافيًا
أمرت بشيء لو أترتُ بغيره لألتقي فيهِ لأمرَك عاصيًا

جواب
حارثة بن بدر

(١) هذا الشعر رواه ابن خثية في الشعر، ونسبه إلى أنس بن أناس الكناfi
الدؤلي، وهو من ردهط أبي الأسود الدؤلي (م).

[وصف امرأة]

قال الأصمعي : سمعت امرأة من العرب تصف امرأة وهي تقول : سَطَاءُ
بَعَّةٌ ، بِيضَاءُ غَضَّةٌ ، دَرَمَاءُ رَحْصَةٌ ، قَبَاءُ طَفْلَةٌ ، تَنْظَرُ بَيْتِي شَادِنِ ظِلْمَانٍ ،
وتبسم عن مُنَوَّرِ الْأَحْوَانِ ، فِي غَيْبِ التَّهْتَانِ ، وَتَشِيرُ بِأَسَارِيعِ السَّكْنَانِ ، خَلَقَهَا
عِمِيمٌ ، وَكَلَّامُهَا رَحِيمٌ ، فَهِيَ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

كَأَنَّهَا فِي الْقُمْصِ الرَّاقِ مُخَّةٌ سَاقٍ بَيْنَ كَفَيْ سَاقٍ^(١)

أَعْبَلَهَا الشَّوْىَ عَنِ الْإِرَاقِ

ووصف أعرابي امرأة يحبها فقال : هي زينة [في] الحضور ، وباب من
أبواب الشرور ، ولذكرها في الغيب ، والبعد من الرقيب ، أشعني إلينا من كل
ولد ونسب ، وبها عرفت فضل الحور العين ، واشتقت بها إلىهن يوم الدين .

[من كلام الأعراب]

وسئل أعرابي عن سفر أكدى فيه ، فقال : ما غنمنا إلا ما قَصَرْنَا من
صِلَاتِنَا ، فَأَمَّا مَا أَكَلْتُهُ مِنَ الْمَوَاجِرِ ، وَلَقِيتُهُ مِنَ الْأَبَاعِرِ ، فَأَمَرْتُ اسْتَخْفَنَاهُ ،
لَمَّا أَتَلَّنَاهُ .

وقال عبد قيس بن خُفَافِ بْنِ الْبُرْجِيِّ لِحَاتِمِ الطَّائِي ، وَقَدْ وَفَدَ عَلَيْهِ فِي دِمَاءٍ
حَلَمَهَا ، قَامَ بِيَضُهَا وَعَجَزَ عَنْ بَعْضٍ : إِنِّي حَمَلْتُ دِمَاءَ عَوَّلْتُ فِيهَا عَلَى مَالِي
وَأَمَالِي ، فَأَمَّا مَالِي فَقَدِمْتُهُ ، وَكُنْتُ أَكْبَرَ أَمَالِي ، فَإِنْ تَحَنَّنْهَا فَكَمْ مِنْ حَقٍّ
قَضَيْتُ ، وَهَمْ كَفَيْتُ ، وَإِنْ حَالَ دُونِ ذَلِكَ حَائِلٌ لَمْ أَذِمَّ يَوْمَكَ ، وَلَمْ آيَسْ
مِنْ غَدِكَ .

وقيل لأعرابي : لِمَ لَا تُضْرِبُ فِي الْبِلَادِ^(٢) ؟ فقال : يَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ طِفْلُ بَارِكٍ ،
وَلِصٌّ سَافِكٌ ، ثُمَّ إِنِّي لَسْتُ مَعَ ذَلِكَ وَاثِقًا يَنْجِعُ طَلِبَتِي ، وَلَا مَمْتَدًا بِقَضَاءِ

(١) ساق الأول : هو ما بين الركبة والقدم ، والثاني هو الذي يطوف بالتمه (ابم)

(٢) لا تضرب في البلاد : لا تسافر (م) .

حاجتي ، ولا راجياً عطف قرابتي ؛ لأنني أقدم على قوم أظلمهم الشيطان ، واستألمهم السلطان ، وساعدهم الزمان ، وأسكرتهم حداثة الأستان .

وخرج المهدي بعد هدأة من الليل يطوف بالبيت ، فسمع أعرابية من جانب المسجد تقول : قوم متظلمون ، نبت عنهم العيون ، وقد حتمهم الديون ؛ وعشتهم السنون ، بآد رجالهم ، وذهبت أموالهم ، وكثر عيالهم ، أبناه سبيل ، وأنصاء طريق^(١) ، وصية الله ، وصية رسول الله ، قول أمير مجير ، كلاء الله في سقره ، وخلفه في أهله . فأمر نصراً الخادم ، فدفع إليها خمسمائة درهم .

[من مقامات البديع]

المقامة
الأزادية

ومن إنشاء البديع في مقامات أبي الفتح الإسكندري : حدثني عيسى بن هشام قال : كنت ببغداد ، في وقت الأزاذ^(٢) ؛ فخرجت إلى السوق أعتام^(٣) من أنواعه ، لا ببقايعه ، فسرت غير بعيد إلى رجل قد أخذ أنواع الفواكه وصنفها ، وجمع أنواع الرطب وصنفها ؛ فقبضت من كل شيء أحسنه ، وقرضت من كل نوع أجوده ؛ وحين جمعت حواشي الإزار ، على تلك الأوزار ، أخذت حينئذ رجلاً قد لف رأسه [ببرقع] حياء ، ونصب جسده ، وبسط يده ، واحتضن حياءه ، وتأبط أطفاله ، وهو يقول بصوت يدفع الضعف في صدره ، والحرقض في ظهره :

وبلى على كفين من سويقي أو شحمة تُضربُ بالديقي
أو قصعة مُملأ من خردوقي تفتأ عنا سَطَوَاتِ الرُّيقي
تقيمنا عن مَنهَجِ الطريق يارازِقِ الثروة بعد الضيق
سهل على كف فسق ليبي ذي حسبي في كجده عريبي

(١) أنصاء : جمع نضو - بكسر النون - وهو المهزول (م) .

(٢) الأزاذ : ضرب من التمر (م) . (٣) أعتام : اختار (م) .

يُهدى إلينا قسدم التوفيق يُنْقِذَ عَيْشِي مِنْ يَدِ التَّرْيِيقِ
 قال عيسى بن هشام : فأخذتُ من فاضل الكيس أخذَةً وأَنْلَتُهُ إِيَّاهَا ، قَالَ :
 يا مَنْ حَبَّأَنِي بِمِجْمَلِ بَرَّةٍ أَفْضَى إِلَى اللَّهِ بِحُسْنِ سِرِّهِ
 واستحفظَ اللَّهَ جِئِلَ سِرِّهِ إِنْ كَانَ لَا حَلَقَةَ لِي بِشُكْرِهِ
 فَاللَّهُ رَبِّي مِنْ وَرَاءِ أَمْرِهِ

قال عيسى بن هشام : قلت : إِنْ فِي الْكَيْسِ فَضْلاً ، فَأَبْرُزْ لِي عَنْ بَاطِنِكَ
 أَخْرِجْ لَكَ عَنْ آخِرِهِ ، فَأَمَّا طِلْثَامُهُ ، فَإِذَا شِئْنَا أَبُو الْفَتْحِ السَّكَنْدَرِي ، قلت :
 وَبِمَكَ أَيُّ دَاهِيَةٍ أَنْتَ ؟ قَالَ :

نَقَضَى الْعَمْرَ تَشْبِيهَا عَلَى النَّاسِ وَتَمْوِيهَا
 أَرَى الْأَيَّامَ لَا تَبْقَى عَلَى حَالٍ فَأَحْكُمُهَا
 فَيَوْمًا شَرُّهَا فِيَّ وَيَوْمًا ثَبَرْتِي فِيهَا

[من رسائل بديع الزمان]

وسأل البديع أبا نصر بن الرزبان - عارفة - بعض ما يتجمل به ، فأمكنك عن
 إجابته ؛ فأعاد الكتاب إليه بما نسخه :

لا أزال - أطال الله تعالى بقاء مولانا الشيخ - لسوء الاعتقاد ، وحسن
 الاعتقاد ، أُنشِعُ جِبِينَ الخجل ، وأمدِّ يَمِينَ العَجَل ، ولضعف أَلْهَاتِهِ ، في الفراسة ،
 أَحَسِبُ الْوَرَمَ شَيْخاً^(١) ، والسرابَ شَرَاباً ، حتى إِذَا تَجَشَّمْتُ مَوَارِدَهُ ، لَأُشْرِبَ
 بَارِدَهُ ، لَمْ أَحِجْ شَيْئاً .

وما حَسِبْتُ الشَّيْخَ سَيِّدِي مِنْ تَعْنِيهِ^(٢) هَذِهِ الْجَلَّةُ حَتَّى عَرَضْتُ عَلَى النَّارِ عَوْدَهُ ،
 وَنَشَرْتُ بِالسَّوَالِ جُودَهُ ، وَكَأَنَّ تَبَيُّهُ أُنْعِمِيهِ حَلِيَّةَ جِئَالٍ ، سَحَابَةً يَوْمَ أَوْ شَطْرَهُ ،
 بِلِ مَسَافَةٍ مِيلٍ أَوْ قَدَرَهُ ، فَتَأْصِلُ الْفُطُنَةَ غَوْصاً عَمِيقاً ، وَتَنْظُرُ فِي الْكَنْسِ

(١) أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُنْتَسِي :

أَعْيَنَهُ - أَنْظَرَاتٍ مِنْكَ صَادِقَةٍ أَنْ تَحْسِبَ الشَّعْمَ فِيمَنْ شَحْمُورِمَ (م)

(٢) فِي نَسْخَةِ « مِنْ تَحْنِهِ » (م) .

نظراً دقيقاً ، وقال : هذا رجل مشحوذ للذنية ، في أبواب الكذبة^(١) ، قد جعل استعارة الأغلاق طريقاً اقتباسها ، وسبب احتباسها ، وقد متى ضرره ، وحدث بالحال نفسه ، ولا لطيفة في هذا الباب ، أحسن من التناقل عن الجواب ، فضلاً عن الإيجاب ، وكلاهما في أبواب الرد أقبح مما قرع ، ولا في شرائع البخل أوحش مما شرع ؛ ثم المذر له من جهتي مبسوط إن بسطه الفضل ، ومقبول إن قبله المجد ، وإنما كاتبت له لأعيد الحال القديمة ، وأشرط له على نفسي أن أريجه من سؤم الحاجات من بعد ، فمن لم يستحي من « أعطني » ، لم يستحي له من « أغني » ؛ وعلى حسب جوابه أجرى للمودة فيما بعد ، فإن رأى أن يجيب فصل إن شاء الله .

وله إلى سهل بن محمد بن سليمان :

كتاب منه
إلى سهل
ابن محمد

أنا إذا طويت عن خدمة مولاي - أطال الله بقاءه - يوماً لم أرفع له بصري ، ولم أعدّه من عمري ، وكأني بالشيخ - أعزه الله - إذا أغفلت مفروض خدمته ، من قصد حضرته ، والتولّى في حاشيته ، وجاهة غاشيته ، يقول : إن هذا الجامع لنا شيعتكم تضيع ، واكنسى وتلفح ، وتجلل وتبرقع ، تربع وترقع ، فما يطوف بهذا الجنب ، ولا يظهر بهذا الباب ؛ وأنا الرجل الذي آواه من فقر ، وأغناه من فقر ، وآمنه من خوف ، إذ لا حرّ بوادي عوف ؛ حتى إذا وردت عليه رقتي هذه ، وأغارها طرف كرمه ، وطرف شيعه ، ونظر في عنوانها اسمي قال : بعداً وسحقاً ، وسباً وتباً ، وحشاً ونحشاً ، وطعناً ولعنناً ، فما أ كذب سراب أخلاقه ، وأ كثر أشراب نفاقه ، فالآن انحلّ من عقدته ، وانتبه من رقذته . وكاتبتني يستعدي ، كلاً لا أزوّجه الرضا ولا قلامة ، ولا أمنحه للقي ولا كرامة ، بل أدعّه يركب راسه ، ويقاسي أنفاسه ، فستانيني به الليالي ، والسكيس الخالي ، ثم أريه ميزان قدره ، وأذيقه وبال أمره ، حتى

إذا بلغ موضع الحاجة من الرقعة قال : مَأْرُبَةٌ لَا حَقَاوَةَ ، وَوَطْر سَأَفَهُ ، لَا نَزَاعَ شَأَفَهُ ^(١) ، فهذا بَدْءٌ وَلَا أَبَدٌ مِنْ تِلْكَ الْمَهْمِ الْعَالِيَةِ ، وَالْأَخْلَاقِ السَّامِيَةِ أَنْ يَقُولَ بِمَرْحَبَا بِالرَّقْعَةِ وَكَاتِبَهَا ، وَأَهْلًا بِالْمَخَاطِبَةِ وَصَاحِبَهَا [وَقَضَاءِ الْحَاجَةِ بِأَتَمَّهَا ، وَإِرَازَهَا ، وَهِيَ الرَّقْعَةُ الَّتِي سَالَتْ إِلَى مَنْ التَّمَسُّ ، كَمَا اقْتَرَحْتَهُ بِمَا طَالِبْتَهُ ، فَرَأَيْتُهُ فِيهِ مُوَفَّقٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى] .
وله أيضا إلى بعض الرؤساء . يسأله إطلاق محبوس [بسببه] .

الشيخ - أطال الله بقاءه - إذا وصل يدي بيده لم المس الجوزاء إلا قاعداً ، كتاب منه إلى
وقد ناطقاً مئةً في عنق الدهر ، وصاغها إكليلاً لجبين الشكر . وما أقصر
يَدَيَّ عَنِ الْجَزَاءِ ، وَاسَانِي عَنِ الثَّنَاءِ . وَهَذَا الْجَاهِلُ قَدْ عَرَفَ نَفْسَهُ ، وَقَلَعَ ضَرْسَهُ ،
وَرَأَى مِيزَانَ قَدْرِهِ ، وَذَاقَ وَبَالَ أَمْرِهِ ، وَجَهَّزَ إِلَى كِتَابَةِ مِحْمَازٍ عَاجِزَاتٍ ^(٢) ؛
فَأُطْلِقَنَّ الدَّوِيلَ وَالْأَلِيلَ ، وَبِشْنَى شَقِيمًا إِلَى ، وَاسْتَعْنَى فِي عُلَى ، وَتَوَسَّلَنَّ بِكَلِمَةِ
الِاسْتِسْلَامِ ، وَلِحَةِ الْإِسْلَامِ . فِي فَكِّ هَذَا الْفَلَامِ ؛ فَإِنْ أَحَبَّ الشَّيْخُ أَنْ يَجْمَعَ فِي
الطَّوْلِ بَيْنَ الْحَوْضِ وَالسَّكْوَرِ ^(٣) ، وَيَنْظُمَ فِي الْفَضْلِ مَا بَيْنَ الرُّوضِ وَالْمَطَرِ ، شَفَعَ
فِي إِطْلَاقِهِ مَكَارِمَهُ ، وَشَرَّفَ بِذَلِكَ خَادِمَهُ ، وَأَعْجَزَنَا بِالْإِفْرَاجِ عَنْهُ ، مُوَفَّقًا
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

[عَفُو عَنْ ذِي جَرِيرَةٍ]

وَقَالَ رَجُلٌ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُهْدِيِّ : اشْفَعْ لِي إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي فَكِّ أَخِي مِنَ
الْمَأْمُونِ حَبْسِهِ ، وَكَانَ مَحْبُوسًا فِي عِدَادِ الْقَضَا ، فَقَالَ لِلْمَأْمُونِ : لَيْسَ لِلْعَامِيِّ بَعْدَ الْقُدْرَةِ
عَلَيْهِ ذَنْبٌ ، وَلَيْسَ لِلصَّابِ بَعْدَ الْمَلِكِ عَذْرٌ ^(١) . فَقَالَ : صَدَقْتَ ؛ فَمَا طَلَبْتُكَ ؟
قَالَ : فَلَنْ هَبْتَهُ لِي . قَالَ : هُوَ لَكَ .

(١) نزاع : أراد به نزوع القلب إليه ، وشافه : أعجبه ، والمراد أنه إنما جثه
على الكتابة الحاجة إليه لا المحبة (م) .

(٢) في نسخة « محماز عاجرات » ولا يتفق مع موضوع الكتاب (م) .

(٣) في نسخة « في الطول إزاء الحوض إلى الغمر » (م) .

(٤) في نسخة « وليس للعائب بعد ذلك عليه عذر » .

وسأل أبو عبادة أحمد بن أبي خالد أن يطلق له أسارى ، فقتل ، فقال : قد فككتنا أسراك . فقال : لا فكك الله رقاب الأحرار من أياديك !

ألفاظ لأهل المصر في التهنة بالإطلاق من الأسر

الحمد لله حَذَّ الإخلاص ، على حسن التَّلَاص ، الذي أَفْضَى بك من ذِلَّةٍ رِقٍّ ، إلى عِزَّةٍ عِثْقٍ ، ومن تَضَلُّفٍ جَعِيمٍ ، إلى جِنَّةٍ نَعِيمٍ . خَرَجَ من العِقَالِ ، خروجَ السيفِ من الصَّقَالِ . خرج من إيساره ، خروجَ البَدْرِ من سِراره . الحمد لله الذي فكك أسراً ، وجعل من بعد التَّسْرِيرِ يُسْراً . خرج من البلاء ، خروجَ السيفِ من الجلاء . قد جعل الله لك من مَصَائِقِ الأمور مخرجاً مَجِيحاً ، ومن مَفَاقِ الأهوال مخرجاً فسيحاً^(١) .

[أبو نواس يمدح الأمين]

مدح أبو نواس الأمين محمداً في [أول] خلافته بقصيدته التي يقول فيها :
أقول واليسُ نمرُوزي القَلَاةُ بنا صُفْرُ الأُرْمَةِ من تَشَفٍّ ووُخْدَانِ
ياناق لا تَسْأَى أو تَبْلُغْني مَلَكَا تَقْبِيلُ راحته والرُّكنِ سَيِّئَانِ
مقابلا بين أَملاك تَفْضَلُهُ ولادتان ن النصور نُنْتَانِ
مقَى تَحْطِئُ إليه الرِّجْلُ سَلْمَةً تَسْتَجِيبِي انْخَلَقَ في تَمثال إنسان

قال [الحسن] : هذا لأن محمداً ولده للنصور مرتين من قَبْلِ أن أباه هرون الرشيد بن المهدي بن أبي جعفر للنصور ، ومن قَبْلِ أن أمه أمة العزيز بنت جعفر ابن [أبي جعفر] للنصور ، وكان النصور دخل عليها وهي طفلة تلعب ، فقال : ماأنت إلا زُبَيْدَة ، فغلب عليها هذا القالب ، ولم يَلِ الخِلافةَ من أبواه هاشميان غير علي بن أبي طالب وأمّه فاطمة بنت أسد بن هاشم ، وابنه الحسن ، وأمّه فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم ، والأمين محمد بن الرشيد .

(١) المسرح : مكان السراح ، وهو الانطلاق والفتاك (م) .

رجع القول — فلما أنشدته القصيدة قال : ما ينبغي أن يُسمع مدحك بعد قولك في الخصب بن عبد الحميد :

إذا لم تَزُرْ أرضَ الخصب ركابنا فأى فتي بعد الخصب تزور؟
فتى يشترى حسنَ الثناء بماله ويعلم أن الداراتِ تدورُ
فما فاته جودٌ ، ولا حلٌّ دونه ولكن يسيرُ الجود حيث يسيرُ^(١)
فقال : يا أمير المؤمنين ، كلُّ مدح في الخصب وغيره فمدح فيك ؛
لأنى أقول ، ثم ارتحل :

ملكْتَ على طير السعادة واليمن وجاءت لك الطيلاء مقتيلَ السن
بمحيا وجود الدين تحيا منها بحسن وإحسان مع اليمن والأمن
لقد طابت الدنيا بطيب ثنائيه وزادت به الأيامُ حسناً إلى حسن^(٢)
لقد فك أرقابُ المفاة محمد^(٣) وأسكن أهل الخوف في كف الأمن^(٤)
إذا نحنُ أنيننا عليك بصلح فأنت كما شئى وفوق الذى شئى
وإن جرّت الألفاظُ يوماً بمدح لتترك إنساناً فأنت الذى نعى
قال : صدقت ، مدحُ عبدي مدح لى ؛ ووَصَلَهُ وقرَّ به .

وأما قول أبى نواس :

* إذا نحنُ أنيننا عليك بصلح *

فن قول الخنساء :

فما بلغ الهدونَ للناسِ مدحةً وإن أطنبوا إلا الذى فيك أفضلُ
وما بلغت كف امرئٍ متناولاً من المجد إلا والذى نلتَ أطولُ

(٢) يروى « فما جازه جود . . . ولكن يصير الجود حيث يصير » (م)

(٢) فى نسخة « بطيب محمد » (م) . (٣) فى نسخة « أغلال العانة » (م)

[بين الأخطل ومعاوية]

وفد الأخطل على معاوية ، فقال : إني قد امتدحتك بأبيات قاسمها ، فقال :
 إن كنت شَبَّهْتَنِي بالحية ، أو الأسد ، أو العقر ، فلا حاجة لي بها ، وإن كنت
 [قلت] كما قالت الخنساء ، وأنشد البيتين ، قتل . فقال الأخطل : والله لقد
 أَحَسَّتْ ، وقد قلت فيك بيتين ما هما بدونهما ، ثم أنشد :

إِذَا مَاتَ الْعُرْفُ وَأَغْطَعَ النَّدَى فلم يبق إلا من قليلٍ مصرِّدٍ
 وَرُدَّتْ أَكْفُ السَّائِلِينَ وَأَمْسَكُوا عن الدين والدنيا بحزنٍ مجدِّدٍ

وقول أبي نواس : * وَإِنْ جَرَّتْ الْأَلْفَاظُ يَوْمًا بِمِدْحَةٍ * من قول كثير
 في عبد العزيز بن مروان :
 مَيِّ مَا أَثْنُ فِي سَالِفِ الدَّهْرِ مِدْحَةً فَمَا هِيَ إِلَّا لَابِنِ لَيْسَى الْمَعْظَمِ
 وَقَالَ الْقِرْزُوقُ :

وَمَا أَمَرْتَنِي النَّفْسُ فِي رِخْلَةٍ لَهَا إِلَى أَحَدٍ إِلَّا إِلَيْكَ ضَمِيرُهَا
 وَلَمَّا أَنْشَدَ أَبُو تَمَامٍ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُوَادٍ قَصِيدَتَهُ :
 * سَقَى عَهْدَ الْحَيِّ صَوْبُ الْيَهَادِ *

وانتهى إلى قوله :

وَمَا سَافَرْتُ فِي الْأَفَاقِ إِلَّا وَمِنْ جَدُّوْكَ رَاحِلَتِي وَزَادِي
 مُقِيمُ الظَّنِّ عِنْدَكَ وَالْأَمَانِي وَإِنْ قَلَّكَ رِكَابِي فِي الْبِلَادِ
 قَالَ لَهُ ابْنُ أَبِي دُوَادٍ : هَذَا الْمَعْنَى لَكَ أَوْ أَخَذْتَهُ ؟ قَالَ : هُوَ لِي ، وَقَدْ أَلَمْتُ
 فِيهِ بِقَوْلِ أَبِي نَوَاسٍ :

وَإِنْ جَرَّتْ الْأَلْفَاظُ يَوْمًا بِمِدْحَةٍ لَنَفِيرِكَ إِنْسَانًا فَأَنْتَ الَّذِي نَعْنِي
 وَأَخَذَهُ لَتَنْهِي قَالَ :

أَشْرَفْتُ أَبَا الْحُسَيْنِ بِمَدْحِ قَوْمِهِ نَزَلْتُ بِهِمْ فَرَحْتُ بِغَيْرِ زَادٍ
وَعَظَّمْتُ مَدْحَهُمْ قَدِيمًا وَأَنْتَ بِمَا مَدَحْتَهُمْ مُرَادِي
وَأَمَّا قَوْلُ أَبِي تَمَامٍ : « وَمَا سَافَرْتُ فِي الْأَفَاقِ - الْبَيْتِ » فَمِنْ قَوْلِ الْمُتَقَبِّ
الْمَبْدِيِّ ، [وَذَكَرَ نَاقَتَهُ :

إِلَى عَمْرٍو بْنِ حَمْدَانَ أَبِي بِنِي أَخِي النَّجْدَاتِ وَالْجَدِّ الرَّصِينِ ^(١)

وَأَمَّا قَوْلُ أَبِي نَوَاسٍ : * فَمَا فَاتَهُ جُودٌ وَلَا حَلٌّ دُونَهُ * الْبَيْتِ ، فَمِنْ قَوْلِ
الشَّعْرَدِلِ بْنِ شَرِيكَ [الْيَرْبُوعِيِّ] :

مَا قَصَرَ الْمَجْدَ عَنْكُمْ يَا بَنِي حَكَمٍ وَلَا نَجَاوَزَكُمْ يَا آلَ مَسْعُودٍ
يَحِلُّ حَيْثُ حَلَلُمْ لَا يَرِيكُمْ مَا عَاقَبَ الذَّهْرَيْنِ الْبَيْضَ وَالسُّودَ ^(٢)
إِنْ يَشْهَدُوا بِوُجْدِ الْمَعْرُوفِ عِنْدَهُمْ خِدْنًا وَلَيْسَ إِذَا غَابُوا بِوُجُودٍ
وَقَدْ قَالَ الْكَمِيتُ الْأَسَدِيُّ :

بِسْـــــــــــــــــ بِرْ أَبَانَ قَرِيعَ السَّمَاءِ حَ وَالْمَكْرَمَاتِ مِمَّا حَيْثُ سَاكَرَا

وَقَوْلُ أَبِي نَوَاسٍ أَيْضًا :

* فَقَى بِشَقَرِي حُسْنَ الثَّنَاءِ بِمَا لَهُ *

مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِ الرَّاعِي :

فَقَى بِشَقَرِي حُسْنَ الثَّنَاءِ بِمَا لَهُ إِذَا مَا اشْتَرَى لَمْخَرَاةَ الْمَجْدِ سَيْفَهُ
[بَيْنَ السَّفَاحِ وَأَبَى نُحَيْلَةَ]

دَخَلَ أَبُو نُحَيْلَةَ عَلَى أَبِي الْمُبَاسِ السَّفَاحِ ، فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الْإِنْشَادِ ، فَقَالَ :
لَعَنَكَ اللَّهُ ! أَنْتَ الْقَاتِلُ لِمَسْلَمَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ :

أَمْسَلُهُ يَا نَحْلَ خَيْرِ خَلِيقَةٍ وَيَا فَاغْرَسَ الْمُهَيَّجَاوِ يَا حَبْلَ الْأَرْضِ

(١) فِي نَسْخَةٍ « إِلَى عَمْرٍو مِنْ عَمْرٍو أَتَنِي » (م)

(٢) لَا يَرِيكُمْ : لَا يَفَارِقُكُمْ ، وَالْبَيْضُ : الْأَيَّامُ ، وَالسُّودُ : اللَّيَالِي (م)

شكرتك إن الشكر حبل من التقى وما كل من أوليته نعمة يقضى
وأقيت لساناً أن أتيتك زائراً على لحاف سابع الطول والرض
ونبت من ذكرى وما كان خاملاً ولكن بعض الذكراً نبت من بعض
ثم أسره بأن ينشد ، فأنشده أرجوزة يقول فيها:

كنا أناساً نرهب الملاكاً وتركب الأعجاز والأوراكا
وكل ما قد مرّ في سواكا زور ، وقد كفر هذا ذاكا

واسم أبي نحية الجنيّد بن الجون ، [وهو مولى لبني حاد] ، كان مقصداً
راجزاً .

قيل لخنساء : لئن مدحت أخاك لقد هيجت أباك ! فقالت :

جأري أباء فأقبلا وهما يتماوران ملاءة الحضر^(١)

حتى إذا جدّ الجراء وقد ساوى هناك القدر بالقدر^(٢)

وعلاً صياح الناس : أيهما ؟ قال الجيب هناك : لا أدرى

برقت صحيفة وجه والده ومضى على غلوائه يجرى

أولى فأولى أن يساويه لولا جلال السن والكبير

وهما كأنهما وقد برزا صقران قد خطا على وكر

وقيل لأبي عبيدة : ليس هذا في شعر الخنساء . قال : العامة أسقط من أن

يمجد عليها بمثل هذا .

وقد أحسن البحترى في نحو هذا ؛ إذ يقول في يوسف بن أبي سعيد ،

[ومحمد] بن يوسف الطائي :

جدّ كجد أبي سعيد إنه ترك السالك كأنه لم يشرف

(١) الحضر - بالضم - شدة عدو الفرس (م) .

(٢) الجراء - بكسر الجيم - جرى الفرس (م) .

فأتمته أخلاقه وهي الردى للمتدى وهي السدى للمعتدى
وإذا جرى في غاية وجربت في أخرى التقى شأوا كما في النصف^(١)

قول الخنساء : * يتأوران ملأه الحضر *

أربع استعارة ، وأنصع عبارة ، وقد قال عدى بن الرقاع :

يتأوران من الفباكر ملأه غبراء محكة ما نرجأها
تطوى إذا وردا مكانا جاسيا فإذا السنايك أسهلت شراها^(٢)
وإلى هذا أشار الطائي في قوله :

تثير عجاجة في كل ثغر يهيم بها عدى بن الرقاع

وأول من نظر إلى هذا المنى شاعر جاهل من بني عقيل^(٣) فقال :

ألا يا ديار الحى بالسبعان عفت حجباً بعدى وهن ثمان
فلم يبق منها غير نوى مهدم وغير أثاف كالركى رعان
وآيات هاب أورك اللون سافرت به الريح والأمطار كل مكان^(٤)
بقفار مروة تحارب بها القطا وتسمى بها الجابان تقربان^(٥)
يثيران من نسج النبار عليهما قيصين أسمالاً وبرندان

ومن مستحسن رثاء الخنساء وليلي وغيرهما من النساء

قال أبو العباس أحمد بن يحيى النحوى : أنشد أبو السائب الخزومي قول الخنساء

الخنساء :

وإن صخرأ لمولانا وسيدنا وإن صخرأ إذا نشئوا لنحار

(١) الشاو : الأمد والناية ، والنصف : النصف ، يريد نصف الطريق (م) .

(٢) في نسخة « إذا وردا مكانا ناشزا » (م)

(٣) ينسب بعض الناس هذا الشعر لابن أحرر ، وبعضهم ينسبه لابن مقبل (م) .

(٤) في نسخة « وآيات آب » (م) .

(٥) في نسخة « ويمشى بها الجابان يتركان » (م) .

وإن صخرًا لتأتمُّ الهداة به كأنه علمٌ في رأسه نَارٌ
 فقال : الطلاق لي لازم إن لم تكن قالت هذا وهي تتبختر في مشيها ،
 وتنظر في عطفها .

من يدعي
 رثاء الخنساء

ومن مستحسن رثاء الخنساء قولها ترى أخاها صخرًا :
 اذهب فلا يمدنك الله من رجل مناع ضميم وطلّاب لأوتار
 قد كنت فينا صريحاً غير مؤثب مركباً في نصاب غير خوار
 سوف أبكيك ما نأحت مطوّقة وما أضاعت نجوم الليل للشاري
 أبكي في الحى نالته منيته وكل نفس إلى وقت بمقدار
 وقولها [نعينه] :

شهاد أجمية شدّاد أهية . قطاع أودية للوتر طلابا
 سُم الهداة وفكّك العناة إذا لاقى الوعى لم يكن الموت هيّابا
 يهدى الرّعل إذا جار السيل بهم نهّد التليل لزرق السمر ركابا
 [من ترجمة الخنساء ، وليلي الأخيلية]

من أخبار
 الخنساء

والخنساء اسمها تماضر بنت عمرو [بن الحارث] بن الشريد بن رياح بن
 [يقظة بن عصية بن خفاف] بن امرئ القيس ، وتكنى أم عمرو ، ومصدق ذلك
 قول أخيه [صخر] :

أرى أم عمرو لا تملّ عيادتي وملت سليمى مصّجى ومكافى
 سليمى : امرأته ، وإنما لقبّت الخنساء كناية عن الظبية ، وكذلك [تسميتهم]
 الذلفاء . والذلف : قصر في الأنف ؛ وإنما يريدون به أيضاً أن ذلك من صفات
 الظباء ، وهى أشعر نساء العرب عند كثير من الرواة ؛ وكان الأصمى يقدم ليلي
 الأخيلية ، وهى ليلي بنت عبد الله بن كعب بن ذى الرحالة بن معاوية بن عبادة بن
 عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، وقيل لها الأخيلية لقول جدها كعب :

نسب ليلي

نحن الأخابيل ما يزال غلامنا حتى يدب على الصبا مذكورا موازنة بينهما
قال أبو زيد : [هذا البيت لما فسّيت به ، وليلي أغزر بحرا] ، وأكثرت
تصرفاً ، وأقوى لفظاً ؛ والخنساء أذهب في عمود الرثاء .

قال اللبرد : كانت الخنساء وليلى الأخيلية في أشعارهما متقدمتين لأكثر الفحول ،
وقلما رأيت امرأة تتقدم في صناعة ، وإن قل ذلك ، فالجمل ما قال الله تعالى :
« أومن ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين » .

ومن أحسن الرأى ما خلط فيه مدحٌ بتفجيع على الرثى ، فإذا وقع
ذلك بكلام صحيح ، ولهجة معربة ، ونظام غير متفاوت ، فهو الغاية من
كلام المخلوقين .

واعلم أن من أجل الكلام قولُ الخنساء :

يا صخرُ ورّاد ماء قد تنادّره	أهلُ المياه فما في وُردِهِ عارُ
متى السبّنى إلّ هيجاً معضلة	لها سيلاحان أنيابٌ وأغفارُ ^(١)
وما عيول على يوتٍ طيفُ به	لها حنينان إعلانٌ وإسراءُ
ترنح في غفلة حتى إذا أدّ كرت	فإيما هي إقبالٌ وإدبارُ ^(٢)
يوماً بأوسع من حين فارقي	صخرُ ، ولعيش إحلا وإزراءُ
لم تره جارةً يمشى بساحتها	لربية حين يُجلى بيته الجارُ

قال : ومن كامل قولها :

فلولا كثرة الباكين حولي	على إخوانهم لقتلت نفسي
وما يَبْكُون مثل أخى ، ولكن	أُتلى النفس عنه بالتأبى
بذكرنى طلوع الشمس صخرأ	وأذكره لكل غروب شمس

(١) السبّنى - بفتح السين والياء وسكون النون - الحرى ، المقدم ، وهو أيضاً

الغمر (م) (٢) حفظى « ترنح مارنحت حتى إذا أدّ كرت » (م)

يعنى أنها تذكره أول النهار للقارة ، ووقت اللبيب للأضياف .

لابن الرومي

وقد قال ابن الرومي فيما يتعلق بطرف من هذا المعنى :
 رأيتُ الدهرَ يَجْرَحُ نَمَّ يَأْسُو وَيُؤَيِّ أُوَيْمُوسَ أَوْ يُنَسِّي
 أَبَتْ نَفْسُ الْمَلَاعِ لِرُزْءِ شَيْءٍ كَفَى شَجْوًا لِنَفْسٍ رُزْءُ نَفْسِي
 أَتَجَرَّعُ وَحْشَةً لِقِرَاقِ أَلْفٍ وَقَدْ وَطَنُهَا لِحُلُولِ رَمْسِي
 وَقَدْ أُنْكَرَ عَلَى مَنْ تَمَلَّلَ بِالنَّاسِ بِمَا قَالَ غَيْرُهُ (١) ، قَالَ فِي ذَلِكَ :
 خَلَيْتُ قَدْ عَلَّمْتَنِي بِالْأَسَى فَأَنْصَبَا لَوْ أَنِّي أَتَمَلَّلُ
 الْفَسَّ أَتَأَرَى ، وَإِلَّا فَمَا الْأَسَى وَعَيْشُكَ إِلَّا ضَلَالٌ مُضَلَّلُ
 وَمَا رَاحَةُ الْمَرْزُوءِ فِي رُزْءِ غَيْرِهِ أَيْحَمِلُ عَنْهُ بَعْضَ مَا يَتَحَمَّلُ
 كَيْلَا حَامِلِي عِبَاءِ الرِّزْيَةِ مُتَقَلُّ وَليْسَ مَعِينًا مُتَقَلُّ الظُّهْرِ مُتَقَلُّ
 وَضَرْبٌ مِنَ الظُّلْمِ الْخَفِيِّ مَكَانُهُ تَعَزِّيكَ بِالْمَرْزُوءِ حِينَ تَأْمَلُ
 لِأَنَّكَ يَأْسُوكَ الَّذِي هُوَ كُلُّهُ بَلَا بَقَرٍ لَوْ أَنَّ جِسْرَكَ يَمْدِلُ
 وَقَالَتِ الْخَنَسَاءُ :

للخنساء

وَقَائِلَةُ وَالنَّسْ قَدْ قَاتَ خَطُوهَا لَتَدْرِكُهُ يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى صَخْرِي
 أَلَا تَكَلَّتْ أُمُّ الدِّينِ غَدَا بِهِيَ إِلَى الْقَبْرِ مَاذَا يَحْمِلُونَ إِلَى الْقَبْرِ ؟ !
 وَمَا ذَا يُؤَارِي الْقَبْرُ تَحْتَ تَرَابِي مِنَ الْجُودِ يَا بُؤْسَ الْحَوَادِثِ وَالْدهْرِ
 فَشَانُ لِلنَّيَا إِذَا صَابَكَ رَيْبُهَا لَتَضْطَلِّي الْقَتِيَانِ بِدُكِّكَ أَوْ تَسْرِي
 وَهَذَا الْمَعْنَى كَثِيرٌ قَدْ مَرَّتْ مِنْهُ قِطْعَةٌ جَيِّدَةٌ ، وَلَمْ تَزَلِ الْخَنَسَاءُ تَبْكِي عَلَى أَخَوَيْهَا
 صَخْرِي وَمَعَاوِيَةَ ، حَتَّى أَدْرَكَتِ الْإِسْلَامَ ؛ فَأَقْبَلَ بِهَا بَنُو عَمَّتِهَا وَهِيَ عَجُوزٌ كَبِيرَةٌ
 إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ ، فَقَالُوا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! هَذِهِ الْخَنَسَاءُ ،

(١) فِي نَسْخَةِ « بَإِذَا قَالَ عَتْرَةَ » طَبِيع (ر) .

وقد قرحت آماقها من البكاء في الجاهلية والإسلام ، فلو نَهَيْتَهَا لرجونا أن تنتهي ، فقال لها عمر رضى الله عنه : انتهي الله وأتقني بالموت ، قالت : أبكي أبى وخَيْرَ بنى مضر صخرًا ومعاوية ، وإتَى لَمُوقِنَةَ بالموت ، قال : أتبكين عليهم وقد صاروا بَجَرَةً في النار ؟ قالت : ذلك أَشَدُّ لِبِكَائِي عليهم ! فَرَّقَ لها عمر وقال : خلوا عن عبوزكم لا أبا لكم ! فكل امرئ بيكي شَجْوَهُ ، ونام اتَّخَلَّى عَنْ بَكاء الشَّجَى .

وكان عمرو بن الشريد يأخذ بيد ابنيه معاوية وصخر في اللوم ، ويقول عمرو بن الشريد وأبناءه : أنا أبو خَيْرَى مضر ، فمن أنكر فليغير ، فلا يغير ذلك عليه أحد ، وكان يقول : من أتى بمثلها أخوين من قبل فله حكمه ، فُتَغَيَّرَ له العرب بذلك .
وكان النہی صلى الله عليه وسلم يقول : أنا ابن القوام من قریش ، والموالك من سُلَيم ، وفي سُلَيم شرف كثير .

وكان يقال لمعاوية : فارس الجَوْن ، والجَوْن من الأضداد ، يقال للأسود والأبيض ، وقتله بنو مرة ، قتله هاشم بن خَرَمَلَة ، فطلبه دُرَيْد بن العَصَّة حتى قتله ، وأما صخر فزأ أسد بن خزيمَة فأصاب فيهم ، وطمسه نَوْر ابن ربيعة الأسدي ، فأدخل في جوفه حلقة من البرع فاندمل عليه ، فنتأت قطعة من جنبه مثل اليد ، فمرض لها حولا ، ثم أشير عليه بقطعها ، فأحوا له شفرة ثم قطعوها ، فإعاش إلا قليلا .

ومن جيد شعر ليل الأخيلية ترى تَوْبَةَ بن الحمير الخفاجي ، وكان لها محبباً ، وله فيها شعر كثير ، وقتله بنو عوف بن عُقِيل ، قتله عبد الله بن سالم :
نظرتُ وركنٌ من عَمَاةٍ دوننا وأركان جسمى أُمى نظرة ناظر^(١)
فأنت خيلا بالرق منسيرة سوابقها مثل القطأ المتواتر

(١) عماية - بفتح العين - جبل في بلاد نجد من بلاد بني كعب وقشير وعقيل (م)

فَإِنْ تَكُنِ الْقَتْلَى بَوَاءَ فَإِنَّكَ فَنِي مَا قَتَلْتُمْ آلَ عَوْفٍ بْنِ عَامِرٍ^(١)
فَلَا يُبْعِدُكَ اللَّهُ يَا تَوْبُ إِنَّمَا لَقَاهُ لِلنَّسَايَا دَارِعًا مِثْلَ حَاسِرٍ
أَتَتْهُ لِلنَّسَايَا بَيْنَ دِرْعِ حَصِينَةٍ وَأَسْمَرَ خَطِيٍّ وَجَرْدَاءَ ضَامِرٍ^(٢)
كَأَنَّ فَتَى الْفَتَيَانِ تَوْبَةً لَمْ يُنْفَخْ قَلَانِصُ بِفَحْضَنِ الْحَصَى بِالْكَرَاكِرِ^(٣)
وَلَمْ يَدْعَ يَوْمًا لِلْحِفَاطِ وَلِشُعَى وَلِلْحَرْبِ تَرْمِي نَارُهَا بِالْشَّرَائِرِ^(٤)
وَلِلْبَازِلِ الْكُؤُومَاءِ يَرْغُو حَوَارِهَا وَلِلْخَيْلِ تَعْدُو بِالْكَمَافِ الْمَسَاعِرِ^(٥)
فَنِي لَا تَحْطَأَ الرِّفَاقُ ، وَلَا يَرَى لِقَدْرِ عَيْالًا دُونَ جَارٍ مُجَاوِرٍ
فَنِي كَانَ أَحْيَا مِنْ فَتَاةٍ حَيِّيَّةٍ وَأَشْجَعٍ مِنْ لَيْثٍ بِخَفَانِ خَادِرٍ^(٦)
فَنِي لَا تَرَاهُ النَّابُ إِلَّا لَسْقِبَهَا إِذَا اخْتَلَجَتْ بِالنَّاسِ إِحْدَى الْكِبَارِ
وَكُنْتَ إِذَا مَوْلَاهُ خَافَ ظِلَامَةَ أَتَاكَ فَلَمْ يَقْعُ سِوَاكَ بِنَاصِرٍ
وَقَدْ كُنْتَ مَرْهُوبَ السَّنَانِ وَبَيْنَ السَّنَانِ وَمَدَلَّاجِ الشَّرَى غَيْرَ فَاتِرٍ
وَلَا تَأْخُذُ الْكُؤُومُ الْجِلَادَ سِلَاحَهَا لِتَوْبَةٍ فِي حَذِّ الشِّتَاءِ الصَّنَابِرِ^(٧)

وفود ليلى
على معاوية

وقال بعض الرواة : بينا معاوية يسير إذ رأى راكباً ، فقال لبعض شُرطته :
اثنى به وإياك أن ترؤعه . فأنابه فقال : أجب أمير المؤمنين ، فقال : إياه أردت ،
فلما دنا الراكب حذر لثامه فإذا ليلى الأخيلية ، فأنشأت تقول :

معاوى لم أكْذُ آتِيكَ تَهْوَى بِرَحْلِي نَحْوَ سَاحَتِكَ الرِّكَابِ

(١) بواء - بفتح الباء والواو - متكافئين متماثلين (م)

(٢) خطي : منسوب إلى الخط ، والمراد الرمح ، والجرداء : القصيرة الشعر ،
والضامر : المضمحل البطن ، والمراد القرن (م)

(٣) القلانس : جمع قلوص ، وهي النافذة الفتية ، والكراركر : جمع كركرة ،
وهي رصى زور البعير ، أو صدره (م) (٤) الحفاط - بالكسر - المحافظة على
ما يجب المحافظة عليه ، وفي نسخة « ترمي ناراها بالشرائر » (م) (٥) الحوار - بضم
الحاء - ولد الناقة ، والككاة : جمع ككى ، وهو الفارس للتكى في سلاحه : أي

المنتر فيه ، والساعر : جمع مسر ، وهو الذي يوقد الحرب ويشعلها (م)

(٦) الليث : الأسد ، وخفان : مأسدة قرب الكوفة ، وخادر : مقيم (م)

(٧) صنابر الشتاء : شدة برده .

أَتَتْهُ الْمَسَالِيَا حِينَ تَمَّ تَمَامُهُ وَأَقْصَرَ عَنْهُ كُلُّ قَرْنٍ يُنَاقِلُهُ
وَصَارَ كَلَيْتِ الْغَابِ يَحْمِي عَرِينَهُ فَفَرَضَى بِهِ أَشْبَاهَهُ وَحَلَّائِلُهُ
عَطُوفٌ حَلِيمٌ حِينَ يُغْلَبُ حِلْمُهُ وَوَسِيمٌ ذُعَافٌ لَا تُصَابُ مَقَاتِلُهُ

فأمر لها بمجانزة ، وقال : أى ما قلت فيه أشعر ؟ قالت : يا أمير المؤمنين ، ما قلت شيئا إلا والذي فيه من خصال الخير أكثر ، ولقد أجذتُ حيث أقول :

جزى الله خيرا والجزاء بكفِّه ففى من عُقيل ساد غير مكلف
ففى كانت الدنيا تهون بأمرها عليه فلم ينفك جم التصرف
ينالُ عليات الأمور بهونة إذا هي أغيث كل خرق مسوف^(١)
هو ليسك بالأرض الضحاكى شجته يدرى بأفقه من خمر نيسان قرنف^(٢)

وعود لى
على مروان
ابن الحكم

ويقال : إنها دخلت على مروان بن الحكم فقال : ويمك يا لى ! أكا نمت توبة كان ؟ قالت : أصلح الله الأمير ! والله ما قلت إلا حقا ، ولقد قصرت ، وما رأيت رجلا قط كان أربط على الموت جأشا ، ولا أقل إحمشا حين تحتدم برأكا الحرب ، ويحمى الوطيس بالقلن والضرب ، كان والله كما قلت :

ففى لم يرل يزداد خيرا لذن نشأ إلى أن علاه الشيب فوق المسامح
تراه إذا ما الموت حل بورده مَرُوبًا على أقرانه بالصفائح
شجاع لدى الهيجا ثبت مشايح إذا انماز عن أقرانه كل سابع
فناش حميدا لا ذميا فضاله وَصُولًا لقرى به برى غير كالرحل

فقال لها مروان : كيف يكون توبة على ماتولين وكان خارباً ؟ « والخارب سارق الإبل خاصة » ، فقالت : والله ما كان خارباً ، ولا للهوت هائبا ، ولكنه

(١) هونة : أى سهولة ولين ورفق ، والخرق : الأحمق (م)

(٢) الأرى : العسل ، وشجته : خلطته ، ويسان : من بلاد الشام مشهورة بالخر (م)

كان فتى له جاهلية ، ولو طال عمره وأنساه الموتُ لازَعَوَى قلبه ، وقلقى في حب الله تحبه ، وأقصر عن هوىه ، ولكنه كما قال ابن عمه مسلمة بن زيد :

قله قوم غادروا ابن مُحَيْرٍ قتيلا صريماً للسيوف البوار
لقد غادروا حَزْماً وعزماً ونائلاً وصبراً على اليوم المبوس القماط
إذا هاب ورْدُ الموت كلَّ غَضَنَفَرٍ عظيم الحوايا لبَّه غيرَ حاضرٍ
مضى قدماً حتى يلاقى ورْدَه وجاد بسَّيبٍ في السنين القواشر^(١)

فقال لها مروان : يا ليلي ، أعودُ بالله من درك الشقاء ، وسوء القضاء ، وشماتة الأعداء ، فوالله لقد مات توبة ، وإن كان من فتيان العرب وأشدائهم ، ولكنه أدركه الشقاء ، فهلك على أحوال الجاهلية ، وترك لقومه عداوة .

ثم بث إلى ناس من عقيل فقال : والله لئن بلنقى عنكم أمرٌ أكرهه من جهة توبة لأصابتكم على جُنوع النخل ، إياكم ودَعَوَى الجاهلية ، فإن الله قد جاء بالإسلام ، وهَدَمَ ذلك كله .

تقدم ليل
على الحجاج

وروى أبو عبيدة عن محمد بن عمران المرزباني قال : قال أبو عمرو بن العلاء الشيباني : قدمت ليلي الأخيلية على الحجاج بن يوسف وعنده وجوه أصحابه وأشرافهم ، فبينما هو جالسٌ معهم إذ أقبلت جارية فأشار إليها وأشارت إليه ؛ فلم تلبث أن جاءت جارية من أجل النساء وأكلهن ، وأتمن خلفاً ، وأحسنن محاورة ؛ فلما دنت منه سَلَّمْتُ ثم قالت : أتأذنُ أيها الأمير؟ قال : نعم ، فأنشدت :

أحجاجُ إن الله أعطاك غايةً يُقَصِّرُ عنها من أراد مداها .
أحجاجُ لا يُقَلِّلُ سِلَاحُكَ إنما السِنْيَا بِكُفٍّ اللهُ حيثُ يَرَاهَا

(١) القواشر : جمع قاشرة ، كأنها غشش الجلد من جدبها ، وفي نسخة «الكواشر»

وفي أخرى «البواسر» (م)

إذا ورد الحجاجُ أرضاً مريضةً تَقْبَحُ أُنْفَى دَائِهَا فَشَفَاهَا
شَفَاهَا مِنَ الدَّاءِ الصَّيَّاهِ الَّذِي بِهَا غُلَامٌ إِذَا هَزَّ الْقَنَاةَ ثَنَاهَا
إِذَا تَمِيعُ الْحَجَّاجِ صَوَّتَ كَتِيئَةً أَعَدَّ لَهَا قَبْلَ التَّزْوِلِ قِرَاهَا
أَعَدَّ لَهَا مَصْقُولَةً فَارِسِيَّةً بِأَيْدِي رِجَالٍ يُحَلِّبُونَ صَرَاهَا^(١)

حتى أتت على آخرها . فقال الحجاج لمن عنده : أنتمفون من هذه؟ قالوا :
ما نعرفها ، ولكن ما رأينا امرأة أطاقَ لساننا منها ، ولا أجلَ وجْها ، ولا أحسنَ
لقفاً ، فتننَّ هي أصلح الله الأمير؟ قال : هي ليلي الأخيلية صاحبة توبة بن
الحجير التي يقول فيها :

وَلَوْ أَنَّ لِيْلِ الْأَخْيَلِيَّةِ سَلَّتْ عَلَيَّ وَدُونِي جَنْدَلٌ وَصَفَائِحُ
لَسَلَّتْ سَلِيمَ الْبِشَاشَةِ أَوْزَكَا إِلَيَّاهُ صَدَى مِنْ جَانِبِ الْقَبْرِ صَائِحُ

ثم قال لها : يا ليلي ، أنشدتنا بعض ما قاله فيك توبة ، فأنشدته :

نَأْنَأْتُكَ بَلِيلِي دَارَهَا لَا تَزُورُهَا وَشَعَلْتُ نَوَاهَا وَاسْتَمَرَّ مَرِيرُهَا
وَكُنْتُ إِذَا مَارَزْتُ لَيْلِي تَبَرَّقْتُ وَقَدْ رَأَيْتُ مِنْهَا الْقَدَاةَ سَفُورُهَا
عَلَى دِمَاهِ الْبُذْنِ إِنْ كَانَ زَوْجُهَا يَرَى لِي ذَنْبًا غَيْرَ أَنِي أَرُورُهَا
وَأَيُّ إِذَا مَارَزْتُهَا قُلْتُ : يَا اسْلَمِي فُهَلْ كَانَ فِي قَوْلِي اسْلَمِي مَا يَصِيرُهَا
حِمَامَةً بَطْنُ الْوَادِيَيْنِ تَرَنَّمِي سَقَاكَ مِنَ الشَّرِّ الْعَوَادِي مَطِيرُهَا
أَيُّنِي لَنَا لَا زَالَ رِبْشُكَ نَاعِمَا وَلَا زِلْتُ فِي خَضِرَاءِ دَانٍ بَرِيرُهَا^(٢)
وَقَدْ تَهَبُّ الْحَاجَاتُ يَطْلُبُهَا الْفَقَى شِعَاعًا وَتَحْشَى النَّفْسُ مَا لَا يَصِيرُهَا
أَيُذْهَبُ رَيْثَانُ الشَّبَابِ وَلَمْ أُزُرْ عَرَّأْرَ مَنْ هَمْدَانٍ يَبِضُّ نُحُورُهَا
وَلَوْ أَنَّ لَيْلِي فِي ذُرَى مُتَمَنِّعٍ بَنَجْرَانَ لَا لَفَّتْ عَلَيَّ قُصُورُهَا

(١) مصقولة فارسية : أراد السيف ، وأصل الصرى - يفتح الصاد - بقة اللبن في الضرع ، وأرادت به أنهم يأتون بآخر ما يمكن من الضرب بها (م)
(٢) البربر : نمر الأراك (م)

يقرّ بمعنى أن أرى العيسَ تَرَنَّمِي بنا محوليلى وهى تجرى صفورها
وأشرفُ بالنَّوْرِ اليَقَاعَ لَمَنِي أرى نأر ليلى أو برانى بصيرُها
أرتنا حَمامَ المَوْتِ لَيْلِي ، وَرَأَقْنَا عيونُ قَفَّيَاتِ الحواشى تَدِيرُها

حتى أنت صلى آخرها . فقال : يا ليلى ، ما رآبه من سفورك ؟ قالت : أيها الأمير ؛ ما رآنى قط إلا متبرقة ، فأرسل إلى رسولاً إنه لم يبن ، فنظر أهلُ الحى رسولَه فأعدوا له وكنوا ؛ ففَطِنْتُ لَذلك من أمرهم ، فلما جاء أَلقيتُ برُقى وسَفَرْتُ فأنكر ذلك ، فما زاد على التسليم وانصرف راجعاً . فقال لها الحجاج : لله درك ! فهل كانت بينكما ريبة قط ؟ قالت : لا والذى أسأله صلاحك ، إلا أنى رأيت أنه قال قولاً فطلنت أنه خضع لبعض الأمر ، قلت :

وَذِي حَاجة قُلنا له : لا تَبُخْ بِها فليس إليها ما حَيَّيتَ سبيلُ
لنا صاحبُ لا يَبْنِي أن تَحُونَهُ وأنت لأخرى صاحبُ وخليلُ

فما كُننى بشئ بعد ذلك حتى فرَّق الموت بينى وبينه . فقال لها : حاجتك !
قالت : أن تحملنى إلى قتيبة بن مسلم على البريد إلى خراسان ، غملاً فاستظرفها قتيبة ووصلها ، ثم رجعت فانت بساوة^(١) ، وقبرها هناك .

وروى المبرد أنها لما أنشدته الأبيات «أحجاج إن الله أعطاك» .. إلى قولها «غلام إذا هز القناة ثنائها» قال لها : لا تقولى غلام ، ولكن قولى : همام ، ثم قال لها : أى نسأى أحب إليك أن أتلك عندها ؟ قالت : ومن نساؤك أيها الأمير ؟ قال : أم الجلاس بنت سعيد بن العاص الأموية ، وهند بنت أسماء بن خارجة القزارية ، وهند بنت المهلب بن أبي صفرة القسكية^(٢) . قالت : هذه أحب إلى . فلما كان الفد دخلت إليه فقال : يا غلام أعطها خمسمائة . قالت : أيها الأمير ، اجعلها أدمًا^(٣) .

(١) فى الأغاني «فانت بالرى» (م) (٢) فى نسخة «القيسية» (م)

(٣) الأدم : جمع أدماء ، وهى السمراء اللون (م)

قيل لها : إنما أمر لك بشاء ، فقالت : الأمير أكرم من ذلك ؛ فجعلها إبلا أذما
استحياء ؛ وإنما كان أمر لها بشاء [أولاً ، والأدم أكرمها] .

وأول هذا الحديث عن رجل من بنى عامر بن صعصعة يقال له وَرْقَاءُ قال :
كنت عند الحجاج فدخل الأذن^(١) فقال : أصلح الله الأمير ! بالباب امرأة تهذِرُ
كما تهذِرُ البعير الناد^(٢) . قال : أذخِلْهَا ، فلما دخلت نَسَبَهَا فانتسبت له . فقال :
ما أتى بك يا ليلي ؟ قالت : إخلافُ النجوم ، وقلةُ النجوم ، وكأبُ البرد ، وشدة
الجهْدِ ، وكنت لنا بعد الله الرَفْدَ .

قال لها : أخبريني عن الأرض . قالت : الأرض مُفْبِرَةٌ ، والهِجَابُ مَشْعَرَةٌ ،
وأصحابنا سنون مُجْعِفَةٌ مُظْلِمَةٌ ، لم تدعْ لنا هُبْمًا ولا رُبْمًا ، ولا عَاطِطَةً ولا نَافِطَةً^(٣)
أهلكت الرجال ، ومزقت العِيَال ، وأفسدت الأموال ، وأنشدت الأبيات التي
مضت آنفا ؛ فالتفت الحجاج [إلى أصحابه] . وقال : هل تعرفون هذه ؟ قالوا :
لا . قال : هذه ليلي الأخيلية التي تقول :

نحن الأخايِلُ لا يزال غلامُنَا حتى يَدِبَ على العصَا مذكورا
تَبْكِي الرماحُ إذا قَدَّزْنَ أَكْفَنَا خُرْنَا وتلقَ سَاسَانَا الرِّفَاقُ^١ . ورا
وفي آخر حديثها قال لها : أنشدتنا بعض شعرك ، فأنشدته :

لَعَمْرُكَ ما بالموتِ عَارٌ على الفتى إذا لم تُصِبه في الحياةُ المَعَارُ^٢
ومن كان مما يحدث الدهرَ جازعا فلا بدَّ يوماً أن يُرَى وهو صَابر
فلا يبعدنك الله ياتوبُ هالكا لدى الحرب إن دارت عليك المَقَارُ^٣
فكل جديد أو شباب إلى لى وكل اسرى يوماً إلى الله صَابرُ^٤
وكل قريقٍ ألقه لتفرق شتاتٍ وإن ضنا وطال التَعَارُ^٥

(١) الأذن : الذي ينقل الإذن بالدخول ، شبه الحجاب اليوم (م)
(٢) الناد : الكروء (م) (٣) الهج - بزنة صرد - ابن النافعة الذي ينتج آخر
فصل النتائج . والرج : الذي ينتج في وقت الربيع . والنافطة : الضائقة . والنافطة :
للأعزة (م)

فانقسمت أبكى بعد توبة هالكا وأخفل من دارت عليه الدوائر
 فقال الحجاج لصاحب له : اذهب بها فاقطع عنى لسانها ، فدعا لها بالحجام
 ليقطع لسانها . فقالت له : ويحك ! إنما قال لك الأمير : اقطع لسانى بالنطاء ،
 فارجع إليه فأسأله ، فسأله فاستشاط غيظاً ، وهم بقطع لسانه ، [ثم أمر بها فأدخلت]
 فقالت : أيها الأمير ، كاد يقطع يفتولى ، وأنشدته :
 حجاج أنت الذى ما فوفه أحدٌ إلا الخليفة والمستفقر الصد
 حجاج أنت شهابُ الحرب إن لقت وأنت للناس نورٌ فى الدجا يقد^(١)

احتذى الحجاج فى قوله : « اقطع لسانها » قولَ النبي صلى الله عليه وسلم
 لما أعطى المؤلفة قلوبهم يوم حنين مائة من الإبل ، وأعطى العباس بن مرداس
 أربعين فسخطها وقال :

أجعل نهى ونهب المبيد بين عيئة والأقرع
 وما كان حصن ولا حابسٌ بفوقان مرداس فى تجمر
 وما حكنت إلا امرأ منهم ومن تضع اليوم لا يرفع^(٢)
 المبيد: اسم فرسه ، وحصن [الذى ذكره] هو أبو عيئة بن حصن بن حذيفة
 ابن نذر سيد فزارة ، وحابس : أبو الأقرع بن حابس ، وقد تقدم نسبه فأمر النبي
 صلى الله عليه وسلم بإحضاره ، فقال : أنت القائل :

أجعل نهى ونهب المبيد بين الأقرع وعيئة
 وكان النبي عليه الصلاة والسلام كما قال الله عز وجل : « وما علمناه الشرَّ
 وما بينى له » . فقال : قم يا على فاقطع لسانه . قال العباس : قُلت : يا على ؛

(١) فى نسخة « وأنت للناس نور ضوؤه يقد » (م)

(٢) مع هذه الآيات قوله ، وهو من شواهد النعاة :

وقد كنت فى الحرب ذاتدراً فلم أعط شيئاً ولم أمنع
 أى : فلم أعط شيئاً عظيماً ولم أمنع البتة (م)

وإليك قَاطِعُ لسانى ؟ قال : إني مُنْعِي فيك ما أمرت ، فضى بى حتى أدخلنى
الحظائر ، فقال : اعتد ما بين الأربعين إلى مائة ، قلت : بأبى أنت وأبى !
ما أحلكم وأعلمكم وأعدلكم وأكرمكم ! فقال : إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم
أعطاك أربعين ، وجملك من المهاجرين [فإن شئت] فخذها ، وإن شئت
فخذ مائة ، وكن من المؤلفة قلوبهم . فقلت : أشر على . فقال : إني آمرُك أن
تأخذ ما أعطاك . فأخذتها .

وكانت ليلى الأخيلية قد حاجت النابتة الجندى فأخفته .
ودخلت على عبد الملك ابن مروان وقد أسنت فقال : ما رأى توبةً فيك حتى
أنحك ؟ قالت : رأى فى ما رأى الناسُ فيك حين ولوك ! فضحك عبد الملك حتى
بدت له من سوداء كان يُخفيها .

[عود إلى رثاء شِواعر العرب]

وقالت هند بنت أسد الضبابية :

لهند بنت
أسد ترفى
أخاها

لقد مات بالبيضاء من جانب الحِمْي
ففى كان زَيْنًا للمواكب والشربِ
يلوذُ به الجاني محافة ما جئى
كما لاذتِ العَصماءُ بالشاهقِ الصمبِ
تظلُّ بناتُ العمِّ والخالِ حوله
صَوَادِي لَا يَرْوُونَ بالباردِ التذَبِ
وقالت أم خالد النخيرية [تشبُّهً بأثال الكلالي^(١)] :

لأم خالد
النخيرية

إذا ما أتتنا الريحُ من نحو أرضهِ
أتتنا بريحاً هبوبها^(٢)
أتتنا عيسك خالط المسك عنبر
وريح خزاي باكرتها جنوبها
أين لذكره إذا ما ذكرته
وتنهل عبرات تفيض غروبها^(٣)
حنين أسير نازح شد قيدهُ
وإعوال نفس غاب عنها حبيبها

(٢) كذا وقع فى نسخة ، والسياق يقضى بأن يكون هذا الشعر رثاء لاتشيبيا (م)

(٢) الرثا : الرائحة الطيبة (م) (٣) العبرات : جمع عبرة ، وهى السمعة (م)

لأم الضحاك
الحارثية

وأنشدنا أبو العباس أحمد بن يحيى [مطلب] ، لأم الضحاك الحارثية وكانت
تحب رجلا من الصُّبَاب حباً شديداً :

يأيها الراكب القادى لطيته
ما عالج الناسُ من وَجدٍ تضمنهم
عرج أثبك عن بعض الذى أجدُ
حسى رضاء وأنى فى مسرتِهِ
إلا وَجَدْتُ به فوق الذى وَجَدُوا.
ووده آخرَ الأيام أجهدُ
وقالت :

هل القلبُ إن لاقى الصُّبَابَ خالياً
وأزعجنا قُربُ الفراقِ ، وبيننا
لدى الرُّكنِ أو عند الصِّفا : حرجُ
حديثُ كتنفيسِ المريضِ مُزعج
حديثُ لو أنَّ اللحمَ يَشْوَى بِبحره
غريضا أنى أصحابه وهو منضَجُ
وأنشد الزبير بن بكار لحليمة الخضرية ، وقد أنشدها للبدر لبهان القَبَشِي (١) لحليمة الخضرية
وهو أشبه (٢) :

يقرُّ بغيري أن - أرى من مكانه
وأن أورد الماء الذى شربت به
ذرى عَفَدَاتِ الأجرعِ المتقاودِ
والصيقُ أحشأنى يَبْرُدُ تَرَاوِ
سأبغى وإن ملَّ الشرى كلُّ واحدٍ
وإن كان مخلوطاً بسمِّ الأسودِ
وقالت الفارعة بنت شداد ترى أخاها مسعوداً :

لفارعة بنت
شداد

يا عين يبكى لمسعود بن شدادِ
من لا يذاب له شحمٌ للثديف ولا
بكاؤى ذى عَفَرَاتِ شَبْغُوهُ بَادِى
ولا يحلُّ إذ ما حلَّ مُنْقِذاً
يَجْنُفُو العيالَ إذ ما ضُنَّ بالزادِ
قَوَالُ مُحْكَمَةٍ ، قَنَاضُ مُرَرَةٍ
يخشى الرزية بين اللال والنادى
فَقَالَ مُنْقَمَةٍ ، وَثَابُ مَرَقَةٍ
فتلحُ مُبْهَمَةٍ ، حَبَّاسُ أَوْزَادِ
مَنَاعُ مَقَلَبَةٍ ، فَكَاكُ أَقْيَادِ
حَلَالُ مُرَرَةٍ ، قَرَّاجُ مَقْلَمَةٍ
حَمَالُ مُضْلِمَةٍ ، طَلَّاعُ أَنْجَادِ

(١) العَبَشِي : للنسوب إلى عبد عَمْس ، وقالوا : عِبْدَى ، وعَبْسَى ، فى النسبة
إلى عبد الدار وعبد القيس (م) (٢) إما كان ذلك أشبه لأن الشعر فى امرأة كما ترى
فى البيت الثانى ، وإن تأملت الثالث عرفت أنه الأشبه حقاً (زم)

كَمَالُ أَلَوِيَّةٍ ، شَهَادُ أَنْدِيَّةِ
 جَمَاعُ كُلِّ خِصَالٍ الْخَيْرِ قَدْ عَلِمُوا
 أَبَا زُرَّارَةَ لَا تَبْغِزْ فَكُلُّ فِتْنَى
 هَلَا سَقِيمٌ ، بَنَى جَزِيمٌ ، أَسِيرُكُمْ
 نَعَمْ الْفِتْنَى ، وَبَيْنَ اللَّهِ ، قَدْ عَلِمُوا
 هُوَ الْفِتْنَى يَحْمَدُ الْجَبْرَانُ مَشْهُدُهُ
 الطَّاعِنُ الطَّعْنَةَ التَّجَلَّاءُ يَنْتَقِمُهَا
 وَالسَّائِي الزَّيْقُ لِلْأَضْيَافِ إِنْ زَلُّوا
 وَالْحَسَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ كَثِيرٌ ، وَقَدْ تَفَرَّقَ لَهْنٌ فِي أَصْعَافِ هَذَا الْكِتَابِ مَا اخْتِيرَ .

[عِبَرَاتُ الْمُحِبِّينَ]

مَا أَنْشَدَهُ ثَعْلَبُ وَأَنْشَدَ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى ثَعْلَبُ :
 وَمُسْتَجِدُّ بِالْحَزَنِ دِمَاعُ كَانَهُ
 عَلَى الْخَلْدِ مِمَّا لَيْسَ يَرَفَقًا حَاضِرُ^(١)
 إِذَا دِيمَةُ مِنْهُ اسْتَقَلَّتْ تَهَلَّتْ
 أَوَائِلُ أُخْرَى مَالِكُنْ أَوَاخِرُ
 مَلَأَ مُقْلَتَيْهِ الدَّمْعُ حَتَّى كَانَهُ
 لَيْمًا أَهْلٌ مِنْ عَيْنَيْهِ فِي الْمَاءِ نَاطِرُ^(٢)
 وَيَنْظُرُ مِنْ بَيْنِ الدَّمْعِ بِمُقْلَةٍ
 رَمَى الشَّوْقُ فِي إِنْسَانِيهَا فَهَوَّ سَاهِرُ
 وَقَالَ آخِرُ — وَرَوَيْتُ لَقَيْسَ بْنِ اللَّوْحِ :
 نَظَرْتُ كَأَنِّي مِنْ وَرَاءِ زَجَاجَةٍ
 إِلَى الدَّارِ مِنْ مَاءِ الصَّبَابَةِ أَنْظُرُ
 فَمِنَانِي طَوْرًا يَتَفَرَّقَانِ مِنَ الْبُكَاءِ
 فَأَعْشَى ، وَطَوْرًا تَحْمِسِرَانِ فَأُبْصِرُ
 وَقَالَ غِيلَانُ :
 وَمَا شَتْنَا خَرَفَاءَ وَاهِيَةِ السَّكَلَى
 سَقَى بَهْمَا سَاقٍ وَلَمَّا تَبَلَّلَا
 بِأَضْيَعٍ مِنْ عَيْنَيْكَ لِلدَّمْعِ كَلْبَا
 تَوَهَّمْتَ رَبَّنَا أَوْ تَوَهَّمْتَ مَنْزِلَا
 لَقَى الرِّمَةَ
 (١) رَقَاً الدَّمْعَ بِرَقَاً — مِنْ مِثَالِ فَتَحَ يَفْتَحُ — سَكَنَ ، وَ « مَا » فِي قَوْلِهِ « مِمَّا لَيْسَ »
 رَقَاً هِيَ الصَّدْرِيَّةُ ، وَتَقْدِيرُ الْكَلَامِ : كَانَهُ — مِنْ عَدَمِ سَكُونِهِ — حَاضِرُ (م)
 (٢) مَلَأَ : أَصْلُهُ مَلَأَ (م)

وقال آخر :

ومما شعاني أنها يوم ودعت تواتت وماء الجفن في العين حائر^(١)
فلما أعادت من بعيد بنظرة إلى الضائفة أسلمته المحاجر^(٢)

للبحري

أبو عبادة البحري :

وقفنا والصون مشغلات يُغالب طرفها نظره كليل^١
تهته ربة الواشين حق تعلق لا يفيض ولا يسيل^٢

مما أنشده
جحلة

وأنشد أبو الحسن [جحلة] :

ومن طاعنى إياه أمطر ناظرى إذا هو أبدى من ثناياه لى برقاً
كان دموعى تبصر الوصل هاربا فمن أجله تجرى لتدركه متبنا

للمتبي

أخذ البيت الأول المتنهي فقال :

يبتل خدى كلما ابتست من مظهر برقه ثناياها

لأبي الشيمس

وقال أبو الشيمس ، واسمه محمد بن عبيد الله ، وهو ابن عم دعلج :

وقائله وقد بصرت بدمع على الخدين منجدٍ سكوب^١
أتكذب في البكاء وأنت جلد^٢ قديماً ما جسرت على الذنوب^٣
قيصك والدموعُ تجول فيه وقبلك ليس بالقلب الكثيب^٤
كثل قيص يوسف حين جاءوا عليه عشية بدمٍ كذوب^٥
[قلت لما : فذاك أبى وأبى رجحت بسوء ظنك فى النيوب^٦]
أما والله لو قنشت قلبي لسرك بالمويل وبالحميب^٧
دموعُ الماشقين إذا تلاقوا بظهر الغيب ألسنة القلوب^٨

(١) شعاني : أحزنى (م)

(٢) أسلمته المحاجر : كناية عن إهمال السمع (م)

[من أخبار العباس بن الأحنف]

وقال بشار بن برد : ما زال فتى من بنى حنيفة يدْخِلُ نفسه فينا ويخْرِجُها

منا حتى قال :

نَزَفَ البكاءَ دُمُوعَ عَيْنِكَ فَاشْتَمِرْ عَيْنَا لِعَيْرِكَ دَمْعُهَا يَدْرَارُ
مَنْ ذَا يَعْيرُكَ عَيْنَهُ تَبْكِي بِهَا أَرَأَيْتَ عَيْنًا لِلْبِكَاءِ تُمَارِ ؟ !

قال : وهذا الذي عناه بشار هو أبو الفضل العباس بن الأحنف بن طلحة
ابن هرون بن كلدة بن خزيم بن شهاب [بن سالم] بن حبة بن كليب بن عدى
ابن عبد الله بن حنيفة ، وكان كما قال بعض مَنْ وصفه : كان أحسن خلق
الله إذا حَدَّثَ حديثًا ، وأحسنهم إذا حَدَّثَ استماعًا ، وأمسكهم عن مُلاحِقِ
إذا خُوِّلَ ، وكان ملوكي الذهب ، ظاهر النِّصَّة ، حسن الهيئة ، وكانت فيه
آلاتُ الظُّرْفِ ، كان جميلَ الوجه ، قَارَهُ المركب ، نظيفَ الثَّوبِ ، حَسَنَ
الْأَنَافِ ، كثير النواذر ، رطيب الحديث ، باقياً على الشراب ، كثير المساعدة ،
شديد الاحمال ، ولم يكن هَجَاءً ، ولا مَذَاحاً ، كان يَنْزَهُ عن ذلك ، وَيُشَبِّه
من المتقدمين بعمار بن أبي ربيعة .

وسئل أبو نواس عن العباس وقد ضُمَّهُمَا مجلس فقال : هو أَرْق من الوَهْمِ ،

وأحسن من القَهْمِ .

وكان أبو الهذيل الصلاف المعتزلي إذا ذكره لَعَنَهُ وَزَنَاهُ لأجل قوله :

وَضَعْتُ خَدْيَ لَأَدْنَى مِنْ يُطِيفُ بِكُمْ حَتَّى اخْتَفَرْتُ وَمَا مِثْلِي بِمُحْتَفِرٍ (١)
إِذَا ارْتَدَّتْ أُتُتَصَارَا كَانَ نَاصِرَكُم قَلْبِي ، وَمَا أَنَا مِنْ قَلْبِي بِمُتَصِمِرٍ
فَا كَثُرُوا أَوْ أَقَلُّوا مِنْ مَلَامِكُمْ فَكُلُّ ذَلِكَ مَحْمُولٌ عَلَى الْقَدْرِ

(١) وضعت خدي لأدنى : كناية عن الخضوع ، وأدنى : أقل ، ويطيف بكم : أراد

من هو من خنصهم وحشمهم (م)

وقوله في البيت الأوسط كقوله :

قلبي إلى ما ضررتني داعي يكذبُ أسفامي وأوجاعي
لقلما أنقى على ما أرى يوشك أن ينماني الناعي^(١)
كيف احتراسي من عدوي إذا كان عدوي بين أضلاعي

وقيل [لنمان] جارية الناطقي : من أشمرُ الناس ؟ قالت : انني يقول
وأهجركم حتى يقولوا : لقد سَلَاً ولستُ بسالٍ عن هواك إلى الخشير
ولكن إذا كان المحب على اندي يحب شقيقاً نازع الناس بالمخير
وقال [العباس] :

جري السيل فاستبكاني السيل إذ جرى وفاضت له من مقلتي غروب
وما ذاك إلا أن تيقنت أنه يمر بوادٍ أنت منه قريب
يصكون أجاباً دونكم فإذا اتبعي إليكم تلقى طيبكم فيطيب
فياساكيني شرفتي دجلة كلهم إلى القلب من أجل الحبيب حبيب

موازنة
بين المتأبى
والعباس

وقال الصولي : ناظر أبو أحمد على بن يحيى المنجم رجلاً يُعرف بالمتفقه
الموصلى في العباس بن الأحنف والمتأبى ، فصل على في ذلك رسالة أنفذها
لعلى بن عيسى ؛ لأن الكلام في مجلسه جرى . وكان مما خاطبه به أن قال :
ما أهل نفسه قط المتأبى لتقديمها على العباس في الشعر ، ولو خاطبه مخاطبٌ لدفعه
وأنكره ؛ لأنه كان عالماً لا يؤتى من قلة معرفة بالشعر ، ولم أرَ أحداً من العلماء
بالشعر مثل المتأبى والعباس ، فضلاً عن تقديم المتأبى عليه لتباينهما [في ذلك] ،
وإن المتأبى متكلف ، والعباس يتدفق طبعاً ؛ وكلام هذا سهل عذب ، وكلام
ذاك متمدد كثر ، وفي شعر هذا رقة وحلاوة ، وفي شعر ذاك غلظ وجساسة ،
وشعر هذا في فن واحد وهو النزل ؛ وأكثر في أحسن ، وقد افتن المتأبى فلم
يخرج في شيء منه عما وصفناه .

(١) في ديوانه «يوشك أن ينمي في الناعي» وأحسبه محرفاً عما هنا (م)

وإن من أحسن شعر العتابي قصيدته التي مدح بها الرشيد وأولها :
يا لَيْسَةَ لِي في حوران ساهرةً حتى تَكَلِّمَ في الصبح المصافيرُ
وقال فيها :

أني أَلَمَّا قِي اهْبَاضٌ عن جَفَوْنِها أُمُّ في الجفون عَنِ الْأَمَاقِ تَقْصِيرُ
وهذا البيت أخذه من قول بشار الذي أحسن فيه كل الإحسان وهو قوله :
جَعَتْ عَيْنِي عن التضيض حتى كَانَ جَفَوْنُها عنها قِصارُ
فمسخه العتابي ، على أن بشاراً أخذه من قول جميل :

كَانَ الْحَبِّ لِيَطُولَ الشَّهَادِ قِصِيرُ الْجَفُونِ وَلَمْ تَقْصُرْ
إلا أن بشاراً أحسن فيه ؛ فنأزعهما إياه فأساء ، وإن حق من أخذ مني قد سبق
إليه أن يصنعه أجود من صنعة السابق إليه ، أو يزيد عليه ، حتى يستحقه ، وأما
إذا قصر عنه فهو مبيحٌ بالسرقة ، مذموم على القصير .
ولقد هاجى أبا قابوس النصراني فغلب عليه في كثير مما جرى بينهما على
صَفَفٍ مُنَّةٍ أبي قابوس في الشعر ، ثم قال في هذه القصيدة :

ماذا عسى مَادِحٌ يُثْنِي عليك وقد نَادَاكَ بِالْوَحْيِ تَقْدِيسٌ وَتَطْهِيرُ
فَتُ الْمَسَادِحِ إِلَّا أَنْ أَلْسِنَا مستملكات بما تُخْفِي الضَّمَائِرُ^(١)
نَحْمُ البيت فيها بأقل لفظة لو وقعت في البحر لكدرته ، وهي صحيحة ،
وما شيء أملك بالشعر بعد صحة المعنى من حُسْنِ صِحَّةِ اللفظ ، وهذا عمل التكلف ،
وسوء الطبع .

ولعباس بن الأحنف إحسان كثير ، ولولم يكن إلا قوله :

أَنكَرَ النَّاسُ سَاطِعَ الْمِسْكِ مَنْ دَجَلَةٍ قَدْ أَوْسَعَ الشَّارِعَ طَبِيبَا

(١) الضمائر : أصله الضمائر ، فأشبع كسرة الهجزة فتولدت ياء ، ووقع ذلك في
شعر العرب الفحول وإن كان مستكرها ؛ فمن ذلك قول الفرزدق يصف ناقة :

تتقي بداها الحمى في كل هاجرة نفي الدراهم تنقاد الصيارف
فالدراهم أصله الدراهم ، والصيارف أصله الصيارف ، فزاد الياء في كل منهما (م)

فهمُ يَمُجَّبُونَ منه وما يَدُ رُونَ أَنْ قد حَلَّتْ منه قريبا
 قاسمى هذا البلاء، وإلَّا قاجلى لى من التمرى نصيبا
 إنَّ بعضَ العتابِ يدعو إلى التَّشَبُّه، ويؤدِّى به الحبُّ الحبيبيا
 وإذا ما القلوبُ لم تُضَيِّرِ العَطَشَ فلن يَمُطِفَ العِتابُ القلوبا^(١)
 وقوله :

قالت مرصتُ فعدُّتها فتبرَّمتْ وهى الصَّحيحةُ والمرِضُ السائدُ
 تافهٌ لو أنَّ القلوبَ كَقَلْبِها ما رَقَّ للولدِ الصَّغيرِ الوالدُ
 إنَّ كانَ ذنبى فى الزَّيَّارةِ فأَعْلَى لى على كَسْبِ الذُّنُوبِ الجَاهِدُ^(٢)
 أَلقيتُ بينَ جفونِ عيني فِرْقَةً فإلى متى أنا سَاهِرٌ يا راقِدُ
 بَقِعَ البلاءُ وَيَنْفَعُنِي عن أهله وبلاءُ حُبِّكَ كلَّ يومٍ زائدُ
 سَمَّيكَ لى ناسٌ وقالوا : لَهَا لَهِىَ التى تَشَقُّ بِها وتُكَابِدُ
 فحببتهم لِيَكُونَ غيرَكَ ظَهِمَ لى لِيُعِجِبَنِي الحبُّ الجَاهِدُ
 وقوله :

إنى وإن كنتِ قد أسأتِ بى السَّوَمَ لَرايحَ للعَطَشِ منك غدا
 أَسْتَمِعُ اللهَ بالرجاءِ وإن لم أَرِ مِنْكُمْ ما أُرِجى أبدا
 وله :

أَهْدَى لى أحبابه أَرْجَى فبكى وأشفق من عِياقةِ زاجرٍ
 متطبِّرا منها أَتَتْهُ وَجِئَتْها لوانانِ بَاطِنِها خِلَافُ الظَّاهِرِ
 ولئن وفَّى أبو أحمد المباسَّ حقَّه ، قد ظلمَ العِتابُ ما كانَ مستحقَّه ، من
 سرِّ الكلامِ ، وَجُودَةٍ رصفِ النِّظامِ . قال الصَّولى فى نسبِ المباسَّ - وكان من

(١) لن يطف العتاب القلوب : لن يميلها (٢)

(٢) إن الذى تقع اللام فى خبرها مكسورة الهمزة البتة (٣)

(٤) - زهر الآداب ١

خزولته: هو العباس بن الأحنف بن الأسود بن قدامة بن هيمان من بني [هفان بن الحارث بن] ذهل بن [الدبل بن] حنيفة . وله يقول الصريح يهجو :

بنو حنيفة لا تَرْضَى الدَّعِيَّ بِهِمْ فَأَتْرُكُ حَنِيفَةَ وَأَطْلُبُ غَيْرَهَا نَسَبًا
أذهب إلى عَرَبٍ تَرْضَى بِنَسَبِهِمْ إني أرى لك لونا يُشبهُ الْعَرَبَا
وقال [أبو أحمد : قال] العباس :

حُرًّا دَعَاهُ الْمُوَسَّى مِيرًا فَلَبَّاهُ طَوَّعًا فَأَضْحَكَ مَوْلَاهُ وَأَبْكَاهُ
فشاهدتْ بِالَّذِي يُغْنِي لَوَاحِظُهُ وَعَدْتُهَا بِفَيْضِ الصَّعْ عَيْنَاهُ
جَازِيَتْنِي إِذْ رَعَيْتُ الْوَدَّ بِسُكِّ أَنْ وَكَلَّتْ طَرْفِي بِنَجْمِ اللَّيْلِ رِعَاهُ
اللهُ بِشَهْدِ أَنْيْ لَمْ أُخْنِكْ هَوًى كَفَاكَ بَيْنَهُ أَنْ يَشْهَدَ اللهُ
وقال :

يَا مَنْ يُكَاتِفِي تَغْيِيرَ قَلْبِهِ سَأُكْفَى نَفْسِي قَبْلَ أَنْ تَتَبَرَّأَ^(١)
وَأُصَدِّ عَنْكَ وَفِي يَدَيَّ بَقِيَّةٌ مِنْ حَبْلٍ وَدَكَّ قَبْلَ أَنْ يَتَصَرَّأَ
يَا لِرَجَالٍ لِمُاشِقِينَ تَوَاقَفَا وَمُخَاطَبًا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَكَلَّمَا
حَتَّى إِذَا خَافَا الْعَيُونَ وَاشْتَقَقَا جَلَا الْإِشَارَةَ بِالْأَنَامِلِ سَلَّمَا
وقال :

اللهُ بِمَلْمُ مَا أَرَدْتَ بِهِجْرِكُمْ إِلَّا مَسَاوِرَةَ الْعَدُوِّ الْكَاشِحِ
وَعَلْتَ أَنْ تَسْتُرِي وَتَبَاعِدِي أَبْقَى لَوْحِكَ مِنْ دُونِ قَاضِحِ
وقال :

يَهِيمُ بِمَحْرَمَانِ الْجَزِيرَةِ قَلْبُهُ وَفِيهَا غَزَالٌ فَأَتْرُكُ الطَّرْفَ سَاحِرُهُ
يُؤَاوِزُهُ قَلْبِي عَلَى وَطْنِي يَذَانِ بَيْنَ قَلْبِي عَلَى يَوْمِ الزَّرُّهُ^(٢)

(١) في ديوانه « قبل أن تتبرأ » (م)

(٢) في نسخة « يا من يؤاثرها قلبي - إلخ » (م)

[العين والقلب]

وقد قال سهل بن هرون :

أعان طرقي على قلبي وأعضائي بنظرة وَهَّتَ جَنِيحِي على داني
وكتبْتُ غرماً بما يبغي على بدني لا عِلْمَ لي أنْ يفضي بعضُ أعدائي

وقال النظام :

إنَّ العيونَ على القلوبِ إذا جَنَّتْ كانت يَلِيَّتِها على الأجسادِ
البحترى :

ولست أُعجِبُ من مِصْيَانِ قَلْبِكَ لِي حقاً إذا كان قَلْبِي فِيكَ يَتَمِصُّ
وقال الأصمى : سمعتُ الرشيدَ يقول : قَلْبُ الماشقِ عليه مع مَشْوَقِهِ .
قلت : هذا والله ما أميرُ المؤمنين أَحْسَنُ من قول عُروَةَ بنِ حِزامَ لَمُتْرَاءَ في آيَاتِهِ
التي أنشدَها :

وإني لَتَتَرَوُنِي لَدَرِكَ رَوْعَةً لما بين جِلْدِي والمَظَامِ دِيبُ
وما هو إلا أن أراها فيه فُجَاءَةً فَأُبْهِتَ حَتَّى لَا أَكَادُ أُجِيبُ^(١)
وأصْرَفَ عَن دَائِي الْقَدَى كُنْتُ أُرْثَى وَيَقْرُبُ يَتَى ذِكْرُهُ وَيَنْيَبُ
ويضمُرُ قَلْبِي غَدْرَهَا وَيُصِيبُهَا عَلِيٌّ ، وَمَالِي فِي الْفُرَادِ نَصِيبُ
فقال الرشيد : من قال ذلك وَهْمًا ، فقد قلته علماً .

[من مأثور الحكم]

قال علي بن عبيدة الريماني : أحمرُ ودَّكَ فإنه عِرْضُكَ ، وَصْنُ الأنسِ بكِ
فإنه يُعْزِرُ^(٢) حظك ، ولا تستكثر من الطمأنينة إلا بعد استحكام الثقة ؛ فإن
الأنس سريرةُ القل ، والطمأنينة بذلةُ المتحايين ، وليس لك بعدهما تحفةٌ تمنحها
صاحبتك ، ولا حِباءٌ تُوجب به الشكر على من اصطفت .

(١) تبغضني « حتى ما أكاد أجيب » (م) (٢) في نسخة « فإنه يد حظك » وإن
لم تكن طليما فهي محرقة عن « فإنه بدء حظك » (م)

وقال : ما أنصف من عاتب أخاه بالإعراض على ذنب كان منه ، أو هجره بخلاف بما يكره عنده ، إذا كان لا يمتد في سالف أيام العشرة إلا بالرضا عنه ، ومشاكلته فيما يؤنس منه . فإن كان السائب شكاً جميع ما ستره من أخيه أولاً ، فلقد تَنَمَّ الموافقة حفظ الاعتصاف ، وإن لم يكن وقى له بكل ما استحق منه فليقتصر بما وجب منه عليه لأخيه بقدر ذنبه ، ثم العودة إلى الألفة أولى من تشتت الشل ، وأشبهُ بأهل التصافي ، وأكرم في الأخدمة عند الناس .

وقال : الحياه لباسٌ سابع ، وحجاب وقى ، وسر من للساوى ، وأخو العفاف ، وسليف الدين ، ومُصاحب بالصنع . ورقيب من العيصنة ، وعين كإلثة^(١) تذود عن الفساد ، وتنهى عن الفحشاء والأدناس .
وقال : لا يخلو أحد من صَبَوة إلا أن يكون جاسي الخلق^(٢) ، مقوص اليقينية ، أو على خلاف تركيب الاعتدال .

[الهوى]

ورأى سعيد بن سلم^(٣) بن قتيبة ابناً له قد شرع في رقيق الشعر وروايته ، فأنكر عليه ، فقيل له : إنه قد عشق ، فقال : دَعُوهُ فإنه يلطف ، وينظف ، ويعرف .
وقال الفضل بن أحمد بن أبي طاهر^(٤) ، واسم أبي طاهر طيفور : وصفت الهوى قومٌ وقالوا : إنه فضيلة ، وإنه ينتج الحيلة ، ويشجع قلب الجبان ، ويسخى قلب البخیل ، ويصفى ذهن النبی ، ويطلق بالشعر لسان للفهم ، ويمت حَزَمُ الباجر الضيف ، وإنه عزيز تذل له عزة الملوك ، وتفرغ فيه صَوْلَةُ الشجاع ، وتنفاد له طاعة كل محتج ، ويدل كل مستصعب ، ويبرز كل محتجب ، وهو داعية الأدب ، وأول باب تفتق به لأذهان والقطن ،

(١) كائنة : حافظة ، كلاًه يكلؤه - من باب فتح - حفظه ورعاه ، وودود : تمنع وتدفع (م) (٢) جاسي الخلق : جافاً غليظاً (م) (٣) في نسخة « سعيد ابن مسلم » (م) (٤) في نسخة « أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر » (م)

وتستخرج به دقائق السكايد والحيل ، وإليه تستريح الهيم ، وتسكن نوافر الأخلاق والشيم^(١) ، يمتنع جلبيسه ، ويؤنس ألقه ، وله سرور يحول في النفس ، وفرح مستكن في القلب ، وبه يتعاطف أهل اللوذة ، ويتصل أهل الألفة ، وعليه تتألف الأشكال ، وله صولات على القدر ، وسكايد تبطل لطائف الحيل ، وعزف يظهر في الأخلاق والخلق ، وأرواح تنطلق من أهلها ، وتنبثق من ذوبها .

وقال الباني بن عمرو مولى ذى الرياستين : كان ذو الرياستين يبعث بى وبأحداث من أهله إلى شيخ بخراسان ويقول : تملؤوا منه الحكمة ؛ فكنا تأنيه ، وإذا انصرفنا من عنده اعترضنا ذو الرياستين يسألنا عما أفادنا فنخبره ؛ فيرثنا إلى الشيخ يوماً فقال لنا : أتم أدهاء ، وقد سمعتم الحكمة ، وفيكم أحداث ، ولكم نعم ، فهل فيكم عاشق ؟ قلنا : لا ، قال : عاشقوا ؛ فإن الشق يُطلق النسي ، ويفتح جيلة البليد ، ويسخى كف البخيل ، ويبعث على النظافة وحسن الهيئة ، ويدعو إلى الحركة والذكاء ، وشرف الهمة ، وإلاكم والحرام .

قال : فانصرفنا ، فسألنا عما أفادنا في يومنا ؛ فهبناه أن نخبره ، فزَمَ علينا . قلنا له : أمرنا بكذا وكذا ، قال : صدق ، أتملؤون من أين أخذ هذا الأذى ؟ قلنا : لا . قال : إن بهرام جور كان له ابن رشحته للثك من بده ، فنشأ ساقط الهيئة ، خامل المروءة ، ذى النفس ، سقى الأدب ، كليل القرينة ، كهم الفكر^(٢) ؛ فنته ذلك ، ووكل به من المؤدبين والنجسين والحكاه من يلزمه ويعتمه ، وكان يسألهم فيخشكون له ما يسوءه ، إلى أن قال له بعض مؤدبيه : قد كنا نحاف سوء أدهاء حدث من أمره ما حيرنا إلى اليأس منه ، قال : وما ذلك ؟ قال : رأى ابنة فلان للرزبان فمشقها ففلبت عليه ، فهو لا يهذى إلا بأمرها ، ولا يتشاغل إلا بذكرها . فقال بهرام جور : الآن رجوت صلاحه .

(١) الشيم : جمع شيمة - بكسر الشين - وهى الحصة والحقة والسجية (م)

(٢) كهم الفكر : ضيعه متبلهه (م)

ثم دعا أبى الجارية فقال: إني مُسرّ لك سرّاً فلا يحدوثك^(١). فضمين له ستره فأعلمه أن ابنته قد عشقَ ابنته، وأنه يريد أن يُنكحها إياه، وأمره أن يأخذها بإطاعه بنفسها، ومراسلته من غير أن يراها، أو تقع عينه عليها؛ فإذا استحكم طمعه فيهما تجنّث عليه، وهجرته، فإذا استتبها أعلمته أنها لا تصّاح إلا ملك، أو من هُمته همة ملك، وأن ذلك يمنها من مؤاخذته، ثم ليعلم خبرها وخبره، ولا يُعلمها على ما أسرّ إليه، فقبل ذلك أبوها منه.

ثم قال المؤدّب: خوْفُه في، وشجْته على مراسلة الجارية، فضل ذلك، وفضلت الجارية ما أمرها به أبوها؛ فلما انتهت إلى التجنّث عليه، وعلم القتي السبب الذي كرهته من أجله أخذ في الأدب، وطلب الحكمة، والعلم، والقروسية، ولعب الصّوالجة، والزّماية، حتى مَهَر في ذلك، وورّع إلى أبيه أنه يحتاج من الطعام والآلات والدواب والملابس والوزراء فوق الذي كان له؛ فسرّ الملك بذلك، وأمر له بما أراد، ودعا بمؤدّبه، قال: إنّ الموضوع الذي وضع ابني نفسه فيه بحب هذه المرأة لا يَزْرِي به^(٢)؛ ف تقدّم إليه أن يرفع أمرها إلى ويسألني أن أزوّجها إياها، فقبل؛ فزوّجها منه، وأمر بتعجيل نقلها إليه، وقال له: إذا اجتمعت أنت وهي فلا تُحدِث شيئا حتى أصير إليك. فلما اجتمعا جاز إليه فقال: يا بني، لا يضمن منها عندك مراسلتها إليك، وليست في حبالك، فأنا أمرتها بذلك، وهي من أعظم الناس مَنّة عليك، بما دَعَتْكَ إليه من طلب الحكمة، والتخلّق بأخلاق الملوك، حتى بلغت الحد الذي تصلح معه السلوك بحدى؛ فزِدْها في التشريف والإكرام بقدر ما تستحق منك. فقبل القتي ذلك، وعاش مسروراً بالجارية، وأبوه مسروراً به، وزاد في إكرام المرزبان، وورّع مرتبته وشرفه بصيانتة لسره وطاعته، وأحسن جائزته وجائزة المؤدّب

(١) لا يحدوثك: لا يتجاوزتك إلى غيرك، يأمره بكتبان السر (م)

(٢) لا يَزْرِي به: لا يعيبه ولا ينقصه ولا يضع من قدره (م)

بامثاله أمره ، وعقدَ لابنه الملك من بعده . قال الهادي : وكان الشيخ الحسن بن مصعب .

ثم قال ذو الرياستين : قال علي بن بلال :

سبّلت في الدنيا شفيقٌ عليكم
إذا غاله من حادثِ الدهر غائله
ويفني لكم حباً شديداً ورهنة
ولفلس أشغال ، وحُبّك شأله
كريمٌ يُبقي السرّ حتى كأنه ،
إذا استخبروه عن حديثك ، جأله
يودُّ بأن يُمنّى عليها لعلها
إذا سمعت عنه بشكوى تُراسله
وترتاحُ للمعروف في طلب الثلا
لتُحَدِّث يوماً عند تيسلي ثمانله^(١)

وذكر أعرابي الهوى قال : هو أعظمُ مسلكاً في القلب من الروح في
الحسم ، وأملكُ بالنفس من النفس . يظهر ويبطن ، ويكتف ويغطف ،
فامتنع عن وصفه اللسان ، وعي عنه البيان ! فهو بين السحر والجفون ، لطيفُ
المسلك والكمون . وأنشد :

يقولون لو دبرتَ بالقلْبِ حبّاً ولا خَيْرَ في حُبِّ يدبّرَ بالقلْبِ

[من رسائل الميكالي]

فصل للأمير أبي الفضل الميكالي :

لا زالت الأيام تزيدُ رُتبتَه ارتفاعاً ، وباعه اتساعاً ، وعزّته غلبةً وأمتناعاً ،
فلا يبقى مجدٌ لِأشيدته معاليه ومكارمه ، ولا ملكٌ إِلَّا أَفقرَعته صرائمه وصوارمه .
وله فصل : لا زالت حياة الأحرار بفضلِه متّسمة ، ووجوه المكارم بفرّ
أيامه مبتسمة ، وأهواء الصدور بمُخدّمة وُدّه مرتسمة ، [وغنائم الشكر بين محاسن
قوله وفعله مقتسمة] .

وله : الله يُديمُ رايةَ الأمير الجليل محفوفةً بالقلج والنصر ، مكنوفةً^(٢) بالقلبة

(١) الشائل : جمع شمال ، وهي الخصلة ، وقال الشاعر * وما لوى أخى من

شماله * (م) (٢) مكنوفة : محوطة (م)

والقهر ، حتى لا يزال خَطْبًا إلا تَذَلَّت به صِابُهُ ، ولا يُمَارِسُ أَمْرًا إلا تَبَسَّرَتْ
أَسْبَابُهُ ، ولا يَرُومُ^(١) حَالًا إلا أَدْعَنَ لهيئته وسلطانته ، وخَضَعَ لسيِّئته وسنَّته ، وذَلَّ
لثَقْدِ لوائه ، ومنئى عنانه ، إلى أن يَنَالَ من آماله أَقاصِيهَا ، وَيَمْلِكَ من سَبَاغِيهِ
أَزْمَتَهَا ونَوَاصِيهَا [وَيُسَامِي الثَّرِيَا بملو هته ويناصيها] .

وله فصل : إنما أشكو إليك زمانًا سَلَبَ ضِيفَ ما وَهَبَ ، وَفَجَعَ بِأَكْثَرِ ما
أَمْتَعَ ، وأوحش فوق ما آتَى ، وعنف في تَزْجُعِ ما أَلْبَسَ ؛ فإنه لم يُدَقِّنَا حلاوة
الاجتماع ، حتى جَرَّعَنَا مرارةَ الفراق ، ولم يَمْتَعِنَا بِأَنْسِ الالتقاء ، حتى غَادَرَنَا رَهْنَ
التلطفِ والاشتياق ، والمجدُّ لله تعالى على كل حال يُسَىء ويسر ، ويُخْلُو ويُبرِّم ،
ولا يُبَاسِ من رَوْحِ الله في إِبَاحَةِ مَنَعِ يجعلُ رَبَّهُ مُنْغَلِي^(٢) ، وَيُقْصِرُ مَدَّةَ الِيتَادِ
والتراسُ ، فألاحظ الزمانَ بعينِ راضٍ ، ويُقِيلُ إلى حَظِّي بعد إعراضٍ ، وأستأنف
بعزته عيشًا سابعَ الذبولِ والأعطافِ ، رقيقَ اللمانِ والأوصافِ ، عَذْبَ اللواردِ
وللنَهلِ ، مأمونَ الأكافِ والفرائلِ .

وله فصل : أما أسأل الله تعالى أن يردَّ على بَرْدِ العيشِ الذى قَدَّته ، وفسحة
السرورِ الذى عَهِدته ؛ فَيَقْصِرُ من الفراقِ أمدُهُ ، ويعلوَ للالتقاءِ حكمه ويَدُهُ ،
وَيَرْجِعِ ذلِكَ العهدُ الذى رَقَّتْ غلائله ، وصَفَتْ من الأقداءِ مَنَاحله ، فلمْ أَتَهِنَّا
بعده بِأَنْسٍ مقيمٍ ، ولا تملَقتِ يوما إلا بعيشِ بِهِمْ .

فلو تَرَجَّعُ الأيامُ بيني وبينهُ بذي الأَثَلِ صَيِّفًا مثل صيفي وترَ بى
أشدُّ بأعتاقِ التوى بعد هذهِ مرائرِ إن جاذِبَتْهَا لم تَقْطَعْ
وما على الله عزَّ بَرَّ أن يقرَّبَ بعيدًا ، وَيَهَبَ طالما سعيدًا ، وَيُسَهِّلَ عسيرًا ،
وفيكَ من رِقَةِ الاشتياقِ أسيرًا .

(١) لا يروم : لا يطلب ، وأدعن : خضع وذلل (م)

(٢) اللناخ : موضع الإناخة ، وأصلها برك الإبل ، وأراد بها الإقامة (م)

وله فصل من كتاب إلى أبي منصور عبد الملك الثعالى :
 قرأتُ خبرَ سلامته ، فسترى السرورُ فى الجوانح ، واهتزَّت النفسُ له
 اهتزازَ القُصْنِ تحت البارح :
 أليس لأخبارِ الأحبةِ فرحةٌ ولا فرحةُ المِطْشانِ فاجأهُ القَلْبُ
 يقولون : قد لُوِّقَ لوقتِ كتابِهِ فتفتَّشِرَ البشرى وينشرحُ الصَّدْرُ
 ثم سألتُ الله تعالى أن يحرسَ علينا سلامته سائبةً للملابسِ وللطَّارِفِ ، موصولةً
 التاليدِ بالطَّارِفِ .

وله فصل من كتاب تنغية عن أبي العباس بن الإمام أبي الطيب :
 لئن كانت الرزية مُمِصَّةً مؤلمةً ، وطُرُقُ المَراءِ والسلوة مُمِهةً ، لقد حَلَّتْ بِسَاحَةِ
 من لا تَنفَضُّ بِأَمثالها مَرَارُهُ ، ولا تَضْفُفُ عَنْ أَحْمالها بَصَائِرُهُ ، قد يَلْقَاها
 بِصَدْرٍ فسيحٍ ، يحمى أن يبيعَ الحُزنَ جَنابَهُ ، وصَبْرٍ مشيحٍ ، يحمى أن يُحِيطَ الجَزَعُ
 أَجْرَهُ ونَوَابِهِ ؛ كيف لا وآدابُ الدين من عنده تَلْتَمِسُ ، وأحكامُ الشرع من
 لسانه ويده تُسْتَفاد وتُتَبَسَّسُ ، والصيرون تَرْمُقُهُ فى هذه الحال لتَجَرِّى على سَنَنِهِ ،
 وتَأْخُذَ بِآدَابِهِ وسُنَنِهِ ؛ فإن تعزَّتِ القلوبُ فبحسبِ تَماسِكِهِ عَزَاؤُهَا ، وإن حَسَنَتْ
 الأفعالُ فالى حَيْدِ أفعالِهِ ومذاهبِهِ اعتزَاؤُهَا .

[من شعر الميكالى]

جِلَّةٌ من شِعْرِه فى تَحْسِينِ التَّوْفِيقِ والغَزَلِ

قال :

هَذِيرِي مِنْ جَفَوْنَ رَامِيَاتٍ بِسَهْمِ التَّخَرِّ مِنْ عَيْنِ غَزَالٍ

غَزَالِي طَرَفُهُ حَتَّى سَبَّابِي لِأَتَتَمَرَنَّ مِنْهُ بَيْنَ غَزَالِي

وله أيضاً :

أَمَّا حَانَ أَنْ يَشْعَى لِلْسَهَامِ بَرَّوْرَةٍ وَضَلَّ وَتَأْوَى لَهُ^(١)

(١) فى نسخة «أن يشقى للسهم» ولا يستقيم عليها وزن البيت (م)

يجمع عن سُؤْلِهِ هَيْبَةً وسلم عَلَيْكَ تَأْوِيلَهُ
وقال أيضاً :

شكوتُ إليه ما ألقى فقال لي : رويداً قى حكم الهوى أنتَ مؤتلى
فلو كان حقاً ما ادّعت من الجوى قلّ بما ألقى إذا أن تموت لي
وقال أيضاً :

تفرّق قلبي في هواه فمئسده فريقٌ وعندي شُعبة وفريقٌ
إذا ظلمت نفسي أقول لها : أَسْفِي فإن لم يكن راحٌ لديك فريقٌ^(١)
وقال أيضاً :

شأفة كَفَى رَشَاً بَقْبَلَةٍ ما شَفَتْ
قلت إذ قَبَلَهَا باليت كَفَى شَفَقِي

وقال :

يا شادنا غاب نجمُ الحسن لولاهُ قد كان يوسفُ لما مات ولأه
ولأه دقّ ظَرْفُ في شمسائه فاشتطّ في الحكم لولا أن تولاهُ
أرحم فتى مدّفقاً ما إن يُخلّصهُ من غمرَةِ الرَّجْدِ إلا أنت واللهُ

[الاهتزاز لقضاء حوائج الناس]

قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : حدثني أبو الهيثم بن السندی بن شاهك
قال : قلت في أيام ولايتي الكوفة لرجل من أهلها لا يحبّ قلبه ولا ترجح يده ،
ولا تسكن حركته في طلب حوائج الناس ، وإدخال المنافع على الضعفاء ، وكان رجلاً
مفوتها : أخبرني عن الشيء الذي هوّن عليك النصب ، وقوّاك على التّعب ، ماهو ؟

(١) الراح ، الخمر ، وقوله «فريق» مؤلف من الفاء الواضحة في جواب الأمر ،
وكلمة «ريق» وهو ماء الفم ، ويتضمن تشبيه ريقه بالخمر (م)

قال : قد ، والله ، سمعتُ تَفرِيدَ الأَطْيَارِ بالأَشْجَارِ على أَفْئَانِ الأشْجَارِ ، وسمعتُ [خَفَقَ] أوتارَ العِيدَانِ ، وترجيعَ أصواتِ القِيَانِ ، فإِطْرَبْتُ من صوتِ قَطْ طَرَبِي من ثناءِ حسن ، على رجلٍ قد أحسن ، ومن شاكِرٍ مُنْعِم ، ومن شفاعَةٍ شَفِيعٍ عَحْسَبِ لَطَالِبِ ذَاكِرٍ

فقال أبوالميثم : فقلت له : لله أبوك ! لقد حُشيتَ كرماً ! فبأى شئ سَهَكْتَ عليك للمَأْوَدَةِ والطلب ؟ قال : لا أَبْلُغُ المَجْهُودَ ، ولا أَسْأَلُ إلا مَا يَمْجُوزُ ، وليس صدقُ العَذْرِ بِأَكْرَهٍ إِلَيَّ من إِنْجَازِ الوعدِ ، ولست لِإِكْرَاهِ السَّائِلِ بِأَكْرَهٍ مِنِّي لِإِجْحَافِ السُّتُولِ ، ولا أَرَى الرَّاغِبَ أَوْجِبَ حَقًّا عَلَيَّ لِذِي قَدَمٍ من حُسْنِ ظَنِّهِ من الرُّغُوبِ إِلَيْهِ لِذِي احْتِمَالٍ من كَلِّهِ . قال إبراهيم : ما سمعتُ كلاماً قط أشَدَّ مَوَالِفَةً لمَوْضِعِهِ ، ولا أَلْيَقَ بِمَكَانِهِ ، من هذا الكلام .

[بين عميلة الفزاري وأسيد بن عتقاء]

وروى أبو بكر بن شُعَيْرٍ النَحْوِيُّ عن أَحْمَدَ بنِ عُبَيْدٍ قال :
كان أَسِيدُ بنِ عَتَقَاءِ الفَزَارِيُّ من أَكْبَرِ أَهْلِ زَمَانِهِ ^(١) . وَأَشَدَّهمْ عَارِضَةً وَلِسَانًا ، وَطَالَ
عَمْرُهُ ، وَنَكَبَهُ دَهْرُهُ ؛ فَاخْتَلَتْ حَالُهُ ، فَخَرَجَ يَتَبَقَّلُ ^(٢) لِأَهْلِهِ ؛ فَمَرَّ عَلَيْهِ عَمِيلَةُ الْفَزَارِيِّ ،
فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، وَقَالَ : يَا عَمُّ ؛ مَا أَصَارَكَ إِلَى مَا أَرَى ؟ قَالَ : بِمُخْلٍ مِثْلِكَ بِمَالِهِ ، وَصَوْنُ
وَجْهِهِ عَنِ مَسْأَلَةِ النَّاسِ . قَالَ : أَمَا وَاللَّهِ لَنَنْبَقِيْتُ إِلَى غَدٍ لِأَغْيَرَنَ مِنْ حَالِكَ مَا أَرَى ،
فَرُجِعَ ابْنُ عَتَقَاءَ إِلَى أَهْلِهِ فَأَخْبَرَهُمْ بِمَا قَالَ عَمِيلَةُ ، فَهَلَّوْا لَهُ : غَرَّكَ كَلَامُ غُلَامٍ جُنَّحَ ظِلَامٍ
فَسَكَتْنَا أَلْقَمُوا قَاهُ حَجْرًا ؛ فَبَاتَ مَتَمَلِّلاً بَيْنَ رَجَاءٍ وَيَأْسٍ ، فَلَمَّا كَانَ السَّحَرُ سَمِعَ
رُغَاءَ الْإِبِلِ ، وَنُعَاءَ الشَّاءِ ، وَصَهِيلَ الْخَيْلِ ، وَجَلَبَ الْأَمْوَالِ ، فَقَالَ : مَا هَذَا ؟

(١) في الأُمَالِي (٢٣٧/١) « من أكثر أهل زمانه » (م)

(٢) يَتَبَقَّلُ لِأَهْلِهِ : يَطْلُبُ لَهُمُ الْبَقْلَ (م)

قالوا : عُجَيْلَةٌ قَدَسَاقُ إِلَيْكَ مَالَهُ ، خَرَجَ ابْنُ عَتَقَاءَ لَهُ ^(١) ، قَسَمَ مَالَهُ شَطْرَيْنِ ، وَسَامَهُ عَلَيْهِ ، فَأَنشَأَ ابْنُ عَتَقَاءَ يَقُولُ :

رَأَى عَلَى مَابِي عُجَيْلَةً فَاشْتَكَيْ	إِلَى مَالِهِ حَالِي ، أَسْرَةً كَمَا جَهَرَ
دَعَانِي فَوَاسَانِي ، وَلَوْ ضَنَّ لَمْ يُيْلَمْ	عَلَى حَيْنٍ لَا يَدُوْ يُرْجَى وَلَا حَضَرَ
فَقُلْتُ لَهُ خَيْرًا ، وَأَثْنَيْتُ قَوْلَهُ	وَأَوْفَاكَ مَا أَوْلَيْتَ مَنْ دَمَ أَوْشَكَرَ ^(٢)
وَلَمَّا رَأَى الْمَجْدَ اسْتَمِيرَتْ نِيَابُهُ	تَرَدَّى بِشَوْبِ سَابِغِ الذَّيْلِ وَاتَزَرَّ ^(٣)
غِلَامٌ رَمَاهُ اللَّهُ بِالْحَسَنِ يَافَا	لَهُ سَيْبِيَاءُ لَا تَشْقَى عَلَى الْبَصَرِ
كَأَنَّ الثَّرِيَا عُلَّقَتْ فِي جَبِينِهِ	وَفِي أَغْصَانِ الشَّعْرِى وَفِي خَدِّهِ الْقَمَرِ
إِذَا قِيلَتْ الْمَوْرَاهُ أَغْضَى كَأَنَّهُ	ذَلِيلٌ بِلَادُلٍ ، وَلَوْ شَاءَ لَا تَصْمَرُ

[من غرر اللدائع]

وَأَنشَدَ أَبُو حَاتِمٍ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ لِلْفَرَزْدَاقِ أَحَدُ بَنِي بَكْرِ بْنِ كِلَابٍ يَمْدَحُ بَنِي عَمْرِو الْقَتَوِيِّينَ ، وَكَانَ الْأَصْمَعِيُّ يَقُولُ : هَذَا مِنْ ^(٤) الْهَجَالِ ، كِلَابِي يَمْدَحُ غَنَوِيَا !

هَيْثُنُونُ لَيْثُونُ أَيْسَارُ ذُو كَرَمٍ	سُوَاسُ مَكْرَمَةٍ أَبْنَاءُ أَيْسَارٍ
إِنْ يَسْأَلُوا الْعَرْفَ يُعْطَوْهُ ، وَإِنْ خُيِّرُوا	فِي الْمَجْدِ أَدْرَكَ مِنْهُمْ طَيْبُ أَخْبَارٍ
لَا يَنْطَقُونَ عَنِ الْأَهْوَاءِ إِنْ نَطَقُوا	وَلَا يَمَارُونَ إِنْ مَارَوْا بِإِكْثَارٍ
مَنْ تَلَقَّى مِنْهُمْ تَقَلَّ لَاقِيَتُ سَيِّدِهِمْ	مِثْلَ النُّجُومِ الَّتِي يَسْرِي بِهَا السَّارِي
مِنْهُمْ وَفِيهِمْ يُعَدُّ الْخَيْرُ مِثْلِيَا	وَلَا يُعَدُّ تَا خِرْزِي وَلَا عَارِي

[صُرُوفُ النُّهْرِ]

فصل لبعض الكتاب — ما تنجيبك مما لقيت من الخفيف ! هل ضمن النهر أن

(١) في الأُمالي « فاستخرج ابن عتقاء ثم قسم ماله شطرين وسامه عليه » (٢)

(٢) وفيه « وأوفاك ما أليت » (٣) وفيه « تردى رداء سابغ الذيل » (٤)

(٤) في الأغاني (٢٣٩/١) : « هذا الهال »

يُنْصِفُ وَلَا يَحْيِفُ^(١) ، أَوْ يُزِمُّ فَلَا يَنْقُضُ ، أَوْ يَأْكِفِي فَلَا يُمْرِضُ ، أَوْ يَصْقُو
فَلَا يَكْدِرُ ، أَوْ يَبْقَى فَلَا يَقْدَرُ ؟ قَدَّرَ أَنْ تَنْذِبَ لِي مَسَارِيَهُ ، وَتَلِينَ لِي جَوَانِبَهُ ،
فَحَكَمُ الدُّنْيَا لَا تَتْرَكَ حَامِداً لَهَا إِلَّا أَسَكَّتَهُ ، وَلَا ضَاحِكاً إِلَّا أَبْكَتَهُ ،
أَقْوَى مَا كَانَ بِهَا تَقَّةٌ ، وَأَشَدُّ مَا كَانَ لَهَا مَقَّةٌ^(٢) ، وَأَوْكَدُ مَا كَانَ رُكُوناً إِلَيْهَا ،
وَأَعْظَمُ مَا كَانَ حِرْصاً عَلَيْهَا .

[مِنْ لَا يُوفِي النِّعَمَ حَقَّهَا]

وقال بعض الكتاب يصف رجلاً بالنعمة :

مَا ظَنَنْتُكَ بَعْدَ يَمْنِ يَنْصِفُ بِالنِّعَمِ عَنَفَ مَنْ سَاءَتْهُ مَجَاوِزُهَا ، وَيَسْتَخْفُ بِمَحْفَا
اسْتِخْفَافٍ مِنْ قَمَلٍ عَلَيْهِ حَمْلُهَا ، وَيَطْرَحُ الشُّكْرَ عَلَيْهَا اطْرَاحَ مَنْ لَا يَنْقَلِبُ أَنْ
الشُّكْرَ يَرْتَبِطُهَا .

[عَوْدٌ إِلَى غُرُورِ الدَّامِغِ]

لَأَبِي الشَّيْخِ

وَقَالَ أَبُو الشَّيْخِ :

يَا مَنْ تَمَقَّى عَلَى الدُّنْيَا مَيَالِفَهَا هَلَا سَأَلْتَ أَبَا بَشَرٍ فَنُظْمَاهَا
مَا هَبَّتِ الرِّيحُ إِلَّا هَبَّ نَائِلُهُ وَلَا ازْتَقَى غَايَةَ إِلَّا تَحْتَظَاهَا
غِيَرُهُ :

طَلَّابُ السَّلَا إِلَّا عَلَيْكَ يَسِيرُ وَبَاعُ الْأَعَادِي عَنْ مَدَاكَ قَصِيرُ
إِذَا عُدَّ أَهْلُ الْفَضْلِ كُنْتَ الدِّيُّ لَهُ وَلِقَضَلٍ فِيهِ أَوَّلُ وَآخِرُ

لَأَبِي الْحِجْنَاءِ

وَقَالَ أَبُو الْحِجْنَاءِ الْأَصْفَرُ نُصِيبُ يَصِفُ إِسْحَاقَ بْنَ صَبَاحٍ :

كَانَ ابْنُ صَبَاحٍ ، وَكَنْدَةُ حَوْلُهُ إِذَا مَا بَدَأَ بِدَرْ تَوَسَّطَ أَنْجَمَا
عَلَى أَنْ فِي الْبَدْرِ الْحَاقِّ ، وَإِنْ ذَا تَمَّامٌ فَمَا يَزْدَادُ إِلَّا تَمَّامَا

(١) يحيف : يمحور ويظلم (٢) (٢) اللقمة : الحب ، أو أشده (٣)

نرى للنسر التري يهتر تحته إذا ما علا أغواده وتكلمها
فأنت ابنٌ خيرِ الناسِ إلا نبوةً ومن قبلها سكنت السنام المقدما
ونصيب هو القاتل في البرامكة ، وكان منقطعاً إليهم :

لنصيب
في البرامكة

عند الملوك مَضْرُوءٌ ومنافع وأرى البرامك لا تَمُرُّ وتنفَعُ
إن العروق إذا استسرى بها البُزْرى أثَّ النباتُ بها وطاب للزَّرْعِ^(١)
فإذا جهلت من أمرى أغراقه وقديمه فانظر إلى ما يصنعُ
أخذ هذا من قول سلم الخاسر :

لا تسأل للرء عن خلاقه في وجهه شاهدٌ من الخير
وقال نصيب في بنى سليمان بن علي :

لنصيب
في بنى سليمان
بن علي

بنى سليمان حزنتم كلَّ مَكْرُومَةٍ وليس فوقكم فخرٌ ففتخر
لا تسأل للرء يوماً عن خلاقه في وجهه شاهدٌ يُنبئُك عن خير
حَسْبُ امرئٍ شرفاً أن ساد أسرته وأنت سُدَّتْ جَمِيعَ الجَنِّ والبَشَرِ
سأل سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت رجلاً حاجة ، فلم يقصها ،

وسأل آخر ، فقصاها ، فقال للأول :

دُعمت ولم تُعْمَد ، وأبئت بِحَاجَةٍ تَوَلَّى سِوَاكَم شُكْرَهَا واصطناعها
أبي لك فعلٌ الخَيْرِ رأى مَقْصَرٌ ونَفْسٌ أَضْأَقَ اللهُ بِالْبِخْلِ بَاعَهَا
إذا ما أَرَادَتْهُ عَلَى الْخَيْرِ مَرَّةً عَصَاهَا ، وَإِنْ هَمَّتْ بِشَرٍّ أَطَاعَهَا

[قَمَلَاتُ الْأَجْوَاد]

قال رجلٌ لمُشَام بن عبد الملك : قد انقضتْ يا أميرَ المؤمنين إلى ظهور
حُسْنِ رَأْيِكَ ، فَإِنْ رَأَيْتَ إظهارَهُ بِسرورِ الصديق ، وَرَغَمِ العدو ، صلت ،

هشام بن
عبد الملك

(١) في نسخة «أب النبات بها» تطبيع ، وأث النبات : كثر واتنفذ . (م)

قال هشام : أوجزت وملعتَ فيما سألت ؛ فلا تزد لك طَلِيَّةً ، فما سأله شيئاً إلا أعطاه أكثر منه .

عمرو بن
مسعدة

قال حميد بن بلال : ولي عمرو بن مسعدة فارس وكرمان ، فقال له بعض أصحابه : أيها الأمير ، لو كان الحياء يُظهر سؤالاً لعداك حيائى من كرمك في جميع أهلك إلى الإقبالِ عَلَى بما يكثرُ به حسدُ عدوى ، دون أن أسألك ، فقال عمرو : لا تَبْخِ ذلك بابتذالك ماء وجهك ، ونحن نُفْنِيكَ عن إياقه في خوض السؤال ، فأزفَع ما تريدُه في رُقعة يصل إليك سرّاً ، ففعل .

محمد بن
طيفور

وقال رجل من أهل فارس : قدم على محمد بن طيفور ، وهو عامل على بلاد أصهبان لبعض أهلها : كم تقدرون صلوات محمد في كل سنةٍ للشعراء والتوسلين ؟ قالوا : مائة ألف دينار ، سوى الخيل والحلان^(١) .

وورد عليه يوماً كتابٌ من بعض إخوانه في شأن رجل استباحه لثقى ذريحه^(٢) : أَنْتَ أَعَزُّكَ اللهُ تعالى أَجَلَ من أن يُتَوَسَّلَ بفيرك إليك ، وأن يُسْتَمَحَّ جُودُكَ إِلَّا بك ، غير أنى أذكرك بكتابى في أمر حامله ، ما شرع كرمك [من الشكر] وَزَرَعَ إحسانك من الأجر ، قَبِلَ العادريين والواردين ؛ فهُنَاكَ اللهُ تعالى ذلك ، ولا زَالَتْ يَدُ اللهِ بِجَمِيلِ إحسانه ونعمته متواترةً عليك .

فقال محمد للرجل : احتكم لك وله ؛ فأخذ منه ألف دينار ، ولبن كتب له مثلاً .

إبراهيم بن
المهدى

وقال رجل لإبراهيم بن المهدي : قد أوحشني منك تَزِدُّ غُلِيلٍ في صدري أهابك عن إظهاره ، وأجلك عن كشفه ، فقال له إبراهيم : لكنى أكتف لك معروفى ، وأظهر إحسانى ؛ فإن يكن غير هذين في خلدك ، فأكتب رُقعة يخرج توقيعى سرّاً لتفت على ما تحب ، فيبلغ كلامه المهدي فقال : هذا والله غاية السكرم .

(١) في نسخة « سوى الخيل والمندايا » (م)

(٢) في نسخة « استباحه » في منزله » (م)

محمد بن طيفور وكتب محمد بن طيفور لبعض خاصته بمال كثير وصلة به ، فكتب الرجل إليه : قد استغرقت نَشْمَتَكَ وجُوءَ الشكر لك ، وغرَرَ الحد فيا سلف منك ، ولولا فَرْطُ هجرى عن تلقى ما يجبُ لك من الحمد لقبلتُ ما أخذته .

فكتب إليه محمد : قد صغَرَ شُكْرُكَ لَنَا ما أسلفناه إليك ؛ فَخَذْ ما أخذناه ثوابا عن معرفتك بِشُكْرِ التَّافِه^(١) عندي ، وإلا سمح شكرُك بما رأيتك له أهلا إلى أن يتسع قبول مثلك ما يستحق به جميل الدعاء ، وجزيل التناء ، إن شاء الله تعالى .

[من نوادر الرثاء]

فرد زبيدة ولما مات قِرْدُ زُبَيْدَةَ بنت جعفر ساءها ذلك ، ونالها من النعم ما عرَفَه الصغير والكبير من خاصتها ، فكتب إليها أبو هارون العبدي :

أيها السيدة الخطيرة ؛ إِنَّ مَوْعَ انْخِلَبَ بذهاب الصغير للمحب كوقع السرور بِتَيْبِيلِ الكثير لِلْفَرَح ، وَمَنْ جَهِلَ قَدْرَ التَّعْزِيَةِ عَنِ التَّافِهِ انْخِلَبَ ، عَمِيَ عَنِ التَّهْنِئَةِ بِالْجَلِيلِ السَّيِّ ، فَلَا تَقْصُكِ اللهُ الزَّائِدَ فِي سرورك ، ولا خَرَمَكَ أَجَرَ التَّاهِبِ مِنْ صَمِيرِكَ . فَأَمَرَتْ لَهُ بِجَازَةِ .

وكتب أبو إسحاق الصابي عن ابن جبة في أيام وزارته إلى أبي بكر بن قريعة يزيه عن نور أبيض بقوله ، وجلس للزراء عنه تَرَأَقًا وَتَحَامِقًا :

التعزية على المفقود أحال الله بقاء القاضي إنما تكونُ بحسب محله من فاقده ، من غير أن تُرَاقَى قيمته ولا قَدْرُهُ ، ولا ذاته ولا عينه ؛ إذ كان النرض فيها تهربدُ الفلَّة ، وإخمادُ اللُّوْعَةِ ، وتسكينُ الزُّفْرَةِ ، وتنفيسُ الكُرْبَةِ ، فربَّ وَلِيٍّ

(١) في نسخة « معرفتك بشكر ما أسديناه »

عاق ، وشقيق مُشَقِّق ، ودى رحم أصبح لها قاطما ، [ولأهله فاجبا] ، ومريب قوم قد قلّدهم عارا ، وناط بهم شَنَارا ، فلا لَوَّم على ترك التعزية عنه ، وأُخِر بها أن تستخيل تهنتة بالراحة منه ؛ وربّ مالٍ صامتٍ فير ناطقٍ ، قد كان صاحبه به مستظرا ، وله مستثيرا ، فالنجمية به إذا قد موضوعة موضعها ، والتعزية عنه واقعة منه موقعها . وقد بلغت أن القاضي أصيب بثور كان له ، فجلس للمرء عنه شاكيا ، وأجهش عليه باكيا ، والتذم عليه وإلما^(١) ، وحُكيت عنه حكايات في التأين له ، وإقامة التذبة عليه ، وتعدد ما كان فيه من فضائل البقر التي تفرقت في غيره ، واجتمعت فيه وحده ؛ فصار كذا قال أبو نواس ، في مثله من الناس :

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد
لأنه يَكْرُب الأرض مضمورة^(٢) ، ويُثيرها مزروعة ، ويرقص في الدواليب
ساقيا وفي الأرحاء طاحنا ، ويحمل النلات مستقلا ، والأفئال مستخفا ؛ فلا يؤوده
عظيم ، ولا يُعجزه جسيم ، ولا يجرى في الحائط^(٣) مع شقيقه ، ولا في الطريق مع
رفيقه ، إلا كان جلدا لا يُسبِق ، ومبرزا لا يُلحق ، وقائلا لا يُنال شأوه
وغايته ، ولا يبلغ مداه ونهايته . ويشهد الله أن ما ساء ساءني ، وما آله آلمني ،
ولم يَجُزْ عندى في حق وده استصغارُ خطيِّ جلّ عنده ، فأرقه وأمّسه وأقلقه ،
ولا تهوينُ صبري بلغ منه وأرمضه ، وشفّه وأمرضه ؛ فكتببت هذه الرقة ، فاضيا
بها من الحق في مصابه هذا بقدر ما أظهر من إكباره إياه ، وأبان من إعظامه
له ؛ وأسأل الله تعالى أن يخلصه من اللوعة بأفضل ما خص به البشر ، عن البقر ،
وأن يُفَرِّد هذه البهيمة المجاء بأثرة من الثواب ، يضيفها إلى المكلفين من أهل

(١) في نسخة « ولها » بدون ألف ، وليست جي . يقال : وله الرجل يله -
مثل وعد جيد ، ووله يوله - مثل وجل يوجل - فهو ولهان ، وواله ، وآله ، والواله :
الشديد الحزن (م) (٢) يكرُب الأرض : يثيرها للزرع ، وفي نسخة « مضمورة »
بالعين مهملة (م) (٣) الحائط : البستان (م)

الألباب^(١)؛ فإنها وإن لم تكن منهم، فقد استحقَّتْ ألا تُفرد عنهم، بأن من القاضى سببها، وصار إليه مُنْتَسِبُها، حتى إذا أنجز الله ما وعد به [عباده المؤمنين] من تمحيص سيئاتهم، وتضميف حسناتهم، والإفضاء بهم إلى الجنة التى رَحِمَها لهم داراً، وجعلها لجماعتهم قَرَاراً؛ وأورد القاضى - أيده الله تعالى - موارد أهل النسيم، مع أهل الصراط المستقيم، جاء وتَوَزَّه هذا مجنوبٌ معه، مسموح له به؛ وكأن الجنة لا يدخلها الخبيث، ولا يكون من أهلها الحدث، ولكنه عَرَقَ يجرى من أعراضهم، كذلك يحملُ الله تَوَرُّ القاضى سركباً من التَنَبُّرِ الشَّخْرِى، وماء الزَّوْدِ الجُورَى؛ [فيصير نوراً له طورا؛ وجُودَةً عَطِرَةً^(٢) له طورا] وليس ذلك بمستبعد ولا مستنكر، ولا مستصعب ولا متعذر؛ إذ كانت قدرةُ الله بذلك محيطَةً، ومواعيدهُ لأمثاله ضامنة، بما أعدَّه الله الجنة لعباده الصادقين، وأوليائه الصالحين؛ من شهوات أنفسهم وملأذ أعينهم، وما هو سبحانه مع غامر فضله وفائض كرمه، بمانه ذلك مع صالح مساعيه، ومحمود شَيْئِهِ؛ وقلبي متعلقٌ بمعرفة خبره، أدام الله عزَّه فيا اذرعَه من شعار الصبر، واحفظه من إيثار الأجر، ورفعه إليهِ من السكون لأثر الله تعالى فى الذى طَرَقَهُ، واشكر له فيما أزعجه وأقلقَه، فليعرفنى القاضى من ذلك ما أُكُونُ ضارِباً بهمَّهِ الماعدة عليه، وآخذنا بِقِطْعٍ لِلشَّارِكَةِ فِيهِ.

فصل من جواب أبى بكر: وصل توقيعُ سيدنا الوزير أطال الله بقاءه، وأدام تأييده ونعماءه، وأكل رفته وغلاؤه، وخرس مُهَيِّجَتِهِ وَوَقَّاهُ، بالتمزية عن الثور الأبيض، الذى كان للحرثِ مثيراً، وللدواليبِ مُدِيرَا، وبالسبق إلى سائر النافعِ شهيراً، وعلى شدائد الزمان مُسَاعِداً وظهيراً^(٣). لعمرك لقد كان بِعَمَلِهِ

(١) فى نسخة « من ذوى الألباب » والألباب: القول، واحدها لب (م)

(٢) الجودة - ضم الجيم - سعة صغيرة تضيئ بالجلد، تكون مع المطارين (م)

(٣) ظهيراً: معنا

ناهضاً، ولحافات البقر رافضاً، وأتى لنا بمنه وشرواه^(١)، ولا شروى له؛ فإنه كان من أعيان البقر، وأضع أجناسه للبشر، مضاف ذلك إلى خلّاتٍ لو لا خوف من تجدد الحزن عليه، وتبييض الجزع وانصرافه إليه لمددتها؛ ليعلم - أدام الله عزه - أن الحزين عليه غير ملوم. وكيف يلام امرؤ قدّم من ماله قطعة يجب في مثلها الزكاة، ومن خدّم معيشته بهيمة تُعين على الصوم والصلاة، وقد احتذيت مأمثله الوزير من جميل الاحتساب، والصبر على المصائب؛ فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون قول من علم أنه أملك لنفسه وماله وأهله^(٢) وأنه لا يملك شيئاً دونه؛ إذ كان جلّ ثناؤه، وتقدّست أسماؤه، هو للكلّ الوهاب، المرجع ما ارتجع بما يعرض عليه نفيس الثواب. وقد وجدت - أيد الله الوزير - للبقر خاصةً فضيلةً على سائر بهيمة الأنعام، تشهد بها الأقول والأفهام، وذكر جملة من فضائلها.

وكان أباً نواس في قوله:

ليس على الله بمستكر أن يجمع العالم في واحد

نظر في هذا المعنى إلى قول جرير:

إذا غضبت عليك بنو تميم حبت الناس كلهم غضاباً

[عوذ إلى المختار من الرثاء]

وقالت امرأة من العرب، يقال: إنها امرأة العباس عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم، توفى بذبحها^(٣):

رعوأ من المجد أكنافاً إلى أجل حتى إذا كملت أظلاؤهم وردّوا

ميتت بمصر، وميتت بال عراق، وميتت بالحجاز، متايا بينهم بدد

كانت لهم همّ فرقن بينهم إذا القاعيد عن أمثالهم قدوا

(١) الشروى - يفتح الشين وسكون الراء - للتل، والتظير، وفي نسخة

« وأتى لنا بمنه وشرواه وهو لا يشري » تحريف (م)

(٢) في نسخة « قول من علم أن المرء لا يملك نفسه وماله وأهله. بل لا يملك

شيئاً دونه » (٣) تنسب هذه الأبيات أيضاً إلى فاطمة بنت الأحجم الخزاعية (م)

بَثَّ الجليل، وتفرج الجليل، وإعطاء الجزيل الذي لم يُعْطِه أحدٌ
وقال عبدة بن الطيب في قيس بن عاصم :

عليك سلام الله قيسُ بنَ عاصمٍ ورحتهُ ماشاء أن يترحمها
تحية من ألبسته منك نعمة إذا زار عن شَحَطِ بلادِكَ سلماً^(١)
فأكان قيسُ هُلكهُ هُلكَ واحدٍ ولكنه بُنيانُ قومٍ تهديماً
وقيس بن عاصم هو القاتل :

إني امرؤٌ لا يَنْقَرِي حَسْبِي دنسٌ يُبْهِرُهُ ولا أَفْنُ
من مَنقرٍ في بيتٍ مكرمةٍ والأصل يَنْبِتُ حوله النُصْنُ^(٢)
خُطباء حين يقول قائلهم يبيضُ الوجوه أَعْفَى لُسْنُ^(٣)
لا يَفْطِنُونَ لمبٍ جارِهِمْ وهمُ الحُسنِ جوارِهِ فُطْنُ

وقالت أختُ الوليد بن طريف الشيباني ترميه :

أيا شَجَرَ انْطابورٍ مالكُ مُورِقاً كأنك لم تَجْزَعْ حل ابن طَريف
فَنِي لا يَمُدُّ الزَادُ إلّا من التقي ولا لال إلّا من قنّا وسِيفِ
عليك سلامُ الله وقفاً لأنني أرى الموتَ وقفاً بكل شَريف
فقدناكَ فَقَدْنُ الرِّيعِ ، ولينا فَدَيْنَاكَ من خِيَانَتنا بألوف

وخرج الوليد في أيام الرشيد ، قتلَه يزيد بن مَزِيد ، وفي ذلك يقول بكر بن
ابن النطاح الحنفي :

يا بني تَتَلَبَّ قد قَبَعْتَكُمْ من يزيدٍ سِوَهُ بالوليد
لَوْ سِوَفُ سِوَى سِوَفِ يَزِيدٍ قَارَعَتْهُ لَأَقَتْ خِلَافَ السَّوَدِ
وَأَرَى بَعْضُهَا يَقْتُلُ بَعْضاً لا يَقْتُلُ الحَديدُ غَيْرَ الحَديدِ

(١) في نسخة « تحية من غادرته غرض الردى » (م)

(٢) في الأماي (٢٣٩/١) « والفرع يَنْبِتُ حوله » (م)

(٣) وفيه « مصانع لسن » (م)

لأخت الوليد
ابن طريف

بكر بن
النطاح

[من شعر بكر بن النطاح]

وكان بكر كثير التعصب لريعة وللدح فيهم، وهو القائل:
 ومن يفتقر منا يمش بحسامه ومن يفتقر من سائر الناس يسأل
 ونحن وصفتنا دون كل قبيلة بشدة بأس في الكتاب للنزل
 وإنا لنلهو بالسيوف كالمهت فتاة يفتد أو مخالب قرغل^(١)
 يريد قول الله عز وجل : « ستدعون إلى قوم أولى بأس شديد » . جاء في
 بعض التفاسير أنهم بنو حنيفة قوم مسيلة الكذاب .
 وبكر القائل أيضا في أبي دلف :

يا عصمة العزب الذي لو لم يكن حيا لقد كانت بشير عماد
 إن العيون إذا رأتك حدادها رجعت من الإجلال غير حداد
 وإذا رميت الثمر منك بقرمة فتحت منه مواضع الأسداد
 فكان رحمتك منفع في عصفير وكان سيفك سل من فرصاد
 له صال من غصص أبودلف على يعض السيوف لذبن في الأعقاد
 أذكرى وأوفد للعداوة والقرى نلزن نار وغى ونار زناد

نسب أبو دلف
 السجل

وأبو دلف هو القاسم بن عيسى بن إدريس بن مقل بن عمير بن شنج بن
 معاوية بن خزاعي بن عبد المزى بن دلف بن جشم بن قيس بن سعد بن مجل
 ابن الجهم .

وقد رويت الأبيات التي مرت لأخت الوليد بن طريف لعبد الملك بن
 بجرة الميزي .

وقال أبو هفان واسمه منصور بن بجرة ، قال : أنشدني دعلج لنفسه :
 وداعك مثل وداع الربيع وقدك مثل افتقاد الدائم

(١) السخاب - بزة الكتاب - قلادة ليس فيها جوهر (م)

عليك السلام فكم من وفاة أفارق منك وكم من كرم
قتلت : أحسنت ، ولكن سرقت البيتين من ربيعين : الأول من قول
الطائي :

ما لكواصب ودّ عن الحياة كما ودّ غنّى واتخذن الشيب ميعادى
والثانى من قول ابن بجرة :

• قد ناك فقدان الربيع وليتنا •

وأشد البيت . قال : بلى ، والله سرق الطائي من ابن بجرة بيتا كاملا فقال :
عليك سلامُ الله وقفا فإني رأيت الكريم الحريس له عمر
كذا وردت الحكاية من غير وجه ، وكان يجب إذا كان من ربيعين
أن يكون « قد ناك فقدان الربيع » لأخت الوليد .

وقد قال السموأل في قصر العمر :

يقرب حب الموت آجالنا لنا وتعكره آجالهم فنتول
وقال ابن قتيبة : أخذ النخعي قوله : « أيا شجر الخابور » من قول الجن في
وفاة عمر
ابن الخطاب
عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

أبد قتل بالمدينة أغلقت له الأرض تهتز العشاء بأسوق
وقد أنشده أبو تمام الطائي للشماخ في أبيات أولها :

جزى الله خيرا من أمير وباركت يد الله في ذاك الأديم المرق
[ومن يسع أو ركب جناحي نعامة ليدرك ما قدمت بالأمس يسبقني]
قضيت أمورا ثم غادرت بعدها نوافج في أكمامها لم تفتق^(١)
وما كنت أخشى أن تكون وفاته بكفى سبقتي أزرق العين مطرق
تظل الحصان البكر تلقى جنبها ثا خسر فوق الطي معلق

(١) النوافج : جمع نافلة ، وهى وعاء للذك ، والأكام : جمع كم - بكر
الكاف - وهو وعاء الطلع ، وهو أيضا التلاف الذى ينشق عن الثمر ، وروى
« بوائق في أكمامها » والبوايق : جمع باقة ، وهى الهادية والشر ، ولم تفتق : لم تفتح (م)

وقد قال بشار قريباً من قوله : [ولا للال إلا من قنا وسيوف] :
 على جَنَابَاتِ اللّٰكِ مِنْهُ مَهَابَةٌ وفي البرج عَيْلُ السَّاعِدِينَ قُرُوعٌ
 إِذَا اخْتَزَنَ اللَّالُ الْبَحِيلُ فَإِنَّمَا خَزَائِنُهُمْ خَطَلِيَّةٌ وَدُرُوعٌ
 وهذا كقول أبي الطيب المتنبي في فائق الإخشيدى :
 كُنَّا نَظُنُّ دِيَارَهُ مَمْلُوءَةً ذَهَبًا فَاتٍ وَكُلُّ دَارٍ يَبْلَقُ
 وَإِذَا الْمَكَارِمُ وَالصَّوَارِمُ وَالْقَنَا وَبَنَاتُ أُعُوجَ كُلِّ شَيْءٍ يَمْتَعُ^(١)
 ومن بارع هذا النحو قول عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي :
 وَإِنِّي لِأَرْبَابِ الْقُبُورِ لِنَاجٍ لَسُكْنَى سَعِيدٍ بَيْنَ أَهْلِ الْقَابِرِ
 وَإِنِّي لَمَجْمُوعٌ بِهِ إِذْ تَكَاثَرَتْ عِدَائِي وَلَمْ أَهْتَفْ سِوَاهُ بِنَاصِرِ
 وَكُنْتُ كَمَلُوبٍ عَلَى نَعْلِ سَيْفِهِ وَقَدْ حَزَّ فِيهِ نَعْلُ حَرَّانٍ هَاسِرِ
 أَتَيْنَاهُ زُورًا فَأَجَدْنَا قَرَى مِنَ الْبَثِّ وَالْهَاءِ الدَّخِيلِ الْخَاسِرِ
 وَأَبْنَاءُ زُرْعٍ قَدْ نَمَا فِي صُدُورِنَا مِنَ الْوَجْدِ يُسْقَى بِالدَّمِوعِ الْبَوَادِرِ
 وَلَمَّا حَضَرْنَا لِاقْتِسَامِ تَرَائِهِ أَصْبَنَّا عَظِيَّاتِ اللَّهِى وَالْمَآثِرِ^(٢)
 أى لم نصب مالا، ولكننا أصبنا فعلا.

[من كلاب الأعراب]

دخلت أعرابية على عبد الله بن أبي بكر بالبصرة، فوقفت بين السَّامِطِينَ^(٣)،
 فقالت : أصلح الله الأمير ، وأمتع به ؛ حَدَرْتُنَا إِلَيْكَ سَنَةً أَشَدَّ بِلَاوُهَا ،
 وانكشف غَطَاوُهَا ، أَفْوَدُ صَبِيَّةٍ صَفَارًا ، وَآخَرِينَ كِبَارًا ، فِي بِلَدٍ شَاسِعَةٍ ،
 تَخْفِضُنَا خَافِضَةً ، وَتَرْفَعُنَا رَافِعَةً ، لِمَلَكَاتٍ مِنَ الدَّهْرِ بَرَزْنَ عَظْمَى ، وَأَذْهَبْنَ
 لِحَى ، وَتَرَكْنِي وَهْلَةً أَدُورُ بِالْحَضِيضِ ، وَقَدْ ضَاقَ بِي الْبَلَدُ الْغَرِيضُ ، فَسَأَلْتُ
 فِي أَحْيَاءِ الْعَرَبِ : مَنْ الْكَامِلَةُ فَضَائِلُهُ ، الْمُعْطَى سَائِلُهُ ، الْمُسْكَنُ نَائِلُهُ^(٤) ؛

(١) الصواري : السيوف ، واحدها صارم ، وبَنَاتُ أُعُوجَ : الحيل العرية
 الأصلية (م) (٢) القها - ضم اللام - العطايا الجزية (م)
 (٣) السامط - بزة الكتاب - الصف (م) (٤) في نسخة «الكافي نائله» (م)

بشار
 المتنبي في فائق

لعبد الملك
 الحارثي

فَدَلَّيْتُ عَلَيْكَ - أَصْلَحَكَ اللَّهُ تَعَالَى - وَأَنَا امْرَأَةٌ مِنْ هَوَازَنَ ؛ وَقَدْ مَاتَ الْوَالِدُ ،
وَوَغَابَ الرَّائِدُ ، وَأَنْتَ بَعْدَ اللَّهِ غَيَانِي ، وَمُنْتَهَى أَمَلِي ، فَافْضِلْ لِي إِحْدَى ثَلَاثَ :
إِمَّا أَنْ تَرُدَّنِي إِلَى بَلَدِي ، أَوْ تَحْسِنَ صَفْدِي ^(١) ، أَوْ تَقِيمَ أَوْدِي ! فَقَالَ : بَلْ أَجْعَلُ
لَكَ ، فَلَمْ يَزَلْ يُجَرِّى عَلَيْهَا كَمَا يُجَرِّى عَلَى عِيَالِهِ ، حَتَّى مَاتَتْ .

أعرابي يباب
عبيد الله بن زياد

قَالَ الْمُنْتَهَى : وَقَفَ أَعْرَابِيٌّ بِيَابَ عَبِيدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ ، فَقَالَ : يَا هَلْ
الْفَضْلُ ^(٢) ، حَسِبَ السَّحَابُ ^(٣) ، وَانْقَشَعَ الرَّيَابُ ^(٤) ، وَاسْتَأْذَنَتِ الدُّنْيَا ،
وَرَدِمَ الثَّمَدُ ، وَقُلَّ الْحَفْدُ ^(٥) ، وَمَاتَ الْوَلَدُ ، وَكَذَتْ كَثِيرَةُ الْفَقَاةِ ، صَحِبَ
السَّقَاةَ ، عَظِمَ الدَّلَاةُ ^(٦) ، لَا أَتَصَادُ لِلزَّمَانِ ، وَلَا أَحْفَلُ بِالْخُدْنَانِ ، حَتَّى
حِلَّالٌ ^(٧) ، وَعَدَدٌ وَمَالٌ ، فَفَرَقْنَا أَيْدِي سَبَا ، بَعْدَ فَقْدِ الْأَبْنَاءِ وَالْآبَاءِ ؛ وَكَانَتْ
حَسَنَ الشَّارَةِ ، خَصِيبَ الدَّارَةِ ، سَلِيمَ الْجَارَةِ ، وَكَانَ مَحَلِّي رَحْمَى ، وَقَوْمِي
أُمَى ، وَعَزَمَنِي جَدًّا ؛ قَضَى اللَّهُ وَلَا رُجْمَانَ لِمَا قَضَى ، بِسَوَافِ الْمَالِ ^(٨) ،
وَشَتَاتِ الرِّجَالِ ، وَتَغَيَّرَ الْحَالُ ، فَأَغْيِثُوا مَنْ شَخَّصَهُ شَاهِدُهُ ، وَلِسَانُهُ وَآفِدُهُ ،
وَقَفَرُهُ سَاقَةٌ وَقَائِدُهُ .

[مِنْ مَقَامَاتِ بَدِيعِ الزَّمَانِ]

للقامة البصرية

وَمِنْ مَقَامَاتِ الْإِسْكَندَرِيِّ مِنْ إِنْشَاءِ بَدِيعِ الزَّمَانِ ، قَالَ :

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ ، قَالَ : دَخَلْتُ الْبَصْرَةَ وَأَنَا مِنْ سَنَى فِي فِتْنَةٍ ^(٩) ، وَمِنْ
الزَّيْءِ فِي حَبِيرٍ وَوِشَاءٍ ^(١٠) ، وَمِنْ الْفَنَى فِي بَقَرٍ وَشَاءٍ ؛ فَأَتَيْتُ لِلزَّيْدِ مَعَ رُقَّةَ
تَأْخُذُهَا السُّيُوفُ ، وَدَخَلْنَا غَيْرَ بَعِيدٍ مِنْ بَعْضِ تِلْكَ الْمُنَازِعَاتِ ، وَمَشِينَا فِي تِلْكَ التَّنَوُّجَاتِ ،
وَمَلَكْنَا أَرْضَ خُفْلَانَهَا ، وَعَمَدْنَا لِقِدَاحِ اللَّهِوَ فَأَجْلَنَانَا ، مُقَلَّرٍ حِينَ الْحِشْمَةِ ،

(١) الصَّفْدُ - بِالْتَّحْرِيكِ - الْعِطَاءُ ، وَالْأَوْدُ - بِالْتَّحْرِيكِ - الْمَوْجُ (م)

(٢) الْفَضْلُ : النِّعْمَةُ (م) (٣) حَسِبَ السَّحَابُ : احْتَبَسَ ، وَالرَّادُ الْمَطَرُ (م)

(٤) الرَّيَابُ : الْأَبْيَضُ مِنَ السَّحَابِ (م) (٥) الْحَفْدُ : الْأَعْوَانُ وَالْأَنْصَارُ (م)

(٦) الدَّلَاةُ : جَمْعُ ذَالٍ ، وَهُوَ الْمُسْتَقِيُّ بِالْهَوْلِ مِنَ الْبَرِّ (م) (٧) حِلَّالٌ : مَقِيمُونَ (م)

(٨) سَوَافِ الْمَالِ : هَلَكَ (م) (٩) فِتْنَةٌ : مِحْنَةٌ وَنَضَارَةٌ (م)

(١٠) الْحَبِيرُ : جَمْعُ حَبْرَةٍ - بِوَزْنِ عَنَبَةٍ - وَهُوَ ضَرْبٌ مِنَ الْوُثَى ، وَالْوِشَاءُ :

نَوْعٌ مِنَ الْبَاسِ مَطْرُزٌ (م)

إِذْ لَمْ يَكُنْ فِينَا إِلَّا مَنَا ، فَمَا كَانَ إِلَّا بِأَسْرَعٍ مِنْ ارْتِدَادِ الطَّرْفِ حَتَّى عَنْ لَنَا
 صَوَادٌ ، تَحْتَضُهُ وَهَادٌ ، وَتَرْفُهُ نِيحَادٌ ، وَعَلِمْنَا أَنَّهُ بِهِمْ بِنَا ، فَأَتَلْنَا^(١) لَهُ ، حَتَّى
 أَتَمَى إِلَيْنَا^(٢) سِيرُهُ ، وَلَقِينَا بِحَبِيةِ الْإِسْلَامِ ، وَرَدَدْنَا عَلَيْهِ مَقْتَضَى السَّلَامِ ؛
 ثُمَّ أَجَالَ فِينَا طَرَفَهُ وَقَالَ : يَا قَوْمُ ؛ مَا مِنْكُمْ إِلَّا مَنْ يَلْحَقُنِي شَرُّرًا ،
 وَيُوسَعُنِي زَجْرًا^(٣) ، وَلَا يَنْبِشُكُمْ عَنِّي ، بِأَصْدَقَ مَنِّي ؛ أَنَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْإِسْكَندَرِيَّةِ ،
 مِنَ الثَّنُورِ الْأُمُويَّةِ ، قَدْ وَطَأَ لِي الْفَضْلُ كَنْفَهُ ، وَرَحِبَتْ بِي عَيْسٌ ، وَتَمَانِي
 بَيْتٌ ، ثُمَّ جَمَعَ بِي الدَّهْرُ عَنْ مُنْمَةٍ وَرُمَةٍ^(٤) ، وَأَتَلَانِي زَغَالِيلُ عُفْرِ^(٥) الْحَوَاصِلِ :

كَأَنَّهُمْ حَيَاتُ أَرْضٍ مَحَلَّةٍ فَلَوْ يَنْصُونُ لَدَى كَيْ تَمُهُمْ
 إِذَا نَزَلْنَا أَرْسَلُونِي كَاسِبًا وَإِنْ رَحَلْنَا رَكِبُونِي كَلُهُمْ

وَنَشَرْتُ عَلَيْنَا الْبَيْضَ^(٦) ، وَشَمَسَتْ مِنَّا الصُّفْرُ ، وَأَكَلْتُنَا الشُّودُ^(٧) ، وَحَطَمْتُنَا الْحَرَّ ،
 وَانْتَابَنَا أَبُو مَالِكٍ ، فَمَا تَلَقَّانَا أَبُو جَابِرٍ إِلَّا عَنْ عُفْرِ^(٨) ، وَهَذِهِ الْبَصْرَةُ مَاؤُهَا هَضُومٌ ،
 وَتَقِيرُهَا مَهْضُومٌ ، وَالرَّهْ مِنْ ضِرْسِيهِ فِي شُئْلٍ ، وَمِنْ نَفْسِي فِي كُلِّ ، فَكَيْفَ بِنِ :
 يُطَوِّفُ مَا يُطَوِّفُ ثُمَّ يَأْوِي إِلَى زُغْبٍ مُحَدَّدَةٍ الْعِيُونِ
 كَسَاهُنَ الْبَلَى شُغْنًا فَتَمُشِي جِيَاعَ النَّابِ ضَامِرَةَ الْعِيُونِ
 وَلَقَدْ أَصْبَحْنَا الْيَوْمَ وَقَدَسَرْنَا خَنْ الطَّرْفِ فِي حَيِّ كَكَيْتٍ ، وَفِي بَيْتِ كَلَا
 بَيْتٍ ، وَقَلْبِنِ الْأَكْفَ عَلَى لَيْتٍ ، فَقَضَضْنَا عَقْدَ الصُّلُوعِ ، وَأَفْضَنَّا مَاءَ الدَّمُوعِ ،
 وَتَدَاعَيْنَا بِاسْمِ الْجُلُوعِ :

وَالْفَقْرُ فِي زَمَنِ الْمَشَا مٍ لِكُلِّ ذِي كَرَمٍ عِلَالَةٌ

-
- (١) أَتَلْنَا لَهُ : اسْتَشْرَفْنَا وَمَدَدْنَا أَعْنَاقَنَا نَحْوَهُ (م) (٢) فِي نَسْخَةِ «قَادَاهُ إِلَيْنَا» (م)
 (٣) فِي نَسْخَةِ «وَيُوسَعُنِي حَزْرَاهُ» (م) (٤) ثُمَّ وَرَمَهُ : قَلْبُهُ وَكَثِيرُهُ (م)
 (٥) أَتَلَانِي : أَتَمَّنِي ، وَزَغَالِيلُ : أَرَادَ بِهِمْ أَطْعَامَهُ ، وَحَرَّ الْحَوَاصِلِ : كُنَايَةٌ
 عَنْ صَفَرِهِ (م) (٦) الْبَيْضُ : الدَّرَاهِمُ لِكُونِهَا مِنْ فِصَّةٍ ، وَالصُّفْرُ : الدَّنَانِيرُ لِكُونِهَا
 مِنْ ذَهَبٍ ، وَالشُّوْزُ وَالشَّاسُ بِمَعْنَى الْفَرَاقِ (م) (٧) السُّودُ : الْبَالِي ، وَالْحَرُّ :
 السَّنَوَاتُ الْمَجْدِيَّةُ ، وَأَبُو مَالِكٍ : الْفَقْرُ (م) (٨) وَأَبُو جَابِرٍ : الْحَبِيرُ ، وَمَا نَعْنَاهُ إِلَّا عَنْ
 عُفْرِ : يَعْنِي كُلَّ حِينٍ مَرَّةً (م)

وقد اخترتكم يا سادة ، ودلتني عليكم السعادة ، وقلت^(١) : قسما ، إن فيهم شيئا ، فهل من فقي يمشيهم ، أو يُشَيِّهين ؟ وهل من حرّ يندّيهن ، أو يرذّيهن ؟ قال عيسى بن هشام : فوالله ما استأذن على سمعي كلام رافع أربع مما سمعت ، لا جرم أنا استمعتنا الأوساط ، ونقصنا الأكلام ، وبحقنا الجيوب^(٢) ؛ وأنته مطرقي ، وأخذت الجماعة أخذى ، وقلنا له : الحق بأطفالك ، فأعرض عنا بعد شكر وفاء ، ونشر تلاء به فاه .

[من رسائل البديع]

ورسالة منه
لبعض الرؤساء

ومن رسائله إلى بعض الرؤساء :
خُلقت - أطال الله بقاء السيد وأدام تأييده - مشروح جنان الصدر ، جوح
عنان الحلم^(٣) ، فسيح رقعة الصدر :
سُحولا صبوراً لو تَمَدَّدني الردى لَسِرْتُ إليه مُشْرِقَ الوَجْهِ راضيا
أولفاً وفيئاً لو رُدِدْتُ إلى الصَّبَا لفارقت شئبي مَوْجِعَ القلب باكيا
والله لأحيلن السيد على الأيام ، ولأَكَلَن استحالة رأيه في على الليالي ،
ولا أزال أصفيه الولاء ، وأسنيه الثناء ، وأفرش له من صدرى الدهناء ، وأعيره
أذنا صماء ، حتى يعلم أى عليّ باع ، وأى فقي أضاع ، وليقفن موقف اعتذار ،
وليعلنن ينصع أنى الواشون أم يحول^(٤) ، ولا أقول : يا حالف اذكر حلالاً ،
ولكن يا عاقِد^(٥) اذكر حلالاً ، ولست كن يشكو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
أذى رهطه ، ويستأنق إلى ربي يزيد ليسبطه^(٦) ، ولكني أقول :
هينئاً مريئاً غير داه مُحَايِرٍ لِمَرْءَةٍ مِنْ أَعْرَاضِنا ما استَحَلَّتْ

(١) في نسخة « ونحنتا الجيوب » تحريف ، وبحق الجيوب : تفتيشها (م)

(٢) في نسخة « جوح عنان القلم بحلم فسيح رقعة الصدر » (م)

(٣) هذا عجز بيت لكثير عزة ، وصدره * فلا تصلي يا عز أن تتفهمي *

(٤) في نسخة « يا عاقره » تحريف (م) (٥) في نسخة « ويستأنق » بالشين معجمة ،

وفي الرسائل (بيروت : ١٤٠) « لو يستأنق إلى الكفر من يدى سبطه » وسبطه :

هو الحسن بن علي ، رضى الله عنهما ! (م)

وأنا أعلم أن السيد لا يخرج عن تلك الحلية ، بهذه الرقبة ، وأن جوابه
أحسن من لقائه ، فإن نشط للاجابة فلتكن الخطابة قرأت رقتك ، فهو أخف
مؤنة وأقل تبعاً .

رسالة منه
إلى الشيخ
المعبد

وله إلى [الشيخ] المعبد :

أنا - أطال الله بقاء الشيخ المعبد - [مع إخوان نيسابور] في ضيعة
لا فيها أمان ، ولا عنها أمان ، وشيعة ليست في تنأط ، ولا عفى تمأط ،
وحرفة لا عفى تزال ، ولا فيها أدال ، وهي الكذبة التي على تبعيتها ، وليس لي
منفعتي ، فهل للشيخ المعبد أن يلطف بصنيته لطفاً يحط عنه دَرَنُ العار ، وشيعة
التكسب بالأشعار^(١) ، لينفض على القلوب ظله ، ويرتفع عن الأحرار كله^(٢) ، ولا
يتقل على الأجفان شخصه ، ياعم ما كان عرضه عليه من أشغاله ، ليلقى بأذنيه ،
ويستفيد من خلاله ؛ فيكون قد صان العلم عن ابتذاله ، والفضل عن إذلاله^(٣) ،
واشترى حسن الثناء ببجائه ، كما يشترى بماله ، والشيخ المعبد فيما يوجهه من وعظه
يعتمده ، ووفاء يتلو ما يمدده ، حال رأيته إن شاء الله

[عود إلى غور المديح]

لأبي العباس
الناشيء

وقال بعض أهل العصر ، وهو أبو العباس الناشيء ، يمدحُ سعد الدولة أبا المعالي
شريف بن سيف الدولة على بن عبد الله بن حمدان :

كَأَن مَرَأَةً فَهَمَّ الدَّهْرُ فِي يَدِهِ يَرَى بِهَا غَائِبَ الْأَشْيَاءِ لَمْ يَنْبِ
مَا يَرْفَعُ الْفَلَاحُ الْعَالِي سَمَاءً إِلَّا عُلَاهَا شَرِيفُ كَوَكَبِ الرُّبِ
يَا مَنْ بَعَيْنِ الرِّضَا يَلْقَى مُؤَمَّلَهُ وَالْبُخْلُ يُطِيقُ أَجْفَانًا عَلَى النَّصَبِ
لَوْ يَكْتُبُ الْمَلِكُ أَسْمَاءَ الْمُلُوكِ إِذَا أَعْطَاكَ مَوْضِعَ بَسْمِ اللَّهِ فِي الْكُتُبِ

(١) في الرسائل (بيروت ١٦١) « ومة التكسب بالأشعار » (م)

(٢) الكل - ففتح الكاف - الثقل (م) (٣) في الرسائل « فيكون قد صان

الفضل عن ابتذاله ، والأدب عن إذلاله » (م)

غرّبت في كل يوم منك مكرمةً فليس ذِكرُك في أرضٍ بمقتربٍ
 بيت الأول كقول القائل :
 أطلّ على الأشياء حتى كأنما له من وراء الغيب مُقلّةٌ شاهدٍ
 [وكأ قال] أبو تمام الطائي :
 أطلّ على كلّ الأفعين حتى كأنّ الأرضَ في عينيه دارٌ^(١)
 وأرط ابن الرومي فقال :
 أحاطَ علماً بكلّ خافيةٍ كأنما الأرضُ في يديه كُرّةٌ
 وقال محمد بن وهيب :
 عليهم بأعقاب الأمور، كأنما يخاطبه من كل أمر عواقبةٌ
 وقال بعض شعراء بني عبد الله بن طاهر :
 وقوفك تحت ظلال السيوف أقرّ الخليفةَ في دارها
 كأنك مطلق في الصلوب إذا ما تناجّت بأسرارها
 وقال البحتري للفتح بن خاقان :
 كأنك عينٌ في القلوب بصيرةٌ ترى ما عليه مستقيمٌ ومائلٌ
 وقال في سليمان بن عبد الله بن طاهر :
 ينال بالظن ما فات اليقين به إذا تلبّس دون الظن إيقافُ
 كأن آراءه والظن يمحما تزيه كل خفيٍّ وهو إعلانٌ^(٢)
 ما غاب عن عينه فالقلب يذكره وإن تَمَّ عنه فالقلب يقفانُ
 وقال أبو الحسن أحمد بن محمد الكاتب يمدح عبيد الله بن سليمان [بن
 لأحمد بن محمد بن وهب
 ابن وهب
 وهب الوزر] :

(١) يريد أن الأرض بالنظر إلى علمه بما يقع في أرجائها صغيرة الرقة كأنها دار

(٢) في نسخة « والحزم يقبها » (م)

واحدة (م)

إذا أوقاسم جادت لنا يدهُ
وإن أضامت لنا أنوارُ غمرته
وإن مضى رأيه أوحدهُ عزمته
من لم يبت حذراً من خوف سطوته
ينال بالظن ما يعيا الميكانُ به
كأنه الدهر في نسي وفي نعمه
مكانه وزمامُ الدهر في يده
وأصل هذا قولُ أوس بنِ حجر:

الأملى الذى يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمى

وهذا للمنى قد مر في أثناء الكتاب .

قال أبو الحسن جعظة البرمكي : قلت لخالد الكاتب : كيف أصبحت ؟

قال : أصبحت أرق^(١) الناس شراً ، قلت : أنترف قولَ الأعرابي :

لأعرابي

فأوجد أعرابية قدفت بها
تمنت أحاليب الرعاء، وخيصة
إذا ذكرت ماء الضار وطيبه
بأعظم من وجد بليل وجدته
وكانت رياح تحملُ الحلاج بيننا
فصاح خالد وقال : ويمك ! ويملك يا جعظة ! هذا والله أرق^(٢)

من شمرى .

(١) أرت : صوت ، والرنين : الصوت، وفي نسخة وماء الصبا من نحو نجران

أنت (٢)

[تكاليف الجحد]

فصل لأبي العباس بن الممتز

لن تكسب - أعزك الله - المحامد ، وتستوجب الشرف ، إلا بالتحل على النفس والجبال^(١) ، والتهوض بحمل الأثقال ، وبذل الجاه والمال ، ولو كانت للكارم ثنأل بغير مثونة لاشترك فيها السفل والأحرار ، وتساهمها الوضعا مع ذوى الأخطار ؛ ولكن الله تعالى خص الكرماء الذين جعلهم أهلها ، خفف عليهم حملها ، وسوَّغهم فضلها ، وحظرها على السفلة لصغر أقدارهم عنها ، وبُعد طبايعهم منها ، ونفورها عنهم ، واقتصرارها منهم .

قال أبو الطيب المتنبي :

لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يُفقِرُ والإقدام قتال

وقال الطائي :

والجد شهيد لا يرى مُشاره يُجنِّيه إلا من جميع الخنظل^(٢)
شرَّ حامله ، ومحسبه الذى لم يؤذ عاتقه خفيف الحمل

أخذه الطائي من قول مسلم بن الوليد ، وقيل غيره :

الجودُ أخشنُ منى يا بنى مطري من أن تتركوه كفاً مُستقلب
ما أعلم الناس أن الجود مدفة للذم لبيكته يأتي على النسيب^(٣)

وقال بعض الأجواد : إنا لنجدُ كايِّد البخلاء ، ولكننا نصبر ولا يصبرون .

[احتمال النضب]

وقال الجاحظ : قيل لأبي عباد وزير للأُمون ، وكان أسرع الناس غضباً :

إنَّ لقمان الحكيم قال لابنه : ما الحمل الثقيل ؟ قال : النضب . قال أبو عباد :

(١) في نسخة « والحال » بالحاء مهملة - تحريف ، والجبال : القتل والعزم (م)

(٢) اشتار الصل : جناء من كوارثه ، وهذا مثل قولهم « ولا بددون الشهد »

من إبرئيل (م) (٣) يروى « ما أعلم الناس أن الجود مكبة للحمد »

لكنه والله أخف على من الريش ! قيل له : إنما عني لقمان أن احتمال التنبؤ
 قليل ، فقال : لا ، والله لا يتقوى على احتمال التنبؤ من الناس إلا الجبل !
 وغضب يوماً على بعض كتّابه ، فرماه بدواة كانت بين يديه فشجه ،
 فقال أبو عباد : صدق الله تعالى في قوله : (والذين إذا ما غضبوا هم يفتقرون) .
 فبلغ ذلك المأمون فأحضره ، وقال له : ويحك ! ما تحسّن تقرأ آية من كتاب
 الله تعالى ! قال : بلى يا أمير المؤمنين ، إنى لأحفظ من سورة واحدة ألف آية ؛
 فضحك المأمون وأمر بإخراجه .

نبذة من لطائف ابن المعتز ، وفضل تحقيقه باليديع والاستعارات

مما تتعين العناية بمطالعتها

قال أبو بكر الصولي : اجتمعت مع جماعة من الشعراء عند أبي العباس
 عبد الله بن المعتز ، وكان يتحقق بلم البذيع تحقّقاً ينصرّ دعواه فيه لأن
 مذاكرته ، فلم يبقَ من مسالك الشعراء إلا سلك بنا شِعْباً من شِعَابِهِ ،
 وأوردنا أحسن ما قيل في بابه ، إلى أن قال أبو العباس : ما أحسن استعارة
 اشتمل عليها بيت واحد من الشعر ؟ قال الأسدى : قول لبيد :

وغداة ربح قد كشفتُ وقرّة إذ أصبحت يدي الشمال زمامها
 قال أبو العباس : هذا حسن ، وغيره أحد منه ، وقد أخذته من قول ثعلبة
 ابن صُمَيْرَةَ اللّزني^(١) :

فندأ كراً قهلاً ركبداً بسلما ألفت ذكاه يمينها في كفاي

(١) هكذا وقع في لسان العرب (٤٦٣/٦) ووقع في نسخة « بن صير » بالعين
 مهملة وبغير تاء ، وفي أخرى « بن صير » بالسين معجمة وبغير تاء ، قال في اللسان
 « وذكر ابن السكيت أن لبيدا سرق هذا البيت فقال :
 حتى إذا ألفت يدا في كافر وأجن عورات الثغور ظلامها » اهـ
 والاستعارة في هذه الأبيات متخاربة (م)

وقول ذى الرمة أعجب إلى منه :

ألا طرقتنى هيوماً بذكرها وأبدي الثريا جئح^(١) في الغراب

وقال صفنا: بل قول ليبد أيضاً :

وقد سميت الغليل تحمل شيكتي فرط، وشاحى - إن غدوت ليجامها

قال أبو العباس: هذا حسن، ولكن نعدل عن ليبد.

وقال آخر: [قول المذلي] :

ولو أنى استودعته الشمس لاهتدت إليه الناي عنيها ورسولها

قال أبو العباس: هذا حسن، وأحسن منه^(٢) - في استعارة لفظ الاستيداع -

قول الخمين بن الحكم؛ لأنه جمع الاستعارة والمقابلة في قوله:

نظاردهم نستودع البيض هائمهم ويستودعوننا التمهري المقوم^(٣)

وقال آخر: بل قول ذى الرمة :

أقامت به حتى ذوى السود في الثرى وساق الثريا في ملاءته الفجر

قال أبو العباس: هذا لعمري نهاية الخطبة؛ وذو الرمة أبدع الناس استعارة؛

وأبرصهم عبارة، إلا أن الصواب حتى «ذوى السود والثرى»؛ لأن السود لا يذوى

ما دام في الثرى، وقد أنكره على ذى الرمة غير ابن المعتز. قال أبو عمرو

ابن العلاء: كانت يدي في يد الفرزدق فأشدته هذا البيت، قال: أرشدك أم

أدحك؟ قال: قلت: بل أرشدني، قال: إن السود لا يذوى في الثرى،

والصواب «حتى ذوى السود والثرى».

قال الصولي: وكأنه نه على ذى الرمة؛ قلت: بل قوله :

ولما رأيت الليل والشمس حية حيلة القذى يقضى حشاشة نازع

(١) في نسخة «هذا يديع، وأبدع منه - إلخ» (م)

(٢) حذف نون الرفع من قوله «ويستودعوننا» من غير ناصب ولا جازم،

وكان من حق العربية عليه أن يقول «ويستودعوننا» (م)

قال أبو العباس : اقتدختَ زَنَدَكَ يا أبا بكر فأَوَزَى^(١) ، هذا بارعٌ جدا ،
وقد سبقته إلى هذه الاستعارة جرير حيث يقول :

تحبى الرواسُ رجبها ونجدهُ بعد اليلِ فتُتِيتهُ الأمطارُ^(٢)
وهذا بيتٌ جمع الاستعارة والمطابقة ؛ لأنه جاء بالإحياء والإماتة ، واليلى
والجلدة ، ولكن ذروة قد استوفى ذكر الإحياء والإماتة في موضع آخر
فأحسن ، وهو قوله :

ونشوان من طول التماس كأنه بمبتلين في مشطونة يترجح^(٣)
إذامات فوق الرُّسُلِ أحييت روحه بذكرك واليسر للرايل جُئِجُ
فما أحد من الجماعة انصرف من ذلك المجلس إلا وقد غمره من بحر أبي
العباس ما غاض معه معينه ، ولم ينهض حتى زودنا من بره ولطفه نهاية ما امتعت
له حاله .

[كتمان الحب]

لابن المنز

وقال ابن المعتز :

لما رأيت الحب يَفْضَحُنِي ونمت على شواهد الصبِّ
أقمتُ غيرك في ظنونهم وسَترت وَجْهَ الحبِّ بالحبِّ

لابن الأحنف

وقال العباس بن الأحنف في هذا المعنى :

قد جرَّرتُ الناسُ أدبَالُ الظنون بنا وفرَّقَ الناسُ فينا قولهم فرقا
فكاذبٌ قد رمى بالظنِّ غيركم وصادقٌ ليس يدرى أنه صدق

لفارضى

[وقريب من هذا المعنى قول الفارضى رضى الله عنه ، وإن لم يكن منه :
تخالفت الأَسْوالَ فينا تباينا برَجْمِ أصولِ بيتنا ما لها أصل^(٤)

(١) أوزى : أخرج النار ، هذا أصله (م) (٢) الرواس : الرياح (م) .

(٣) في نسخة « في أنشطلة يترجح » (٤) لعل الأصل « برجم ظنون » (م)

(١٠ — زهر الآداب ٤)

فَشَنَعَ قَوْمٌ بِالْوِصَالِ ، وَلَمْ أَصِلْ وَأَرْجَفَ بِاللَّوْنِ قَوْمٌ وَلَمْ أَشَلْ
وَمَا صَدَّقَ التَّشْنِيعُ عَنْهَا لَشَقْوَتِي وَقَدْ كَذَّبَتْ عَنِ الْأَرَاخِيفِ وَالْقُلُوبِ^(١)
وَقَالَ ابْنُ اللَّعْزِ :

لَا بِنَ اللَّعْزِ

لَنَا عَزَمَةٌ صَاءٌ لَا نَسْمَعُ الرِّقَّ تُبَيْتَ أَنْوَفَ الْحَاسِدِينَ عَلَى رَغَمِ
وَأَنَا لِنَطْلِي الْحَقَّ مِنْ غَيْرِ حَاكِمٍ هَلِينَا ، وَلَوْ شِئْنَا لِيلِنَا مَعَ الظِّمِّ
وَقَدْ أَخَذَهُ أَبُو الْعَبَّاسِ مِنْ قَوْلِ أَعْرَابِي :

لَا أَعْرَابِي

أَلَا يَا شَفَاءَ التَّفْهِيسِ لَيْسَ بِسَالِمٍ بِكَ النَّاسُ حَتَّى يَطْلُوا لَيْلَةَ الْقَدْرِ
سَوَى رَجْهَمِ بِالظَّنِّ وَالظَّنُّ كَاذِبٌ مَرَارًا وَفِيهِمْ مَنْ يُصِيبُ وَلَا يَنْدِرِي
وَقَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ مَطِيرٍ :

لِلْحُسَيْنِ بْنِ
مَطِيرٍ

لَقَدْ كُنْتُ جَلَدًا قَبْلَ أَنْ تُوقِدَ النَّوَى عَلَ كَكَيْدِي نَارًا بَطِيئًا خَمُودَهَا
وَلَوْ تَرَكْتُ نَارَ الْهَوَى لَتَضَرَّعْتُ وَلَكِنْ شَوْقًا كُلَّ يَوْمٍ يَزِيدُهَا
وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ تَمُوتَ صَبَابِي إِذَا قَدِمْتَ أَيْمَانُهَا وَمَعْمُودَهَا
فَقَدْ جَلَسْتُ فِي حَبَّةِ الْقَلْبِ وَالْحَشَا عِمَادُ الْهَوَى تَوَلَّى بِشَوْقٍ يُعِيدُهَا
بِمَرْجَعَةِ الْأُرْدَافِ هَيْفَ خُصُودَهَا عِذَابٌ ثَلَاثُهَا عَجَافُ نَهْودَهَا
وَصَفَرُ تِرَاقِيهَا ، وَنَحْمَرُ أَوْ كَفْهًا وَسُودُ نَوَاصِيهَا ، وَيَبِضُّ خَدُودَهَا
مُخَصَّرَةُ الْأَوْسَاطِ ، زَانَتْ عَقُودَهَا بِأَحْسَنِ مَا زَيَّنَتْهَا عَقُودَهَا
يُمَيِّتُنَا حَتَّى تَرِفَ قُلُوبُنَا رَفِيفُ الْفُرَاقِ بَلَّ طَلَّ يَجُودَهَا
وَفِيهِمْ مِفْلَاقُ الْوِشَاحِ كَأَنَّهَا مَهْلَهُ بَغْزَانٍ طَسِيلُ عَمُودَهَا^(٢)
وَقَالَ :

قَضَى اللَّهُ يَا إِسْمَاعِيلُ أَنْ لَسْتُ بِأَرَحَا أَحْبَبُكَ حَتَّى يُفِضَ الْعَيْنُ مُفِضُهَا

(١) هذه الأبيات ساقطة من أكثر الأصول ، وهو الوجه (م)

(٢) تزيان : اسم مكان زينة ، ووقع في نسخة « بثرثار طويل عمودها » (م) .

غَبَكَ بَلَوَى غَيْرَ أَنْ لَا يَسُرَّنِي وَإِنْ كَانَ بَلَوَى أَنَّى لَكَ مُنْفَضٌ^(١)
فَوَاكِدًا مِنْ لَوَاعَةِ الْيَبْنِ كَلَمًا ذَكَرْتُ وَمِنْ رَفَضِ الْمَوَى حِينَ يَرَفَضُ
وَمِنْ عِبْرَةٍ تُذَرَى الدَّمُوعُ وَزَفْرَةٌ تَقْصُقُضُ أَطْرَافَ الْحَشَا ثُمَّ تَهْضُ^(٢)
فِيَالْتِقَى أَفْرَضْتُ جَلْدًا صَبَابِي وَأَفْرَضَنِي صَبْرًا عَلَى الشَّوْقِ مُفْرِضُ
إِذَا أَنَارَضْتُ الْقَلْبَ فِي حُبِّ غَيْرِهَا بَدَأَ حُبُّهَا مِنْ دُونِهِ يَتَرَضُ
وَكَانَ الْحَسَنُ قَوِيَّ أَشْرِ الْكَلَامِ ، جَزَلَ الْأَلْفَاظَ ، شَدِيدَ الْعَارِضَةِ ، وَهُوَ
الْقَائِلُ فِي الْمَهْدَى :

لَهُ يَوْمَ بَوُسٍ فِيهِ لِلنَّاسِ أَبْوُسٌ وَيَوْمٌ نَسِيمٍ فِيهِ لِلنَّاسِ أَنْتُمْ
فَيَسْطَرُ يَوْمَ الْجُودِ مِنْ كَفِّهِ التَّدْيُ وَيَقْطَرُ يَوْمَ الْبَوُسِ مِنْ كَفِّهِ الدَّمُ
فَلَوْ أَنَّ يَوْمَ الْبَوُسِ خَلَّى عِقَابَهُ عَلَى النَّاسِ لَمْ يَصْبِحْ عَلَى الْأَرْضِ مُجْرُمُ
وَلَوْ أَنَّ يَوْمَ الْجُودِ خَلَّى نَوَالَهُ عَلَى الْأَرْضِ لَمْ يَصْبِحْ عَلَى الْأَرْضِ مُتْعَدِمُ
وَأَنْشَدَ أَبُو هَفَّانَ لَهُ :

أَيْنَ أَهْلُ الْعَتَابِ بِالْذُّهْنَاءِ أَيْنَ جِيرَانُنَا عَلَى الْأَخْصَاءِ
جَاوَرُونَا وَالْأَرْضُ مَلْبَسَةٌ نَوًى رَ الْأَقَاخِي تَجَادُ بِالْأَنْوَاءِ^(٣)
كُلُّ يَوْمٍ بِأَفْحْوَانٍ جَدِيدٍ تَضْحَكُ الْأَرْضُ مِنْ بَكَاءِ السَّمَاءِ

أَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى دَعْبِلُ ، وَقَلَّ إِلَى مَعْنَى آخَرٍ ، فَقَالَ :

أَيْنَ الشَّبَابُ ؟ وَأَيَّةُ سَلَكَا ؟ أَمْ أَيْنَ يُطَلَّبُ ؟ ضَلَّ ، بَلْ هَلَكَا
لَا تَمْجِي يَا سَلَمُ مِنْ رَجُلٍ ضَحِكَ لِلشَّيْبِ بِرَأْسِهِ فَبَكَى

وَقَالَ مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ فِي هَذَا اللَّفْظِ :

مُسْتَمِرٌّ يَبْكِي عَلَى حَمْنَةٍ وَرَأْسُهُ يَضْحَكُ فِيهِ الشَّيْبُ

(١) فِي نَسْخَةٍ « غَيْرَ أَنْ لَا يَسُوْنِي » وَلِلْفَنَى عَلَيْهِ غَيْرُ مُسْتَقِيمٍ (م) .

(٢) فِي نَسْخَةٍ « وَمِنْ عِنْدِهِ تَذَرَى الدَّمُوعُ » تَحْرِيفٌ (م) .

(٣) تَجَادُ : يَسْقِيهَا الْجُودُ - يَنْتَحِ الْجَلِيمُ وَسُكُونُ الْوَادِ - وَهُوَ لِلطَّرِ (م) .

لَمَجْلُ الْخَزَنَةِ

لِمُسْلِمِ بْنِ الْوَلِيدِ

[معالي الأخلاق]

علاء الدين الزبير
بن بكار

وأشد الزبير بن بكار :

أحب معالي الأخلاق جهدي وأكره أن أعيب وأن أعابها
وأصنع عن سباب الناس حياءً وشر الناس من حب السبابا
وأترك قاتل الموراء عمداً لا هلكه وما أغيا الجوابا
ومن هاب الرجال تهيبوه ومن حقر الرجال فلن يهابا

[رياضة النفس ^(١) على القراق]

وعلى ذكر قوله :

* إذا أنا رُضْتُ ^(٢) القلب في حب غيرها *

أنشد الأصمعي للبلام من بني عزاره :

وأعرض حتى يحسب الناس أنما إلى المعجر ، لا والله ما بي لما هجر
[ولكن أروض النفس أنظر هل لما إذا فارقت يوماً أحبتنا صبراً ^(٣)]
قال إسحاق اللوصلي : قال لي الرشيد : ما أحسن ما قيل في رياضة النفس

على القراق ؟ قلت : قول أعرابي :

وإني لأستخفي عيونا ، وأتقى كثيراً ، وأستبقى للوذة بالمعجر
فأنذر بالمعجران نفسي أروضها لأعلم عند المعجر هل لي من صبر ^(٤)
[فقال الرشيد : هذا مليح ، ولكني أستملح قول أعرابي آخر :
خشيت عليها العين من طول وصاياها فهاجرتها يومين خوفاً من المعجر
وما كان هيجرائي لها عن ملاة ولكنني جررت نفسي بالصبر ^(٥)]

(١) راض نفسه بروضها : ذلها وعودها حتى تتخلق بما يريد ما . (٢)

(٣) للملاة : السأم والكراهية (٤)

قال الصولي : قال لي اللرد : علك إبراهيم بن العباس أحزم رأياً من خاله لابن الأحنف
العباس بن الأحنف في قوله :

كان خروحي من عندكم قدراً
من قبل أن أعرض الفراق على
وفال علك إبراهيم :

لإبراهيم
الصولي

وناجيتُ نفسي بالفراق أروضها
فقلت لها : فالتجُرُّ والبَيْنُ واحدٌ
فقلت له : إنه قل كلام خاله :

عرضت على قلبي الفراق فقال لي
إذا صد من أهوى رجوتُ وصاله

لابن الأحنف

وقال العباس بن الأحنف :

أروض على المجرانِ نفسي لملها
وأعلم أن النفسَ تكذبُ وعدّها
وما عرضت لي نظرةً مذهرتها

للتنبي

[وقال المتنبي من المعنى :

حببتك قلبي قبل حقٍّ من نأى
وأعلم أن البَيْنَ يُشْكِكُ بعدها

لأبي صخر
المهذلي

قال الحامي : والذي أراه وأذهب إليه أن أحسن من هذا المعنى قول أبي

صخر المهذلي :

ويعنى من بعض إنكارِ ظالمها
مخافة أنى قد علت لئن بدّا
إذا ظلمت يوماً وإن كان لي عنزُ
لِي المَجْرُ منها ما على هَجْرها صيْرُ

(١) في نسخة « لا أعيرك من صبرى » وليس بذلك (م)

(٢) البين - بالفتح - الفراق ، وأمنى : يقدّر الله ذلك على (م)

وَأَنَّى لَا أَدْرِي إِذَا النَّفْسُ أَشْرَفَتْ عَلَى هَتِّجِهَا مَا يَيْلُفُنْ بِى الْمَجْرُ
فِي أَحْبَابِهَا زِدْنِي جَوْى كُلِّ لَيْلَةٍ وَيَسْأَلُوهُ الْأَحْزَانُ مَوْعِدَكَ الْحَشْرُ

شذور من كلام أهل المصر في مكارم الأخلاق

ابن المعتز — العقلُ غريزةٌ تزينها التجارب . وله : العاقلُ من عقل لسانه ^(١) ،
والجاهلُ من جهل قدره .

غيره : إذا تمَّ العقلُ قصَّ الكلام . حسنُ الصورة الجالُّ الظاهر ، وحسنُ
الخلق الجالُّ الباطن . ما أبين وجوه الخير والشرِّ في مِرْآةِ العقل إذا لم يُضدِّها
الهوى . العاقلُ لا يدَّعه ما ستر الله من عيوبه أن يفرَّحَ بما أظهر من محاسنه .
بأيدي العقولِ تُنتكَّ أعنةُ النفوسِ عن الهوى . آخر بمن كان عاقلاً أن يكونَ
هما لا يتنبيه غافلاً . التواضعُ من مصايد الشرف . من لم يتَّضِعْ عند نفسه
لم يرتفع عند غيره .

يحيى بن معاذ — التكبرُ على التكبر تواضع . الحلم حجابُ الآفات .
أحيوا الحياةَ بجاورةٍ من يُستَغْنَى منه . مَنْ كساه الحياةُ ثوبه ، ستر عن الناس
عيبه . الصبرُ يجرعُ النُصصَ ، وانتظارُ القُرصِ . قلوبُ العقلاء حصون
الأسرار . انقِرْ بِسِرِّكَ ولا تودعه حازماً فيزل ، ولا جاهلاً فيخون . الأناةُ ^(٢)
حُسْنُ السلامة ، والعجلةُ مفتاحُ الندامة . من حَسَنَ خُلُقَه وَجَبَ حَقُّهُ . إنما يستحق
اسم الإنسانية مَنْ حَسَنَ خُلُقَه . يكاد سميءُ الخلقِ يُمَدُّ من البهائم والسباع .
أرسطاطاليس — الرواة استحياء للره نفسه . للمروف حُسنُ التعم من
صروف الزمن . المحازم كنزٌ في الآخرة من عمله ، وفي الدنيا من معروفه .
لا تستحي من التقليل فإنَّ الحرمان أقلُّ منه .

(١) عقل لسانه : حبه ومنه (م)

(٢) الأناة : التأني والتروي في الأمر قبل الإقدام عليه (م)

أبو بكر الخولززمي - الطرف^(١) يمرى وبه هزال ، [والسيف يمضى وبه
اضلال] ، والحر يُعطى وبه إقلال^(٢) . بذل الجاه أحدُ اللالين . شفاعَةُ اللسانِ
أفضلُ زكاةِ الإنسانِ . بذلُ الجاهِ رفدٌ للمستعين^(٣) . الشفيغُ جناحُ الطالبِ .
التقوى هي المدةُ الباقيةُ ، والجَنَّةُ الواقيةُ . ظاهرُ التقوى شرفُ الدنيا ، وباطنها
شرفُ الآخرة . من عَفَّتْ أطرافه ، حسنت أوصافه . قال أبو الطيب المتنبي :

ولا عِفَّةٌ في سِيْفِهِ وَسِنَانِهِ ولكنها في الكف والقرج والقلم
لتمان - العنَّتْ حُكْمٌ وقليلُ فاعِلُهُ . أُرْبِعُ كَلَامٌ صدرت عن أربعة
ملوك كأنما رُميت عن قَوْسٍ واحدة ؛ قال كسرى : لم أندم على ما لم أفل ،
ونَدِمْتُ على ما قلت مرارا . قيصر : أنا على ردِّ ما لم أفل أقدرُ منى على ردِّ
ما قلت . ملك الصين : إذا تكلَّمت بالكلمة ملكتي ، وإذا لم أتكلَّم بها
ملكها . ملك الهند : عَجِبْتُ من يتكلَّم بالكلمة إن رُفِقتَ ضَرَّتْهُ ، وإن
لم تُرَفِّعْ لم تنفعه . ما الدخان على النار ، ولا التجاج^(٤) على الريح ، بأدلَّ من
ظاهر الرجل على باطنه ، وأُنشد :

قد يُستدلُّ بظاهر عن باطن حيث الدخان ضَمَّ مَوْقِدُ نارٍ
مَنْ أصلح ماله قد صان الأكرمَيْنِ للمالِ والعِرْضِ . من لم يحمِد في التقدير
ولم يذُبْ في التدبير فهو شديد التدبير^(٥) . عليك بالقصدِ بين الطرفين ، لا تمنَحْ
ولا إسراف ، ولا بخل ولا إتراف . لا تكن رطباً فتمضمَر ، ولا يابساً فتكسر ،
ولا حلوا فتتقرط ، ولا مرءاً فتتلفظ .

للمؤمن بن الرشيد - التناء أكثر من الاستحقاق مَلَقٌ وهَذَرٌ ، والتقصير
عِىٌّ وَحَصَرٌ .

(١) الطرف - بكسر الطاء - الفرس (م) . (٢) الإقلال : قلة المال (م) .
(٣) الرفد - بالكسر - العطاء (م) . (٤) التجاج : ما ثار من النبار (م) .
(٥) في نسخة « من لم يحم التدبير ، ولم يحم التدبير ، فهو شديد التدبير » (م)

إكرام الأضياف ، من عادة الأشراف . وفي الخبر : لا تتكلفوا للضيف فتبعضوه ؛ فمن أبغض الضيف أبغضه الله . يبنى لصاحب الكريم أن يصبر عليه إذا جتمت ثبوة الزمان ، فليس ينفع بالجوهرية الكريمة من لم ينظر نقاقها .

مواعظ عقلها بمض أهل المصر تتعلق بهذا الفصل

أغض على القذى ، وإلا لم ترض أبداً^(١) . أجل الطلب فيأتيك [ما قدّر لك ، صنّ عرضك] ، وإلا أخلفت وجهك . جاور الناس بالكفة عن مساوئهم . انس رفدك ، ولا تنس وعدك ، كذب أسواء الظنون بأحسنها^(٢) . أغن من وليته عن السرقة ، فليس يكفيك من لم تكفه . لا تتكلف ما كفيته فيضيع ما أوليت .

ابن للمز - لا تسرع إلى أرفع موضع في المجلس ، فالموضع الذي ترفع إليه خير من الموضع الذي تحط منه . لا تذكر الليت بسوء فتكون الأرض أكرم عليه منك . يبنى للعامل أن يدارى زمانه مداراة الساج للماء الجاري .
المتابى - المداراة سياسة رفيعة تجلب للنفعة ، وتدفع المضرة ، ولا يستغنى عنها ملك ولا سوقة ، ولا يدع أحد منها حظه إلا غرته صروف الكاره .

[من رسائل المتابى وأدبه]

وكتب المتابى إلى بعض إخوانه :
لوانتم شوقى إليكم بمثل سلوكى عنى لم أذل وجه الرغبة إليكم ،

(١) هذا من قول بشار :

إذا أنت لم تشرب مراً على القذى ظمئت ، وأى الناس تصفو مشارب (م)

(٢) في نسخة « كذب سوء الظن بأحسنه » (م) .

ولم أنجسهم مرارة تماديك ، ولكن استخففتنا صبايتنا ، فاحصلنا عشوتك ، لعظيم
قدّر مودتك ، وأنت أحق من اقتص^(١) لصلتنا من جفائه ، ولشوقنا من إبطائه .

وله : كتبتُ إليك ونفسي رهينة بشكرك^(٢) ، وسألى علقى بالتناء عليك ،
والغالبُ على ضميري لائمة لنفسي ، واستقلالُ لجهدى فى مكافأتك ، وأنت
- أصلحك الله ! - فى عزّ الغنى عنى ، وأنا تحت ذلّ الفاقة إلى عطفك ، وليس
من أخلاقك أن تؤلى جانب النبوة منك من هو عانى فى الصراعة إليك .

ودخل المتابى على الرشيد فقال : تكلم يا عتابى ؛ قال : الإبناس^(٣) قبل
الإبناس ، لا يُخَذُّ للمرء بأول صوابه ، ولا يُدْخَمُ بأول خطئه ؛ لأنه بين كلام
نوره ، أو عي حصره .

ومرّ المتابى بأبى نؤاس وهو ينشد الناس :

ذكر الكرخ نازح الأوطان فبكى صَبَوَةَ ولاتِ أوَانِ
فلما رآه قام إليه ، وسأله الجلوس ، فأبى وقال : أين أنا منك وأنت القاتل ،
وقد أنصفك الزمان :

قد علقنا من الخصب حبالاً أمتقنا طوارقَ الحدائقِ
وأنا القاتل وقد جار على ، وأساء إلى :

لفظنى البلادُ ، وانطوت الأكفاء دوى ، وملّنى جيرانى
والبتت حلقه على من الدّخيل فاجت بگلگل وجيرانِ
نازعنى أحداثها منية النفس وهذت خطوبها أركانى
فاشع للهجوم معترف القلب كئيب لتأبيلت الزمانِ .

(١) اقتص : أسه القصاص ، وهو قتل القاتل ، والمراد هنا الانتقام عامة (م) .

(٢) فى نسخة « دعيت إليك ونفسي راغبة لشوقك بشكرك » (م) .

(٣) الإبناسى : بمت الإنى إلى نفس الضيف واقتلاع الوحشة ، وأراد بالإبناس

تقديم الطعام والقرى ، وضرب ذلك مثلا (م) .

[شعر الأعراب]

قال عبد الرحمن بن أخي الأصمى : سمعت عمي يحدث قال : أَرِقْتُ لَيْلَةً
 مِنَ اللَّيَالِي بِالْبَادِيَةِ ، وَكُنْتُ نَازِلًا عِنْدَ رَجُلٍ مِنْ بَنِي الصَّيْدَاءِ ^(١) ، وَكَانَ وَاسِعَ
 الرَّحْلِ ، كَرِيمِ الْهَلِ ، فَأَصْبَحْتُ وَقَدْ عَزَمْتُ عَلَى الرَّجُوعِ إِلَى الْعِرَاقِ ، فَأَتَيْتُ
 أَبَا مَثْوَايَ ^(٢) ، فَقُلْتُ : إِنِّي قَدْ هَلِمْتُ ^(٣) مِنَ الْغُرْبَةِ ، وَاشْتَقْتُ إِلَى أَهْلِي ،
 وَلَمْ أَفِدْ فِي قَدَمَتِي هَذِهِ كَبِيرَ عِلْمٍ . وَإِنَّمَا كُنْتُ أَغْتَنِرُ وَحِشَةَ الْغُرْبَةِ وَجَفَاءَ الْبَادِيَةِ
 لِلْفَائِدَةِ ؛ فَأُظْهِرُ الْجَفَاؤَ حَتَّى أُرْزِغَ غَدَاءَ لَهْفِ خُدَيْتٍ ، وَأُسْرِ بِنَاقَةِ مَهْرِيَّةٍ ^(٤) كَأَنَّهَا سَيِّكَةٌ
 تَجْلِينَ [فَارْتَحِلْهَا] وَاسْتَفْلَهَا ، ثُمَّ رَكِبْ وَأُرْدَفْنِي ، وَأَقْبِلْهَا مَطْلِعَ الشَّمْسِ ؛ فَاسِرْنَا
 كَبِيرَ سَبِيلٍ حَتَّى لَقَيْنَا شَيْخًا عَلَى حِمَارٍ ، لَهُ جُحَّةٌ قَدْ صَنَبَتْهَا بِالْوَرَسِ ^(٥) ، كَأَنَّهَا
 قَنَبِيطَةٌ ، وَهُوَ يَتَرْتَّمُ ، فَلَمْ عَلَيْهِ صَاحِبِي ، وَسَأَلَهُ عَنْ نَسَبِهِ فَأَعْتَزَى أَسَدِيًا مِنْ بَنِي ثُلَيْبَةٍ .
 قَالَ : أَتُرَوِّى أَمْ تَقُولُ ؟ قَالَ : كَلَّا . قَالَ : أَيْنَ تَوُثُّمُ ؟ فَأَشَارَ إِلَى مَوْضِعٍ قَرِيبٍ
 مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي نَحْنُ فِيهِ . فَأَنَاحَ الشَّيْخُ ، وَقَالَ لِي : خُذْ يَدَ عَمِكَ فَأَنْزِلْهُ عَنْ
 حِمَارِهِ ، فَعَمَلْتُ ، وَأَلْقَى لَهُ كِسَاءً قَدْ اكْتَفَلَ بِهِ ، ثُمَّ قَالَ : أُنْشِدْنَا يَرْحَمُكَ اللَّهُ
 وَتَصَدَّقَ عَلَى هَذَا الْغَرِيبِ بِأَيَّاتٍ يَبْشُرُنَّ عَنْكَ ، وَيَذْكُرُكَ بِهِنَّ ، فَأَنْشَدَنِي لَهُ :

لَقَدْ طَالَ يَا سَوْدَاءُ مِنْكَ الْوَاعِدُ وَدُونَ الْجِلْدِ الْآمُولِ مِنْكَ الْفَرَّاقِدُ
 تَمَنِّيْنَا بِالْوَصْلِ وَعَدَا ، وَغَيِّمَكُم ضَيَّابٌ ، فَلَا صَحْوٌ ، وَلَا نَفْمٌ جَانِدُ
 إِذَا أَنْتَ أَعْطَيْتَ النَّفْيَ ثُمَّ لَمْ تَجِدْ بِفَضْلِ النَّفْيِ أَلْفَيْتَ مَالَكُ حَامِدُ
 وَقُلْتَ غَنَاءَ عَنْكَ مَالُ جَمْعَتِهِ إِذَا صَارَ مِيرَاثًا وَوَارَاكَ لِاحِدُ
 إِذَا أَنْتَ لَمْ تَتَرَكْ بِبَيْنِيكَ بَعْضُ مَا يَرِيبُ مِنَ الْأَدْنَى رَمَاكَ الْأَبَاعِدُ

(١) في نسخة « من بني الصيد » . وهذه عن الأمازي (١٦٩/١) (ر)

(٢) للتوى : الإقامة ، وأبو مَثْوَايَ : أي مَضْيَ (ر)

(٣) هلمت : جزعت (م) (٤) مهريّة : منسوبة إلى مهرة (ر)

(٥) الورس : نبت أصفر شبه الزعفران ، وفي نسخة « نَعْمَا بِالْوَرَسِ » (ر) .

إذا الحلم لم يتلب لك الجهل لم تزل
إذا العزم لم يفرج لك الشك لم تزل
إذا أنت لم تترك طعاماً تحبّه
تجمعت عاراً لا يزال بشبّه
وأشدني لفضه :

تعرّ فإن الصبر بالحرّ أجمل
فلو كان يُفنى أن يرى المرء جازعاً
لكان التمرّى عند كل مصيبةٍ
فكيف وكلّ ليس يمدّو حوامه
فإن تكن الأيامُ فينا تبدّلت
فأليّنت منا قنّاة صليبة
ولكن رحلناها نفوساً كريمة
وقيناً مجدّ العزم منا نفوسنا
وليس على ريب الزمان مُعوّل
لنازلةٍ أو كان يُفنى التذلُّ
ونازلةٍ بالحرّ أولى وأجمل
وما لا مَرِيءَ مما قضى الله مَرَحُلُ
بنسى وبؤسى والحوادثُ تفعلُ
ولا ذلّلتنا لذى ليس يَحْمِلُ
تُحْمَلُ مالا يستطيع فتحيلُ
فصحت لنا الأعراض والناس هُرُلُ

قال : فقامت إليه ، وقد نسيت أهلي ، وهان على طول الغربة ، وصنكُ
العيش ، سروراً بما سمعت ، ثم قال : يابني ؛ من لم يكن الأدب والعلم أحبّ إليه
من الأهل والولد لم ينجب .

[خصومة قرشية]

خاصم بعض القرشيين عُمر بن عثمان بن موسى بن عبيد الله بن معمر ، فأسرع
إليه القرشي فقال : على رسلك ، فإنك لسريع الإيقاد^(١) وشيك الصريمة ، وإني
وأفقه ما أنا مكافئك دون أن تبلغ غاية التمدي ، فأبلغ غاية الإعذار .

(١) استل : استتبع ، وجعلها قالية ، والجنينة : الفرس ، مثلاً ، تقول هامن غير أن
تركها (م) (٢) في نسخة « سريع الاتقال » (م) .

[ادعاء]

قال عبد الله بن عبد العزيز ، وكان من أفاضل أهل زمانه : قال لى موسى
 ابن عيسى : أنهى^(١) إلى أمير المؤمنين ، يعنى الرشيد ، أنك تشتمه ، وتدعو عليه ،
 فبأى شيء استجرت^(٢) ذلك ؟ قال : أما شتمه فهو والله إذا أكرم على من نفسه ،
 وأما الدعاء عليه فوالله ما قلت « اللهم إنه أصبح عبثاً قتيلاً على أكتافنا ، لا تطيقه
 أبداننا ، وقذى فى عيوننا ، لا تطبق عليه أجفاننا ، وشجى فى حلوقنا ، لا تسيفه
 أفواهنا ؛ فأكفنا مؤنته ، وفرق بيننا وبينه » ! ولكنى قلت : « اللهم إن كان
 تسمى الرشيد ليرشد فأرشدته ، أو أتى غير ذلك^(٣) فراجع به ، اللهم إن له فى الإسلام
 بالعباس حقاً على كل مسلم ، وله بنبينا قرابة ورحمة ، فقربه من كل خير ،
 وباعدّه من كل شر ، وأسعدنا به ، وأصلح له نفسه ولنا » . يقال له : ينفر الله
 لك يا عبد العزيز ، كذلك بلغنا .

[عزل والى]

ولما حج الرشيد سنة ست وثمانين ومائة دخل مكة وعديله يحيى بن خالد ؛
 فأنبى إليه العُمري قال : يا أمير المؤمنين ، كف حتى أكلمك ! فقال : أرسلوا
 زمام الناقة ، فأرسلوه ، فوقف فكأنما أوتدت ، قال : [أقول ؟ قال :] قل ، فقال :
 اعزل عنا إسماعيل بن القاسم . [قال : ولم ؟ قال :] لأنه يقبل الرشوة ، ويُطيل
 النشوة ، ويضرب بالمشوة ، قال : قد عزلناه [عنك] ، ثم انضت إلى يحيى قال :
 أعندك مثل هذه البهية ؟ قال : إنه يجب أن يحسن إليه ، قال : إذا عزلنا عنه
 من يريد عزله فقد كافأناه .

(١) أنهى إليه : رفع إليه وبلغه ، وفى نسخة « أيتى إلى أمير المؤمنين » وليس
 بذلك (م) (٢) فى نسخة « فبأى شيء استحق ذلك » (م)
 (٣) فى نسخة « وإن كان غير ذلك » (م)

[خُرْمَةُ الكَمْبَةِ]

ولما وَجَّهَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ سُرُوَانَ الْحِجَابَ بْنِ يَوْسُفَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّيْرِ وَأَوْصَاهُ بِمَا أَرَادَ أَنْ يُوصِيَهُ ، قَالَ الْأَسُودُ بْنُ الْهَيْثَمِ النَّخَعِيُّ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَوْصِ هَذَا النَّعْلَامَ [التَّنْفِي] بِالْكَمْبَةِ الْأَيَّ يَهْدِمُ أَحْبَارَهَا ، وَلَا يَهْتِكُ أَسْتَارَهَا ، وَلَا يُنْفِرُ أَطْيَارَهَا ، وَلْيَأْخُذْ عَلَى ابْنِ الزَّيْرِ شِعَالَهَا ، وَعِقَابَهَا ، وَأَقْبَابَهَا ^(١) ، حَتَّى يَمُوتَ فِيهَا جُوعًا ، وَيَخْرُجَ مَخْلُوعًا .

[كِتَابُ يَنْصَرُ مَحَارِبًا]

وَكُتِبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرٍ إِلَى نَصْرِ بْنِ شَيْبٍ وَقَدْ نَزَلَ بِهِ لِجَارِيَتِهِ فِي جَنْدِهِ ، فَوَجَدَهُ ^(٢) مُتَحَصِّنًا مِنْهُ ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ : اعْتَصِمْ بِالْقِلَالِ قَيْدَ عِزِّكَ عَنِ الْقِتَالِ ، وَالتَّجَاوُكِ إِلَى الْحِصُونِ ^(٣) ، لَيْسَ يَنْجِيكَ مِنَ الْمَوْتِ ، وَلَسْتَ بِمُغْلَتٍ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَمَا فَارِسٌ مُطَاعٍ ، أَوْ رَاجِلٌ مُسْتَأْمَنٌ . فَلَمَّا قَرَأَهُ حَصَرَهُ الرَّعْبُ عَنِ الْجَوَابِ ، فَلَمْ يَلِيبْ أَنْ يَخْرُجَ مُسْتَأْمِنًا .

[مِنْ حَكْمِ الْقِرَاصِ]

قَالَ زُرْجَهْرُ بْنُ الْبَخْتِكَانِ لِبَعْضِ الْمُلُوكِ : أَنَا نَشْكُرُ ، وَأَرْهَبُ نَحْذَرُ ، وَلَا تَرَأِزِلُ فَتُحَقَّرُ ، فَجَلِبْنِ لِلْمَلِكِ نَفْسَ خَاتَمِهِ بِدَلَا مِنْ اسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيهِ .
وَلَمَّا قُتِلَ أَبُو شُرَوَانَ زُرْجَهْرُ وَجَدَ فِي مَنْطِقَتِهِ رَهْمَةً فِيهَا مَكْتُوبٌ : إِذَا كَانَتْ الْخُطُوطُ بِالْجُدُودِ ، فَا لِحِرْصِ ؟ وَإِذَا كَانَتِ الْأُمُورُ لَيْسَتْ بِدَائِمَةٍ فَا السَّرُورِ ؟
وَإِذَا كَانَتِ الدُّنْيَا غَرَارَةً فَا الطَّمَأْنِينَةُ ؟

[قَالَ سِقْرَاطُ] : مِنْ كَثَرِ احْتِمَالِهِ وَظَهَرَ جِلْمُهُ قَلَّ ظِلْمُهُ وَكَثُرَ أَعْوَانُهُ ، وَمِنْ قَلَّ هُمُّ عَلَى مَا فَاتَهُ اسْتِقْرَاحَتْ نَفْسُهُ وَصَفَا ذَهْنُهُ وَطَالَ عَمْرُهُ . وَقَالَ : مِنْ تَعَاهَدِ
(١) البَقَاب : جَمْعُ عَقَبَةٍ ، وَهِيَ مَا صَبَّ مَرْتَقَاهُ مِنَ الْجِبَالِ ، وَالْأَقْبَاب : جَمْعُ قَبْ ، وَهُوَ الطَّرِيقُ فِي الْجِبَالِ (م) .

(٢) فِي نَسْخَةِ «لِيحَارِبِهِ فِي جِدَّةٍ مُتَحَصِّنًا مِنْهُ» (م)

(٣) الْقِلَال : قِمَمُ الْجِبَالِ وَاحِدَهَا قَلَّةٌ - جُزْءُ الْقَافِ ، وَتَشْدِيدُ اللَّامِ مُفْتَوَحَةٌ (م) .

نفسه بالحاسية أمن عليها الذاهنة . وقال : الأمانى حبال الجهل ، والعشرة الحسنة وقاية من الأسواء .

وشتته بعض الملوك وكان على فرس وعليه حُلل وبزة فقال له سقراط : إنما تفخر على بنير جنسك ، ولكن رد كل جنس إلى جنسه وتعال الآن فلتتكلم . وقال سقراط : من أعطى الحكمة فلا يمزع لفقد الذهب والفضة ؛ لأن من أعطى السلامة والدعة لا يمزع لفقد الألم والتعب ؛ لأن تمار الحكمة السلامة والدعة ، وثمار الذهب والفضة الألم والتعب ؛ وقال : الثنية ينبوع الأحران ؛ فأقولوا الثنية نعل همومكم . وقال : الثنية مخدومة ، ومن خدم غير نفسه فليس بحر

وقال أبو الطيب :

أبدأ تَعْرِدُ مَتَهَبُ الدُنْيَا فَيَالَيْتَ جودها كان بخلاً
وكفّت كَوْنُ فَرْحَةٍ تُورِثُ الهمَّ وَخِلَ يُبَادِرُ الْوَجْدَ خِلًا

[حكم الهند]

وفى كتاب الهند : الماقلُ حقيقٌ أن تسخو نفسه عن الدنيا ، علماً بأنه لا ينالُ أحدٌ منها شيئاً إلا قلَّ إمتاعه به وكثُرَ عناؤه فيه ، ووبأله عليه ، واشتدَّت مؤنته عند فراقه ، وعلى الماقل أن يدوم ذِكْرُه لما بعد هذه الدار ، ويتنزّه عما تسيّره إليه نفسه من هذه العاجلة ، ويتنحى عن مشاركة الكفّرة والجهال في حبّ هذه القانية التي لا يألفها ولا يتخضع بها إلا المقرون .

وفيه : لا يمدّن الماقلُ في محبة الأحباب والأخلاء ، ولا يحرص على ذلك كل الحرص . فإن صُحبتهم على ما فيها من السرور كثيرة الأذى ، وللزنان ، والأحران ، ثم لا ينفع^(١) ذلك بقاية القراق .

وفيه : ليس من شهوات الدنيا ولذاتها شيء إلا وهو مولدٌ أذى وحزننا ،

(١) لا ينفع به : لا يجادله ولا يكون مكاناً له (م) .

كلما. الملح الذي كلما ازداد له صاحبه شربا ازداد عطشا ، وكالتقطعة من الصل في أسفلها سم للذائق ؛ فيه حلاوة عاجلة ، وله في أسفلها سم ذعاف ، وكأحلام النائم التي نثره في منامه ، فإذا استيقظ انقطع السرور ، وكالبريق الذي يُبقي قليلا ، ويذهب وشيكاً^(١) ، ويبقى صاحبه في الظلام مُقيماً ، وكدودة الإبريسم ما زادت عليه لنا إلا ازدادت من الخروج بعداً .

وفيه : صاحب الدين قد فكر ؛ فعلمته السكينة ، وسكن فتواضع ، وقنع فاستغنى ، ورضى فلم يهتم ، وخلع الدنيا فتجأ من الشرور ، ورفض الشهوات فصار حراً ، وطرح الحسد فظهرت له المحبة ، وسخت نفسه عن كل فأن ، فاستكمل العقل ، وأبصر العاقبة ، فأمن الندامة ، ولم يؤذ الناس فيخافهم ، ولم يذنب إليهم فيألم الضو .

[وصية من عتبة بن أبي سفيان]

وقال سعد القصر مولى عتبة بن أبي سفيان : ولأني عُتْبَةُ أمواله بالحجاز ، فلما ودعته قال : يا سعد ، تماهذ صغيراً مالى فيكبر ، ولا تجف كبيره^(٢) فيصغر ؛ فإنه ليس بمنعمي كثير ما عندي ، من إصلاح قليل مافى يدي ، ولا بمنعمي قليل ما عندي من كثير ما ينوبني^(٣) . قال : فقدمت الحجاز ، لحدثت به رجلاً من قريش ، فترقوا به الكتب إلى الوكلاء .

[يزيد بن معاوية]

وقال يزيد بن معاوية لمبيد الله بن زياد : إن أباك كفى أخاه عظيماً ، وقد استكفيتك صغيراً ، فلا تتكلمن منى على عذر ، فقد اتكلت منك على كفاية ، ولأن أقول لك : إياك ، أحب إلي من أن أقول : إياي ؛ فإن الظن إذا أخلف فيك أخلف منك ، فلا تروح نفسك وأنت في أدنى حظك ، حتى تبُلُغ

(١) وشيكاً : سريعاً قريباً (م) . (٢) في نسخة « ولا تخفل كبيره » (م) .

(٣) ينوبني : يترى وينزل بي (م) .

أقصاه ؛ واذكر في يومك أخبارَ غَدِكَ ، واسترِ ذنبي بإحسانك إلى أهل الطاعة ، وإساءتك إلى أهل العصية ، أُرِدُّكَ إن شاء الله تعالى .

[فضل العمامة]

ذكرت العمامة عند أبي الأسود الدؤلي فقال : جُنَّةٌ في الحرب ، ودِيَارٌ في البرد ، وكَنَّةٌ في الحرِّ ، وَوَقَارٌ في النَّدَى ، وشرفٌ في الأحداث ، وزيادةٌ في القامة ، وهي [بعد] عادةٌ من عادات العرب .

[من رسائل ابن العميد]

وكتب أبو الفضل بن العميد إلى أبي عبد الله الطبري :
وقفت على ما وصفت من برِّ مولانا الأمير لك ، وتوفُّره بالفضل عليك ، وإظهار جميل رأييه فيك ، وما أنزله من عارفة^(١) لديك ؛ وليس العجب أن يتنامى مثله في الكرم إلى أبدِ غاية ، وإنما العجب أن يَقْصُرَ شيء من مساعيه عن نيل المجد كله ، وحيازة الفضل بأجمه ؛ وقد رجوت أن يكون ما يفرسه من صنيعه عندك أجدر غرس بالزَّكَاة^(٢) ، وأضنه للزَّيغ والنمأ ؛ فأزع ذلك ، واركب في الخدمة طريقة تُبْحِثُكَ من اللال ، وتوسطك في الحضور بين الإكثار والإقلال ، ولا تسترِّيل إلى حسن القبول كل الاسترسال ؛ فلأن تدعى من بعيد خيراً من أن تُقصى^(٣) من قريب ، وليكن كلامك جواباً تتحرز فيه من الخطأ ومن الإسهاب ، ولا يجيبك تأتي كلمة محمودة فيلج بك الإطناب توقفاً لثقلها ؛ فربما هدمت ما بينته الأولى ، وبضاعتك في الشرف زُجْجاة ، وبالعقل يرمُ اللسان ، وبإرام السداد ، فلا يستغزى لك طربُ الكلام على ما يفسد تمييزك ؛ والشفاعة لا تعرض لها فإنها مُخْلِقَةٌ للجاء ؛ فإن اضطررت إليها فلا تهجم عليها حتى تعرف موقعها . وتحصل وزنها ، وتطالع موضعها ؛ فإن وجدت النفس بالإجابة متمحة ، وإلى

من كتاب له
إلى أبي عبد الله
الطبري

(١) المارقة : العلية . وللمروف . وليس لها فصل (م) .

(٢) الزكاة : التاء ، ومثله الريع (م) (٣) تقصى : تبعد (م) .

الإسفاف هَبَّةً ، فأظهر ما في نفسك غير محقق ، ولا توم أن عليك في الرد ما يؤحشك ، ولا في اللُغ ما يبيظك ، وليكن انطلاق وجهك إذا دُفِيت عن حاجتك أكثر منه عند نجاحها على يدك ، ليخف كلامك ، ولا يتقل على سامعه منك . أقول ما أقول غير واعظ ولا مُرشد ، فقد جعل الله خصالك ، وحسن خلالك ، وفضلك في ذلك كله ؛ لكنني أنه تنبيه المشارك لك ، وأعلم أن للذكرى موضعاً منك لطيفاً .

وله أيضاً : سألتني عن شفتي^(١) وجدي به ، وشفتي حتى له ، وزعمت أنني لو شئت لاهلكت عنه ولو أردت لاعتصمت منه • زعماً ، لتمرأى إليك ، ليس بمزعم • كيف أسألو عنه ، وأنا أراه ، وأناؤه وهو لي تبعاً ؛ هو أغلب عليّ ، وأقرب إلىّ ، من أن يرُخى لي عنائي ، أو يُخيلني واختياري ، بعد اختلاطي بملكه ، وانفجاري في سلكه ، وبعد أن ناط حبه قلبي ناطاً ، وسأله بدي ساط^(٢) . وهو جار مجرى الروح في الأعضاء ، متنفس تنفس رُوح الهواء ؛ إن ذهبت عنه رجعت إليه ، وإن هربتُ منه وقفتُ عليه ، وما أحب السلوة عنه مع هنيئه ، وما أوثر الخلو منه مع ملاته ؛ هذا عليّ أنه إن أقبل عليّ بهتني إقباله ، وإن أعرض عني لم يطرُقني خياله ، يبعد عني مثاله^(٣) ، ويقرب من غيري نواله ، ويرد عني حاشته ، ويذني يدي خالية ، وقد بسط آفات العيون المقاربة ، وصدق رمای الظنون السكاذبة ، وصُله يُنذرُ بصدّه ، وقُربه يؤذِنُ بيمده ، يُذني عندما ينزع ، ويأسو^(٤) مثل ما يجرح ، محالته أحوال^(٥) ، وخلته خلال ، وحكه سبّال ، الحسنُ في عوارفه ، والجلالُ من منامه ، والبهاء من أصوله وصفاته ، والسَّناء من نموته وسمائه ، اسمه مطابق لمناه ، وفخواه موافق

(١) في نسخة « شفتي » و « شفتي » والمصحف متقارب (م)

(٢) ساط : خلطه (م) (٣) في نسخة « مقاله » (م)

(٤) يأسو : يداوى (م) (٥) في نسخة « خلته أحوال » .

لنَجَّوَاهُ ، يَتَشَابَهُ حَالَاهُ ، وَتَتَضَارَعُ قُطْرَاهُ ، مِنْ حَيْثُ تَلْقَاهُ بِتَقْتِيرٍ ، وَمِنْ حَيْثُ تَفْسَاهُ بِتَنْدِيرٍ .

[هَرَبَ مِنَ الْوَبَاءِ] .

وَقَعَ بِالْكُوفَةِ وَبَلَاءُ ، فَخَرَجَ النَّاسُ وَتَفَرَّقُوا بِالنَّجْفِ ، فَكَتَبَ فَتْرِيحٌ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ خَرَجَ بِمُزْجِجِ النَّاسِ : أَمَا بَعْدُ ، فَإِنَّكَ بِالْمَكَانِ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ بِمَعْنٍ مِنْ لَا يَنْجِزُهُ هَرَبٌ ، وَلَا يَقُوتُهُ طَلَبٌ ؛ وَإِنَّ الْمَكَانَ الَّذِي خَلَقْتَ لَا يَجْعَلُ لِأَحَدٍ حِمَامَةً^(١) ، وَلَا يَظْلِمُهُ أَيْتَامُهُ ، وَإِنَّا وَإِلَّاكَ لَعَلَى بَسَاطَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَإِنْ النَّجْفَ مِنْ ذِي قُدْرَةٍ قَرِيبٍ .

وَهَرَبَ أَعْرَابِيٌّ لَيْلًا عَلَى حِمَارٍ حِذَارًا مِنَ الطَّاعُونِ ، فَبَيْنَمَا هُوَ سَائِرٌ إِذْ سَمِعَ قَائِلًا يَقُولُ :

لَنْ يُسَبِّقَ اللَّهُ عَلَى حِمَارٍ وَلَا عَلَى ذِي مَيْمَنَةٍ طَيَّارٍ
أَوْ يَأْتِيَ الْخَنْفُ عَلَى مَقْدَارٍ قَدْ يَصْبِحُ اللَّهُ أَمَامَ السَّارِي^(٢)
فَكَفَّرَ رَاجِعًا ، وَقَالَ : إِذَا كَانَ اللَّهُ أَمَامَ السَّارِي فَلَا تَحِينَ مَهْرَبٌ .

[قَتِيلَ الْحَبِّ]

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : أَخْبَرَنِي يُونُسُ بْنُ حَبِيبٍ قَالَ : أَتَى قَوْمٌ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ بِنَفْقٍ مَحْمُولٍ ضَعْفًا ، فَقَالُوا : اسْتَشْفِ لِهَذَا التَّلَامِ ، فَظَنَرَ إِلَى فَتَى حُلُوِّ الْوَجْهِ ، فَهَارَى الْعِظَامُ ؟ قَالَ لَهُ : مَا بَكَ ؟ قَالَ :

بَنَانٌ مِنْ جَوَى الشُّوقِ لِلْبَرِّحِ لَوْعَةٌ تَكَادُ لَهَا نَفْسُ الشَّقِيقِ تَذُوبٌ^(٣)
وَلَكِنَّمَا أَتَيْتُ حُشَاةً مَا تَرَى عَلَى مَا بِهِ قُوْدٌ هُنَاكَ صَلِيبٌ^(٤)
قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : أَرَأَيْتُمْ وَجْهًا أَخْفَى ، وَلِسَانًا أَذْقَى ، وَعُودًا أَصْلَبَ ، وَهُوًى أَظْلَبَ ، عَمَّا رَأَيْتُمْ الْيَوْمَ ؟ هَذَا قَتِيلُ الْحَبِّ ، لَا قُوْدَ وَلَا دِيَّةَ !

(١) الحِمَامُ - بِكَسْرِ الْحَاءِ - الْمَوْتُ (٢) الْخَنْفُ : الْهَلَاكُ (م)

(٣) الْجَوَى : الْحَزَنُ ، وَالْمَبْرَحُ : الْبَالِغُ الشَّمْعَةُ فِي الْإِجْهَادِ ، وَالْوَعَةُ : الْحُسْرَةُ (م)

(٤) الْحُشَاةُ - بِضَمِّ الْحَاءِ - نَجْمَةُ الرُّوحِ فِي الْجَسَدِ ، وَ«عُودٌ» هُوَ فَاعِلٌ «أَتَيْتُ» (م)

وكان ابن عباس رضى الله عنهما حَبْرَ قريش و بَحْرَها ، وله يقول رسول الله ابن عباس
صلى الله عليه وسلم : اللهم قهه في الدين وعلمه التأويل . وفيه يقول حسان
ابن ثابت :

إذا قال لم يترك مقالاً لقائل بملقطات لا ترى بينها فصلاً
شقي وكفى ماني النفوس فلم يدع لذي لسن في القول جد ولا هزلاً
سموت إلى العليا بنير مشقة فملت ذراها لا دينياً ولا غلاً
[مسلم بن الوليد صريح النوائى]

وقال مسلم بن الوليد :

أعاهد ما قدمته من رجائها إذا عاودت باليأس فيها للمطامع
رأيتني غني الطرف عنها فأعرضت وهل خفت إلا أن تشهر الأهباج^(١)
وباريتنيها النفس لي عن لجابة ولكن جرى فيها الهوى وهو طامع
فأقسمت أنسى الباعيات إلى الصبا وقد فاجأتها العين والسر واقع^(٢)
فقطت بأيديها نمار نخورها كأيدى الأسارى أثقلتها الجوامع^(٣)
وكان مسلم أنصارياً صريحاً ، وشاعراً فصيحاً ، ولقب صريحاً أيضاً لقوله :
سأهاد للذات متبع الهوى لأنفسي هماً أو أصيب فتى مثل
هل العيش إلا أن تروح مع الصبا صريح حياً الكأس والأعين النجل
واجتلب له هذا الاسم لأجل هذا البيت ؛ وقد قال القمطاني :

صريح غوان راقن ووقته لدن شب حتى شاب سود الذوائب
ومسلم أول من لطف البديع ، وكسا الممانى حل القطر الرفيع ، وعليه يقول
الطائي ، وعلى أبي نواس ، ومن بدع شجره الذي امتلته الطائي قوله :

تساقط يمينه الندى وشياله السردى وعيون القول منطقته الفضل

(١) هكذا في جميع المطبوعات ، وفي ديوان مسلم « رأيتني غني الطرف » (م)

(٢) في نسخة « والسجف رافع » (م) (٣) الجوامع : الكبول والقيود ،

واحدها جامعة (م)

كَانَ سَمٌّ فِي فِيهِ تَجْرَى مَكَانَهَا
 لَهُ حُصْبَةٌ تَأْوِي إِلَى ظِلِّ بَرَمَكِ
 صَبُولٌ إِلَى أَنْ يُوَدَّعَ الْحُدَّ مَالَهُ
 وَقَدْ حَرَّمَ الْأَعْرَاضَ بِالْبَيْضِ وَالنَّدَى
 حَبًّا لَا يَطِيرُ الْجَلُّ فِي عَرَصَاتِهَا
 يَكْبُ أَبَى الْبَاسِ يُسْتَمَطَّرُ النِّقَى
 مَتَى شَتَّ رَقَّتِ السُّورَ عَنْ النِّقَى
 وَقَوْلُهُ أَيْضًا :

إِذَا كُنْتُ ذَا نَفْسٍ جَوَادٍ ضَمِيرُهَا
 رَأَى بِتَيْنِ الْجُودِ قَاتِمُزِ الَّذِي
 ظَلَمْتُكَ إِنِّي لَمْ أَجْزِلِ الشُّكْرَ بَعْدَمَا
 فَإِنَّكَ لَمْ يَرْكُ نَدَاكَ ذَخِيرَةٌ
 وَقَالَ لِيَزِيدُ بْنُ مَرْيَدٍ :

مُؤَفٍّ عَلَى مَسْجٍ فِي يَوْمِ ذِي رَمَجٍ
 يَنَالُ بِالرَّفْقِ مَا يَتَنَبَّأُ الرِّجَالُ بِهِ
 لَا يَرْحَلُ النَّاسُ إِلَّا نَحْوَ حَبْرَتِهِ
 يَقْرِئُ النِّيَّةَ أَرْوَاحَ الْكُمَاةِ كَمَا
 يَكْسُو السُّيُوفَ رُؤُوسَ النَّاسِكِينَ بِهِ
 قَدْ عَوَّدَ الْطَيْرَ عَادَاتِهِ وَتَمَّنَّ بِهَا
 وَهَذَا الْمَثَلُ كَثِيرٌ .

• • •

- (١) فِي نَسْخَةٍ « إِلَى أَنْ يُوَدَّعَ الْحُرَّ مَالَهُ ، يَدُ النَّدَى غَلَا » (م) .
 (٢) بَل - بِالْفَتْح - أَيْ حَرَامٌ (م) . (٣) حَبَا : جَمْعُ - وَة - ، وَهِيَ أَنْ
 يَجْمَعَ الرَّجُلُ سَاقِيَهُ إِلَى ظَهْرِهِ بِثَوْبِهِ أَوْ يَدِيهِ ، وَوَقَعَ فِي نَسْخَةٍ « - بِهَا لَا يَطِيرُ الْجَلُّ »
 تَحْرِيفٌ ، وَالذَّلُّ : التَّأَرُّ (م) . (٤) الْكُمَاةُ : النَّاقَةُ الْعَظِيمَةُ السَّامُ ،
 وَالْكُومُ جَمْعُهَا ، وَالْبَزْلُ : جَمْعُ بَزْلٍ وَهُوَ الْجَلُّ الَّذِي تَمَّ لَهُ نَسْخَةُ أ.و.م (م) .

[من شعر أبي نواس]

قال عمرو الوراق: سمعت أبا نواس ينشد قصيدته :

أيُّها المتنبُّ عن عُفْرَةٍ لستَ مِنَّ قَلْبٍ ولا سَمَرَةٍ
لا أذودُ الطيرَ عن شَجَرٍ قد بلوتُ المرَّ من قَمَرَةٍ
فحدته عليها ، فلما بلغ إلى قوله :

وإذا مَجَّ القنا علقًا وتراءى الموتُ في صَوْرَةٍ
راحَ في ثُلْثَيْ مُفاضته أصدُّ يَدَيَّ شَبَابَ عُفْرَةٍ
تتأبَّى الطيرَ غَزْوَتَهُ قَتَّةً بالشَّبعِ من جَزَرَةٍ
تمت ظل الرمحِ تَبِعَهُ فبِى تَطْلُو على أَرَمَةٍ

قلت : ما تركت لثابثة شيئاً حيث يقول :

إذا ما غَزَوْا بالجيشِ حَلَقَ فوقهم عَصَابُ طَيْرٍ تهتدى بصائِرٍ
جَوَارِحُ قد أيقنَ أن قَبِيلَهُ إذا ما التَقى الجمعانِ أوَّلُ ظَلَمٍ
فقال: اسكت ، فلئن أحسن الاختراع ، لما أسأت الاتباع .

أخذه الطائي فقال :

وقد ظَلَلْتُ عِقبانُ رايته ضَحَى بقبانٍ طيرٍ في السماءِ نوائلٍ
أقامتُ على الراياتِ حقَّ كأنها من الجيشِ إلا أنهم لم تقاتِلِ
[وصف جيش]

وقال المتنبي يصف جيشاً :

وذى تَلَبَّيْ لا ذُو الجِأَجِ أمامَهُ يَنابِيجُ ، ولا الوَخْشُ لِلتَّارِ يَسالِمُ
تَمَرُّ عليه الشمسُ وهي ضَمِيدَةٌ تَطالُمُه من بين ريش القشاعِمِ
إذا ضَوَّها لَأَتَى من الطيرِ فِرْجَةٌ تَدَوَّرُ فوق البيضِ مثل الدِراهِمِ

[شِعْبُ بَوَّان]

ونظير قول أبي الطيب في هذا البيت وإن لم يكن في معناه قوله يصف
شِعْبَ بَوَّان ، وسيأتي ، وفي هذا الشَّعْب يقول أبو العباس المبرد : كنت مع
مع الحسين بن رجاء بقارس ؛ فخرجتُ إلى شِعْبِ بَوَّان ، ففطرتُ إلى تَرْبَةٍ كأنها
الكافور ، وذوياض كأنها التوب الموشى ، وماء ينحدر كأنه سَلَايِلُ القضة ، على
حصباء كأنها حصى الدر ؛ فجعلت أطوف في حَبَيْبَتِهَا ، وأدور في عَرَصَاتِهَا ،
فلذا في بعض جدرانها مكتوب :

إذا أشرف المَكْرُوبُ من رَأْسِ تَلَمَّةٍ على شِعْبِ بَوَّانِ أفاق من الكَرْبِ
وَأَلْمَسَ بَطْنَ كَالْخَرِيرِ لَطَافَةً ومَطَرِدٍ يَجْرِي من الباردِ التَّدْبِ (١)
وطيبُ رِيَاحٍ في بلادِ مَرِيعةٍ وأَغْصَانِ أَشْجَالٍ جَنَاهَا على قُرْبِ (٢)
يُدِيرُ عَلَيْنَا الكَاسَ من لَوْلُظَتِهِ بَمِيتِكَ مَالَتِ الحَبِينُ في الحِبِ (٣)
فَبَاهُ يَارِيجَ الشَّامِ تَحْمَلِي إلى شِعْبِ بَوَّانِ سَلامَ فَتَى صَبِ (٤)
قال أبو العباس : فأخبرت سليمان بن وهب بما رأيت ، فقال : وقد رأيت
نحت هذه الأبيات :

ليت شعري عن الذين تركنا خَلْفَنَا بالعِراقِ هل ذَكَرُونَا؟
أَمْ يَكُونُ اللَّدى تَطْلُوْنَ حَتَّى قَدَّمَ الْعَهْدُ بَيْنَنَا فَلَسُونَا (٥)
إِنْ جَفَوْا حَرَمَةَ الصَّفَا فَإِنَا لَهْمُ فِي الْحَوَى كَمَا عَهَدُونَا
وشعر المتن :

تَفَانَى الشَّعْبُ طَيْبًا في النَّفَايِ بِمَنْزِلَةِ الرِّيحِ مِنَ الزَّمَانِ
وَلَكِنَّ التَّقَى التَّرِيقَ فِيهَا غَرِيبُ الْوَجْهِ وَالْيَدِ وَاللَّسَانِ
تَلَايِبُ جَنَّةٍ لَوْ سَارَ فِيهَا سُلَيْمَانُ لَسَارَ بِتَرْجَانِ
طَبَّتْ فُرُوسَاتُنَا وَانْخَلِيلُ حَقِّ خَشِيتُ وَإِنْ كَرُمْتُ مِنَ الْحِرَانِ

(١) في الأمل (٣ / ١٢٨) « كالحريرة منه » (م) .

(٢) وفيه « وطيب نادر في رياض أريضة » (م) . (٣) وفيه « فبأه ياريج

الجنوب (م) . (٤) وفيه « أم لعل المدى تطاول » (م) .

غدونا تَنْفُصُ الْأَغْصَانُ فِيهِ عَلَى أَعْرَافِهَا مِثْلَ الْجُمَانِ
نَجِشْتُ وَقَدْ حَبَّتِ الشَّمْسُ عَنِّي وَجِئْتُ مِنَ الضِّيَاءِ بِمَا كُفَانِي
وَأَلْقَى الشَّرْقُ مِنْهَا فِي بَنَانِي دَنَانِيًّا تَغِيرُ مِنَ التَّجَانِ
[وَمِنْهَا:]

يَقُولُ يَشْعَبُ بْنُ حِصَانٍ أَعَنْ هَذَا يُسَارُ إِلَى الطَّغَانِ؟
أَبُوكُمْ آدَمُ بْنُ الْعَاصِي رَعَلْتُمْ مَفَارِقَ الْجِنَانِ []
إِنَّمَا أَرَدْتُ هَذَا الْبَيْتَ . وَمِنْهَا :
لَهَا تَمَرٌ بُشِيرُ إِلَيْكَ مِنْهُ بِأُشْرَةٍ وَقَهْنٍ بِلَا أَوَانِي
وَمَوَاهُ يَصِلُ بِهَا حَصَاهَا صَلِيلَ الْخَلْفِ فِي أَيْدِي النَّوَانِي
[رَجِعْ إِلَى وَصْفِ الْجَيْشِ]

وَأَوَّلُ مَنْ ابْتَكَرَ هَذَا الْمَعْنَى الْأَوَّلُ الْأَفْوَهَ الْأَوْدَى فِي قَوْلِهِ :
وَأَرَى الطَّيْرَ عَلَى آثَارِنَا رَأَى عَيْنٌ ثَقَّةً أَنْ سَتَارَ (١)
وَقَالَ حَمِيدُ بْنُ ثَوْرٍ وَذَكَرَ ذَنْبًا :
إِذَا مَا غَدَا يَوْمًا رَأَيْتُ غِيَابَهُ مِنَ الطَّيْرِ يَنْظُرُونَ الَّذِي هُوَ صَانِعُ (٢)
فَهُمْ بِأَمْرِ تَمَّ أَرْمَعُ غَيْرُهُ وَلَمَّا ضَاقَ أَمْرٌ مَرَّةً فَهُوَ وَاسِعُ
وَقَالَ مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ :

وَلَمَّا لَأَسْتَجِبِ التَّنَوُّعَ وَمَذْهَبِي فَسَبِّحْ وَأَقْلِ الشَّحَّ إِلَّا عَلَى عِرْضِي
وَمَا كَانَ مِثْلِي يَسْتَرِكُ رَجَاؤُهُ وَلَكِنْ أَسَاءَتْ نَسَمَةٌ مِنْ فِتْنِي بَعْضِي
وَلَمَّا وَإِشْرَافِي عَلَيْكَ بِهِتْقِي لَكَابَتْنِي زُبْدًا مِنَ الْمَاءِ بِالْخَيْضِ
أَخَذَهُ أَبُو عُمَانَ النَّاجِمُ فَقَالَ :
لَمْ تَحْصَلْ بِمُخْضِكِ الْمَاءِ إِلَّا زَبْدًا حِينَ رَمَتْ بِالْجَلِّ زُبْدًا

(١) سَتَار : أَيْ سَتَالَ الْبَيْتَ ، وَالْبَيْتَةُ - بَكْسَرُ اللَّحْمِ - الطَّعَامُ (م) .

(٢) فِي نَسْخَةٍ « إِذَا مَا غَزَوْا يَوْمًا » ، وَفِي أُخْرَى « إِذَا مَا عَوَى يَوْمًا رَأَيْتُ »

غَمَامَةٌ (م) .

[وصف وسفينة]

وقال مسلم أيضاً يصف السفينة :

كشفت أهاويل الدجى عن مَهِوَلِهِ بحارية محمولة حَامِلِ بَكْرِ
إذا أَقْبَلَتْ رَاعَتْ بَقْنَةً قَرْهَبِيَّةً وإن أدبرت راقَتْ بِقَادَمَتَيْ نَشْرِ^(١)
أُطْلَتْ بِمِجْدَافَيْنِ يَمْتَوِرَانِهَا وقومها كَيْخُ اللَّجَامِ مِنَ الدَّبْرِ
كَانَ الصَّبَا تَحْكِي بِهَا حِينَ وَاجَهَتْ نَسِمَ الصَّبَا مَشَى العُرُوسِ إِلَى الْخَلْدِ

[مما قيل في وصف الأساطيل]

وقال أبو القاسم بن هاني يصف أسطول المزم بالله :

أَمَّا وَالْجَوَارِي الْمُنَشَّاتُ الَّتِي سَرَتْ قَدْ ظَاهَرَتْهَا عُدَّةٌ وَعَدِيدُ
قِيَابٌ كَأَنَّ زُخَى الْقِيَابِ عَلَى الْمَاءِ وَلَكِنَّ مِنْ صُمْتُ عَلَيْهِ أَسْوَدُ
[وما راعَ مَلَكُ الرُّومِ إِلَّا أَعْلَامَهَا] تَنْشُرُ أَعْلَامَ لَهَا وَبِنُودِ
وَقَدْ عَمَّا لَا يَرُونَ كِتَابُهَا مَسُومَةٌ يَجْرِي بِهَا وَجُنُودُ
أَطَالَ لَهَا أَنْ الْمَلَائِكَةُ خَلَفَهَا فَنَ وَفَقَتْ خَلْفَ الصَّفُوفِ رَدُودُ^(٢)
وَأَنَّ الرِّيحَ الْقَارِيَاتِ كِتَابُهَا وَأَنَّ النُّجُومَ الطَّالِعَاتِ سَعُودُ
عَلَيْهَا عَمَامٌ مَكْفُورٌ صَبِيرُهُ لَهُ بَارَقَاتٌ جَمَّةٌ وَرُعُودُ^(٣)
مَوَاسِرُ فِي طَامِي الْقِيَابِ كَأَنَّهَا لِعِزْمِكَ بَأْسٌ أَوْ لِكِفْكَ جُودُ
أَنَافَتْ بِهَا أَطَامُهَا وَسَمَاءُ بِهَا بَنَاءٌ عَلَى غَيْرِ الْعَرَاءِ مَشِيدُ
[مِنَ الطَّبِيرِ إِلَّا أَنَّهُنَّ جَوَارِحُ] وَلَيْسَ لَهَا إِلَّا الْبُفُوسُ مَعِيدُ
وَلَيْسَ بِأَعْلَى كِبْكَبٍ وَهُوَ إِمْقُ وَلَيْسَ مِنَ الْمُنْفَاحِ وَهُوَ صَلُودُ
مِنَ الرَّاسِيَاتِ الشَّمُّ لَوْلَا اتِّصَالُهَا فَتُهَا قِنَانٌ شَعْبُ وَرِيدُ^(٤)
مِنَ الْقَادِحَاتِ النَّارُ تَنْصَرَّمُ لِلصَّلَى فَلَيْسَ لَهَا يَوْمَ الْقِيَامِ خُودُ

لابن هاني
يصف أسطول
للمزم الفاطمي

- (١) في نسخة « بقنة قرهد » والقرهد : الثور ، والقرهد : ولد الأسد ووه
الوعل (٢) - (٣) ردود : جمع رد - بكسر الراء هو كل ما اعتمدت عليه ورجعت إليه (٤)
(٣) الصير - يفتح الصاد - السحاب للتراكم بضه فوق بيض (٤)
(٤) الربود : جمع ريد ، وهو القطة من الجبل (٤)

إِذَا زَفَرَتْ غَيْظًا تَرَامَتْ بِمَارِجٍ كَأَشْبٍ مِنْ نَارِ الْجَحِيمِ وَقُودُ
تَمَاتِقِ مَوْجِ الْبَحْرِ حَقَّ كَأَنَّهُ سَلِيطٌ لَهُ فِيهِ اللَّهُ بَالُ عَتِيدٍ^(١)
تَرَى لَاءَهُ فِيهَا وَهُوَ قَانِ خِصَابُهُ كَمَا بَاشَرَتْ رَذَعُ الْخَلْقِ جُلُودُ^(٢)
فَأَنفَاسُهُنَّ الْحَامِيَاتُ صَوَائِقُ وَأَفْوَاهُهُنَّ الزَّافِرَاتُ حَدِيدُ
يُشَبُّ لَالِ الْجَانِّ لِيَقِ سَمِيرُهَا وَمَا هِيَ مِنْ آلِ الطَّرِيدِ يَمِيدُ
لَهَا شُعْلٌ فَوْقَ النَّتَارِ كَأَنَّمَا دِمَاهُ تَلْقِيهَا مَلَاخِفُ سَوْدُ
وغيرُ اللِّدَاكِ تَجْرُهَا غَيْرُهَا مَسْوُومَةٌ تَحْتَ الْقَوَارِسِ قُودُ
فَلَيْسَ لَهَا إِلَّا الرِّيحَ أَعْنَى وَلَيْسَ لَهَا إِلَّا الْمَتَابَ كَدِيدُ^(٣)
تَرَى كُلَّ قُودَاءِ التَّلِيلِ كَمَا أَثْنَتْ سَوَالِفُ غَيْدٍ أَعْرَضَتْ وَخُدُودُ^(٤)
رَحِيبةٌ مَدَّ الْبَايَعِ وَهِيَ نَضِيجَةٌ بَنِيَرٍ شَمُوعِي عِزَّاءِ وَهِيَ وَؤُودُ
تَكْتُمُونَ عَنْ تَقَعْمٍ يُنَارُ كَأَنَّمَا مَوَالٍ وَجُرْدُ الصَّافَاتِ عَمِيدُ
لَهَا مِنْ شُغُوفِ التَّبَقْرِى مَلَابِسُ مَفْوُودَةٌ فِيهَا الدُّخَانُ جَمِيدُ
كَأَشْتَمَلَتْ فَوْقَ الْأَرَاثِكِ خُرْدُ أَوْ التَّفَعَّتْ فَوْقَ النَّابِرِ صِيدُ
لِبُوسٍ تَكْفُؤُ الْوُجَّ وَهُوَ غُطَّامِطُ وَتَدْرَأُ بَأْسَ الْيَمِّ وَهُوَ شَدِيدُ
فَنَهُ دُرُوعٍ فَوْقَهَا وَجَوَاشِنُ وَمِنْهَا خَفَاتَيْنُ لَهَا وَبُرُودُ
وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْإِيَادِيُّ يَصِفُ أَسْطُولَ الْقَائِمِ فَأَجَادَ مَا أَرَادَ :

لعل الإيادى
يصف أسطول
القائم

أَجْبَ لَأَسْطُولِ الْإِمَامِ مُحَمَّدٍ وَلِحُسْنِهِ وَزَمَانِهِ لِلْخُرْبِ
لَيْسَتْ بِهِ الْأَمْوَاجُ أَحْسَنَ مَنْظَرٍ يَبْدُو لِمَنْ لِنَظَرِ الْمُتَحَبِّبِ
مِنْ كُلِّ مُشْرِقَةٍ عَلَى مَا قَابَلَتْ إِشْرَافَ صَدْرِ الْأَجْدَلِ لِلتَّصَبِّ
دَهْمَاءُ قَدْ لَيْسَتْ ثِيَابَ تَصَنَّمِ تَشْيِي الْعُقُولِ عَلَى ثِيَابِ تَرَهَّبِ

(١) السليط - بفتح السين - الزيت ، والقبال : جمع ذبالة (م)

(٢) الروع : الزعفران ، والخلوق - بفتح الخاء - ضرب من الطيب (م)

(٣) الكديد - بفتح الكاف - الأرض الصلبة (م) (٤) قوداء التليل : طويولة العنق (م)

من كل أبيض في الهواء منشَر
كَلَامَةً في البر يقطع شدَّها
محفوظة بمخازِف مصفوفة
كقَوَادِم النَّسْرِ المرفرفِ عُرِيَتْ
تَحْتَهَا أَيْدِي الرِّجَالِ إِذَا وَتَتْ
خَرَقَاءَ تَذْهَبُ إِنْ يَدٌ لَمْ تَهْدِهَا
جَوْءًا تَحْمِلُ مَوْكِبًا فِي جَوْرِهَا
ولها جناحٌ يستعار يُطِيرُهَا
يلعبها حدبُ الثَّجَابِ مُطَارَةً
تسمو بأجردٍ في الهواء متوجِّج
ينزل للفلَّاحُ مِنْهُ ذَوَابَّة
فكأنما رام استراقَةً مَقْدِرِ
وكانما جنُّ ابنِ دَاوُدَ هُمُ
سَجَرُوا جَوَاهِمَ نَارِهَا فَتَقَاذِفُوا
من كل مسجورٍ الحريق إذا انبرى
عُريَانٌ يعلمه الدخانُ كأنه
ولواحق مثلُ الأَهْلَةِ جُنَحٌ
يَذْهَبْنَ فِيهَا بَيْنَهُنَّ لَطَافَةٌ
كنضاض الحيلِ رُحْنٌ لَوَاعِيَا
شروعوا جوانبها بمخادِف أُنْمِيتْ

(١) الأسم: الأسود (م)
(٢) تحنَّها: تحملها على السرعة، وونت: فترت (م)
(٣) الشوذب من الرجال: الطويل الحسن الخلق (م)
(٤) لم يشهب: لم يرم بالشهاب، يشير إلى قوله تعالى: (فأنه شهاب ناقب

منها وأسحَمَ في الخليج مُقَيَّبٌ (١)
في البحر أغاسُ الرِّيحِ الشَّدْبُ
في جانِبَيْنِ دَوْنِ صُلْبِ صُلْبِ
من كاسيات ريشه للتهدُّبِ
بمصد منه بُعِيدَ مَصَوِّبِ (٢)
في كل أَوْبٍ للرياح ومَذْهَبِ
يَوْمَ الرِّهَانِ وتَسْتَلُّ بِمَوْكِبِ
طوعَ الرِّيحِ وراحةِ التَّطَرُّبِ
في كل لج زَاخِرٍ مُفْلَوْلِبِ
عريان منسوج الذَّوَابَةِ شَوْذِبِ (٣)
لورام يركبها القَطَا لَمْ يَرْكَبِ
لسمع إلا أنه لَمْ يُشْهَبِ (٤)
ركبوا جوانبها بأعنف مَرَكِبِ
منها بِاللُّسْنِ مَارِجٍ متلهِّبِ
من بجنه انصَلَّتْ انصَلَاتِ الكوكِبِ
صبيحٌ يَكْرُ على الظلامِ الفِصْهَبِ
لحق للطلَبِ فادات للهِزَبِ
ويجئ فضل الطَّارِ التَّنَلِبِ
حتى يَقَعْنَ بِبِرْكِ ماءِ اللِّزَبِ
شَاوُ الرِّيحِ لها ولا تَتَقَبِ

تنصاع من كُتِبَ كما نَزَرَ القَعْلَا طورا، وتجتمع اجتماعَ الربِّ^(١)
والبحرُ يجمع بينهما فكانه ليلٌ يقربُ عقربا من عَقَرَب
وعلى كواكبها أسود خِلَافَةٌ تختالُ في عدَدِ السلاح المذهب
فكانما البحرُ استعار بزيمهم نوبَ الجمال من الربيع المعجب

[من لطائف التودد]

كتب العباس^(٢) بن جرير إلى الفضل بن يحيى :

لا أعلم منزلة توحشني من الأمير ولا توحشني مني؛ لأنني في المودة له كنفسه،
وفي الطاعة كجده، وإنما أُلِفْتُه من فضله، وقد بعثت بعض ما غنيت أنه يحتاج
إليه في سفره. وذكر ما بعث.

وكتب غيره في هذا المعنى: إذا كان اللطف دليل محبة، ويمس قربة،
كفى قليله عن كثيره، وناب سيرة عن خطيره، لاسيما إذا كان المقصود به
ذاهمة لا يستعظم نفيسا، ولا يستصغر خسسا؛ وقد حزت من هذه الصفة أجل
فضائلها، وأرفع منازلها.

وفي هذا المعنى: إن يد الأنس طويلة بكل ما بلغت، منبسطة بكل
ما أدركت، من حيث يد الحشمة قصيرة عن كل ما حوت، مقبوضة دون
ما أملت؛ لأن باب القول مطلق لذوى الخصوص^(٣)، محظوظ عند ذوى الموم،
ولتكن ما بيننا عاطيتك من لطفى ما لا دونه قلة. ثقة منك بأه يرد على
ما لا فوهة كثرة.

(١) الرب - بوزن جعفر - جماعة بحر الوحش (م)

(٢) في نسخة « أبو العباس » (م) (٣) في نسخة « لذوى المخطوط » (م)

ومن ألقاظ أهل المصر في إقامة رسم الهدية في المهرجان والنيروز

لمثل هذا اليوم الجديد والأوان السعيدة ، وعلى مثل فيها أن يتحف
ويُلبف ، وعلى مثل سيدنا ، ولا مثل له ، أن يُقبل ويشرف . لليوم رسم أن
أخل به الأولياء عذ هفوة ، وإن منع منه الرؤساء حسب جفوة ، ومولاي
يسوغى الدالة فيما اقترن بالرقعة ، ويكسبى بذلك الشرف والرفعة . الهدايا
تكون من الرؤساء مكاترة بالفضل ، ومن النظراء مقارضة بالمثل ، ومن الأولياء
ملاطفة بالقل^(١) ، وقد سلكت في هذا اليوم مع مولاي سبيل أهل طبقة من
الأرباب ، وقد حملت إلى مولاي هدية [الملائف ، لا هدية] المحتفل ،
والنفس له ، والمال منه .

ولهم في التهنئة بالنيروز والمهرجان وفصل الربيع .

هذا اليوم غرة في أيام الدهر ، وتاج على مفرق القصر . أسعد الله مولانا
بنوروز الوارد عليه ، وأعاد ما شاء وكيف شاء إليه . أسعد الله تعالى سيدنا بالنوروز
الطالع عليه بركاته ، وأيمن طائرته في جميع أيامه ومتصرفاته ؛ ولا يزال يلبس
الأيام ويلبسها وهو جديد ، ويقطع مسافة نحسها وسعدها وهو سعيد . أقبل
النيروز إلى سيدنا ناشراً حله التي استأازها من شيعته ، ومبدلاً حالته^(٢) التي
انحازها من سحيته ، ومستصحباً من أنواره ما اكتسبه من محاسن فضله وإكرامه ،
ومن أنظاره ما اقتبس من جوده وإنعامه . ويؤكد الوعد بطول بقائه حتى يمل العمر ،
ويسترق الدهر . سيدنا هو الربيع الذي لا يذبل شجره ، [ولا يزول سحره]
ولا ينقطع ثمره ، ولا يقبل غمامه ، ولا يتبدل أيامه ؛ فأسعد الله تعالى بهذا

(١) القل — بضم القاف وتشديد اللام — القليل (٢)

(٢) في نسخة « ومبدلاً حالته » (٢)

الربيع المشته بأخلاقه ، وإن لم ينل قدرها ، ولم يحمل فضلها ، ولم يجد بداً من الإقرار بها . سيدنا هو الربيع الذى يتجلى مطرُه ، من حيث يؤمن ضررُه ، ويدوم زهرُه ، من حيث يتجلى ثمرُه ؛ فلا زال أمراً ناهياً ، قاهراً عالياً ، تهنئاً الأعياد بمصادفة سلطانه ، وتستفيد المحاسن من رياض إحسانه . أئمتنا الله سيدنا بهذا التورؤز الحاضر ، الجديد الناضر ، سادة تستمر له فى جميع أيامه على العموم دون الخصوص ، لتكون متشابهات [فى اكتاف] المواهب لها ، واتصال المسار فيها ، لا يفرق إلا بمقدار يزيد التالى على الخلقى ، ويدرج الآنى على الماضى . عرف الله سيدنا بركة هذا المهرجَان ، وأسعد به فيه ، وفى كل زمان وأوان ، وأبناه ما شاء فى ظلال الأمان والأمان . هذا اليوم من محاسن الدهر المشهورة ، وفضائل الأزمنة المذكورة ، فلقى الله تعالى سيدنا بركة وُروده ، وأجزل حظه من أقسام سعوده ، هذا اليوم من غرر الدهور ، ومواسم السرور ، معظم فى الملك الفارسى ، مستظرف فى الملك العربى ؛ فوفر الله تعالى فيه على مولاي السعادات ، وعرفته فى أيامه البركات ، على الساعات والاحتفالات .

[الصفات التى تلزم فى رجل الشرطة]

وقال الحجاج بن يوسف : دلونى على رجل للشرطة ، فقيل : أى رجل تريد ؟ فقال : أريد رجلاً دائم الثبوس ، طويل الجلوس ، سمين الأمانة ، أعجب الحيانة^(١) ، يهون عليه سبيل الشريف فى الشفاعة^(٢) ! فقالوا : عليك بسبيل الرحمن [بن عبد الله] التميمى ، فأرسل إليه يستعمله ، فقال : لست أعمل لك عملاً إلا أن تكفينى ولدك ، وأهل بيتك ، وعيالك وحاشيتك ، فقال : يا غلام ناد : مَنْ طلب إليه حاجة منهم قد برئت منه التهمة .

(١) أعجب الحيانة : هزولها وضعفها ، والمراد أنه عديم الحيانة (م)

(٢) فى نسخة « يهون عليه سبيل الشريف » وفى أخرى « سبيل الأشراف » (م)

لأصح السلي
يعد صاحب
شرطة الرشيد

وقال أشجع بن عمرو الشلي يمدح في هذا المعنى إبراهيم بن عثمان بن نهيك
صاحب شرطة الرشيد، وكان جباراً عنيداً :

في سيف إبراهيم خوف واقع بدوى التفاق ، وفيه أمن السلم
وبيت بكلاً واليون هواج مال المصيع ومهجة المستسلم
شد الخطام بأف كل مخالف حتى استقام له الذي لم يُنظم
لا يذليح السلطان إلا شدة نفسي البرى بفضل ذنب المجرم
ومن الولاة مفضم لا يتقي والسيف تقطر شفراته من الدم^(١)
منمت مهابتك النفوس حديتها بالأمر تكرهه وإن لم تلم

[من كلام الأعراب]

أعرابية تلوم
أباها في الجود للعيال ، من يذل الوجه في السؤال ؛ فقد قلّ النوال ، وكثر البخل ، وقد
أثقلت الطاريف والتلاد ، وقيت تطلب ما في أيدي المباد ، ومن لم يحفظ
ما ينفعه ، أو شك أن يسعى فيما يضره .

دعوة أعرابية قال لأصمى : سمعت أعرابية تقول : اللهم ارزقني عمل الخائفين ، وخوف
العاملين ، حتى أتمكن بقرك التتم ، رجاء لما وعدت ، وخوفا مما أوعدت .

وقال آخر : اللهم من أراد بنا سوءاً فأحطه به كإحاطة القلائد ، بأعناق
الولائد ، وأرسخه على هامته ، كرسوخ السجيل ، على هام أصحاب القيل
وقال بعض الأعراب : نالنا ونسي ، وخلقه ولي^(٢) ؛ فالأرض كأنها ونسي^(٣)
[عبرى] ؛ ثم أتنا غيوم جرّاد ، بناجل جذاد ؛ فخرّبت البلاد ، وأهلك
المباد ؛ فسبحان من يهلك القوى الأكل . بالضعيف المأكول .

(١) يروى « ومن الولاة مقحم » والقمح - بزة المظم - الذى يقحم نفسه في
الأمر (٢) (٣) (٤) (٥) (٦) (٧) (٨) (٩) (١٠) (١١) (١٢) (١٣) (١٤) (١٥) (١٦) (١٧) (١٨) (١٩) (٢٠) (٢١) (٢٢) (٢٣) (٢٤) (٢٥) (٢٦) (٢٧) (٢٨) (٢٩) (٣٠) (٣١) (٣٢) (٣٣) (٣٤) (٣٥) (٣٦) (٣٧) (٣٨) (٣٩) (٤٠) (٤١) (٤٢) (٤٣) (٤٤) (٤٥) (٤٦) (٤٧) (٤٨) (٤٩) (٥٠) (٥١) (٥٢) (٥٣) (٥٤) (٥٥) (٥٦) (٥٧) (٥٨) (٥٩) (٦٠) (٦١) (٦٢) (٦٣) (٦٤) (٦٥) (٦٦) (٦٧) (٦٨) (٦٩) (٧٠) (٧١) (٧٢) (٧٣) (٧٤) (٧٥) (٧٦) (٧٧) (٧٨) (٧٩) (٨٠) (٨١) (٨٢) (٨٣) (٨٤) (٨٥) (٨٦) (٨٧) (٨٨) (٨٩) (٩٠) (٩١) (٩٢) (٩٣) (٩٤) (٩٥) (٩٦) (٩٧) (٩٨) (٩٩) (١٠٠)

[مع الولاة والخلفاء]

وقال عمار بن حمزة لأبي العباس السفاح - وقد أمر له بجوارز نفيسة ، وكسوة وصلة ، وأذن مجلسه - : وصلتك الله يا أمير المؤمنين وبرك ، فوالله لئن أردنا شكرك على كُنْهِ صلتك ، فإن الشكرَ ليقصُرُ عن نعمتك ، كما قصُرنا عن منزلتك ؛ غير أن الله تعالى جعل لك فضلا علينا بالتقصير منا ، ولم تحرمنا الزيادة منك لنقصي شكرنا .

وقال أبو العباس السفاح لخالد بن صفوان : كيف عَفُوكَ بأخوالي بني الحارث ابن كعب ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، هم هامة الشرف ، وعزّين الكرم ، وفيهم خصالٌ ليست في غيرهم من قومهم ، هم أحسبهم أمّا ، وأكرمهم شيئا ، وأغناهم طما ، وأوفاهم ذمّا ، وأبدهم هما ، هم الجئرة في الحرب ، والرأس في كلِّ خطب ، وغيرهم بمنزلة التسجب^(١) .

وعزّى خالد بن صفوان عمر بن عبد العزيز وهنّا بالخلافة ، فقال : الحمد لله الذي منّ على الخلق بك ، والحمد لله الذي جعل نبوتكم رجة ، وخلافتكم عصمة ، ومصائبكم أسوة ، وجعلكم قدوة .

وقال خالد بن صفوان لبعض الولاة : قدمت وأعطيت كلاً يقسّطه من نظرك وتجلّسك ، في صوتك وعدّلك ، حتى كأنك من كلِّ أحد ، وحتى كأنك لست من أحد .

وقال رجل لخالد : إن أبائك كان ذميا ، ولكنه كان حليما ، وإن أمك كانت حسناء ، ولكنها كانت رَغَناء ، فيا جامع شرّ أبويه !

شذور في المقامح ومساوى الأخلاق

على بن عبيدة الريماني - أدنس شعار المرء جهله .

(١) العجب - بفتح الميم وسكون الجيم - أصل القنب ، وهو أيضا مؤخر كل شيء . (م)

(٢) الميم - بالهال المهملة - القبيح الشكل ، ووقع في نسخة «ذميا» تطيع . (م)

ابن المعتز - ثم الجاهل ، كالرياض في المزايل . كلما حَسُنَتْ نعمةُ الجاهل ازداد فيها قُبْحًا . لسانُ الجاهل مفتاحُ حَفْظِهِ . لا يرى الجاهل إلا مُفْرَطًا أو مُفْرَطًا . الجاحظ - البخل والجبنُ غريزةٌ واحدةٌ ، يجمعهما سوء الظن بالله . البخلُ يَهْدِمُ مبادئ الشرف .

وقال ابن المعتز : لما عرف أهلُ النقصِ حالهم عند ذوى الكمال ، استعانوا بالكبير ليظلمَ صغيراً ، ويرفعَ حقيراً ، وليس ينفعُ الطمعُ في وثاقِ الذلِّ . الغضب يصدئُ العقلَ حتى لا يرى صاحبه صورةَ حسنٍ فيتركبه ، ولا صورةَ قبيحٍ فيجتنبه . الغضبُ ينهى عن كامنِ الحقد . من أطاعَ غضبه أضاعَ أدبه . حدةُ الغضبِ تعثرُ المنطقَ ^(١) ، وتقطعُ مادةَ الحجَّةِ ، وتفرقُ الفهمَ ^(٢) : غضبُ الجاهل في قوله ، وغضبُ العاقل في قسله . عقوبةُ الغضبِ تبدأ بالنضبان : تقيحُ صورته ، وتلُمُ دينه ، وتسجلُ نذمه . ما أقيح الاستطالة ^(٣) عند الفنى ، والخضوع عند الفقر . من يهتك سِرَّ غيره تكشفَتْ عورات بيته . نفاق المرء من ذلِّ الشرير لا يظنُّ بالناس خيراً لأنه يراهم بين طيعة . من عدَّد نعمة بحق كرمه . خلفُ الوعد خلقُ الوغد ، من أسرع كثر عثاره .

[من المفارحات]

فاخر كاتبٌ نديماً ، قال الكاتب : أنا مُمَوِّة ، وأنت مُمَوِّة ؛ وأنا للجدِّ ، وأنت للزَلِّ ؛ وأنا للشدة وأنت للذَّة ؛ وأنا للحرب ، وأنت للسلام . قال النديم : أنا للنعمة ، وأنت للخِدمة ؛ وأنا للحضرة ، وأنت للهنئة ؛ قوم وأنا جالس ، وتحشم وأنا مُؤانس ؛ تدأب لراحتي ، وتشتق لسادتي ؛ فأنا شريك ، وأنت مِيعن ، كما أنك تابع ، وأنا قرين .

(١) في نسخة « ضمير المنطق » (٢) تفرق الفهم : تبديده (٣)

(٣) الاستطالة : التكبر (٢)

وفاخر صاحب سيف صاحب قلم ، فقال صاحب القلم : أنا أقتل بلا غرر ،
وأنت تقتل على خطر . فقال صاحب السيف : القلم خادم السيف إن تم مراده ،
وإلا فإلى السيف مآده .
قال أبو تمام :

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب
إبراهيم بن المهدي :

قد تلبس ببعض القول تبذله والوصل في جبل صعب مراقبه
كالخيزان منيع حين تكسره وقد يرى لئنا في كفت لآويه
أبو الهيثم^(١) عاصم بن عمارة المري يرى :

لأبي الهيثم
المري يرى

سأبكيك بالبيض الرقاق والقهنا فإن بها ما أدرك الوابر الوترا
ولسنا كن ينكي أخاه بعبرة بعصرها من ماء مقلته عصرا
ولكنني أشقى فزادى بضره وألمب في قطري جوانبه جرا
وإننا أناس ما نفيض دموعنا على هالك منا وإن قسم الظهرا

[من وصايا الحكماء]

لقي رجل حكيما فقال : كيف ترى الدهر ؟ قال : يُخلق الأبدان ، ويمدّد
الآمال ، ويربّ النية ، ويباعد الأمنية . قال : فما حال أهل ؟ قال : من ظفر
به منهم تسب ، ومن فاته نصيب . قال : فما النفي عنه ؟ قال : قطع الرجاء منه ،
قال : فأى الأصحاب أبرّ وأوفى ؟ قال : العمل الصالح والتقوى . قال : أيهم أضر
وأرذى ؟^(٢) قال : النفس والهوى ، قال : فأين المخرج ؟ قال : سلوك النهج . قال :
وما هو ؟ قال : بذل الجهود ، وترك الراحة ، ومداومة الفكرة . قال : أوصني .
قال : قد فعلت .

(١) في نسخة «أبو الهيثم» وفي أخرى «أبو الهيثم» (م)

(٢) أردى : أعدرى ، والردي - بوزن الفتي - الهلاك (م)

(١٢ - زمر الأدباء)

وقال بعضُ الملوكِ لحكيم من حكامه : عَطَى بَعْضُهُ نَفْسِي عَنِ الْخِيَلِ^(١) ،
وترَهَدَنِي فِي الدُّنْيَا . قَالَ : فَكَّرْتُ فِي خُلُقِكَ ، وَادَّكَّرْتُ مَبْدَأَكَ وَمَصِيرَكَ ، فَإِذَا
فُضِلْتَ ذَلِكَ صَغَرْتَ عِنْدَكَ نَفْسُكَ ، وَعَظُمَ بِصَغَرِهَا عِنْدَكَ عَقْلُكَ ؛ فَإِنَّ الْعَقْلَ
أَضْمَهُمَا لَكَ عِظًا ، وَالنَّفْسَ أَرْزِنَهُمَا لَكَ صِغَرًا ؛ قَالَ الْمَلِكُ : فَإِنْ كَانَ شَيْءٌ يُعِينُ
عَلَى الْأَخْلَاقِ الْمَحْمُودَةِ فَصَفِّتْ هَذِهِ . قَالَ : صَفِّتِي دَلِيلٌ ، وَقَهْمُكَ مَحَبَّةٌ ، وَالْعِلْمُ
عَلِيَّةٌ^(٢) ، وَالْعَمَلُ مَطِيَّةٌ ، وَالْإِخْلَاصُ زِمَامُهَا ، فَخُذْ لِعَقْلِكَ بِمَا يَزِينُهُ مِنَ الْعِلْمِ ، وَلِلْعَمَلِ
بِمَا يَصُونُهُ مِنَ الْعَمَلِ ، وَلِلْعَمَلِ بِمَا يَحْقُقُهُ مِنَ الْإِخْلَاصِ ، وَأَنْتَ أَنْتَ !
قَالَ : صَدَقْتَ .

[من اللدح]

لأبي الروي وقال ابن الروي :

تَفْتَوْنَنَ عَنْ كُلِّ تَقْرِيطٍ بِمَجْدِكُمْ غَفَى الظُّبَا عَنْ التَّكْحِيلِ بِالْكَحَلِ
تُلَوِّحُ فِي دُولِ الْأَيَّامِ دَوْلَتَكُمْ كَأَنَّهَا مِثْلَةُ الْإِسْلَامِ فِي الْمَلَلِ
وقال أيضاً :

كُلُّ الْإِخْلَاصِ الَّتِي فِيكُمْ عَاسِيَتُكُمْ تَشَابَهَتْ مِنْكُمْ الْأَخْلَاقُ وَالْخُلُقُ
كَأَنَّكُمْ شَجَرُ الْأَرْجُحِ طَابَ مَا سَحَلَا وَنَوْرًا ، وَطَابَ الْعُودُ وَالْوَرَقُ
وقال البسقي [في نحو هذا] :

فَنِي جَمْعِ الْعِلْيَاءِ عِلْمًا وَعِفَّةً وَبَأْسًا وَجُودًا لَا يَفِيقُ فُوقَا
كَأَجْمَعِ التَّفَاحُ حَسَنًا وَفَضْرَةً وَرَأْمَةً مَحْبُوبَةً وَمَذَاقًا
قال أبو العباس اللبرد : حدثني عجل بن أبي دلف قال : امتدح رجلُ أبي
بِكَلِمَةٍ ، فَوَصَلَهُ بِخَمْسَةِ دِينَارٍ وَلَمْ يَرَهُ ، وَهِيَ :

لأبي الفتح
البسقي

في مدح
أبي دلف

(١) الخيلاء : الكبر (م)

(٢) في نسخة « والعلم حيلة » وفي أخرى « والعلم حيلة » (م)

مَالِي وَمَالِكَ قَدْ كَلَفْتَنِي شَطَطًا
أَمِنْ رِجَالِ الْمَنَافَا خِلَعَتِي رَجُلًا
أَرَى الْمَنَافَا عَلَى غَيْرِي فَأَكْرَهَهَا
أَخِلَّتْ أَنْ سَوَادَ اللَّيْلِ غَيَّرَنِي
قُلْتُ: هَذَا كَحَدِيثِ الَّذِي دَخَلَ فِي قَوْمٍ عَلَى شَرَابٍ فَتَقَوَّهَ غَيْرَ الشَّرَابِ الَّذِي

يُشْرَبُونَ ، قَالَ :

نَبِيذَانِ فِي مَجْلَسٍ وَاحِدٍ لِإِشَارِ مُنْزِعٍ عَلَى مُقْتَرِ
فَلَوْ كُنْتُ تَفْعَلُ فَقُلَّ الْكِرَامُ فَكُنْتُ كَفَعَلِ أَبِي الْبَخْتَرِي
تَذَمُّعَ إِخْوَانِهِ فِي الْبِلَادِ فَأَغْنَى الْمَقْلَ عَنْ الْكُثْرِ
فَانْصَلَّ شَعْرُهُ بِأَبِي الْبَخْتَرِي فَأَعْطَاهُ أَلْفَ دِينَارٍ وَلَمْ يَرَهُ .

[أَحَدُ بْنُ أَبِي فَنَنْ]

وَالْأَبْيَاتُ الَّتِي مَدَّحَ بِهَا أَبُو دَلْفٍ هِيَ لِأَحَدِ بْنِ أَبِي فَنَنْ ^(١) ، وَكَانَ شَاعِرًا
نَجِيدًا ، وَهُوَ الْقَائِلُ :

وَلَا أَبْتَ عَيْنَايَ أَنْ تَمْلِكَ الْبُكَايَ وَأَنْ تَحْبَسَ سَخَّ الدَّمُوعِ السَّوَاكِبِ ^(٢)
تَنَاءَبَتْ كَيْ لَا يُنْكَرَ الْعَمْعَ مَنَكُرُ وَلَكِنْ قَلِيلًا مَا بَقَا التَّنَاؤُبِ ^(٣)
أَعْرَضْتَنِي لِلْهُوَى وَنَعْمًا عَلَى لِبَاسِ الصَّاحِبَانِ لِصَاحِبِ
وَقَالَ :

وَحَيَاةَ هَجْرِكَ غَيْرَ مَحْتَدٍ إِلَّا لِقَصْدِ الْخُنْثِ فِي الْخَلْفِ
مَا أَنْتَ أَمْلَحُ مَنْ رَأَيْتَ وَلَا كَلَفَنِي بِحَبِّكَ مُنْتَهَى كَلَفِي

(١) فِي نَسْخَةِ «أَحَدِ بْنِ أَبِي الْعِيَاءِ» وَانْظُرِ الْآلِي لِأَبِي عُبَيْدِ الْبَكْرِيِّ (١٩٧) (م)

(٢) فِي الْآلِي «أَنْ تَمْلِكَ الْبُكَايَ» وَيُرْوَى «أَنْ تَقْفَا الْبُكَايَ»

(٣) «١٠» فِي قَوْلِهِ «قَلِيلًا مَا بَقَا التَّنَاؤُبِ» صِفَةُ قَلِيلٍ ، وَفِي نَسْخَةِ «مَا يُفِيدُ التَّنَاؤُبَ» وَلَيْسَ
بِشَيْءٍ ، وَكَانَ مِنْ حَقِّ الرِّيَاءِ أَنْ يَقُولَ «وَلَكِنْ قَلِيلٌ مَا بَقَا التَّنَاؤُبِ» وَلَمَّا ذَكَرَ
وَجْهَ لَيْسَ هُوَ الْمُنْجَعُ .

قال الصولي : كنا بحضرة أبي العباس البرد فأنشد هذين البيتين فاستطرفهما
وأنشدنا في ذلك :

وحياة غيرك غير معتمد به حنثاً ولكن مُعْظَماً لحياتك^(١)

ما ينقض طمعي وإن أطمعني في الوعد منك إلى القضاء عندك^(٢)

وقال الخنمى :

ولم أر مثلاً الصداً أَدعى إلى الهوى إذا كان من لا يخافُ على وَصلِ

وَأَلَّتْ يميناً كالزجاج رقيقةً وما حَلَقَتْ إِلَّا لَتَحَثَّ من أَجْلِ

وكان أحمد بن أبي قن أسود ، وقلبك قال :

• أخلت أن سواد الليل غيّرني •

ولما أدخل على المنز وامتدحه قال : هذا الشاعر الأدم^(٣) ، قال بعض من حضر :

لا يَصِيرُهُ سواده مع يياض أياذك عنده ، قال : أجبل ، ووصله .

أخذ قوله :

• أرى اللئالي على غيري فأكرهها •

من قول أعرابي قيل له : ألا تَفَرُّوْ ؟ قال : أنا والله أكره الموت على فراشي ،

فكيف أشي إليه رُكُصاً ؟

[الاستطراد]

وهذا للذهب الذي سلكه أحمد ضرب من الديدم يسمى الاستطراد ، وذلك

أن الفارس يظهر أنه يستطرد لشيء ويُبْطِنُ غيره ، فيكره عليه ، وكذلك هذا

(١) في نسخة «وحياة عزك» (م)

(٢) المدات : جمع عدة ، بمعنى الوعد ، واقتضاؤها : طلب إنجازها (م)

(٣) الأدم : وصف من الأدمة ، وهي السمرة (م)

الشاعر يظهر أنه يذهب لمعنى فيمن له آخر قِيَانِي به ، كأنه على غير قصد ، وعليه بناء ، وإليه كان متّزاه^(١) ، وقد أكثر المحدثون منه فأحسنوا في ذلك .

لإسحاق
الموصلی

قال الأصمى : كنت عند الرشيد فدخل عليه إسحاق بن إبراهيم اللوصلي فقال : أنشدني من شرك ، فأنشده :

وأمره باليُخل قلت لها : أقصري
أرى الناس خلان الجواد ، ولا أرى
ومن خير حالات الفتى لو علمته
فقال فمال الكثرين تجملا
وكيف أخاف الفقر أو أحرم الفتى
ورأى أمير المؤمنين جبلا

فقال الرشيد : يا فضل ؛ أعطه عشرين ألف درهم . ثم قال : فه آيات تأتينا بها يا إسحاق ما أتت أصولها ، وأبين فصولها . وأقل فصولها ! فقال : والله يا أمير المؤمنين ؛ لا قبلت منها درهما واحدا . قال : ولم ؟ قال : لأن كلامك ، والله ، خير من شرى . فقال : يا فضل ؛ ادمع إليه أربعين ألفا . قال الأصمى : فعلت أنه أصيد لدرهم للوك منى .

لأبي تمام
صف فرسا

ومن ذلك^(٢) قول أبي تمام يصف فرسا :

وسامح هطل الثمداء هتان
أغلى الفصوص ولم تظلم قوائمه
فلو تراء مشيحاً والحصى زيم
أيقنت إن لم تثبت أن حافره
وقد احتذى البحتري هذا الحدو في حدويه الأحول ، وكان حدويه هذا عدوا للمدوح ، فقال :

(١) ممزاه - بالعين المهملة - اعتزاه - أى انتسبه ، وفي نسخة «مترزاه» بالعين المعجمة (م) (٢) أى من الاستطراد (م)

البحر

وأغزى في الزمن البهيمُ مُحجَّل
 كالميكلي المنيّ إلا أنه
 ملك الميرون؛ فإن بدا أعطيه
 ما إن ينافى قذى ولو أوردته
 قد رخت منه على أغزى مُحجَّل
 في الحنين جاء كصورة في هيكَل
 نظر الحب إلى الحبيب القبل
 يومًا خلائق تحذونه الأهل
 وفي قصيدته هذه يحكى أن البحري قال له أصحابه : لك شعاب بهذا
 البيت ؛ لأنك سرته من أبي تمام ، قال : أعاب من أخذى من أبي تمام ؟ والله
 ما قلت شعراً قط إلا بعد أن أحفرت شعره في فكري ، قال : وأسقط البيت
 بعد ، فلا يوجد في أكثر النسخ .

[سبق المتقدمين إلى الاستطاد]

وهذا معنى قد أعجب المحدثين ، وتحيلوا أنهم لم يستجئوا إليه ، وقد تقدم
 لمن قبلهم ، قال الفرزدق :

كأن ققاع الأزد حول ابن مسمع
 إذا جلسوا أفواه بكر بن وائل
 قال الحامي : وأنى جرير بهذا النوع غنا^(١) في وجه السابق إلى هذا المعنى
 فضلاً عن تلاه ؛ فإنه استطرد في بيت واحد ، فهبأ فيه ثلاثة ، فقال :
 لما وضعت على الفرزدق ميسرى
 وعلى البيت جدعت أنف الأخطل
 وقيل هذا البيت مما يرد على الحامي ، وهو قوله :

أعددت للشراء كأساً مرّة
 ففقت آخرهم بكأس الأول
 ذل أبو إسحاق : وأول من ابتكره السموّل بن عدياء اليهودي ، وكل أحد
 تابع له فقال :

وإنّا أناس لا نرى القتل سبة
 إذا ما رأته عامرٌ وسلول
 يقرب حب الموت آجالنا لنا
 وتكرهه آجالهم قتلول

السؤال
 مبتكر
 الاستطاد

(١) في نسخة « أعاب على أحد أخذى من أبي تمام ؟ » (م)
 (٢) حنا التراب يحثوه ويحبه - مثل دعاء يدعوهم ورماء يرميه - قبض قبضة
 منه ورماء به (م)

لطرفه بن
العبد البكري

وقد قال طرفه في هذا المعنى :

فلو شاء ربى كنت قيس بن خالد ولو شاء ربى كنت عمرو بن مرثد
فأصبحت ذا مالٍ كثير ، وعادنى بنون كرام سادة لستود
قيس بن خالد : ذو الجدين الشيباني . وعمرو بن مرثد : سيد بنى قيس بن ثعلبة ،
فدعا [عمرو] طرفه لما بلغه ذلك ، فقال : أما البنون فإن الله يعطيك ، ولكن
لا تريم حتى تكون من أوسطنا حالا ؛ وأمر بنيه وكانوا عشرة ، فدفع إليه كل
واحد منهم عشراً من الإبل ؛ فانصرف بمائة ناقه .

ابن عبد
وابن بشر بن
مروان

وكان ابن عبيد بن مقطعا إلى عبد الله بن بشر بن مروان^(١) ، فأخبر عنه ربه ،
وغاب أياما ، ثم أتاه فسأله عن غيبته ، فقال : خطبت ابنة عم لي بالسواد ،
فزعمت أن لها ديونا وأسلافا^(٢) هناك ، وأنى إذا جمعتها لها صارت إلى محبتي ، ففعلت
ذلك ، فلما استنجزتها كتبت إلى :

سَيَخْلُطُكَ الَّذِي أَثْمَلَتْ مِثِّي إذا انتقضت عليك قوى حبالى
كما أخطأك معروف ابن بشر وكنت تمد ذلك رأس مال^(٣)
فقال : ما أحسن ما ألفت بالسؤال ! وأجزل صلته .

لبشار بن برد

ومن بديع هذا الباب قول بشار بن برد :

خليلى من كسب أعينا أخاكا على دهره ؛ إن الكريم معين
ولا تبخلأ بخل ابن قزعة ؛ إنه مخافة أن يرجى نداء حزين
إذا جثته فى حاجة سد بابه فلم تلقه إلا وأنت كين
فقل لأبى يحيى متى تبلغ السلا وفى كل معروف عليك يمين

لبكر بن النطاح

وقال بكر بن النطاح يمدح مالك بن طوق :

(١) وردت هذه القصة فى ذيل الأمالى (٤٩) وذكر أنها بين ابن عبدلوم معروف
ابن بشر (م) (٢) فى القليل « فأرسلت إلى أن لى أشاوى على الناس وديونا »
والأشاوى : جمع أشياء التى هى جمع شيء (م) (٣) فى القليل « وكنت تمد لك
رأس مال » (م)

عَرَضْتُ عَلَيْهَا مَا أَرَادَتْ مِنْ لُفَى لَتَرَمَى فَهَاتِ قِمَ فَعِثْنِي بِكُوكِبِ
 قُلْتُ لَهَا: هَذَا التَّمَنُّتُ كُلُّهُ كُنْ يَشْتَعِي لَحْمَ عَقَاءِ مُغْرِبِ
 سَلِي كُلِّ أَمِيرٍ يَسْتَقِيمُ طَلَابُهُ وَلَا تَنْهِي يَادِ فِي كُلِّ مَذْهَبِ
 فَأَقْسَمُ لَوْ أَصْبَحْتُ فِي عَزِّ مَالِكٍ وَقُدْرَتِهِ مَا رَامَ ذَلِكَ مَطْلَبِ
 فَقِي شَقِيَّتَ أَمْوَالِهِ بِسَاحِدِ كَمَا شَقِيَّتَ قَيْسُ بَارِمَاحِ مُلْبِ
 واعتذر رجلٌ إلى رجلٍ بمحضرة عبد الأهل بن عبد الله فلم يُقْبَلْ عذره ،
 قال عبد الأهل : أَمَا وَاللَّهِ لَن كَانَ أَحْتَمَلَ لَيْتَمَ الْكَذِبَ وَدَنَاتِهِ ، وَخُضُوعَ
 الْإِعْذَارِ وَذُلَّتْهُ ، فَصَاحَبَتْهُ عَلَى الذَّنْبِ الْفَاحِشِ ، وَلَمْ تَشْكُرْ لَهُ إِيَابَةَ النَّائِبِ ، إِنَّكَ
 لَمَنْ يُسَىءُ وَلَا يُحْسَنُ .
 وقال الخطيبه :

للخطيبه

يَسُوءُونَ أَحْلَامًا بِسِدِّهَا أَنْتَهَا وَإِنْ غَضِبُوا جَاءَ الْخَفِيفَةُ وَالْجِدُّ
 أَقْلُوا عَلَيْهِمْ لَا أَبَا لِأَيِّكُمْ مِنَ الْيَوْمِ أَوْشِدُوا لِلْمَكَانِ الَّذِي سَدُّوا
 أَوْلَيْتُكَ قَوْمَ إِنْ بَنَوْا أَحْسَنُوا الْبِنَا وَإِنْ وَعَدُوا أَوْفُوا وَإِنْ عَقَدُوا شَدُّوا
 وَإِنْ كَانَتْ النِّعْمَةُ فِيهِمْ جَزَّوْا بِهَا وَإِنْ أَسْمَوُا لَا كَذَرُوا وَلَا كَدُّوا^(١)
 وَإِنْ قَالَ مَوْلَاهُ عَلَى جُلٍّ حَادِثٍ مِنَ النَّهْرِ رُدُّوا فَضْلَ أَحْلَامِكُمْ رَدُّوا
 وَيُطْلَقُ أَبْنَاهُ سَدُّ عَلَيْهِمْ وَمَا قُلْتُ إِلَّا بِالَّذِي عَلِمْتُ سَدُّ^(٢)

[شاعر باهلي في حضرة الرشيد]

وَوَسَّلَ سَعِيدُ بْنُ سَلَمٍ إِلَى الرَّشِيدِ شَاعِرًا بَاهِلِيًّا ، فَأَنشَدَهُ قَصِيدَةً حَسَنَةً ،
 فَاسْتَرَابَهُ الرَّشِيدُ ، وَقَالَ : أَهَمَّكَ مَسْتَحِينَا ، وَأَفْكَرَكَ مَتَّهَمَا^(٣) ، فَإِنْ كُنْتَ سَاحِبَ
 هَذَا الشَّعْرِ قُلْ فِي هَذَيْنِ ، وَأَشَارَ إِلَى الْأَمِينِ وَالْمَأْمُونِ وَكَانَا جَالِسَيْنِ .

(١) يروى « ألما عليهم جزواها » (م)

(٢) يروى « وقد لامني أفاضلهم » (م) (٣) في نسخة « وأكرمك متها » (م)

فقال : يا أمير المؤمنين ، حملتني على غير الجلد : هَيْبَةُ الخِلافة ، وَوَحْشَةُ
 الغُرْبَةِ ، وَرَوَّعَةُ المَاجَةِ ، وَجَلَالَةُ اللِّقَامِ ، وَصِوْبَةُ البَدِيَةِ ، وَشُرُودُ القَوافي ، على
 غير الرويَّة ، فليُثْمِنَني أمير المؤمنين حتى يتألفَ نافرُ القول .
 فقال الرشيد : لا عليك ألا تقول ؛ قد جعلت اعتذارك عِوَضَ امتحانك .
 فقال : يا أمير المؤمنين ؛ فَضَّت الخِفاي ، وَسَهَّلْتَ ميدان السباق ، ثم قال :
 بنيت بسبب الله بعد محمد ذُرَى قُبَّةِ الإسلام فَأَخْضَرُ عودُها
 هَامُ طُغْيَاها بَارَكَ اللهُ فيها وَأَنْتَ - أمير المؤمنين - عودُها
 فقال الرشيد : وَأَنْتَ بَارَكَ اللهُ فيكَ ، سَلِّ وَلَا تَكُنْ مَسْأَلَتِكَ دُونَ إِحْسَانِكَ
 فقال : الهنيءة يا أمير المؤمنين^(١) ؛ فَأَمَرْ لَهَا ، وَبِخَلْعٍ خَفِيَّةٍ ، وَصِلَةٍ جَزِيلَةٍ .

[كاتب الحجاج عند سليمان بن عبد الملك]

دخل يزيد بن أبي سُلم كاتب الحجاج على سليمان بن عبد الملك ، فَأَزْدَرَاهُ
 وَتَبَّتْ عينُهُ عنه ، فقال : مارَأَتْ عيني كالْيَوْمِ قَطْ ، لَمَنْ اللهُ أَمْرًا أَجْرَكَ رَسَنَهُ ،
 وَحَكَمَكَ في أَمْرِهِ . فقال : يا أمير المؤمنين ، لَا تَقُلْ ذَلِكَ ؛ فَإِنَّكَ رَأَيْتَنِي وَالْأَمْرُ
 عَنِّي مُدَبَّرٌ ، وَعَلَيْكَ مُقْبِلٌ ؛ فَلَوْ رَأَيْتَنِي وَالْأَمْرَ عَلَى مَقْبِلٍ ، وَعَنْكَ مُدَبَّرٌ ،
 لَأَسْتَعْظَمْتَ مِنِّي مَا اسْتَصَفَرْتَ ، وَاسْتَكْبَرْتَ مَا اسْتَقَلَّمْتَ .

قال : عزمت عليك يا بن أبي سُلم تخبرني عن الحجاج ، أَرَاهُ يَهْوِي في
 جَهَنَّمَ أَمْ قَدْ قَرَّبَهَا ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، لَا تَقُلْ هَذَا في الحجاج ، وَقَدْ بَذَلَ
 لَكُمْ التَّصِيحَةَ ، وَأَمَّنْ دَوْلَتَكُمْ ، وَأَخَافُ عَدُوَّكُمْ ، وَكَأَنِّي بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُوَ
 عَن يَمِينِ أَيْلِكَ ، وَيَسَارِ أَخِيكَ ، فَاجْلِسْ حَيْثُ شِئْتَ .

فقال له سليمان : اعزُبْ^(٢) إِلَى لَعْنَةِ اللهِ الْخَرَجَ ، فَاتَتْهُ سُلَيْمَانُ إِلَى جِلْسَانِهِ

(١) الهنيءة - زينة التصغير - اسم للعائنة من الإبل (م) (٢) اعزب : ابعد (م)

فقال : قاتله الله ! ما أحسنَ ببيتته ، وتحريمه لنفسه ولصاحبه ! وقد أحسنَ المكافأة في الصنعة ، خلّوا عنه .

[من أدب إبراهيم بن العباس الموصل]

قال إبراهيم بن العباس الموصل : والله ما اتسكنتُ في مكاتبة قط إلّا على ما يجلبه خاطري ، ويحبّسُ به صدري ، إلّا قولي في فصل : وصار ما كان يُحَرِّزُهم يُبْرِزُهم ، وما كان يعقلهم يعقلهم . وقولي في رسالة أخرى : « فأنزلوه من معقل إلى عَقَال ، وبدّلوه آجلا بآمال » ، فإني أملت في هذا بقول الصريح^(١) :
مُوفٍ على مُوَجِّعٍ في يوم ذى رَهَجٍ
كَأَنَّهُ أَجَلَ يَشَى إلى أَمَلٍ
وفي المعنى الأول يقول أبو تمام :

فإن يَبِينَ حِيطَانًا عَلَيْهِ فإِنَّمَا أُولَئِكَ عُقالاته لَا مَعَالَه
وكان يقول : ماتمت كلامٌ أحدٍ أن يكون لي إلّا قولَ عبدالحيد بن يحيى :
الناس أصنافٌ متباينون ، وأطوار متفاوتون ، منهم علق مغنّة لا يُباع ،
وغل مغنّة لا يُبتاع .

ورد كتاب بعض الكتاب إلى إبراهيم بن العباس بزم رجل ومدح آخر ؛
فوقع في كتابه : إذا كان للمحسن من الجزاء ما يُقْنِعه ، وللسيء من النّكال ما يُقْنِعه ، بذلّ المحسن الواجب عليه رغبة ، وأهّاد السّيء للحق رهبة . فوثب
الناس يقبلون يده .

ووقع لرجل متّ إليه بحُرْمَة : تتعلّمت بجرمة مألوفة ، ووسيلة معروفة ، أنوم
واجبها ، وأزاعها من جميع جوانبها .

وإبراهيم بن العباس هو القائل :

لنا إِبِلٌ كُورٌ يَصْبِقُ بها الفَصَا وَتَنْبُرُ مِنْهَا أَرْضُهَا وسماؤها

(١) الصريح : صريح التواني ، وهو مسلم بن الوليد ، وقد مضت له آيات منها
هذا البيت (انظر ص ١٠٢٤ من هذا الكتاب)

فمن دونها أن تسبلح دماؤنا ومن دوننا أن يُستنم دماؤها^(١)
 حتى وقروى ظلمتُ دون مرأها وأيسرَ خطبَ يوم حُقِّ فتأوها
 وقال الصولي : وجدت بخط عبد الله بن أبي سعيد إبراهيم بن العباس
 أنشده لنفسه :

وعَلَّيْتِي كَيْفَ الْمَدَى وَجِهَلْتُهُ وَعَلَّيْتُكَ صَبْرِي عَلَى ظَلَمِكَ ظَلَمِي
 وَأَعْلَمَ مَالِي عَنْدَكَ فَيَرَدَّنِي هَوَايَ إِلَى جَهْلِي فَأَرْجِعُ عَنْ عِلْمِي
 فَقُلْتُ : أَسْبَقْتُكَ إِلَى هَذَا أَحَدٌ ؟ قَالَ : الْعَبَّاسُ بْنُ الْأَحْنَفِ بِقَوْلِهِ :
 تَجَنَّبَ يَرْثَاذُ السَّلَوُ فَلَمْ يَجِدْ لِمَعْنَكَ فِي الْأَرْضِ الْمَرِيضَةَ مَذْهَبًا
 فَعَادَ إِلَى أَنْ رَاجَعَ الْوَصَلَ صَافِرًا وَعَادَ إِلَى مَا تَشْتَمِينِ وَأَعْتَبَا^(٢)
 قَالَ الصولي : وَأُظِنُّ أَنَّ ابْنَ أَبِي سَعِيدٍ غَلَطَ فِي هَذِهِ الرَّوَايَةِ ؛ لِأَنَّ الْأَشْبَهَ
 يَقُولُ ابْنُ الْعَبَّاسِ : « ضَادَ إِلَى أَنْ رَاجَعَ الْوَصَلَ صَافِرًا » قَوْلُهُ :

كَمْ قَدْ تَجَرَّعْتُ مِنْ غَيْظٍ وَمِنْ حَزَنِ إِذَا تَجَدَّدَ حُزْنٌ هَوْنٌ الْمَاضِي
 وَكَمْ سَخِطْتُ وَمَا بَا لَيْتُمُ سَخَطِي حَقِّي رَجَعَتْ بَقْلِي سَاخِطٌ رَاضِي
 وَأَنْشَدَ لَهُ :

لِمَنْ لَا أَرَى أَعْرَضْتُ عَنْ كُلِّ مَنْ أَرَى وَصِرْتُ عَلَى قَلْبِي رَقِيًّا لِقَاتِلِهِ
 أَدَافُهُ عَنْ سَلْوَةٍ وَأَرَدُهُ حِيَاهُ إِلَى أَوْصَابِهِ وَبَلَابِلِهِ
 وَقَالَ فِي هَذَا النَّحْوِ :

وَأَنْتَ هَوَى النَّفْسِ مِنْ بَيْنِهِمْ وَأَنْتَ الْحَبِيبُ وَأَنْتَ الْمَطَاعُ
 وَمَا بِكَ إِنْ بَعْدُوا وَحَدَّةٌ وَلَا مَعَهُمْ إِنْ بَسَدَتْ اجْتِنَاعُ
 وَقَالَ الطائي :

إِذَا جِئْتَ لَمْ أَحْزَنْ لِيُعَذِّ مَفَارِقِي وَإِنْ غَيْبْتَ لَمْ أَفْرَحْ بِقُرْبِ مَقِيمِي

(١) في نسخة « أن تستند دماؤها » (م)

(٢) أعتبا : فعل ما يزول معه الغيب (م)

فيا ليتني أُنذيك من غُرْتِيَةِ النوى بكلُّ أُنح لي وأصلِّ وحيم
وأصل هذا من قول مالك بن مستمع للأحنف بن قيس : « ما شئتُ للثائب
إذا حَضَرْتُ ، ولا أُنفع بالحاضر إذا غَيْبْتُ » .

وقال إبراهيم بن العباس :

تَدَانَتْ بِقَوْمٍ عَنْ تَنَاءِ زِيَارَةٍ وَشَطَّ بِلِيلِي عَنْ دَنَوِ مَرَارِهَا^(١)
وَأَنَّ مُتَجَاتٍ بِمَنْعَرَجِ الْقَوَى لِأَقْرَبُ مِنْ لَيْلِي وَهَاتِيكَ دَارُهَا
وَلَيْلِي كَثَلُ النَّارِ يَنْفَعُ ضَوْءُهَا بَسِيدًا نَأَى عَنْهَا وَيُحَرِّقُ جَارُهَا
كَأَنَّهُ نَظَرَ إِلَى قَوْلِ النَّظَارِ الْفَقْمِيِّ :

يَقُولُونَ هَذِي أُمُّ عَمْرٍو قَرِيبَةٌ دَنَتْ بِكَ أَرْضُ نَحْوِهَا وَسَمَاهَا
أَلَا إِنَّمَا بُدُّ الْخَلِيلِ وَقُرْبُهُ إِذَا هُوَ لَمْ يُوصَلْ إِلَيْهِ سِوَاهَا
وَقَوْلُهُ : « وَلَيْلِي كَثَلُ النَّارِ » كَقَوْلِ الْعَبَّاسِ بْنِ الْأَحْنَفِ :

أَحْرَمَ مِنْكُمْ بِمَا أَقُولُ وَقَدْ نَالَ بِهِ الْعَاشِقُونَ مَنْ عَشِقُوا
مِرْرَتُ كَأَنِّي ذُبَابَةٌ نَصِيبَتْ تُبْغِي لِلنَّاسِ وَهِيَ تَحْتَرِقُ
وقال إبراهيم بن العباس :

أَمِيلُ مَعَ الصَّدِيقِ عَلَى ابْنِ عَمِي وَأَخَذْتُ لِلصَّدِيقِ مِنَ الشَّقِيقِ
وَأَمَّا الْفَيْتَنِي خُرًّا مُطَاعًا فَإِنَّكَ وَاجِدِي عَبْدَ الصَّدِيقِ
أَفْرَقَ بَيْنَ مَعْرُوفِي وَمَنَى وَأَجْمَعُ بَيْنَ مَالِي وَالْحَقِيقِ

[رثاء مصلوب]

قال القليل يَرْتِي صَدِيقًا لَهُ أَخَذَ فِي خَرَبَةٍ^(٢) فَهَتَلَ وَصَلَبَ :
لَعَسَى لَئِنْ أَصْبَحْتَ فَوْقَ مَشْدَبٍ طَوِيلٍ تُنْفِئِكَ الرِّيحُ مَعَ الْقَطْرِ

(١) في ديوان إبراهيم بن العباس « دنت بأناش » والتأني : البعد ، وشط : جد (م)

(٢) في نسخة « أخذ في جزية » وفي أخرى « في خزية » (م)

لقد عشتَ مبسوطَ اليدين مرزاً وعوفيت عند اللوت من ضَفْطَةِ القبرِ
وأفلتَ من ضيقِ الترابِ وعَنَيْهِ ولم تفقد الدنيا؛ فهل لك من سُكْرِ
فا تشفى عيْنِي من دَائِمِ البُكَى عليك ، ولو أُنِي بكيتُ إلى الخسر
فطوبى لمن يبكي أخاه مُبْجَهاً واسكني أُنْبكى لفقدك في سِرِّ

[كلام لا يحتمل الجواب]

وكتب محمد بن كثير إلى هارون الرشيد :

يا أمير المؤمنين ؛ لولا حظ كرم القدر في مطالع السؤال ، لألُمى المطل ^{من محمد بن}
كثير إلى الرشيد قلوبَ الشاكرين ، ولصرف عيون الناظرين إلى حسن الحجة ، فأنى الحالين
يُتَعَدُّ قولك عن مجاز فضلك ؟

قال هارون الرشيد : هذا الكلام لا يحتمل الجواب ؛ إذ كان الإقرار
به يمنع من الاحتجاج عليه .

[تمجيل الإحسان]

وقال يحيى بن أكرم للمأمون يذكر حاجة له قد وعده بقضائها ، واغفل ^{بين للمأمون}
ويحيى بن أكرم ذلك :

أنت يا أمير المؤمنين أكرم من أن نرضى لك بالاستنجاز ، ونطالبك
بالإدكار ، وأنت شاهد على وعدك ، وأن تأمر بشيء لم تتقدم أيامه ، ولا يقدر
زمانه ، ونحن أضعف من أن يستولى علينا صبرُ انتظارِ نعمتك ، وأنت الذي
لا يؤوده ^(١) إحسان ، ولا يُعْجزُهُ كرم ؛ فاجعل لنا يا أمير المؤمنين ما يزيدك كرماً ،
وتزداد به نعمة ، وتلقاه بالشكر الدائم .

فاستحسن للمأمون هذا الكلام ، وأمر بقضاء حاجته .

قدم على المأمون رجل من أبناء الدهاقين وعظماهم ، من أهل الشام ، على
عِدَّة سَلَفَتْ له من المأمون ^(٢) ، من تَوَلَّيْتَهُ بَلَدَهُ ، وأن يضم إليه مملكته ، فقال على

(١) لا يؤوده : لا يجزه ولا يضعفه (م) (٢) عدة : وعد ، وسلفت : مضت (م)

الرجل انتظارُ خروجِ أمير المؤمنين بذلك ، فقصدهم عمرو بن مسعدة وسأله
إيصالَ رقعة إلى المأمون من ناحيته ، فقال : اكتب بما شئت فإني موصِّله ، قال :
فقول ذلك عني ، حتى تكون لك نعمتان . فكتب عمرو :

إن رأى أمير المؤمنين أن يَفكَّ أَمْرَ عِدَّتِهِ من رِبْقَةِ اللُّطْلِ ، بقضاء حاجة
عَبْدِهِ ، والإذن له بالانصراف إلى بلده ، فلي مَوْفَقًا .

فلما قرأ المأمون الرقعة دعا عمرًا ، وجعل يعجب من حُسن لفظها ، وإيجازِ
المراد فيها ، فقال له عمرو : فأتيجِّهها يا أمير المؤمنين ؟ قال : الكتابة له في هذا
الوقت بما سأل . لئلا يتأخَّرَ فَضْلُ استحساننا كلامه ، وبجائزة تنفي داءة اللطل .
ومن كلام عمرو بن مسعدة : أعظمُّ الناس أجراً ، وأنجَبَهُمْ ذِكْراً ، من
لم يرضَ بِحِمَاةِ العَدْلِ^(١) في دولته ، وظهورِ الحجَّةِ في سلطانه ، وإيصالِ للنافع إلى
رُحْمَتِهِ في حياته ، حتى احتالَ في تخليدِ ذلك في النابرين بعده ، عنايةً بالدين ،
ورحمةً بالرعية ، وكفايةً لهم من ذلك ما لو عنوا باستنباطه لكان يمرض أحد
الأميرين ، إما الإلكداء^(٢) عن إصابة الحق فيه لكثرة ما يمرض من الاتباس ،
وإما إصابة الرأي بعد طول الفكر ، ومقاساة التجارب ، واستفلاق كثير
من الطرق إلى دَرْكِهِ ؛ وأسعد الرُّعَاةِ من دامت سعادة الحق في إمامه ، وبمدَّة
وفاته وانقراضه .

[فضل الإيجاز]

وقال رجل لسويد بن منجُوف ، وقد أطال الخطبة بكلام انتحه للملح بين
قومٍ من العرب :

« يا هذا ؛ أتيت مرعى غير مرعاك ، أفلا أدلك عليه ؟ قال : نعم . قال :

(١) في نسخة « بموت العدل » (م)

(٢) في نسخة « أما الكداء » (م)

قل : « أما بعد ، فإنّ في الصلح بقاء الآجال ، وحفظ الأموال ، والسلام » .
فلاسمع القوم هذا الكلام تماقنوا وتواهبوا الترات^(١)

[أبو مسلم]

قال عبدالله بن مسعود^(٢) : لما أمر أبو مسلم بمحاربة عبد الله بن علي^(٣) دخلت عليه فقلت : « أيها الأمير ، تريد عظيماً من الأمر » ؟ قال : وما هو ؟ قلت : عم أمير المؤمنين وهو شيخ قومه ، مع نجدة ، وبأس ، وحزم ، وحسن سياسة . فقال لي : يا بن شبرمة ، أنت بحديث تعلم معانيه ، وشعر توضح قوافيه ، أعلم منك بالحرب ؛ إن هذه دولة قد اطردت أعلامها ، وامتدت أيامها ، فليس لناؤها والطامع فيها يدّ تنيله شيئاً من الثوب عليها ، فإذا ولت أيامها فدع الوزغ بدّته فيها .

قال بعض حكماء خراسان : لما بلغني خروج أبي مسلم أتيت عسكره لأنظر إلى تدبيره وهيبته ، فأقت فيه أياماً ، فبلغني عنه شدة عجب ، وكبر ظاهر ، فظننت أنه تحلى بذلك لئى فيه أراد أن يستكره بالعصمت ، فتوصلت إليه بحيث أسمع كلامه ، وأغيب عن بصره ، فسلمت فردّ رداً جميلاً ، وأمر بإدخال قوم يريد تنفيذهم في وجه من الوجوه ، وقد عقدوا الرجل منهم لواء ، فنظر إليهم ساعة متأملاً لهم ، وقال : افهموا عني وصيقي إياكم ؛ فإنها أجدى عليكم من أكثر تدبيركم ، والله توفيقكم . قالوا : نعم أيها السالار ، ومعناه السيد بالفارسية ، فسمعتهم يقول ، ومتعرج يحكى كلامه بالفارسية لمن عبّر له منهم بالمرية : « أشعروا قلوبكم الجراة فإنها سبب الظفر ، وأكثروا ذكر الضغائن فإنها تبعث على الإقدام ، والزمو الطاعة فإنها حصن الحارب ، وعليكم بعصبة الأشراف ، ودعوا عصية الدناءة ؛ فإن الأشراف تظهر بأفعالها ، والدناءة بأقوالها » .

(١) الترات : جمع ترة ، وهى - بوزن عدة - الثار (م)

(٢) فى نسخة «عبدالله بن شبرمة» (م) (٣) خرج عبد الله بن علي حين مات

الفتح وولى الخلافة أبو جعفر المنصور فى سنة ١٣٧ .

من أوصاف
أبي مسلم
وذكر إدريس بن مغل أبا مسلم فقال : يمثل أبي مسلم يذكرك ثار ، وينقى
عار ، ويؤكد عهد ، ويبرم عقد ، ويسهل وعر ، ويخاض غمر ، ويقطع ناب ،
ويفتح باب .

[حساب]

وقال رجل لأبي جعفر للنصور : أين ما تحدث به في أيام بني أمية ؟ إن
الخلافة إذا لم تقابل بإنصاف للظالمين ، ولم تعامل بالعدل في الرعية ، وقسمت
بالسوية ، صار عقبة أمرها بواراً ، وحق يؤلأها سوء المذاب .
قال : فتتفس ثم قال : قد كان ما تقول ، ولكننا يا أخى استعجبنا الفانية
على الباقية ، وكأن قد انقضت هذه الدار . فقال له الرجل : فانظر على أى
حالة تنقضى .

وقال أبو السوايق وكان نصيحاً بليغاً : « مجباً لمن أصر عليه غرضاً ليس
الخطايا ، وهو عارف بسرعة النايا ، اللهم إن تقض للسئين^(١) صفحاً فاجعلني
منهم ، وإن تهب للظالمين فسحاً فلا تخرمني ما يتطول به المولى على أخس عبيده » .

[من كلام الأحنف بن قيس]

الأحنف ابن
قيس يصف
القل
سئل الأحنف بن قيس عن القل ؟ فقال : رأس الأشياء ؛ فيه قوامها ، وبه
تمامها ؛ لأنه سراج ما يطن ، وملاك ما علن ، وسائس الجسد^(٢) ، وزينة كل
أحد ، لا تستقيم الحياة إلا به ، ولا تدور الأمور إلا عليه .

ولما خطب زياد خطبته المشهورة قام الأحنف بن قيس ، فقال : القرس
بشده ، والسيف بمجده ، والمرء بمجده ، وقد بلغ بك جدك ما أرى ، وإنما التناه
بعد البلاء ، فإننا لا ننفى حتى تنبؤ^(٣)

(١) في نسخة « إن تقض للسئين » (م) (٢) في نسخة « وسائس الجسد »
طبع (م) (٣) البلاء : الاختبار ، بلاء يلو : اجتبره (م)

[عما كتبه ابن الزيات]

وكتب ابن الزيات عهدَ الوثاق على مكة بحضرة الحميم : أما بعد ، فإن
أمر المؤمنين قد قللك مكة وزمزم ، تراثَ أيبك الأقدم ، وجدك الأكرم ،
وركنة جبريل^(١) ، وسقياً إسماعيل ، وحفرَ عبد المطلب ، وسقاية الماء ؛ فليكن
بِقْوى الله تعالى ، والتوسعة على أهل بيته .

وكتب : لو لم يكن من فضل الشكر إلا أنك لا تراه إلا بين نعمة مقصورة
عليه ، وزيادة منتظرة له ، ثم قال لحمد بن زباج : كيف ترى ؟ قال : كأنهما
قرطان بينهما وجه حسن ، ومع ذلك ذكر ابن الزيات أمرَ الحرم بتعطيمه
ألفاظ لأهل المصر في التهنئة بالحج ، وتعظيم [أمر] الحرم

و [تعظيم] أمر للناسك والمشار ، وما يتص بها من الأدعية
قصَدَ البيتَ العتيق ، وللطاف الكريم ، والملتزم النبىء ، والمسلم الزبىء .
[وقف بالمعرف العظيم ، ووردَ زمزم والحطيم] . حَرَّمَ الله الذى أَوْسعه للناس
كرامة ، وجعله لم مثابة^(٢) ، وللخليل خطة ، وللذبيح خلة ، ولحمد حلى الله عليه وسلم
قبلة ، ولأتمته كعبة ، ودعا إليه حتى إني من كل مكان سحيق ، وأسرع
نحوه من كل فج عقيق ، يعودُ عنه مَنْ وَفَّقَ وقد قُبِلت توبته ، وغُفِرَت
حَوْبَتُهُ^(٣) ، وسَدَّتْ سفرته ، وأجْمَحَتْ أَوْبَتُهُ ، وُجِدَ سَقِيَّة ، وزَكَ حَجُّهُ ، وتَقَبَّلَ
عَجَّتْ وَنَجَّتْ^(٤) . انصرف مولاى عن الحج الذى انتضى له عزائمه ، وأنضى فيه
زَوَالَهُ ، وأتعب نفسه بطلب راحتها ، وأغنى ذخائره بشراء سَمَةِ الجنة وساحتها ؛
قد زَكَّتْ إِنْ شَاءَ الله تعالى أَسْأَلُهُ وَتَقَبَّلَتْ أَعْمَالُهُ ، وشكر سعيه ، وبلغ هديه .

(١) يروى أن جبريل - عليه السلام - ضرب بقدمه موضع بئر زمزم فأنبط
الماء (م) (٢) مثابة : أى مكاناً يعود إليه من خراج منه (م)
(٣) الحوية - بالفتح - الذنب (م) (٤) الحج : رفع الصوت بالتلبية ، والحج :
إراقة دم الحدى (م)

قد أسقطت عن ظفرك الثقل العظيم، وشهدت الموقف الكريم، وعصمت عن
 فضك بالشئ من التبع السيئ، إلى البيت السقي. جداً لمن سهل عليك قضاء
 فريضة الحج، ورؤية الشتر والقام، وبركة الأدعية واللوسم، وسعادة أفنية
 الحطيم وزعم فصد أكرم المقاصد، وشهد أشرف للشاهد؛ فورد مشارع
 الجنة، وخيم بمنازل الرحمة. وقد جُمعت مواهب الله لديك؛ فالجح أديت فرضه،
 وحرّم الله وطئت أرضه، والقام الكريم قمته، والحجر الأسود استلمته،
 ورزئت قبر النبي صلى الله عليه وسلم مشافهاً لمشهده، ومشاهداً لمسجده. ومباشراً
 بإديه ومخضره، وماشياً بين قبره ومنبره، ومصلياً عليه حيث صلى، ومتقرباً إليه
 بالقرابة العظمى، وعدت وسعيتك مشكور، وذنبك مغفور، وتجارتك راحة،
 والبركات عليك غادية وراحة. تلقى الله دعائك بالإجابة، واستغفارك بالرضا،
 وأملك بالتبجح، وجعل سعيك مشكوراً، وحجك مبروراً. عرفك الله تعالى
 مولاي مناهج ما نواه، وقصده وتوخاه، ما يسعده في دنياه، ويمجد عُنْباة.

[من شعر قفري بن الفجاءة]

قال أبو حاتم: أتيت أبا عبيدة ومعي شعر عروة بن الورد، فقال لي: ما مملك؟
 قلت: شعر عروة، قال: شعر فقير، يحمله فقير، ليقراه على فقير! قلت: ما معي
 [شعر] غيره؛ فأنشدني أنت ما شئت، فأنشدني:

يأرب ظلّ عُنْباة قد وقّيتُ به مبرى من الشمس والأبطال تجتد^(١)
 وربّ يوم حمى أرغيتُ عَنَوته خلت أفساراً وأطراف القنا قصد^(٢)
 ويوم لهو لأهل الخفض ظلّ به نهوى اصطلا الغوى وتأرّه تقد

(١) العُنْباة، هنا: الراية، وتجتد: يجالده بعضها بعضاً (م)

(٢) القوة - بالفتح - الساحة والحنّة، وقصد: جمع قصدة - بالكسر - وهي
 القطعة مما يكسر (م)

مُتَقَرِّمًا مَوْفِقِي وَالْحَرْبُ كَالشَّيْءِ
وَرَبُّهَا جِرَّةٌ تَنْفِلِي مَرَايِلَهَا
تَجْتَابُ أَوْدِيَةَ الْأَفْرَاحِ آمِنَةً
فَإِنْ أُمْتُ خُفَّتْ أَنْفِي لَا أُمْتُ كُذِّمْتُ
وَلَمْ أَقُلْ لَمْ أَسَاقِ الْمَوْتَ شَارِبُهُ
نَمَّ قَالَ : هَذَا وَاقِعٌ هُوَ الشَّرُّ ، لَأَمَّا يَتَلَوْنَ بِهِ مِنْ أَشْعَارِ الْحَنَاتِ .

وَالشَّعْرُ لِقَطْرِي بِنِ الْفَجَاءَةِ الْمَازِي ، وَكَانَ يُكْنَى فِي السَّلَامِ أبا عَمَدٍ ، وَفِي
الْحَرْبِ أبا نَعَامَةٍ ، وَكَانَ أَطْوَلَ الْخَوَارِجِ أَيَّامًا ، وَأَحْدَثُهُمْ شَوْكَةً ، وَكَانَ شَاعِرًا
جَوَادًا ، وَهُوَ الْقَاتِلُ أَيْضًا :

لَا يَرُكْنَ أَحَدٌ إِلَى الْإِحْجَامِ يَوْمَ الْوَعْدِ مَتَبِّيًا لِلْحَمَامِ
فَلَقَدْ أَرَانِي لِرَمَاحٍ دَرِيَّةً مِنْ عَنِ يَمِينِي تَارَةً وَأَمَامِي
" حَتَّى خَصَّبْتُ بِمَا عَمَدَرْنِ مِنْ دَمِي أَكْثَافَ سَرَجِي أَوْ عَيْنَ يَلَامِي
نَمَّ انْصَرَفْتُ وَقَدْ أَصَبْتُ وَلَمْ أَصَبْ جَذَعَ الْبَصِيرَةِ قَارِحَ الْإِفْهَامِ
[مِنْ جَيْدٍ لِلدَّمَخِ]

السَّيِّبُ
ابْنُ عَلِيٍّ

وَقَالَ السَّيِّبُ بْنُ عَلِيٍّ :
تَبَيَّنَ لِلْمَلُوكِ عَلَى عَتَبِهَا وَشِيَّانِ إِنْ غَضِبْتَ مَتَبَّ
وَكَالشَّهْدِ بِالرَّاحِ أَلْفَاظُهُمْ وَأَغْلَافُهُمْ مِنْهَا أَعْنَبُ
وَكَالنَّيْلِ تَرْبُ مَقَامَتِهِمْ وَتَرْبُ أَصُولُهُمْ أَطِيبُ
وَقَالَ آخَرُ :

أَذْكَرُ مَجَالِسٍ مِنْ بَنِي أَسَدٍ يَبْدُو الْغَنَى إِلَيْهِمْ الْقَلْبُ
الْشَّرْقُ مَنْزِلُهُمْ ، وَمَنْزِلُنَا غَرْبٌ ، وَأَيْنَ الشَّرْقُ وَالْغَرْبُ ؟

(١) الْمَاجِرَةُ : الْوَقْتُ نَصَفُ النَّهَارِ ، وَغَزَتْهَا : قَطَعَتْهَا ، وَتَخَذَ : مَضَارِعَ وَخَدَ
فِي سِيرِهِ ، إِذَا أَسْرَعَ (م) (٢) قَصْرَهُ كَذَا وَقَصَارَاهُ : أَيَّ غَايَةِ مَا يُجْلَبُ (م)

من كل أبيض جُل زينه منك أمه وصارم عَضْب^(١)
ومدبج يَسْتَى لِنَارِهِ وعقيرة جنائِه . نَحْبُو^(٢)
آخِر :

رَأَيْتُكُمْ بَقِيَّةَ آلِ حَرْبٍ وَهَضَبَتِهَا فِي فَوْقِ الْمِصَابِ
تُبَادِرُونَ الرِّيَاحَ نَدَى وَجُوداً وَتَمْتَلِئُونَ أَصْوَالَ السَّحَابِ
مَذَكَّرَنِي مَقَالِي الْيَوْمَ فِيكُمْ مَقَالِي أَمْسِي فِي غُلِّ الشَّبَابِ
[بين سعيد بن عبد الملك وسعيد بن حميد]

كتب سعيد بن عبد الملك إلى سعيد بن حميد :

أكره — أطال الله بقاءك — أن أضحك ونفسى موضع العذر والقبول ،
فيكون أحداً مستذيراً مقصراً ، والآخر قابلاً متفجعاً ، ولكن أذكر
ما في التلاقي من تجديد البر ، وفي التخلف من قلة الصبر ، وأسأل الله تعالى أن
يوثقك وإيانا لما يكون منه قبيح الشكر

فأجابه : وحل كتابك — أكرمك الله تعالى — الحاضر سروره ،
لطيف موقعه ، الجليل صدوره ومؤرده ، الشاهد ظاهره على صديق باطنه ،
ونعم — أعزك الله — بجمل جزائك حسن الاعتراف بفضلك ، وبجاراتك التقصير
دونك ؛ ونرى أن لا عذر في التخلف عنك ، وإن حالت الأشفا ، بيننا وبينك .
وإن كنت ساحت في المذر قبل الاعتذار ، وسقطت إلى فضيلة الاعتذار ، فلا
زلت على كل خير دليلاً ، وإليه داعياً ، وبه آمراً ؛ ولقد التقينا قبل وصول كتابك
ههنا أحدث وطراً ، وهاج شوقاً ، وأرجو أن تنسم لنا الجملة بما ضاقت به الأيام ؛
فنال حفاً من محادثتك والأنس بك

(١) الصارم : السيف والعصب : التناطح ، وفي نسخة « وغازض عَضْب » (م)

(٢) في نسخة « وعقيرة تنجبه عيبه » (م)

[منزله سعيد بن حديد]

ولسعيد بن حديد حلاوة في منظومه ومثوره ، لكنه قليل الاختراع ، كثير الإغارة على من سبقه ؛ وكان يقال : لو رجع كلام كل أحد إلى صاحبه لبقى سعيد ابن حديد ساكتا .

وفيه يقول أبو علي البصير :

رأس من يدعي البلاغة مني ومن الناس ، كلهم في حيرامة
وأخونا ولست أكني سعيد بن حديد تؤرخ الكتب باسمه
هذا المعنى ينظر إلى قول منصور الفقيه وإن لم يكن منه :

تضييق به الدنيا فينهض هاربا إذا نحن قلنا : خيرنا بالازل السمح
فإن قيل : من هذا الشق ؟ أقل لهم على شرط كتمان الحديث : هو الفتحة
وكان سعيد يهوى فضل الشاعرة ؛ فزم مرة على سفر ، فقالت له :
كذبني الود أن صاغت مرتحلا كفت القراقي بكف الصبر والجلد
لا تذكرن الهوى والشوق لو فُجعت بالشوق ففك لم تصبر على البمد
وكان سعيد عند بعض إخوانه ، فنهض منصرفا وأخذ بضادتي الباب ،
وأنشأ يقول :

سلام عليكم ، حات الكأس بيننا وولت بنا عن كل رأى ومنع
فلم يبق إلا أن يصافعني الكرى فيجمع سكرأ بين جسي ومضج
وقال [سعيد] :

أرى السن الشكوى إليك كليلة وفيهم عن غير التناء فتور
تقيم على القتب الذي ليس نافعا وليس لها إلا إليك مصير
وما أنت إلا كالزمان تلوت نوايب من أحداثه وأمرور
فإن قل : إنصاف الزمان وجوده فمن ذا على جوار الزمان يُجهر

(١) كيلة : ضئيلة متعبة ، وقوله « غير التناء » وقع في مكانه « عين التناء » (م)

[من السراقات الشعرية]

أما قوله :

• تقيمُ على التَّعْبِيرِ الذي ليس نافعاً •

فمن قول المؤمل :

لا تَقْضِينَ على قوم تحبهمُ فليس منك عليهم ينفعُ القَصَبُ
يا جائرَيْنِ علينا في حُكُومَتِهِنَّ والجَوْرُ أَقْبَحُ ما يُولَى ويرُتَكَبُ
لسنا إلى غيركم منكم فَرًّا إذا جُرِّمَ، ولكن إليكم منكم المَرْبُ
وأول من تبه على هذا المعنى النابذة الديباجة في قوله للنعمان بن النذر .

فإنك كالليل الذي هو مُدْرِكِي وإن خِلْتُ أنَّ المُنْتَأَى عنك واسع
تَطْلُفُ حُبْنُ في جبال متينة تمدُّ بها أيدٍ إليك تَوَازِع
سرقه أشجع الثلي فقال لإدريس بن عبد الله بن الحسين بن علي ، وقد
بعث إليه الرشيد من اغتاله في المغرب :

أَنْظُرْ يا إدريس أنك مُفِلْتُ كَيْدَ الخِلافةِ أو يقيك حِذَارُ
إنَّ السِوْفَ إذا انتضاها عَزُمُهُ طالتْ ، وتقصُر دونها الأعمارُ
هيهات إلَّا أن تَحُلَّ ببلدةٍ لا يهتدى فيها إليك نَهَارُ
وقال سلم الخاسر يستنذر إلى المهدي :

إني أعرُ بخبر الناس كلهمُ وأنت ذاك لما يأتي ويحْتَبُ
وأنت كاللهرِ مبثوثا جائلُهُ والهرُّ لا ملجأ منه ولا هَرْبُ
ولو ملكْتُ عِثَانَ الرِّيحِ أَصْرُهُ في كل ناحية ما فاتك التَّلَبُّ
فليس إلَّا انتظارى منك عارِفَةٌ فيها من الخوفِ مَنجاةٌ وتُغْلَبُ
وقول سلم :

• ولو ملكت عِثَانَ الرِّيحِ أَصْرُهُ •

كأنه من قول الفرزدق للحجاج :

ولو حملتني الريح ثم طلبتني لكنت كمود أدركته مقاديرة^(١)

وقول علي بن جبلة لحميد الطوسي :

وما لارمى حاولته منك مهرب ولورفته في الماء الكالع

أخذه البحري فقال :

سلبوا وأشرقت السماء عليهم عمرة فكانهم لم ينسلبوا

فلو أنهم ركبوا الكواكب لم يكن ليحيرهم من حد بأسيك مهرب

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر في نحو قول النابغة :

وإني وإن حدثت نفسي بأني أفوتك إن الرأي مني لغازب

لأنك لي مثل المكان المحيط بي من الأرض لولا استهصفتي للذاهب

وأما قول سميد : * وما أنت إلا كالزمان * والبيت الذي يليه ، فكانه

الم في بقول شمل الثعلبي وإن لم يكن المعنى بنفسه :

أمن جذبة بالرجل مني تباشرت عدائي ، ولا عتب علي ولا هجر

فإن أمير المؤمنين وقيله لكالهر ، لا عار بما صنع الدهر

وقال رجل من طي : وكان رجل منهم يقال له زيد من ولد عروة بن زيد الخيل

قتل رجلا اسمه زيد فأقاد منه السلطان ، فقال الطائي يفتخر على الأسديين :

علا زيدنا يوم الحى رأس زيدكم بأبيض مشحوذ النزار يماي^(٢)

فإن تقتلوا زيدا بزبد فإنا أقادكم السلطان ببد زمان

وقول الثعلبي مأخوذ من قول النابغة ، وهو أول من ابتكره :

وعبرتني بنو ذبيان خشيتهم وما علي بأن أخشاك من عار

(١) في نسخة «وأن لوركبت الريح» وفي نسخة أخرى «لكنت كشيء أدركته

مقادير» (٢) (٣) (٤) حفظي «بأسى ماضى الشفرتين يمان» (٥)

ومن جيد شعر سعيد بن حميد :

أعابُ وأستحي وأرقب وعدهُ فلا هو يبذاني ولا أنا أسألُ
هو الشمسُ مجرّاهُ بعيدٌ وضوهُما قريبٌ ، وقلبي بالبيسِدِ موكلُ
وهذا المعنى وإن كان كثيراً مشهوراً فما يكادُ يداني في الإحسانِ فيه .

وقد قال أبو عيينة :

غَزَتِ جِيوشُ الحبِّ من كلِّ جانب إذا حان من جُنْدٍ قُصُولُ غَزَا جُنْدُ
أقول لأصحابي : هي الشمسُ ، وضوهُما قريبٌ ، ولكن في تناوُلِها بُعدُ
وقال العباس بن الأحنف :

هي الشمسُ سَكَنَتْها في السماء فَمَزَّ القَوادِ عَزَاءَ جَعِيلَا
فلنْ تستطيعَ إليها الصُّمُودَ ولنْ تستطيعَ إِلَيْكَ التَّزُولَا
وقال البحتري :

دنوتَ تواضاً وعلوتَ قَدْرًا فشأنك انحدارٌ وارتفاعُ
كذلك الشمسُ تبعدُ أن تداني ويدنو الضوءُ منها والشعاعُ
وقال ابن الرومي :

وَذَخَرْتُهُ لَدَعْرِ أَغْلَمُ أَنَّهُ كاللعر فيه لمن يؤولُ مَالُ
ورأيتُهُ كالشمسِ إن هي لم تَنَلْ فالنورُ منها والضياءُ يُنالُ
وقال المتنبي :

بيضاءُ تُطْمَعُ فيها نحتُ حَلَّتِها وعزَّ ذلك مطاوباً لمن طلبا
كانها الشمسُ يُعْني كَفَّابِضِها شعاعها وتزاه العَيْنُ مقربا
وقال سعيد بن حميد ، ويروى لفضل الشاعرة :

ما كنتُ ألام كنتِ راضيةً عني بذلك الرضا بمنعيطٍ
علماً بأن الرضا سيبتمه منك التجنى وكثرة السخطِ
فكلُّ ما ساءني فمن خلقي منك وما سرني فمن غلطي

وفي هذا المعنى يقول أبو العباس الهاشمي من ولد عبد الصمد بن علي، ويعرف بأبي المير .

أبكي إذا غضبت، حتى إذا رضيت بكيت عند الرضا خوفاً من النضبِ
فللوت إن غضبت، وللوت إن رضيت إن لم يرخني سلوة عنت في تعبِ
وقال العباس بن الأحنف :

إذا رضيت لم يهينني ذلك الرضا لصحة على أن سيبتمه عتبُ
وأبكي إذا ما أذنبت خوف عتبيها فأسأله مرضاتها ولها الذنبُ
وصالكم هجر، وقرنكم قل وعطفكم صد وسلككم حربُ
وأتم بحمد الله فيكم فظاظة وكل ذلول من أموركم صعب^(١)
وقال :

قد كنتُ أبكي وأنتِ راضية حذارَ هذا الصدود والنضبِ
إن تم ذا المعجر يا غلوم ولا تم فالى في العيش من أرتب^(٢)
وما أحسن قول القائل :

وما في الأرض أشقى من محبة وإن وجد الهوى حلو للذائقِ
تراه بأكياء كل حين مخافة فرقة أو لاشتياق^(٣)
فيبكي إن تأوا حذراً عليهم ويبكي إن دتوا خوف الفراقِ

(١) ذلول : سهل للقادة ، وصعب : أي يصير قياده ، وأصله في الخيل والإبل (م)

(٢) الأرب - التحريك - للقص (م) (٣) يروي « في كل حال » (م)

وَتَسَخَّنُ عَيْنُهُ عِنْدَ التَّنَائِي وَتَسَخَّنُ عَيْنُهُ عِنْدَ التَّلَاقِ

[الاقْتِباسُ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ]

وَقَالَ سَمِيدُ بْنُ حَمِيدٍ: إِذَا تَزَعْتُ فِي كِتَابِي ^(١) بَابَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى أَرْتِ إِظْلَامَهُ ، وَزَيْدَتْ أَحْكَامَهُ ، وَأَعْذِبْتُ كَلَامَهُ .

أمثال للعرب والمعجم والعامة وما يماثلها من كتاب الله تعالى
 | بما هو أجل منها وأعلى | أخرجها أبو منصور عبد الملك النعماني
 قال عليّ رضي الله تعالى عنه : « الْقَتْلُ أَهْنُ الْقَتْلِ » ، وفي القرآن :
 « وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ » .
 والعربُ تقول لمن يعير غيره بما هو فيه : « عَيَّرَ يُعَيِّرُ يُعَيَّرُهُ وَنَسِيَ يُنْسِي »
 خَبِيرُهُ ^(٢) ، وفي القرآن : « وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ » .
 وفي مساودة العقوبة عند معاودة الذنب : « إِنْ عَادَ الْمُقْرَبُ عُدْنَا لَهُ »
 وفي القرآن : « وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا » . « وَإِنْ تَوَدَّوْا نَعُدَّ » .
 وفي ذَوِّقِ الْجَانِي وَبَالَ أَمْرِهِ : « يَذَّكُّكَ أَوْ كُنَّا ، وَفُوكَ نَفْعٌ » . وفي القرآن :
 « ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَكَ » .

وفي قُرْبِ الْفَدَى مِنَ الْيَوْمِ قول الشاعر * وَإِنْ غَدَا لِنَاظِرِهِ قَرِيبٌ * وفي
 القرآن : « أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ » .
 وفي ظهور الأمر : « قَدْ وَضَحَ الْأَمْرَ لِنِي عَيْنَيْنِ » ، وفي القرآن : « الْآنَ
 حَصْحَصَ الْحَقُّ » .

وفي الإِسَاءَةِ إِلَى مَنْ لَا يَقْبَلُ الْإِحْسَانَ : « أَعْطِ أَخَاكَ ثَمَرَةً ، فَإِنْ أَبَى فَجَبْرَةً » .

(١) في نسخة « إِذَا بَرَعْتَ فِي كِتَابِكَ » (م)

(٢) هذا مثل ، يضرب لمن يعير غيره بالقي هو فيه (م)

وفي القرآن : « ومن يَشْرُ من ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ » .
وفي قِوْت الأمر : « سَبَقَ السَّيْفُ التَّذَلُّ » ، وفي القرآن العظيم : « قُضِيَ
الأمرُ الذي فيه تَشَفَّيَانِ » .

وفي الوصول إلى المراد ببَذَلِ الرغائب : « من ينكح الحسناء يُعطِ نَهْرَهَا »
وفي القرآن : « لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ » .
وفي منع الرجل مُرَّاده :

• وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ التَّيْرِ وَالتَّزْوَانِ ^(١) •

وفي القرآن : « وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ » .

وفي تَلَايِ الإساءة : « عاد غيث على مأفد » ، وفي القرآن : « ثُمَّ بَدَّلْنَا
مَكَانَ السَّبَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا » .

وفي الاختصاص : « كل مقام بمقال ^(٢) » . وفي القرآن « لِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ » .

العجم : « من أحترق كُدَّسه نعى إحقاق أ كداس الناس ^(٣) » ، وفي القرآن :
« وَذُوَا لَوْ تَكْفُرُونَ كَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً » .

العامة : « مَنْ حَفَرَ لِأَخِيهِ بَرًّا وَقَعَ فِيهَا » ، وفي القرآن : [ولا يَحْيِى الْمَكْر
السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ] .

ومن الشر :

يَكُلْ اِمْرِي ، يَشْبِهْ فَسَلْهُ مَا يَفْعَلُ الْمَرْءُ فِيهِ اَهْلُهُ

وفي القرآن : « قُلْ كُلٌّ يَرْجِعُ إِلَى شَاكِتِهِ » .

العامة : « كل البقل ولا تسأل عن اللَّبَقَلَةِ » .

وفي القرآن : « لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَلْكُمْ تَزُكُّمَ » .

(١) هذا عجز بيت من كلام صخر بن عمرو أخى الحنساء ، من أبيات يقولها في
امرأته ، وصدره قوله : * أُمُّ بامر الحزم لو أستطيعه * (م)

(٢) في نسخة « وفي اختصاص كل مقام بمقال : لكل مقام مقال » (م)

(٣) الكدس - بوزن رطب أو بوزن حمل - الكومة من الطعام أو الثراو
الدراهم (م)

شعر:

كم مرة حَفَّتْ بك الكَارِيَّةُ خَارَكَ اللهِ وَأَنْتَ كَارِيَّةُ
 وفي القرآن: «وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَحْمِلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا» .
 العامة: «للمأْمُولِ خَيْرٌ مِنَ الْمَأْكُولِ» ، وفي القرآن: «وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَكَ مِنَ
 الْأُولَى» . العامة: «لو كان في اليوم خيرٌ ما سلم على الصياد» ، وفي القرآن:
 «وَلَوْ عَلَّمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ» . المتنبي: «مَصَائِبُ قَوْمٍ عِنْدَ قَوْمٍ قَوَائِدُ»
 وفي القرآن: «وَأِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا» . «عند الخنازير تنفق المذرة»
 وفي القرآن: «الْخَيْبَاتُ لِلْخَيْبِينَ وَالْخَيْبَتُونَ لِلْخَيْبَاتِ» . المعجم: «لم يرد الله
 بالخلَّةِ صلاحاً إذ أنبت لها جناحاً» ، وفي القرآن: «حتى إذا فرحوا بما أوتوا
 أخذناهم بنطة» . العامة: «الكلب لا يصيد كارها» ، وفي القرآن: «لا إِكْرَاهَ
 فِي الدِّينِ» . المعجم: «كل شاة تناط برجلها» ، وفي القرآن: «كل نفس
 بما كسبت رهينة» .

جملة من مكاتبات [بعض] أهل العصر

أبو القاسم محمد بن علي الإسكافي عن الأمير نوح بن نصر وعن ابنه
 عبد الملك لأبي طاهر وشمكير بن زياد يشكره على تحييد سيرته:
 مَنْ حَدَّثَنَا - أَعَزَّكَ اللَّهُ تَعَالَى - مِنْ أَعْيَانِ الْمَلَّةِ الَّذِينَ بِهِمْ افْتِخَارُهَا، وَأَعْوَانِ
 الدَّوْلَةِ الَّذِينَ بِهِمْ اسْتَظْهَارُهَا، بِخَلَّةٍ نَزَعَ فِيهَا مِنْ خِلَالِ^(١) الْفَضْلِ، وَخَصْلَةٍ يَكُلُّ بِهَا مِنْ
 خِصَالِ الْقَذْلِ. وَإِنَّكَ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - مِنْ مَحْمُودٍ بِالْإِرْتِقَاءِ فِي دَرَجِ الْقَضَائِلِ، وَالْإِسْتَوَاءِ
 فِي كُلِّ الشَّوَاكِلِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ مَحْمُودَةٍ إِلَّا وَسْطُكَ فِيهَا قَاتِرٌ، [وَلَا مِنْ شِدَّةٍ
 إِلَّا وَمِنْهَا لَكُ^(٢) فِيهَا بَارِزٌ]، وَذَلِكَ - أَعَزَّكَ اللَّهُ تَعَالَى! - أَمْرٌ قَدْ أَغْنَى صِدْقُ خَبَرِهِ
 عَنِ الْعِيَانِ، وَكُنِيَ بَيَانُ أَمْرِهِ تَكْلُفَ الْإِمْتِحَانِ، وَلَوْ أَعْطَيْنَا الْفُرْسَ مَنَاهَا،

(١) الخلة - ضم الحاء - الحصة، وجمعها خلال (م)

(٢) اللهل - بالفتح وبكسر - العمل بكيفية ورفق وغير عجلة، وهو أيضا التزودة والرفق (م)

وسوء غناها هوانها ، لأوردنا عليك في ذرور^(١) كل شارق جديد شكر ، وجددنا لك مع اعتراض كل خاطر جميل ذكر ، لكننا للعادة في ترك المسوى ، والثقة بأنك مع صالح آدابك تحمل الأدنى من الإحاد حمل الأوفى ، فيقضى لك بأنه - وإن عظم قدره - يسير المدد ، وعلى ما هو - وإن تنهى لقطه - باقى الفخر مدى الأبد ، وكان مما اقتضانا الآن تناولك به أخبار تواترت ، وأقوال تظاهرت ، بإطباق سكان الحاضرة ونيسابور من أهل عملك على شكر ما يزيد لهم وفيهم من مواد عملك ، وحسن فضلك ، حتى لقد غلوا ولهم في شكر ذلك محافل تُشَقَّد ، ومشاهد تُشْهَد ، يعجب بها السامعُ والرأي ، ويقرنُ بها المؤمنُ والداعي ؛ فإن هذا - أعزك الله - حال يطيب سمعه ، ويلد موقهه ، حتى لقد ملأ القلوب بهجبا ، والصدور ثلجا ، حتى استفزها فرطُ الارتفاع ، وحيدقُ الانشراح ، إلى هذا الكتاب أن أعجلناه ، وهذا الشكر أن أجزلناه . بعد ذكر لك اتصال كل الاتصال ، وأجل كل الإجمال ، وتضاعف به حفظك من الرأى أضعاقا ، وأشرف محلك على كل الحال إشراقا ، ونحن نهنيك - أعزك الله - على التوفيق الذى قسمه الله لك ، والتيسير الذى وكله بك ، ونبعتك على استدامتها بصالح النية ، وبصادق البنية ، لتدنو من الدل على ما ترى ، وتحسن الهدى فيما تتولى . فرأيت أبقاك الله تعالى فى إحلال ذلك محله من استبشار به تستكله ، واستنار له تسجله [إن شاء الله تعالى] .

وكتب إليه يميزه : « إن أحسن من سلم لأمر الله تعالى ورضى بقدره ، حتى يمتحن مصطنعا^(٢) ، ويخلص مُعْطَلَا ، وحتى يكون بحيث أمر الله من الشكر إذا ذهب ، والرضا إذا سلب ، أنت أعزك الله تعالى ؛ لحظك من الشكر والحجبا ، وحظك من الصبر والتهنى ، ثم لما ترجع إليه من ثبات الجنان^(٣) عند التازلة ،

(١) ذرور : طلوع ، وأراد من كل شارق الشمس ، يعنى فى طلوع كل يوم (م)

(٢) فى نسخة « حتى يمتحن مصطنعا » (م) (٣) الجنان - بوزن السحاب - العقل (م)

وقوة الأركان لمرّ الدولة الفاضلة ، فإنّ لك فيها وفي سبيلك الفوز ، وسهّل لك
البارز ، عوّضا عن كل مرزوء ، ودركا لكل مرّجوء ، ونسأل الله أن يجعلك
من الشاكرين لفضله إذا أبلى ، والصابرين لحسبه إذا أبلى ^(١) ، وأن يجعل لك
لايك التمزية ، ويقيك في نفسك وفي ذؤيك الرزية ، بمنه وقدرته .

وله إليه : تراه إلينا خيّر مُصائبك بفلان ؛ فخلص إلينا من الاغتمام به ما يحصل
في مثله من أطاع ووفى ، وخدم ووالى ، وعلنا أن لفقدك مثله لوعة ، وللصاب
به لذعة ؛ فأثرنا كتابنا هذا إليك في تمزيكك ، على يقيننا بأنّ عقلك يُفنى من
عظمتك ، ويهدى إلى الأوّل بشيئتك ، والأزبد في رثبتك ، فليُخسّن - أعزك
الله - صبرك على ما أخذ منك ، وشكرك على ما أبى لك ، وليتكن في نفسك
ما وفر لك من ثواب الصابرين ، وأجزل من دُخر المحسنين ، وليردّ كتابك بما
أهلك الله تعالى من عزاء ، وأبلاكه ^(٢) من جيل بلاء ، إن شاء الله تعالى .

وله إليه جواب : وصل كتابك - أعزك الله تعالى - مفتحا بالتمزية عن
فلان ، ووصف توجعك للعصاة ، ونحن نحمد الله تعالى الذى يُنعم فضلا ، ويحكم
عدلا ، ويهب إحسانا ، ويسلب امتحانا ، على مجارى قضيته كيف حرّرت أخذه
ومعطية ، ومواقع بشيئه كيف مضت سارة ومسيئة ، تحدّ عالين أن لا حكم
إلا له ، ولا حول إلا به ، ومستسكين بما أمر به عند السادة من الصبر ، والمسرة
من الشكر ، راجين ما أعدّه الله من الثواب للصابرين ، والمزيد للشاكرين .
وما توفيقنا إلا بالله عليه توكل وإليه تنيب ^(٣) ، وأما وحسبك - أعزك الله - للعادث
على الماضي ، عفا الله عنه ، فنتلك من ذوى الصفاء والوفاء اختصّ بذلك واهتمّ له ،
وعرف مثله فاعتمّ به ؛ فإنّ الطاعة نسب بين أولياتها ، والنعمة سبب بين أبنائها ،

(١) أبلى : أعطى ، وأبلى : اختبر وامتنع ، والاسم البلاء (م)

(٢) إليه تنيب : إليه نرجع (م)

فلا حَسَبُ أَنْ يَمْسَكَ فِي هَذَا الْعَارِضِ مَا يَمْسُ أَوَّلَى الْمَاشَرَكَةِ ، وَيَحْصَلَكَ مِنَ الْإِهْتِمَامِ .
مَا خَصَّ ذَوِي الشَّابِكَةِ .

وَلَهُ إِلَيْهِ أَيْضًا فِي أَمْرِ غَزَاةٍ : وَرَدَّ خَيْرُكَ أَكْرَمَكَ اللَّهُ تَعَالَى بِنَفْعِكَ لَوْجَهَكَ
فِيمَنْ جَمَعَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى لِلتَّيِّبِ فِي سَبِيلِهِ إِلَى جَهَنَّمَ ؛ فَأَمَلْنَا أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مُوَصُولًا
بِأَعْظَمِ الْخَيْرِ ، مُؤَدِّيًا إِلَى أَحْسَنِ الْمَنْعَةِ . إِلَّا أَنَّا أَحْسَنَّا مِنَ الْغَزَاةِ الَّذِينَ يَهْمُ تَنْفَعُهُ ،
وَيَأْمُرُ تَسْتَجِدُّ ، فَتَوَرَّيَاتٍ ، وَفَسَادَ طَوَيَّاتٍ ؛ وَهَذَا كَمَا عَلِمْتَ بِأَبِّ عَظِيمٍ يَجِبُ
الْإِطْلَاعُ بِالْفَسْكَرِ وَالرَّأْيِ عَلَيْهِ ، وَالْإِحْتِرَاسُ بِالْجِدِّ وَالْجُهْدِ مِنَ الْخَطَلِ فِيهِ . [فَيَسِيلُكَ
أَنْ تَتَأَمَّلَ أَمْرَكَ بَيْنَ اسْتِقْصَاءِ التَّوَرِّقِ ، وَاسْتِدْرَاكِ الْآخِرَةِ] ، فَإِنْ أَنْتَ وَجَدْتَ
فِي عِدَّتِكَ تَمَامَ الْقُدْرَةِ ، وَفِي عُدَّتِكَ مَقْدَارَ الْكِفَايَةِ ، وَلَمْ تَجِدْ تَيَّاتٍ أَوْلَئِكَ
الْغَزَاةَ مَذْخُولَةً ، وَلَا عَرَامَ مَحْمُولَةً ^(١) ، اسْتَخَرْتَ اللَّهَ تَعَالَى فِي السَّبْرِ بِكُلِّ مَا تَقْدِرُ
عَلَيْهِ مِنَ الْحَزْمِ فِي أَمْرِكَ ، نَمَّ إِنْ تَكُنِ الْآخَرَى ، وَكَانَ الْقَوْمُ عَلَى مَا ذَكَرْتَ
مِنْ كَلَالِ الْبَصَائِرِ ، وَضَعْفِ الرَّاثِ ^(٢) ، عَمِلْتَ عَلَى التَّلَوُّمِ لِحَدِيثٍ يَمْدَنُكَ بِهِ كِتَابُنَا
هَذَا إِنْ اجْتَلَيْتَ مَا ذَكَرْتَهُ ، وَإِنْ لَمْ تَبْلُغْ بِلَاغَةَ مَا اخْتَرْتَهُ ، فَاعْتَلِقْ بِذَيْلِهِ ^(٣) .

[مِنْ مَقَامَاتِ بَدِيعِ الزَّمَانِ]

وَهَذِهِ لِلْقَامَةِ مِنْ إِنْشَاءِ الْبَدِيعِ ، قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ : غَزَوْتُ الثَّغْرَ بَقَرَوَيْنَ
سَفَةَ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ ، فَمَا اجْتَرْنَا حَزَنًا ، إِلَّا هَبَطْنَا بَطْنًا ، حَتَّى وَقَفْنَا بِنَا الْمَسِيرِ عَلَى
بَعْضِ قُرَاهَا ، فَقَالَتِ الْمَاهِجَةُ بَنَاتُ إِلَى ظِلِّ أَنْثَلَاثٍ فِي حِجْرِهَا عَيْنَ كِلْسَانَ الشَّمْعَةِ
أَصْفَى مِنَ النُّعْمَةِ ، تَسِيحُ فِي الرُّضْرَاضِ ، سِيحَ النَّضْنَانِ ^(٤) ؛ فَنَلْنَا مِنَ التَّأْكُلِ
مَا نَلْنَا ، ثُمَّ مَلْنَا إِلَى الظِّلِّ قَلِيلًا ؛ فَمَا مَلَكْنَا النَّوْمَ حَتَّى سَمِعْنَا صَوْتًا أَنْكَرَ مِنْ
صَوْتِ الْحَارِ ، وَرَجِمًا أَضْغَفَ مِنْ رَجْمِ الْحَوَارِ ، يَشْفَعُهُمَا صَوْتُ طَبَلٍ كَأَنَّهُ خَارِجٌ

(١) الْعَرَى : جَمْعُ عَرْوَةٍ ، وَأَجْلُوا أَخْتِ الزَّرْمَنِ الثَّوْبِ ، وَيُشَبِّهُهُ الْبَيْتُ مِنَ النَّاسِ (م)

(٢) الْكَلَالُ : الضَّعْفُ ، وَالْبَصَائِرُ : جَمْعُ بَصِيرَةٍ ، وَهِيَ الْعَقْلُ وَالْفِطْنَةُ ، وَالرَّاثُ :

جَمْعُ مَوِيرَةٍ وَهِيَ الْعَزِيمَةُ ، وَأَصْلُهَا مَا لَطَفَ وَطَالَ وَاسْتَدْرَكَ قَتْلَهُ مِنَ الْحَبَالِ (م)

(٣) اعْتَلِقَ بِذَيْلِهِ : تَمَسَّكَ بِهِ (م)

(٤) الرُّضْرَاضُ : الْحَصَى ، وَالنَّضْنَانُ : الْحَيَّةُ الَّتِي تَلَوَّى دَائِمًا (م)

لِلْقَامَةِ
التَّزْوِينِيَّةُ

من ماسني أسد ؛ فذاد عن ^(١) القوم رائد النوم ، وضحت العيون إليه وقد حالت
الأشجار دونه ، وأصنيت فإذا هو يقول على إيقاع صوت الطبل :

أدعو إلى الله فهل من مجيب ^(٢) إلى ذرى رحبٍ وعيشٍ خصيب
وجنةٍ عاليةٍ ما تنى ^(٣) قلوبها دانيةٍ ما تنيب
يا قوم إني رجلٌ ثائبٌ ^(٤) من بلبس الكفر وأمرى عجيب
إن أكن أمنتُ فكم ليلةٍ ^(٥) جعذتُ فيها وعبدتُ الصليب
يا رب غنزرٍ تمششته ^(٦) ومسكرٍ أحرزتُ منه النصيب
ثم هداني الله ، وانتاشي ^(٧) من زلة الكفر اجتهداً للصيب
فطلتُ أغنى الدين في أشرقي ^(٨) وأعبدُ الله بقلبٍ مُنيب
أسجدُ لآلاتٍ حذارِ العدى ^(٩) ولأجى الكعبة خَوْفَ الرقيب
واسألُ الله إذا جنتي ^(١٠) لئلي وأصنافي يومٍ عَصيب
رب كَأَنَّكَ أَهْدَيْتَنِي ^(١١) فنجني ؛ إني فيهم غريب
ثم اتخذتُ الليلَ لي مركباً ^(١٢) وما سوى العزم أمانِي نَجِيب
وقدك من سيري في ليلةٍ ^(١٣) يكادُ رأسُ الطفل فيها يَشِيب
حق إذا ما جُرْتُ بحرَ المي ^(١٤) إلى حى الدين نفضت الوَجِيب
وقلت إذ لاح شِعَارُ الهدى ^(١٥) نصرٌ من الله وفتحٌ قريب

ولما بلغ هذا البيت قال : يا قوم ؛ وطئت والله بلادكم قَلْبَ لالِشَق شاقه ،
ولا التَقَرُّ ساقه ، وقد تركت وراء ظهري حداثق وأعنابا ، وكواعب أربابا ،
وخيلاً مُسوَّمةً ، وقناطير مُقنطرةً ، وعدَّةً وعديداً ، ومراكبَ وعبيداً ، وخرجتُ
خروجَ الحيَّة من جُحره ، وبرزتُ يَروُزَ الطائر من وَكره ، مؤثراً ديني على

(١) ذاد : منع (م) (٢) تنى : غفر (م) (٣) ثائب : راجع (م)

(٤) تمششته : أكلت مشاشه - وللشاش - بزة الغراب - طرف مالان من

العظام (م) (٥) انتاشي : خلصني وأهذني (م)

دُنْيَا . وَجَامِعًا يُنْمَى إِلَى يُسْرَى ، وَاصِلًا سَيَرَى يُسْرَى ^(١) ، فَلَوْ رَفَعْتَ النَّارَ
بِشْرَهَا ، وَرَمَيْتَ الرُّومَ بِحَجَرِهَا ، وَأَعْتَمَوْنِي عَلَى غَزْوِهَا مَسَاعِدَةً وَإِسْعَادًا ،
وَمِرَافِدَةً وَإِرْقَادًا ، وَلَا شَطَطًا ، فَكُلُّ قَادِرٍ عَلَى قُدْرَتِهِ ، وَحَسْبُ تَرْوَتِهِ .
وَلَا أُسْتَكْثَرُ الْبَذَرَةَ ، وَلَا أُرَدُّ الثَّمَرَةَ ، وَأَقْبِلُ الذَّرَّةَ ، وَلِكُلِّ مَنَى سَهْمَانِ ،
سَهْمٌ أَذْلَقَهُ لِقَاءً ^(٢) ، وَسَهْمٌ أَفَوَّقَهُ بِالْذَّعَاءِ ، وَأَرْشُقُ بِهِ أَبْوَابَ السَّمَاءِ ، عَنْ
قَوْسِ الظُّلُمَاءِ .

قَالَ حَبِيبُ بْنُ هِشَامٍ : فَاسْتَفَزَنِي رَائِعُ الْفَنَائِلَةِ ، وَسَرَوْتُ جِلْبَابَ النُّومِ ،
وَعُدْتُ إِلَى الْقَوْمِ ، وَإِذَا وَاللَّهِ شَيْخُنَا أَبُو الْفَتْحِ الْإِسْكَانْدَرِيُّ ، بَسِيفٌ قَدْ شَمَّرَهُ ،
وَزَيٌّْ قَدْ نَكَرَهُ ؛ فَلَمَّا رَأَيْتُ غَمَزَنِي بَعِينَهُ وَقَالَ : رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً أَحْسَنَ حُدْسِهِ ؛
وَمَلَكَ نَفْسِهِ ، وَأَغْنَانَا بِفَاضِلِ قُوَّتِهِ ، وَقَسَمَ لَنَا مِنْ نَيْلِهِ ! ثُمَّ أَخَذَ مَا أَخَذَ ، فَقُمْتُ
إِلَيْهِ فَقُلْتُ : أَنْتَ مِنْ أَوْلَادِ بَنَاتِ الرُّومِ ؟ فَقَالَ :

أَنَا حَالِي مَعَ الزَّمَانِ كَحَالِي مَعَ النَّسَبِ
نَسِي فِي يَدِ الزَّمَانِ نَ إِذَا سَلِمَهُ انْقَلَبَ
أَنَا أَمْسَى مِنَ النَّيْسِ طَوَاضِحِي مِنَ التَّرَبِّ

[عَاقِبَةُ السُّؤَالِ بِلَفْظِ حَسَنِ]

قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ : مَا سَأَلَنِي أَحَدٌ قَطُّ مَسْأَلَةً يَقْلُ عَلَى قَضَائِهَا ،
وَلَا يَخْفُ عَلَى أَدَائِهَا ، بِلَفْظٍ حَسَنِ يَجْمَعُ لَهُ الْقَلْبُ فِهْمَهُ إِلَّا قَضَيْتُهَا ، وَإِنْ كَانَتْ
الزَّيْمَةُ نَفَذْتُ فِي مَنَمِهِ ^(٣) ، وَكَانَ الصَّوَابُ مُسْتَقَرًّا فِي دَفْعِهِ ، ضَنًّا بِالصَّوَابِ أَنْ يَرُدَّ
سَائِلُهُ ، أَوْ يَحْرِمَ نَائِلُهُ .

[ابْنُ رِفَاعَةَ يَتَحَدَّثُ عَنِ النِّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذَرِ وَالْحَارِثِ النَّسَائِيِّ]

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : كَانَ أَبُو قَيْسٍ بْنُ رِفَاعَةَ يَفْقِدُ سَنَةً إِلَى النِّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذَرِ

(١) السِّرُّ : الْقَهَابُ فِي الْأَرْضِ أَيْ وَقْتُ كَانَ ، وَالسَّرَى - بِالضَّمِّ - سِرْعَانَةً
الَّيْلَ (م) (٢) ذَلَقَ السَّكِينِ : حَمَدَهُ ، وَذَلَقَ الرَّاجِحَ : أَضَاهَاهُ وَأَوْقَدَهُ ، هَذَا أَصْلُ
هَذِهِ الْعِبَارَةِ (م) (٣) فِي نَسْخَةِ وَقَضَيْتُ فِي مَنَمِهِ وَلَهَا وَجْهٌ (م)

الخمسة وستة إلى الحارث بن أبي شير السكاني ، قال له الحارث يوما وهو عنده :
 يا بن رفاعه ، بلغني أنك تفضل النعمان على ! قال : كيف أفضله عليك آية
 الحق : فوالله لتفكك أحسن من وجهه ، ولأنتك أشرف من أبيه ، [ولأبائك
 أشرف من جميع قومه] ، ولأنتك أفضل من يومه ، ولشمالك أجود من يمينه ،
 ولحرمانك أنفع من بذله ، ولقليلك أكثر من كثيره ، [ولشمالك أغزر من
 غديره ، ولكرسيك أرفع من سريره ، ولجذولك أغمر من بحوره ، وليومك
 أفضل من شهره ، ولشهرك أشرف من حوله ، ولحلوك خير من حبه ، ولزنتك
 أودى من زنته ، ولجندك أعز من جنده ، ولهزلك أصوب من جدّه ، وإنك
 لئن غسان أرباب الملوك ، وإنه لمن نعيم كثيرى النوك ! فعلام أفضله عليك ؟
 وقد روى مثل هذا الكلام للناطقة الدياني مع النعمان بن المنذر .

[أربعة آيات]

وقال للفضل الضبي : دخلت على المهدي قال قبل أن أجلس : أنشدني
 أربعة آيات لا تمزق عليهن ، وعنده عبد الله بن مالك الخزازي ، فأنشدته ^(١) :
 وأشعث قد قدّ السقارُ قبضته يجرّ شواء بالصا غير مُنضجٍ
 دعوتُ إلى مانأبني وأجابني كريمٌ من الفتيان غير مزّجٍ ^(٢)
 فقي يعلأ الشيزى ويروى سنانه ويضرب في رأس الكي للدجج
 فقي ليس بالراضى بأدى معيشة ولا في بيوت الحى بالمتولج
 فقال المهدي : هذا هو ، وأشار إلى عبد الله بن مالك ، فلما انصرفت بعث
 إلى بألف دينار ، وبعث إلى عبد الله بأربعة آلاف .

[أبو الأسود الدؤلي وامراته]

تنازع أبو الأسود الدؤلي وامراته إلى زياد في ابنيهما ، وأراد أبو الأسود أخذه

(١) هذه الآيات من قصيدة طويلة للشياخ بن ضرار الططفاي (انظر ديوانه

ص ٢٤ مصر) (م) (٢) للزجل : الرجل الناقص ، أو هو الصوت (م)

منها فأبَتْ ، وقالت المرأة : أصلح الله الأمير . هذا ابني ، كان بطني وعأؤهُ ،
وحجري فأنؤهُ ، وثديي سقاؤهُ ، أكلؤهُ إذا نام ، وأحفظهُ إذا قام ؛ فلم أزل
بذلك سبعة أعوام ، فلما استوفى فصالهُ ، وكلت خصالهُ ، واستوكتُ أوصالهُ (١) ،
وأملتُ نفْسَهُ ، ورجوتُ عطفَهُ ، أراد أن يأخذهُ مني كرها ، فبَادَنِي أيها الأمير ؛
فقد أراد قهرِي ، وحاول قسْرِي .

قال أبو الأسود : هذا ابني حلتُهُ قبل أن تحمله ، ووضعتهُ قبل أن تضعهُ ،
وأنا أقوم عليه في أدبه ، وأنظر في تقويم أودِهِ (٢) ، وأمنحه على ، وألمه على ، حتى
بكل عقله ، ويستكمل خلقهُ .

فقالَت المرأة : صدق أصلحك الله ؛ حله خِفًا ، وحلته ثِقَلًا ، ووضَعهُ شهوةً ،
ووضعتُهُ كرها .

فقال زياد : ارُدُّهُ على المرأة ؛ فبِئْسَ حقٌّ به منك ، ودعني من سَجْلك .

[غظات ووصايا]

قال الأصمعي : بلغني أن بعض الحكماء كان يقولُ : إني لأعظمُكم ، وإني
لكثيرُ الذنوب ، مسرفٌ على نفسي ، غير حامدٍ لها ، ولا حامِلٍها على السكروه في
طاعة الله . وقد بلوتُها فلم أجِدْ لها شكرًا في الرضاء ، ولا صبرًا على التَّوَلَّى . ولو أن
أحدًا لا يعظُ أخاه حتى يحكم أمرَهُ لَتَرَك الأمر ولكن معادنة الإخوان
حياة القلوب وجلاء النفوس ، وتذكيرٌ من النسيان ، واعلموا أن الدنيا سرورُها
أحزان ، وإقبالُها إدار ، وآخرُ حياتِها الموت ، فكم من مستقبل يومًا لا يستكملُهُ ،
ومتنظر غدًا لا يلبثُهُ ؟ ولو تفطنون الأجل ومسيره لأبغضتمُ الأمل وغرورَهُ .

جمع عبد الملك أهله وولده فقال : يا بني أمية ، ابذلوا نَدَاكم ، وكفوا أذاكم ،
وأجلوا إذا طلبتم ، واغفروا إذا قدرتم ، ولا تُلْحِقُوا إذا سَأَلتم ، ولا تبخلوا إذا
سُئِلتم ؛ فإن الغفر بعد القدرة ، والثناء بعد الخبرة ، وخير المال ما أفاد حَسَدًا
وَقِي ذَمًا

(١) استوكتك : كلت وتمت ، وأوصاله : أبعأؤهُ (م)

(٢) أودِهِ : اعوجاجه وميله ، وتقويمه : تصديقه (م)

[وصف هشام بن عبد الملك بصفته]

ودخل سعيد الجعفي على هشام بن عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين ، إنني أريد أن أصفك بصفتك ، فإن انحرف كلامي فلهيئة الإمام ، واجتماع الأقوام ، وتصرف الأعوام ، ولرب جواد عثر في أرسانه ^(١) وكبا في ميدانه ^(٢) ، ورحم الله امرأ قهر من لقلته ، وألصق الأرض بلمحظه ، ووعى قولي بمحفظه . تخاف هشام أن يتكلم فيقتصر عن جائزة مثله ، فزعم عليه فسكت .

[حاتم الطائي يتحمل الهبات عن عبد قيس البرجمي]

قال عبد قيس بن خُفاف البرجمي لحاتم الطائي وقد وقَّد عليه في دماء تحملها وعجز عن البعض : إنه وقت يني وبين قومي دماء فتواكلوها ، وإنني حملتها في مالي وأملئ ، قدَّمت مالي ، وكُنْتُ أملئ ، فإن تحملها فربَّ حق قضيته ، وهم قد كفيت ، وإن حال دون ذلك حائل لم أذمَّ يومك ، ولم أياس من غذك .

[وصف قتيل]

قال أبو علي المتابي : حدثني الحمدوني قال : بعث إليَّ أحد بن حرب للملهي في غداة ، السماء فيها مُنيَّة ، فأتيته والمائدة موضوعة مُنْطاة ؛ وقد واقت عُجاب المُنيَّة ، فأكلنا جميعاً ، وجلسنا على شرابنا ، فأراعنا إلا دقق يدق الباب ، فأناه الغلام فقال : بالباب فلان ؛ قال لي : هو فتى من آل المهلب ، ظريف ، نظيف ، قلت : ما تريد غير ما نحن فيه ، فأذن له ، فبأه يتبختر وقد أدام قدح شراب فسكره ، فإذا رجل ^(٣) آدم صَحْم ، قال : وتكلم فإذا هو أعيان الناس ، فجلس بيني وبين عُجاب ، قال : فدعوت بدواة وكتبت إلى أحمد ابن حرب :

(١) الأرسان : جمع رسن - بالتحريك - وهو ما يقاد به الفرس ونحوه (م)

(٢) كبايكبو : عثر (م) (٣) آدم : وصف من الأدمة ، وهي السمرة (م)

كذّر الله عيش من كذّر التّيش! قد كان صافيا مُستطاباً
 جاءنا والسماه تهطل بالّقيث وقد طابق السماعُ الشرا
 كسر الكاس وفي الكوكب الفز رى ضمت من للدام رضا
 قلت لما رُميتُ منه بما أكره والدهر ما أفاد أصابا
 عجّل الله قمة لابن حرب تلحُ النارُ بمد شهر خرابا
 ودفنت الرقة إلى أحد ، قال : [ويحك] ألا نفستَ قتلَ بمد حول ؟
 قلت : أردت أقول بمد يوم ، فحقت أن تصيبني مضرة ذلك ، وفطن التّخيل
 فنهض ، قال : آذيتَه ! قلت : هو آذاني .

[طيلسان ابن حرب]

وقال المدوني في طيلسان ابن حرب :

ولى طيلسانُ إن تأملتُ شخصه تيقنت أن الدهر يَفْقَى وينقرضُ
 تصدّع حتى قد أُميتَ انصداعه وأظهرت الأيامُ من عمره الرّض
 كافي لإشفاقي عليه ممرضُ أخا سَمَّ مما تَمَادى به للرّض
 فلو أن أصحاب الكلام يروّنه لَمَارَوْك فيه وادّعوا أنه عَرْض^(١)
 [وقال فيه :

لطيلسان ابن حرب نعمةٌ سبقتُ بها تبينَ فضلى فهو متصلُ
 قد كنتُ دهرًا جهولاً ثم حنّني عليه خوفُ من الأتوم إن جهلوا
 أظّل أجنب الإخوان من حذر كأنما بى جرحٌ ليس يندملُ
 يا طيلسانًا إذا الأخطأ جُلّن به فعلنَ فلّ سهام فيه تنتصلُ
 لئن بليتَ فكم أبليتَ من أم تَنزى أبائهمُ أبائك الأولُ

(١) أصحاب الكلام : أراد علماء الكلام (علم التوحيد = علم العقائد) وماروك :
 أراد جادوك وشكوك ، والمرض - بالتحريك - ما لا يقوم بنفسه ، وإنما يقوم
 بغيره ، كالبياض (م)

وَمَ رَاكَ أَع لِي نَم أَنشَدْنِي : وَدَعْ هَرِيرَةَ إِنْ الرِّكْبَ مَرَعَلُ [وَقَالَ فِيهِ ^(١) .

يَا بَنَ حَرْبٍ كَسَوْتَنِي طِيلِسَانًا أَمَرَصْتَهُ الْأَوْبَاعُ فَهَوَّ سَقِيمٌ
فَإِذَا مَا لَبَسْتُهُ قُلْتُ : سُبْحَا نَكَ مُنْجِي الْعَظَمِ وَهِيَ رَمِيمٌ
طِيلِسَانُ لَهُ إِذَا هَبَّتِ الرِّيحُ عَلَيْهِ بِمَنْكَبِي هَمِيمٌ
أَذْكُرْتَنِي يَتَا لِحْطَانٍ فِيهِ حُرْقٌ لِقَوَادٍ حِينَ أَقُومُ
لَوْ يَدِيكَ الْحَوْلُ مِنْ وَلَدِ اللَّهِ رَّ عَلَيْهَا لِأَنْدَبَتْنَهَا الْكُلُومُ ^(٢)
وَقَالَ أَيْضًا :

يَا قَاتِلَ اللَّهِ ابْنَ حَرْبٍ قَدْ أَطَالَ إِمْتَاعِي عَلَى عَمْدٍ
بَطِيلِسَانٍ خَلْتُ أَنْ الْبَلَى يَطْلُبُهُ بِالْوَرِّ وَالْحَقْدِ
أَجْدُ فِي رَفْوِي لَهُ ، وَالْيَلَى يَلُوهُ بِهِ فِي الْهَزْلِ وَالْجَدِ
ذَكَرْنِي الْجَنَّةَ لِمَا عَدَا أَصْحَابُهَا مِنْهَا عَلَى حَرْدٍ ^(٣)
إِنْ أَتَيْتُمُ الرِّفَاءَ فِي رَفْوِهِ مَضَى بِهِ التَّمْزِيقُ فِي نَجْدٍ
غَنِيَّتُهُ لِمَا مَضَى رَاحِلًا : يَا وَاحِدِي تَتْرَكْنِي وَحْدِي !
وَقَالَ أَيْضًا فِيهِ :

إِنَّ ابْنَ حَرْبٍ كَسَانِي ثَوْبًا يُعْطِيلُ انْحِرَافَهُ
أَظَلَّ أَدْفَعَ عَنْهُ وَأَتَقَى كُلَّ آفَةٍ
قَدْ تَمَلَّتْ مِنْ خَشْيَتِي عَلَيْهِ التَّقَافَةُ
وَقَالَ أَيْضًا :

طِيلِسَانُ مَا زَالَ أَقْدَمَ فِي الدَّهْرِ مِنَ الدَّهْرِ مَا لِرَفْوِيهِ حِيلُهُ

-
- (١) البيتان الأول والثاني من هذه الأبيات في وفيات الأعيان لابن خلكان (٩٣/٦ بتحقيقنا) (٢) أندبتها : جرحتها ، والكُلُوم : جمع كلم - بالفتح - وهو الجرح (م)
(٣) يعبر إلى القصة التي ذكرت في سورة القلم من الآية ١٦ إلى الآية ٢٦ (م)

وترى صفه كضعف مجوز رتة الحال ذات قدر مئيله
 غمرته الرقاع فهو كضير سكته زراع كل قبيله
 إن أزيته ابن حرب بذى فجرير قد زان قبل بجيله
 جرير : ابن عبد الله البجل ، وله صحبة [رضى الله عنه ، وقد] قال غسان في
 هجائه جريراً :

لمرى لئن كانت بجيلة زانها جرير قد أخزى كنيها جريرها
 وقال الحدوني في معناه لأول^(١) :

يان حرب إني أرى في زوالنا يبتنا مثل ما كسوت جماعة
 طليسان رفوته ورفوت السر فو منه حتى رفوت رقاعه
 فأطاع اليسلى وصار خليعا ليس يعطى الرقاء في الرفو طاعه
 فإذا سائل رآنى فيه ظن أنى فتى من أهل الصياعة^(٢)
 وقال فيه :

طليسان لابن حرب يتداعى لا مساساً^(٣)
 قد طوى قرناً فقرناً وأناساً فأناساً
 ليس الأيام حتى لم تدع فيه لباساً
 غاب تحت الحسن حتى لا يرى إلا قبلاً

[من رسائل ابن العميد]

كتب أبو الفضل بن العميد إلى أبي عبد الله الطبرى :
 من ابن العميد إلى الطبرى
 كتابي وأنا بحال لم ينقص منها الشوق إليك ، ولم يرتق صفوها النزاع نحوك ،
 فمددتها من الأحوال الجليلة ، واعتددت حقلي منها في النعم الجليلة ؛ قد جعت
 لها بين سلامة عاتمة ، ونعمة تامة ، وحظيت منها في جسمي بصلاح ، وفي سمعي

(١) هذه الأبيات الأربعة في ابن خلكان (٩٤/٣) وثمة مقطعات ليست هنا (م)

(٢) في نسخة كما في ابن خلكان « من أهل الصناعة » (م)

(٣) لامساس : أى لاعتنى ، وهذه كناية عن شدة بلاه (م)

ببجراح ، لكن ما بقي أن يصفو لي عيش مع بُعْدِي عنك ، ويخلو ذرعي مع خلوي منك ، ويسوغ لي مطعم ومشرب مع انفرادي دونك ، وكيف أطعم في ذلك وأنت جزء من نفسي ، وناظم لشمل أنسي ، وقد حرمت رؤيتك ، وعَدِنت مشاهدتك ، وهل تسكن نفس متشعبة ذات انقسام ، وينفع أنس مُتَشَتَّت بلا نظام ، وقد قرأت كتابك جعلني الله تعالى فداك ؛ فامتلاّت سرورا بملاحظة خطك ، وتأمل تصرفك في لفظك ، وما أفرطها فكلّ خصالك مرقّظٌ عندي ، وما أمدحها فكلّ أرك ممدوح في ضميري وعقدي ، وأرجو أن تكون حقيقة أرك موافقة لتقديرى فيك ، فإن كان كذلك وإلا فقد غطى هواك وما ألقى على بصري .

وله إلى عضد الدولة يهنئه بولدين :

من ابن العميد
إلى عضد الدولة

أطال الله بقاء الأمير الأجل عضد الدولة ، دام عزّه وتأييده ، وعلاؤه وتمهيده ، وبسطته وتوطيده ، وظاهر له من كل خير مزيده ، وهنأ ما اختصّه به على قرّيب الليلاد ، من توافر الأعداد ، وتكثر الأمداد ، وتكثر الأولاد ، وأراه من النجابة في البنين والأسباط^(١) ، ما أراه من الكرم في الآباء والأجداد ، ولا أخلى عينه من قرّة ، ونفسه من مسرّة ، ومتجدّد نعمة ، ومستأنف مكّرمة ، وزيادة في عدده ، وفشح في أمدّه ، حتى يبلغ غاية مهله ، ويستغرق نهاية أمّله ، ويستوفى ما جسد حسن ظنه ؛ وعرفه الله السعادة فيما بشر عبده من طلوع بدرين هما انبعاثا من نوره ، واستنارا من دُوره ، وحفاً بسريه ، وجعل وفودهما متلاّعين ، وورودهما توافيين ، بشيرين بتظاهر النعم ، وتواتر القسم ، ومؤذنين بترادف بنين [بنص] يجمعهم مُنْخَرِقُ القضاء ، ويشرق بنورهم أفق الملاء ، وينتهي بهم أمدّ الناء^(٢) ، إلى غاية نفوت

(١) الأسباط : جمع سبط - بكسر السين وسكون الباء - وهو ولد البنت (م)

(٢) الناء : الزيادة (م)

غاية الإحصاء ، ولا زالت السبلُ عامرة ، والنهالُ عامرة ، يصانحُ صادرهم بالبشر
[الوارد] ، وأملهم بالنيل القاصد .

وقال أبو الطيب وذكر أبا دلف وأبا الفوارس ابني عضد الدولة :
لأبي الطيب في
ابني عضد الدولة
فلم أر قبله شَيْئاً هَزَبَ كَسْبِيهِ ، ولا فرسى رَهانِ
فُعاشا عيشة القمرين يَحْيى بَضْوِيْها ولا يتحاسدانِ
ولا ملكاً سِوى مُلْكِ الأعادِي ولا وَرِثاً سِوى مَنْ يَفْتَلِنِ
[وكانا ابناً عدو كاتراه له ياءى حروف أُتِييَانِ]
دُعاه كالنَّشَاءِ بلا رِياء يُؤدِّيهِ الجَنانُ إلى الجَنانِ

وكتب أبو القاسم الإسكافي عن نوح بن نصر إلى وَشْمَكِين بن زياد في
من الإسكافي
تهنئة واستبطاء

استبطاء وتهنئة :

وصل كتابك ناطقاً مفتتحه بحملى المذر ، فيما نقل من الكتابة ،
وبعث من المطالعة ، ومُعرباً مختتمه عن بُحْلة خبر السلامة التي طبقت
أعمالك ، والاستقامة التي عمت أحوالك ، وفهمناه ، ولولا أن موانعك — أيديك
الله تعالى — فيما تأتى وتذّر ، وترثى وتدبّر ، عادة لنا أورتقناها قرابة ما بين
وقاقتنا ووقاقتك ، وملازمة حال ألبأتنا لحال استحقاقتك ؛ لسكنا ربما ضايقتك
في المذّر الذى اعتذرت به ، وإن كان واضحاً طريقه ، وناقضاً فيه ، وإن
كان واجباً تصديقه ، لفرط الأنس [يخلص إلينا] بكتابك ، والارتياح
بخطابك ، اللذين لا يؤذيان إلا خبر سلامة توجب الإجماع ، فنحن نأبى
إلا إجراء تلك العادة ، كما عودتنا ، وإلا التجاوى عما تريد فيه من الزيادة
التي أردتها ، ولا ندع مع ذلك أن يصل تسويقك^(١) إلى الإخلال الذى اخترته
بإحادك على الكتاب إذا كتبته ، توخياً^(٢) لأن تكون مؤهلاً فى الحالين خلاصة

(١) سوف الأمر تسويقاً : أرجاء وأخره (م)

(٢) توخى الأمر يتوخاه توخياً : قصده (م)

التنويل ، مقدماً في درج التفضيل ، موفى حقائق الإيشار ، موفى لواحق الاستقصار ، ونستعين بالله على قضاء حقوقك ، وعلى جميل الثبة في أمورك ؛ فإن ذلك لا يبلغ إلا بقوته ، ولا يدرك إلا بحوته ، وأما بعد فقد عفى^(١) — أعزك الله تعالى — ما أفاد كتابك بخبر السلامة من أنه ، على آثار من سبقه بخبر الملة من وحشة ، فأوجبنا مقابلة موهبة الله تعالى في المحبوب صنع ، والمكروه دفع ، نستقبل به إخلاص النواهب لنا ، ونستديم به أخص المراتب بنا ، فأريك — أعزك الله تعالى — في المطالعة بذكر تستمده في الفوة والصحة من مزيد ، والطاعة والكفاية من توفيق وتديد ، موفى إن شاء الله تعالى ..

ألفاظ لأهل المصر في ضروب التهاى وما ينخرط في سلكها

من ذلك في التهنة بالمولود وما يجرى مجراها من الأدعية ، وما يختص منها بالملوك أو الرؤساء

مرحبا بالفارس المصدق للفتون ، المقر لليون ، للقبل بالطالع السعيد ، والخير القديد ، أنجب الأبناء لأكرم الآباء . أما مستبشر بطولع النجم الذى كتما منه على أمل ، ومن تطاول استمراره [الذى كتما منه] على وجل ، إن يشأ الله يحمله مقدمة إخوة فى نسق كالفريد المنسق^(٢) . قد طلع فى أفق الحرية أسعد نجم ، [ونجم^(٣)] فى حدائق الرومة أذكى نبت . يا بشرى بطولع الفارس الميمون جدّه ، المضمون سقده ، عليه خاتم الفضل وطائمه ، وله تهم الخير وطالبه . الحمد لله على طالع هذا الهلال الذى رآه إن شاء الله بدرا لا يضمر السرار بها ، ولا يبلغ المحاق سنائه وسناه ، وقد بشرت قوايله بالإقبال وعلو الجد^(٤) ، واقترن قدومه بالطالع السعد . هتاك الله تعالى بقوة الظهور ،

(١) عفى : غطى وستر (م) (٢) الفريد : أراد العذر ، وللتسق : المنتظم (م)

(٣) نجم : طلع (م) (٤) الجد - بفتح الجيم - البخت والحظ (م)

واشتداد الأزر. الفارس الكثير لسواد الفضل، للوفر لحال الأهل، للستوف شرف الأرومة، بكرم الأبوة والأمومة، وأبناؤه حتى نراه، كما رأينا جدّه وأباه. عرفت أنّما أكثر الله به عدده، وشدّ عضدّه، من طلوع الفارس الذي أضاه له الأفق، وطال به باعُ السعادة، فسطمت النعمى لدى، وأوردتِ البشرى غاية المُنَى على. مرحباً بالفارس القادم، بأعظم اللقائم، سوى الخلق [سامي العرق] يلوح عليه سياء المجد، وتتجاوزه أطراف الملك والمجد. وردتِ البشرى بالفارس الذي أوسع رباح المجد تأهيلاً، ومناكب الشرف ارتفاعاً، وأعضاد المزم اشتداداً. وانتفى بشرى البشائر^(١)، والنعم المحروسة على النظائر، في سلاّلة المزم وسليبه، وابن منبر الملك وسريره، والأمير القادم بفرّة المكارم، الناهض إلى ذروة المليء، بأباء أمراء، وملوك عظماء. مرحباً بالفارس للامول لشدة الظهور، للرجوع لسدّ الثغور. الحمد لله الذي شدّ أزرّ الدولة، ونظم قلادة الإمرة، ودعم سرير العزّة، ووطّد منابر المملكة، بالقمر السعد، وشيل الأسد الوزد. قد تنسّست المكارم والمعالى، وتباشرت الخطبُ والقوافي، بالفارس المأمول لشدة أزرّ الملك، وسدّ ثغور المجد، وتطاول السرير شوقاً إليه، واهتزّت المنايرُ حرصاً عليه. قد افتقر جفنُ العالم عن العين البصيرة، واستغرب مضحكُه عن القمعة للنيرة؛ أما الأمير فالتاج لجبينه يبهى، والركاب بقدمه تزهى^(٢)، ألهم أرنى هذا الهلال بذراً قد علّا الأقدار قدراً، وبلّغه الله فيه من مناه، حتى نراه وأخاه، مُنِيفين على ذروة المجد، آخذين من أوفر الحظوة بأعلى الجد.

ولهم : والله يمتع به، ويرزقُ الخير منه، ويحققُ الأملَ فيه. عرف الله تعالى آثار بركة المورود المسعود، وعضد الفضل بالزيادة في عدده، وأقرّ عين

(١) واتاه يواتيه : أسفه وأجمده، وتقرأ « وأتقى » بالهمز من الإتيان بمعنى المحي. (م) (٢) في نسخة « هو آمال الأمير فالتاج بجبينه سما، والركاب بمقدمه زها » وليس كما ينبغي (م)

الجدد بالسادة من ولده . عرفه الله تعالى من سيادة مقدمه ، ما يجمعُ الأعداء تحت قدمه . عمرك الله تعالى حتى ترى هذا الملل قرأ باهراً ، وبدراً زاهراً ، يكثرُ به عدد حَفَدَتِكَ ، ويعظم معه عُصَّة حَفَدَتِكَ ، من حيث لا تَهْتَدِي التوائِبُ إلى أغراضكم ، ولا تطلع الحوادث^(١) إلى انتقاصكم ، متمكث الله بالولد ، وجعله من أقوى العدد ، ووصله بإخوة متوافرى العدد ، شاذى الأزر والتضد . هناك الله تعالى مولده ، وقرن باليمن مؤزده ، وأراك من بنيه أولاداً برّره [وأسباطاً وحفدة ، وعرفك بركة قدومه ، وجمع مقدمه ، وسعد طالعه ، وعين طائرته ، وحرّك الله] حتى ترى زيادة الله منه كما رأيتها به^(٢) ، والله يبلّغك أفضل ما تقسمه السمود ، وتتلوه به الجدد ، حتى يستغرق مع إخوته مساعى الفضل ، ويشيدوا قواعِد القنصر ، ويزحموا صدور الدّهر ، ويضبطوا أطراف الأرض ؛ والله يحمرُّه من نواظر الأيام أن ترنو إليه^(٣) ، وأطالع الليالى أن تتوجه عليه ، حتى يستقل بأعباء الخدمة ، وينهى بأثقال الدعوة ، ويخف في الدفع عن البيضة ، ويُشرع في حماية الحوزة ، والله يديم لمولانا من العمر أكلا ، ومن المزأهاته ، ليطبّق العالم بفضل وعده ، ويدبر الأرض بالنجباء من نسله .

ولهم في ذكر المولود العلوى

عُصْن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، شجره أهل أن يَحْلُو ثمره ، وفرع بين الرسالة والإمامة مُنْتَمَاه ، خليف أن يُحَمَّد بذوه وعقباه . حرجباً بالطالع بأيمن طالع ، ومن هو من أشرف الناصب والمناصب ، حيث الرسالة والخلافة ، والإمامة والزعامة ، أبقاه الله تعالى حتى يتها في صوانع المن^(٤) ، ويعد حسنه من بنى الحسن .

(١) في نسخة « ولا تطلع الحوادث - إلخ » (م)

(٢) في نسخة « كما ترى مهابته » (م) (٣) ترنو : تنظر (م)

(٤) في نسخة « حتى يتها منه صنائع المن » (م)

ولهم في التهئة بالإملاك^(١) والنفاس ، وما يقترون به من الأدعية

من اتصل بمولاي سببه ، وشرف به منصبه ، كان حقيقاً بالرغبة إلى الله تعالى في توفيره وتكثيره ، وزيادته وتشميره ، لتزكو منابت الفضل ، وتنشئ مفاريس النبل والفخر ، وتطلب مدارج المجد . بارك الله لمولاي في الأمر الذي عقده ، وأحمد إياه^(٢) وأسأله ، وجعله موصولاً بنهاء العدد ، وزكاه الولد ، واتصال الخبل ، وتكثير النسل . والله تعالى يخبر له في الوصلة الكريمة ، ويقربها بالمصلحة الجسيمة . قد عظم الله بهجتي ، وضاعف غبطتي ، بما أتاحه من سرور ، وبجمع شمل مجدي ، فلا زالت النعم به محفوفة ، والمسار إليه مصروفة ، جعل الله هذه الوصلة أكيدة القعدة ، طويلة المدة ، سبابة البركة والفضل ، طيبة الذرية والنسل . وصل الله هذا الاتصال السعيد ، والمقد الحميد ، بأكل اللواهب ، وأحمد المواقب ، وجعل شمل مسرتك ملتماً ، وسبب أنسك منتظماً . عرفك الله تعجيل البركات ، وتوالي الخيرات ، ولا أخلاك الله من هذه الوصلة [من التهانئ بنجباء الأولاد ، وكبت بكثرة عددك الحساد . هناك الله مولاي الوصلة] بكثرة العدد ، ووفور الولد ، وانبساط الباع واليد ، عالي القدر والجود .

ولهم في التهئة بالولاية والأعمال ، وما يتصل بها من الأدعية

للوزراء والقضاة والمال

عرفت أخبار البلد الذي أحسن الله إلى أهله ، وعطف عليهم بفضل ، إذ أضيف إلى ما يلاحظه مولاي بين يداي ، ويشقى خاله يفضل أوصاله . أنا من سر

(١) الإملاك : الزواج ، تقول « أملك الرجل ابنته » تريد أنه زوجها (م)

(٢) أحمد إياه : جعله يرى عاقبته محمودة ، ووقع في الأصول كلها « وأحمد

أباه » ولا نراها إلا مصحفة عما أثبتناه (م)

بالولاية يلبس مولاي طلائها ، ويسحب أذيلها ، بنعم مستفاد ، ورتب
 مستزاد ، سروري بما أعلمه بكسبه^(١) الثناء في كل عمل يدبره ، من أحدىثة جيلة ،
 وشوثة جزيلة ، ويؤثره من إحياء عدل ، وإماتة جور ، وعمارَة لسبل الخيول ،
 وإيضاح لطرق المسكرات ، سيدى يؤنى على الرتب التى يدعى لها بمجولته^(٢) ؛
 فهينئاً لها بتجملها بولايته ، وتحليها بحكفايته . الأعمال إن بلغت أقصى الآمال ،
 فكفاية مولاي تتجاوزها وتتخطاها ، والرتب وإن جلت قدراً ، وكبرت
 ذكراً ، فصناعتة تشبها^(٣) وتفسوها ، غير أن لتتأني رسماً لا بد من إقامته ،
 وشرطاً لا سبيل إلى نقض عادته . الأعمال وإن بلغت أقصى الآمال فكفاية
 سيدى توفى عليها إيفاء الشمس على النجوم ، وترتفع عنها ارتفاع السماء على التجوم .
 سيدى أرفع قدراً وأنبه ذكراً ، من أن نهنته بولاية وإن جل أمرها وعظم
 قدرها . قد أعطيت قوس الوزارة باريها ، وأضيفت إلى كفئها وكافئها ، وفُسخ
 فيها شرط الدنيا القاسد فى إهداء حظوظها إلى أوغادها ، ونقض بها حكمها الجائر
 فى الدول سها عن نجباء أولادها . الدنيا أعز الله الوزير مهنةً بانحيازها^(٤) إلى
 رأيها وتنفيذه ، والممالك مغبوظة باتصالها إلى أمره وتديره . قد كانت الدنيا
 مستشرفة لوزارته ، إلى أن سدت بما كانت الأيام عنه مخيرة ، وحطيت
 بما كانت الظنون به مبشرة . أنا أحنى الوزارة بإلقائها إلى فضله مقادتها ،
 وبلوغها فى ظله إرادتها ، وانحيازها من إيالته إلى واضحة الفخر ، وتوشعها من
 كفايته برة سائده على وجه الدهر . الحمد لله الذى أقر عين الفضل ، ووطأ
 مهآد الحمد ، وترك الحساد يتعشرون فى ذبول الخليفة ، ويتساقطون فى فضول
 الحسرة ؛ وأرأى الوزارة وقد استكمل الشيخ إجلالها ، ووفى لها جاهها :

(١) فى نسخة « سرورى بما أعلمه يحسب الثناء - إلخ » (م)

(٢) فى نسخة « يدعى له مجولها فهينئاً لها بتجملها » (م)

(٣) فى نسخة « تنسقا » (م) (٤) فى نسخة « بانحياز الولاية » (م)

فلم تك تصلح إلا له^(١) ولم يك يصلح إلا لها^(٢)
والقاضي علم العلم شرقاً وغرباً ، ونجم الفضل غوراً ونجداً ، وشمس الأدب
براً وبحراً ، فسبيل الأعمال أن تنهأ إذا رُدَّتْ إلى نظره اليمين ، وعصبت رأيه
الأمون . [أسعد الله القاضي بما جدَّ] له من رأى مولانا وارتنضاه ، واعتمده
لأجل أمر الشريعة وأمنضاه ، وأسعد المسلمين والدين بما أصاره إليه ، وجمع زمامه
في يديه . عرف الله سيدي من سعادة عمله ، أفضل ما ترقاه بأمله ، ولقاء من
مناجح أمره ، أفضل ما انتخاه بفسكره . خار الله فيه تولاؤه وتطوُّقه ، وبلغه في
كل حال أمه وحقيقه ، وعرفه من يُمنّ ما بآشره تديره^(٣) الخير [والخيرة]
والبركات الحاضرة والمتنظرة ، وجعل المناجح إليه أرسالا ، لا تملّ تواليها واتصّالا .
أسعده الله أفضل سعادة قسّمت لوالى عمل ، وأسهم له أخصّ بركة أنشئت
لمسكى أهل^(٤) ، أحضر الله السداد عزّمه ، والرشاد همه ، وكشفه العِصّة أيّده ،
وقرّنه بالتوفيق ولا أفرده . ههنا الله تعالى الموهبة التي ساقها إليه ، ومدّ رِواقها
عليه ؛ إذ كانت من عقائل اللواهب ، مُسْتَفِرّة عن خصائص المراتب ، وحلت فيه
محلّ الاستحباب لا الإيجاب ، والاستحقاق دون الانفاق . ههنا الله نعمته الفضل^(٥)
الذي الولاية أصغر آلاتها ، والرياسة بعض صفاتها

ولهم في التهنئة بذكر الخلع والأجنية

أهني سيدي مزيد الرّفعة ، وجديد الخِلعة ، التي تخلعُ قلوبَ المنازعين ،
واللواء الذي يلوى أيدي المناذين ، والحظّ الذي لو امتطاه إلى الأفلاك لحازها ،
أو سأمى به الجوّزا . لحازها . بلغني خبرُ ما تطوّعت به سماه المجد ، وجادت به

(١) في نسخة « ما بآشره وتديره » (م) (٢) في نسخة « لاسى أمل » (م)

(٣) في نسخة « ههنا الله نعمته بالفضل الذي - إلخ » (م)

أنواء الملك ، فصن من الخلع أسنائها ، ومن للراكب أبهاها ، [ومن السيوف أمضاه ، ومن الأفراس أجراها ، ومن الإقطاعات أئماها] . لبس خلعتة متجلاّ منها ملابس العز ، وامتطى فرسته فارغا به ذرّوة المجد ، وتقلّد سيفه حاصدا بمجد طُلّ أحدائه^(١) وغامطى نيمائه ، واعتنق طوقه متطوقاً عزّ الأبد ، واحتضد بالسوارين للوديعين بقوة الساعد والتضدّ ، وسأس أولياه ولواه العزّ عليه خافق ، وهو بلسان الظفر والنصر ناطق . قد لبس خلعتة التي تمد بها [رفته] ، وامتطى حُمَلانَه الذي واصل به إحسانه^(٢) ، تمنطق بحُسامه الذي ظاهر أبواب إنصامه ، وتعمت بمخافته ، الذين بسطاً من يديه ؛ ووقع من دَوّاته ، التي أعلّت من درجاته قد زوّرت عليه سماء الشرف عرّى الخلمة ، التي تترامى صفحات العزّ على أعطافها ، وتمتّرى مزابا المجد من أطرافها ، وركب الحلان الذي تتناول قاصيقى إلى من ناصيته ، والركب الذي تُستَخذى^(٣) حُلّ الثريا لحليته ، والسيف والمنطقة الناطقان عن نهاية الإكرام ، الناطقان فلائد الإعظام . خلع تملع قلوب الأعداء من مقارها^(٤) ، وتصد نفوس الأولياء بمسارها ، وسيف كالقضاء قضاء وحداً ، ولواه يخفق قلوب المنازعين إذا خفق ، وحلّت تصدع منكب الدهر إذا انطاق^(٥) .

ولهم في التهنئة بالقدوم من سفر

أهنيّ سيدي ونفسي بما يكره الله من قدومه سالماً ، وأشكره على ذلك شكراً قائماً ؛ غنيّة المكارم مقرونة بشيئك ، وأوبة النعم موصولة بأوبتك ؛ فوصل الله تعالى قدومك من الكرامة ، بأضاف ما قرّن به مسيرك من السلامة . وهناك أيامك ، وبلغك محابك ؛ ما زلت بالنيّة مسافراً ، وباتصال الذكر

(١) الطلى - بضم الطاء ، بوزن الهدى - الأعناق أو أصولها (م)

(٢) في نسخة « وامتطى حملاته التي واصل بها إحسانه » (م)

(٣) في نسخة « والراكب الذي يستعد بالجلبية على السير » (م)

(٤) في نسخة « عن مقارها » (م) (٥) في نسخة « إذا نطق » (م)

والفكر لك ملاقيا ، إلى أن جمع الله ثَمَل سرورى بأَوَيْتَكَ^(١) ، وسَكَن نافرِ قلبي
بعودتك ، فأسأل الله أن يسعدك بمقدمك سادة تكون فيها [بالإقبال] مُقَابِلًا ،
وبالأماني ظافرا ، ولا أوحش منك أوطانَ القُضَل ، ورباعِ المجد ، بمنه وكرمه .
[من أحسن الشر]

قال الهيثم بن عدى : أنشدني مجالد بن سعيد شعراً أعجبني ، قلت : من
أنشدك ؟ قال : كنا يوماً عند الشعبي فتناسدنا الشعر ، فلما فرغنا قال : أيكم يحسن
أن يقولَ مثلَ هذا ، وأنشدنا :

خليلي مهلاً طلالاً لم أفلْ مهلاً وما سرفاً لم الآن قلت ولا جهلاً^(٢)
ولئن صيأ ابن الأربعين سفاهاً فكيف مع اللاتي مُثِلْتُ بها مثلاً
يقول لي المُفَتَّى وهنٌ عشيّة بمكة يَسْخَبُن المَهْدبة الشُّجلاً^(٣)
تبي الله لا تنظرُ إليهنَّ يا فتى وما خلقتي بالحج ملتمساً وصلأ
فوالله لا أنسى وإن شطت النوى عرائنهن الشم والأعين الثُّجلاً
ولا المسك في أعرافهن ولا البرى جواعل في أوساطها قصاً خذلاً
خليلي لا والله ما قلت مَرَحباً لأول شيباتِ ظُلَمَن ولا أهلاً^(٤)
خليلي إن الشيب داء كرهته فإحسن للرَّغَى وما أقيح الهلا
قال مجالد : فكتبت الشعر ، ثم قلنا للشعبي : من يقوله ؟ فسكت ، فحبنا
أنه قاله .

[للرأى التي قلت على قبر عمرو بن حمة الدوسي]

قال الشُّرقي بن القَطامي : لما مات عمرو بن حَمَّة الدَّوسى - وكان أحد من
تتحاكمُ العربُ إليه - مرَّ بقبوره ثلاثة نفر من أهل المدينة قادمين من الشام : الهذم
أبن امرئ القيس بن الحارث بن زيد ، وهو أبو كُثَوم بن الهذم الذي نزل عليه

(١) أوتيتك : رجوعك (م) (٢) في نسخة «ولا سرفاً منى للقال» (م)
(٣) في نسخة «المهذبة الثجلا» تصحيف ، وأراد بالمهذبة السحل الثياب البيض ،
واحد ما سحيل ، وانظر الأمالى ١٢٤/٢ (م) (٤) يروى «خليلي لولا الله» (م)
(١٥ - زهر الآداب ،)

النبي صلى الله عليه وسلم ، وعتيك بن قيس بن هَيْثَةَ بن أُمَيَّة بن معاوية ، وحاطب
 أبْن قيس بن هَيْثَةَ ابن معاوية . وحاطب بن هَيْثَةَ الذي كانت بسببه حرمة .
 حاطب ، قَتَرُوا رِوَاهِلَهُمْ عَلَى قَبْرِهِ ، وَقَامَ الْمَذْمُ قَالَ :

لَقَدْ ضَمَّتِ الْأَثَرَاءُ مِنْكَ مُرَزَّأً عَظِيمَ رَمَادِ النَّارِ مَشْرُوكِ الْقَدْرِ
 إِذَا قُلْتَ لَمْ تَتْرَكْ مَقَالًا لِقَائِلٍ وَإِنْ صُلْتَ كُنْتَ اللَّيْثُ عَمَى حَتَّى الْأَجْرِ
 حَلِمًا إِذَا مَا الْحِلْمُ كَانَ حِرَامَةً وَقَوْفًا إِذَا كَانَ الْوُقُوفُ عَلَى الْجَمْرِ^(١)
 لِيَبْكِكَ مَنْ كَانَتْ حَيَاتُكَ عِزَّهُ وَأَصْبَحَ لَمَامَتْ يَغْضَى عَلَى الشَّعْرِ
 سَقَى الْأَرْضَ ذَاتَ الطُّولِ وَالْعَرْضَ مُنْجِمٌ أَحْمَ الذَّرَى وَاهِيَ الْعَرَى دَائِمُ الْقَطْرِ^(٢)
 وَمَا فِي سَقَايَ الْأَرْضِ لَكِنْ تَرَبَّةً أَضْلَكَ فِي أَحْسَانِهَا مُلْحَدَ الْقَبْرِ
 وَقَامَ عَتِيكَ بْنُ قَيْسٍ قَالَ :

بَرَّغَمَ الْمَلَا وَالْجُودَ وَالْجُدَى وَالتَّنْدَى طَوَاكِ الزَّيْدَى بِأَخِيرِ حَافٍ وَنَاعِلٍ
 لَقَدْ غَالِ صَرَفُ الدَّهْرِ مِنْكَ مُرَزَّأً نَهَوْضًا بِأَصْبَاءِ الْأُمُورِ الْأُنْقَالِ
 بَضْمُ الْمُفَاةِ الطَّارِقِينَ فَنَاقُهُ كَاضِمٌ أَمَّ الرَّأْسِ شَعْبَ الْقَبَائِلِ
 وَيَسْرُو دَجَا الْهَيْجَا مَضَاهُ عَزِيمَةً كَا كَشَفِ الصَّبِيحِ اعْرَاقَ النِّيَاطِلِ^(٣)
 وَيُسْتَهْزَمُ الْجَيْشُ الْعَرِمَرِمُ بِاسْمِهِ وَإِنْ كَانَ جَرَّارًا كَثِيرَ الصَّوَاهِلِ
 فَإِذَا تُصِيبُنَا الْخَادَنَاتُ بَنَكْتَةٍ رَمَتْكَ بِهَا إِحْدَى الدَّوَاهِي الضَّائِلِ^(٤)
 فَلَا تَتَيْدَدَنَّ إِنْ الْخَتُوفَ مَوَارِدُ وَكُلُّ فِتْنٍ مِنْ صَرْفِهَا غَيْرُ وَاثِلِ^(٥)
 وَقَامَ حَاطِبُ بْنُ قَيْسٍ قَالَ :

سَلَامٌ عَلَى الْقَبْرِ الَّذِي ضَمَّ أَعْظَمَ تَحُومٌ لِلْعَالِي نَحْوُهُ فَتَلَمَّ

- (١) في الأماي ١٤٣/٢ « وقورا إذا كان الوقوف على الجمر » وفي نسخة من
 نسخ هذا الكتاب « حلم إذا ما الحلم حل حزامه » تحريف قبيح (٢)
 (٢) في الأماي « أحمر الرجا » والرجا : وسط النيم ومعظمه (٣)
 (٣) النياطل : جمع غيطة ، وهي الظلمة واختلاط الأصوات ، والبقرة الوحشية (٤)
 (٤) الضائل : جمع ضبل ، وهي الداهية (٥) (٥) غير وائل : غير ناج (٦)

سلام عليه كلا ذَرَّ شارقُ وما امتدَّ قطع من دُحَى الليل مُظْلِمُ
 [فيا قَبْرَ عمرو جاداً لَمَّا تَمَلَّقت عليك مِلْثُ دَائِمِ القَطْرِ مَرْزُمُ
 تَضَمَّنَتْ جِماً طَلَبَ حَيًّا وميتاً فانت بما ضَمَّنَتْ في الأرض مُعَلِّمُ
 فلو نَطَقَتْ أرضُ قِلالِ تَرابِها إلى قَبْرِ عَمْرِو الأَرْدِ حلَّ التَّكْرَمِ
 إلى رَمَسٍ قد حَلَّ بين تَرابِهِ وأحجارِهِ بَذَرُ واضْبُطَ ضَيْفِمْ
 فلا يَمْدُنكَ اللهُ حَيًّا وميتاً قد كنتَ نوراً لَطِيفٍ وَالْخَطِيبِ وَالْخَلْبِ مُظْلِمُ
 لَمَرُّ التَّيِّ حُطَّتْ إِلَيْهِ عَلَى الوَنَاءِ حُدَايِرُ عَوْجٍ نَبَّأَتْهُمْ
 لقد هدمَ العِلْيَاءُ مَوْتُكَ جَانِبَا وكان قَدِيمًا رُكْنُهَا لَا يَهْدُمُ
 [بلاغة الأعراب]

قال الأصمعي : سمعت أعرابيا يذكر قومه فقال : كانوا إذا اصطَفُوا تَمَتَّ أعرابي
 القَتَامُ ، مطرت بينهم السَّهَامُ ، بشَوْ بوب الحِيَامُ ^(١) ، وإذا تصاغفوا بالسيف ، ففرت وصف قومه
 أفواهاها الحُتُوفُ ، فرب قِرْنٍ عَارِمٍ قد أحسنوا أدبه ، وحَرْبٍ عِيوسٍ قد أضحكها
 أَسْتَهْمُ ، وخَطَابٍ مُشْمِزٍ ذَلَّوْا مَنَّا كَبِه ، ويوم عَمَّاسٍ قد كشفوا غَلْمَتَهُ بالصبر
 حتى تَجَلَّى . كانوا البحر لا يُنْكَشِ عُمَارُهُ ، ولا يُبْئُهُ تِيَارُهُ .

قال التميمي : سئل أعرابي عن حاله [عند موته] فقال : أجلفني مأخوذاً أعرابي
 بالنفلة ، محجوجاً بالمهلة ، أفارق ما جمعت ، وأقدم على ما ضيَّعت ، فيا حيائي من وصف حاله
 كريم قدَّم للمذرة ، وأطال النظرة ^(٢) ، إن لم يتداركني بالمغفرة ، ثم قضى . عند الموت

وقال بعضُ الرواة : كان يقال : الإخوان ثلاثة : أخٌ يخلصُ لك وُدَّهُ ، ويبلغ الإخوان ثلاثة
 لك في مهتك جهده ، وأخٌ ذو نِيَّةٍ يقتصرُ بك على حسن نيته ، دون رِفْدِهِ ^(٣)
 ومعوته ، وأخٌ يجمالك بلسانه ، ويشغل عنك بشأنه ، ويوسوسُ من كذبه بأيمانه .

قال إسحاق بن إبراهيم اللوصلي : وقعت علينا أعرابية فقالت : يا قوم ، تشر أعرابية تسأل
 بنا الدهر ، إذ قلَّ منا الشكر ، وفارقنا النقي ، وحالفنا القفر ، فرحم الله امرأهم

(١) القَتَام : التبار الذي أثارته الخيل في الحركة ، والشَّو بوب : الدفعة من اللطم (م)

(٢) النظرة : التأخير والتأجيل (م) (٣) الرفد - بالكسر - العطاء (م)

بقول ، وأعطى من فضل ، وواتى من كفاف ، وأعان على عفاف .

[ذل السؤال]

قال أبو بكر الحنفى : حضرتُ مسجدَ الجماعة بالكوفة ، وقام سائلٌ يتكلم عند صلاة الظهر ثم عند العصر وللترب ، فلم يُعط شيئاً ، فقال : اللهم إنك بحاجتى عالم غير معلم ، واسع غير مكلف ، وأنت الذى لا يرزؤك نائل ، ولا يُخفيك^(١) سائل ، ولا يبلغ مدحك قائل ، أنت كما قال المتنون ، وفوق ما يقولون ، أسألك صبراً جليلاً ، وفرجاً قريباً ، ونصراً بالهدى ، وقرّة عين فيما تحب وترضى ، ثم ولّى لينصرف ، فابتدره الناسُ يعطونه ، فلم يأخذ شيئاً ، ثم مضى وهو يقول :

ما اعتاض باذلٌ وجهه بسؤاله عروصاً ، ولو نال التنى بسؤال
وإذا السؤالُ مع النوالِ وزنته رجح السؤالُ وخف كل نوالٍ

[من مقامات بديع الزمان]

ومن مقامات الإسكندري إنشاء البديع : حدثنا عيسى بن هشام قال : كنت في بلاد الأهواز ، وقصارى لفظة شرود أصيدا ، أو كلمة بايعة أستفيدها ؛ فإذ انى السير إلى رُقمة [من البلاد] فسيحة ، وإذا هناك قومٌ مجتمعون على رجل يستمعون إليه وهو يجبط الأرض بصاً على إيقاع لا يختلف ، وعلبت أن مع الإيقاع لحناً ، ولم أبعُد لأنال من السماع حفظاً ، أو أسمع من البليغ لفظاً ، فما زلت بالنظارة ، أزعج هذا وأدفع ذاك ، حتى وصلت إلى الرجل ، وصرفت الطرف منه إلى حُرقة كالقَرْزَب^(٢) ، مكفوف في شملة من صوف ، يدور كالخندروف^(٣) ، متّزنباً بأطول منه ، مستمداً على عصا فيها جلال ، يضرب الأرض بها على إيقاع غنج ، ولفظ هزج ، من صدرٍ خرج ، وهو يقول :

يا قومُ قد أتمل دنى ظهري وطالبتى طلعتى بالتهير^(٤)

(١) لا يخفيك - بالحاء الهمزة - لا يقل عليك ، ووقع في نسخة « لا يخفيك »
نحريض (م) (٢) الحزقة : التصير للتقارب الخطو ، والقرب - بوزن جعفر - الربوع
أو القارة (د) (٣) الخندروف : لعبة من لعب الصبيان (م) (٤) الطلة : الزوجة (ر)

القائمة
الأهواز
للكفوفية

أَصْبَحْتُ مِنْ بَعْدِ غَيِّ وَوَفَرٍ سَاكِنَ قَفَرٍ وَحَلِيفَ قَفَرٍ
يَا قَوْمُ هَلْ يَنْتَكُمُ مِنْ حُرٍّ يُعْنِي عَلَى صُرُوفِ الدَّهْرِ
يَا قَوْمُ قَدْ عِيلَ بِقَفَرِي صَبْرِي وَانْكَشَفَتْ عَنِّي ذِيُولُ السَّيْرِ
وَقَضَّ ذَا الدَّهْرِ بِأَيْدِي الْبَثْرِ مَا كَانَ لِي مِنْ فَضَّةٍ وَتَبْرِ
أَوَى إِلَى بَيْتِ كَفِيدِ الشَّيْرِ خَامِلَ قَدِيرٍ وَصَنِيرٍ قَدِيرٍ^(١)
لَوْ خَتَمَ اللَّهُ بِخَيْرٍ أَمْرِي أَغْنَى مِنْ عُسْرَةِ يُسْرِ
هَلْ مِنْ فَنَى فِيكُمْ كَرِيمُ النَّجْرِ عَتَبَ فِي عَظِيمِ الْأَجْرِ
إِنْ لَمْ يَكُنْ مُنْتَهَى الشُّكْرِ

قال عيسى بن هشام : فرق له والله قلبي ، واغرورت عيني ، وما لبثت أن
أعطيته ديناراً كان معي ، فأنشأ يقول :

يَا حُنْتَا فَاقِصَّةً صَفْرَاهُ مَشْوُوقَةٌ مَنُوشَةٌ قَوْرَاهُ
يَكَادُ أَنْ يَقَطُرَ مِنْهَا اللَّاهُ قَدْ أَتَمَرَتْهَا هِمَّةٌ عَلِيَاهُ
نَفْسٌ فَنَى يَمْلِكُهَا السَّخَاهُ يَصْرِفُهُ فِيهِ كَمَا يَشَاءُ
يَا ذَا الَّذِي يَعْنِي ذَا التَّنَاهُ مَا يَتَضَعِي قَدْرَكَ الْإِطْرَاهُ

فأنضى على الله لك الجزاء

ورحم الله من شذها في قَرَنٍ بمثلها ، وآنسها بأختها ، ففاله الناس ما نالوه^(٢) ؟
ثم فارقه وتبعته ، وعلت أنه متعالم لسرعة ما عرف الدينار ، فلما نظفتنا خلوة
مددتُ يَمْنَاهُ إِلَى بَسْرِي عَصْدِيهِ ، وقلت : والله لثري يترى سِرَّكَ ، أو لا كشفن
سِرَّكَ ؛ فكشف عن تَوَاقِي لُوز^(٣) ، وحَدَرْتُ لثامه ، فإذا هو والله شيخنا أبو الفتح
الإسكندري ، قلت : أنت أبو الفتح ؟ قال : لا

أَنَا أَبُو قَلْبُونٍ فِي كُلِّ تَوْنٍ أَكُونُ

(١) كفيد الشبر : كقدره (م) (٢) ناله الناس : أعطوه (م)

(٣) تواقى لوز : كناية عن حدة عينه .

اخْتَزَمَ مِنَ الْكَسْبِ دُونًَا فَإِنْ دَهَسَ رِكَ دُونَُ
رَجَّ الزَّمانَ مُحْتَمِي إِنَّ الزَّمانَ زَبُونُ
لَا تُحْبِذَعَنْ بِمَقْلُ مَا الْعَقْلُ إِلَّا الْجَنُونُ

[من شعر كشاجم]

وقال أبو الفتح كشاجم :

ما زال حرُّ الشوقِ يَنْفَلِبُ صَبْرَهَا حتى تَحْدَرُ دَمْعُهَا التَّلَقُّ
وجرى من الكُفْلِ السَّحيقِ بَحْدَهَا خَطُّ تَوَهُّرِهِ الدَّمْعُ الْبُتْقُ
فَكَانَ مَجْرَى الدَّمْعِ حِلْيَةً فَضَّةً في بَعْفِهِ ذَهَبٌ وَبِضْ مُعْرِقُ

وقال :

ما لَذَّةُ أَكْلٍ في طيِّبِهَا من قُبْلَةٍ في إِرْهَا عَصَّةٍ
كَأَمَّا تَأْيِيرُهَا لَتَمَّةً من ذَهَبٍ أَجْرَى في فَصَّةٍ
خَلَسَتْهَا بِالْكَرِّ مِنْ شَادِنٍ يَمُشِقُ بِمَضَى بِالْمَقَى بَعْفَةَ

وقال :

وَمُسْتَهْجِنٍ مَدْحِي لَهُ إِنْ تَأَكَّدَتْ لَهُ عَقْدُ الْإِخْلَاصِ ، وَالْخَرْقُ يُمَدِّحُ (١)
وَيَأْتِي الَّذِي فِي الْقَلْبِ إِلَّا تَبَيَّنَا وَكَلَّ إِنَاءَ الَّذِي فِيهِ يَرْشَعُ

وقال :

وَإِذَا انْتَحَرْتَ بِأَعْظَمِ مَقْبُورَةٍ فَالنَّاسُ بَيْنَ مَكْذَبٍ وَمُصَدِّقٍ
فَأَقِمْ لِنَفْسِكَ فِي انْتِصَابِكَ شَاهِدًا بِحَدِيثِ مَجْدٍ الْقَدِيمِ مُحَقِّقٍ

وقال :

يَا مُسْتَدِيَّ الْعُرْفِ إِسْرَارًا وَاعْلَانًا وَمُتَّبِعِ السَّبْرِ وَالْإِحْسَانِ إِحْسَانًا
أَقْلِعْ سَحَابَكَ قَدْ غَرَّقْتَنِي نَيْمًا مَا أَدْمَنُ النَّيْمَ إِلَّا كَانَ طُوفَانًا (٢)

(١) للسدى : للمضى ، أسدى يسدى : أعطى ، والعرف : للعرف (م)

(٢) أقلع سحابك : أراد اقطع معزوفك وعطائك ، وأدمن : دام وتتابع (م)

هذا مولد من قول أبي نواس :

لا تسدين إلى عارفة حتى أقوم بشكر ما سلفا

البحترى :

ألم جوداً ولم تضرر سحابه
وربما خرّ في إلحاحه للطر
موأب ما تجشّنا السؤال لها
إن التام قلب ليس يحتر^(١)
وقد أخذ على ذي الرمة قوله :
ألا يا أسلمى يا دارمى على البلى
ولا زال مثلاً بجزعائك القطر
فالوا : وأحسن منه قول طرفة :
فسق ديارك غير مفديها
صوب الربيع وديمة تهيمى
وقد تحرز ذو الرمة مما تؤول عليه بالسلامة في أول البيت .

وقال كشاجم :

أيا تشوان من خرّ فيه
مق تضحو وربك خندريس^(٢)
أرى بك ما أراه يذى انتشاء
ألم عليه بالكاس الجليس
تورود وجنة وفور الخطير
نمرضه وأعطاف تيس
وقال :

وما زال يبرى جملة الجسم حبها
وينقصه حتى قمت عن النقص^(٣)
وقد ذبت حتى ميرت أن أنازرتها
أمنت عليها أن يرى أهلها شخصي
[الرجوع إلى الرئيس بعد تجربة غيره]

كتب ابن مكرم إلى بعض الرؤساء : نبت في غرة الحداة ، فردتني
إليك التجربة ، وقادتني الضمرة ، ثقة بإسراعك إلى وإن أبطأت عنك ،

(١) تجشّنا : تكلفنا ، والقلب : البثر (م) (٢) الخندريس : اسم من أسماء

الحجر (م) (٣) يرى : ينحل ويهزل ويضعف ، وفي نسخة « على النقص » (م)

وقبولك المنذر وإن قصرتُ عن واجبك ، وإن كانت ذنوبى سَدَّتْ على مسالك الصّنع عني ، فراجع في مجلّدك وسؤددك ، وإنى لا أعرف موقفاً أذل من موقفى ، لولا أن المخاطبة فيه لك ، ولا خطّة أدنى من خطّتى ، لولا أنها فى طلب رضاك .

وهذا اللقى الذى ذهب إليه من الرجوع إلى الرئيس بعد تجربة غيره قد أكثر الناسُ منه قديماً وحديثاً وسأفيض فى طرفٍ من ذلك :

وأشدُّ أبو عبيدة زياد بن مُنقِذ الحنظلى ، وهو أخو [المرار العدوى ، نسب إلى أمة المدوية ، وهى فُكَيْهية بنت تميم بن الدؤل بن جبلة بن عدى بن] عبد مناة بن أد بن طابخة ؛ فولدت لملك بن حنظلة عدياً ويربوعاً ؛ فهؤلاء من ولده يقال لهم [بنو] المدوية ، وكان زيادٌ نزل بمنتهى قاجوها^(١) ومنزله بنجد ، فقال فى ذلك قصيدة يقول فيها وذكر قومه :

مُحَمَّدُونَ يُقَالُ فى مجالسهم وفى الرجال إذا صاحبهم خَدَمٌ^(٢)
لم ألقَ بدمٍ حياً فأخبرهم إلا يزيدُ حياً إلى هم
[وأراه أول من استنار هذا اللقى .

وكان ابنُ أبي عَرادة السعدى مع سلم بن زياد بنخراسان وكان له مكرما فتركه وصحب غيره فلم يَحْدُ أمره ، فرجع إليه ، فقال :

حببتُ على سلم فلما قدّته وجربتُ أقواما بكيتُ على سلم
رجعتُ إليه بعد تجريبٍ غيره فكان كبره بعد طولٍ من السقم
وقال سلم بن الوليد :

حياتك يا بنَ سعدان بن يَحْيَى حيلةٌ للكريم وللمالِى
جلبت لك الثناء فجاء عَفْوَاً ونفسُ الشكر مطلقُ العقالِ

(١) اجتواها : كرهها واستوخمها (م)

(٢) محمّدون : يكثر غيرهم خدمتهم ، ويقال فى مجالسهم : كناية عن الحلم والثبات (م)

وترجعني إليك - وإن نأثرت بي ديارى عنك - تجربة الرجال
وأشد أبو العباس محمد بن يزيد للبرد البحتري :

أخ لك عاداه الزمان فأصيحث مذبذبة فيا لديه للطلـالـب
مقى ما تذوقه التجارب صاحباً من الناس تردده إليك التجارب
وأشد :

حياة أبي العباس زين قسومه لكل امرئ قاسى الأمور وجربها
ونمتب أحياناً عليه ولو مضى لكنا على الباقي من الناس أعتباً^(١)
قال الصولي : جرى ذكر المكنى بمحضرة الراضى فأطريته وأكثرت الثناء
عليه ، فقال لى : يا صولى ! كنت أنشدت لى لجرير :

أشليك عن زيد تسلى ، وقد أرى بينيك من زيد قدى ليس يفرج
فقلت : يا أمير المؤمنين ، من شكر القليل كان للكثير أشد شكراً ، وأعظم
ذكراً ، قال : فأين أنا لك من المكنى ؟ فأنشدته للطائي :

كم من وساع الجود عندى والندى لما جرى وجريت كان قطوفاً^(٢)
أحسباً صدقدي ، ولكن كنت لى مثل الريح حياً وكان خريفاً
وكلاً سباً اقتصد الملاء فرصبتها فى الذروة الطيبا وجاء رديفاً^(٣)
إن غاض ماه المزن فضت ، وإن قست كيد الزمان على كنت رهوا
وكان المكنى أول من ناداه الصولى ، واختلط به .

ولم يل الخلافة أحد اسمه على إلا على بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه ، من اسمه على
وعلى بن المتضد المكنى بالله ، وكان سبب اتصاله به وانقطاعه إليه أن رجلاً
يعرف بمحمد بن أحمد الماوردى نزع إلى المكنى بالرفقة ، وكان ألمب الناس

(١) أعتباً : أشد عتبا (م) (٢) الوساع : الواسع ، والقطوف : البطى (السير) (م)

(٣) الرديف : الذى يركب خلف راكب (م)

بالشطنج، فلما قدم عليه بحداد وهو خليفة قال : يا أمير المؤمنين ، أنا أعلم الناس بهذه الصناعة ، فأقطعني ما كان للرازي الشطنجي ؛ فناظ ذلك المكتفى ، وتذب له الصولى فليرّعه الماوردى شيئاً . فقال له المكتفى : صابره وردك بولا ، قال الصولى : فأقبل المكتفى على ورتبني في المجلساء ، فحببت يوماً : به ، وأصل بي أن خصي شئت بي ، فكثبت قصيدة للمكتفى أقول فيها :

قد ساء ظنُّ الناس بي وتكرّوا لَمَّا رَأَوْنِي دُونَ غَيْرِي أَحْجَبُ
إِنْ كَانَ غُلَيْبِيهِ يُقَرِّبُ أَمْرَهُ دُونِي فَأَيُّ عَنْ قَرِيبٍ أَغْلَبُ
فضحك ، وأمر لي بمائتي دينار ، واندرجت في خدمته .

[في يمة يزيد بن معاوية]

اجتمعت وفود العرب عند معاوية رحمه الله تعالى ، وكان إذا أراد أن يفعل شيئاً ألقى منه ذرءاً إلى الناس ^(١) ، فإذا ائتمنوا كف ، وإن رَضُوا أمضى ، فرض بيمة يزيد ، فقامت خطباء معدة فشققوا الكلام ، وأطنبوا في الخطاب ، فوثب شاب من غسان قابضاً على قائم سيمه ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إن الخيف في حكم السيف ^(٢) ، وبعد النسيم الخيف ^(٣) ؛ فإن هؤلاء عجزوا عن الصيال ، فموتوا على للقال ، ونحن القاتلون إذا صلنا ، والمحبون إذا قلنا ، فن مال عن القصدير أقتناه ، ومن قال بنير الحق وقمناه ^(٤) ، فلينظر ناظر إلى موطنه قدمه ، قبل أن تدحض فيتهوى هوى الجبر من رأس النيق ^(٥) ؛ ففرق الناس عن قوله ، ونسوا ما كانوا فيه من الخطب .

(١) ذرءاً : أى شيئاً منه ، ووقع في نسخة « ألقى منه طرفاً » (م)

(٢) الخيف : الظلم والجور (م) (٣) الخيف : ريح حارة (م)

(٤) وقمناه : قهرناه وأذلناه (م) (٥) النيق : أرفع موضع في الجبل (م)

[في الإقدام حياة]

وقال المهلب يوماً لجلسائه : أراكم تتفنونني في الإقدام ، قالوا له : إى والله ،
إنك لستعوط بنفسك في المهالك ، قال : إليكم عنى افوا لله لولا أن آتى الموت
مسترسلاً ، لأتأني مستعجلاً ؛ إى لستُ آتى الموت من حُبِّه ، إنما آتية من بُغْضِهِ ،
ثم تمثل بقول الحصين بن الحُلم المرى :

[تأخرت أستبقى الحياة فلم أجدْ
لنفسى حياةً مثلَ أن أهدما
ومن هذا أخذ أبو الطيب المتنبي قوله] :

أرى كلنا يَهْوَى الحياةَ لنفسِهِ
حريضاً عليها مستهماً بها صَباً
غِبُّ الجبانِ النفسَ أوردته الثَّقَى
وحبُّ الشجاعِ النفسَ أوردته الخَرْبَا
وقال أبو دلف :

الحربُ تَضْحَكُ عن كَرِّى وإِقْدَامِى
والخيلُ تعرفُ آثارِى وأَبْيَاى
سَيِّئِى مُدَامِى ، وَرَيْثَمَاى مُتَقَفِّى ،
وهَمَّتْ مِقَّةُ التَفْصِيلِ لِلْهَامِ (١)
وقد تجرَّد لى بالْحَسَنِ منفردا
أَمْضَى وَأَشْجَعَ مِنى يَوْمَ إِقْدَامِى (٢)
سَلْتُ لَوَاحِظُهُ سَيْفَ السَّفَايِمِ عَلَى
جَسِى فَأَصْبَحَ جَسِى رَنْبَعُ أَسْقَامِى

[من أخبار أبى دلف وشعره]

وكان أبو دلف شاعراً مجيداً ، وجواداً كريماً ، جامعاً لآلات الأدب والظرف ،
وله شعرٌ جيد فى كل فن ، وهو القائل :

أحبك يا جَنَانُ ؛ فَأَنْتِ مِنى
محلَّ الروحِ من جسدِ الجلبانِ
ولو أنى أقول : مكان رُوحى
نَلِغْتُ عَلَيْكِ بِإِدْرَةِ الزمانِ

(١) للقة : الهبة ، ووقع فى نسخة « وهمت نية التفصيل » (م)

(٢) فى نسخة « وقد تجرَّد بالحسن ذوبع » (م)

لإقْدَامِي إِذَا مَا انْخِلِيلُ جَالَتْ . وَهَابَ لَهَا حَرَّ الطَّمَانِ (١)
 وكان يتعشّق جارية ببغداد فإذا شَخَصَ إِلَى الْحَضْرَةِ زَارَهَا ، فَرَكِبَ فِي بَعْضِ
 قَدَمَاتِهِ إِلَيْهَا ، فَلَمَّا صَارَ بِالْجَسْرِ مَشَى عَلَى طَرَفِ طَيْلَسَانَ بَعْضَ الْمَازِينَ ، فَخَرَقَهُ ،
 فَأَخَذَ بِنَمَانِهِ ، وَقَالَ : يَا أَبَا دَلْفٍ ؛ لَيْسَتْ هَذِهِ كَرَخَكْ ، هَذِهِ مَدِينَةُ السَّلَامِ ؛ الذَّنْبُ
 وَالشَّاةُ بِهَا فِي مَرَّابِعٍ وَاحِدٍ ! فَتَنَى عَنَانَهُ مُتَوَجِّهًا إِلَى الْكَرَخِ ، وَكَتَبَ إِلَى الْجَارِيَةِ :

قَطَمْتَ عَنْ لِقَائِكَ الْأَشْفَالَ وَهَمُومٌ أَتَتْ عِبْلِيٌّ يُقَالُ
 فِي بِلَادِهِمْ أَنَّ فِيهَا عَزِيزُ الْقَوْمِ حَتَّى تَنَالَهُ الْأَنْدَالُ
 حَيْثُ لَا مَدْفَعٌ بِسَيْفٍ عَنِ الضَّيْمِ وَلَا لَكُفَاةٍ فِيهَا بِجَالٍ (٢)
 وَمَقَامُ السَّرِيزِ فِي بَلَدِ الْهُوَ نَ إِذَا أَمَكْنَ الرَّحِيلُ مَحَالُ
 فَطَلِكَ السَّلَامُ يَا عَطْبِيَّةَ الْكَرْخِ خُ أَقْتَمِ وَحَانِ مِنَّا ارْتِمَالُ

وَدَخَلَ أَبُو دَلْفٍ عَلَى الْمَأْمُونِ بَعْدَ الرِّضَا عَنْهُ ، فَسَأَلَهُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ . فَقَالَ :
 خَلَفْتُهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمِينَ غَيْبٍ ، نَصِيحَ جَيْبٍ ، أَسَدًا عَاتِيًا ، قَانِمًا عَلَى بَرَائِنِهِ ،
 يَسْعَدُ بِهِ وَلِيكٌ ، وَيَشْقَى بِهِ عَدُوُّكَ ، رَحَبَ الْفَنَاءِ لِأَهْلِ طَاعَتِكَ ، ذَا بَأْسٍ شَدِيدٍ
 لِمَنْ زَاغَ عَنْ قَهْصَرِ مَحَبَّتِكَ ، قَدْ قَهَّهَ الْخَزْمُ ، وَأَبْقَطَهُ الْمَرْمُ ، فَقَامَ فِي نَحْرِ الْأُمُورِ
 عَلَى سَاقِ التَّشْمِيرِ ، يُبْرِئُهَا بِأَيْدِيهِ (٣) وَكَيْدِهِ ، وَيَقْلَعُهَا بِجَدِّهِ وَجَدَّهُ ؛ وَمَا أَشْبَهَهُ فِي
 الْحَرْبِ إِلَّا بَقُولَ الْعَبَّاسِ بْنِ مُرْدَاسٍ :

أَكْرَهُ عَلَى الْكِتَابَةِ لِأَبَالِي أَحْتَقِقِي كَانَ فِيهَا أُمُّ سَيَوَاهَا

[قَالَ قَاتِلُ : مَا أَفْصَحَهُ عَلَى جَبِيْلِيَّتِهِ ! قَالَ الْمَأْمُونُ : وَإِنْ بِالْجَبَلِ قَوْمًا
 أَجَادًا ، كَرَامًا أَنْجَادًا ، وَلَهُمْ لِيُوقُونَ السَّيْفَ حَظَّهُ يَوْمَ النَّزَالِ ، وَالْكَلَامِ
 حَقُّهُ يَوْمَ الْقِتَالِ ، وَإِنْ أَبَا دَلْفٍ مِنْهُمْ] .

(١) الْكَلَامَةُ : جَمْعُ كَمَى ، وَهُوَ الْفَارْسُ لِلتَّكْمَى فِي سِلَاحِهِ . أَيْ السِّتْرِ (م)

(٢) الْأَيْدِ : الْقُوَّةُ (م)

[من رسائل الميكالي]

فصل لأبي الفضل الميكالي من كتاب تعزية عن أبي العباس بن الإمام أبي الطيب .

لئن كانت الرزية بمصيبة مؤلمة ، وطرقُ العزاء والسَّوَّةُ مبهمة ، لقد حلت بساحة من لا تُنْقَضُ بأمانها مرَّائره ، ولا تَصْنَفُ عن احتالها بصائرُه ، بل يتلقاها بصدرٍ فسيحٍ يحمى أن يفتَحَ الحزنُ بابَه ، وصبرٍ مشيحٍ يحمى أن يُحْبَطَ الجزعُ أجره وثوابه ، ولم لا وآدابُ الدين من عنده تُلتَمَسُ ، وأحكامُ الشرع من بناءه ولسانه تستفاد وتُتَبَّسُ ، والعيونُ تَرْمَقُه ^(١) في هذه الحال لتجربى على سلفه ، وتأخذ بأدابه وسننه ؛ فإن تَمَرَّتْ القلوب فبحسنٍ تماسكه عزَّازها ، وإن حَسُنَّتْ الأفعال فإلى حميدٍ أفضاله ومذاهبه اعتزَّازها .

وله من تعزية إلى أبي عمرو البحتري : قدس الله روحه ، وسقى ضريحه ؛ فلقد عاش نبيه اللهَ كَرًّا ، جليلَ القدرِ ، عَبيقَ الثناء والنشر ، يتجَدَّلُ به أهل بلده ، ويتباهى بمكانه ذوو مودته ، ويفتخر الأثرُ وحاملوه بقرابى بقائه ومُدَّتِهِ ، حتى إذا نَسِمَ ذِرْوَةٌ ^(٢) الفضائل والناقب ، وظهرت محاسنه كالنجوم الثواقب ، اختلطته يدُ القُدار ، ومُجىئى أمره بين الآثار ، فالفضلُ خاشعُ الطرفِ لفقده ، والكرمُ خالى الرُبع من بعده ، والحديثُ يندبُ حَافِظَه ودَارسَه ، وحُسنُ العهد يبيكى كافله وحارسه .

وله : فأما الشكرُ الذى أعارنى رداءه ، وقُلْدنى طَوْقَه وسنائه ؛ فهيات أن ينتسب إلا إلى عادات فضله وإفضاله ، ولا يسيرَ إلا تحت رايات عُرفه ونواله ، وهو ثوب لا يملئ إلا بذكره طِرَازَه ، واسمُ له حقيقته ولسواه مجازُه ، ولو أنه

(١) ترمقه : تنظره وتطلع إليه (م)

(٢) نَسِمَ : علا ، وأصله ركب فوق السنام ، وهو أعلى مكان فى الإبل ، وذروة

كل شئ . : أعلاه (م)

حين ملك رِقِّ بآياديه ، وأعجز وُسْعِي عن حقوق مكارمه ومسايعه ، خُلِّي لي
 مذهب الشكر ومَيْدَانِه ، ولم يحاذيني زِمَامَه وعَنَانَه ، لتَلَطَّفَ عن بلوغ بعض
 الواجب بِمُرُوءَةٍ طَمَع ، ونَهَضت فيه ولو على وَهْنٍ وظَلَمٍ ^(١) ، ولكنه يَبْأِي إلّا أن
 يستولى على أمدِ الفضائل ، ويتسَمَّ ذُرّاً الفوارب منها والكواهل ؛ فلا يَدْعُ في
 الحمد غَايَةً إلّا يسبق إليها قارطاً ، ويَحْتَلِفُ من سِوَاهُ عنها حسيراً ساقطاً ؛ لتكون
 للمالئ بأسرها مجموعة في مِذْيَكِه ، منظلومة في سِلْكِه ، خالصة له من دعوى
 القسم وشِرْكِه .

وله فصل من كتاب إلى أبي سعيد بن خلف الممداني : فأما التَّخَفُّعُ التي
 شَفَعَهَا بكتابه فقد وصلت ، فكانت صَرَّةً لَزْهَرِ الرِّبيع ، موفية بِحُسْنِ الخطِّ على
 الرَّشِيِّ الصَّنِيع ، وليس يَهْتَدِي لمثل هذه اللطائف في مَبَرَّةِ الإخوان ، إلّا من
 يَدُّ من أَوْدِ الأقران ، ولا يَرَضَى من نفسه في إقامة شَمَارِ البرِّ دون القرآن ^(٢) ،
 والله يَمْتَحِمُه بما مَنَحَهُ من خصائص هي في آذَانِ الزَّمانِ شُنُوفٌ ^(٣) ، وفي جِيده
 عقد برصوف .

[عتاب]

وقال أبو يعقوب الخريجي يعاتب الوليد بن أبان :
 أتعجب مني إن صبرتُ على الأذى وكنتُ امرأً ذا لِبَاقَةٍ متجَلِّلاً
 فإني بحمد الله لا رَأْيَ عاجِزٍ رأيتُ ، ولا أعطأتُ للحقِّ مُفَصِّلاً
 ولكن تدبَّرتُ الأمور ؛ فلم أجِدْ سوى الحلم والإغضاء خيراً وأفضلاً
 وأقسم لولا سَالِفُ الودِّ بيننا وعهدُ أبتِ أركانِه أن تزنيلاً
 وأيامك الفِرَّ اللواتي تَقَدَّمَتِ وأوليتها مُنْعِماً مُتَعَوِّلاً

للخريجي
 يعاتب الوليد
 بن أبان

-
- (١) الوهن : الضعف ، والظلم : أن تهمز في سيرك (م)
 (٢) القرآن - بكسر القاف - أن تجمع التثنية إلى التثنية (م)
 (٣) الشنوف : جمع شنف - بالكسر - وهي حلية تلبس في أعلى الأذن (م)

رحلتُ قلوبَ المَجْبُرِ نِمِ اقصيتها
 وأكْرمتُ نفسى والكرامةُ حفظها
 وعارضت أطراف الصَّبَا أبتغى أخا
 أخا كأبى عَزْوٍ، وأنى بمثلِهِ
 جزى الله عَمَانِ الخَرِيمِ خَيْرَ ما
 أخا كان إن أقبلتُ بالودِّ زادنى
 أخا لم ينجى فى الحياة ولم أبتْ
 إذا حاولوه بالسَّعَاية حاولوا
 يَكْمُنِ فى ماله ولسانِهِ
 كفى جفوة الإخوانِ طولَ حياتِهِ
 وبات حيناً لم يكدُرَ صنيعُهُ
 وكنتُ أخا لو دام عهدُك واصلاً
 فمَعْرَكِ الواشونِ حتى كأنما
 إلى البعد ما أقيت فى الأرض مثملاً
 ولم ترى لولا المَسْوَى مثذلاً
 يُصَيِّنُ إذا ما المَهْمُ بالره أَعْضَلَ
 إذا التَّخَرُّ بالجدِ ارتدَّى وتَسَرَّ بَلَ
 جزى صاحباً جَزَلَ للواهب مُفضِلاً
 صفاء وإن أدبرتُ حَنَ وأقبلاً
 يخوننى الأعداءُ منه التَّنَقُّلاً
 به هَضْمَةٌ تَأْبَى بَأْنَ تَتَخَلَّلاً
 ويركبُ دونى الزَّاعِجِى المَوْلَا^(١)
 وأورث مَمَّا كان أعطى وأحرلاً
 ولم أَقْلِهِ طولَ الحياة وَمَآثِلًا
 نَصُوراً إذا ما الشرُّ خَبَّ وهَرَوَلًا
 ترانى شجاعاً بين عَيْنِكَ مُقْبِلاً

[من ترجمة أبى يعقوب الخَرِيمِ]

وأبو يعقوب هذا إسحاق بن حسان ، قال اللبرد : كان أبو يعقوب جميل
 الشعر ، مقبولا عند الكتاب ، وله كلامٌ قوى ، ومذهبٌ متوسط ، وكان يرجع
 إلى نسب كريم فى الضمِّد ، وكان له ولاد فى غطفان ، وكان اتصاله بمولاه أبى
 عثمان بن خُرَيْمِ المَرى الذى يقال له خُرَيْمِ الناعم ، وكان أبو عثمان هذا قائداً
 جليلاً ، وسيداً كريماً . وسئل [خُرَيْمِ] عن لذَّةِ الدنيا ، قال : الأمنُ فإنه لا عيشَ
 لخائف ، والسافيةُ فإنه لا عيشَ لسقيم ، والتقى فإنه لا عيشَ لفقير . وقيل له :

(١) ازاعجى : الرمح الذى إن هز زته تدافع كله ، والمَوْلَا : المحدث طريقه (م)

ما بلغ من نعمتك ؟ قال : لم ألبس جديداً في صيف ، ولا خلقاً في شتاء . وفي
نسبه في الضمّد يقول :

أيا لصفدٍ بأس أن تمرّني مُجَلُّ
وما ضرّني أن لم تِلِدْني يُحَابِر
سفاها ومن أخلاق جارتنا البخل^(١)
ولم تشعِلْ جَرَمَ هَلٍّ ولا عُكَلٍ^(٢)
يقول فيها :

[ودون الندى في كل قلب ثنية
وودّ القفى في كل تيل يُنِيلُهُ
وأعلم علما ليس بالظن أنه
وأن أخلاء الزمان غشاؤهم
تزوّد من الدنيا متاعاً لصورها
وهل أنت إلا هامة اليوم أو غد
وقال ينشوق الحسن بن التّمخّناخ^(٣) :

ألا مُبْلَغٌ حتى خليلٍ ودونه
رسالة ناولٍ بالعراق وروحهُ
له كلّ يوم حنةٌ بعد رنة
إلى صاحب لا يخافُ النأي عهدُهُ
تخبرهُ حرّاً قنّاً ضميره
هو الشهد سِلماً ، والذّ عاف عداوة
فيا حسن الحسن الذي عمّ فضله
إليك على بُعد المزار تطلعت
أرى بمدك الإخوان أبناء علقه
مطاً سقرٍ لا يطعمُ النوم طائبه
بفسطاط مصر حيث جئت محابيه
يمحش بها في الصدر شوق بقاله
لناه ولا يشقى به من يُصَاقِبُهُ
جميلاً يحياه كريعاً ضارثيه
وتجرّ على الورد تجري غواريه
ونمت أياديه وجئت مناقبته
نوازعٍ شوقي ما تردّ هوازبه
لهم نسب في ودهم لا أناسبه

(١) في نسخة « أن خيرني الجهل » وليس بذلك (م)

(٢) يحابر ، وجرم ، وعكل : من قبائل العرب (م)

(٣) في نسخة « قد شمرت حدباء » والحداء : السرعة (م)

(٤) في نسخة « ابن المحتاج » وفي أخرى « ابن البحتاج » (م)

فهل يَرْجَحُنْ عَيْشِي وَعَيْشَكَ مَرَّةً يَنْدَادُ دَهْرٌ مُنْصِفٌ لَا نُمَاتِيهِ
 لَيْلِي أَرْجَى فِي جَنَابِكَ رَوْضَةً وَأَوِّي إِلَى حِصْنِي مَنِيحٍ مَرَاتِيهِ^(١)
 وَإِذَا نَتَيْ كَالشَّهْدِ بِالرَّاحِ صُفْقًا عَاءُ رِصَافٍ صَفَقَتْهُ جَنَابِيهِ^(٢)
 عَنِي وَلِلَّهِ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا كَمَا لَامَتْ صَدْعَ الْإِنَاءِ تَشَابِعِيهِ

فقر وفصول في ممان شقي

قال المتأني : حفظ الطالبين من الدرك ، بحسب ما استمعوا من الصَّخِير .
 بعض الحكماء : الحلم عُدَّةٌ للفسية ، وجُنةٌ من كَيْدِ الماو ، وإنك لن
 تقابل فيها بالإعراض عن قوله إِلَّا أَذَلَّتْ قَسَهُ ، « فَلَّتْ حَذَهُ » ، وسَلَّتْ عليه
 سيوفًا من شواهد جَلِيلِكَ عنه ، فتولوا لك الانتقام منه .
 وقال آخر : العجلة مكسبة للذمة ، مجلبة للنداء ، منفرة لأهل الثقة ،
 مانعة من سداد الرغبة .

وأنى المتأني وهو بالرمي رجلٌ يودعه فقال : أين تريد ؟ قال : بِنَدَادِ ،
 قال : إنك تريد بلداً أصطَلَحَ أهلُه على صحَّةِ العِلَانِيَةِ ، وسَمَّيَ السَّرِيَةِ ، كلُّهم
 يعميطك كله ، ويمنحك قُلُه

وقال يمحي بن خالد لرجل دخل عليه : ما كان خَيْرُكَ مع فلان ؟ قال : قد
 افْتَدَيْتْ مَكَاشِفَتَهُ واشتريت مَكَاشِرَتَهُ^(٣) بألف درهم ، قال يمحي : لا تبرح حتى
 يكتبَ الفضلُ وجنرَ عَنكَ هذا القول .

قال الأصمى : سمعتُ أعرابياً يدعو ، ويقول : اللهم ارزقني عملَ الخائفين ،
 وخَوْفَ العاملين ، حتى أنتم بِقَرِّكَ التَّعَمُّمَ ، رجاءً لما وعدت ، وخوفاً مما أوعدت .
 وللمتأني : أما بدفأته ليس بمستخلص غَضَارَةِ عَيْشٍ إِلَّا من خلال مَكْرُوهِه ،

(١) في نسخة « منيع تراثيه » (م) (٢) صفقاً : خلطاً ، ورصف : جمع رصفة -
 بالتحريك - وهي الحجارة الرصوف بعضها إلى بعض في مسيل للماء ، والجَنَاب : جمع
 جنوب ، وهي الريح التي تقابل ريح الشمال (م) (٣) مكاشرته : معالته بالقبض (م)
 (١٤ - زمر الأداب ٤)

ومن انتظر بمحاجة الدرك مؤاجلة الاستقصاء سلبته الأيام فرصته .

كتب بعض الكتاب إلى أخ له : إن رأيت أن تحدد لي ميماً لأزيارتك ،
أتقوته^(١) إلى وقت رؤيتك ، ويؤنسني إلى حين لقائك ، فعلت إن شاء الله
فأجابه : أخاف أن أعدك وعداً يعترض دون الوفاء به مالا أقدر على
دفعه ، فتكون الحسرة أعظم من الفاقة .

فأجاب للبتدي : أنا أسرموعدك ، وأكون جدلاً^(٢) بانتظارك ، فإن عاق
عن الإنجاز عائق ، كنت قد رجحت السرور بالتوقع لما أحبه ، وأصبت أجرى
على الحسرة بما حرمته .

وكتب أخ^٣ إلى أخ له يستدعيه : أما بعد فإنه من عافى الظماً بفرقتك
استوجب الري من رؤيتك ، والسلام .

وكتب آخر في بابه : يومنا يوم طالب أوله ، وحسن مستقبله ، وأتت
السماء بقطارها ، غلّت الأرض بأنوارها^(٣) ، وبك تطيب الشمول ، ويشفى الغليل ،
فإن تأخرت عنا فرقت شملنا ، وإن تسجلت إلينا نظمت أمرنا .

قال إسحاق اللوصلي : قال لي ثمامة بن أشرس ، وقد أصبت بمصيبة : لمصيبة
في غيرك لك ثوابها ، خير من مصيبة فيك لتبرك أجرها .

ومر عمر بن ذر بابن عياش المنتوف ، وكان سفيه عليه فأعرض عنه ، وتعلق
بشوبه ، وقال : يا هتاه ؛ إنا لم نجد لك جزاء إذ عصيت الله فينا ، خيراً من أن
نطيعه فيك . أخذ من قول عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : ما عاقبت من
عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه .

وكتب بعض الكتاب إلى رئيسه : ما رجائي عدلك بزائد على تأميلي
فضلك . فإنّ أنه ليس خوفي صيالك ، بأكثر من خشيتي نكالك ؛ لأنك

(١) أضوته : أحمله قوتالي (م) (٢) جدلاً : مسروراً (م)

(٣) القطار - كسر القاف - المطر ، والأنوار : جمع نور - بالفتح - وهو نور أثره (م)

لَا تَرْضَىَ لِمَحْسَنٍ بِصَغِيرٍ التَّوْبَةُ ، كَمَا لَا تَقْنَعُ لِلْسَيِّئِ إِلَّا بِمُوجِعِ الْعُقُوبَةِ .
 وقال آخر : مَا عَسَيْتُ أَنْ أَشْكُرَكَ عَلَيْهِ مِنْ مَوَاعِدَ لَمْ تُشَبِّ بِمَطْلٍ ، وَمَرَاثِدَ
 لَمْ تُشْنِ بَمَنْ ، وَعَهْدَ لَمْ يَمَازِجْهُ مَلَقٌ ، وَوُدَّ لَمْ يَشْبِهْ مَذَقٌ .
 وقال آخر : عَلِقَتْ بِهِ أَصْيَابُ الْجَلَالَةِ غَيْرَ مُسْتَشْفِرٍ فِيهَا بِنَخْوَةٍ ، وَتَرَامَتْ لَهُ
 أَحْوَالُ الصَّرَامَةِ غَيْرَ مُسْتَعْمِلٍ مَعَهَا السُّلُوبَةِ ، هَذَا مَعَ دِمَائَةٍ فِي غَيْرِ حَصَرٍ ، وَلَيْلٍ
 جَانِبٍ مِنْ غَيْرِ خَوَرٍ ^(١) .

فصل لابن الرومي : إِنِّي لَوَلِيْتُكَ الَّذِي لَمْ تَزَلْ تَفَادُلْ لَكَ مَوَدَّتُهُ مِنْ غَيْرِ طَمَعٍ
 وَلَا جَزَعٍ ، وَإِنْ كُنْتَ لَدَيَّ رَغْبَةً مَطْلَعًا ، وَلَدَيَّ رَهْبَةً مَهْرَبًا .
 أبو فراس الحمداني :

كَذَاكَ الْإِدَادُ الْمَحْضُ لَا يَرْتَجِي لَهُ نَوَابٌ ، وَلَا يُخْشَى عَلَيْهِ عِقَابٌ
 [بين حنيفة وغيره]

غَزَتْ حَنِيفَةً نَمِيرًا فَاتَّصَفَوْا مِنْهُمْ ، فَقِيلَ لِرَجُلٍ مِنْهُمْ : كَيْفَ صَنَعَ قَوْمُكَ ؟
 قَالَ : اتَّبَعُونِي وَقَدْ أَحْبَبُوا كُلُّهُمْ جَاهِلِيَةَ خِيْفَانَةٍ ^(٢) ، فَاذْهَبُوا بِخِيْفَتِهِمْ [أَخْخَفَ]
 الْمَطَى بِمَوَافِرِ الْخَيْلِ ، حَتَّى لَحِقُوهُمْ ؛ فَجَلُّوا لِلرَّانِ أَرْشِيَةَ الْمَوْتِ ، فَاشْتَقَوْا بِهَا
 أَرْوَاحَهُمْ .

[دعاء]

ودعا أعرابي فقال : اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ رِزْقِي نَائِيًا قَرَّبْهُ ، أَوْ قَرِيبًا فَبَسِّرْهُ ،
 أَوْ مَبْتَرًا فَمَجِّله ، أَوْ قَلِيلًا فَكثِّره ، أَوْ كَثِيرًا فَتَمِّره .

[من رسائل البلغاء]

وكتب عَنبَسَةُ بْنُ إِسْحَاقَ إِلَى الْأَمَوْنِ وَهُوَ عَامِلُهُ عَلَى الرِّقَّةِ ، يَصِفُ خُرُوجَ
 الْأَعْرَابِ بِنَاحِيَةِ سِنْجَارٍ وَعَيْتِهِمْ بِهَا ^(٣) : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَدْ قَطَعَ سَبُلَ الْجِتَانِيزِينَ ، وَعَامَلَهُ عَلَى الرِّقَّةِ

(١) الدَّسَانَةُ : اللَّيْنُ وَالسَّهْوَةُ ، وَالْحَصَرُ - بِالْتَحْرِيكِ - احْتِبَاسُ الْقَوْلِ وَالْمَعْنَى ،
 وَالْخَوَرُ : الْجَبِينُ وَالضَّعْفُ (م) (٢) أَحْبَبَ الْبَعِيرُ : جَلَّ عَلَيْهِ الْحَقْبُ ، وَهُوَ جَبَلٌ يَشُدُّ
 بِهِ الرَّحْلَ ، وَالْجَاهِلِيَةُ - بضم الجيم - النَّاقَةُ الْقَوِيَّةُ الْوُثِيقَةُ ، وَالْخِيْفَانَةُ : السَّرِيعَةُ (م)
 (٣) عَيْتِهِمْ - بِالْفَتْحِ - إِفْسَادُهُمْ (م)

من السليين والمعاهدين ، نَفَر من سُذَّاذ الأعراب الذين لا يرقبون في مؤمنٍ إلا^(١) ولا ذِمَّة ، ولا يخافون من الله حدًّا ولا عقوبة ، ولولا تَقَيَّي سيفِ أمير المؤمنين وحَصَد هذه الطائفة ، وبلوغه في أعداء الله ما يَرُدُّع قاصيهم ودانيهم ، لأَذْنْتُ بالاستنجد عليهم ، ولا بَتَعَثْتُ الخيلَ إليهم ، وأمير المؤمنين مُعَانٌ في أموره بالتأييد والنصر إن شاء الله .

فكتب إليه للأُمون :

أَتَمَّتْ غَيْرَ كَلَامِ السَّعْرِ وَالْبَصْرِ لَا يَقْطَعُ السَّيْفُ إِلَّا فِي يَدِ الْحَذَرِ
سَيَصْبِحُ الْقَوْمُ مِنْ سِنَى وَضَارِيهِ نِثْلَ الْحَشِيمِ ذَرْتَهُ الرِّيحُ بِالْمَطَرِ
فَوَجَّهَ عَنَسَةَ الْبَيْتَيْنِ إِلَى الْأَعْرَابِ ، فَمَا بَقِيَ مِنْهُمْ أَتَان .

وكتب للطلب بن عبد الله بن مالك إلى الحسن بن سهل في رجل توسل به :
طَلَبُ الْبَاقِينَ الْوَسَائِلَ إِلَى الْأَمِيرِ - أَعَزَّهُ اللَّهُ - يُنْهَى عَنْ شُرُوعِ مَوَارِدِ
إِحْسَانِهِ ، وَيَدْعُو إِلَى مَعْرِفَةِ فَضْلِهِ ، وَمَا أَنْصَفَهُ - أَعَزَّهُ اللَّهُ تَعَالَى - مَنْ تَوَسَّلَ
إِلَى مَعْرِفَةِ بَنِيهِ ؛ فَرَأَى الْأَمِيرَ - أَعَزَّهُ اللَّهُ - فِي التَّطَوُّلِ عَلَى مَنْ قَصُرَتْ مَعْرِفَتُهُ
عَنْ ذَلِكَ بِمَا يَرِيدُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ مَوْفَقًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

بين الحسن
بن سهل
والطلب
بن عبد الله

فكتب إليه الحسن : وَصَلَّكَ اللَّهُ بِمَا وَصَلْتَنِي فِي صَاحِبِكَ مِنَ الْأَجْرِ وَالشُّكْرِ ،
وَأَرَاكَ الْإِحْسَانَ فِي قَصْدِكَ إِلَى بَأْمَانِهِ فَرْضًا يَفِيدُكَ شُكْرَهُ ، وَيَقْبَلُ أَجْرَهُ ،
فَرَأَيْكَ فِي إِحْمَامِ مَا ابْتَدَأْتَ بِهِ وَإِعْلَامِي ذَلِكَ مَشْكُورًا .
وَكَانَ لِلطَّلَبِ مَذْحًا كَرِيمًا ، وَقَدْ حَسَدَ دَعْبِلُ شَرَفَهُ وَإِنْمَانَهُ ، وَغِطِبَ إِحْسَانَهُ
وإكرامه ، إذ يقول :

أَنْسَرَبُ نَدَى طَلْحَةِ الطَّلَحَاتِ مَعْتَرِفًا بُلُؤِي مُطْلَبُ فِينَا وَكُنْ حَكَمًا
تَخْلُصُ خِرَازِعُهُ مِنْ لُؤْمٍ وَمِنْ كَرَمٍ فَلَا تَمُدُّ لَهَا لُؤْمًا وَلَا كَرَمًا
وَأَمْرُ طَلْحَةِ أَعْرَفُ مِنْ أَنْ يُوصَفَ .

(١) الإِل - بكسر الهمزة وتشديد اللام - البهيد (م)

وما أبعد قول دجيل من قول البحري لصاعد بن مخلد وأهل بيته :
 بنى تخلدٍ كفوا تدفق جودكم ولا تبحسونا حفظاً في الكلام
 ولا تنصروا مجدى قنان ومخلد بأن تذهبوا عنا بسمة حاتم^(١)
 وكان لنا اسم الجود حتى جلت من تنفضون منا بالخلال الكرائم

[رثاء يزيد بن يزيد]

قال الزبير بن بكار : لما مات يزيد بن يزيد بأرمينية قام حبيب بن البراء
 خطيباً ، فقال : أيها الناس ، لا تنقضوا من مثله وإن كان قليل النظر ، وهبوه
 من صالح دعائكم مثل الذى أخلص فيكم من نواله ، والله ما تمل الديعة المظلة
 في البقرة الجلدة ما علت فينا يده من عدله ونده .

فسرق هذا أبو لبابة [الشاعر] قال :

ما بعة جادها غيث وقرها فازهرت بأقاصي الثبت ألوانا
 أبى وأحسن مما أثرت يده في الشرق والغرب مروقاً وإحسانا

[وقال ابن المبارك يمدح يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة :

وإذا تبايع كريمة أو تشتري فسواك بائنها وأنت المشتري
 وإذا توغرت المسالك لم يكن فيها السبيل إلى نذاك بأوذر^(٢)
 وإذا صمت صنيعة أعمتها يدين ليس نذاها بمكدر
 وإذا همت لثمتيفيك بئائل قال الندى - فأطمت - لك : أكث^(٣)
 يا واحد العرب الذى ما إن لهم من معدك عنه ولا من مقصر [

(١) في نسخة « ولا تنصروا مجدى قنان ومخلد » وفي ديوان البحري « قنان
 وخاله » (م) (٢) توغرت المسالك : صبت وشقت على سالكها ، والندى - بزة
 القى - الجود والكرم (م) (٣) المتنى ، ومثله العاق : طباب المعروف (م)

[من رسائل يدبع الزمان]

كتب البديع أبو عبد الله أحمد بن الحسين بن يحيى : أما أبو فلان فلا شك أن كتابي برّد منه على صدر مَحَا أُنِجِي من صنيفته ، وقطع حَطَّى من وظيفته ، ونَسِيَ اجْتِمَاعَنَا على الحديث والنزل ، وتصرفنا في الجَدِّ والهُزُل ، وتقلبنا في أحوال العيش ، بين الوقار والطيش ، وارتضاعنا تَدَى العشرة ؛ إذ الزمان رقيقُ القشرة ، وتواعدنا أن يلحق أحدنا بصاحبه ، وتصالحنّا من قبل ألا نعرم الحبْل ، وتماهدنا من بعد ألا تنقض العهد ، وكأني به وقد أخذ إخواننا فلا بأس ، فإن كان للجديد لغة فلقد دُمِ حُرْمَةٌ ، والأخوة بُرْدَةٌ لا تضيق بين اثنين ، ولو شاء حاشرنا في البَين ، وكان سألني أن أرتاد له ^(١) منزلاً ماؤهُ رَوَى ، ومرعاه غَذَى ، وأُكاتبه لِيُنْهَضَ إليهِ راحلته ؛ فهاك نيسابور ^(٢) ضالّته التي نشدتها وقد وجدتها ، وخراسان أمنيته التي طلبتها وقد أصبّتها ، وهذه الدولة بقيته التي أَرادها وقد وردتها ، فإن صدقني رائداً ، فليأتني قاصداً .

وله إلى بعض إخوانه يعزبه عن أبيه : وصلت رفعتك ياسيدي والمصاب لمر الله كبير ، وأنت بالجزع جدير ، ولكنك بالزهاد أجدر ، والصبر عن الأحبة رشد كأنه النى ، وقد مات لليت فليخى الحى ، والآن فاشدّد على مالك بالعس ، فانت اليوم غيرك بالأمس ، وكان الشيخ رحمه الله وكيلك ، تضحك ويبيك لك ، وقد موّلت ما ألف في سراهِ ^(٣) وسيره ، وخلفك قدراً إلى الله غنياً عن غيره ، وسيمجّمُ الشيطان عودك ، فإن استلّك رماك بقوم يقولون : خيرُ المال ما أتاف بين الشراب والشباب ، وأغنى بين الحَبَاب ^(٤) والأحباب ، والعيش بين القِداح والأقداح ^(٥) ، ولولا الاستمال ، ما أريد المال ! فإن أطمتهم فاليوم في الشراب ، وغداً في الخراب ، واليوم وأطرباً لكأس ، وغداً وأحرباً من

(١) أرتاد: أطلب (م) (٢) في نسخة « فهاهي نيسابور » (م)

(٣) في نسخة « ما ألف من سراهِ » (م) (٤) الحباب - بفتح الحاء - وهي

نشاخات الماء (م) (٥) القداح : أراد بها قِداح البسر . والأقداح : أراد بها

كؤوس الخمر ، يعنى ضيع المال بين المقامرة والسكر (م)

الإفلاس ، ياملأى ذلك لخارج من العود يسميه الجاهل فقرًا ، ويُسميه العاقل فقرًا . وكذلك المسوع في الناي ، هو في الآذان زمرٌ ، وفي الأبواب سُرٌّ ، فإن لم يجد الشيطان مغزاً في عودك من هذا الوجه ، رماك بقوم يمتلئون الفقرَ حذاء عينيك ، فتجاهد قلبك ، وتحاسب بطنتك ، وتناقش عرسك^(١) ، وتمنع نفسك ، وتتوقى دنياك بوزرك ، وتراه في الآخرة في ميزان غيرك ، لا ، ولكن قصداً بين الطريقين ، وميلاً عن الفريقين ، لا تمنع ولا إسراف ، والبخل فقرٌ حاصر ، وضربٌ عاجل ، وإعما يبخلُ المرء خيفة ما هو فيه .

ومن ينفق الساعات في جمع ماله مخافة فقرٍ فالذى صنع الفقرَ وليكن لله في مالك قسم ، وللروء قسم ؛ فصل الرحم ما استطعت ، وقدر إذا قطعت ، فلأن تكون في جانب التقدير ، خيرٌ من أن تكون في جانب التبذير .

وله إلى رئيس عناية برجل : كتابي أظال الله بقاء الرئيس ، والكاتب مجهول ، والكتاب فضول ، وبحسب الرأي موقعه ، فإن كان جليلاً فهو تطوُّل ، وإن كان شيناً فهو تقوُّل ، وأية سلك الظنّ فله - أيده الله تعالى - المنّ ، من نيسابور عن سلامة شاملة نسأل الله تعالى ألا يُلهينا بسكرها ، عن شكرها ، والحمد لله رب العالمين . يقول الشيخ - أيده الله تعالى : من هذا الرجل ؟ وما هذا الكتاب ؟ فأنا الرجلُ مخاطِبٌ وذو أولاد ، وموصل شكر ثانياً ؛ وأما الكتابُ فليحام أرحام الكرام ؛ فإن يُمن الله الكرامَ تنصّل الأرحام . هذا الشريف قد حاربَ زمانُ السوء ؛ فأخرجه من البيت القى . بلغ السماء مفخراً ، ثم طلب فوقه مظهرًا^(٢) ؛ وله بعدُ جلالةُ النسب ، وطهارةُ الأخلاق ، وكرمُ التقدُّ ، وحضرتي فسألته عما وراه ، فأشار إلى ضالّة الأحرار ، وهو الكرم مع اليسار ،

(١) عرس الرجل - بكر العين وسكون الراء - زوجه (ر)

(٢) هاتان الفقرتان مأخوذتان من قول الناجية الجمدي :

بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا وإنما لبغى فوق ذلك مظهرنا

وَنَجَّهَ عَلَى قَيْدِ الْكِرَامِ ، وَهُوَ الْبِشْرُ مَعَ الْإِنْسَامِ ، وَحَدَّثَ عَنْ بَرْدِ الْأَكْبَادِ ،
 وَهُوَ مُسَاعِدَةُ الزَّمَانِ لِلْجَوَادِ ، وَدَلَّ عَلَى نِزْهَةِ الْأَبْصَارِ ، وَهُوَ التَّرَاءُ ، وَمُنْتَمَةُ
 الْأَسْمَاعِ ، وَهُوَ الثَّنَاءُ ، وَقَلْبًا اجْتَمَعَا ، وَعَزَّ مَا وَجِدَا مَعًا . وَذَكَرَ أَنَّ الشَّيْخَ
 الرَّئِيسَ - أَيْدَهُ اللَّهُ - جَاءَ هَذِهِ الْخَيْرَاتِ ، وَسَأَلَنِي الشَّهَادَةَ لَهُ ، وَبَذَلَ
 الْخَطْبَ بِهَا ، فَضَلَّتْ ، وَسَأَلْتُ اللَّهَ لِعَاقِبَتِهِ عَلَى هِمَّتِهِ ؛ فَرَأَى الشَّيْخَ - أَيْدَهُ اللَّهُ
 تَعَالَى فِي الْوُقُوفِ عَلَى مَا كَتَبْتُ ، وَفِي الْإِجَابَةِ - إِنْ نَشِطَ - الْمَوْقِفَ إِنْ
 شَاءَ اللَّهُ

وَلَهُ إِلَى ابْنِ أُخْتِهِ : وَصَلَ كِتَابُكَ بِمَا ضَمَّنْتَهُ مِنْ تَفَاهُرٍ نِمَ اللَّهُ عَلَيْكَ ، وَعَلَى
 أَبِيكَ ، فَسَكَنْتَ إِلَى ذَلِكَ مِنْ خَالِكَ ، وَسَأَلْتُ اللَّهَ بِقَاءَكَ ، وَأَنْ يَرْزُقَنِي
 لِقَاءَكَ ، وَذَكَرْتُ مَصَابِكَ بِأَعْيُنِكَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، فَكَأَنَّمَا فَتَتْ عَضْدِي ،
 وَطَقَنْتَ فِي كَبْدِي ، فَقَدْ كُنْتَ مَعْتَصِدًا بِمَكَانِهِ ، وَالْقَدْرُ جَارٍ لِشَانِهِ ، وَكَذَلِكَ
 الْمَرْءُ يَدْبُرُ ، وَالْقَضَاءُ يَدْبُرُ ، وَالْأَمَالُ تَنْقَسِمُ ، وَالْأَجَالُ تَبْتَسِمُ ، فَاللَّهُ يَجْعَلُ لَكَ
 فَرَحًا ، وَلَا يُرِيْنِي فِيكَ سُوءًا أَبَدًا ، وَأَنْتَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَارِثُ عَمْرِهِ ، وَسَدَادُ
 تَفَرُّهِ ، وَنَيْمُ الْيَوْمِ بَقَاؤُكَ .

إِنَّ الْأَشْيَاءَ إِذَا أَصَابَ مُشَدِّبًا مِنْهُ أَتَمَّهَلَ ذُرًّا وَأَثَّ أَسَافِلًا^(١)
 وَأَبُوكَ سَيِّدِي أَيْدَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَالْهَمُّ الْجَمِيلُ ، وَهُوَ الصَّبْرُ ، وَأُنَالَهُ الْجَزِيلُ ،
 وَهُوَ الْأَجْرُ ، وَأُنْتَمُّهُ بِكَ طَوِيلًا ، فَمَا سُوءَتْ بَدِيلًا ، وَأَنْتَ وَلَدِي مَا دُمْتُ
 وَالْعِلْمُ شَانُكَ ، وَالْمَدْرَسَةُ مَكَانُكَ ، وَالْهَفَرُ نَدِيْعُكَ ، وَإِنْ قَصُرْتُ ، وَلَا إِخَالُكَ ،
 فَخَيْرِي خَالِكَ .

وَلَهُ مِنْ كِتَابٍ إِلَى أَبِي الْقَاسِمِ الدَّوْدِيِّ بِسَجِسْتَانَ :
 كِتَابِي - أَطَالَ اللَّهُ بِقَاءِ الْفَقِيهِ - كِتَابٌ مِّنْ يَنْسِي الْأَيَّامَ وَتَذَكُّرِهِ ، وَيَطْوِيهَا
 (١) الْأَشْيَاءُ - بَزَنَةُ السَّحَابِ - صَخَارُ النَّحْلِ ، وَالْمَشْنَبُ : الَّذِي يَقَطْعُ الْقَشُورَ
 وَالْعِيدَانَ الْمُتَفَرِّقَةَ مِنَ الشَّجَرِ ، وَأَتَمَّهَلَ : اعْتَدَلَ وَاتَّصَبَ ، وَالذَّرَا : الْأَعَالَى ، وَأَثَّ :
 التَّفَّ وَكَثُرَ (م)

وتنشُرهُ ، ويبيد أبناء دهره ، وراء ظهره ، ويخرج أهل زمانه ، من ضيانه ، فإذا تناولهم بيمناه ، وتسلمهم بيسراه ، أقسم أن صَفَقَتَهُ هِيَ الرَّابِحَةُ ، وكَفَّتَهُ هِيَ الرَّابِحَةُ ، وأنا - أيد الله الفقيه - على قُرْبِ العهد ، بالمهد ، قد قطعت عَرْضَ - الأرض ، وعاشرت أجناس الناس ، فما أحدٌ إلا بالجهل اتبعت ، وبالخبرة بفتته ، وبالظن أخذته ، وباليقين نبذته ، وما أحدٌ وضعته في أحد إلا ضيعته ، ولا مدحٌ صَرَفْتُهُ إلى أحد إلا غربته ، ومن احتاج إلى الناس ، وزَهَنَهم بالقسْطِاسِ ، ومن طاف نصف الشرق ، فقد لاقى رُبْعَ الخلق ، ومن لم يجد في النصف لَمَحَّةَ دَالَّةٍ ، لم يجد في الكل غَرَّةَ لَأَمَةٍ ، وكان لنا صديقٌ يقول : إن عشت تسعين عاماً مت ولم أملك ديناراً ؛ لأنني قد عشت ثلاثين ولم أملك ثلثها ، وهذا امرئ يأس ، يُوجِبُهُ قِياس ، وقنوط ، بالحجة منوط ، ودُعَابَةٌ ستكون جيداً ، ووراء هذه الجملة مَوْجِدَةٌ على قوم ، وعَزَبَةٌ إلى يوم ، والأمير السيد واسعٌ مجال الهمم ، ثابتٌ مكان القدم ، وأنا في كَفَنِهِ صائبٌ سَهْمُ الأمل ، وأفِرُّ الجذل ، والمحمد لله على ما يؤليه ، ويؤلينا تَقْشِرُ مَوَالِيهِ ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وذُرِّيَّتِهِ .

وله إلى إبراهيم بن حمزة خادم الأستاذ الجليل : قد أتبع قدمته ، إلى الخِدْمَةِ قلته ، وأتلى لساعة ، في الحاجة بناءً ، وقد كان استأذنه في توفير هذا اليوم في مجلس السيد الجليل فأذن له على عادته السليمة ، وشيئته القويمة ، ومن وجد كَلَامَ رَجُلٍ ^(١) ، ومن صادف غيثاً انتجع ^(٢) ، ومن احتاج للحاجات سأل ، وبقي أن يشفع الأستاذ الجليل بإزاء الحوض عَقْرَةٍ ^(٣) ، وينظم إلى رَوْضِ الإحسان مطره ، ويطرز أُنْتَسَا بأبي فلان ؛ فقد وُصِفَ لي حتى حننت شوقاً إليه . ووجدنا به ، وشققاً له ، وغفوا فيه ، ورأيت في الإصفاء إلى الكرم عالٍ ، إن شاء الله تعالى .

(١) الكلاء - بوزن الجبل - العشب رطبه ويابسه ، وترع : رمى (م)

(٢) الانتجاع : طلب الرعى (م)

(٣) العنر - بوزن الجبل - وجه الأرض ، وأوله سقية سقيها الزرع (م)

[من مقامات بلع الزمان]

للقامة
السجستانية

ومن إنشائه في مقامات أبي الفتح السكندري :

حدَّثنا عيسى بن هشام قال: حدَّثني إلى سجستان أرب^(١)، فالتصت مطيَّته،
وامتطيَّت مطيَّته، واستعزَّت الله تعالى في العزمِ حدوُّته أُمَامِي، والحزمِ جعلته
قدَامِي، حتى هداني إليها، ووافيت دُرُوبَهَا^(٢)، وقد وافت الشمس غُرُوبَهَا، واتفق
الميتُ حيثُ انتهت؛ ولما انتفى نَسلُ الصباح، وبرز جبينُ الصباح، مضيتُ إلى
السوق أتمخِّد منزلاً، فحيث انتهتُ من دائرة البلد إلى مُقطَّعها، ومن قلادة السوق
إلى واسِطِها، خرَقَ تَمَيُّ صوتُ له من كلِّ عِرْقٍ معنى، فانتجيتُ وَفْدَهُ، حتى
وقفتُ عنده؛ فإذا رجلٌ على فرسه، محتقنٌ بِنَفْسِهِ، قد ولَّاني قَدَالَهُ وهو يقول: من
عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أعرفُه بنفسِي، أنا با كورةَ الين، أنا أحدثُ
الزمن، أنا أدعيَّةُ الرجال، وأحجِّيَّةُ ربَّاتِ الحِجَالِ^(٣)، سلُوا عني الجبالَ وخُزُونَهَا،
والبهارَ وعيُونَهَا، والخليلَ ومتُونَهَا، مِن الذي ملكَ أسوارها، وعرفَ أسرارها،
ونهبَ تَمَتُّهَا، وولجَ حَرََّتَهَا؟ وسلوا اللوكَ وخزائنَهَا، والأغلاقَ ومعادِنَهَا،
والعلومَ وبواطِنَهَا، والخطوبَ ومَقَالِقَهَا، والحروبَ ومضايِقَهَا، مِن الذي أخذَ
مَحَرَّتَهَا، ولم يؤدِّ ثَمَنَهَا؟ ومن الذي ملكَ مَفَاتِحَهَا، وعرفَ مَصَالِحَهَا؟ أنا والله فملتُ
ذلك، وسفرتُ بين اللوكِ الصَّيدَ، وكشفتُ أعتارَ الخطوبِ الشود. أنا والله
شهدتُ حتى مصارعَ المُشاقِّ، ومِرِضتُ حتى رَمَضِ الأُحداقِ، وهَمَّرتُ
الفصونَ الناجعاتِ، وجنَّيتُ جنَى الخلدودِ للورْدَاتِ، وفَرَّرتُ عن الدنياتِ نفورَ
طبعِ الكريمِ عن وجوه اللثامِ، ونَبَوْتُ عن المحرماتِ نبوَّ سمعِ الشريفِ عن
قبيحِ الكلامِ، والآلَ لما أسفرَ صُبْحُ الشَّيبِ، وعَلَّنتُ أُنْبَهةَ الكِبَرِ، عمَدتُ

(١) حداني: بشئ، والأرب - بالتحريك - الحاجة (م)

(٢) الدروب: جمع درب، وأصله الطريق الموصل إلى بلاد الروم (م)

(٣) الأدعية والأحجية: الكلام الذي يخالف معناه لفظه (م)

لإصلاح أمر المعاد ، بإعداد الزاد ، فلم أر طريقاً أهدي إلى الرشاد مما أنا سالكه ،
يراني أحدكم راكب فرس وهووس^(١) ، فيقول : هذا أبو الجب ، لا ، ولكني
أبو المعائب ، عابقتها وعابقتها ، وأم الكبار فابستها وقاسمتها ، وأخو الأغلاق ،
صعباً أخذتها ، وهونا أضمتها ، وغالياً اشتريتها ، ورخيماً يبتها ؛ فقد والله سميت
لما للواكب ، وزاحمت الناكب ، ورعيت الكواكب ، وأنصيت الركائب ،
ولا من عليكم ، فما حصلت إلا لأمرى ، ولا أعدتها إلا لنفسى ، لكني دُفِيتُ
إلى مكاره نذرتُ معها ألا أدخِرَ عن المسلمين نفقها ، ولا بد لي أن أخلع ربقة
هذه الأمانة من عنقي إلى أعناقكم ، وأعرض دوائى هذا فى أسواقكم ، فليشتره
منى من لا يتقزز من موقف العبيد ، ولا يأنف من كلمة التوحيد ، وليصنعه من
أنجبت جدوده ، وسقى بلقاء الطاهر عوده .

قال عيسى بن هشام : فذرت إلى وجهه لأعلم علمه ، فإذا شيخنا أبو الفتح
الإسكندري ، وانتظرت إجفال النعامة بين يديه ، ثم تعرضت قلت : كم يحل
دوايك هذا ؟ قال : يحل الكيس ما مست الحاجة ؛ فانصرفت وتركته .

ومن إنشائه فى هذا الباب : حدثنا عيسى بن هشام قال : بينا أنا بمدينة القامة القردية
السلام ، فأفلا من البيت الحرام^(٢) ، أأميس مئس الرجل^(٣) ، على شاطئ الدجلة ،
أناأمل تلك الطرائف ، وأنقص تلك الزخارف ، إذ انتهيت إلى حلقة رجال
مزدحمين ، يلوى الطرب أعناقهم ، ويشق الضحك أشداقهم ، فساقى الحرس
إلى ما ساقهم ، حتى وقفت بمستمع صوت رجل دون مرأى وجهه ، لشدة
الهجمة ، وقرط الزحمة ، وإذا هو قراد يرقص قرده ، ويضحك من عنده ،
فرقص رقص المخرج ، وسرت سير الأرج ، فوق أعناق الناس ، يلفظنى
عائق هذا لمرّة ذاك ، حتى افترشت ليحية رجلين ، وقعدت بين اثنين ، وقد

(١) فى المقامات « راكب فرس ، ناز هووس » (م)

(٢) مدينة السلام : بغداد ، وقافلا : راجعا (م)

(٣) أميس : أبتقر ، والرجلة : ضرب من القول يقال له « البقة الحقاء » (م)

أشرفني الخجل بريقه ، وأرهقني المكان لضيقه ، فلما فرغ القراءُ من شغلهم ،
وانتفض المجلس عن أهله ، قت وقد كاسى الرّيب حُلته ، ووقفت لأرى صورته ،
فيذا أبو الفتح الإسكندري ، قلت : ما هذه الدناءة ؟ ويحك ! فقال :

الذنبُ للأيام لَا لي فاعْتَبِ على صَرْفِ اللَّيالي
بالْحَقِّ أدرَكْتُ اللَّيَّ ورَقَلْتُ في تَوْبِ الجال

ولمن إنشائه في هذا الباب أيضاً : حدثنا عيسى بن هشام قال : كنت
بأصفهان أعزّم المسير إلى الرّمي ، فغلّتها حلولَ اللَّيِّ^(١) ، أتوقع الثّقلة كلّ لَمَحَةٍ ،
وأترقب الرّحلة كلّ صَبْحَةٍ ؛ فلما حُمّ ما توقّعت ، وأزِف ما ترقيته ، نُودِيَ
للصلاة نداءً سمعته ، وتمنّيتُ فرضُ الإجابة ؛ فانسلّلتُ من بين الصحابة ، أغنم
الجماعة أدركها ، وأخشي فواتَ القافلة أتركها ، لكنني استعنتُ ببركة الصلاة ، على
وَعَثَاءِ القَلَاةِ ؛ فصِرْتُ إلى أول الصفوف ، ومثلتُ للوقوف ، وتقدّم الإمام
للمحرّاب ، وقرأ فاتحة الكتاب ، [وثنّى بالأحزاب^(٢)] ، بقراءة حمزة ، مدّة وهمزة ،
وأتبع الفاتحة بالواقعة ، وأنا أتصلّ بِنار الصبر واتصلّب ، وأنقلّي على جبر النفيظ
وأنقلب ، وليس إلا السكوت والصبر ، أو الكلامُ والقبر ، ليأعرفت من خشونة
القوم في ذلك المقام ، أن لو قطعتُ الصلاة دون السلام ، فوقفتُ بقَدَمِ الضرورة
على تلك الصورة ، إلى انتهاء السورة ، وقد قنطُت من القافلة ، ويَبَسْتُ من
الراحلة ، ثم حتى قَوَّسَ للركوع ، بنوع من الانشوع ، وضرب من الخضوع ،
لم أعجزه قبل ذلك ، ثم رفع رأسه ويده ، وقال : سَمِعَ اللهُ مِنّ حمد ، وقام ،
حتى ما شككتُ أنه نام ، ثم أكبّ لوجهه ، فرضت رأسي أنتهز فرصة ،
فلم أر بين الصفوف فرجة ، فشدتُ للسجود ، حتى كبر للعود ، وقام للركعة
الثانية ، وقرأ الفاتحة والقارعة ، قراءة استوفى فيها عُمَرُ الساعة ، واسترقّ أرواح

(١) النّي : الظل ، وأصله النّي - بالمحز - فسهل المحز (م)

(٢) هذه الكلمة ليست في القامات ، والصواب تركها ؛ لأنه سيقول بعد ذلك
، وأتبع الفاتحة بالواقعة « (م)

الجماعة ، فلما فرغ من ركعتيه ، مال للتحية بأخذه عليه ، قفلت : قد قُربَ الفرج ،
وآن المخرج ، قدام رجل فقال : مَنْ كان منكم يحبُّ الصحابة والجماعة ، فلْيُغْرِزْني
تَمَمَّةَ ساعة .

قال عيسى بن هشام : فَلَزِمْتُ أَرْضِي ، صِيَانَةَ لِعَرْضِي ، فقال : حَقِيقَ عَلَى
أَلَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ، قد جِئْتُكُمْ بِبَشَارَةٍ مِنْ نَبِيِّكُمْ ، لَكُنِّي لَا أُؤَدِّيْهَا
حَتَّى يَطْهَرَ اللَّهُ هَذَا الْمَسْجِدَ مِنْ نَذْلٍ جَدِّ نُبُوَّتِهِ ، وَعَادَى أُمَّتِهِ .

قال عيسى بن هشام : فَرَبَطْنِي بِالْقِيُودِ ، وَشَدَّنِي بِالْجَبَالِ الشُّوَدِ ، ثُمَّ قَالَ :
رَأَيْتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [فِي اللَّيْلِ] كَالشَّمْسِ تَحْتَ الْغَمَامِ ، وَالدُّرِّ لَيْلَةِ الْتَمَامِ ،
يَسِيرُ وَالنَّجْمُ يُتَبَّعُهُ ، وَيَسْحَبُ الذَّنْبِيلَ وَالْمَلَأْسَكَةَ تَرْفَعُهُ ، ثُمَّ عَلَنِي دَعَاءَهُ ،
وَأَوْصَانِي أَنْ أُعَلِّمَ ذَلِكَ أُمَّتَهُ ، وَقَدْ كَتَبْتُهُ فِي هَذِهِ الْأَوْرَاقِ بِخَلْقٍ ^(١) وَمَسَكٍ ،
وَزَعْفَرَانٍ وَسُكٍّ ؛ فَمَنْ اسْتَوْهَبَهُ مِنِّي وَهَبْتُهُ ، وَمَنْ أَعْطَى ثَمَنَ الْقِرْطَاسِ أَخَذْتُهُ .
قَالَ عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ : فَأَنْتَأَلَّتْ عَلَيْهِ الدَّرَاهِمُ ، حَتَّى حَبَّرْتُهُ ؛ وَنَظَرْتُ فَإِذَا
شَيْخُنَا أَبُو الْفَتْحِ الْإِسْكَانْدَرِيُّ ، قُلْتُ : كَيْفَ اهْتَدَيْتَ إِلَى هَذِهِ الْحِيلَةِ ؟ وَمَتَى
انْدَرَحْتَ فِي هَذِهِ الْقَبِيلَةِ ؟ فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

النَّاسُ حُمْرٌ فَجَوَّزَ وَأَبْرَزَ عَلَيْهِمْ وَبَرَزَ
حَتَّى إِذَا نَلَتْ مِنْهُمْ مَا تُشْبِهُ قَفَرَوَزَ ^(٢)

[جَارِيَةٌ ذَاتُ أَدَبٍ وَجَالِ تَبَذَّ أَبْنَاءَ الْخُلَفَاءِ]

وَصَفَتْ لِمِدِّ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ جَارِيَةً لِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ ذَاتُ أَدَبٍ وَجَالِ ،
فَسَاوَمَهُ فِي ابْتِيَاعِهَا ، فَامْتَنَعَ وَامْتَنَعَتْ ، وَقَالَتْ : لَا أُحْتَاجُ لِلْخَلَاقَةِ وَلَا أَرْغُبُ فِي
الْخُلَيفَةِ ، وَالَّذِي أَنَا فِي مَلِكِهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْأَرْضِ وَمَنْ فِيهَا . فَلَمَّا ذَلِكَ
عَبْدُ الْمَلِكِ فَأَغْرَاهَا بِهَا ؛ فَأَضْفَ الثَّمَنَ لِصَاحِبِهَا وَأَخَذَهَا قَسْرًا ، فَمَا أُعْجِبُ بِشَيْءٍ

(١) الخلق - بفتح الخاء - صرب من الطيب ، والسك - بضم السين - مثله (م)

(٢) فروز الرجل - بوزن دحرج - مات (م)

إحياه بها ، فلما وصلت إليه ، وصارت في يديه ، أمرها بلزوم مجلسه ، والقيام على رأسه ؛ فبينما هي عنده ، ومعه ابنتاه الوليد وسليان ، قد أخلاهما للذاكرة - فاقبل عليهما فقال : أي بيت قالته العرب أمدح ؟ فقال الوليد : قول جرير فيك :

أَلَسْتُ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ اللَّطَايَا وَأَنْذَى السَّالِمِينَ طُغُونٌ رَاحِرٌ
وقال سليان : بل قول الأخطل :

شُمْسُ الدَّاءِ حَتَّى يُسْتَقَادَ لَمْ وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَحْلَامًا إِذَا قَدَرُوا
فقال الجارية : بل أمدح بيت قالته العرب قول حسان بن ثابت :

يُفْشُونَ حَتَّى مَا تَهَرَّ كَلَابُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الثَّقِيلِ
فأطرق ، ثم قال : أي بيت قالته العرب أرق ؟ فقال الوليد : قول جرير :
إِنَّ الْعِيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوَرٌ قَتَلْنَا نَمَّ لَمْ يُحْيِينَ قَتَلْنَا
فقال سليان : بل قولُ عمر بن أبي ربيعة :

حَبِذَا رَحْمَتَا يَدَيْهَا إِلَيْهَا مِنْ يَدَيِ دِرْعِهَا تَحُلُ الْإِزَارَا
فقال الجارية : بل بيت يقوله حسان :

أَوْ يَدِبَ الْحَوْلَى مِنْ وَلَدِ الذَّرِّ عَلَيْهَا لَا نَذْبَتْهَا الْكُلُومُ^(١)
فأطرق ، ثم قال : أي بيت قالته العرب أشجع ؟ فقال الوليد : قول عنتره :
إِذْ يَقْعُونَ بِيَ الْأَسْنَةِ لَمْ أَحْمِ عَنْهَا ، وَلَوْ أُنَى تَصَاقٍ مَقْدَى^(٢)
فقال سليان : بل قوله :

وَأَنَا الْمَنِيَّةُ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا قَالُوا مَنِ سَابِقِ الْأَجَالِ
فقال الجارية : بل بيت يقوله كعب بن مالك :

نَصِلَ السِّیُوفُ إِذَا قَصُرْنَ بِحُطُونِنَا قُدَمَا وَنَلَحَتْهَا إِذَا لَمْ تَلْحَقِ
فقال عبد الملك : أحسن ، وما نرى شيئا في الإحسان إليك أبْلَغَ مِنْ رَدِّكَ

(١) أندسها . حرحنها ، والكُلُوم : جمع كلم ، وهو الجرح (م)

(٢) لم أحم : لم أجبن . ولم أنكل ، ولم أحجم (م)

إلى أهلك . فأجل كسوتها ، وأحسن صلتها ، وردّها إلى أهلها .

ومثل قول كعب بن مالك قول نَهْشَل بن حَرْي :

إنا بني نَهْشَل لا ندعى لأبٍ عنه ، ولا هو بالأبناء يَشْرِينَا
 إن تُبْتَدِرْ غايَةً يوماً لمكرمةٍ تَلَقَّ السوابقُ منا والمُصَلِّينَا
 إنا لَمِنْ معشرٍ أَفْنَى أوائلهم قولُ الكِثَاةِ : ألا أين المحامونا
 لو كان في الألفِ منا واحدٌ فدَعَا مَنْ قارسٌ خالَهم إِياءُ يَمْنُونَا
 إذا الكِثَاةُ تَأَبَّوْا أن يَنالهم حَدُّ السِيفِ وصلناها بأيدينا^(١)
 إما أردت هذا البيت .

وقوله : * لو كان في الألفِ منا واحد * أخذه من قول طَرَقَةَ بن العبد :
 إذا القومُ قالوا مَنْ فَتَى خِلْتُ أنِّي عُنَيْتُ فلم أَكُنْ ولم أتَبَلِّدِ

[نَهْشَل بن حَرْي]

وكان نهشل شاعراً ظريفاً ، وهو نَهْشَل بن حَرْي بن ضَمْرَةَ بن جابر بن
 قَطَن بن نَهْشَل بن دارم ، وكان اسم جده ضَمْرَةَ هذا : شِقَّة ، ورد على النعمان بن
 النذر فقال : من أنت ؟ قال : أنا شِقَّة ، وكان قضيئاً^(٢) نحيفاً دميماً ، فقال له النعمان :
 نَسَمُ بالمعدي لا أن تراه ، والمعدي : تصغير المعدي ، فذهبت مثلاً ، قال :
 أبيتُ الله ! إن الرجال لا تُسْكَالُ بالقفزان ، وليست بمُسْوَكٍ^(٣) يُسْتَقَى بها من
 القُدْران ، وإنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه ، إذا نطق نطق ببيان ، وإذا قاتل
 قاتل بجنان ، قال : أنت ضَمْرَةَ ! ونَهْشَل هو القاتل :

وَيَوْمَ كَانَ الْمُضْطَلِّينَ بِحَرْيٍ وإن لم يكن جَرُّ قِيَامٍ على الجِرِ
 أَقْبَاهُ حَتَّى تَعْلَى ، وَإِنَّا نُفَرِّجُ أَيَّامَ الْكَرْبَةِ بِالصَّبْرِ

(١) الذي أحفظه عن الحماسة وإذا الكِثَاةُ تسبّحوا أن يصيبهم * حد الطلبة (م)

(٢) القضيئ : النحيف (م) (٣) مسوك : جمع مسك - بالفتح - وهو الجلد (م)

[أثر الشعر]

وكان عبدُ الملك يقول : يا بنى أُمية ، أحسابُكم أعراضُكم ، لا ترضوها
على الجهال ، فإنَّ الدَّمَّ باقٍ ما بقى الدهر ؛ والله ما سرَّنى أنى هُجيت بيت
الأعشى ، وأن لى طلاعَ الأرضَ ذَهَباً ، وهو قوله فى علقمة بن عُلَامة :

يبيتون فى المَشَى ملاء بطونهم وجاراتهم غَرَنى يَبِيتَنَ خائفا
والله ما يُبَالُ من مُدح بهذين البيتين ألا يُمدح بغيرها ، وما قول زهير :
هناك إن يُسْتَخْبَلُوا اللالُ يُخْفَلُوا وإن يُسْأَلُوا يَسْطَلُوا وإن يُنْشِرُوا يُنْفَلُوا^(١)
على مُكْثَرِهِمْ حَقٌّ من يَمَقَرِهِمْ وعند القَلْبِ السَّحابة والْبَذَلُ
وقال ابنُ الأعرابى : أمدحُ بيتَ قاله المحدثون قولُ أبى نواس :
أخذتُ بِجَبَلٍ من حبالِ عميدٍ أَمِنْتُ به من طارقِ الحَيَّانِ
[تغطيت من دهرى بظل جناحه فمضى ترى دهرى وليس يرانى
فلو تسأل الأيامُ عَنى ما دَرَّتْ وأين مكافى ما عَرَفَنَ مكافى

وهذا كقول أعرابى ، ذكر بعضُ الرواة أن مالك بن طوفٍ كان جالساً فى
بَهْوٍ مطلق على رجبته ومعه جساؤه ، إذ أقبل أعرابى تخبَّ به ناقته ، فقال : إياى
أراد ، ومحمى قصد ، ولعل عنده أدباً يُنتفع به . فأمر حاحه بإدخاله ، فلما مثل بين
يديه قال : ما أقدمك يا أعرابى ؟ قال : الأمل فى شَيْبِ الأمير والرحاء لئانه^(٢) .
قال : فهل قَدِمْتَ أمامَ رغبتيك وسيلة ؟ قال : نعم ، أربعة أبيات قلتها بظهر البرية ؛
فلما رأيت ما يباب الأمر من الأهبة والجلالة أستصغرتها ، قال : فهل لك أن
تنشدنا أبياتك ؟ ولك أربعة آلاف درهم ، فإن كانت أبياتك أحسن فقد ربحتنا
عليك ، و إلا قد نلتَ مرادك وربحتَ علينا ، قال : قد رضيت ، فأنشده :

(١) يستخبلوا اللال : يطلب إليهم أن يعمروا إليهم ليشرب المستعير ألبانها
ويستمتع بأوبارها . ويسيروا : يدخلوا فى لب الميسر (م)

(٢) الشيب : العطاء ، ومثله النائل (م)

وما زلتُ أخشى الدهر حتى تملقت يداي بمن لا يَتَّقِي الدهرَ صاحِبُهُ
فلما رَأَى الدهرَ تحت جناحه رَأَى مُرْتَقَى صِبا مُنِيعاً مُطالِبُهُ
وأنى بِمِثِّ النَجْمِ في رَأْسِ باذْخِرِ تُظَلُّ الوَرَى أَكْثافُهُ وَجِوَانِبُهُ
ففى كِساءِ النِيتِ والنَّاسُ حَوْلَهُ . إذا أَجْدَبُوا جَادَتْ عَلَيْهِمُ سَحَابُهُ

قال : قد ظفَرنا بِكَ يا أعرابي ، والله ما قِمتُها إلا عِشرةَ آلافِ درهم .
قال : فإن لى صاحِباً شارَكَته فيها ما أراه يَرْضَى بِيهِ ، قال : أَتراك حَدَّثْتَ نَفْسَكَ
بِالنَّكْثِ ؟ قال : نعم ، وَجَدْتُ النَّكْثَ في البَيْعِ أَيْسَرَ من خِيانةِ الشَّرِيكِ ،
فَأَمَرَ لَهُ بِهَا .

[أَنصَفَ بَيْتَ ، وَأَصْدَقَ بَيْتَ]

وَأَنصَفُ بَيْتٍ قَالَتْهُ الْعَرَبُ قَوْلُ حَسَنِ بْنِ ثَابِتٍ لِأَبِي سَفْيَانَ بْنِ الْحَارِثِ فِي
جَوَابِهِ عَمَّا هَجَا بِهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَرَوَى مُحَمَّدُ بْنُ عِمْرَانَ عَنْ أَبِيهِ
قَالَ : أَشَدُّ النَّهْيِ حَسَنُ بْنُ ثَابِتٍ قَوْلُهُ :

هَجَرْتُ مُحَمَّدًا ، فَأَجَبْتُ عَنْهُ وَعَبَدْتُ اللَّهَ فِي ذَلِكَ الْجَزَاءِ
قَالَ النَّهْيُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : جَزَاؤُكَ الْجَنَّةَ يَا حَسَّانَ .

فلما انتهى إلى قوله :

فَإِنْ أَبَى وَوَالِدَهُ وَعَرْضِي لِيَرْضَى مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاهُ
قال النَّهْيُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : وَقَالَ اللَّهُ حَرًّا النَّارَ .
فلما قال :

أَتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِكَفٍّ فَشَرَكَا خَلِيقَا الْقَدَاءِ
قال مَنْ حَضَرَ : هَذَا أَنصَفُ بَيْتٍ قَالَتْهُ الْعَرَبُ :

وَأَصْدَقُ بَيْتٍ قَالَتْهُ الْعَرَبُ وَأَمْدَحُهُ قَوْلُ كَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ فِي رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

تَحْمِلُهُ النَّاقَةُ الْأَدْمَاءُ مَعْتَجِرًا بِالْبُرْدِ كَالْبِدْرِ جَلِي لَيْلَةِ الظَّلَمِ
وَفِي عِطَافِيهِ أَوْ أَثْنَاءِ بَرْدَتِهِ مَا يَمْلِكُ اللَّهُ مِنْ دِينٍ وَمِنْ كَرَمِ

وقال الأصمى : والجهال يروون هذا البيت لأبي ذهبل ، واسمه وهب بن ربيعة ، في عبد الله بن عبد الرحمن الأزرق ، وإلى التيامة ، والصواب ما ذكرناه ، وهو بصفات النبي صلى الله عليه وسلم أعلّق ، وبمجدحه ألق .

ألفاظ لأهل المصر في ذكر النبي صلى الله عليه وسلم

سليّل أكرم نبتة ، وقريع أشرف بقعة . جاب بأمتة الظلمات إلى النور ، وأطاع عليهم بالظلم بعد الحرور . وهو خيرة الله من خلقه ، وحجته في أرضه . المادى إلى حقه ، ولتنبه على حكمه . والداعى إلى رُشدِهِ ، والآخذُ بفرضه . مبارك مولده ، سعيدة غرته ، قاطمة حجته ، سامية درجته ، ساطع صباحه ، متوقد مصباحه ، مُظفّرة حروبه ، مُيسّرة خطوبه ، قد أفرد بالزعامة وحده ، وختم بأن لا نبيّ بعده . يُفصّح بشماره على التبار ، وبالصلاة عليه في المحاضر ، وتعمّر بذكره صدور المساجد ، وتستوى في الاغياذله حالة المقرّ والجاحد . آخر الأنبياء في الدنيا عمرا ، وأولهم يوم القيامة ذكرا ، وأرجحهم عند الله ميزانا ، وأوضحهم حجة وبرهانا . صدع بالرسالة ، وبلغ بالدلالة ، ونقل الناس عن طاعة الشيطان الرجيم . أرسله الله قرأ للسلام منيرا ، وقدراً على أهل الضلال ميّرا . صلى الله عليه وسلم . خير من افتتحت بذكره الدعوات ، واستنجحت بالصلاة عليه الطلبات . خير مبعوث ، وأفضل وارث وموروث . خير مولود ، دعا إلى خير معبود . صلى الله على كاشف الغمة عن الأمة . الناطق فيهم بالحكمة ، الصادع بالحق ، الداعى إلى الصدق ، القدى ملك هوادى الهدى ، ودلّ على ما هو خير وأبقى . صلى الله عليه بشير الرحمة والثواب ، ونذير السطوة واليقاب . صلى الله على أتمّ بريته خيراً وفضلاً ، وأطيبهم فرعاً وأصلاً ، وأكرمهم عوداً ونجاراً ، وأعلام منصبا وخاراً ، وعلى أهله الذين عظمهم توقيرا ، ومظهرهم تطهيرا هم مقاليد السادة ومفاتيحها ، ومسارج البركة ومصاييحها . أعلام الإسلام وإيمان الإيمان . الطيبون الأخيار ، الطاهرون الأبرار . الذين أذهب عنهم الأرجاس ، وجعل مودتهم واجبة على الناس . هم حبل الهدى وشجرة الإيمان ، أصلها نبوة ، وفرعها مروّة ، وأغصانها تنزيل ، وورقاتها تأويل ، وخدّمها ميكال وجبريل .

لبديع الزمان
الهمداني

ولبديع الزمان إلى بعض الأشراف في درج كلام تقدم :

إن جعلنا نعدّ فخاركم ، ونعُدّ آثاركم ، فنداخلصى قبل نفوذها ، وفنيت الغواطر ،
قبل أن تغنى للآثر ، ولم لا ، وإن ذكر الشرف فأنتم بنو مجدته ، أو العلم فأنتم
عاهدو إزرتة . أو الدين فأنتم ساكنو بلدته ، أو الجود فأنتم لابسو جلده ، أو التواضع
صيرتم لشدته ، أو الرأي صُلِّمَ بمجده ، وإن يتأتى تولى الله عز وجل بناءه ، ومهدّ
الرسول عليه السلام فناءه ، وأقام الوصى رضوان الله عليه عماده ، وخدم جبريل
عليه السلام أهله ، لحقيق أن يُصانَ عن مدح لسان قصير .

وذكر النبي صلى الله عليه وسلم أعرابيًّا قال : بأبي وأمي رسول رب
العالمين ، ختمت به الدنيا ، وفتحت به الآخرة ، صلى الله عليه وسلم ، به يبدأ
الذكرُ الجليلُ ويختم .

إلى هذا المكان أسكت العنان . والإطناؤُ في هذا الكتاب عظيم ويتسع ، خاتمة المؤلف
بل يتصل ولا ينقطع ؛ إذ كان غرضي فيه أن ألمح المعنى من معانيه ، ثم أجزّ منه
حيث أنجز ، وأمرّ فيه كيف مرّ ، وأخذ في معنى آخر غير موصول بشكله ، ولا
مقرون بمثله ، وقد أخل نظاما ، وأفرد تَوْأما ، نَشَرًا لبساط الانبساط ، ورغبة في
استدعاء النشاط . وهذا التصنيف لا تدرك غايته ، ولا تُبلغ نهايته ؛ إذ المعاني غير
محصورة بعدد ، ولا مقصورة إلى أمد . وقد أبرزتُ في الصدر ، صفحة العذر ، يقول
فِرْنْدُها ، ويتقبّ زندها ، وذلك أنى ما ادّعتُ فيها أتيتُ إلّا ما [لا] يكون ما
تركته أفضل مما أدركته ، وأنى لم أسلك مذهباً اخترعاً لم أسبق إليه ، ولا قصدت
غرضاً مبتدعاً لم أغلِّب عليه ، ومن ركب مطية الاعتذار ، واجتنب خطية الإصرار
فقد خرج من تِبة التصدير ، ورى من عهدة الماذير .

وأما بعد فإن أحق من احتكيم إليه واقتصر عليه الاعتراف بفضل الإنصاف ،
ولعلم من يُنصِف أن الاختيار ليس يعلم ضرورة ، ولا يوقف له على صورة ، فيكثُر
الإغماض ، ويقل الاعتراض ، ويعلم أنّ ما لا يقع بهواه ، قد يختاره سواء ، وكلّ ما يفعل
اقتداره ، ويمس اختياره ، فلو وقع الاجتماع على ما يُرضى ويُسخط ، ويثبت ويسقط ،
لارتفع حجاجُ المختلفين ، في أمر الدنيا والدين .

وقال الثعلبي :

تخالف الناسُ حتى لا اتفاق لهم إلا على شجب الخلف في الشجب

قيل : تخلص نفسُ المرءِ سالمةً وقيل : تشرك جسم المرء في العطب

الشجب : الموت ، وهي لفظة معروفة ، وإن كانت غير بالوفة عند أهل النقد .

وقد أنكرها البحترى على عبيد الله بن عبد الله بن طاهر في مجاذبته إياه حيث يقول :

وَلَوْ أَنَّ الْحَكِيمَ وَازَنَ فِي السَّلَافِ واختار لم يقل شجبه

وكان أبو الطيب نظر إلى مارواه أبو غليان ، قال : اجتمع نفرٌ من أهل الكلام

على رجل من الملحدين ، فجعلوا لا يأتون بمسألة إلا سألهم الدليل عليها ، وناقضهم

فيها ، فأعيام كثرة ما يقول ويقولون ، فقال بعضهم : أما بعد فإن الموت لا شك فيه

فقال للمحد : ما رأيتُ خاطباً وواعظاً وشاهداً لا يُردُّ أوجز منه ، وقلما ترى معقياً

إلا هو يدافع أو يناقض ويحاربه عن سواء المحجة . وقيل : من طلب عيباً وجده . قال

أبو عمرو بن سعيد طرطلي : ليس من بيتٍ إلا وفيه لطاعنٌ مطعنٌ ، إلا قول الخطيئة :

من يفعل الخير لا يعدم جوازه لا يذهب العُرف بين الله والناس

وقول طرفة بن العبد :

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود

وقول علي بن زيد :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالشارن مُقتدر

ولعلم بذلك قال قتيبة بن مسلم لأبي عتياش المتوفى ، وقد دخل عليه وبين

يديه سلة زعفران : أنشدني بيتاً لا يصارف ولا يكذب وهي لك ، فأنشده ما ليس

لطاعن فيه مطعن :

فما حلت من ناقة فوق كورها أبر وأوفى ذمة من محمد

[صلى الله عليه وسلم ، ورحم وكرم ، وشرّف وعظم ، وعلى آله الطيبين ، وسلم تسلياً]

قد تم كتاب « زهر الآداب ، لأبي إسحاق المصري »

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على كريم الآباء والأمهات

فهرس الجزء الرابع من كتاب
« زهر الآداب ، وثمر الألباب » لأبي إسحاق المحصرى

الوضوع	ص	الوضوع	ص
١٢٩ قمر فى تهوين القلة.		٩٠٢ فاتحة الجزء	
— جل فى شكاة أهل الفضل		٩٠٨ نماذج من الشعر الجيد	
٩٣٠ جل فى نغم الإقبال وذكر الإبلال		٩٠٨ لابن المعز	
٩٣٢ قمر فى أدعية العبادة		٩٠٩ لعل بن الحليل أمام الرشيد	
— من كلام الأطباء والفلاسفة		٩١١ وصف دعوة لحمد بن حازم	
٩٣٣ قمر فى ذكر للمرض والصحة		٩١١ من مستحسن الأجوبة	
٩٣٥ من الأجوبة للفتحة		٩١٢ من ترجمة ممن بن زائدة وأخباره	
— رثاء قبح أنكر		٩١٢ الرأى والشجاعة	
٩٣٨ لكشاجم فى رثاء منديل		٩١٣ قضاء الله وعدله	
— وله يصف سقوط الثلج		٩١٣ بنو كليب	
٩٣٩ للصنوبرى		٩١٣ من جيد كلام الأعراب	
٩٤٠ لأبى الفتح البقى		٩١٦ جل من ألوان اللدغ	
— لأبى الفضل الميكالى		٩١٧ ألقاظ لأهل مصر فى ضروب للمادح	
٩٤٠ لأهل مصر فى وصف الثلج والبرد		٩٢٠ أدعية فى صدور الكتب	
٩٤١ لهم فى وصف القيظ والحرق		٩٢١ لابن المعز فى القاسم بن عبيد الله	
٩٤٢ العجلة أم الندامة		٩٢١ منزلة صناعة الكلام	
— تأميل ورد جاء		٩٢٣ بعض ما قيل فى النسيب	
٩٤٢ من حسن التقسيم		٩٢٣ لأبى كبير الهدلى.	
٩٤٥ بين قينة وأروحة من عشاقها		٩٢٤ عمران بن حطان والحجاج	
٩٤٧ بين ابن المعز وقينة		٩٢٥ من ترجمة عمران بن حطان	
٩٤٨ بين ابن المعز وبعض الوزراء		٩٢٦ بين أعرابى وبعض الولاة	
— من شعر ابن المعز		— الدنيا وأهلها	
٩٥٠ جرير فى المدينة يبرى بشعر قيس		— أربع كلمات طيبات	
ابن الخطيم		٩٢٧ بين معاوية وعمر بن سعيد	
— يعقوب بن داود		— من نواضع الرشيد	
٩٥٢ بين أحمد بن أبى داود والواقى		٩٢٨ للفتى فى حمى أصابه بمصر	
٩٥٣ من خطباء العرب شبيب بن ثبة		ألقاظ لأهل مصر فى العبادة	

ص	الموضوع	ص	الموضوع
١٥٤	ومنهم خالد بن صفوان	١٨٩	من رسائل البديع
—	سجبان وائل	١٩١	عفو عن ذى جريرة
١٥٥	عجلان بن سحبان	١٩٢	لأهل العصر في التهئة بالإطلاق
—	دغفل بن حنظلة النسابة	—	لأبي نواس في مدح الأبي
١٥٦	عزة الخليل بن أحمد	١٩٤	بين الأخطل ومعاوية
١٥٧	من رسائل الصابي	١٩٥	بين السفاح وأبي نخلة
١٥٩	من رسائل بديع الزمان	١٩٦	من شعر الحنفاء
١٦١	القائمة الأذر ييجانية لبديع	١٩٧	عما يستحسن من رثاء الحنفاء
١٦٣	مختار من الشعر في أيام الشباب والمشيبي	١٩٨	ليلي الأخيلة صاحبة توبة بن الحميز
١٦٨	شذور لأهل مصر في وصف الشيب	١٩٩	موازنة بين الحنفاء ويلي
١٧٠	قرر لغير واحد في المشيب	٢٠٠	لابن الرومي
١٧٢	بعض ما قالوه في الحضاب	—	للحنفاء
١٧٤	الوليد بن يزيد بن عبد الملك	٢٠١	عمرو بن الشريد وأبناء صخر ومعاوية
١٧٥	بين الحجاج وأهل العراق	—	من رثاء ليلي الأخيلة لتوبة
١٧٦	جامع المحارب	٢٠٢	أوفود ليلي على معاوية
—	أيوب بن القرية	٢٠٤	أوفودها على مروان بن الحكم
١٧٧	كثير بن أبي كثير والحجاج	٢٠٥	أوفودها على الحجاج الثقفي
—	مختار مما قالوه في المديح	٢٠٩	العباس بن مرداس السلمي
١٧٨	الشراب وخطره	٢١٠	أعود إلى رثاء شواصر العرب
١٧٩	من اعتلال الطفيليين وحيلهم	٢١٢	أعبرات المحيين
١٨١	وصف طائر	٢١٤	أمن أخبار العباس بن الأحنف
—	أحظى النساء عند المهدي	٢١٥	أموازنة بين التتابي والعباس
١٨٢	وصف غلام	—	الأحنف
١٨٣	بين خالد بن صفوان وعلى بن الجهم	٢١٩	والعين والقلب
١٨٤	كرة الحدثان	—	من مأثور الحكم
—	مختار مما قالوه في الرثاء	٢٢٠	المهوي
١٨٥	من أخبار حارثة بن بدر الغدافي	٢٢٣	أمن رسائل أبي الفضل الميكالي
١٨٧	وصف امرأة	٢٢٥	أمن شعر الميكالي
—	من كلام الأعراب	٢٢٦	الأزدياح لقضاء حوائج الناس
١٨٨	القائمة الأزاكية لبديع الزمان	٢٢٧	أبين عميلة القزاري وأسيد بن

الموضوع	ص	الموضوع	ص
١٠٦٤ فضل الهامة		١٠٢٨ من غرر المدائح	
— من رسائل ابن العميد		— صروف الدهر	
١٠٦٦ هرب من الوباء		١٠٢٩ من لا يوفى النعم يحقها	
— قتل الهوى		— عود إلى غرر المدائح	
١٠٦٧ ابن عباس حبر قرشي		١٠٣٠ فضلات الأجواد	
— مسلم بن الوليد صريح النواني		١٠٣٢ من نوادر الرثاء	
١٠٦٩ من شعر أبي نواس		— رثاء فرد	
— وصف جيش للفتي		— رثاء نور	
١٠٧٠ شعب يوان		١٠٣٥ عود إلى المهتار من الرثاء	
١٠٧١ عود إلى وصف الجيش		١٠٣٩ من كلام الأعراب	
١٠٧٢ وصف سفينة		١٠٤٠ المقامة البصرية لبديع الزمان	
— مما قيل في وصف الأساطيل		١٠٤٢ من رسائل بديع الزمان	
١٠٧٥ من لطائف التودد		١٠٤٣ عود إلى غرر المدائح	
١٠٧٦ لأهل الصر في الإهداء في المهرجان		١٠٤٦ تكاليف المجد لابن المعز	
— وفي الزينة باليروز وفصل الربيع		— احتمال الغضب	
١٠٧٧ الصفات التي تازم في رجل الشرطة		١٠٤٧ نبذة من لطائف ابن المعز	
١٠٧٨ من كلام الأعراب		١٠٤٩ كتابان الحب	
١٠٧٩ مع الولاة والحلفاء		١٠٥٢ معالي الأخلاق	
— شذرات في مساوي الأخلاق		— رياضة النفس على الفراق	
١٠٨٠ من المفاخرات		١٠٥٤ من كلام أهل الصر في مكارم الأخلاق	
١٠٨١ من وصايا الحكماء		١٠٥٦ من رسائل التائي وأديه	
١٠٨٢ من المدائح		١٠٥٩ خصومة قرشية	
١٠٨٤ الاستطراد ، وأمثلة منه		١٠٦٠ دعاء	
١٠٨٦ سبق المتقدمين إلى الاستطراد		— عزل وال	
١٠٨٨ شاعر باهلي في حضرة الرشيد		١٠٦١ حرمة السمكية	
١٠٨٩ كاتب الحاج عند سليمان بن		— من حكم الفرس	
عبد المطلب		١٠٦٢ من حكم الهند	
١٠٩٠ من أدب إبراهيم بن عباس الموصل		١٠٦٣ وصية عتبة بن أبي سفيان لبعض ولاته	
١٠٩٢ رثاء مصبوب		— يزيد بن معاوية	

الموضوع	ص	الموضوع	ص
١٠٩٣ كلام لا يحتمل الجواب، تصحيل الإحسان	١١٢٧	في التهئة بذكر الخلع والأجبية	
١٠٩٤ فضل الإيجاز	١١٢٨	في التهئة بالقدوم من سفر	
١٠٩٥ أبو مسلم الخراساني	١١٢٩	من أحسن الشعر	
١٠٩٦ حساب، من كلام الأحنف بن قيس	—	ما قيل من الشعر على قبر عمرو بن	
١٠٩٧ مما كتبه ابن الزيات	١١٣٠	حمزة الدوسي	
— لأهل مصر في التهئة بالبحج	١١٣١	بلاغة الأضراب	
١٠٩٨ من شعر قطري بن الفجاءة	١١٣٢	أذل السؤال ، المقامة الأهوازية	
١٠٩٩ من جيد المدح	١١٣٣	(للكفوفية)	
١١٠٠ بين سعيد بن عبد الملك وسعيد بن حميد	١١٣٤	من شعر كشاجم	
١١٠١ منزلة سعيد بن حميد الأدبية	١١٣٥	الرجوع للرئيس بعد تجربة غيره	
١١٠٢ نماذج من السراقات الشعرية	١١٣٦	من اسمه على من الخلفاء	
١١٠٦ الاقتباس من القرآن الكريم	١١٣٨	في بيعة يزيد بن معاوية	
— أمثال للحرب والعجم وما يقابلها	١١٣٩	في الإقدام حياة	
من القرآن الكريم	—	من أخيار أبي دلف وشعره	
١١٠٨ جملة من مكاتبات بعض أهل مصر	١١٤١	من رسائل الليكالي	
١١١١ المقامة القزوينية لبديع الزمان	١١٤٢	الخريري يعاتب الوليد بن أبان	
١١١٣ عاقبة السؤال بلفظ حسن	١١٤٣	من ترجمة أبي يعقوب الحريري	
١١١٤ أربعة أبيات ، أبو الأسود وأمراته	١١٤٥	نهر وفصول في معان شتى	
١١١٥ عظات ووصايا	١١٤٧	دعاء ، من رسائل البلغاء	
١١١٦ وصف هشام بن عبد الملك بصفته	١١٤٩	رثاء يزيد بن مزيد الشيباني	
— حاتم الطائي يتحمل ديات وصف هليل	١١٥٠	من رسائل بديع الزمان	
١١١٧ طليسان ابن حرب	١١٥٤	المقامة السجستانية لبديع	
١١١٩ من رسائل ابن الصميد	١١٥٧	جارية ذات أدب وجمال تبدأ بناء الخلفاء	
١١٢١ لأبي الطيب في ابنه عضد الدولة	١١٥٩	تهليل بن حري ، ومختار من شعره	
— للاسكافي في استبطاء وتمهئة	١١٦٠	أثر الشعر	
١١٢٢ لأهل مصر في ضروب للتهاني	١١٦١	أصف بيت ، وأصدق بيت	
١١٢٤ في ذكر المولود العلوي	١١٦٢	ألفاظ لأهل مصر في ذكر النبي	
١١٢٥ في التهئة بالإملاك والنفاس	—	صلى الله عليه وسلم	
— في التهئة بالولاية والأعمال	١١٦٣	خاتمة مؤلف الكتاب	
والحمد لله حق حمده ، وصلاته وسلامه على نبيه وعبد			

